الدكتور محمد رياض

شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي

وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية

مع ذكر ثلة من تلامذته وآثاره



أنشد عالم سوس وأديبها الأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله في شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي ما يلي :

بـــأي لســـان يـــا شــعــيب تترجــم
فـعـمـرو بـن بـحـر عـنـد وصفك يَبْكُم
فـــمـــا مســهب إلا يــقــول بــرغــمــه
أخيراً وإن طـــال المدى الـــلّـــهُ أعـــلـــمُ

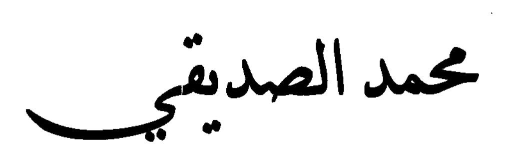
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

تتشرف أسرة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي الصديقي الذي كان مدرساً بالمسجد المكي في عهد الأمير عون الرفيق باشا وخطيبا بالحرم المكي ومفتي الحرمين بالمذاهب الأربع وكان سكناه بمكة المكرمة قرب المسجد في حي القشاشية مدة إقامته بالحجاز 1314 إلى 1328 بإهداء كتاب ترجمة الشيخ إلى خزانة الحرم المكي بمكة المكرمة لتوضع بين يدي العلماء وطلبة العلم من أجل الاطلاع والاقتداء بهذا الشيخ العالم والمصلح والوطني الغيور.

حفيد الشيخ
محمد الصديقي

شيخ الإسلام
أبو شعيب الدكالي الصديقي



حفيد الشيخ شعيب الدكالي

15 نهج العيون مدينة الجديدة

هـ: 061.23.13.28

الطبعة الأولى 1426-2005

كلمة إمتنان وتبجيل

بين يدي هذا الكتاب المتعلق بشيخ من شيوخ الإسلام وعلم من كبار الأعلام، ألا هو **الشيخ أبو شعيب الدكالي** أكرم الله مثواه، وطيب في الخالدين ثراه.

نقف وقفة إجلال وإكبار، وتقدير واعتبار، لعالم الأدباء، وأديب العلماء، الفقيه المحدث، اللغوي الشاعر، الناثر، الخطيب المصقع، السائر على أثر أبيه الهمام، صاحب المعالي، **سيدي عبد الرحمان الدكالي** الذي كانت له أول مساهمة، والبادرة الطيبة المباركة في جمع وثائق ترجمة والده الأكرم رحمة الله عليه، حين كان كاتبا عاما لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد شرع رحمه الله في كتابة ترجمة والده لولا الأجل المحتوم الذي لا ينجو منه أحد.

وإلى **السيدة الفاضلة الحاجة فاطنة لغزايل** حيث بقيت - صانها الله - وفية لذكريات وآثار زوجها المشمول بعفو الله إن شاء الله - الأستاذ المبجل **سيدي عبد الرحمان الدكالي**، فأشرفت على طبع ديوان شعره الذي خرج إلى الوجود.

وها هي اليوم حفظها الله تواصل عملها بإحياء أثر والد زوجها شيخ الإسلام **أبي شعيب الدكالي** بعد أن أوصاها زوجها سيدي عبد الرحمان المذكور بإخراج هذه الترجمة إلى الواقع.

وحين عقدت العزم على كتابة هذه الترجمة المباركة، اتصلت بحفيد الشيخ الأستاذ الحاج محمد الصديقي الإدريسي الذي كان واسطة خير بيني وبين زوجة خاله السيدة الكريمة المذكورة، التي استقبلتنا بمنزلها العامر بطريق زعير بالرباط استقبالا كريما، وحفاوة رائقة لائقة بالمقام.

وخلال هذه الزيارة الميمونة أمدتني حفظها الله. بما كان جمعه زوجها سيدي عبد الرحمان الدكالي - رحمه الله - من وثائق ورسائل متعلقة بوالده، ثم أضفت إلى كل ذلك ما تحصل لدي من وثائق ومراجع عن الشيخ من بطون الكتب والمجلات والجرائد الرسمية ومن خزانات عامة وخاصة مما تعلق بالموضوع.

وأعود لأجدد الذكر أنه إلى هذه السيدة النبيلة الكريمة يرجع فضل إحياء ترجمة الشيخ الجليل، والإنفاق على طبع هذا الكتاب.

ونحن في هذا المقام الطيب لا ننسى الحفيد الأجل والأستاذ الأمثل الذي كان صلة الوصل في جمع أطراف هذه الترجمة (والدال على الخير مثل فاعله)، ألا وهو **الحاج محمد الصديقي الإدريسي** نسباً حفظه الله، حيث رافقني في رحلة هذا الكتاب المبارك عن جده شيخ الإسلام **أبي شعيب الدكالي** منذ البداية إلى النهاية وكان رعاه الله، يستقبلني في زيارات متعددة من أجل ذلك بمنزله الكريم لا في مدينة مراكش ولا في مدينة الجديدة بمنزل والدته الحاجة آمنة بنت الشيخ رحمها الله مساهما بكل ما يمت إلى الموضوع بصلة من معلومات وأخبار فله مني أبلغ الشكر وأجمل الذكر بما أسداه من جميل وعمل صالح نبيل، مما كان له أبلغ الأثر في ترجمة جده الأكبر شيخ الإسلام الأشهر **أبي شعيب الدكالي**، جعل الله سبحانه عليه سحائب الرحمات، ورفع مقامه في أعلى الدرجات في الحياة وبعد الممات.

الدكتور محمد رياض

كلمة شكر وتقدير تالية

كما نخص بالشكر والتقدير أيضاً السادة الكرام الأجلاء :

- العلامة المؤرخ **محمد المنوني**، وشكرنا إياه بالدعاء له بالرحمة والغفران على ما أبداه رحمه الله من معلومات متعلقة بالشيخ حيث كنت أعقد معه جلسات خاصة بمنزله رحمة الله عليه.

- المجاهد الوطني **الحاج عثمان جوريو**، على ما قدمه من وثائق وبعض القصائد المتعلقة بتأبين الشيخ رحمه الله، إذ كان رعاه الله وحفظه الكاتب المكلف بلجنة التأبين آنذاك.

- الدكتور الجليل رئيس المجلس العلمي المحلي بمراكش السيد **عز الدين المعيار** على تشجيعه الأدبي لكتابة هذه الترجمة، وكانت له البادرة الكريمة في إخراج ترجمة موجزة للشيخ تبناها المجلس العلمي في عهده عنوانها «شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء» والذي طبع على نفقة هذا المجلس.

وقد ساهم الدكتور المذكور والسيد الرئيس بمقالات متعددة عن الشيخ نشر بعضها في مجلة دعوة الحق تحت عنوان «نظم الدرر واللئالئ في ترجمة أبي شعيب الدكالي» وسنلحق هذا المقال بترجمة هذا الكتاب.

فله مني أجزل الشكر، وأطيب الذكر حفظه الله ورعاه.

- الأستاذ الأديب المؤرخ السيد **أحمد متفكر** على توجيهاته الخالصة، وتشجيعاته المتواصلة من أجل إتمام هذا الكتاب.

الدكتور محمد رياض

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم.

خلق الله سبحانه أناساً في هذه الدنيا أدوا رسالتهم أحسن الأداء، وأبلوا البلاء الحسن بما قاموا به من جلائل الأعمال، وأنبل الخصال، ورفعوا من شأن أوطانهم، وأثروا في الأجيال مما كان له جميل الأحدوثة، وجليل الذكر من بعدهم.

وإن كان هذا النوع من الرجال الأفذاذ لا يرجو ولا يطمح أن تذكر أعماله، ولا أن تنشر خصاله، إذ كان لها من صفاء الإخلاص، وصدق النيات، ما يسمو بها عن شوائب الرياء، وأذيال السمعة الكاذبة.

إلا أن لنا في كتاب الله إسوة حسنة، إذ ذكر الباري عز وجل كثيرا من عباده الصالحين، من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام شملهم بذكره الجميل، وثنائه الطيب النبيل، ما جعل أسماءهم تتردد على الألسنة، وتتوارد على الأفئدة، لما قاموا به من عمل صالح، وحسنات قدرها لهم الميزان الراجح[1].

ومن المقرر الوارد أن «العلماء ورثة الأنبياء»[2]، كما أن العالم لأجياله في مرتبة الأب الوالد، لأنه يربي، ويعلم ويقوّم ويخاطب القلوب والضمائر، فينعكس الأثر المحمود على السلوك والجوارح، وتلك منقبة تفوق حنان الأبوة، وتنِمُّ عن معدن السخاء والفتوة.

والعلم من جنس الجهاد في كل بقعة وبلاد، إذ المجاهد يكافح بسلاحه وبنانه، والعالم يناضل بقلمه ولسانه.

---

(1) كما في قوله تعالى : ﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيئاً، وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً، ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيئاً، واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيئا، وكان يامر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً، واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صِدّيقاً نبيئاً، ورفعناه مكانا علياً﴾، مريم / 51 - 57.

(2) وهو ما رواه أبو داود والترمذي : «وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»، وقد رمز له الشيخ ناصر الدين الألباني بالصحة.

ومن واجب أبناء الوطن والبلد ممن نشأ فيهم عالم عم نفعه، وظهر فضله، أو مجاهد بنفسه وماله دافع من أجل الكرامة والشهامة أن تقابل أعمالهما بالاعتراف بالجميل، وأن يُنظر كل ذلك بعين التعظيم والتبجيل، وأن تنشر من ثنايا تلك الأعمال بعد وفاتهما ما يدل على الثناء والتوقير وحسن الوفاء.

ومن هذا المنطلق الجليل، ترنو أعيننا وتهفو قلوبنا إلى التعرف على شخصية علمية مصلحة وطنية فذة، أنارت السبل والمناهج والأفكار برهة من الزمان، وأعطت العطاء الحسن المدرار، ولم تبخل بعلمها وقدرتها طوال الليل والنهار، وتركت أجيالا تلهج بذكرها، وكونت رجالا تصدوا للتدبير والتنوير، وتصدروا لشؤون الحياة وأعبائها من بعدها.

تلكم هي شخصية شيخ الإسلام، العالم الهمام، معدن الرسوخ، ورئيس الشيوخ: «أبو شعيب الدكالي»، المجمع على إمامته، وفطانته وديانته، مفخرة المغرب والمشرق، الحَبْرُ في قومه، البَحْرُ في علومه.

وقد يقول قائل إن هذه الأوصاف قد أغدقت على صاحبها، وربما حصلت المبالغة فيها، ونبادر بالقول إن (الشيخ شعيبا الدكالي)، فوق ما وصف، بشهادة الجميع، وعن طريق التواتر الحسي والمعنوي كما سوف نورده في محله إن شاء الله من شهادات العلماء فيه من تلامذته أو من أقرانه.

بل هناك من رفع مقامه فوق مرتبة الشيخ محمد عبده علما وحفظاً وأثراً، إلا أن الشيخ محمداً عبده وجد المناخ الذي عرف فيه وظهرت أعماله مقترنة بأثر شيخه جمال الدين الأفغاني، ووجد من الأتباع ومن الصدى البعيد ما رفع شأنه، فوصف بالشيخ الإمام محرر الشرق من الخرافات والأوهام، ومحرك الهمم والعزائم إلى الأمام، وهذا جانب لا ينكر.

أما في المغرب فالناس فيه غيرهم في المشرق فلا يقدرون تقدير المشارقة، ولا يرفعون ذكر علمائهم كما يفعل الآخرون، وإذا ظهر عالم في المغرب في مرتبة الشيخ أبي شعيب الدكالي فلابد أن يجد الحاسد، والمنغص والطاعن، ولو كانت الآثار الحسان تترى، والأيادي البيضاء تتوالى ظاهرة بارزة ظهور الشمس الذي لا يحجب نورها الغربال، فإذا مات ذلك العالم ذهب ذكره وآثاره معه تحت الثرى، فلا تعريف ولا تشريف إلا ما ندر.

فقد قام الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله بأعمال تنوء بحملها صناديد الرجال إذ شمر عن ساعد الجد فعلم ودرس الكتب الصحيحة، وأدى الرسالة العلمية على أحسن وجه وبالتمام والكمال، وحارب الخرافات، ونشر ألوية السلفية الصحيحة، وحرك النفوس تجاه الوطنية الصادقة، والنضال المستمر من أجل التحرير والاستقلال، وعلى يديه تكونت نواة الحركة الوطنية بما كان ينشر من علم، ويبث من إصلاح وأفكار نيرة، فتلقفت النفوس تلك الدروس وهي مغلفة بنورانية التحصيل تدعو إلى حرية التفكير، واتساع المدارك حتى لا يحدها حدود، وفي نفس الوقت داعياً إلى نبذ آصار الاستعمار، والتمسك بأذيال الوطنية الحق، والذود عن حياضها بلطافة العلم، ولباقة الفهم، شعاره في ذلك «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فانتجت دعوته، وآتت ثمارها، وتلقاها الناس بقبول حسن كما أرادها ربها، ولولا رضا الله عنه ما بلغ عشر ما بلغ، ولكن لله سبحانه أسرار وأنوار، «وقبول منه في السماء قبل أن يكون ذلك في الأرض»[3].

وكيف لا يكون ذلك ؟ ودعوته تلك كانت من أجل إعلاء كلمة الله سبحانه ونصرة كتابه العظيم، وسنة رسوله الكريم، وفي هذا المجال كان يجاهد ويناضل.

جاء شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في عصر بلغ فيه الظلم الدولي لبلد المغرب عن طريق الحماية القنصلية، تمهيداً لبسط نظام الحماية البغيض، وكذلك كان من بعد.

وكانت بداية حياة الشيخ أبي شعيب في عهد السلطان، مجدد الإسلام، المجاهد في سبيل الله والوطن : المولى الحسن الأول قدس الله سره وأحسن مثواه.

فتح الشيخ أبو شعيب عينيه الكريمتين على بلده المغرب الذي كان في حالة عصيبة رهيبة عانى منها السلطان المبجل المولى الحسن الأول ما عانى من فتن داخلية، ومناورات خارجية، وقام بدوره خير قيام مجاهداً، مكافحاً واضعاً أمام نظره الكريم وحدة البلاد وأمنها، فجزاه الله تعالى عن الإسلام، وعن هذا الوطن

---

(3) قال رسول الله ﷺ : «إذا أحب الله تعالى العبد نادى جبريل : إن الله تعالى يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»، متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

خير الجزاء، فلقد أدى الأمانة، وأرضى الله سبحانه، ومات شهيداً في طريق الجهاد والصيانة.

ومن يمن الشيخ أبي شعيب الدكالي وبركته أنه شاهد بأم عينيه هذا الملك الهمام وتحدث معه في لقاء علمي بهيج على إثره شهد له ذلك السلطان المعان في صغره بالفلاح والنجاح، مما سنورده في ترجمته إن شاء الله.

وعاصر الشيخ أبو شعيب عهد الحماية البغيض، وكان من أنصار السلطان العالم مولاي عبد الحفيظ الذي كان السبب في مجيء الشيخ من الحجاز.

وفي هذا العهد قام الشيخ أبو شعيب برسالته ودوره خير قيام مما أملاه عليه دينه، وإسلامه، وعلمه تجاه هذا الوطن.

كما عاصر السلطان مولاي يوسف رحمه الله، وفي عهده كان وزيراً للعدل والمعارف، وفي هذه الآونة برزت فتنة الظهير البربري، فكان الشيخ أبو شعيب من الواقفين ضدها المناوئين لها انطلاقا من دينه ووطنيته.

وأدرك الشيخ السلطان الذي حاز المجد من جميع أطرافه، حبيب شعبه، وناصر دينه وربه، المتربع على عرش القلوب قبل أن يتربع على عرش الآباء والجدود، ملهم المغاربة في محنتهم، ورمز كفاحهم في فتنتهم، الملك الشهم الوفي، الأصيل الأبي «محمداً الخامس» رحمة الله عليه ورفع درجته في عليين.

وفي عهد هذا الملك الميمون، كان الشيخ أبو شعيب يترأس دروس العلم الملقاة بين يديه، كما كان يترأسها في عهد سلفه.

ويكفي الشيخ شعيبا شرفاً - أن زاره هذا الملك الكريم ومعه ولي عهده آنذاك الحسن الثاني طيب الله ثراه - وهو طريح الفراش في مرضه الأخير، فحاز السلطان الهمام شرف الزيارة، لأنها زيارة مريض وهو علم من أعلام الإسلام[4]، وحاز الشيخ أبو شعيب شرف زيارة ملك شهم همام، وسلطان مجاهد من الأعلام.

---

(4) وفي ذلك اتباع لسنة جده عليه الصلاة والسلام الذي قال : «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ! أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ؟»، رواه مسلم في البر والصلة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإذا كان هذا الشيخ الجليل قد غاضه ما رأى من انتقاص سيادة بلده، وما شاهده من بسط لواء الحماية عليه، فإنه كان يرى ويتوسم خيراً من طلعة السلطان المبارك محمد الخامس أن هذا البلد سيتحرر من ربقة الاستعمار على يديه، وأن الخيرات والمبرات ستواكب حله وترحاله في عهده، وكذلك كان، وتحققت الفراسة الصادقة لشيخ الإسلام.

إن حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي حياة حافلة بجلائل الأعمال، تستحق التقدير والاهتمام، وقد ترك رحمه الله وطيب مثواه من جهابذة العلماء ممن تتلمذوا عليه، فأكملوا وتمموا ما قام به الشيخ الهمام من توعية، وتعليم، وإيقاظ همم فكانوا بذلك رسل العلم والمعرفة، وبمثابة كتب مؤلفة عنه تحمل دعوته[5]، وتمثل شخصيته.

وكانوا أيضاً رموز الحركة النضالية الوطنية في هذا البلد الكريم، وهم الذين حملوا مشعل النهوض بأعباء تحرير الوطن والتهمم بشؤونه، بالرغم من أغلال الاستعمار، وكيد الأغيار.

وقد تنوعت مشارب هؤلاء التلاميذ الأمجاد، واختلفت مذاهبهم في شؤون الحياة، فمنهم العلماء الأفذاذ الذين يشار إليهم بالبنان، داخل المغرب وخارجه، ومنهم الأدباء، والشعراء الذين تركوا آثارهم في كل مكان، ومنهم الوزراء، والكتاب المهرة، والقضاة والنظار، ومنهم زعماء الوطنية والسياسة، ومنهم عامة الأمة الذين استفادوا من شيخ الإسلام الذي كان يخاطب كلا على قدر فهمه، ومنتهى علمه، فبذلك أحبه الجميع.

وقد كتبت عن الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله كتابات لم تستوف في ظني ما يجب له من اهتمام في مجال العلم والعرفان، ولم تبرهن أكثر على مكانة للشيخ من شيوخ العلم والإسلام وما له في عالم الإصلاح والتربية والوطنية من مقام، مما حدا بالمؤرخ العالم السيد عبد السلام بن سودة رحمه الله أن يقول بعد ترجمته في كتابه سل النصال :

(5) قال الشيخ الأديب عبد الله كَنون رحمه الله في شأن شيخه أبي شعيب الدكالي : «وكذلك نحن ألسنا كلنا كتبا وآثاراً لفقيدنا العظيم، فكل ما نخطه بأيدينا، ونرقمه في صحائفنا، إنما هو نفحة من نفحات أشياخنا ونفثة من نفثات صدورهم رحمة الله عليهم»، التعاشيب، ص 113، المطبعة المهدية، تطوان.

وكل ما وصف به فالرجل فوق ذلك، ولا يومن به إلا من شاهده، فهو مفخرة من مفاخر المغرب، وترجمته واسعة تستحق مجلداً[6].

وأنا أقول إن ترجمته تستحق مجلدات لو أتيح من يساعد على ذلك في إبانه.

وهي الأمنية التي كانت راودت تلميذ الشيخ الأبر محمداً المختار السوسي من قبل...

ومع ذلك فما تيسر لي كتابته عن الشيخ فيه منتجع وكفاية إن شاء الله.

وما هو إلا قدر يسير في التعريف بهذا الرجل العالم الجليل.

ولا ننكر في هذا المقام ما كتبه عن الشيخ عالم سوس وأديبها محمد المختار السوسي في كتابه مشيخة الألغيين (الذي مازال مخطوطا)، وما كتبه عالم الرباط ومؤرخها عبد الله الجراري، وما رقمه بيديه الأستاذ عبد الحكيم بركاش فضلا عما كتبه كثير من تلاميذة الشيخ من مقالات وارتسامات وذكريات عن الشيخ وغيرهم من علماء وأدباء المغرب من كل جهة.

وترجع صلتي بشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي منذ نعومة أظفاري، وفي سنوات قد خلت حين كنت أسمع عن جليل علمه، وجميل فضله من أساتذتي، وشيوخي الكرام، الذين هم من تلاميذة الشيخ الجليل أمثال : سيدي عبد الرحمان الغريسي، ومولاي العباس الأمراني، وابنه البار سيدي عبد الرحمان الدكالي، وأخيه الكريم سيدي أحمد الدكالي، ومولاي مصطفى العلوي، وغيرهم كثير.

مما حفزني على الكتابة عن الشيخ، وتكونت لدي معلومات لا بأس بها وأنا طالب بدار الحديث الحسنية، وبعد التخرج منها عقدت العزم على تسجيل موضوع هو : «أبو شعيب الدكالي ودوره في الحركة السلفية بالمغرب» وكان الأستاذ المشرف آنذاك هو أستاذنا الشيخ المكي الناصري رحمة الله عليه الذي هو من تلاميذة الشيخ أيضا، وقد درست عليه في رحاب كلية الحقوق بالدار البيضاء، والرباط، وبدار الحديث الحسنية، لكن تجري الرياح بما لا تشتهيه السفن، فحصل ما صرفني عن الموضوع في ذلك الوقت، ومرت الأعوام، وبقي في نفسي من ذكر الشيخ أبي شعيب

(6) انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3053، دار الغرب الإسلامي.

الدكالي ما زادته الأيام شوقاً إليه، وتعلقاً به، ثم ازددت علماً به، وجمعت من الوثائق المكتوبة والمسموعة ما تعلق بحياته، وآثاره، مما تضمنه هذا الكتاب إن شاء الله.

وخرجت في الكتابة عنه من قيود الرسميات، ونيل الشهادات، لأكتب حراً طليقا، ناشداً عين الحق والإنصاف.

وبعد، فإن الكلام عن جوانب شخصية شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي المتعددة، ومجالاتها المتنوعة يتوقف على دراسة متأنية تسير بخطوات ثابتة نتناولها طبق المنهاج التالي :

باب تمهيدي : في عصر الشيخ أبي شعيب الدكالي وموطنه الأصلي.

الباب الأول : الشيخ أبو شعيب الدكالي وجهوده في العلم والاصلاح والوطنية (حياته العامة).

الباب الثاني : بعض آثار الشيخ أبي شعيب الدكالي.

الباب الثالث : القصائد التي قيلت في الشيخ.

الباب الرابع : ثلة من تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي.





في عصر الشيخ أبي شعيب الدكالي
وموطنه الأصلي

تمهيد :

يشتمل هذا الباب على نظرة عامة عن عصر الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو الأمد الممتد بين أيام السلطان مولاي الحسن الأول طيب الله ثراه إلى عهد الملك الهمام المجاهد سيدي محمد الخامس أكرم الله مثواه.

فيكون شيخ الإسلام رحمه الله قد عاصر خمسة من ملوك الدولة العلوية المنيفة أولهم المولى الحسن الأول، ومولاي عبد العزيز وأخوه مولاي عبد الحفيظ، ومولاي يوسف بعده، ثم الملك الشهم الأبي محمد الخامس، وفي عهده توفي الشيخ أبو شعيب الدكالي.

ثم إن شيخ الإسلام رحمة الله عليه ينتسب إلى منطقة دكالة التي توجد الآن ضمن إقليم الجديدة إحدى أقاليم المملكة المغربية.

وبناء عليه سيشتمل هذا الباب على مبحثين كالتالي :

المبحث الأول : نظرة عامة عن عصر الشيخ أبي شعيب الدكالي.

المبحث الثاني : التعريف بموطنه الأصلي.

المبحث الأول
نظرة عامة عن عصر أبي شعيب الدكالي

فتح الشيخ أبو شعيب الدكالي عينيه الكريمتين على الوجود عام 1295هـ الموافق لسنة 1878م[1]، وذلك في عهد السلطان مولاي الحسن الأول رحمه الله.

وفي عام 1308هـ الموافق لسنة 1891 تشرف بمقابلة العاهل الحسني طيب الله ثراه في جو علمي سنبين خبره ضمن حياته إن شاء الله.

وحين التحق المولى الحسن الأول بالرفيق الأعلى عام 1311هـ الموافق لسنة 1894م، كان سن أبي شعيب الدكالي آنذاك ستة عشر عاما.

وبقي أبو شعيب الشاب يتلقى العلم ويحفظ المتون في بلده وغيرها إلى سنة 1314هـ وهي السنة التي سيغادر فيها المغرب إلى أرض الكنانة (مصر)[2].

وبمقابلة التواريخ هذه يكون الشيخ قد أدرك بداية عهد المولى عبد العزيز رحمه الله، والشيخ في عنفوان شبابه، وطلبه للعلم والشغف بشؤونه وشجونه.

ومن سنة 1314هـ إلى سنة 1325م وهي مدة تقرب من عشر سنوات كانت تمثل هجرة الشيخ أبي شعيب إلى المشرق بما فيها مصر وأرض الحجاز.

وفي رجوع الشيخ إلى المغرب عام 1325هـ[3]، وهي السنة التي صادف فيها تولي المولى عبد الحفيظ للملك، وهو الملك العالم الذي أوعز للشيخ بالمجيء من أرض الحجاز إلى بلده المغرب في لقاء خاص به عند قيامه بمناسك الحج، وفي هذا العهد تولى القضاء بمدينة مراكش عام 1329 كما سيرد أثناء ترجمته بحول الله.

---

(1) ترجمته الخطية لنفسه رحمه الله.

(2) معجم الشيوخ، ج 2، ص 143، لعبد الحفيظ الفاسي، وترجمة الشيخ الخطية لتلميذه الأستاذ جعفر بن خالد الناصري المؤرخة بتاريخ 3 صفر 1388هـ، فاتح ماي 1968.

(3) التعاشيب، ص 110 لسيدي عبد الله كَنون، تطوان، دون تاريخ.

وجاء بعد المولى عبد الحفيظ أخوه المولى يوسف، وفي عهده تولى الشيخ وزارة العدل والمعارف، إبّان توليته عام 1330هـ الموافق لـ 1912م، وهو العام الذي تَمَّ فيه عقد الحماية البغيض على المغرب.

وظل في هذا المنصب مدة اثنتي عشرة عاماً إلى أن استعفي منه ليبقى مواصلاً رسالة العلم، والإصلاح، والوطنية إلى أن بويع السلطان الهمام أب الوطنية والجهاد (محمد الخامس) طيب الله ثراه عام 1340هـ الموافق لـ1927م فصار الشيخ على نهجه القويم من بث العلم والقيام بدروسه آناء الليل وأطراف النهار، وسار بذكره الركبان، وتحدث بفيض أبحره في هذا المجال الخاص والعام.

وأسند إلى شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي رحمه الله رئاسة الدروس العلمية السلطانية في عهد المولى حفيظ والمولى يوسف، وسيدي محمد الخامس قدس الله أرواحهم في الجنان، وبقي الشيخ على هذا الحال إلى أن التحق بالملأ الأعلى عام 1356هـ الموافق 1937م، أيام السلطان محمد الخامس أحسن الله مثواه.

وسنتحدث بعد هذه التوطئة. التي نتبين منها عموم حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي في عهود خمسة من ملوك الدولة العلوية الشريفة وعن معالم هذه الحقبة من تاريخ المغرب التي اتسمت بالاضطراب وتقلب الأحوال وظهور الفتن ولاسيما بعد أن بسطت فرنسا لواء الحماية على هذا البلد الأمين.

وكل ذلك سيكون ضمن المطالب الآتية :

المطلب الأول : عصر السلطان المولى الحسن الأول.

المطلب الثاني : عصر السلطان المولى عبد العزيز.

المطلب الثالث : عصر السلطان مولاي عبد الحفيظ.

المطلب الرابع : عصر السلطان مولاي يوسف.

المطلب الخامس : عصر السلطان سيدي محمد الخامس إلى وفاة الشيخ رحمه الله.

المطلب الأول
عصر السلطان المولى الحسن الأول

قبل الكلام عن أهم الأحداث التي تميز بها هذا العهد، ندلي بترجمة موجزة لهذا الملك الفذ المجاهد في سبيل الله والوطن.

أولا : التعريف بالسلطان المولى الحسن الأول :

هو أمير المؤمنين الحسن بن محمد بن عبد الرحمان، ولد عام 1247هـ موافق 1831م ونشأ في كفالة جده المولى عبد الرحمان الذي سهر على تربيته، وتهذيبه على أحسن الأحوال، حيث كان يختار له أفضل المربين، وأعلام المدرسين، ثم بعثه إلى مدرسة الأمراء بـ«أحمر» ضواحي آسفي ومراكش[4].

فشب المولى الحسن طيب الله ثراه على حب العلم والإطلاع وملازمة الكتب والمؤلفات في جميع العلوم والفنون، مما أضحى ديدنه وهو متربع على كرسي الملك، يدير شؤون البلاد والعباد، كما تدرب على ممارسة الرمي والفروسية مما كان له دور كبير في حركاته الجهادية وتفقد أحوال الرعية[5].

وقد ناب عن والده سيدي محمد بن عبد الرحمان في عدة حملات من أجل تهدئة الأوضاع في قبائل المغرب فحالفه التوفيق، وعانقه السعد في القضاء على مكامن تلك الفتن مما كان له أطيب الأثر عند والده المنعم برحمة الله وساعده ذلك أن يكون مرشحا للخلافة من بعده وكذلك كان.

إذ تولى الخلافة طيب الله ثراه عام 1290هـ الموافق 1873م.

فواصل الكفاح من أجل أمن وطمأنينة بلده، والقضاء على بوادر الخلاف والشقاق، وكان أثر التدخل الأجنبي قد استفحل عن طريق ما يسمى بالإمتيازات الأجنبية أو الحماية القنصلية، فحاول صد ذلك بلباقة السياسي المحنك مما سنراه

---

(4) تعد «مدرسة الأمراء» بالشماعية من أهم المدارس العلمية التي تلقى فيها العلم شخصيات بارزة منهم العاهل المذكور وبعده المولى عبد الحفيظ ومن باب الأثر المحمود أن يكون صاحب الترجمة الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله من روادها. انظر الترجمة الخاصة لولده الأستاذ عبد الرحمن الدكالي رحمه الله.

(5) اتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 115 وما يليها.

بعد، واضعا نصب عينيه مصلحة البلد، وما يعود عليه من نفع ورغد، مما حققه له من منجزات وأعمال تكتب له بمداد الفخر وجميل الذكر، وبعد جهاد مرير، وعمل دؤوب لا يعرف الكلل ولا الملل على الصعيد الداخلي والخارجي، أسلم الروح إلى باريئها وهو في طريق الجهاد في إحدى حركاته لقمع الشغب بموقع يسمى (دار ولد زيدوح) بناحية بلاد تادلة عام 1311هـ موافق 1894م ودفن رحمه الله بضريح جده سيدي محمد بن عبد الله بالرباط.

ثانيا : الأحداث التي تميز بها هذا العهد :

مما اتصف به هذا العهد كثرة الاضطرابات والفتن الداخلية التي كانت تقوم بها بعض القبائل، وأفراد من المشاغبين، ورواد القلاقل الذين تعودوا على القيام بها والعيش في ظلها المحموم.

وتلك الفتن الداخلية ناتجة عن امتداد تدخل عارم من الدول الأجنبية عن طريق الحماية الفردية للمواطنين المغاربة وكان ذلك قبل العهد الحسني مما أصبح أمرا معهودا وحالا مألوفا لدى المغاربة.

ومع اهتمام المولى الحسن الأول رحمة الله عليه برد تلك البلايا والمحن كانت همته العلية مصروفة إلى البناء والتشييد، والعناية بالرفع من مستوى بلده عسكريا، وعلميا، واقتصاديا، وسياسيا.

أ - الاضطرابات الداخلية :

واجه المولى الحسن الأول أكرم الله مثواه اضطرابات القبائل بروح عالية وشجاعة باسلة، إذ كان رحمة الله عليه يقوم بحملات، وحركات متواصلة، يقودها بنفسه.

وقد لخص المؤرخ الأستاذ اسماعيل بن محمد الرشيد العلوي هذه الحملات على النحو الآتي :

1 - من مراكش إلى فاس إثر ولايته عام 1290 في شأن الضرائب والمكوس التي كان مكلفا بها الأمين المدني بنيس.

2 - من فاس إلى الريف بقصد القضاء على الثائر الفتان بوعزة الهبري عام 1291.

3 - من فاس إلى مراكش لتفقد الأحوال عام 1292.

4 - من فاس إلي مراكش مارا بالمراسي المغربية للنظر في أسباب حمايتها عام 1293.

5 - من فاس إلى تازة ووجدة وقبائل الريف عام 1294.

6 - من الشمال إلى الجنوب متفقدا أحوال ولاة القبائل وذلك عام 1294.

7 - من الجنوب إلى الشمال وذلك عام 1296.

8 - من فاس إلى مكناس ثم إلى مراكش وذلك عام 1298.

9 - من الجنوب إلى الأصقاع السوسية عام 1299.

10 - من مراكش إلى مكناس وفاس عام 1300.

11 - من الشمال والجنوب وذلك عام 1302.

12 - من عاصمة الجنوب إلى السوس الأقصى وذلك عام 1303.

13 - من الجنوب إلى الشمال وذلك عام 1304.

14 - من مكناس إلى بني مكيلد عام 1304.

15 - من العاصمة العلمية فاس إلى القبائل المجاورة لها عام 1306 ثم إلى الجنوب.

16 - من الشمال إلى الجنوب وذلك عام 1307.

17 - من الجنوب إلى الشمال وذلك عام 1310.

18 - من فاس إلى تافيلالت وذلك عام 1310.

19 - من الجنوب إلى الشمال ولكن المنية عاجلته في الطريق قرب الأبراج (بدار ولد زيدوح) بتادلة عام 1311[6].

(6) جلاء الظلام الدامس، ص 144، ط 1، عام 1957 بمطبعة فضالة، وانظر أيضا خبر هذه الحركات الإستقصاء ج 9، ص 128 وما يليها وأتحاف أعلام الناس، ج 2، ابتداء من ص 132 وما يليها.
وانظر أيضا المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 258 وما بعدها للدكتور إبراهيم حركات، والتنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، ص 22، للحسن بن الطيب بوعشرين، تصحيح محمد المنوني، ط 1، عام 1415 موافق 1994، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

ويبدو من خلال هذه الحملات مدى الجهد المتواصل والأعباء التي كان يتحملها هذا السلطان الهمام من أجل استقرار بلده وطمأنينة أحواله، بالرغم من صعوبة المواصلات وما كان عليه الحال في ذلك العهد من قساوة وشدة.

وإنه لجهاد ونضال استغرق أيام حياة هذا الملك الكريم، الذي ضحى بالنفس والنفيس حتى التحق بالرفيق الأعلى وهو في درب التضحية والوطنية، وحتى قيل «إن ملك هذا العاهل العظيم كان على صهوة جواده».

ب - مشكلة الامتيازات الأجنبية :

من جملة ما واجهه المولى الحسن الأول رحمه الله قضية الامتيازات الأجنبية التي عكرت صفو أمن المغرب، وكانت من أكبر الأسباب التي حركت ثورات القبائل الداخلية، وشجعت على التمرد ضد السلطة الشرعية في البلاد، إذ كان يكفي أن يحتمي فرد أو جماعة بدولة أجنبية حتى يتسنى له أن يفعل ما يشاء دون حسيب ولا رقيب، ولو ارتكب أفظع الجرائم لتكون الدولة الحامية له في مواجهة مع دولة المغرب، وهذا نوع من الاستفزاز كانت تسلكه دول أوربا من أجل التدخل في شؤون المغرب ومحاولة السيطرة عليه بالاستعمار[7]، وكانت من جملة الأسباب التي جعلت هذه الدول لا تخاف جانبه واقعة (إيسلي) المشؤومة في عهد المولى عبد الرحمن عام (1260هـ / 1844م)، وحرب تطوان عام (1276هـ / 1859م) في عهد السلطان محمد الرابع.

وبالرغم من المساعي الدبلوماسية الحميدة التي قام بها العاهل الحسني فإنها لم تفد في الحد من الآثار السلبية للحماية القنصلية على البلاد[8].

قال الأستاذ عبد الله كَنون :

ولما طغى سيل الإمتيازات الأجنبية، وتفاحش أمر الحماية الشخصية طلب السلطان مولاي الحسن عقد مؤتمر دولي للنظر في هذه المشكلة وحلها حلا مرضيا

(7) انظر تفصيل الحماية القنصلية، بحث لمؤرخ المملكة المغربية الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور حفظه الله، ضمن مجلة الوثائق الملكية، عدد (4)، من ص 5 إلى 115، وقد جاء فيه أن مشكلة الحماية القنصلية تمتد جذورها بعد موت السلطان المهاب المولى إسماعيل، انظر ص 8 من البحث المذكور.

(8) انظر في ذلك المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 270، د. إبراهيم حركات.

للجميع، فانعقد مؤتمر مدريد عام 1297هـ، مثلت فيه جميع الدول ذات المصالح في المغرب وقررت فيه بعض القرارات الصالحة في تحديد الحماية، إلا أنه لم يعمل بشيء من ذلك لانطواء الضمائر على الكيد للمغرب...[9].

وقد ساهم علماء هذا العهد بعدة توجيهات وتنبيهات تتضمن مخاطر هذه الامتيازات، مما كان يثير الشعور العام للشعب ويوقظ الروح الوطنية التي كانت يتأجج أوارها في نفس السلطان المولى الحسن الأول رحمه الله[10].

ونسوق مثالا على ذلك ما ورد على لسان الشيخ أبي محمد جعفر الكتاني في كتابه «الدواهي المدهية للفرق المحمية» :

«المفاسد الدينية والدنيوية على موالاتهم الواقعة والمتوقعة، ويأباها الإسلام، ومن فيه عذوبة طبع، وانقياد للشريعة المطهرة، كثيرة جدا لا حصر لها، ولا عد، ولا إحصاء، فسحقا لأهلها ولها، منها ظهور شعائر الكفر... ومنها الركون إلى العدو... ومنها الرضى بحكمه... ومنها التحريض على الضلالة واستنان الشر، وذلك أن كثيرا من الموالين له لم يقتصروا على تلطيخ أنفسهم بذلك، بل زادوا إلى تحريض من لم يواله عليها وتحسينها له... ومنها إعانة العدو وتقويته... ومنها تكثير سواده ولو من غير حلول معه، أو إقامة ببلده، لأن الموالين له من جملة رعيته... ومنها الدخول تحت قهره وغلبته، وينبو منصب الإسلام عن إعلاء غيره عليه، بل يعلو ولا يعلى عليه... ومنها مفارقة جماعة المسلمين... ومنها نبذ العزة الإسلامية والطاعة الإمامية، والبيعة السلطانية، وظهور السلطان النصراني عليها، وإذلاله إياها...

---

(9) مدخل تاريخ المغرب، ص 125، للشيخ عبد الله كنون، تطوان 1378 موافق 1958، وانظر حول مؤتمر مدريد وما تمخض عنه : المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 275 وما بعدها، وانظر المغرب العربي في تاريخه الحديث، وأوضاعه المعاصرة، ص 210 وما يليه، صلاح العقاد، القاهرة، دون تاريخ.

(10) من هؤلاء العلماء : أبو محمد المأمون بن عمر الكتاني الفاسي المتوفى عام 1310هـ، وأبو حامد الحاج العربي بن علي المشرفي الحسني المتوفى عام 1313هـ، وأبو الحسن علال بن عبد الله الفاسي الفهري المتوفى عام 1314هـ، وأبو محمد جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى عام 1323هـ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم السباعي شيخ الجماعة في وقته بمراكش المتوفى عام 1332، وأبو عيسى المهدي بن محمد الوزاني المتوفى عام 1342 وسيدي محمد بن جعفر الكتاني المتوفى عام 1345، وله كتاب جدير بالاهتمام له تعلق بالموضوع سماه (نصيحة أهل الإسلام).

انظر في ذلك مظاهر يقظة المغرب لأستاذنا محمد المنوني، ج 1، ص 326 وما يليها، وانظر تحليله لكتاب نصيحة أهل الإسلام، ج 2، ص 376 وما يليها، وقد طبع كتاب النصيحة.

وإذا علمت هذا فاحتجاج الموالين للعدو لجواز موالاتهم له، بظلم الولاة لهم وتعديهم عليهم باطل، ويكفي في رده مصادمته للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكلام أئمة الملة الحنيفية، ودلالته على ضعف الإيمان، وقلة الإيقان، بترجيح عرض دنيوي محتقر، على بهاء دين أخروي يدخر، أو ليس للإنسان إلا دينه ؟، إذ به نجاحه وسعادته ولينه، وعليه يبذل نفسه، فضلا عن جملة ماله إلا أن فقد حسه، فهي حجة شيطانية نفسانية، وركوب للهوى وترك للنظر إلى الشريعة... وما أمر رسول الله ﷺ بالصبر على ظلم الولاة وتعديهم. ما لم نر كفرا بواحا. إلا لدرء مثل هذه المفسدة العظيمة، التي لا مفسدة وأعظم منها سوى الكفر صراحة أعاذنا الله منه، ومعلوم أنه إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما، وبالله عليك أيها الموالي للعدو أي الأمرين أخف ؟ أضرب ظهرك وأخذ مالك وقتلك بالكلية، ويقتص الله لك من ظالمك يوم القيامة، أو إذلال الدين بإنحياشك للعدو الكافر، وتكثير سواده بك وتقويته، وتسلطه على هذا الجم الغفير من المسلمين ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾[11].

وجاء في خطبة الشيخ المذكور آنفا ما يلي :

«إن كثيرا منا . يا عباد الله . قد دنسوها بالركون لأعداء الدين، وموالاة الكفرة الأشرار المعتدين، والدخول تحت حكمهم وسلطانهم، أو الكون في خدمتهم ومن جهلة أعوانهم، والتردد على أبوابهم، والتحلق بأعتابهم، نابذين بذلك الغيرة الإسلامية، والطاعات الإمامية، جهلا منهم بما ينشأ عن ذلك من البلايا، وما علموا أن ذلك أصل كل بلوى، وطريق لهدم الإسلام وخراب أساس التقوى...»[12].

وفي هذا الظرف العصيب، والجو الرهيب تعامل المولى الحسن الأول رحمة الله عليه مع مشكل الحماية القنصلية بذكاء المحنك السياسي، ودهاء الراعي لشؤون بلاده، ولباقة المجاهد المناضل العالم الذي يعرف كيف يوازن بين جلب المصالح ودرء المفاسد.

---

(11) نقلا عن مواقف ضد الامتيازات الأجنبية لأستاذنا البحاثة سيدي محمد المنوني رحمه الله ضمن كتابه مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج 1، ص 330 وما يليها، دار الغرب الإسلامي، ط 2، عام 1415هـ - 1985م.

(12) المرجع السابق، ص 331.

يقول أستاذنا علال الفاسي رحمه الله في هذا الشأن :

وبما أن سياسة الإمتيازات الأجنبية التي أكدها مؤتمر مدريد المنعقد سنة 1880 والتي نشأت عن عرف كونه الأجانب في البلاد في غفلة من رجالها المسؤولين كانت قد استفحلت وأصبحت تهدد الحكومة بفوضى اجتماعية وسياسية فإن جلالته عمل بمختلف الوسائل على التخفيف من آثارها بالإحتجاج تارة، والصرامة في المقاومة تارة أخرى. وفي الوقت نفسه حاول أن يعمل على إزالة كل الأسباب التي تجعل الدول الأجنبية تطالب بالاحتفاظ بمحاكمها القنصلية، فعمد إلى تكوين تدريجي للقضاء المدني، وقد كانت القضايا كلها من اختصاص المحاكم الشرعية، وبما أن الأجانب يعتبرون بحق أو بباطل المحاكم الشرعية كمجالس الإكليريكية. وهم غير مسلمين. أن يخضعوا لها فقد رأى جلالته أن وجود محاكم تخضع للقانون المدني من شأنه أن يسد في وجوههم هذه الوسائل التي تذرعوا بها، فبدأ يرد كثيرا من الشؤون المدنية والجنائية إلى أيدي الباشاوات والقواد الذين لم تكن مهمتهم في الماضي قضائية بالمرة، كما أعلن تحرير الرقيق ومنع الاسترقاق، وقرر اعتبار اليهود المغاربة مواطنين، لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما عليهم من واجبات[13].

ج - إنجازات المولى الحسن الأول :

تتعلق هذه الإنجازات بالمجالات المتعددة الآتية :

- مجال الأمن الداخلي :

وقد رأينا كيف كان رحمه الله يقود الحملات، ويتزعم الحركات تلو الأخرى من أجل القضاء على بوادر الفتن، وحتى يقوي شعور المواطنين، والطمأنينة على أرواحهم وممتلكاتهم.

- تنظيم الجيش :

إذ استفاد طيب الله ثراه من التقنيات الغربية في هذا المجال، واستعمال أحدث الأسلحة بالنظر إلى ذلك العصر ومن أجل تحقيق الإكتفاء فيما يتعلق بالأدوات

---

(13) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص 87، للأستاذ علال الفاسي، دار الطباعة المغربية، تطوان، دون تاريخ.

الحربية أنشأ معملا للسلاح بفاس عام 1308هـ[14] ودور البارود في مدن فاس، ومكناس، والرباط، وطنجة[15].

- **الإصلاح الإداري :**

وذلك بالأخذ بأساليب النظام الحديث[16].

- **الاهتمام بمجالات العلم المختلفة :**

فمن ذلك إرساله . أكرم الله مثواه . بعثات من الطلبة للدراسة وأخذ المناهج الحديثة في شتى العلوم المعاصرة في كل من مصر ودول أوربا[17].

ومن ذلك تشجيع طلبة العلم والعناية بشؤونهم، فقد كان العاهل الحسني طيب الله ثراه يصدر تعليماته بين الفينة والأخرى بإجراء اختبارات متعلقة بحفظ كتاب الله الكريم، وبعض المتون العلمية المقررة كمختصر خليل وغيره، من أجل تكوين علماء، وفقهاء في المستوى المطلوب.

ومن أكبر الأدلة على ذلك أن يكون الشيخ أبو شعيب الدكالي (الطفل في ذلك العهد من عام 1308) مشمولا بهذا النداء الملكي من أجل الإختبار في حفظ مختصر خليل وغيره، وأن يكون حاضراً في هذا الحفل العلمي الذي ترأسه السلطان مولاي الحسن، وكان الذي تولى الاختبار وزيره العالم علي المسفيوي[18].

ومن عناية هذا السلطان الأمجد بوسائل العلم والعرفان قيامه بطبع أهم الكتب العلمية[19] وتأسيسه للخزانات الثقافية وتوزيعها على أهم المدن المغربية[20] ومن ذلك حضوره المجالس العلمية التي كانت تعقد باستمرار طيلة الأشهر الثلاثة: رجب، وشعبان، ورمضان.

---

(14) الدرر الفاخرة، ص 100.

(15) المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، ص 144 لمحمد العربي معريشي.

(16) انظر تفصيل ذلك المرجع السابق، ص 76.

(17) الدرر الفاخرة، ص 104.

(18) سيأتي تفصيل هذا الخبر في حياة الشيخ الخاصة.

(19) انظر في تفصيل ذلك الدرر الفاخرة، ص 105.

(20) انظر في ذلك الخزانة المغربية في عصر السلطان الحسن الأول كتاب قبس من عطاء المخطوط المغربي المجلد الثاني، ص 540 وما يليها للعالم المؤرخ محمد المنوني رحمه الله، دار الغرب الإسلامي، ط 1 عام 1999.

ومن العلماء الذين كانوا يحضرون هذه الدروس :

- الفقيه أبو العباس أحمد بنسودة المري.

- الشيخ محمد بن إبراهيم السباعي.

- الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي.

- المؤرخ أحمد بن خالد الناصري.

- القيام بأعمال التشييد والعمران والإصلاح والترميم لأهم منشآت المدن المغربية[21].

- تنشيط الحركة الاقتصادية في البلاد وذلك بتشجيع الإنتاج المحلي، والقضاء على بعض الأعباء التي تثقل كاهل المنتجين والمستوردين كالتخفيض من الضرائب، والقضاء على المكوس في نهاية الأمر.

- محاربة المخدرات بإحراق أصولها[22].

وقد تناول أستاذ الأجيال علال الفاسي رحمه الله ما ذكرناه هنا مجملا من إنجازات هذا العاهل العظيم قائلا : ثم خلف (أباه سيدي محمد الرابع) جلالة الملك مولاي الحسن (1873 - 1894) الذي يعتبر بحق، من أكابر مصلحي المغرب وأعاظم ملوك الإسلام، فوجه همته لتوطيد النفوذ المعنوي للدولة واسترجاع هيبتها إزاء الدول الأجنبية، واستطاع أن يحمي الإستقلال المراكشي طول حياته بسياسته الرشيدة، التي عرفت كيف تستغل تزاحم الدول على البلاد، وكان من أعظم ما قام به تنظيم الجيش المغربي على أحدث الطرق، وتوجيه البعثات للتمرن في مختلف الأقطار الأوروبية، مع استعمال الفنيين الأجانب من سائر الدول دون تفضيل إحداهن على الأخرى، وفي عهد جلالته واصلت الحكومة الشريفة التنظيم الجديد الذي وجدته الحماية قائما، فقضت عليه، ثم في عهده انتقلت الوزارة المغربية من شكلها العتيق إلى شكل ديوان حكومي بالمعنى الحديث.

---

(21) الدرر الفاخرة، ص 102.

(22) الاستقصاء، ج 9، ص 199.

وتأسست الخارجية، والعدل، والحربية، والبحرية، والمالية، وغيرها من المصالح التي كانت متراكمة من قبل في يد كتاب يرجعون للصدر الأعظم الذي لم يكن هو الآخر إلا مساعدا للملك الذي يقوم هو بكل في الدولة.

ولتجهيز البلاد بالرجال القادرين على تنظيمها النظام الحديث، بعث جلالته بعثات للدراسة في مختلف فروع المعرفة بفرنسا، وإيطاليا وألمانيا، وإنجلترا.

ولتمكينها من وسائل الدفاع جدد الأسطول المغربي وأنشأ معملا للسلاح في مدينة فاس.

ولتحسين حالتها الإقتصادية أخذ ينشىء بعض المصانع ويشارك في عرض الإنتاج الأهلي في مختلف المعارض الأجنبية، وينشط استعمال المال المغربي في الإنتاج الأجنبي لمزاحمة الموردين الأجانب[23].

تقدير وتقويم لعهد الحسن الأول رحمه الله :

يعد السلطان الحسن الأول . أكرم الله مثواه . من ملوك الدولة العلوية الشريفة الذين أبلو البلاء الحسن، من أجل الرفع من شأن هذا البلد الكريم، والنظر إلى أحواله التي وجدها تتأرجح بين الأمن والاضطراب فأفنى زهرة شبابه، وأبلى جديد إهابه من أجل الجهاد والنضال، للقضاء على الفتن الداخلية، والمكاره الخارجية التي كانت تتربص بهذا الوطن الدوائر.

وكان عهده - بالرغم من وعورة المسالك، وحدوث المضايق كما أسلفنا - عهد ازدهار، وتقدم، ورخاء، يقول معاصره المؤرخ الحسن بن الطيبي بوعشرين : وقد تأثل ملكه بكثرة الأموال، والذخائر، والزروع، والضروع، والبارود، والعدة، والقرطاس، وغير ذلك مما يطول بيانه، وكانت أبوابه غاصة - دائما - بالخلق[24].

وذكر الشيخ أبو العباس أحمد الناصري متحدثا عن عصر هذا العاهل الجليل:

وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وكان رحمه الله من خيار الملوك العلوية، وأفاضلهم، بما نشر من العدل، وأصلح من الرعايا، وأبقى

---

(23) الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص 76 وما يليها.

(24) التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، ص 34.

من الآثار بالمغرب وثغوره، فالله تعالى يجبر كسر المسلمين فيه ويعوضهم أجرا عن مصابه[25].

ومما يسجل له بمداد الفخر، ويوضع له في ميزان الذخر أن أعماله. رحمه الله. كلها كانت تصدر مطبوعة بميزان الشريعة، إذ كان يستفتي ويستشير علماء الأمة، ويستنير بهدي الدين، الذي كان له المقام الأسنى في قلبه الشريف، وفكره الحصيف.

يقول الدكتور إبراهيم حركات في هذا الصدد :

وظل المؤثر الديني هو الموجه الأول والأخير لمولاي الحسن في سياسته العامة، فتحريم التبغ، وتخفيف المكوس أو إلغاؤها، ومواجهة العدو تارة باللين، وطورا بالشدة، وتقوية الجيش الوطني، كلها محركات دينية، تستند إلى نصوص الشريعة، أي أن القوة العسكرية، والنظام الاقتصادي، وهما عمليتان ماديتان أخضعتا للدين والشريعة، ومن وجهة نظر رجل الدولة، لم يكن جامدا، ولكنه كان يرى أن الوازع الديني والمحرك الديني هما الأساسان لإعادة بناء الحضارة الإسلامية والوطنية بالمغرب، والتي حطمت أركانها أدوات التخريب من الداخل والخارج.

وحيث إن مولاي الحسن كان ينظر إليه على أنه رجل دولة على قدر كبير من الروح الإسلامية والوطنية والسياسية، فقد كان يحظى بقدر كبير من الثقة داخل بلاده على الرغم من القلاقل التي لم تتوقف في عهده لأسباب عميقة الجذور[26].

ومن حسن المصادفات، وجميل الموافقات، أن يكون وجود هذا العاهل الكريم على رأس القرن الرابع عشر الهجري، لما انطوت عليه نفسه الأبية، وأريحيته الإسلامية، من إيمان عميق، وحب أصيل للخير والإصلاح، وجهاد متواصل في جميع الميادين والأرجاء مما أداه الأمر، أن يصدر بمناسبة ذلك وصية للأمة جامعة لأخلص توجيه ونصيحة مشتملة على كل بر وإرشاد[27].

وبذلك يعد هذا السلطان الأصيل مجدد القرن الرابع عشر بالنظر لما قام به من أعمال، تنوء بها الجبال وأنه كافح وناضل داخليا وخارجيا وكان رحمة الله عليه

(25) الاستقصاء، ج 9، ص 207.

(26) المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 286.

(27) انظر خبر هذه النصيحة بطولها، إتحاف أعلام الناس، ج 2، ص 218 وما يليها.

متبعاً هدي الشريعة والدين، ناظرا إلى مصلحة الأمة، لا يهدأ له بال من أجل ذلك حتى لقي ربه شهيدا وهو على درب الجهاد والنضال.

وقفة إجلال وإكبار للمولى الحسن الأول في علاقته بالشيخ أبي شعيب الدكالي :

مما يدل على تشجيع العلم وأهله، ما قام به العاهل الأمجد المولى الحسن الأول من الكشف عن مواهب طلبة العلم من رعيته، وتنظيم الإختبارات واللقاءات العلمية، لمعرفة مستواهم العلمي من أجل تشجيعهم والأخذ بأيديهم حتى يصلوا إلى أرفع درجة وأرقى مكانة، وأنه رحمة الله عليه لم تشغله شؤون التسيير، وأعباء الدولة، وما كانت عليه الأحوال من أحداث واضطرابات لم يصده كل ذلك عن النظر إلى أجواء العلم والعرفان، وإنه لمن دواعي تعريف الأحفاد بمآثر الأجداد، والإعتراف بما صنعوا من أعمال صالحات، مما يبقى أثره في الحياة وبعد الممات، يشرفني وأنا أكتب هذه الترجمة الجليلة لهذا السلطان الشهم الهمام، ولهذا العالم الجهبذ شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي أن أسجل ما يلي :

أن الذي أبرز مواهب أبي شعيب الدكالي، وأظهر نبوغه، واستعداده الفطري لتلقي المعارف، وحضه على مواصلة السير العلمي، وهو طفل صغير، إن الذي فعل كل ذلك، هو السلطان العالم سليل الأماجد المولى الحسن الأول طيب الله ثراه.

وكان توقيع ما منحه ووصله به عند فوز أبي شعيب الدكالي في الإمتحان المجرى بين يديه : «يضاعف لأبي شعيب، لصغر سنه، وكبر فنه»[28].

وفي ذلك إشارة ودلالة على أن هذا الطفل الصغير، سيكون له من الأمر الكبير، ما يستحق أن يحرز به لقب شيخ الإسلام، وأن يضحى في القرن الرابع عشر مجددا لأمور الدين، نظرا لما بثه من أسرار العلوم، ونشره من أنواع الفنون، وما قام به من إصلاح وتوعية عمت أرجاء المغرب في زمانه.

---

(28) كما ورد في ترجمته الخاصة التي كتبها بيده رحمه الله.

المطلب الثاني
عصر السلطان المولى عبد العزيز

أولا : التعريف بالسلطان المولى عبد العزيز :

هو السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن الأول، ولد عام 1298هـ موافق 1881م.

بويع له بالخلافة بعد وفاة والده المولى الحسن الأول عام 1311هـ موافق 1894[29].

ونظرا لصغر سنه آنذاك، فإن الذي تولى إدارة شؤون البلاد هو صدر الوزراء الحاجب أحمد بن موسى الملقب بـ«أبا حماد»[30].

وبالرغم مما وجه إليه من نقد[31]، فقد استطاع أن يحفظ الدولة المغربية من الزوابع، وأن يسير على نهج مخدومه السلطان المولى الحسن الأول.

وفي هذا العهد تم القضاء على ثورة الرحامنة بزعامة مبارك بن سليمان، وثورة الأعشاش بناحية الشاوية[32].

وبموت الحاجب أحمد بن موسى عام 1318هـ موافق 1900م فتح باب الفتن على مصراعيه - كما سوف ننبه عليه لاحقاً - فواجه المولى عبد العزيز هذه الأحداث بشجاعة وشهامة، لكن توالي الاضطرابات، والمناورات الأجنبية، ودسائس الدول الغربية، من أجل بسط الحماية على المغرب، كان أشد وطأة، وأكبر ثقلا، وأنكى لؤماً وخبثاً، مما اضطر معه المولى عبد العزيز للتنازل عن العرش عام 1326 موافق 1908[33].

---

(29) الدرر الفاخرة، ص 111.

(30) انظر ترجمته اتحاف أعلام الناس، ج 1، ص 372 وما يليها، والتنبيه المعرب، ص 42 وما يليها.

(31) انظر في ذلك التنبيه المعرب، ص 45.

(32) انظر خبر ذلك اتحاف أعلام الناس، ج 1، ص 387 وما يليها.

(33) الدرر الفاخرة، ص 111.

ونفاه الفرنسيون عام 1333هـ، ثم عاد إلى المغرب واستوطن مدينة طنجة إلى أن توفي بها عام 1363هـ موافق 1944م[34].

ثانيا : الأحداث التي تميز بها هذا العهد :

تفاقمت أحداث هذا العصر، وازدادت مشاكله حدة وتوتراً[35]، ومجمل الكلام عن ذلك فيما يلي :

أ - ثورة الزرهوني الجيلالي (أبي حمارة) :

أعظم حدث قض المضاجع وأربك النظام في هذا العهد : ثورة الزرهوني الجيلالي المدعو «بأبي حمارة» الذي يعد صنيعة الاستعمار، والمناورات الأجنبية من أجل إضعاف المغرب، وبسط لواء الحماية عليه، وكذلك كان، وقد كلف هذا الثائر الجائر، خزينة الدولة الشيء الكثير، وأزهقت أرواح من أجل القضاء على فتنته[36]، ومع ذلك لم تخب شعلة هذه الفتنة إلا في عهد المولى عبد الحفيظ كما سوف نشير إليه بعد.

ب - ثورة الريسوني :

بالرغم من تعدد ما قيل في مقاصد هذه الثورة، هل أنها كانت ضد النظام والتأثير عليه بإحداث القلاقل لزعزعته ؟ أو أنها كانت موجهة ضد التدخل الأجنبي ؟

إلا أن الواقع يبرز أن هذه الثورة أحدثت شرخاً يضاف إلى باقي الأحداث المؤثرة على أمن المغرب واستقراره في ذلك العهد، فضلا عما كلف الدولة المغربية من مشاكل وتكاليف مالية من أجل إرضائه والقضاء على فتنته، تلك التكاليف التي كانت في غنى عنها[37].

---

(34) الأعلام، ج 4، ص 16، لخير الدين الزركلي.

(35) انظر كلام المؤرخ أحمد بن خالد الناصري عن هذه الحقبة، الاستقصاء، ج 9، ص 207 وما يليها.

(36) انظر خبر ثورة (أبي حمارة) التنبيه المعرب، ص 71 وما يليها، واتحاف أعلام الناس، ج 1، ص 399 وما يليها، والمغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 291 وما يليها، وشذرات تاريخية، ص 8 وما يليها.

(37) انظر في ذلك اتحاف أعلام الناس، ج 1، ص 412 وما يليها، والمغرب عبد التاريخ، ج 3، ص 302 وما يليها. وانظر ما ذكره العالم المؤرخ عبد الله الجراري في كتابيه دروس التاريخ المغربي، ج 5، ص 133، وشذرات تاريخية، ص 42 وما يليها.

ج - تزايد الديون على خزينة المغرب :

من جملة الأسباب التي أدت إلى تزايد حدة التدخل الأجنبي في شؤون المغرب، إثقال خزينة الدولة بالقروض الأجنبية من اسبانيا، وفرنسا، وانجلترا، من أجل أمن البلاد، والمحافظة على مصالحها، إلا أن هذه القروض كانت تذهب في النهاية إلى أيدي طائفة خاصة من موظفي الدولة آنذاك، ممن اجتمع فيهم ضعف الحس الوطني، والتكالب على الدنيا، مع الأمية والجهل، وزاد في الطين بلة عدم ضبط ميزانية الدولة، فكانت الأموال تذهب سدى دون حساب ولا مراقبة، فضعفت بذلك موارد الدولة، وسقطت هيبتها، وابتليت بنارين، أولاهما : أن ذلك كان سبباً للتدخل الأجنبي الذي كان يريد هذا الوضع لحاجة في نفس يعقوب، وثانيهما : عدم الأمن الداخلي[38].

د - مؤتمر الجزيرة الخضراء :

أمام تضارب مصالح الدول الأجنبية في الاستيلاء على خيرات المغرب، وأمام التدخل السافر لهذه الدول في شؤون البلاد، ارتأى المولى عبد العزيز عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1323هـ موافق 1906، وقد شارك في هذا المؤتمر الدول الآتية: ألمانيا، النمسا، فرنسا، بلجيكا، اسبانيا، الولايات المتحدة، انجلترا، ايطاليا، هولندا، البرتغال، روسيا، السويد، المغرب وانتهى المؤتمر إلى إقرار ما يلي :

- نظام البوليس (الشرطة).
- محاربة دخول السلاح سرّاً.
- إنشاء بنك مخزني مغربي.
- إنشاء جبايا ومداخل جديدة.
- تنظيم مداخل للدولة.
- تنظيم الإدارة[39].

(38) انظر في ذلك إتحاف أعلام الناس، ج 1، ص 393، وانظر أيضا شذرات تاريخية، ص 11، وص 24، لعبد الله الجراري.

(39) دروس التاريخ المغربي، ج 5، ص 133 وما يليها لعبد الله الجراري، وانظر معها شذرات تاريخية، ص 15 وما يليها، والمغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 319 وما يليها.

ويبدو من هذه المواد أن المقصود بها هو التمهيد لعقد الحماية على المغرب، ولذلك تردد المولى عبد العزيز رحمه الله في توقيع هذه المعاهدة، ولكن الأمر كان فوق ما يتصور، فاضطر في النهاية إلى التوقيع بتاريخ 18 يونيو 1906، ومع الأسف لم تطبق هذه البنود لأن الأحداث كانت تسير بسرعة وتتوالى لتصل إلى عهد الحماية البغيض عام 1912، كما سوف نومئ إليه بعد حين.

هـ - مقتل الدكتور موشان واحتلال وجدة :

لما انتقل السلطان المولى عبد العزيز رحمه الله من مراكش إلى فاس عام 1319هـ، حدثت بعده فتن، وحوادث اضطرب بها الأمن وسادت الفوضى، وتعددت الشكايات في أمر ذلك، لكنها لم تكن تصل إلى السلطان، بدافع التمويه والكتمان، من الذين يفترض فيهم الثقة والأمان.

وكان من جملة هذه الأحداث مقتل الدكتور موشان الطبيب الفرنسي الذي كان مقيما بمدينة مراكش الذي هاجمه فوج من المواطنين حين رأوا راية فرنسية ترفرف فوق سطح منزله فأنزلوا الراية وقتلوا صاحبها المذكور عام (1325هـ - 1907م)، وكانت نتيجة هذا الحادث احتلال فرنسا لمدينة وجدة المغربية.

وبعد التحقيق في قضية القتل هذه تبين أن فرنسا اصطنعت هذا الحدث الذي عجل بالانتقام واحتلال الأراضي المغربية تمهيداً لبسط لواء الحماية البغيض على المغرب كله(40).

و - احتلال مدينة الدار البيضاء :

كان احتلال فرنسا لمدينة الدار البيضاء ناجماً عن فوضى عارمة قام بها جماعة من أهالي الدار البيضاء بعرقلة ممر القطار بوضع الأحجار والأعواد، مما نتج عنه انقلاب وانكسار القطار، ومات بذلك تسعة من العمال الأجانب، فضلا عن النهب والقتل الذي أحدثوه داخل البلد وفي الديار والأسواق.

فتدخلت فرنسا بمدافعها وبواخرها الحربية، واقتحمت باب المرسى وقد ترتب عن ذلك عدد كبير من القتلى في صفوف الأهالي، مع توطيد أركان الحماية والاحتلال لهذه المدينة المجاهدة، وذلك عام (1325هـ - 1907م).

---

(40) انظر حادث مقتل موشان واحتلال وجدة بتفصيل اتحاف أعلام الناس، ج 1، ص 415 وما يليها، والمغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 326، وجلاء الظلام الدامس، ص 156.

وقد تزامنت هذه الواقعة مع حادث مقتل موشان مما ساعد دولة فرنسا على دخول المغرب باسم الحماية، ورعاية مصالحها بالأساس.

ويلاحظ هنا أن عهد المولى عبد العزيز اتسم بكثرة الفتن الداخلية، وبروز الأطماع الدولية من أجل الاستيلاء على أراضي المغرب، فضلا عن قصر المدة التي باشر فيها المولى عبد العزيز الحكم بنفسه، مع قلة المساعد الناصح له، مما لم يسمح له بتحقيق ما كان يصبو له من إصلاح وتشييد، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الشيخ أبو شعيب الدكالي في هذا العهد :

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ أبا شعيب الدكالي رحمه الله - أدرك العهد الحسني الأول - في طفولته وطرفاً من شبابه، وفي بداية العهد العزيزي هذا، تابع دراسته في بلده، وفي بعض مدارس العلم ومعاهده المعروفة في المغرب آنذاك، مما سنتكلم عنه من بعد بتفصيل ضمن حياته.

وأنه سوف يغادر المغرب عام 1314هـ متوجها إلى مصر حيث مازال الوزير باحماد حيّاً يسير دفة الحكم باسم المولى عبد العزيز، وأن الشيخ سوف يعود إلى المغرب، والفتنة قائمة على أشدها في آخر العهد العزيزي، وتولية المولى عبد الحفيظ عام (1325هـ - 1907م).

وبذلك يتبين أن المدة التي قضاها المولى عبد العزيز في الحكم بداية ونهاية، كان فيها الشيخ أبو شعيب الدكالي في مصر متعلما وعالماً، ثم في الحجاز حيث ألقى عصا الترحال هناك كما سوف نراه في مراحل حياته بمشيئة الله.

المطلب الثالث
عصر السلطان المولى عبد الحفيظ

أولا : التعريف بالسلطان المولى عبد الحفيظ :

هو السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول، ولد عام 1280هـ الموافق لعام 1863م.

نشأ على حب العلم والكرع من معينه منذ صغره، مما سيظهر أثره عليه في كبره، فكان من أهل الفقه والحديث والأدب والتأليف، وقد خلف أخاه عبد العزيز حين توليته على مدينة مراكش عام 1904م، وعايش الأحداث وعاين الاضطرابات التي عمت البلاد آنذاك، مما انطوى عليه العهد العزيزي، فكان ذلك الدافع له بإعلان ثورة داخلية ضد أخيه لكونه الأجدر بقيادة الأمة، وصوناً للبلاد من الشتات والفوضى، وبويع له بفاس عام 1325هـ موافق لعام 1907م.

إلا أن الأمور سارت على غير ما يراد، إذ كانت الفتن الداخلية، ومضايقات إخوة العاهلين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ من أجل الحكم، وتربص الدول الأجنبية من أجل احتلال المغرب والاستيلاء على خيراته، كل ذلك كان سبباً في تدهور الأوضاع، وكثرة الأعباء والأثقال التي تنوء بحملها الجبال كانت تقف أمام المولى عبد الحفيظ، وحصل له ما حصل لأخيه من قبل[41]، مما عجل بعقد الحماية على المغرب مما اضطر إليه من أجل تهدئة الفتن الداخلية، وهو ما صادف هوى الدول الغربية من أجل التدخل في شؤون البلاد وكانت لفرنسا حصة الأسد في ذلك.

وأمام هذا الوضع المؤلم الذي لم يستطع المولى عبد الحفيظ تحمله ومواجهته مما قاده إلى التنازل عن العرش طبقاً لمبدأ «الشجاعة هي الإقدام في محل الاقدام والإحجام في محل الاحجام» وتم ذلك يوم 28 شعبان عام 1330 موافق 11 غشت من سنة 1912.

واستقر في النهاية بفرنسا، وبها توفي يوم الأحد 22 محرم عام 1356 موافق 4 أبريل سنة 1937، ونقل إلى المغرب ليدفن بضريح المولى عبد الله بفاس رحمه الله[42].

---

(41) انظر التاريخ المغربي، ج 5، ص 137 للأستاذ عبد الله الجراري، المرجع السابق، وانظر في التعريف بالسلطان المولى عبد الحفيظ وبعصره، أعمال الدورة التاسعة لجامعة مولاي علي الشريف تحت عنوان السلطان مولاي عبد الحفيظ، منشورات وزارة الثقافة، أبريل عام 2001.

(42) الدرر الفاخرة، ص 117 وما يليها، دروس التاريخ المغربي، ج 5، ص 137 وما يليها، الأعلام، ج 3، ص 277 لخير الدين الزركلي.

ومن الموافقات العجيبة أن تكون وفاة السلطان المولى عبد الحفيظ ووفاة الشيخ أبي شعيب الدكالي في عام واحد وليس بين وفاتهما في نفس العام إلا بضعة أشهر إذ توفي الشيخ رحمه الله يوم الجمعة مساء 7 جمادى الأولى عام 1356 موافق 16 يوليوز 1937، ولاشك أنهما كانا على مودة ومحبة وإخاء، يشهد لذلك برور مولاي عبد الحفيظ بالشيخ وتقديره له منذ أن التقى به وسمع منه ما سمع من علم وأدب.

وبالرغم من تداخل الأحداث وتراكمها في نفس هذا الملك الهمام فإن ذلك لم يمنعه من الاهتمام بالعلم وشؤونه، ونشر كتبه، «ومن جاء على أصله فلا لوم عليه»، إذ هو العالم، الفقيه، الجهبذ، اللغوي، الأديب، الشاعر، الناثر، الذي نشأ بين أحضان المعارف، وتربى وترعرع بين معاهد العلم ونواديه، مما سنتحدث عنه ضمن أعماله وإنجازاته.

ثانياً : الأحداث التي تميز بها هذا العهد :

مجمل هذه الأحداث فيما يلي :

1 - القضاء على ثورة الزرهوني الجيلالي (بو حمارة) :

عاصر هذا الثائر الحائر زمن المولى عبد العزيز كما ذكر من قبل، وزمن المولى عبد الحفيظ، وأحدث شرخاً عميقاً في النظامين، كلف القضاء عليه أموالاً وأرواحاً، وساهم بقسط وافر في بسط لواء الحماية على هذا البلد الأمين، نتيجة الاستعانة بالجيش الفرنسي، وما تطلب ذلك من ديون.

وقد حصل القبض عليه يوم 5 شعبان عام 1327 / 22 غشت 1909، وأعدم يوم 15 - شتنبر - 1909.

2 - ثورات متعددة في البلاد :

هذه الثورات يرجع بعضها إلى منازعة السلطان المولى عبد الحفيظ من أجل الحكم، كخروج أخيه المولى زين العابدين عليه، وبعض هذه الثورات موجه إلى نظام الحكم في نظر أصحابها من أجل حماية البلاد من التدخل الأجنبي كما في ثورة الريسوني، وما حصل في الأطلس من قلاقل، وحركة الشريف أمزيان في الشمال ضد الاسبان، وحركة بني مطير التي اتهمت بإيواء الشيخ عبد الكبير الكتاني الذي نادى بمقاومة الاحتلال، واتهم في آن واحد بمناهضة النظام، وقد يكون هذا الاتهام نابعاً من فرنسا ليخلو لها وجه المغرب.

ومن جملة هذه الثورات محاصرة مدينة فاس من القبائل المجاورة لها، مما جعل السلطان المولى عبد الحفيظ رحمه الله مهدداً بهذه الفتن من كل جانب[43].

(43) انظر تفصيل ذلك المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 325 وما بعدها.

وأمام هذه المحن التي يشيب لها الولدان لم ير المولى عبد الحفيظ ملاذاً من تدخل الجيش الفرنسي تحت وطأة الاضطرابات المتعددة، والضرورات الملحة لتهدئة الأوضاع، وكذلك كان.

3 - ثورة الشيخ أحمد الهيبة :

في غضون هذه الأحداث، ومن جنس ما ذكر من ثورات، وقد أوشكت شمس العهد الحفيظي على الأفول، قامت ثورة الشيخ أحمد الهيبة الذي اتخذ مدينة تزنيت عاصمة له، ثم قصد عاصمة الجنوب (مراكش) التي بايعته عام 1912.

وكانت هذه الثورة في نية صاحبها موجهة إلى النظام القائم، والاحتلال الجاثم في آن واحد، إلا أن هذه الثورة زادت في الطين بلة، وساهمت في تردي الأوضاع وإضعاف هيبة النظام[44].

وقد قضى على هذه الثورة في بداية عهد السلطان مولاي يوسف الذي تولى بعد أخيه المولى عبد الحفيظ.

4 - معاهدة الحماية :

في ظل تلك الأجواء القائمة، وتحت تأثير ما أومأنا إليه من تزاحم الفتن، وعدم الأمان، اضطر المولى عبد الحفيظ رحمة الله عليه إلى إمضاء عقد الحماية على مضض وبعد تردد شديد[45].

وما عسى أن يفعله ملك همام، شهم أبي، عالم نحرير، وسط تعنت القبائل، وشتات الأمور، وتربص الأعداء من كل جانب، ومكائد دولية تعمل في الخفاء، مع قلة المساعد، وعدم المال والسلاح مما يحقق القوة والاصلاح.

---

(44) انظر تفصيل أحداث ثورة أحمد الهيبة، الإعلام، ج 2، ص 473، لعباس بن إبراهيم المراكشي، والمعسول، ج 3، ص 366 وما يليها للمختار السوسي.

(45) انظر في ذلك تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب للدكتور محمد خير فارس، وانظر كلام وتحليل الشيخ محمد المكي الناصري لعقد الحماية المشؤوم، ترجمة الشيخ محمد الكتاني، ص 228، لمحمد الباقر الكتاني، مطبعة الفجر 1962.

كل ذلك كان يتردد في صدر المولى عبد الحفيظ أثناء إمضاء عقد الحماية[46].

وحصل لهذا السلطان الكريم مع حماية فرنسا ما قاله الشاعر :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولما رأى من بعدُ رأيَ العين، أن نظام الحماية لا يحقق ما كان يصبو إليه من وحدة البلاد، والسيادة الكاملة على ربوع الوطن، وأن الأمر أفلت من يده، اختار أهون الشرين، وأخف الضررين، وهو التنازل عن العرش، إرضاء لضميره، وراحة لنفسه.

ومن غرائب الأقدار، أن يكون هذا الاعتزال الذي اختاره المولى عبد الحفيظ مطابقا لما حصل لسلفه المولى عبد العزيز «وتلك الأيام نداولها بين الناس».

ثالثاً : أهم إنجازات المولى عبد الحفيظ :

تميز المولى عبد الحفيظ بالاهتمام بالعلم وشؤونه، إذ كان والده المولى الحسن الأول رحمه الله، موجهاً وراعياً له منذ طفولته، فنشأ محباً للدراسة، ومنكباً على الأخذ والاستحضار حتى صارت سمة العلم له ديدناً وسجية يتصف بها في شبابه ولازمته إلى آخر حياته.

لذلك وبالرغم من أجواء الفتن المحمومة التي مرت بها البلاد مما عايشه وشاهده رحمه الله، فإنه لم ينفك عن التأليف والتصنيف، ونشر الكتب العلمية النافعة، وعقد مجالس العلم والتدريس، وتقريب العلماء إليه بتشجيعهم والإحسان إليهم.

---

(46) عبرعن هذه الحيرة، وتقاعس من يحيط به عن الجهاد بقوله في قصيدة طويلة له :

أأمر بالجهاد ومال قومي تلاشى في لذائذ خصلتين

بإسراف النكاح وشر أكل فلا ترجى الكنوز لغير ذين

وله في قصيدة أخرى :

إن حطنا الدهر بعد المجد لا عجب إذ كل مجد لعمر الله ينصرم

وللغزالة في اشراق طلعتها حسن وإذ أفلت ما عابها العدم

وانظر مضمون القصيدتين شذرات تاريخية، ص 32 وما يليها للمؤرخ العالم عبد الله الجراري رحمه الله.

1 - الكتب التي ألفها المولى عبد الحفيظ :

- العذب السلسبيل في حل ألفاظ خليل، ط.
- نيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، ط.
- الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع، ط.
- ياقوتة الحكام في مسائل القضاء والأحكام، ط.
- منظومة في مصطلح الحديث، ط.
- كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع، ط.
- السبك العجيب في نظم مغني اللبيب، ط.
- نظم الشمائل المحمدية، ط[47].

فضلا عما أمر بنشره وطبعه من كتب ومصنفات كانت نادرة في زمانه[48].

2 - عقد مجالس العلم والتدريس :

اهتم المولى عبد الحفيظ - اقتداء بأسلافه الميامين - بعقد مجالس العلم، وابداء أوجه النظر في مسائله، تقوم بذلك بين يديه ثلة من العلماء المشهود لهم بسعة المعرفة والاطلاع، وتعقد هذه المجالس العلمية خلال الأشهر الثلاثة : رجب، وشعبان، ورمضان.

وكان الذي يترأس هذه المجالس بحضرة السلطان شيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن الخياط الإدريسي[49].

وتولاها من بعده الشيخ أبو شعيب الدكالي[50].

---

(47) انظر في ذلك معجم المطبوعات المغربية، ص 220 لادريس بن الماحي الإدريسي القيطوني، مطابع سلا، عام 1988م.

(48) انظر عناوين هذه الكتب والمؤلفات الدرر الفاخرة، ص 119 وما يليها.

(49) انظر ترجمته معجم الشيوخ، ج 1، ص 127 وما يليها لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية، الرباط، عام 1350 - 1931، وانظر معجم المطبوعات المغربية، ص 105 لإدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني، المرجع السابق، والاعلام، ج 1، ص 250، لخير الدين الزركلي.

(50) تولى رئاسة هذه المجالس منذ ذلك العهد إلى عهد محمد الخامس.

كما ترأسها أيضا بالرباط القاضي أبو الحسن علي عواد[51].

ومن أبرز شيوخ هذه الدروس قاضي الرباط وعالمها المكي بن محمد البطاوري[52].

وقد طبعت مجموعة من دروسه هذه بين يدي السلطان مولاي عبد الحفيظ[53]، قال في مقدمتها ما يلي :

أنه لما حل بهذا الثغر الرباطي المحروس بعناية الله ركاب السلطان المعظم، العلامة الأفخم، مولانا عبد الحفيظ بن السلطان الأعظم، الهمام الأكرم، مولانا الحسن في أواخر جمادى الثانية عام ثلاثين وثلاثمائة وألف (1330هـ) وكان له ولوع بعلم الحديث خصوصاً صحيح الإمام البخاري، تاقت نفسه إلى الاجتماع بعلماء العدوتين، رباط الفتح وسلا، والمذاكرة معهم في فن الحديث على ما كان عليه مع علماء فاس أعوام مقامه بها، وكنت إذذاك متولياً خطة القضاء برباط الفتح فأصدر أمره الشريف لي ولقاضي سلا الفقيه الأجل أبي الحسن عواد بانتخاب أفراد من علماء العدوتين وحضورهم بالمشهد المحمدي الحسني بالحضرة السلطانية بقصد سرد صحيح البخاري فانتدب من دعي من علماء الحضرتين مع من كان بركاب السلطان من علماء شنجيط والمجموع يناهز العشرين، وأسندت رئاسة المجلس لقاضي سلا المذكور، فكان الافتتاح في ثالث رجب عام ثلاثين وثلاثمائة وألف صدر النهار[54].

الشيخ أبو شعيب الدكالي في هذا العهد :

إذا كان السلطان المولى الحسن الأول رحمه الله هو الذي أظهر مواهب أبي شعيب الدكالي التلميذ كما أومأنا إليه من قبل، فإن الذي شجع الشيخ أبا شعيب في عنفوان شبابه، وفي أوج عطائه العلمي وهو مقيم بأرض الحجاز من أجل العودة إلى أرض الوطن بصفة نهائية، هو السلطان الأمجد، والجناب الأسعد المولى عبد الحفيظ رحمه الله، فما

(51) انظر ترجمته من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 359 للمؤرخ العالم عبد الله الجراري.

(52) انظر ترجمته معجم الشيوخ، ص 56، ومعجم المطبوعات المغربية، ص 34.

(53) تم طبعها عام 1365هـ - 1946م بمطبعة الأمنية بالرباط، تحت عنوان الدروس الحديثية في المجالس الحفيظية.

(54) الدروس الحديثية في المجالس الحفيظية، ص 2.

أن وطئت أقدام الشيخ المبارك ثرى المغرب حتى سارع المولى عبد الحفيظ باكرام وفادته، والاحتفال بقدومه، والرفعة من شأنه، فكأن هناك اتفاقاً وتطابقاً من والد كريم وهو المولى الحسن، ومن ولد شهم عليم وهو المولى عبد الحفيظ تجاه شيخ العلم والأدب في التكريم والتعظيم، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه.

وفي هذا العهد بدأت تظهر إنجازات الشيخ أبي شعيب العلمية الكبرى من تدريس، وتعليم، فكانت دروسه تترك صداها في الآفاق حيثما حل وارتحل، كما كان يترأس الدروس السلطانية، وأسندت إليه خطة القضاء بمراكش بإشارة المولى عبد الحفيظ، لكن كان هوى الشيخ أبي شعيب مع تبليغ العلم ونشره، والاهتمام بشؤونه، وتوعية النفوس بما يجري حولها - كما سوف نراه من خلال ترجمته - فكان مسجد ابن يوسف، ومسجد المواسين بمراكش مجالا لدروس الشيخ، وهو يزاول القضاء بمراكش الحمراء.

وفي آخر العهد الحفيظي هذا حصلت للشيخ أبي شعيب الدكالي محاورة للشيخ أحمد الهيبة حين دخل إلى مراكش مما سنشير إليه من بعد[55].

المطلب الرابع
عصر السلطان المولى يوسف

أولا : التعريف بالسلطان مولاي يوسف :

هو السلطان مولاي يوسف بن الحسن الأول، ولد بمكناس عام (1297هـ - 1880م).

وبويع له برباط الفتح بإشارة من أخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ بتاريخ 29 شعبان عام 1330هـ موافق 12 غشت 1912م، في جو مشحون من جراء عقد الحماية وتنازل أخيه عن العرش بسبب ذلك مما ضمنه المولى يوسف في إحدى رسائله إلى عماله آنذاك بقوله بعد الديباجة :

فإن صنونا أمير المؤمنين مولاي عبد الحفيظ لما تكلف ما لا يطاق في تسكين الرعية، وحصل له من مكابدة ذلك التعب أمراض ذاتية، تعين عليه تدارك أمر

(55) انظر خبر هذه المحاورة، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 2، ص 479، للقاضي عباس ابن إبراهيم المراكشي، المطبعة الملكية، عام 1974.

نفسه وعلاج صحته وذاته فتخلى عن الملك وتنازل عنه وتوجه حيث توجه لذلك فاتفق سائر كبراء الدولة السعيدة وجميع القواد الحاضرين إذذاك والعساكر والجيوش والجنود والأعيان وكل ذي جاه وصولة على مبايعة جنابنا العالي بالله، وكل شيء بقدر من الله إلخ[56].

وصف السلطان المولى يوسف رحمه الله باللطف، والسماحة، وسلامة الصدر، وحسن الخلق، والتواضع، وكل ذلك يدل على سمو الشمائل، وكريم الفضائل[57].

كما كان ذا شفقة ورحمة بالفقراء والمساكين، وذا وطنية صادقة منذ أن اعتلى العرش إلى أن توفي رحمه الله بتاريخ 22 جمادى الأولى عام 1346 موافق 17 نوفمبر 1927، وكان السبب في وفاته رحمه الله هو عدم رضاه بتوقيع الظهير البربري، فدبرت فرنسا مكيدة للقضاء على حياته بعد استدعائه لباريز فأعطي هناك مأكولا عمل مفعوله بعد عودته إلى أرض المغرب إلى أن التحق بالرفيق الأعلى رحمة الله عليه[58].

ثانيا : الأحداث الحاصلة في عهد المولى يوسف رحمه الله :

1 - القضاء على ثورة الشيخ أحمد الهيبة :

حصلت هذه الثورة في أواخر عهد المولى عبد الحفيظ كما أومأنا إليه من قبل، وتم القضاء عليها نهائياً بعد بيعة المولى يوسف بأربعة أيام[59].

2 - ثورة محمد عبد الكريم الخطابي :[60]

قامت هذه الثورة رداً لاعتبار استقلال المغرب الذي كان مهدداً من اسبانيا وفرنسا، واستمرت حرب الريف هذه على ما يزيد عن ثلاث سنوات، تخللتها معركة (أنوال) المظفرة التي انهزمت فيها جيوش اسبانيا في يوليوز 1921.

---

(56) الدرر الفاخرة، ص 126.

(57) المرجع السابق، ص 127.

(58) انظر في ذلك جلاء الظلام الدامس، ص 169، المرجع السابق، وكتاب فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى، ص 7، وص 51 للشيخ محمد المكي الناصري.

(59) دروس في التاريخ المغربي، ص 145 للمؤرخ العالم عبد الله الجراري.

(60) انظر ترجمته، الأعلام، ج 6، ص 215 لخير الدين الزركلي.

وانظر حول حركة محمد عبد الكريم الخطابي، الحركات الاستقلالية، ص 109 وما يليها، تحت عنوان (الحرب الريفية)، للأستاذ علال الفاسي.

وانظر المنهال في كفاح أبطال الشمال، ص 248 وما يليها، للأستاذ العربي اللوه، تطوان، 1402 - 1382.

ولما رأت فرنسا أن حركة محمد عبدالكريم الخطابي تهدد أمنها وهيبتها الاستعمارية تدخلت إلى جانب اسبانيا من أجل كسر شوكة هذا المجاهد الأبي، وفعلا وقع في أيدي الفرنسيين عام 1926، الذين نفوه مع أخ له وجماعة من أقاربه خارج أرض الوطن، وحين بلغت الباخرة التي كانت تحملهم (ممر السويس) في طريقها إلى فرنسا، تهيأ لهم أسباب النزول منها فاستقروا بالقاهرة إلى أن توفي بها سنة 1963.

وروج المستعمرون وغيرهم أن هذه الحركة الجهادية كان يقصد بها التمرد، والاستقلال بالحكم، مما نفاه الأستاذ علال الفاسي رحمه الله الذي كان رفيق محمد عبد الكريم الخطابي في الجهاد وصديقا له، وقد حكى عنه ما يدل على عدم صدق ما يروجه الآفكون بقوله :

ولقد حاول الفرنسيون في دعايتهم أن يجعلوا من زعيم الريف مجرد ثائر، راغب في الملك أو ناقم يطالب بالسلطان، ولكن الأمير[61] لم يتأخر عن التصريح في الوقت المناسب بأنه لا يرغب إلا في تحرير البلاد، وأنه لم يثر ولن يثور أبداً على العرش المغربي الذي ظل أسلافه مخلصين له دائما، كما أكد الأمير بمجرد وصوله (لبور سعيد) : أنه دائم الولاء لجلالة ملك المغرب الأقصى، وبلغ الأمر بالأمير إلى أنه يكره تسمية ما قام به باسم الثورة، فقد كنت أتحدث مرة معه في شيء ما، وقلت له : «إن هذا كان زمن الثورة الريفية»، فظهر التأثر في وجهه وقال لي : «لماذا تسمونها الثورة ؟!» «إنها لم تكن إلا حرب تحرير من الأجنبي ودفاع عن الوطن»[62].

4 - تقسيم المغرب إلى مناطق :

من أهم الأحداث الأليمة التي حصلت في عهد المولى يوسف، وفي ظل نظام الحماية البغيض تقسيم المغرب إلى ثلاثة مناطق :

أ - منطقة الحماية الفرنسية (المنطقة السلطانية الرسمية).

ب - منطقة الحماية الاسبانية (المنطقة الخليفية في الشمال).

---

(61) يقصد محمداً بن عبد الكريم الخطابي.

(62) الحركات الاستقلالية، ص 119، للأستاذ علال الفاسي، المرجع السابق.

ج - منطقة طنجة الدولية، وقد تقرر نظامها الدولي المعترف فيه بسيادة سلطان المغرب على طنجة في المحادثات، والاتفاقات المنعقدة بباريز في 18 دسمبر 1923م، وفبراير 1925 م، و25 يوليوز 1928، بين انجلترا، وفرنسا، واسبانيا، وإيطاليا[63].

5 - مسألة الظهير البربري :

صدر هذا الظهير في 20 شوال 1332هـ موافق 11 شتنبر 1914، وما جاء بعده من ظهائر توضح وتتمم مقاصده، إلى أن صدر الظهير الرسمي الذي يؤكد ويثبت ما سبق، بتاريخ 17 ذي الحجة عام 1348هـ موافق 16 ماي 1930 في عهد السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه.

ومضمن هذا الظهير في ظل الحماية الفرنسية :

أن الجلالة الشريفة لما لها من الثقة في الدولة الحامية، وبما أنها هي التي طوعت القبائل البربرية حتى قدموا الطاعة لشريف جنابه فإنه يتنازل لها عن التدخل في شؤونهم الدينية وغيرها، وأنه لا يعود إلى مطالبتهم بإقامة الشعائر الإسلامية كلها، وأنه يكل أمرهم إلى الإدارة الفرنسية تفعل بهم ما تشاء الخ...[64].

وقد بدأت بوادر هذا الظهير في عهد المولى يوسف فحاولت الإدارة الفرنسية استصدار هذا الظهير باسمه، لاسيما وأن مقاصد الاستعمار لم تكن بعد واضحة المعالم عند السلطان رحمه الله.

ولما علم بتلك المقاصد المدسوسة، والنيات الاستعمارية الخبيثة في التفرقة بين مواطنين مسلمين، وإخوان مؤمنين يجمعها دين، ووطن، وملك واحد، لما علم بذلك أكرم الله مثواه وجاءت مرحلة تطبيق الظهير، أبدى اعتراضه، وعدل من بعض نصوصه بما يقتضي الأخوة الإسلامية بين الأمازيغ وغيرهم من إخوانهم المغاربة، وأنه لا يمكن تجريدهم من دينهم ووطنيتهم، ومحبة ملكهم، فأسرتها الإدارة الفرنسية في نفسها لتنتقم من السلطان المولى يوسف في الوقت المناسب، فاستدعته

---

(63) دروس تاريخ المغرب للمجاهد الهاشمي الفيلالي، ص 255، ط 3، عام 1377 - 1958، مطبعة الأطلس، الدار البيضاء.

(64) شذرات تاريخية، ص 49 وما بعدها.

إلى باريز من أجل الحضور لتدشين جامع باريز عام 1926. وهناك حصل ما حصل له من تسميم ليكون سبباً لوفاته رحمه الله، وهكذا يكون المولى يوسف المسلم الغيور الوطني الذي ذهب ضحية تآمر مدبّر مِن الدوائر العليا الفرنسية آنذاك، وليكون شهيداً في سبيل الله والوطن تغمده الله برحمته وجعل مقامه في عليين[65].

موقف الشيخ أبي شعيب الدكالي من الظهير البربري :

كان الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله من أول المناهضين للظهير البربري، نظراً لادراكه لما يرمي إليه هذا الظهير من تفرقة بين المغاربة المسلمين، ومس بسلطة الملك الشرعية.

ويحكي الأستاذ الشاعر محمد الجزولي عن الشيخ في هذا المجال قائلا : ذهبت إليه يوماً صحبة المرحوم الحاج العربي ملين حاملين إليه عريضة الاحتجاج ضد الظهير البربري.

فقرعنا عليه الباب في الهزيع الأول من الليل، وما كان أسرع من إدخالنا عليه فوجدناه في فراش النوم، فأزاح عنه الغطاء، وقابلنا بالترحيب والابتسام، فلما عرضنا عليه العريضة أيدها، وأمضاها، وجازانا خيراً على مسعانا[66].

ثالثا : أهم إنجازات المولى يوسف :

من هذه الإنجازات :

أ - إصلاح نظام التدريس والتعليم بالقرويين :

حيث تمت مراجعة نظام التدريس، وترقية جرايات[67] العلماء المدرسين. وذلك بإنشاء مجلس تحسيني لجامعة القرويين برئاسة العلامة أبي عبد الله محمد الحجوي[68].

---

(65) انظر في ذلك فرنسا وسياستها البربرية ص 6 وما يليها وص 47 وما يليها، وانظر في شأن الظهير البربري عموماً : كتاب فرنسا وسياستها البربرية، وشذرات تاريخية، ص 49، والحركات الاستقلالية تحت عنوان (السياسة البربرية، ص 141، وما يليها.

(66) ذكريات من ربيع الحياة، ص 51، المرجع السابق.

(67) الجرايات، ج جراية وهي : الأجرة والراتب.

(68) الدرر الفاخرة، ص 133.

ثم تولى من بعده رئاسة هذا المجلس العلامة أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري في عهد وزير العدل أبي شعيب الدكالي رحمه الله[69].

ب - إصلاح وترميم مدارس العلم :

من ذلك :

- تجديد منار جامع القرويين.
- إصلاح المدرسة العنانية.
- إصلاح قوس باب جامع الأندلس.
- إصلاح مدرسة العطارين[70].
- إصلاح المسجد الأعظم بالرباط.
- تأسيس المستشفى الكبير بالرباط المنسوب إليه باسم مستشفى مولاي يوسف.
- إنشاء المدرسة اليوسفية الثانوية جوار مسجد السنة بالرباط.
- تأسيس مسجد القرية الحبسية بالدارالبيضاء المعروف باسمه[71].
- في عهده رحمه الله تأسست مدارس إسلامية عربية حرة في ظل نظام حديث في أهم المدن المغربية.

وكانت هذه المدارس مَؤئِلاً لتثقيف كثيرٍ من أبناء الشعب المغربي ورجاله[72].

ج - محاربة البدع والافراط في عوائد الأفراح :

في هذا العهد نشأت نهضة إسلامية في المشرق التقت مع مثيلتها في المغرب على يد شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي وتلاميذته من أمثال سيدي محمد بن العربي العلوي، وعبد الله كَنون، ومحمد المختار السوسي، وعبد الله الجراري

---

(69) المرجع السابق، ص 127 وص 135.

(70) نفس المرجع، ص 138.

(71) دروس التاريخ المغربي، ج 5، ص 149.

(72) دروس تاريخ المغرب، ص 257 للهاشمي الفيلالي (المرجع السابق).

وغيرهم، مما كان له أكبر الأثر في مقاومة البدع، والشعوذة، وإصلاح بعض العوائد والتقاليد الفاسدة التي أضرت بالمجتمع.

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان :

ومن أعظم آثاره بفاس بل من أجلها وأجلاها محاربة البدع والافراط فيما اتخذ عادة بفاس في الأفراح لما رأى قدس الله روحه في ذلك من عموم الأضرار الدينية والدنيوية فأصدر أمره المطاع بالاقتصار في ذلك على ما هو سداد غير ضار بالبلاد والعباد[73].

د - رئاسته لمجالس العلم والتدريس :

كان المولى يوسف رحمه الله جريا على سنة أسلافه الأكرمين، يترأس مجالس التدريس في الشهور الثلاثة (رجب، شعبان، رمضان).

وكان يترأس هذه الدروس من العلماء شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي رحمه الله آنذاك وهو وزير العدل.

الشيخ أبو شعيب الدكالي في هذا العهد :

لما تولى السلطان المولى يوسف رحمه الله أسند إلى الشيخ وزارة العدل، والمعارف ورئاسة المجلس الأعلى الاستينافي الشرعي، بالإضافة إلى مهام أخرى.

وأمام هذه الوظائف قام بإصلاحات مهمة في سلك القضاء، والعدالة، وفي مجال التعليم، تنظيم برنامج الدراسة بجامع القرويين، وتحسين رواتب المدرسين بها.

ومع هذه الأعمال الجليلة المتنوعة التي قد تشغل القائم بها، وتأخذ لبه، فإن شيخ الإسلام لم يكن هواه ومناه إلا مع العلم ومجالسه، فافتتح دروس العلم في كل صوب، وأحدث نهضة لا مثيل لها تكل عن حملها أفئدة الرجال، في أنحاء المغرب.

إذ في هذا العهد بلغ الشيخ المرتبة العليا السنية في العطاء العلمي، فاستفاد منه جيل ذلك العهد، وعلى رأسهم رجال الحركة الوطنية آنذاك، وعلى يديه تكونت نواة هذه الحركة، كما استفاد منه من أصبحوا علماء جهابذة أفذاذ تبوؤا مناصب

---

(73) الدرر الفاخرة، ص 130، وانظر نص الظهير الصادر في هذا الشأن نفس المرجع، ص 130 وما بعدها.

عليا إدارية وعلمية في أرجاء هذه البلاد، ونشروا ألوية العلوم في كل مكان، مما سوف نتبين أثره من خلال حياة الشيخ العامة الواردة من بعد إن شاء الله.

المطلب الخامس
عصر السلطان محمد الخامس
إلى عام وفاة الشيخ 1356هـ - 1937م

أولا : التعريف بالسلطان محمد الخامس :

ملك المغرب المفدى، رمز الاستقلال، وأب الوطنية المغربية، البطل الشهم، المكافح، المناضل الذي ضحى بعرشه في سبيل وطنه وشعبه، المتصف بالانسانية والنبل، والحِلم، فأحبه المغاربة حباً كبيراً، وتفانوا في ذلك أمداً بعيداً، كتب له الحب والصفاء في السماء، فكان له مثله في الأرض مع الثناء والفداء.

ولد هذا السلطان الجليل الأمجد بالقصر السلطاني بفاس عام 1329هـ - 1911م، قبل الحماية بسنة.

واعتنى به والده الأكرم المولى يوسف رحمة الله عليه، منذ نعومة أظفاره هو وإخوته الأجلاء، تعليما وتهذيبا في رحاب قصره العامر، فحفظ القرآن الكريم، وقرأ المتون الأولية، ثم قرأ قراءة ثانوية على عدة أساتذة وعلماء من بينهم الشاعر الفحل الجليل وزير التشريفات أبو عبد الله السيد محمد معمري الزواوي، والفقيه الأجل السيد محمد النصيري، والفقيه شيخ الإسلام بالديار المغربية **الشيخ أبو شعيب الدكالي**، والفقيه العلامة السيد محمد بن العربي العلوي، وغيرهم كثير.

ثم قرأ اللغة الفرنسية على مربيه وأستاذه أبي عبد الله السيد محمد معمري، وسافر مع والده المولى يوسف إلى مدينة باريز بفرنسا، وكان قد ظهرت عليه مخاييل النجابة، ومظاهر الذكاء في تلك السن المبكرة مما جعله يحظى بمكانة سامية داخل الأسرة الملكية الكريمة[74].

وقد بويع له طيب الله ثراه بفاس إثر وفاة والده عام 1346هـ موافق 1927م.

---

(74) جلاء الظلام الدامس، ص 172 وما يليها، المرجع السابق.

فقام بشؤون الخلافة خير قيام بالرغم من المكايد الاستعمارية، وكان أكرم الله مثواه في اتصال مستمر بالحركة الوطنية ورجالها، غير راض عن تصرفات الحماية من تقتيل وتشريد لأبناء شعبه.

وبمداراته، ولطفه، ولين جانبه، وابتسامته النبوية الشريفة، استطاع أن يؤثر في القلوب والنفوس، مما أكسبه حباً كبيراً من الناس أجمعين، ولاسيما شعبه الذي كان يكن له المحبة الخالصة، والمقة الفائقة ما ظهر أثره يوم تعرضه للنفي سنة 1953م، فحدث عن الثورات العارمة، والانتفاضة الغاضبة الجامحة من أجل الانتقام الشديد من عساكر فرنسا وأذنابها.

ويوم التحاقه - طيب الله مثواه - بالرفيق الأعلى سنة 1961م.

فحدث عما جرى من الألم المكين، والبكاء والنحيب المتواصل، واللوعة المنبعثة من القلوب، وموت بعض الناس بإلقاء أنفسهم من الشرفات والسقوف حزنا عليه.

وما ذاك إلا لتمكن الحب الخالص من النفوس لهذا الرجل الكريم، والسلطان المحبوب.

(فسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً)[75].

وقد ذهب هذا السلطان الأجل إلى ربه راضياً مرضياً، بعد أن حقق لبلده أعمالا جليلة، تذكر بمداد الفخر، وتقابل بالجميل والشكر، وأكبرها وأعلاها مناراً صبره وثبات جنانه حتى رأى بعينيه الكريمتين ألوية النصر، وراية الاستقلال ترفرف على ربوع الوطن.

ثانيا : أهم الأحداث المميزة لهذا العهد إلى وفاة الشيخ :

1 - تجدد العمل بالظهير البربري، ما بين سنة 1930 وسنة 1935، ومقاومته من السلطان، والعلماء، وعموم الشعب المغربي.

2 - ظهور بوادر الحركة الوطنية، ومناصرتها من لدن السلطان محمد الخامس رحمة الله عليه.

---

(75) اقتباساً من قوله تعالى في سورة مريم الآية 33 في شأن سيدنا عيسى عليه السلام وهي : ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾.

3 - النهضة الشاملة في البناء، الإصلاح، والتشييد.

4 - النهضة الثقافية العلمية في كل ربوع المملكة، ولاسيما في مدينة الرباط، وفاس، ومراكش.

ثالثا : أهم إنجازات محمد الخامس طيب الله ثراه إلى وفاة الشيخ :

من هذه الانجازات على وجه الإجمال :

- عنايته رحمه الله بجامع القرويين تدريسا ومدرسين[76].

- تنظيم خزانة القرويين[77].

- إصلاح أغلب المساجد بربوع المملكة مع التجديد والترميم في كل من رباط الفتح، وفاس، والقنيطرة، والخميسات، وسلا، ووزان، وطنجة، وسطات، والدارالبيضاء.

وفي كل من فاس، وتازة، ووجدة، ومكناس ونواحيها، وزرهون، والصويرة، ومراكش، وتارودانت، وآزمور، وآسفي، وابن سليمان، وقصبة ابن أحمد، وبتافيلالت[78].

- محاربة البدع والشعوذة والدعوة إلى الإصلاح[79].

هذه بعض الأعمال التي أنجزت في بداية عهد هذا السلطان السعيد، وإلا فإن هناك أعمالا تكتب بماء الذهب مما قام به رحمة الله عليه من كفاح، وتضحية حتى تحرر شعبه من ربقة الاستعمار، ناهيك ما سار عليه من حركة البناء والتشييد في بداية الاستقلال، وما نهض به من أعمال مباركة بالرغم من قصر المدة التي قضاها في الحكم بعد الاستقلال.

الشيخ أبو شعيب الدكالي في هذا العهد :

تبدأ معاصرة الشيخ للسلطان محمد الخامس منذ وفاة المولى يوسف سنة 1927م إلى تاريخ وفاة الشيخ سنة 1937م.

---

(76) انظر الدرر الفاخرة لابن زيدان، ص 146.

(77) المرجع السابق، ص 166.

(78) انظر تفصيل هذه الاصلاحات الدرر الفاخرة.

(79) انظر في ذلك الدرر الفاخرة عند ترجمته لمحمد الخامس طيب الله ثراه.

وخلال هذه المدة كان الشيخ قد استعفى من العمل الرسمي (وزارة العدل وغيرها من الوظائف الأخرى)، وبقي وزيراً شرفيا تقديراً لعلمه، واعترافاً بمكانته السامية، واستمر كذلك أواخر عهد المولى يوسف إلى عهد محمد الخامس.

ومع ذلك ازدادت مرتبة الشيخ فضلا، وقدراً، ونبلا لما كان يحمله من علم شريف، ونبل لطيف.

- فكان يترأس الدروس السلطانية التي كان يعقدها السلطان الهمام محمد الخامس أكرم الله مثواه.

- وكان ينشر العلم آناء الليل، وأطراف النهار في كل مساجد الرباط وزواياه، إلى أن توفاه الله.

- كما كان رحمه الله الرجل المجد، الذي لا يعرف الكسل ولا الملل ولا التواني في حياته كلها.

- فكما كان نشيطا في بث ونشر العلوم والمعارف، كان عاملا مكتسباً في شؤون الحياة الأخرى من فلاحة، وزراعة، وتربية مواشي، وتجارة.

- فكان بحق العالم العامل الذي ضرب أروع الأمثال لجميع الأجيال التي أدركته وعاشرته، أو الأجيال التي تأتي من بعد.

ولم يمنعه ما كان فيه من جاه وظيفي، وألقاب رسمية في أعمال شريفة، مقتدياً بسنة الرسول الأكرم ﷺ الذي رعى الغنم في صغره، وتاجر في مال خديجة رضي الله عنه في كبره، وعلم الأمة، وأدى الأمانة، وبلغ دين الإسلام حتى عمر الأفاق.

ومما يسجل هنا بمداد الفخر أن الشيخ شعيبا الدكالي رحمه الله هو الذي أشار بتولية محمد الخامس بعد وفاة والده بالرغم من صغر سنه نظراً لما توسم فيه من خير وصلاح.

لذلك كان السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه يقدر الشيخ ويجله ولمكانته في العلم والإصلاح.

وأنه زاره هو وولي عهده آنذلك الحسن الثاني في بيته لمرضه الذي توفي منه رحمة الله عليه.

المبحث الثاني
التعريف بموطن الشيخ الأصلي

يتناول هذا المبحث التعريف بمنطقة دكالة بوجه عام، وببلد الشيخ ضمنها على وجه الخصوص.

وذلك كالتالي :

المطلب الأول : التعريف بمنطقة دكالة بوجه عام.

المطلب الثاني : التعريف ببلد الشيخ على الخصوص.

المطلب الأول
التعريف بمنطقة دكالة بوجه عام

سوف لا نقف عند اسم دكالة وهل هو اسم أمازيغي أو عربي[80]، لاسيما وأنه ليس بين أيدينا أصل يرجح هذا أو ذاك، ولأن الذي يعنينا هو واقع المنطقة، وتاريخها بنظرة شمولية.

إذ من المعلوم تاريخيا أن السكان الأوائل لمنطقة دكالة كانوا من الأمازيغ، وعلى يدهم قامت دعوة الإسلام، وانطلقت أسس التربية الدينية، والخلقية، والاصلاحية، والعلمية في كل مكان.

---

(80) جاء في كتاب القاموس لمجد الدين الفيروز أبادي في باب اللام فصل الدال أن دكالة : كرمانة (بلد) بالمغرب للبربر، وكلمة دكالة أصلها دكل ودكل الطين يدكل جمعه بيده ليطين به، والدكلة القوم الذين لا يجيبون السلطان من عزهم، يقال : هم يتدكلون على السلطان أي يتذللون.... وتدكل عليه تذلل وانبسط.

فدكالة معناها لغوياً من الاعتزاز والانبساط.

وقيل إن كلمة دكالة مركبة من «دو» بمعنى أسفل، و«كال» بمعنى الأرض وذلك في اللغة الأمازيغية تعني الأرض المنخفضة، وفي كلا المعنين في اللفظ العربي أو الأمازيغي تقارب ولاسيما في معنى الانبساط والاتساع.

حيث تذكر المصادر التي تناولت هذا الصقع من المغرب في العهود الأولى[81]، أن هناك رجالا أفذاذاً من الأمازيغ كان منهم من العلماء، والأولياء والصلحاء الذين قاموا بأطيب العمل وأخلصه خدمة لدين الإسلام ونشر نوره، من أمثال المشاهير بأرض دكالة وكلهم أمازيغ :

- الولي الصالح سيدي أبي النور (سيدي بنور) عبد الله بن وكريس الدكالي[82].

- الولي الصالح أبو عيسى (وزجيج) الصنهاجي[83].

- الولي الصالح أبو شعيب (مولاي بوشعيب) أيوب بن سعيد الصنهاجي[84].

- الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر الصنهاجي المعروف بابن امغار المعروف بدكالة بمولاي عبد الله[85].

- الولي الصالح مولاي إسماعيل بن محمد الأمغاري الحسني، هو جد أبي عبد الله المتقدم (مولاي عبد الله عند العامة)، ومولاي إسماعيل هذا هو أول قادم إلى المغرب مع أخويه أبي يعقوب وأبي زكرياء، وهو أول نازل بقرية تيط.

توفي رحمه الله حوالي رأس القرن الخامس الهجري، وقبره الآن بزاوية تيط (الزاوية الأمغارية حالياً)[86].

- الولي الصالح أبو جعفر اسحاق بن إسماعيل الأمغاري، هو أب أبي عبد الله المتقدم، كان مستوطناً في أول أمره قصبة «أيير» وفيها تزوج وولد أبا عبد الله محمداً (مولاي عبد الله حاليا)، ثم رجع إلى تيط حيث الزاوية الأمغارية الآن،

---

(81) انظر مفاخر البربر، لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1996، وانظر التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات، تحقيق أحمد توفيق.

(82) انظر التشوف، ص 130.

(83) التشوف، ص 185.

(84) التشوف، ص 187.

(85) التشوف، ص 209.

(86) جواهر الكمال، ج 1 ص 128، وانظر مدن وقبائل المغرب ناحية دكالة، ميشوبلير، ص 150.

توفي أواسط القرن الخامس الهجري عند ظهور المرابطين[87]، وقبره حالياً ضمن مقابر آل أمغار الآن.

- الولي الصالح سيدي يوسف بن محمد (مولاي عبد الله) أبو يعقوب، وهو ابن أبي عبد الله الذي تطلق عليه العامة (مولاي عبد الله) وسيدي يوسف هذا يطلق عليه في الشائع مولاي يعقوب.

كان من الأولياء العلماء المشاركين في علوم التفسير والفقه والحديث والسير وعلوم العربية وغيرها[88].

وقبره ضمن زاوية آيت امغار الحالية (مولاي عبد الله).

- الولي الصالح أبو عبد الخالق عبد العظيم بن أبي عبد الله، هو ابن محمد أبي عبد الله (مولاي عبد الله)، والعامة تطلق عليه «عبد الخالق» كما فعلوا مع أبيه حيث تركوا كنيته وأطلقوا عليه «مولاي عبد الله» وهو الجاري على ألسنة أهل دكالة الآن.

وهو مدفون في الزاوية الأمغارية حالياً مع أبائه وأجداده وإخوانه، وكان حياً سنة 614هـ[89].

- الولي الصالح عبد السلام بن أبي عبد الله أمغار، هو أحد أبناء محمد أبي عبد الله (مولاي عبد الله).

ترجم له في التشوف واصفاً له بالصلاح والزهد والابتعاد عن أهل الدنيا، وكان لا يأكل إلا صيد البحر خاصة[90].

- أبو محمد عبد النّور بن الشيخ أبي عبد الله أمغار الكبير، كان شيخاً فاضلاً سالكاً مسلك السلف الصالحين وهو من أهل القرن السادس الهجري[91].

---

(87) جواهر الكمال، ج 1، ص 125 وما يليها.

(88) جواهر الكمال، ج 2، ص 107، تحقيق علال ركوك ومن معه.

(89) جواهر الكمال، ج 2، ص 36، الطبعة الجديدة.

(90) انظر التشوف، ص 233، المرجع السابق.

(91) جواهر الكمال، ج 2، ص 36، المرجع السابق.

- **الولي الصالح إبراهيم بن هلال المشترائي[92].**

- **الولي الصالح أبو وزغار[93] تيفاوت بن علي المشترائي.**

- **الولي الصالح أبو عمران موسى بن وجادير الدكالي[94].**

- **الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن نافع الصنهاجي[95].**

وهناك أعلام آخرون وكلهم أمازيغ، بجانب هؤلاء الأفذاذ نذكر منهم ما يلي:

- **أبو يعقوب (تصولي) بن وايوسكط المحاسبي.**

جاء في التشوف :

أنه من قرية تسمى (بالمحاسبيين)[96] من أرض دكالة.

من كبار المشايخ من أقران أبي بنور، وكان لصا يقطع الطريق فسمع رفقة يقولون : أسرعوا لئلا يدركنا تصولي، فقال لهم : أنا تصولي، قد تبت إلى الله فسيروا على مهل، فإنكم في أمن مني[97].

- **أبو ولجوط وغانيم بن وابوط الدكالي.**

ورد في التشوف أنه :

من مشترابة من أقران أبي بنور، وأبي يعقوب تصولي، وكان كثير الانقباض عن الناس مؤثرا للخمول[98].

---

(92) ابن هلال المشنزائي أو المشترائي، انظر التشوف، ص 375، وضريحه يوجد الآن ما بين أولاد غانم والوالدية على شاطئ البحر بقبيلة أولاد بوعزيز بدكالة.

(93) العامة تنطق اسمه بسيدي وزغار، وهو دفين قبيلة أولاد عمران الآن، وانظر ترجمته في التشوف، ص 394.

(94) ترجمته في التشوف، ص 437، وقبره الآن بمدينة الجديدة، ويطلق عليه سكان المنطقة اسم سيدي موسى.

(95) ترجمته في التشوف، ص 443، وجاء في الهامش أنه مدفون خارج أزمور بجنات كهف الحجر المدعو الآن سيدي محمد بن عبد الله.

(96) هذه القرية اندثرت كما ذهبت مدن وقرى بأرض دكالة نتيجة الحروب البرتغالية والفتن الداخلية كمدينة يمويمن، ومدينة آيت امغار، ومدينة الغربية وغيرها مما ورد ذكره في التشوف حيث لم يبق إلا أسماء تلك المدن والقرى.

(97) التشوف، ص 131 وما يليها.

(98) التشوف، ص 132.

- **أبو حفص عمر بن ميكسوط الدغوغي.**

من قبيلة بني دغوغ بدكالة[99]، وهو من كبار الأولياء في القرن السادس الهجري، وتوفي رحمه الله في حدود سنة 546هـ ودفن بمسجده الذي بناه بتافريت من بلد بني دغوغ[100].

- **أبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي[101].**

- **أبو حفص عمر بن معاذ الصنهاجي[102].**

- **أبو عيسى وزجيج بن وَلْوُون الصنهاجي[103].**

- **أبو محمد عبد الخالق بن ياسين الدغوغي[104].**

- **أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله محمد بن أمغار الصنهاجي[105].**

- **أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن أبي عبد الله المعروف بأصاصاي** (المتوفى عام 615).

ذكر الكانوني رحمه الله أن ضريحه يوجد جنوب سيدي بنور بدوار المزاوير فرقة من أولاد أحمد عليه حوش ويعرف بسيدي إبراهيم[106].

- **أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أمغار الصنهاجي[107].**

- **أبو حدو القاسم الإيلاني**، نزيل قرية يليسكاون بدكالة، الولي الصالح الزاهد، كان قوته خبز الشعير بالماء حتى لقي ربه، وله في رسول الله إسوة في حال من أحواله عليه السلام.

---

(99) كانت قبيلة بني دغوغ ممتدة من ضواحي أولاد عمران الحالية إلى ناحية مراكش قرب سيدي الزوين حيث مرقد الولي الصالح عبد الخالق بن ياسين الدغوغي. والآن تقلصت القبيلة واستقلت بحيز يسير قرب أولاد عمران.

(100) انظر التشوف، ص 141.

(101) التشوف، ص 144.

(102) التشوف، ص 183.

(103) التشوف، ص 185.

(104) التشوف، ص 222.

(105) التشوف، ص 233.

(106) جواهر الكمال في تراجم الرجال، ص 118، وانظر التشوف، ص 420.

(107) التشوف، ص 426.

توفي رحمه الله قبل عام 617 بقرية يليسكاون من دكالة قرب سيدي بنور ويدعى الآن بسيدي بوسكاون وعليه قبة هناك[108].

- **أبو علي عمر بن عمران المسايلي** (من بني اسمايل بدكالة)، الشيخ الكبير الصادق في حبه لله ومشاهدة جماله وجلاله، ذكره التادلي في التشوف وأخذ عنه إبراهيم بن هلال المشترائي وكان من أصحابه[109].

توفي رحمه الله عام 617، وعليه الآن قبة قرب دوار زركَ وراء دوار الصديقات موطن الشيخ شعيب الدكالي بمدينة الغربية.

وقامت الزاوية الأمغارية التي كان يشرف عليها آل امغار بناحية تيط[110]، في مجال التعليم والتربية والإصلاح، بأكبر وأجل الأعمال في ذلك العهد قبل أن يخربها البرتغاليون.

ويذكر ابن قنفد القسطنطيني وهو من رجال القرن الثامن الهجري، أنه وجد في دكالة في ذلك العهد خمسا وعشرين مدرسة.

على خلاف ما جاء في نص أنس الفقير، لأنه لا معنى أن يكون في دكالة خمسة وعشرون مدرساً فقط في ذلك الزمان.

ونص الأنس قوله :

«ولقد حضرت مع جملة من هذه الطوائف، مواطن عدة منها زمان اجتماع فقراء المغرب الأقصى على ساحل البحر المحيط جوف إقليم دكالة بين بلد أسفي

---

(108) جواهر الكمال في تراجم الرجال، ج 2 لمحمد الكانوني، تحقيق علال ركوك ومن معه، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر بأسفي، ط 1، عام 2004.

(109) المرجع السابق، ص 62.

(110) كانت تيط أو تيطنفطر توجد حيث الأن مدينة مولاي عبد الله بناحية الجديدة على بعد 12 كلم جنوب الجديدة، أسس رباطها أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر بن إسماعيل الحسني الإدريسي أمغار الكبير في القرن السادس، واشتهر من أبنائه وأحفاده الشرفاء الأعلام : محمد بن اسحاق، وعبد الحق، وأبو يعقوب، وعبد السلام، وعبد الحليم، وعبد القوي، وعبد الله.
ولما خربت هذه المدينة الزاهرة في أيامها رثاها شاعر الملحون أبو عسرية البوفي الغربي الدكالي تقصى فيها ذكر المساجد، والصوامع، والمدارس، والأسواق وما كان فيها من وفور العمارة، وآثار الحضارة، والعلوم، والصنائع وغير ذلك.
وانظر كتاب المغرب، ص 110، وآسفي وما إليه، ص 44 وما يليها، وص 16 وما يليها.

وبلد تيطنفطر، ومعنى هذا الاسم : عين باردة، زمان قضائي بدكالة، وهي أرض مستوية طولها مسيرة أربعة أيام وكذلك عرضها، ووجدت فيها خمسة وعشرين مدرسا»[111].

وكانت هذه الزاوية في المواجهة مع حركة التمرد والإلحاد المنبعثة من البرغواطيين منذ عهد المرابطين إلى عهد الموحدين.

كما كان آل أمغار في اتصال دائم مع أمراء المرابطين في هذا الشأن وغيره، كما كانت مدينة أزمور في هذه الآونة منارا للعلم، والصلاح والجهاد، وأخرجت أعلاما في العلم والأدب، والتربية، والقضاء، ومقاومة الاحتلال عبر العصور.

وما قامت به المدينة الغربية (مشترابة)[112]، لا يقل أهمية عما ذكر من المراكز علما، وإصلاحا، وجهاداً.

وتضاف مدينة اليسكاون في ذلك الزمان حيث توجد مدينة سيدي بنور الآن، وبها ضريح الولي الصالح المسماة به، وما قام به هذا الولي من تربية وإصلاح هو وأتباعه في هذا الصقع من البلاد.

وكانت القبائل الأمازيغية متكونة أنذاك من المصامدة وصنهاجة قبل أن تختلط بالقبائل العربية النازحة من بعد.

وكان تقلص الوجود الأمازيغي من أرض دكالة لسبب سياسي هو عدم رغبة أمازيغ دكالة من نزع بيعة المرابطين من أعناقهم بعد أن تغلب عليهم الموحدون.

فما كان من دولة الموحدين أن ردت على ذلك بقمع بليغ نتج عنه طرد الأمازيغ من أرض دكالة وتهجيرهم إلى جبال الأطلس.

---

(111) أنس الفقير لابن قنفذ، ص 71.

(112) منهم من ينطق هذه المدينة بلفظ مشنزاية، ورجح الفقيه السائح اسم مشترابة لكونه كان قاضياً بالجديدة فاستقى الخبر عن قرب كما ذكر ذلك في فهرسته، ورجح نفس الاسم الكانوني في تاريخه آسفي وما إليه بناء على مشافهة سكان تلك الجهة الآن، ونفس الشيء حصل لي أنا مؤلف هذا الكتاب حين زرت مدينة الغربية إذ لا ينطق الناس هناك إلا باسم مشترابة.
ويمكن الجمع بين الأمرين بأن اسم مشنزاية كان معروفاً في العهد الأمازيغي، وحين دخل العرب أرض دكالة عربوها باسم مشترابة.

ونفس الشيء حصل لأمازيغ حاحا فحدث ولا حرج عن التقتيل، والتهويل لأن الجميع لم يدخل في بيعة الموحدين.

وهكذا لم يأت القرن العاشر الهجري حتى لم يبق من الأهالي الأمازيغ إلا نزر يسير اندمج مع الأهالي العربية الطارئة على أرض دكالة.

وعلى كل فقد ساهم الأجداد الأمازيغ رحمة الله عليهم مساهمة فعالة لا مثيل لها في نشر الإسلام، والعلوم، والإصلاح، والجهاد فوق أرض دكالة، وبقي الأمر على ذلك حتى دخول العنصر العربي وما بعد ذلك، حيث جاءت القبائل العربية من كل فج عميق تترى إلى أرض دكالة في عهد الموحدين ابتداءاً من القرن السادس الهجري وما بعده إلى القرن العاشر الهجري الذي يعد أقصى ما وصلت إليه الهجرة العربية إلى هذه الديار[113].

وقد حاول الشيخ أبو زيد عبد الرحمان الفاسي حصر هذه القبائل بقوله في كتاب الأقنوم في مبادئ العلوم :

فصل وفي دكالة بنو هلال	أولاد عمران وعبدة يقال
أولاد بوعزيز الشرقيه	أولاد سبطة كذا الغربيه
وهكذا العونات أولاد فرج	سيدنا المجذوب منهم خرج
وانضاف ذا الزمان أولاد دليم	مع المنابهة كنا بهم عليم
أولاد عمرو ثم آل عامر	كذا الشياظمة كل صائر[114]

وأصبحت أرض دكالة تضم القبائل العربية[115] الآتية :

---

(113) تجدر الإشارة إلى أن إقليم دكالة كان يمتد من البحر عند مصب أم الربيع إلى أسفي ليمتد أيضا إلى وادي تانسيفت على مشارف مدينة مراكش.

(114) آسفي وما إليه، ص 31 لمحمد بن أحمد الكانوني.

(115) ذكر الكانوني رحمه الله :

أن الأمة المغربية جلها عرب ما بين عدنانية وقحطانية لأن البتر الذين هم أحد قسمي البربر من عرب مضر وصنهاجة وكتامة في عداد البرانس وهما من الكثرة بالمكانة السابقة من عرب قحطان. هذا قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فقد أمته موجات عديدة من العرب وقد قدرت موجة الهلاليين وحلفاؤهم بما يربو على مليون نسمة فكيف بغيرها، فغمرت قبائل العرب السامية بكثرتها قبائل البربر الحامية بحيث صارت الثانية أقلية ضئيلة وامتزجت الجنسيتان امتزاجا غريبا من قديم الأزمان وعاشتا متحدثي العوائد والأخلاق والأزياء وتأثر كل فريق بالآخر، وصارت أمة واحدة لها وحدتها ومميزاتها وسياستها من بين الأمم والشعوب، اسفي وما إليه، ص 11.

1 - قبيلة بني هلال :

أصل الهلاليين من عرب الحجاز، ولما قامت الدولة الفاطمية بمصر نقلوا قبائل منهم إلى صعيد مصر.

ثم انتقلوا إلى القيروان وتونس من بعد حيث استقروا بهما.

جاء في كتاب المغرب :

ولما ثار بنو غانية على الموحدين وانضم إليهم بنو هلال سار إليهم يعقوب المنصور الموحدي وشتت شملهم ونقل جموع بني هلال وبني جشم إلى المغرب فأنزل قبيلة رياح ببلاد الهبط بالمغرب وأنزل قبائل جشم ببلاد تامسنا، ومن بين هذه القبائل الهلالية :

الخلط - بنو جابر - ورديغة - سفيان - أولاد جرمون - أولاد مطاع - ذوي منصور - ذوي حسان - وعرب المعقل - وسفيان وحصين وبنو مالك.

ثم انتشرت فروع من هذه القبائل من أنحاء المغرب والصحراء المغربية[116].

ولازال وجود قبيلة بني هلال قائماً في دكالة وإن لحقه المد والجزر في التوسع والانكماش عبر العصور[117]، وكانت قبيلة بني سليم مجاورة لها فانحازت الآن إلى قبيلة أولاد فرج.

وكانت في عهد الحماية تابعة إلى أولاد بوزرارة.

2 - قبيلة أولاد عمران[118] :

كانت من القبائل الكبرى التي أبلت البلاء الحسن في الدفاع عن البلاد وحوزة الوطن، ولاسيما ضد الاستعمار البرتغالي.

---

(116) كتاب المغرب، ص 82، وانظر أصول هذه القبيلة معلمة المغرب، ج 5، ص 1581.

(117) توجد قبيلة بني هلال الآن داخليا وبقربها أولاد سيدي بويحي، بين مدينة سيدي اسماعيل، وسيدي بنور، يسار الذاهب إلى سيدي بنور على الطريق المؤدية إلى مراكش من الجديدة، وبها سوق ينسب إليها وهو سوق جمعة بني هلال.

(118) توجد هذه القبيلة الآن داخليا على يمين الذاهب من الجديدة إلى مراكش عند مدخل مدينة سيدي بنور وسوقها الثلاثاء.

وحصل لها ما حصل لقبيلة بني هلال من تقلص بيئي وإداري، وانضافت إليها مع الزمن قبيلة بني دغوغ التي كانت هي نفسها من أكبر قبائل دكالة، وسبحان مبدل الأحوال، ويرجع أصلها إلى قبيلة أولاد أبي السباع[119].

وكانت هذه القبيلة الكبرى إلى عهد قريب تضم القبائل الفروع الآتية ومازال الأغلب إلى الآن تحت لوائها :

الزكاكرة - أولاد شبان - الغوانم - أولاد سعيد - الرمامحة - بني دغوغ - أولاد حمو - أولاد جرار - الخطاطية - الودات - أولاد ميرة - أولاد بو بكر[120].

3 - قبيلة عبدة :

هذه القبيلة كانت تعد ضمن قبائل دكالة في القديم، كما ذكر الشيخ عبد الرحمن الفاسي في كتابه الأقنوم، وكانت كذلك إلى القرن العاشر الهجري، وأصبحت هذه القبيلة شبه منفصلة من بعد عن دكالة الأصلية التي أضحت تنعت بدكالة البيضاء وعاصمتها من بعد مدينة الجديدة، وأمست قبيلة عبدة مع فروعها تنعت بدكالة الحمراء، وجاء الاستعمار الفرنسي فكرس هذه التفرقة، فضلا عن اندراج هذه القبيلة المجيدة تحت لواء إقليم آسفي من بعد الذي يعد عاصمة لهذه الناحية كلها.

وترجع أصول قبيلة عبدة كقبائل دكالة العربية إلى عرب الحجاز، وفي قبيلة عبدة علماء، ومجاهدون، وصالحون[121]، ومن أشهرهم وهو مدفون وسط مدينة آسفي الشيخ سيدي أبو محمد صالح المتوفى سنة 631[122]، ولدكالة وعبدة تاريخ مشترك إسلامياً وعربياً، وأصل موحد من جهة الطباع والعادات.

ومن أراد تفرقتهم كمن يريد أن يفرق بين إخوة مؤمنين وهم يد واحدة فالله حسيبه.

---

(119) كتاب المغرب، ص 64.

(120) انظر :

Villes et Tribus du Maroc, Volume X, Région des Doukkala, Paris, 1932, Page 169.

(121) انظر آسفي وما إليه، وجواهر الكمال، ج 1، وج 2، لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني.

وانظر صلحاء آسفي وعبدة لكريدية إبراهيم، ط 1، عام 2003، نشر جمعية آسفي للبحث في التراث الديني.

(122) انظر كتاب ابنه المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح.

وقد عانت هذه القبيلة المباركة ما عانت أخواتها من قبائل دكالة من ويلات الاستعمار البرتغالي من قبل، ومن الاستعمار الفرنسي من بعد.

4 - قبيلة أولاد بوعزيز :

هي إحدى القبائل العربية التي استقرت بدكالة[123]، وهي متفرعة عن القبائل الهلالية زمن دخولها إلى المغرب من القرن الخامس إلى أوائل القرن السابع الهجري.

وقد شاركت هذه القبيلة المشاركة الفعالة ولاسيما فروعها أولاد دويب، وأولاد حسين وغيرهما، في حروب دكالة مع البرتغاليين نظراً لقربها من مدينة البريجة (الجديدة حالياً)، سواء تحت رئاسة المجاهد سيدي محمد العياشي، والولي الصالح سيدي اسماعيل صاحب الزاوية المعروفة باسمه.

ثم في الحروب التي قادها السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله ضد البرتغال في فتح البريجة، حيث كانت قبيلة أولاد بوعزيز وفروعها القبلية أقرب القبائل للمواجهة.

وكانت قبيلة أولاد بوعزيز في القديم ومازالت تشتمل على الفروع الكبرى الآتية :

أولاد ذويب - أولاد حسين - أولاد داوود - أولاد مسعود - أولاد عيسى - أولاد غانم[124].

ومنذ الاستقلال وإلى الآن خضعت هذه القبيلة لعدة تغييرات وتحولات، واستقرت فروعها على الاجمال كما يلي :

1) أولاد بوعزيز الشمالية : وفيها جماعة مولاي عبد الله وأولاد حسين وما جاورها.

2) أولاد بوعزيز الجنوبية : وفيها أولاد عيسى وما جاورها.

3) أولاد بوعزيز الوسطى : وفيها زاوية سيدي اسماعيل وما جاورها.

---

(123) ومن القبائل الأخرى قبيلة أولاد سبيطة، وأولاد فرج، وأولاد عمران ببلسكاون إلخ، انظر معلمة المغرب، ج 3، ص 910.

(124) وانظر معلمة المغرب، ج 3، ص 910 المرجع السابق.

5 - قبيلة أولاد سبيطة :

تعد قبيلة أولاد سبيطة من القبائل العربية المتفرعة عن قبائل بني هلال.

وكانت من القبائل الكبرى قبل أن تصبح تابعة لدائرة الغنادرة ضمن قبيلة أولاد عمرو منذ عهد الحماية.

وتقع الآن بين اثنين الغربية والغنادرة داخليا.

6 - قبيلة العونات :

من القبائل العربية في دكالة المجاورة لمنطقة الرحامنة داخليا، وبها الجبل الأخضر المشهور في التاريخ بعلمائه وأوليائه الصالحين، وقد تحدّث عن هذا الجبل الرحالة مارمول، والأسد الافريقي في كتابيهما عن وصف افريقيا، وأنه كان به بحيرة يأتيها بعض ملوك السعديين من مراكش من أجل أكل حوتها النادر المثال.

وبقبيلة العونات الزاوية التونسية التي أخرجت من العلماء الفطاحل، والأولياء الزاهدين نخبة تفتخر بها بلاد دكالة والمغرب أجمع.

وكان بها خزانة كتب ظلت مرجع القاصدين إلى عهد قريب ومازالت بها بقية خير تتوقف على الإصلاح والصيانة.

وبهذه القبيلة ثلاثة أسواق مشهورة إلى الآن وهي :

خميس قصيبة - وأربعاء العونات - وأحد العونات.

والقبيلة ككل تابعة الآن إدارياً لإقليم سيدي بنور.

7 - قبيلة أولاد فرج :

وهي من القبائل العربية الهلالية التي استقرت قرب قبيلة أولاد بوعزيز داخليا ومدينة الجديدة الآن.

ويتفرع عنها فرعان كبيران وهما :

- أولاد عبد الغني.
- أولاد لشهب.

وتحت كل فرع منهما قبائل فرعية متعددة.

وفي رحاب هذه القبيلة يوجد ضريح سيدي مسعود بن احساين أحد الأولياء المشهورين في المنطقة مع ذريته الصالحة : سيدي محمد بوسكيكرة المدفون قرب قصبة بلعوان، وسيدي بوعلي المدفون أمام والده سيدي مسعود، وسيدي الشرقي المدفون أمام والده أيضاً، وسيدي الزموري الكائن بأولاد حمدان[125].

وفي ضواحي هذه القبيلة توجد مدرسة قرآنية هي مدرسة مولاي الطاهر القاسمي رحمه الله، التي أدت ومازالت تؤدي رسالتها تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

وفي المنطقة سوق مشهور هو سوق أحد أولاد فرج الذي يعد في المرتبة الثانية بعد سوق ثلاثاء سيدي بنور من الناحية الاقتصادية في هذه الناحية.

8 - قبيلة أولاد عمرو :

سنخصها بالحديث عند الكلام عن موطن الشيخ شعيب الدكالي في المطلب الثاني من هذا المبحث.

9 - قبيلة أولاد عامر :

هذه القبيلة كانت ضمن القبائل العربية الكبرى في دكالة، وهي الآن تابعة لقبيلة عبدة ضمن إقليم اسفي.

10-11 - قبيلتا أولاد دليم والمنابهة :

كانت هاتان القبيلتان تابعتين لمنطقة دكالة الكبرى التي كانت في القديم تبلغ إلى وادي تانسيفت ناحية مراكش.

والقبيلتان من القبائل العربية التي لها الآن روابط صحراوية.

12 - قبيلة الشياظمة :

من القبائل العربية التي كانت معدودة ضمن منطقة دكالة في القديم، وهي الآن تابعة لإقليم الصويرة حيث تجاورها قبيلة مسكالة الحاحية.

وتوجد بعض فروع الشياظمة إلى الآن بدكالة بناحية أزمور حيث حصل ذلك عن طريق التنقل والهجرة.

---

(125) وانظر في الموضوع كذلك معلمة المغرب، ج 1، ص 146 وما يليها.

ويجب التذكير أن القبائل العربية كانت تنتقل وتهاجر بحرية في أرض دكالة المترامية الأطراف، ولاسيما منذ القرن العاشر الهجري وإلى عهد قريب قبيل عهد الحماية، ثم خضع الجميع إلى التنظيم الإداري قبل الاستقلال وبعده وإلى الآن.

وقد قامت هذه القبائل العربية كأخواتها من القبائل الأمازيغية في ربوع أرض دكالة بأعباء الجهاد، وبالصلاح، ونشر العلم في تلك العهود وبعدها.

- **في مجال الجهاد :** كافحت القبائل العربية الدكالية الاستعمار البرتغالي بكل قوة ومن هذه القبائل قبيلة أولاد بوعزيز وبالأخص أولاد ذويب التي انضافت إلى جرائد الحركة العياشية بقيادة سيدي محمد العياشي - رحمه الله - وكذلك قبيلة أولاد عمران التي أبلت البلاء الحسن في ذلك.

وفي رحاب سهل زاوية سيدي إسماعيل، قاوم العالم المجاهد **سيدي إسماعيل ابن أبي سجدة** - صاحب الزاوية المشهورة - الاستعمار البرتغالي أشد المقاومة هو وأبوه رحمهما الله، والمجاهد سيدي سعيد بن محمد بن علي القاسمي المتوفى عام 1033هـ[126].

ولما رجع سيدي محمد العياشي إلى الغرب بأمر من الخليفة السعدي لأسباب سياسية في عهد السعديين، ناب عنه سيدي إسماعيل في أمر الجهاد[127].

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذي خرج من مراكش مجاهدا مناضلاً قاصداً مدينة البريجة (الجديدة الآن) لتحريرها من يد البرتغال، وكان أهل دكالة اليد اليمنى لسيدي محمد عبد الله، ولاسيما المجاورين لمدينة البريجة، قبيلة أولاد بوعزيز وفروعها، من أولاد ذويب، وأولاد حسين وغيرهما[128].

ولا ننسى ما قام به مجاهدو الفحص قرب مدينة الجديدة من كفاح ونضال ومجاهدو قبيلة المعاشات التابعة لأولاد بوعزيز الشمالية، ومنهم سيدي عبد المالك الذي يشاع أنه أمازيغي، وسيدي الغياثي من قبيلة غياثة، وسيدي محمد بن القلابي وغيرهم، وقبورهم متقاربة في أرض المعاشات بناحية أولاد بوعزيز الشمالية.

---

(126) قبائل دكالة لميشو بلير، ص 141، وسيدي سعيد القاسمي هذا من قبيلة القواسمة ناحية أولاد فرج.

(127) انظر كتاب الحركة العياشية للدكتور محمد الديباجي.

(128) انظر في ذلك الحلل البهيجة في فتح البريجة لمحمد بن أبي القاسم المراكشي، تحقيق د. عبد الكريم كريم.

وامتد جهاد أهل دكالة بين الماضي والحاضر ابتداءاً من مواجهة برغواطة، إلى أن قضى عليهم الموحدون، ثم البرتغال في سنوات متعددة ومتواصلة، إلى أن قضى على فتنتهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله في فتحه للبريجة ثم كانت مقاومة الاستعمار الفرنسي، هذه المقاومة التي عمت المغرب كله وساهم فيها أبناء دكالة وأهل الجديدة كإخوانهم من أنحاء هذا البلد الغيور.

ومن النماذج الحية التي يمكن إيرادها هنا جهاد القائد محمد بن المعطي التريعي لفرنسا منذ دخولها إلى المغرب ومحاولة السيطرة على أزمور والجديدة، فكافح في ذلك ما استطاع ولما ضيقوا عليه الخناق فر من وجههم فرار الأبطال والشجعان[129].

وهناك مقاومون آخرون يمكن معرفتهم من خلال ما قامت به المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير بجمع ما يتعلق بذلك في سلسلة من الكتب باسم الوثائق.

- **في مجال التربية والصلاح** : ففي مجال الصلاح والتربية نذكر **سيدي عبد الرحمان المجذوب**، وأصله من قبيلة أولاد فرج ونشأ في القصر الكبير ودفن بمدينة مكناس ومنهم **سيدي إسماعيل بن سعيد** المذكور آنفا، وكان مجاهداً ومربيا مصلحا، وعالما ويكفيه شرفا أنه شيخ أبي الحسن اليوسي كما ذكره في آخر كتابه المحاضرات.

ومن المتأخرين :

- **سيدي عبد العزيز بن يفو** بناحية الغربية.
- **سيدي أحمد بن مبارك** بناحية الغربية قرب الساحل.
- **سيدي وعدود** بناحية أزمور.
- **سيدي الحسين الزرهوني** وضريحه وزاويته بين الجرف الأصفر وسوق سبت أولاد بوعزيز.

---

(129) دكالة وتاريخ المقاومة بالمغرب، ص 209 وما يليها، ندوة علمية، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بتاريخ 3-4-5 فبراير 1994.

- **سيدي محمد المخنث** بناحية أولاد فرج.

- **سيدي إسماعيل بوشربيل** بناحية سيدي بنور.

- **سيدي مسعود بن احساين** بأولاد فرج.

- **مولاي الطاهر القاسمي** بأولاد فرج أيضا.

- **سيدي علي معاشو أبو الحسن**، الولي الصالح أحد مشاهير الصالحين، وأكابر الأولياء المشهور بشفاء داء الكلب هو وأبناؤه بإذن الله.

وفاته في العشرة الثانية من المائة التاسعة الهجرية وأقبر بتفوغال بأحد دوار بالشياظمة ناحية الصويرة، وقد ذكرناه هنا نظراً لارتباط أبنائه وأسرته بمنطقة دكالة وضواحيها حيث يوجد ابنه الأكبر سيدي سعيد معاشو، كما توجد ذرية منتشرة بنواحي الجديدة وناحية أولاد فرج، وآسفي وغيرها.

- **سيدي إسماعيل بوسجدة القاسمي** المتوفى عام 1094 فهو من المجاهدين ومن الأولياء، وهو دفين الزاوية المنسوبة إليه.

- **سيدي بن عبد الله بن سيدي إسماعيل** السابق الملقب بوعبد الله، المتوفى عام 1127هـ[130].

- **سيدي إبراهيم بن أحمد القاسمي** المتوفى عام 1278هـ ضمن قبيلة القواسمة[131].

- **سيدي عبد الرحمان بوزيد** المعروف بسيدي بوزيد المتوفى عام 1155هـ[132] المنحدر من آل مغار ويوجد ضريحه على شاطئ البحر قرب الجديدة.

- **سيدي مسعود بن حساين** المدفون بأحد أولاد فرج.

- **سيدي احساين أب سيدي مسعود**، المدفون بقصبة بلعوان.

- **سيدي عبد الرحمان** جد سيدي مسعود.

- **سيدي موسى** بأولاد نعام ناحية أولاد فرج.

- **سيدي أحمد بن سلام** بأولاد زاليم بأولاد زيد[133].

---

(130) قبائل دكالة، ص 142 لميشو بلير.

(131) (132) (133) انظر قبائل دكالة لميشو بلير.

- **سيدي مَحمد الظاهر** ناحية أولاد فرج.

- **للا عائشة البحرية** بدوار سيدي أحميدة ناحية أزمور.

- **سيدي التباري** بأولاد حسين ناحية الجديدة.

- **سيدي عامر** بأولاد حسين أيضاً ناحية الجديدة.

- **سيدي محمد الشاوي** بقرية بوسدرة قرب امهيولة ناحية أزمور.

- **سيدي محمد التادلي** بدرب بوطويل بمدينة الجديدة[134].

ولو أردنا تتبع أهل الصلاح والولاية بدكالة، لضاق بنا المقام، إذ أن أرض دكالة مملوءة بأضرحة وقبور الأولياء والصالحين منهم المعروفون ومنهم من لم يعرفوا لا في العهد الأمازيغي ولا في العهد العربي.

- **في مجال العلم والتوعية** : نذكر ثلة من الأعلام المتأخرين بأرض دكالة والذين قاموا بمهمة نشر العلم والمعرفة في ربوع هذه الديار وأغلبهم ذكرهم المؤرخ الكانوني في كتابه جواهر الكمال بجزئيه الأول والثاني.

فمن هؤلاء السادة الكرام :

- **أبو العباس أحمد بن محمد المدعو بابن الشاوي** : الفقيه المدرس النحوي له دراية كبرى بالعربية حتى كان يلقب بـ(سيبويه) وهو أحد أركان مدرستهم الشهيرة بـ(مدرسة ابن الشاوي) القريبة من (خميس الزمامرة)، توفي عام 1315هـ ودفن بمقبرة سيدي محمد بوغران[135].

- **أبو العباس أحمد بن عمر السباعي الدكالي** : الإمام حامل راية العلوم المقبل على الله كانت له مدرسة شهيرة، قال فيه سيدي محمد بن إبراهيم السباعي: لما رأيت أبا العباس ابن عمر رأيت : رجلا أجمل الناس، وأفضل الناس، وأعلم الناس، توفي عام 1280هـ[136].

---

(134) ترجم له المختار السوسي في المعسول.

(135) جواهر الكمال، ج 1، ص 63.

(136) جواهر الكمال، ج 1، ص 65.

- **أبو العباس أحمد بن التونسي العوني الدكالي** : العلامة الفقيه القاضي الذي أحيا الله به العدل، تولى قضاء دكالة، وآزمور، ومراكش، وقضاء جيش المولى الحسن الأول، واستكتب في وزارة الخارجية، توفي غريقاً في بحر طنجة عام 1304هـ في مهمة رسمية(137).

- **أبو العباس أحمد بن محمد البوعزيزي** : الفقيه العلامة المشارك القاضي المفتي، تولى قضاء أولاد أبي عزيز عام 1276 ثم أعفي منه عام 1284، توفي عام 1302هـ(138).

- **أبو العباس أحمد بن عبد الله الرافعي** : الفقيه العلامة المشارك في العلوم الإسلامية حافظاً لفقه مالك مستحضراً لفروعه، ورعاً قائماً بالتدريس والإفادة، أصله من أولاد رافع بأولاد بوعزيز بدكالة، توفي رحمه الله صدر القرن الرابع عشر الهجري(139).

- **أبو العباس أحمد الزاوية بن علي البحياوي الإدريسي** : من أهل فضل وعلم ودين ويعرفون بأولاد الرويحة، وبيتهم بدكالة عظيم القدر شهير الذكر تعددت فيه العلماء الجهابذة الذين كان لهم الأثر المحمود في نشر العلم وبثه في هذا الصقع الدكالي.

كذلك كان المذكور هنا فقيهاً جليلا مشاركاً في العلوم له مدرسة يشرف عليها يتصف تلامذتها بالكثرة والنباهة، توفي رحمه الله عام 1346هـ(140).

- **الحاج أحمد مولى النخل الجديدي** : هو الحاج أحمد بن صالح الحسني الإدريسي كان موجوداً في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ولما فتح هذا السلطان ثغر الجديدة عام 1182هـ دعا الناس لعمارتها فكان المترجم ممن استجاب لذلك هو وبنوه.

وكان عالما أستاذا مجداً في نشر القرآن والدين، فكان يعلم الناس ويطوف عليهم ويبالغ في تأليفهم بالإحسان والطعام حتى انتشر الدين، وعم تعليم القرآن

(137) جواهر الكمال، ج 1، ص 69.

(138) جواهر الكمال، ج 1، ص 70.

(139) جواهر الكمال، المرجع السابق، ص 76.

(140) جواهر الكمال، المرجع السابق، ص 98.

والصلاة، توفي رحمه الله صدر القرن الثالث عشر الهجري، ودفن على مقربة من نخل بمدينة الجديدة، ومازال قائماً إلى الآن قرب مستشفى محمد الخامس فأطلق عليه بمولى النخل[141].

- **أبو العباس أحمد بن الحاج محمد المسعودي الحسني** : أصله من أولاد سيدي مسعود وسكناهم في البداية بإذاوكنظيف ببلد هلالة من سوس، وجدهم سيدي مسعود وقبره مشهور هناك، وأول من دخل دكالة من أولاده سيدي عبد الله ابن مسعود متطوعاً بالجهاد أواسط القرن الحادي عشر، فكان في صحبة سيدي إسماعيل القاسمي واستقر أخيرا بأزمور، حيث كان أبناؤه قائمين بمهمة الجهاد بالبريجة حتى توفي هو بأزمور ودفن بمقبرة مولاي بوشعيب السارية.

ثم انتقل أولاده فاستقروا بأولاد بوعزيز قرب الزاوية السايسية ويعرفون بمدرسة هناك يقال لها مدرسة أولاد سي عبد الله بن مسعود ومنهم العالم الثبت الحجة سيدي سليمان الأعمى.

وصاحب الترجمة (أبو العباس أحمد المسعودي) هذا كان عالماً جليلاً مدرساً مشاركاً في العلوم تولى العدالة والفتوى وأحيا الله به زاويتهم العلمية، توفي رحمه الله هام 1329هـ[142].

- **أبو الفداء إسماعيل بن عبد السلام المغاري السايسي** : قدم مع والده من (تامصلوحت) لشنآن وقع بينهم وبين أهلهم فنزلوا على مقربة من حصن (سايس) حيث توجد زاويتهم الآن المشهورة بالسايسية[143].

كان أبو الفداء إسماعيل هذا فقيها فاضلا شريفا له رحلة إلى فاس حيث أخذ عن شيوخ القرويين وكانت له منزلة عند السلطان المولى إسماعيل وعند ولده المولى عبد الله من بعده، توفي تقريبا أواسط القرن الثاني عشر وبنيت عليه قبة بزاوية سايس.

---

(141) جواهر الكمال، ص 99 وما يليها.

(142) جواهر الكمال، ص 101 وما يليها.

(143) هذه الزاوية منسوبة إلى حصن سايس أحد الحصون القديمة بدكالة كانت تتحصن به في الحروب، وقد زاره ابن الخطيب وذكره في النفاضة لما مر عليه عام 761هـ، ويوجد الآن قربه سوق سبت سايس الأسبوعي، وهو على يمين الذاهب من الجديدة إلى مراكش ضواحي زاوية سيدي إسماعيل، وانظر جواهر الكمال، ج 1، ص 130.

- **أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الصديكَي الغربي الدكالي** : الفقيه العلامة المدرس من أهل العلم والعمل، من تلامذته الشيخ أبو شعيب الدكالي وغيره، قرأ عليه الفرائض من الشيخ خليل ولم يقرأها على أحد غيره، توفي سنة 1317هـ ببلده[144].

- **عبد الوهاب بن محمد الصحراوي الدكالي** : الفقيه العلامة المفتي المشارك في الفقه والعربية والأصول والبيان والتاريخ وغيرها، يحفظ مختصر خليل عن ظهر قلب، تولى القضاء بأولاد عمرو بدكالة.

درس ببلده دكالة ورحل إلى فاس فأخذ عن علمائها ومنهم سيدي أحمد بن الخياط وتلميذه الشيخ البناني وأجازه عامة وغيرهما، لم تضبط سنة وفاته[145].

- **أبو حامد العربي بن محمد البوزيدي الدكالي** : الفقيه العلامة المشارك القاضي من أهل العلم والوجاهة في تواضع وجود وكرم وبشاشة، دَرَّسَ وأفاد العباد.

قال الفقيه **محمد الكانوني** : «قال شيخنا أبو شعيب الدكالي : حضرت مجلس أبي حامد في مختصر خليل ثم دخلت فاس ومصر وغيرها، فما رأيت أحسن من تقريره».

تولى القضاء بأولاد عمرو بدكالة، فحمدت سيرته، قرأ في بلده دكالة وعمدته الشيخ محمد بن الخراز البوعزيزي ثم رحل إلى فاس، فقرأ على شيوخها، توفي رحمه الله عام 1323هـ ببلده، وهو من شيوخ الشيخ شعيب الدكالي كما أشير إليه آنفا[146].

- **أبو حامد الحاج العربي بن المقدم التونسي العوني الدكالي** : الفقيه المقرئ الناسك من أهل العلم والعمل، عالم بالقراءات من أهل الصلاح درس ببلده، ورحل إلى فاس فأخذ عن شيوخها[147]، توفي رحمه الله عام 1329هـ، ودفن بأعلى الجبل الأخضر بالعونات.

---

(144) جواهر الكمال، ج 2، ص 20، المرجع السابق.

(145) جواهر الكمال، ج 2، ص 34، المرجع السابق.

(146) المرجع السابق، ص 40.

(147) المرجع السابق، ص 43.

- **أبو عثمان سعيد بن عبد الله الخلفي الدكالي** : نابغة دهره في عصره، رحل من بلده دكالة، فدخل الجزائر، ومصر وغيرها من الديار المشرقية، وزار أوربا، واستفاد من كل ذلك معلومات كثيرة، ولما رأى الخطر محدقاً بالمغرب في عهد المولى الحسن الأول رحمه الله كتب له كتاباً يتضمن وسائل الانقاذ سماه «وردة الناشق، وروضة العاشق» ثم سماه «التحفة الدكالية إلى الحضرة العالية»، ورتبه على خمسة أبواب في كل باب ثلاثة فصول.

الباب الأول في المغرب وأحواله، ورجوع صحته بعد اعتلاله، الفصل الأول منه في النقد أي السكة (المالية) وما وقع فيها من النقض، الثاني في ثغور البحر المغربية وما تحتاج إليه من الأمور الحربية، الثالث في العساكر والأجناد وما تحتاج إليه من مؤونة وزاد.

الباب الثاني في الدين ومكانته، وكيف دخل الوهن على أركانه، الفصل الأول منه فيما اعتادته النفوس من الترف في المأكول والمشروب والملبوس، الثاني في الأمور الداعية إلى تعطيل الحدود الشرعية، الثالث في الأمور الداعية إلى الفجور الحاملة على الكذب وشهادة الزور.

الباب الثالث في حال دول الروم واستفحالها، واقتدائها بكتب الإسلام وانتحالها، الفصل الأول منه فيما يستحسن من أمورهم الدنيوية، وبيان الخصلة التي أصبحت قلوبهم بها متساوية، الثاني في خبر الجنس الجائر، وما أدخله من المظالم والمكاره...، الثالث في الأسباب الداعية إلى فساد الملك واختلاله المبشرة بانقضائه وزواله.

الباب الرابع في خبر صاحب هذه الخطبة وترجمته الخ...

الباب الخامس في خبر الأمير المؤيد مولانا الحسن بن محمد، في تاريخه ونسبه وأحواله المرضية وشفقته على الرعية، وسيرته مع أجناس الروم الخ...

وكان تأليفه (لهذا الكتاب) سنة 1304هـ بمصر، وقدمه للسلطان المولى الحسن الأول ارشاداً له وتنبيها[148].

---

(148) الجواهر، ج 2، ص 89 وما يليها، ومن المؤسف أين هذا الكتاب الذي ألفه أبو عثمان سعيد الدكالي، فلقد فقد فيما فقد من تراث، لولا ما بقي من ذكر مضامين الكتاب، وإلى الله المشتكى.

قال الفقيه الكانوني رحمه الله :

وقد حدثني بعض فقهاء دكالة أنه اجتمع به[149] الفقيه العلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني الفاسي بدكالة، وصادف أيضاً فقهاء دكالة مجتمعين عليه، فلما اختبره، ورأى فهمه، وحفظه، قال :

لو أن السلطان بنى له مدرسة بـ«سيدي بنور» لاستغنى الناس به عن فاس ومصر.

وناهيك بها شهادة من مثله في علمه وورعه.

توفي هذا العالم الجهبذ أبو عثمان سعيد الدكالي رحمه الله بآسفي في العشرة الأولى من هذا القرن الهجري (القرن الرابع عشر).

- **سليمان الأعمى بن علي البوعزيزي** : جاء في فهرست بن عبد السلام السائح المسماة «لمحة بصر» لما تكلم عن الجديدة : وأذكر منهم الفقيه العلامة السيد سليمان بن علي البوعزيزي من ذرية سيدي عبد الله بن مسعود، وكان أعمى قوي الحافظة، فقيها، مفتياً، مطلعاً، متضلعاً من الآخذين عن الشيخ كَنون الكبير بفاس، اجتمعت معه بمنزلي ليلة، وذاكرته وفاوضته، توفي في 24 محرم من عام 1350هـ - 1931م[150].

- **أبو عثمان سعيد بن الهيبة البوعزيزي الدكالي.**

جاء في الجواهر :

الفقيه العلامة القاضي العدل الخطيب الفصيح، كان فقيها، جليلا، فاضلا، مدرساً، نبيها، كريم المائدة، كثير الجود، يجود بما وجد، هيناً، ليناً، لا يخاصم أحداً ديِّناً، تولى قضاء أولاد بوعزيز ثغر الجديدة، والخطابة بمسجدها الأعظم، فكان حسن السيرة لين العريكة، توفي رحمه الله عام 1343 بالجديدة[151].

---

(149) أي المترجم سعيد الدكالي.

(150) لمحة بصر على البلاد المقدسة ومعه كتاب الاتصال بالرجال، ص 79، تحقيق الدكتور محمد قرقزان، الرباط 1416، 1995، المغرب.

(151) جواهر الكمال، ج 2، ص 95، المرجع السابق.

- **سيدي التونسي بن مبارك الحسني** : العالم الفاضل مؤسس الزاوية التونسية بقبيلة العونات عام 1100هـ[152].

وقد قامت هذه الزاوية بإشعاع ثقافي كبير بلغ بالمولى سليمان العلوي رحمه الله أن يرسل إليها أولاده من أجل التعلم بها، كما كان يفعل المولى الحسن الأول بأولاده حين كان يرسلهم إلى مدرسة الشماعية بأحمر من أجل التعلم وإتقان الرماية آنذاك.

- **الشيخ أبو شعيب الدكالي** : وهو المعني بهذه الترجمة من أولها إلى آخرها، وكفى أرض دكالة فخراً أن يكون هذا الشيخ الإمام منتسباً إليها، وأخباره وآثاره ضمن هذا الكتاب.

- **الفقيه الفيلسوف محمد بن أحمد الرافعي** : الأزموري الجديدي، العالم المطلع المشارك في علوم الكتاب والسنة والفقه، وعلوم الأوائل، والتصوف وغيرها، وكان أكبر اهتمامه في ذلك علم الفلسفة، يحل معقدها، ويعرف ألغازها، وكان بعض فلاسفة الغرب يأتون إليه من أجل ذلك.

وكان في أغلب تحصيله للعلوم معتمداً على نفسه، فلم يشغله عن ذلك شاغل حتى إنه توفي رحمه الله ولم يتزوج لتلك الغاية الحميدة، فانضاف إلى قائمة العلماء العزاب[153].

وله كتابات وتعاليق على كثير من الكتب المعتمدة في العلوم ومجموعة رسائل إلا أن ذلك تفرق بين أيدي الناس ولم يبق منها إلا القليل.

توفي رحمه الله عام 1360، ودفن بمقبرة سيدي أحمد النخل بالجديدة[154].

- **القاضي أحمد بن التهامي المسناوي** : أصله من مسناوة بدائرة سيدي بنور إقليم الجديدة حيث ولد عام 1280هـ، درس بالقرويين، وتخرج منها عام 1306هـ، وتولى القضاء والتدريس من بعد، إلى أن توفي رحمه الله عام 1364هـ، بعد أن ترك عدداً من التلاميذ العلماء[155].

(152) كتاب المغرب، ص 151، للأستاذ الصديق بن العربي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 1404-1984.

(153) هناك تأليف في الموضوع لعبد الفتاح أبو غدة عنوانه «العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج».

(154) أعلام منطقة دكالة، المرجع السابق.

(155) المرجع السابق.

- **الفقيه العربي الناصري** : ينتهي نسبه إلى عائلة آل ناصر بتماكروت، ولد بدوار الخوالدة قرب خميس الزمامرة، درس ببلده، ثم التحق بجامعة ابن يوسف بمراكش حيث تخرج منها، ورجع إلى بلده فأنشأ مدرسة تنسب إليه إلى اليوم تدرس بها مختلف العلوم الشرعية، إلى أن توفي عام 1982م[156].

- **العالم الأديب عبد الرحمان الدكالي** : العالم ابن العالم شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، الحافظ، الواعية، الأديب، الشاعر، العارف بالسيرة النبوية تمام المعرفة، وبأيام العرب وأشعارها، المشارك في العلوم الإسلامية المختلفة، المولود بمكة، والمتوفى بالمدينة فضلا من الله وتكرماً، نشأ في أحضان والده، فاغترف من بحار علومه، ثم رحل إلى الديار المصرية ملتحقاً بدار العلوم، والجامعة المصرية، مع الحضور بالأزهر الشريف.

وبعد رجوعه إلى بلده، اشتغل بعدة وظائف سامية في الإدارة والقضاء، آخرها منصب المرشد العام للقوات المسلحة الملكية، ورئيس المجلس العلمي بمدينة الجديدة.

بالإضافة إلى ما قام به من تدريس لمختلف المعارف الإسلامية في كل من مدينة مراكش والرباط.

- **الحاج عبد الرحمان الزواوي الإدريسي بن عبد الله** : العالم المدرس، ولي الله الزاهد، كان يدرس طلبة العلم على نفقته، مهتما بشؤونهم، وأنشأ لهذه الغاية مدرسة بدوار الشخاشخة جماعة أولاد سي بويحي قيادة بني هلال بدائرة سيدي بنور.

نشأ الحاج الزواوي رحمه الله رجلا عصامياً في طلب العلم والأخذ عن شيوخه في مختلف المدارس والمعاهد العلمية في دكالة وخارجها. حيث درس ببلده متلقياً القرآن بالقراءات السبع على أغلب شيوخ هذا الفن، ثم درس بالزاوية التونسية بالعونات، والزاوية القاسمية بأولاد فرج، وتلقى القراءات العشر بمنطقة الغرب، ثم ختم دراسته هذه بالتوجه إلى مدينة فاس للأخذ عن علمائها بجامع القرويين وعلى رأسهم شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي، وسيدي المهدي الوزاني، وسيدي أحمد بن الخياط، وسيدي الحسين العراقي، وأبو الشتاء الصنهاجي.

---

(156) المرجع السابق.

وفي سنة 1933 نال شهادة العالمية، وعاد للتدريس بمسقط رأسه بدوار الشخاشخة المذكور آنفاً في مدرسته الخاصة إلى أن توفاه الله بتاريخ 12-12-1997، حيث تخرج على يديه العديد من طلبة العلم وحامليه[157].

- **القاضي بن فطومة** : من العلماء الأجلاء بدكالة بناحية سيدي بنور وهو من تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي[158].

- **العالم الفاضل سيدي سعيد الصقلي** بناحية مدينة الغربية[159].

- **العالم سيدي أحمد التباري** : عالم الجديدة، ذكره العلامة عبد الله الجراري في رحلته المراكشية أنه من تلاميذ الشيخ أبي شعيب الدكالي.

- **العالم القاضي أبو شعيب الرافعي** الملقب بـ(ابن العبادية)[160].

- **سيدي أحمد بن عباس التونسي** : من علماء الزاوية التونسية بالعونات وهو من تلاميذ الشيخ أبي شعيب الدكالي.

وبعد :

فقد جلبنا في هذا البحث الذي كتبناه عن عجل وسط أجواء مما ألم بي من مرض عجل الله بالشفاء، ومع ذلك حاولت تقديم نماذج منتقاة من علماء دكالة، وإلا فإن هناك العديد من هؤلاء الأعلام مما يتوقف على ذكرهم والتعريف بهم.

إذ بإطلالة على أقرب مرجع هو جواهر الكمال للكانوني العبدي رحمه الله يعطيك نظرة عن هؤلاء العلماء، الذين كانوا يعملون في خفاء.

ولم نورد علماء دكالة خارج بلدهم دكالة كمن وفدوا على مدينة مراكش، والرباط، وفاس وغيرها من مدن المغرب، مما ذكره أمثال مؤرخ مراكش إبراهيم بن عباس المراكشي في كتابه (الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام)، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني في كتابه (سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس)، وأحمد بن القاضي في كتابه (جذوة الاقتباس).

---

(157) ترجمة خاصة من أحد أبنائه بواسطة الأستاذ عبد الله شاكر أحد العلماء بالجديدة ومن تلاميذ الشيخ الزواوي.

(158) (159) مع الأسف لم نتمكن من ترجمتهما الوافية

(160) كان صديقاً للشيخ أبي شعيب الدكالي وكانت تحصل بينهما مراسلات علمية وأجوبة رحم الله الجميع.

وما ذكره مؤرخ الرباط الأستاذ عبد الله الجراري من أعلام دكاليين في كتابه عن أعلام العدوتين.

ناهيك عن هجرة علماء من دكالة إلى خارج الوطن كمصر، والشام، والعراق، والهند وغيرها من مدن المعمور مما ذكره العلامة محمد المنوني رحمه الله في بحثه المعنون : (دور أعلام من دكالة في ربط الصلات الثقافية بين المغرب وجهات من العالم الإسلامي)[161].

أهم المدارس والزوايا العلمية بدكالة :

من هذه المدارس والزوايا ما يلي :

1 - الزاوية التونسية :

أسسها سيدي التونسي بن مبارك الحسني الإدريسي عام 1100هـ[162].

ويوجد مقرها بقبيلة العونات، وقد تسلسل من هذه الزاوية علماء أعلام، وكانت تدرس بها متون العلم المختلفة، حتى اشتهرت في أنحاء المغرب، مما دعا ببعض ملوك الدولة العلوية الشريفة أن يرسلوا أبناءهم إليها من أجل الدراسة بها كالمولى سليمان العلوي.

وقد تفرعت عن هذه الزاوية مدارس خاصة متعددة، كلها بقبيلة العونات فمن ذلك :

- مدرسة الفقيه السيد التونسي فخدة أولاد علي.
- مدرسة السيد أبي بكر بن موسى بن الزوين.
- مدرسة الفقيه الطاهر بن يوسف.
- مدرسة الفقيه عبد الرحمان بن محمد التباع.
- مدرسة الفقيه السيد أحمد الرحايلي.
- مدرسة القاضي علي بن موسى بفخدة أولاد احميد.

---

(161) انظر دعوة الحق، 23 ذي الحجة 1405 - غشت 1985، العدد 251.

(162) كتاب المغرب، ص 151، المرجع السابق.

- مدرسة الفقيه سعيد بن العربي بأولاد علي.

- مدرسة الفقيه سيدي محمد بن أحمد بفخدة أولاد يوسف.

- مدرسة الفقيه السيد منصور بالغربية.

- مدرسة الفقيه التونسي بن الهاشمي بأولاد أفطيس فضلا عن تعدد المدارس الخاصة القرآنية بهذه الناحية[163].

2 - الزاوية القاسمية :

أسسها العالم الولي الصالح مولاي الطاهر القاسمي ويوجد مقرها بناحية أولاد فرج، وهي الآن تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

3 - زاوية المعاشات :

أهل المعاشات ينحدرون من الجد الأكبر سيدي علي امعاشو، دفين تافوغالت، وهي الآن بمكان يسمى أحد درى حيث يقام هناك سوق أسبوعي يوم الأحد ناحية الشياظمة بمدينة الصويرة الآن، وسيدي علي امعاشو هذا شريف إدريسي يلتقي نسبه مع أولاد بني السباع الشرفاء ولسيدي علي امعاشو أبناء ثمانية تفرقوا في أنحاء المغرب ومنهم أحد أبنائه وهو سيدي سعيد امعاشو على وادي أم الربيع حيث يوجد سد الماء المنسوب إليه وفوق أرض دكالة تفرعت السلالة المعاشية بكثرة، بحكم عامل الهجرة والانتقال، بل توجد فروع لها بأسفي، والشاوية، والصحراء، ومدن الشمال، وأزمور.

وتوجد زوايا علمية أربع تنسب للمعاشات بقبيلة أولاد بوعزيز بدكالة :

الأولى توجد بأولاد زليم.

والثانية توجد ما بين أولاد بوعزيز، وأولاد فرج.

والثالثة بأولاد ذويب قرب سوق الذويب وهي التي تنسب لسيدي محمد المعاشي.

والرابعة بدوار المعاشات تكَيارت ضمن جماعة مولاي عبد الله.

---

(163) انظر أعلام منطقة دكالة، لحريشي فتيحة، المرجع السابق.

والخامسة كانت توجد بناحية أزمور حيث توجد فرقة من المعاشات، وكانت تدرس فيها بعض العلوم[164].

4 - الزاوية السايسية :

تسمى هذه الزاوية بالسايسية نسبة إلى حصن سايس يوجد بمقربة منها، وهو حصن قديم ذكره لسان الدين ابن الخطيب في رحلته المسماة «نفاضة الجراب» حين مر به عام 761، وعن قرب من هذه الزاوية يقام سوق أسبوعي ينسب إلى الزاوية باسم (سبت سايس)[165].

وقد قام بأمر هذه الزاوية من الناحية التعليمية وغيرها شرفاء من آيت امغار وعلى رأسهم اسماعيل بن عبد السلام الأمغاري السايسي، وجماعة من الأحفاد من بعده.

وتوجد هذه الزاوية في رحاب قبيلة أولاد بوعزيز بدكالة.

5 - زاوية أولاد سي عبد الله بن مسعود :

جاء في جواهر الكمال عن أولية هذه الأسرة العلمية السوسية التي استقرت بدكالة ما يلي :

كان أول سكناهم بإذاوكنظيف ببلد هلالة من سوس، وجدهم سيدي مسعود قبره مشهور بإذاوكنظيف، وأول من رحل من أولاده إلى دكالة متطوعا بالجهاد سيدي عبد الله بن مسعود أواسط القرن الحادي عشر، فكان في صحبة سيدي اسماعيل القاسمي، واستقر أخيرا بأزمور حيث كان أبناؤه قائمين بمهمة الجهاد بالبريجة، وقد توفي هو بأزمور ودفن بروضة الشيخ أبي شعيب، ثم انتقل أولاده فاستقروا بأولاد أبي عزيز، حيث مقرهم الآن، وقد خلف أولاداً أربعة، سيدي محمد وسيدي أحمد وسيدي محمد، وسيدي عبد الرحمان، وكلهم خلفوا الذرية وعليهم قبة شهرت بالنسبة لأحدهم، وهو سيدي أحمد وتعرف ذريتهم الآن بأولاد السيد عبد الله بن مسعود، ولهم ظهائر من ملوك الدولة العلوية بالتعظيم والاحترام، رعيا لنسبهم الطاهر وسوابقهم في الجهاد[166].

---

(164) مدينة أزمور وضواحيها، ص 143، ترجمة وتعليق محمد الشياظمي.

(165) جواهر الكمال، ج 1، ص 80، الطبعة الجديدة، المرجع السابق.

(166) جواهر الكمال، ج 1، ص 63 وما يليها، الطبعة الجديدة.

ومن أعلام هذه الزاوية أبو العباس أحمد بن الحاج محمد المؤذن المسعودي، والعلامة سليمان الأعمى بن علي البوعزيزي.

وتوجد هذه الزاوية بين الزاوية السايسية وزاوية سيدي إسماعيل.

ووجود هذه الأسرة السوسية فوق أرض دكالة يؤكد الروابط الحميمة بين أهل سوس والأمازيغ الشرفاء وبين عرب أهل دكالة مما سنشير إليه من بعد.

6 - مدرسة أولاد بن الشاوي :

مؤسس هذه المدرسة الفقيه العلامة سيدي أحمد الشاوي، وتأسست في عهد السلطان الحسن الأول رحمه الله.

وتدرس بها أغلب العلوم الشرعية من عقائد، وفقه، وسيرة، وعلوم آلة، وينصب اهتمامها على علوم القرآن والقراءات.

تقع هذه المدرسة بدوار أولاد بن الشاوي بقبيلة الزمامرة، وتشرف عليها الآن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

7 - مدرسة مسناوة :

تأسست هذه المدرسة على يد الفقيه العالم السيد الحسن المسناوي عام 1303هـ.

وتدرس بها سائر العلوم الشرعية كسابقتها مدرسة أولاد ابن الشاوي من عقائد، وتفسير، وحديث، وفقه، ولغة الخ....

توجد هذه المدرسة الآن بدوار مسناوة قبيلة أولاد بوزرارة الجنوبية دائرة سيدي بنور إقليم الجديدة.

8 - مدرسة أولاد سي بويحي :

تأسست هذه المدرسة منذ القرن الثاني عشر، وتناوب على تسييرها علماء أفاضل آخرهم الحاج عبد الرحمن الزواوي رحمه الله.

وتقوم هذه المدرسة بتدريس العلوم الدينية المختلفة مع استقبال حفظة كتاب الله والقيام بشؤونهم من أكل وإيواء.

توجد هذه المدرسة بدوار الشخاشخة بأولاد بوززارة الشمالية، ناحية سيدي بنور إقليم الجديدة.

9 - المدرسة الناصرية :

تأسست هذه المدرسة على يد الفقيه العالم محمد بن الحسن الملقب بسيدي العربي.

وكانت في بدايتها مكونة من خيام، ثم أصبحت مشتملة على أبنية ومرافق لإلقاء الدروس العلمية، وأصبحت تابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

توجد هذه المدرسة بدوار الخوالدة فخدة أولاد سبيطة دائرة الزمامرة.

10 - زاوية سيدي غانم :

نسبة إلى سيدي غانم بن أحمد، الملقب بذي القبرين (بوقبرين).

11 - زاوية سيدي إبراهيم بن هلال :

نسبة إلى صاحبها إبراهيم بن هلال من رجال القرن السادس الهجري، ومن الذين ترجم لهم ابن الزيات التادلي في التشوف، ويوجد ضريحه على شاطئ البحر في طريق الوالدية.

12 - زاوية سيدي أحمد بن مبارك :

تنسب إلى سيدي أحمد بن مبارك بن عبد الرحمان الخنبوبي الركَراكَي، أصله من بلاد سوس، حيث ينحدر من شرفاء سملالة.

وتقع هذه الزاوية ضمن قبيلة أولاد بوعزيز.

13 - زاوية سيدي عبد الله بن يوسف :

سيدي عبد الله بن يوسف ينحدر من سلالة مولاي عبد السلام بن مشيش رحمه الله.

وتقع هذه الزاوية بأولاد غانم (أولاد زينة).

14 - الزاوية الحنصالية :

تنسب هذه الزاوية بدكالة إلى الشيخ أبي عثمان سعيد بن يوسف أحنصال نسبة إلى حنصالة، وهي قبيلة أمازيغية قريبة من جبل بني عتاب بأحواز تادلة.

وكان الشيخ أبو عثمان سعيد أحنصال هذا رجلا صالحاً ناسكاً رحالة جوالاً، جال في بقاع الأرض من أجل لقاء المشايخ حتى انتهى به المطاف إلى أرض دكالة فاستوطنها وترك بها ذريته إلى الآن على ساحل دكالة، حيث توجد الزاوية هناك بقبيلة أولاد بوعزيز ومازالت قائمة إلى الآن.

ومن جملة تلاميذة الشيخ أحنصال الفقيه العوني التونسي بن مبارك الدكالي صاحب الزاوية التونسية المذكورة من قبل.

وكان للشيخ أحنصال رحمه الله اهتمام بالقراءات العشر، وتلقين الأوراد بأسماء الله الحسنى.

وتوفي رحمة الله عليه عام 1113هـ[167].

15 - زاوية أولاد بن يفو :

نسبة إلى سيدي عبد العزيز بن يفو، وأخيه سيدي علي بن يفو الوافدين على دكالة من أحواز مراكش من قبيلة وريكة[168].

تقع هذه الزاوية بقبيلة أولاد عمرو في طريق الواليدية داخلياً.

16 - زاوية سيدي أحمد بن رحال :

تنسب هذه الزاوية إلى سيدي أحمد بن رحال السوسي أصله من سوس ثم استقر بأرض دكالة حيث أسس هذه الزاوية التي تشمل على مسجد ومدرسة للتدريس، وحفظ القرآن، ولا يعرف تاريخ قدومه إلى دكالة.

وتقع هذه الزاوية ضمن قبيلة أولاد سبيطة.

17 - زاوية سيدي بلعباس بن عمرو :

هذه الزاوية تقع بأولاد فرج، وصاحبها من شرفاء بني السباع.

---

(167) انظر جواهر الكمال، ج 2، ص 95، الطبعة الجديدة.

(168) قبائل المغرب، ص 132، لميشو بلير.

18 - زاوية أولاد جرار :

تقع هذه الزاوية ضمن قبيلة أولاد عمران، وأولاد جرار المنسوبة إليهم الزاوية ينحدرون من أولاد جرار بسوس.

19 - الزاوية الشرقاوية :

نسبة إلى سيدي محمد الشرقي بأبي الجعد، وتوجد زاويتان متفرعتان عنها بقبيلة أولاد فرج بدكالة، كما توجد بنفس القبيلة زاوية بركاوة تنتسب إلى سيدي أحمد البركة المنحدر من سيدي محمد الشرقي.

وختاماً لابد أن نشير هنا أن هذه المدارس والزوايا منها مما زال قائماً يؤدي عمله العلمي والتربوي، وهناك منها ما توقف، ومنها ما هو في طريق التوقف، مما يستدعي الاهتمام والعناية بها من أجل الإحياء والمواصلة، ولله من قبل ومن بعد.

وبعد :

هذه لمحات من تاريخ دكالة، آثرت فيها الإيجاز والتلميح بدل التفصيل اقتضاها التعريف على وجه الاجمال، وإلا فتاريخ دكالة تاريخ حافل يتوقف على البحث المتواصل التاريخي والعملي الميداني وعلى مراحل، للوقوف في عين المكان على ما تزخر به المنطقة من تراث وحقائق.

وهذه مهمة الباحثين الغيورين على المنطقة من أبنائها من أساتذة وطلبة العلم الذين ينشدون المعارف، ويبذلون قصارى جهودهم من أجل الوصول إليها.

وإن قدر الله سبحانه لي طول العمر بمشيئته، واصلت البحث والتنقيب من أجل هذه الغاية المحمودة، وهذا لا يمنع إن قام غيري بنفس العمل، فالوجهة واحدة، والخير له أبواب متعددة.

وفي نهاية هذه اللمحات، أدلي ببعض الملاحظات التي عنت لي عند هذا البحث.

الملاحظة الأولى : اهتمام أهل دكالة بالعلم بصفة عامة :

أول ما يذكر هنا اعتناء أهل دكالة بالقرآن وحفظه، وبالروايات السبع والعشر في المساجد، والمدارس، والزوايا، إذ قد يحفظه الطفل وهو ابن عشر سنين أو أقل.

ونظراً لاشتهار دكالة بحفظ كتاب الله حتى نعتت دكالة ببلد القرآن، وحتى كان الناس خارج المنطقة يرسلون أولادهم لحفظ القرآن في رحاب أرض دكالة، لما يتسم به هذا الحفظ من سرعة وإتقان، وقد رأينا فيما سبق أن المولى سليمان العلوي يرسل أولاده من أجل هذه الغاية وتلقين العلوم إلى الزاوية التونسية بالعونات.

كما كان طلبة العلم من دكالة يحفظون سائر المتون العلمية ويتباهون بمن يحفظ أكثر، وذلك منذ القديم وإلى الآن.

فقد كانت الزاوية الأمغارية قديماً تحفظ فيها المدونة الكبرى للإمام مالك من الرجال والنساء، ناهيك عن المتون الأخرى.

وامتازت دكالة في الأونة الأخيرة قبل الحماية، وبداية الاستقلال، وأما ما قبل فحدث عن البحر ولا حرج وذلك بحفظ مختصر خليل، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومتن ابن عاشر الذي كانت تحفظه العامة من أهل دكالة، والأجرومية، والألفية وغيرها.

وهذه مدرسة الصديكَات بلد الشيخ شعيب الدكالي كانت تعج بطلبة العلم من حفاظ المتون والقراءات السبع وشيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي منهم، وهي خير نموذج على ما كان عليه ذلك العهد الزاهر بالرغم من شظف العيش، وقساوة الحياة.

وأما التصنيف والكتابة فقليلة وإن وجدت فلم تحصل المحافظة على ذلك، نظراً لما عاشته المنطقة من فتن، وحروب، حيث فتنة برغواطة في القديم، وحروب البرتغاليين المتوالية وما تعرض له أهل دكالة من تقتيل، وتشريد، ناهيك عن الفتن الداخلية القبلية بعد دخول القبائل العربية، وكثرة التحول والانتقال، وعدم الاستقرار، والشعور بالأمان، حيث الهجوم الذي كان سائداً بين القبائل دون مراعاة لأخوة ولا ذمة.

وحتى البناء لم يكن متوفراً في بادية دكالة إذ كان البدوي يسكن الخيام التي تتم بالقصب والحطب، وأوبار الشعر وقل من كان يبني بالتراب والحجر، وكان أهل البادية تقيم معهم بهائمهم ودوابهم ضمن مساكنهم تلك خوفا عليها من السرقة والهجوم عليها ليلا أو نهاراً.

وزادت الفتن اشتعالا بعد موت المولى الحسن الأول رحمه الله وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الاستعمار.

كل ذلك كان لا يدعو إلى الأمن، ولا إلى التفرغ للعلم والكتابة.

ومع ذلك، ومما يحمد للدكاليين أنهم بالرغم من هذه المعوقات، والمثبطات، وقلة الموارد، وعدم المساعد، لم يهملوا الأسس، والأصول في دينهم، ودنياهم، فقد حافظوا على حفظ القرآن وتلاوته، والثوابت من شعائر الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصيام.

وحافظوا على أمر الجهاد والدفاع عن أرضهم ودينهم من كيد الأعداء والكفار.

وإن الدكالي إذا توفرت الوسائل المادية، وأتيح له الأمن والاستقرار، درس، وعلم، وأنتج، وألف.

فقد انتقل دكاليون إلى أنحاء المغرب بل وإلى المشرق، فكان منهم علماء، وأدباء، وخطباء، وقضاة، وإداريون.

فهذا المؤرخ العالم علي الدكالي السلوي كتب، وألف، ودرس بمدينة سلا ما شاء الله أن يفعل، وهو دكالي الأصل من أولاد فرج.

وهذا شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي تولى القضاء، والوزارة، ودرس ما شاء الله أن يدرس ناهيك ما قام به في المشرق في رحاب الأزهر بمصر، وفي رحاب الحرمين بأرض الحجاز.

وأسرة ابن إبراهيم الدكالي المشترائي التي حملت مشعل العلم والتدريس منذ عهد المرينيين إلى عهد قريب في رحاب جامع القرويين بفاس.

ناهيك عما ترجم له من علماء أعلام دكاليين صاحب الإعلام المراكشي، وابن القاضي في الجذوة، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني في السلوة، وغيرهم.

الملاحظة الثانية : امتزاج العنصر الأمازيغي مع عرب دكالة في القديم والحديث :

لقد كانت أرض دكالة مهد الأمازيغ قديما، وقد رأينا منهم فوق أرضها أولياء صالحين، وعلماء ورعين، قاموا بنشر ألوية الإسلام، وبنود العرفان على هذه الربوع المباركة، ومازالت مقابرهم ومدافنهم ماثلة للعيان إلى الآن.

ولما دخلت القبائل العربية إلى أرض دكالة حصل هناك تآلف وأخوة بين هذه القبائل وإخوانهم الأمازيغ الباقين فوق هذه البلاد.

وازدادت هذه الروابط عبر السنين والأعوام وإلى الآن، فلم تكن أرض دكالة لتضيق بالأهالي الأمازيغ، ولم يكن أهل دكالة ينظرون إليهم نظرة الغريب.

وهذا ما لاحظته عن كثب بقبيلة أولاد بوعزيز، حيث هناك أناس جاءوا من بلاد سوس، واستوطنوا الدواوير هناك مع عرب دكالة، ومنهم فقهاء، وحفظة للقرآن يعلمون أطفال تلك الدواوير كتاب الله ومبادئ الإسلام، ناهيك عمن تزوج منهم من نساء دكاليات واستقر نهائياً بهذه المنطقة بعد أن أنجب ذرية امتزجت بأبنائها وأهلها، وهناك من اشتغل بالفلاحة والتجارة.

ولاشك أنه توجد في بلاد سوس الشاسعة أسر عربية اندمجت مع أهل سوس، وكونت أصلا واحداً، وفي علمي أن علامة سوس محمد المختار السوسي رحمه الله كتب في موضوع الأسر العربية بسوس لايزال مخطوطاً.

كما وجد فوق أرض دكالة في مختلف قبائلها ودواويرها أولياء صالحون، وعلماء أفذاذ أمازيغ في الآونة الأخيرة من تاريخ دكالة، ثم ما كان من زوايا ومدارس علمية أسسها رجال أمازيغ في هذه المنطقة.

ونسوق أمثلة ونماذج على ذلك :

- **الولي الصالح سيدي أحمد بن رحال** : يوجد قبره بأولاد سبيطة بدكالة أصله من سوس[169].

- **سيدي محمد السوسي** : قبره بناحية القواسم[170].

- **سيد محمد الفحل بن محمد بن يحي** : أصله من سوس المتوفى عام 1138هـ قبره بناحية القواسم[171].

---

(169) مدن وقبائل المغرب (دكالة)، ص 133، المرجع السابق.

(170) المرجع السابق، ص 142.

(171) المرجع السابق، ص 143.

- **سيدي أحمد بن عبد السلام** : أصله من سوس (سيكسوة) يوجد قبره بقبيلة أولاد عمرو[172].

- **سيدي مَحمد أوغراب** : أصله من سوس وقبره يوجد بقبيلة أولاد عمرو[173].

- **سيدي محمد الشلح بن إبراهيم بن حيدة** : أصله من سوس المتوفى عام 935هـ، يوجد قبره بالسراحنة بأولاد حسين بدكالة[174].

وغيرهم كثير.

وممن أسسوا مدارس وزوايا، وقد جاءوا مهاجرين من بلاد سوس، وغيرها من بلاد الأمازيغ إلى أرض دكالة.

نذكر منهم :

- **أولاد سيدي عبد اللّٰه بن مسعود** : حيث جاء جدهم سيدي عبد الله بن مسعود إلى أرض دكالة أواسط القرن الحادي عشر الهجري.

وأصلهم من إدّاوكنظيف ببلد هلالة من سوس، وجدهم الأكبر سيدي مسعود.

وكان سيدي عبد الله بن مسعود مصاحباً لسيدي اسماعيل القاسمي صاحب الزاوية في الحركة الجهادية ضد البرتغال، واستقر سيدي عبد الله بن مسعود بمدينة أزمور، حيث كان أبناؤه قائمين بأمر الجهاد بالبريجة، ولما توفي بنفس المدينة، انتقل أبناؤه إلى قبيلة أولاد بوعزيز قرب الجديدة حيث توجد زاويتهم هناك إلى الآن[175].

- **الولي الصالح سيدي سعيد يوسف أحنصال** : أصله من جبل بني عتاب بأحواز تادلة، وكان رجلاً صالحاً، رحالة، جوالا، عالما مشاركاً، له معرفة بالقراءات العشر، وبأسماء الله الحسنى يلقنها للناس، ويحض على الابتهال بها.

---

(172) المرجع السابق، ص 147.

(173) المرجع السابق، ص 147.

(174) المرجع السابق، ص 157.

(175) جواهر الكمال، ج 1، ص 63 وما يليها، الطبعة الجديدة.

استقر بقبيلة أولاد بوعزيز بدكالة على مقربة من ساحل البحر، ومازالت ذريته إلى الآن بنفس الموطن، حيث زاويتهم هناك المسماة (بزاوية حنصالة).

توفي سيدي سعيد أحنصال عام 1113هـ[176].

وقد جلبنا هذه النماذج من أولياء وعلماء أمازيغ فوق أرض دكالة، للتدليل على أنه لا فرق بين عرب وأمازيغ فوق ربوع هذا الوطن، وأن المغاربة أمة واحدة، دينها واحد، وربها سبحانه واحد، ونبيها واحد، وكتابها القرآن الكريم واحد، مما يجب أن يسود الإخاء والوئام بين الجميع حتى يؤدي كل واحد ما عليه تجاه هذا الوطن.

الملاحظة الثالثة : إحياء تراث دكالة :

إنه من المؤسف أن نجد باحثين أجانب اهتموا بالمنطقة، وعرفوا بها، وتتبعوا جزئيات تاريخها، وأشخاصها، ودواويرها، وأضرحتها، وأوليائها، وعلمائها، وقبائلها الخ... وذلك كمثل السيد ميشو بلير الفرنسي : M. Michaux Bellaire، في بحثه عن دكالة ضمن كتاب مدن وقبائل المغرب الذي طبع بباريز عام 1932، وغيره كثير من الباحثين الأوربيين.

ولا نجد مثل هذا الاهتمام، والبحث المتكامل عند المغاربة، ولاسيما أبناء المنطقة.

ولذلك وجب إحياء تراث دكالة بالتعريف الشامل بتاريخها عبر العصور مهما أمكن، وبقبائلها، لا في العهد الأمازيغي ولا العربي، وبأعلامها، ومآثرها، ومدنها القديمة، والمعاصرة وما اندثر منها، وما كان ومازال قائما من زوايا ومدارس علمية، ومساجد، ناهيك عن الناحية العمرانية والاقتصادية وغير ذلك من الجوانب.

وإن ما كتب من بحوث ودراسات إلى حد الآن في رحاب كلية الآداب شعبة التاريخ والجغرافية حول المنطقة جدير بالاهتمام وذلك بتكوين لجنة في هذا المجال يشرف عليها أساتذة متخصصون في الفن لتنقيح وتهذيب كل ذلك، ويجمع ويطبع

---

(176) جواهر الكمال، ج 2، ص 95، الطبعة الجديدة.

ويخرج إلى الساحة الثقافية، بالإضافة إلى تنظيم ندوات تعريفية خاصة وجهوية حتى يتمكن الناس من الاطلاع عن كثب على مآثر أجدادهم وخفايا تراثهم، وبالله التوفيق.

المطلب الثاني
التعريف ببلد الشيخ على الخصوص

ينتمي الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله إلى قبيلة أولاد عمرو إحدى القبائل العربية في دكالة.

ويحد قبيلة أولاد عمرو قبيلة أولاد بوعزيز، وأولاد بوزرارة، وأولاد عمران، وقبيلة عبدة التابعة الآن لإقليم آسفي، حيث تقع قبيلة أولاد عمرو في الوسط، حسب التقسيم الإداري القديم.

ويتفرع عن قبيلة أولاد عمرو فرعان كبيران هما : دائرة الغربية، ودائرة الغنادرة.

ودائرة الغربية تشمل الوالدية، ومدينة الغربية بلد الشيخ، وأولاد سبيطة.

ودائرة الغنادرة تشمل بني يخلف، والزمامرة، والغنادرة، وأولاد ربيعة، وأولاد بوزيد.

مع ملاحظة أن هذا التقسيم لحقه التغيير، والتحويل ولاسيما في العصور المتأخرة، ولكن يبقى الموقع والأجواء العامة لقبيلة أولاد عمرو بارزة كما كانت في القديم.

وإذا رجعنا إلى المكان الذي ولد فيه الشيخ ونشأ في طفولته نجد ذلك حصل في دوار الصديكَات الذي يقترب من مدينة الغربية القديمة المسماة بمشتراية، حيث لا يبعد عنها إلا بثلاثة كلمترات تقريباً، كما أنه لا يبعد إلا بكلمتر تقريباً من سوق اثنين الغربية.

ولا يبعد عن زاوية ابن يفو إلا ببضعة كلمترات.

ففي هذا الدوار المبارك نشأ الشيخ وترعرع في رحاب مدينة الغربية، وفي ربوع قبيلة أولاد عمرو، حيث كان في دوار الصديكَات مدرسة قائمة الذات يدرس فيها القرآن بالقراءات السبع، والعلوم الشرعية الأخرى، وكانت أسرة الشيخ كلها تشتغل بالعلم والتعليم، وراثة أب عن جد.

وفي ظل هذه المدرسة تلقى الشيخ العلوم الشرعية الأولى على يد شيوخه من أعمامه، وأسرته العالمة قبل أن ينتقل إلى متابعة الأخذ والطلب في مدارس أخرى خارج بلده.

وكانت الرحلة الميمونة للشيخ - وهو آنذاك في مرحلة الطلب الأولى - إلى مراكش في عهد السلطان الجليل المولى الحسن الأول، كانت تلك الرحلة له سبباً للرقي في مدارج المجد، والرفعة، فكان من أمره ما كان مما سوف نراه في حياته العامة إن شاء الله فيما بعد.

وفي عهد الشيخ كانت أرض دكالة تعج بالمدارس القرآنية والعلمية، وكان الناس يتنافسون في تلقي العلوم عامة، ويتبارون في حفظها، وتلقيها، ومعرفتها، فكان هناك جو مفعم بنفحات العلم، وأشواقه، حتى إذا ذهب ذلك الجيل، جاء التباطؤ والتكاسل، ولكل أمر أسبابه، فما بالك الآن، فلا تسمع إلا همساً.

وقد زرت الدوار المذكور عام 1997م، فلما توسطت فناء الدوار ترآت لي واجهة دار كبيرة عليها نقوش على الحجر من جنس البناء القديم، يحيط بها أشجار، ونبات الصبار، ثم قابلني مسجدان أحدهما خلفي فيه كان يدرس الشيخ أيام الطلب والآخر أمامي بناه ابنه البار الأستاذ عبد الرحمان الدكالي رحمه الله.

فحصل لي ما حصل للأستاذ الأديب محمد المختار السوسي وهو من تلاميذ الشيخ - حين زار موطن الشيخ بدوار الصديكَات - أن قال :

في سنة 1355هـ سافرت إلى الصديكَات بدكالة فنزلت في القرية التي نشأ بها الشيخ فوقفت على الأكواخ التي كانت أول أرض مس جلده ترابها، وقد بنيت أبيات قليلة بدوية في الساحة وفي مدخلها الخارجي باب مقدس.

فتذكرت ما كان قاله يعقوب المنصور حين مر بالقرية التي آوى إليها ابن حزم بعد أن طرده الاضطهاد من متعصبي الفقهاء، وأعوانهم من مستبدي الأمراء من

قصور قرطبة، فالتفت إلى من معه في موكبه وقال من يحسب الآن وهو ينظر إلى هذه القرية الضئيلة أن ابن حزم العظيم كان يسكن هذه القرية.

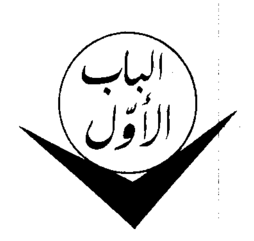
فقلت أنا (القائل هنا محمد المختار السوسي) : ها هو ذا مسقط رأس الشيخ شعيب ومن ذا الذي يحسب حينئذ من النساء البدويات التي يتداولنه في فجر حياته، أنه يستكشف عن أعظم عالم محظوظ في علمه، وفي دنياه ؟ حتى يعد الإنسان نفسه مجيداً إن كان له به اتصال[177] والدوام لله وحده.

وأنا أقول :

فمن كان يدري أن يخرج من هذا الدوار عالم كبير بلغ ذكره المشرق والمغرب، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فقد خرج سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ من بين ثنيات أحجار مكة وشعابها، وهو أعظم مخلوق على وجه الأرض، خصه الله بشرف النبوة، وفضل العلم، وكرم الطباع، والعبرة بالأعمال والآثار، لا بالمباني والأحجار.

---

(177) ترجمة محمد المختار السوسي لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، ص 4.



الشيخ أبو شعيب الدكالي وجهوده في العلم والإصلاح والوطنية

تمهيد :

الشيخ أبو شعيب الدكالي هبة ربانية، جاء على قدر في زمانه، فألهمه وتولاه الله سبحانه بالتوفيق في صغره، لترنو عيناه، وتطمح نفسه الكريمة إلى تحصيل العلم والغوص على جواهره ولوامع درره، فبدأ بحفظ متون العلوم التي طواها له العليم الخبير في وقت قصير بالنظر إلى أمثاله في سنه، ثم حالفه السعد في ريعان الشباب فحصل من أسرار العلوم، ولواقح الفهوم، ما كان أثره لائحاً عليه في مرحلة عطائه في كبره، ولا غرابة في ذلك فالمنح إلاهية، والمواهب لدنية.

وقبل - أن نتكلم عن جهوده المباركة، ومساعيه الموفقة في نشر العلم والتعليم، والتبليغ والتفهيم، والقيام بالإصلاح بالجنان، واللسان، والأركان، وما كان له من بث الروح الوطنية الحق النابعة من الشجرة المباركة الوارفة الظلال لكتاب الله عز وجل، وسنة الرسول الأكرم ﷺ مما غرس بذره في النفوس، وتعهد ذلك البذر بالسقي والرعاية حتى أثمر ثماره الطيبة في القلوب - قبل أن نبين هذه المناحي الجليلة من أعمال شيخ الإسلام، وقدوة الأنام، يجمل بنا أن نعرف بحياة هذا الجهبذ النحرير، العالم الأصيل، الذي هو بكل إجلال وتقدير جدير.

وسينطوي هذا الباب على ما يلي :

الفصل الأول : حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي العامة.

الفصل الثاني : جهود شيخ الإسلام في العلم، والإصلاح، والوطنية.

الفصل الأول

حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي العامة

تمهيد :

هو أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي[1] الصديقي[2] المكي[3] الملقب بأبي زيد وبأبي مدين، المولود يوم الخامس والعشرين (25) من ذي القعدة عام خمسة وتسعين ومائتين وألف 1295 (الموافق لـ20 أكتوبر سنة 1878)، في بيت اشتهر بالعلم والصلاح، ابتداء من أبيه عبد الرحمن، وجده عبد العزيز، وعميه أبي شعيب، ومحمد، وابن عم أبيه سيدي عبد الرحمن بن الفقيه الصديقي، وابني عمه سيدي محمد بن عزوز، وسيدي الطاهر بن حمو الذي كان قاضياً بمدينة مراكش.

---

(1) نسبة إلى دكالة.

(2) نسبة إلى دوار الصديقات.

(3) لأنه جاور بمكة حين ذهب إليها من مصر.

والتسمية بأبي شعيب في ناحية دكالة لها اعتبار خاص، إذ يعد ذلك تبركا واهتداء بالولي الصالح «أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي» المعروف بمولاي بوشعيب عند العامة وهو من أولياء القرن السادس الهجري ترجم له صاحب التشوف، ص 187، تحقيق د. أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط، ط 2، عام 1997.

ولا غضاضة في ذلك فالمسلمون من كل جيل وعصر يكثرون من التسمية باسم سيدنا محمد ﷺ لأنه اسم محبوب لدى كل القلوب، ومن ذلك أسماء الصالحين من هذه الأمة، وكذلك يكثر في ناحية دكالة اسم «عبد الله» تبركاً باسم الولي الصالح «أبو عبد الله المعروف بابن امغار» ولدى العامة مولاي عبد الله آيت أمغار وهو معاصر لأبي شعيب الولي المتقدم، ترجم له صاحب التشوف، ص 209، المرجع السابق.

وفي فاس وغيرها يكثر اسم إدريس تيمناً بمولاي إدريس الأب والابن، إذ لاشك في البركات والأعمال الصالحات التي حصلت للمغرب على أيديهما رضي الله عنهما، وفي ناحية الغرب يسمون باسم الولي الصالح مولاي بوسلهام، وهكذا دواليك في كل ناحية وصقع.

وشعيب اسم نبي من أنبياء الله الصالحين، وهو من العرب كهود، وصالح، وسيدنا محمد ﷺ أجمعين يجمعهم رمز (شهصم)، وقد ورد اسم شعيب في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وقصته مذكورة في كتاب الله ضمن قصص أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

وقبل أن نستعرض أطوار حياته بتفصيل نتقدم بين يدي ترجمته بما كتبه رحمه الله بيده المباركة بقوله :

أصلي من أولاد عمرو الغربية، وهي فرقة من قبيلة دكالة، بدوار يسمى بالصديقات قرب المدينة المعروفة بمدينة «مشترابة»[4].

واعلم أيها الفاضل السائل عن نشأتي وتطوراتي أصلح الله حالي وحالك، وبرر قالي وقالك[5]، أن جدي سيدي عبد العزيز بن الصديقي، كان له ربيبة، وكان يحبها كبناته الكثيرات، ورغب من أولاده، وأولاد أخيه أن يتزوجوها، فأبوا عليه، فعرضها على والدي أخيراً، وقال له : تزوجها ولك أريري (مزرعة لنا) نحلة[6]، وقال : اخترت النحلة، لأنها لا تحتاج إلى حوز، فقال : تزوجتها ونحلتي رضاك، فقال : الأرض والرضا نحلة لك، وستلد لك ما أذكر به أنا وأنت.

فتزوجها فولد أولاداً قبلي ثم حملت بي بعد موت الجد المذكور، فرغب أعمامي أبي أن يتزوج عليها، فساعدهم، ولكن في ليلة دخوله رأى في المنام أن أحد أعمامي يسمى أبا شعيب وكان علامة وأستاذاً أهداه صينية حمراء فيها كؤوس من الزجاج، وكأس من الذهب، وصينة أخرى من فضة، فقال له : ما هذا الرمز ؟ فقال: أما الصينية الحمراء فهي ربيبة أبيها[7]، والكؤوس أولادها، وكأس الذهب منها هو المولود الذي سيولد لك فسمه باسمي، وأما الصينية الفضية فهي بنت عمنا ولا تلد لك.

ولما استيقظ وجدني ولدت في تلك الليلة فسماني : أبا شعيب، والرؤيا تسر، ولا تضر، وفرح بي كثيراً، وفعلا ولدت أمي عدد الكؤوس، ولم تلد بنت عمه.

وكانت ولادتي يوم الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 1295هـ[8]، ولما وصلت إلى سن التعلم أخذ لي فقيها بخصوصي، وكان يقول له : إنه دعوة والدي، ومصداق رؤياي.

---

(4) سبق التعريف بها.

(5) القال هنا بمعنى القول واللفظ، وهو مصدر كالقول.

(6) النحلة بمعنى العطية وهي لا تتوقف على الاشهاد بالحوز والحيازة بخلاف الصدقة مثلا.

(7) هكذا ورد في كتاب بخط الشيخ رحمه الله، وفي نسخة أخرى لتلميذه الأستاذ جعفر بن أحمد الناصري: بدل «فهي ربيبة أبيها» : «هي الزوجة الأولى».

(8) الموافق (20 أكتوبر سنة 1878) على خلاف ما جاء في ترجمة السيد الحاج عبد الله ابن الشيخ مما أورده الأستاذ محمد بن عمر بن سودة في تاريخ قبيلة زعير، ج 2، ص 221، من أن الشيخ أبا شعيب ولد عام 1293هـ، وقد رجحنا تاريخ ولادته عام 1295 بما كتبه الشيخ بيده في ترجمته، وما ذكره ابنه الأستاذ العلامة عبد الرحمن الدكالي في ترجمته لأبيه.

فحفظت القرآن إلا خمسة أجزاء قبل أن يموت، وتوفي رحمه الله عام المائة (1300)[9].

ثم حفظت القراءات السبع عن شيخي المذكور وهو السيد محمد بن المعاشي، وهو معلم أولادي من بعدي، ومات ونحن بالرباط قبل ثلاثة أعوام، ثم أخذت العلم عن عمي سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي الذي كفلني بعد موت والدي، وعن ولد عمي سيدي عبد الرحمان بن الفقيه الصديقي، وعن ولد عمي سيدي محمد ابن عزوز، وعن ولد عمي سيدي الطاهر قاضي مراكش أخيراً، وكلهم كانوا من أهل العلم والصلاح والمروءة، كما أخذت عن الفقيه السيد الطاهر بن قدور الغربي الدكالي.

وإن عائلتنا تأبى أن تدعي نسباً، وربما ضربوا صغارهم على ادعائه، وجلهم يحفظ الحكم العطائية.

ولما كانت سنة ثمانية وثلاثمائة وألف (1308) (1891) دعا السلطان مولاي الحسن (الأول) من يحفظ مختصر الشيخ خليل لأجل الاختبار، فحضرت كغيري لمراكش، فاختبر الناس، فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي[10]، ثم قال لي : هل تحفظ القرآن ؟، فقلت : نعم بالروايات السبع، فأحضر من يعرفها، وقالوا لي : اقرأ، فقرأت : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن﴾ بالقراءات، فظن الوزير أني عنيت ذلك، وأن الرحمن علمني مع الصغر، ثم أدخلت على السلطان مولاي الحسن، فقال لي : اعرب (الرمان حلو حامض) فأعربتها، فقال لي : أنت فقيه ولست بنحوي، فقلت أنا أعلم بالنحو مني بالفقه، ولكنه بمنزلة قول الشاعر :

---

(9) الموافق لسنة 1883م.

(10) العالم الفقيه شيخ المولى الحسن الأول، وكاتبه، ومؤرخه تولى في عهده وزارة الشكايات (وزارة العدل حاليا) وفي صدر الدولة العزيزية أيضاً توفي عام (1316هـ - 1898م)، انظر الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 9، ص 262 وما يليها، وفواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، ص 91، لمحمد غريط، المطبعة الجديدة بفاس، ط 1، عام 1346، وانظر الأعلام، ج 5، ص 18، لخير الدين الزركلي.

يـــداك يـــد في الـــورى خيرهـــا وأخـــرى لأعـــدائـــهـــا غـــائـــظـــة[11]

فتعنت علي بعض الحاضرين وقال : زد إيضاحاً لسيدنا، فقلت وقصدته : هو بمنزلة ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾[12] فضحك السلطان كثيراً، وأمر لي بصلتين، وكسوتين، ولايزال توقيعه بهما عندنا ونصه : «يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه، وكبر فنه».

ثم بعد هذا كله رحلت إلى الريف في خبر طويل، ثم إلى مصر عام 1314هـ (1896 - 1897م)، فأخذت عن الشيخ علي البولاقي، والشيخ علي الصالحي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ محمد الطيمومي. والشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، والشيخ دسوقي عربي، والشيخ محمد محمود الشنقيطي في آخرين كثيرين.

وأجازني الكثير لما جاورت بمكة من وفود الله من أهل اليمن، وأهل الشام، وأهل العراق، وأهل الهند[13].

من خلال هذه النبذة المباركة التي خطتها يمين شيخ الإسلام رحمه الله، ومن غيرها ممن ترجموا له، نستفيد مراحل الدراسة التي مر بها، وهي تنقسم إلى مرحلتين، مرحلة دراسته بالمغرب، ومرحلة دراسته بالمشرق، مع بعض المستفادات من ترجمة الشيخ أبي شعيب لنفسه، ثم ذهابه إلى أرض الحجاز، ورجوعه من بعد إلى أرض الوطن (المغرب) ليواصل أثره العلمي والإصلاحي والوطني، مما سوف نتناوله ضمن المباحث الآتية :

المبحث الأول : دراسة الشيخ أبي شعيب بالمغرب.

المبحث الثاني : دراسة الشيخ أبي شعيب بالمشرق.

---

(11) وردت رواية هذا البيت في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام هكذا :

يـــداك يـــد خيرهـــا يُـــرتجى وأخـــرى لأعـــدائـــهـــا غـــائـــظـــة

وهو المطابق لما في حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية، ج 1، ص 223، دار إحياء الكتب العربية بمصر، دون تاريخ.

وجاء في شرح عدة السالك لأوضح المسالك، ج 1، ص 228 لمحمد محي الدين عبد الحميد، ط 5، عام 1386 - 1967، مطبعة السعادة بمصر : أن البيت المذكور (يداك يد خيرها يرتجى إلخ... من المتقارب وقد نسب قوم هذا البيت إلى طرفة بن العبد، وأنه لم يثبت، ونقل عن العيني أنه أنشده الخليل، وما قيل إنه لطرفة لم يثبت.

(12) من الآية 39 من سورة الأنعام، وقد وردت هذه الآية أيضاً في متن أوضح المسالك لابن هشام.

(13) هذه الترجمة منقولة من كتاب بخط الشيخ أبي شعيب بنفسه رحمه الله.

المبحث الثالث : الشيخ أبو شعيب في رحاب أرض الحجاز.

المبحث الرابع : عودة الشيخ أبي شعيب من المشرق إلى المغرب.

المبحث الأول

دراسة الشيخ أبي شعيب الدكالي بالمغرب

هذه الدراسة تشتمل على ما قرأه ببلده «الصديقات» بمساعدة شيوخ الأسرة الأجلاء، وعلى ما درسه في رحلاته داخل المغرب.

أولا : دراسته بموطنه الأصلي :

كانت بمنطقة الصديقات - بلد الشيخ - مدرسة قائمة الذات يطلق عليها زاوية الفقيه ابن الصديقي يقصدها طلبة العلم من كل قبائل دكالة، وكانت هذه المدرسة مشهورة بتعليم العلم، والقراءات القرآنية، وإطعام الطعام، وإيواء المغتربين في طلب العلم، وكان رئيس هذه المدرسة العالم سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي عم الشيخ أبي شعيب الدكالي[14].

وفي هذه المدرسة حفظ كتاب الله إلا خمسة أجزاء وهو في سن الخامسة من عمره قبل وفاة والده رحمه الله، وما كاد يصل سن العاشرة حتى استظهر القرآن الكريم كله بالقراءات السبع، وتفرغ لحفظ مختصر خليل وسائر متون الفقه واللغة الأخرى.

وكان المشرف على استظهاره وحفظه في هذه المرحلة هو عمه آنف الذكر سيدي محمد بن عبد العزيز، إذ كان يخصص له وقتاً لسماع ما حفظه في يومه من القرآن الكريم، وكان رحمه الله شديداً في تربيته، فلم يترك له فرصة تضيع من عمره.

قال الأستاذ عبد الرحمن الدكالي ابن الشيخ رحمه الله :

---

(14) الترجمة الخاصة لولده الأستاذ العالم عبد الرحمن الدكالي رحمه الله.

وقد حكى لي والدي رحمه الله أنه فر ذات يوم من أستاذه الذي ضربه(15) بلوح من الخشب وكانت آثار ذلك اللوح لاتزال تحت حاجبه الأيسر حتى فارق الحياة، وأن عمه قال له في قسوة كبيرة إذا قتله لا أؤاخذه، ولكنه ذهب إلى دوار بجانب دوار الصديقات يقال له دوار «الزرك»، فوجد نسخة من الألفية، ألفية ابن مالك فحفظها في مدة غيابه التي كانت عشرة أيام، ولما رجع إلى مقره، وتسلل حتى اتصل بوالدته رحمها الله وأعطاها نسخة الألفية، وقال لها اذهبي بها إلى عمي وقولي له : إذا أنا أمليتها عليه من حفظي هل تكون لي شفيعاً عنده حتى لا يضربني، وذهبت أمه عند العم الذي كان مهاباً، وقالت له - بعد أن قبلت يده - : إن ولدي جاء ليعرض عليك هذا الكتاب الذي حفظه، فهل تسامحه ؟ فقال : نعم، مائة بيت من ألفية ابن مالك في اليوم شفاعة مقبولة !

وحضر أمامه وأملى عليه ألفية ابن مالك ولم يتلعثم في بيت واحد منها، فقال : لابأس إن عدت مرة أخرى إلى الهرب زجرتك.

ومن هنا ابتدأ العم يأمر تلميذه ابن أخيه أن يكتب في اليوم في اللوح أبياتاً من الألفية ليشققها له، ويشرح معانيها بين السطور، والتشقيق لفظة عربية لأنه يقال كما في القاموس (شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج).

ومن عادة التلميذ أن يحفظ المتن وما شقق له به، وفعلا كان التلميذ يحفظ اللوحة المكتوبة بكل ما فيها، وهذه عادة كان والدي يفعلها معنا في طفولتنا ونحن في الكتاب.

(15) أستاذه هذا هو محمد بن المعاشي، وأن سبب الضرب في ذلك هو أن التلميذ أبا شعيب كان ذات يوم يقرأ سورة «طه» فلما وصل إلى قوله تعالى : ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾ طه 13، قرأها : وإنا اخترتك.

وأن عمه الأستاذ محمد بن عبد العزيز قال له : لو قرأت العربية الفصحى النحو وتوابعه لما وقع لك هذا الخطأ الفاحش، وغداً سأفتح معك ألفية ابن مالك بشرح عقيل لأن «أنا» توافقها اخترتك، وإنا توافقها اخترناك، وظهرت عليه بركة هذا الأمر بعد ذلك فتلقى النحو وغيره من الفنون ببلاده حتى إنه كان يحفظ لكل بيت من ألفية ابن مالك عشرة شواهد عليه من شعر العرب الذي يحتج به عند أربابه، من عشر قصائد يعرف قائلها ومن قيلت فيه كما كان يحفظ الشيء الكثير من النثر خطباً وحكما ووصايا عربية خالصة لتتمكن نفسه من التطبع بالعربية السليقية، وفعلا تمكن من كل ما رامه.

انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 221 وما بعدها.

وما كاد يتم الثانية عشرة من عمره حتى حفظ القرآن بالقراءات السبع، ومتن الشاطبية في القراءات، وحفظ مختصر خليل، وألفية ابن مالك، وتحفة ابن عاصم، وتوضيح ابن هشام، والمرشد المعين، ورسالة ابن أبي زيد، وتلخيص المفتاح، واستحضر كثيراً من الشعر الجاهلي ومنها المعلقات السبع، وحصل على نصيب وافر من علم النحو والصرف وغيرها من علوم الآلة[16].

وفي سن الثالثة عشرة من حياته كان ذهاب أبي شعيب الدكالي إلى مدينة مراكش بناء على دعوة السلطان المولى الحسن الأول لحضور اختبار مختصر الشيخ خليل[17]، كما ورد في الترجمة الخاصة للشيخ مما مهدنا به هذا الفصل.

ومما يسجل هنا من خلال ترجمته لنفسه أن أسرة الشيخ أبي شعيب لم تكن تدعي نسباً يمت إلى الشرف.

كما أن جلهم كان يحفظ الحكم العطائية لابن عطاء الله الاسكندري وناهيك بهذه الحكم التي اشتملت على خالص التوحيد، وزبدة التصوف المبني على نكران الذات، والتربية بالقناعة والزهد في الدنيا مع العمل لها، مع الذوق الرفيع، مع عذوبة اللفظ، ورقة المعنى مما يهذب العقول، ويلطف القلوب، ويكسب النفس عزة بربها، وذلا وافتخاراً لبارئها، مما كان له الأثر المحمود في حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو يخطو خطواته عبر هذه الحياة.

ونستفيد من هذه الترجمة المحررة بيد شيخ الإسلام ما يلي :

- **مشاركة أبي شعيب الدكالي في المحافل العلمية** على صغر سنه، لما أنس من نفسه من استحضار، واستظهار، وفهم، وتمكن في ربط المعاني بعضها ببعض.

- **سمو الفهم بحسن الاستدلال، وضرب الأمثال**، وبروز الآراء النيرة من أول وهلة كبراعة للاستهلال تدل على حميد الخصال، وكريم الفعال، ويبدو ذلك من أول لقاء لأبي شعيب بالوزير علي المسفيوي حين طلب منه أن يقرأ - في رحاب الامتحان - ما يحفظ من القرآن بالقراءات السبع.

---

(16) الترجمة الخاصة لابنه البار عبد الرحمن الدكالي.

(17) يعد مختصر الشيخ خليل زبدة أمهات المذهب، وهو عمدة الأحكام الفقهية في المذهب المالكي، لذلك كان الاهتمام به كبيراً، وحفظه مما يتسابق فيه طلبة العلم آنذاك.

فكان اختيار أبي شعيب لسورة الرحمان في القراءة دالاً على جميل إشارته، وجليل لطائفه، وفقه مداركه رحمه الله، إذ كان من مقاصد اختيار هذه السورة في السرد وهو اختيار موفق يدل على أن ما أسبغ عليه الواهب المنان سبحانه من علم وتعليم وهو من لدن العليم الحكيم، وما تهيأ له من أسباب يعد من رحمة الرحمن الوهاب، مما فطن له التلميذ النجيب الأريب بقوله :

«فظن الوزير (يقصد عليا المسفيوي) أني عنيت ذلك، وأن الرحمن علمني مع الصغر»، وهو كذلك.

- رباطة جأشه وثبات جنانه، وذلاقة لسانه، بالرغم من صغر سنه في التكلم مع الملوك والوزراء كمولاي الحسن الأول مع هيبته، والوزير علي المسفيوي مع جلال علمه، مع حسن الأدب معهم في الخطاب، والتوفيق للصواب في الجواب.

يتجلى ذلك حين تدخل السلطان ليختبر نجابة التلميذ أبي شعيب في مسائل اللغة والإعراب، بقوله اعرب (الرمان حلو حامض)[18] فلما أعرب ذلك، أراد السلطان التأكد من علمه بالنحو فاستحثه مستنهضاً همته، ومثيراً فتوته بقوله رحمه الله : (أنت فقيه ولست بنحوي)، فكان جواب التلميذ النجيب أبي شعيب : (أنا أعلم بالنحو مني بالفقه).

ويزيد السلطان إيضاحاً على منوال ما أورده عليه، مع التلميح والتلويح بشجاعة العالم، وأريحية المتمكن بقوله :

ولكنه بمنزلة قول الشاعر :

يــــداك يــــد في الــــورى خيرهــــا وأخــــرى لأعــــدائــهــا غــائــظــة[19]

---

(18) وهو مبتدأ لخبر متعدد، إن الرمان مبتدأ وحلو حامض خبران له،

قال ابن مالك في الألفية :

وأخبروا بــــاثــــنين أو بــــأكثر عــــن واحــــد كــــهــــم شــــداة شُــــعَــــرَا

وهذا الأمر لم يكن يخفى عن التلميذ المجتهد أبي شعيب الذي كان يحفظ متن الألفية، وتوضيح ابن هشام.

(19) لهذا البيت رواية أخرى كما سبق وهي :

يــــداك يــــد خيرهــــا يُــــرتجى وأخــــرى لأعــــدائــهــا غــــائــــظــــة

فكان الاستشهاد بهذا البيت جامعاً بين الاستدلال النحوي، ومدح السلطان بإيصال الخير لمن يستحقه، والعقوبة لمن يناوئه، وفيه من التعريض لمن يريد مكراً بأبي شعيب ما لا يخفى.

ويدل على ذلك ما قصده وقد أشار إلى المتعنت عليه في زيادة الإيضاح للسلطان، بقوله :

هو بمنزلة ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾، فضرب الشيخ أبو شعيب بهذه الآية الكريمة عصفورين بحجر، إذ لم يخرج عن حظيرة الاستدلال لمسألة النحو موضوع السؤال حين يتعدد الخبر لمبتدأ واحد، ثم التعريض بالخصم بأنه من الصم البكم الذين يكذبون بعلم أبي شعيب وفهمه، مما جعل السلطان المولى الحسن يضحك كثيراً متعجباً ومستغرباً من هذا الفتى الشهم الشجاع المقدام، ومن الصواب في التطبيق بكل تأن وانسجام، ومن هذا الجواب المنظم الذي يناسب المقام، ولا غرابة في ذلك لأن من أشرقت بدايته، أشرقت نهايته، وسبحان الله ذي الجلال والإكرام.

- **عناية السلطان المولى الحسن الأول بالعلم والعلماء**، ويدل على ذلك في هذا المقام تلك المحاورة اللطيفة، والمذاكرة الشريفة، وحسن الإصغاء، بكل تواضع واعتناء لطفل رأى راية العلم مرفوعة، فشمر عن ساق الجد واتخذ إليها سبباً، مما ينم عن أريحية السلطان المولى الحسن، واهتمام أصيل، وأدب رفيع أثيل، يؤكده توقيعه المنيف بالجائزة لأبي شعيب الدكالي وهو : «يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه وكبر فنه».

شيوخ أبي شعيب الدكالي بموطنه الأصلي :

من أبرز شيوخه في مرحلة الطلب الأولى ما يلي :

1 - السيد محمد بن المعاشي :

درس عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع.

جاء في جواهر الكمال أن شيخه بن المعاشي هذا أخذ القراءات عن الشيخ أحماد الدرعي أبي العباس الذي أخذ هو أيضاً عن الأستاذ الصالح السيد الزوين رحمه الله[20].

(20) جواهر الكمال في تراجم الرجال، الجزء الأول منه، ص 43، ط 1، عام 1356هـ بالدار البيضاء.

والسيد الزوين الوارد اسمه هنا، هو الأستاذ أبو الفلاح محمد بن علي القضاعي الزراري المعروف بسيدي الزوين، المتوفى عام 1312هـ، انظر ترجمته معجم الشيوخ، ص 130 لعبد الحفيظ الفاسي، والإعلام، ج 7، ص 108 للعباس بن إبراهيم المراكشي، واتحاف المطالع وفيات، 1312، موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 2802.

2 - عم الشيخ محمد بن عبد العزيز الصديقي :

وهو الذي كفله بعد موت والده، واعتنى بشأنه في صغره، وكان مشرفاً على مدرسة والده المسماة بزاوية الفقيه ابن الصديقي[21].

3 - ابن عم أبيه عبد الرحمن بن الفقيه الصديقي :

شيخ الجماعة بالصديقات ورد في جواهر الكمال في ترجمته ما نصه :

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الصديقي الغربي الدكالي، الفقيه، العلامة، المدرس، النفاع، البركة، المتواضع، الناسك، كان من أهل العلم والعمل، متقشفاً في لباسه طارحاً للتكلف والناموس العلمي، يخدم نفسه، ولا يترك طالباً يقضي له شيئا، أو يغسل له ثوباً، خوف أن يتعجل أجره في الدنيا[22]، ويقول : رب الشيء أحق بحمله، حافظاً لمختصر الشيخ خليل مستحضراً لنصوصه.

أخذ عن الفقيه السيد عبد الله بن محمد البوحياوي الدكالي، وغيره، وشد الرحلة لمراكش فأخذ عن مشيختها، وأطال المقام في الأخذ ورجع (أي إلى بلده دكالة) فدرس وأخذ عنه الناس منهم قريبه شيخنا[23] أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي، قرأ عليه الفرائض من الشيخ خليل، ولم يقرأها على أحد غيره.

توفي هذا الشيخ سنة سبعة عشر وثلاثمائة وألف (1317هـ) ببلده ودفن بمقبرة سيدي محمد الدراوي بالغربية رحمه الله[24].

---

(21) ترجمة عبد الرحمن الدكالي لوالده، والفقيه بن الصديقي هذا هو محمد بن أحمد بن عباس الصديقي وأخوه عزوز بن أحمد بن عباس الصديقي عم الشيخ أبي شعيب بن عبد الرحمن بن عزوز ابن أحمد الصديقي.

(22) يشبه هذا الصنيع ما أورده صاحب التشوف عن أبي شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي دفين أزمور من أنه كان في ابتداء أمره معلماً للقرآن بقرية يليسكاون (قرب مدينة سيدي بنور الآن) من بلد دكالة، فكان يتوكأ على عصاه واقفاً لا يقعد، إلى وقت انصراف الصبيان من المكتب، ثم تصدق بجميع ما اكتسب في وقت التعليم خوفاً أن لا يكون وفى بما عليه من الحقوق، التشوف إلى رجال التصوف، ص 187، المرجع السابق.

(23) يعد أبو عبد الله محمد بن أحمد العبدي الكانوني تلميذاً للشيخ أبي شعيب الدكالي.

(24) جواهر الكمال في تراجم الرجال، الجزء المخطوط، ص 1.

4 - ابن عمه السيد محمد بن عزوز بن محمد الصديقي :

الذي درس على الفقيه عبد الرحمن بن محمد نجل الفقيه بن الصديقي الذي سبق ذكره، وكان ابن عم الشيخ السيد محمد بن عزوز هذا عدلا بمراكش[25].

5 - ابن عمه السيد الطاهر بن حمو الصديقي :

جاء في الإعلام للعباس بن إبراهيم ما يلي :

قاضي الجماعة بمراكش، أخذ عن الفقيه سيدي محمد بن إبراهيم السباعي وطبقته، وأجازه الأول إجازة عامة، ودرس الألفية بجامع ابن يوسف، وكان مجيداً لإلقاء الدرس، وجلس بسماط العدول مدة ثم أنابه القاضي العلامة سيدي أبو شعيب قريبه لما استقضى على مراكش[26]، ولما ارتقى للوزارة آخر عام ثلاثين وثلاثمائة وألف (1330) استقل المترجم بقضاء مقصورة المواسين، وكان لا يمضي إلا ما أشير به عليه في القضايا الشرعية، وبقي بها قاضياً إلى أن ذهب لوطنه دكالة قرب مشتراية الخربة، وتوفي هناك عام 1336 رحمه الله[27].

6 - أبو حامد العربي بن محمد بن العربي البوزيدي الطوجني الدكالي :

ورد في جواهر الكمال (الجزء المخطوط) :

---

(25) وكان له أخ اسمه عباس بن عزوز بن محمد الصديقي الذي كان أيضا عدلا بمراكش بمحكمة القاضي الحاج العربي الرحماني.

من باب التنظير فإن هناك عالما آخر اسمه محمد بن عزوز أصله من الرباط وكان يقيم في مراكش، وكان من أشياخ المولى الحسن الأول ثم كان وزيراً وكاتباً له، وقد جاءت ترجمته في كتاب الإعلام للعباس بن إبراهيم، ج 7، ص 88، وأن أصله من الرباط إلا أنه استقر في مراكش، ومن أجل ذلك أدخل صاحب الإعلام ترجمته في كتابه.

ونظراً لأصله الرباطي ترجم له المؤرخ عبد الله الجراري في كتابه أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، ج 2، ص 155.

فيكون إذن محمد بن عزوز هذا غير محمد بن عزوز بن محمد الصديقي ابن عم الشيخ أبي شعيب، ولو كان هذا وزيراً لمولاي الحسن الأول لما خفي أمره عن أسرة الشيخ ومنهم أبو شعيب الدكالي، ولكان ذكره بارزاً إبان امتحان أبي شعيب الدكالي أمام السلطان المولى الحسن الأول، وخلاصته أن الأول أصله من الرباط، وابن عم الشيخ دكالي صديقي وهو الذي يعد من شيوخ أبي شعيب وقد اتصلت بأسرة الشيخ فنفوا أن يكون هناك وزير منهم غير أبي شعيب الدكالي وأهل مكة أدرى بشعابها وشعيبها.

(26) وذلك في عهد المولى عبد الحفيظ.

(27) الإعلام لمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 3، ص 267.

أنه الفقيه العلامة المشارك الحافظ للفقه البارع فيه، القاضي الوجيه النبيه، كان رحمه الله من أفراد أهل العلم والنباهة، والوجاهة، إلى تواضع، وجود، وكرم، وبشاشة، درس وأفاد، ونفع الله به العباد.

ثم ذكر المؤرخ أبو عبد الله الكانوني أن الشيخ أبا شعيب الدكالي قال له :

حضرت مجلس هذا الشيخ (يقصد أبا حامد العربي) في مختصر الشيخ خليل، ثم دخلت فاساً، ومصر وغيرهما فما رأيت أحسن من تقريره.

قرأ الشيخ أبو حامد هذا على الفقيه السيد محمد بن الخراز البوعزيزي، ثم رحل لفاس فقرأ على مولاي عبد الملك الضرير، والقاضي ابن رشيد، وأخيه مولاي المامون، وسيدي محمد بن التهامي الوزاني وغيرهم.

تولى قضاء أولاد عمرو من دكالة، فحمدت سيرته، وبالجملة فهو من محاسن عصره، وتحف دهره، علما وفضلا، ومحاسن أخلاق[28].

ثانيا : دراسة الشيخ في رحلاته داخل المغرب :

- الشيخ شعيب في رحاب مدينة مراكش :

كانت أول رحلة بارزة لأبي شعيب الدكالي وهو طفل لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وهي رحلة امتحان واختبار حصلت في مدينة مراكش في عهد المولى الحسن الأول رحمه الله كما أوردناه من قبل.

وحين كللت هذه الرحلة بالفوز والنجاح، وبالإضافة إلى ما أكرمه به السلطان المولى الحسن، تعهد له بمنحة من أجل دراسة مختصر خليل بالبيان والتحليل بشرح الشيخ أحمد بن محمد الدردير المتوفى عام 1201هـ[29]، على يد الفقيه السيد عبد السلام بن المعطي السرغيني، ومع بعض رفقاء الشيخ في الطلب، وذلك بمقتضى ظهير حسني مؤرخ عام 1308هـ.

وهذا نصه :

نأمر خديمنا الأرضى السيد الحاج عبد السلام الورزازي ناظر أحباس حمراء مراكش صانه الله، أن يرتب لكل واحد من الطلبة التسعة المبينة طرته

---

(28) جواهر الكمال، (الجزء المخطوط)، ص 35.

(29) على هذا الشرح حاشية محمد بن أحمد الدسوقي.

حفاظ مختصر أبي الضياء خليل، أربعين أوقية مشاهرة، وإلى الفقيه السيد عبد السلام بن الفقيه السيد المعطي السرغيني المعد في جملتهم خمسين أوقية مشاهرة إعانة لتدريسه معهم الكتاب المذكور لشارحه العلامة الدردير، زيادة على الخمسين أوقية المنفذة له قبل ليصير ما يقبضه على التدريس وحفظه المختصر أربعة عشرة مثقالا، وذلك بشرط القيام والمواظبة والسلام في رمضان عام 1308هـ.

الطلبة المذكورون طرته ومعهم أبو شعيب الدكالي :

- الطالب بن المكي بن محمد المركَيطي،
- الطالب الحسن بن العربي السرغيني.
- الطالب أحمد بن الحاج العياشي.
- الطالب الحبيب التلمودي.
- **الطالب أبو شعيب الدكالي.**
- الطالب محمد الضو السباعي[30].
- الطالب مَحمد (فتحا) السوسي.
- الطالب أحمد بن محمد الدرعي.
- الطالب المدرس الحاج عبد السلام بن المعطي السرغيني.

---

(30) من هؤلاء الطلبة تعرفنا على الطالب محمد الضوء السباعي الذي ورد ذكره في الأنس والامتاع بما يلي : هو العلامة الفاضل، القاضي المقتدر العدل سيدي محمد الضو بن عبد الكريم تركه والده صغيراً حيث نشأ وحفظ القرآن في سن مبكرة، وكان يعيش هو وأمه بالسعيدات، ثم التحق بمدرستهم فدرس مختلف العلوم على يد الشيخ سيدي العربي بن علي، فظهر نبوغه، ووضح تفوقه وتقدمه.
وفي سنة 1308هـ / 1890م، نجح بتفوق في امتحان حفاظ المختصر الخليلي بحضرة السلطان مولاي الحسن الأول فخلع عليه كسوة، وسلمه ظهيراً بالتوقير والاحترام، وعينه سارداً للمختصر بجامع ابن يوسف بمراكش، فمكث هناك بضعة أشهر درس خلالها «السُلم» في علم المنطق على الحاج محمد كَنون، ثم عاد لإتمام دراسته بالسعيدات على شيخه المذكور.
وفي سنة 1314هـ / 1896م توجه إلى فاس فأخذ عن أكبر شيوخها، وألمع علمائها متوجاً دراسته بالحصول على إجازة علمية أهلته لتولي الافتاء والقضاء ببلده ولم يقتصر في حياته على القضاء والافتاء بل انكب على التدريس بمدرسته التي أسسها ومولها من ماله الخاص فتخرج على يده ثلة من العلماء منهم محمد بن إبراهيم وابنه مبارك بن الضو، توفي رحمه الله سنة 1365هـ / 1946م ودفن بمدرسته. انظر الأنس والامتاع، ص 93 لصالح بن بكار السباعي، ط 1، عام 2000، مطبعة وليلي، مراكش.

وفي رحاب مدينة مراكش الحمراء بالإضافة إلى ما كان يتلقاه من شرح مختصر خليل، كان يحضر دروس العالم الجهبذ محمد بن إبراهيم السباعي في مسجد ابن يوسف.

وكان أبو شعيب الطالب يجري معه مذاكرات، ومحاورات أدبية، كما حكى ذلك عنه صاحب جواهر الكمال عند ترجمة أبي العباس أحمد بن محمد السباعي بقوله :

حدثني شيخنا الإمام الحافظ أبو شعيب الدكالي قال : حدثني عالم مراكش أبو عبد الله السيد محمد بن إبراهيم السباعي قال لما رجعت من رحلتي الفاسية قال لي والدي : هل قرأت على سيدي أبي العباس بن محمد فقلت : لا، قال : ارجع حتى تقرأ عليه فرجعت إليه، ولما رأيته رأيت رجلا أجمل الناس، وأفضل الناس، وأعلم الناس[31].

وما أورده عالم سوس وأديبها محمد المختار السوسي عن شيخه أبي شعيب الدكالي وهو يدرس لهم مختصر خليل بجامع ابن يوسف قائلا :

كان الأستاذ (يقصد الشيخ أبا شعيب) يقرر خطبة المختصر فبلغ قول خليل: (أن ينظر بعين الرضا والصواب)، فأورد الدردير البيت الشهير :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدي المساويا

فحكى الشيخ أنه جالس مرة الأستاذ ابن ابراهيم السباعي، فقال له : وقد جرى ذكر البيت، أقول دائما للناس من دلني على ثان لهذا البيت أعطيه مائة ناقة، قال الشيخ : فقلت له : ومن دَلَّك على ثالث ؟ قال : أعطيه مائتي ناقة، ثم قلت : ومن دلك على رابع ؟ قال : أعطيه ثلاثمائة ناقة.

قال الشيخ : فقلت : احضرها، واحضر أيضا ما تعطيه لمن أراك قائلها، وفيمن قيلت فيه، فداعبته مليا، ثم قلت له : إنها لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقولها لابن عمه الحسين من أحفاد علي بن طالب ثم أنشدته :

---

(31) جواهر الكمال، ج 1، ص 65، المرجع السابق.

رأيت حسيناً كان شيئاً ملففاً	فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة	وإن نزلت أيقنت أن لا أخا ليا
فلست براء عيب ذي الود كله	ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة	كما أن عين السخط تبدي المساويا

أنشدنا الشيخ الأبيات فرآنا على عادة الطلبة لم نزد على أن نحدجه بأعيننا، فقال : غير أن همة الشيخ السباعي على كبر سنه، قد حملته حتى ابتدر إلى القلم فكتب عني الأبيات، وأما أنتم أيها الشباب، فقد رأيتكم تزهدون في الأدبيات، ثم ألحفنا عتاباً حلواً، ومتى صدر عن مثل الشيخ شعيب في أطواره كلها مر ؟

ثم زاد التلميذ النبيه محمد المختار السوسي آنذاك حاكيا عن شيخه : فكان ذلك سوطاً ملهباً للهمم، فرأيت الأعراب الدكاليين، والشاويين، والسرغنيين، والرحمانيين، والشلحيين السوسيين، وقد ابتدر الجميع إلى استملاء الأبيات فكتبوها، ثم لم يحضروا بعد ذلك في الدرس إلا بقلم وورق، فكانت عادة متبعة في درس المختصر، وفي درس البخاري[32].

ويبدو من هذه الحكاية اهتمام الشيخ أبي شعيب بالأدب وشجونه وباللغة وفقهها، وحسن الحوار، والمجاملة في الكلام مع علم من الأعلام، وشيخ من شيوخ الإسلام ألا هو محمد بن إبراهيم السباعي، وتواضع هذا الجهبذ الهمام مع علو في السن، وعلو في المقام أن يكتب تلك الأبيات من املاء تلميذه أبي شعيب الدكالي، ولا غضاضة في ذلك فالعالم لا يصير عالما حتى يأخذ عمن فوقه، ومن هو في طبقته، وعمن دونه، وتلك شيمة العلماء العاملين المنصفين.

وانظر كيف كان يربي الشيخ أبو شعيب رحمه الله تلامذته من أمثال الأستاذ النحرير محمد المختار السوسي وغيره، بإيراد القدوة الحسنة، والمثال الأرفع في أخذ العلم، والتمسك به، وكتابته عند سماعه، والتنويه به.

ومن خلال ما سبق يتجلى أن هناك شيخين لأبي شعيب الدكالي في هذه المرحلة تعرفنا عليهما هما العالم الأديب سيدي محمد بن إبراهيم السباعي، والفقيه عبد السلام بن المعطي.

---

(32) الترجمة المخطوطة لمحمد المختار السوسي لشيخه أبي شعيب الدكالي.

1 - سيدي محمد إبراهيم السباعي :

شيخ الجماعة بمراكش نسبته إلى أولاد أبي السباع الذين يلتقي نسبهم مع الأدارسة، الفقيه، المفتي، الأصولي، المحدث، اللغوي، المؤرخ، درس على علماء عصره بمراكش وفاس.

وأصبح بدوره عالماً مدرساً ذؤوباً على التدريس صيفاً وشتاءاً.

وكان كثيراً ما ينشد في دروسه حاثاً على طلب العلم وحاضاً عليه قول الشاعر:

قالت مسائل سحنون لقارئها	بالدرس يدرك مني كل ما استترا
لا يدرك العلم بطال ولا كسل	ولا ملول ولا من يألف البشرا

اشتهر الشيخ السباعي بالانكار على الولاة، والعمال، والوزراء، وتنبيه العلماء إلى العمل بما هو أقوم، فحصل له بذلك وشايات إلى السلطان، وامتحن بالسجن مراراً، وأبعد من مراكش إلى فاس، فألف كتاباً يعتذر فيه عن نفسه وعن السلطان الذي لم تكن تبلغه الأمور على وجهها.

ومن تآليفه : «شرحه الكبير على الأربعين النووية في مجلدين»، ومنها في التاريخ : «البستان الجامع لكل نوع حسن، وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن»، ومنها تقييد سماه «كشف الستور عن حقيقة كفر أهل بسبور»، إلى غير ذلك من الكتب.

وله أجوبة وفتاوي لو جمعت لضاهت معيار الونشريسي ولكنها مع الأسف تفرقت فتلاشت.

وبقي رحمه الله ملازماً للتدريس والتبليغ والفتوى إلى أن التحق بالرفيق الأعلى عام 1332هـ[33].

---

(33) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 7، ص 190 وما يليها، المرجع السابق، ومعجم الشيوخ، ص 55 وما يليها، والسعادة الأبدية، ج 2، ص 392 وما يليها لابن الموقت المراكشي، تحقيق د. حسن جلاب وذ. أحمد متفكر، ط 1، عام 1423، المطبعة الوطنية بمراكش، والتأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، ص 80 وما يليها للأستاذ عبد الله الجراري، والأعلام لخير الدين الزركلي، ج 5، ص 305.

2 - الفقيه عبد السلام بن المعطي :

هو عبد السلام بن محمد بن المعطي السرغيني المتوفى في منتصف شعبان 1350هـ / 1931م، وهو من الفقهاء المفتين، درس بمراكش وفاس، ثم رحل إلى الحجاز، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، وكان من المختصين به.

تولى القضاء بقلعة السراغنة ونواحيها، وقد ذكرنا من قبل أن المولى الحسن الأول رحمه الله عينه مشرفاً على مجموعة من طلبة العلم ومعهم الطالب أبو شعيب الدكالي آنذاك من أجل تدريس مختصر خليل بالدردير.

وله مؤلفات منها : كشف الرقاق الكلية في زكاة الأوراق العرفية، وكتاب في الأحاديث النبوية، واللؤلؤة الفاسية في الرحلة الحجازية، ومسامرة طبعت ألقاها بنادي المسامرات بالمدرسة العليا الإدريسية[34].

إجازة سيدي محمد بن إبراهيم السباعي للشيخ أبي شعيب الدكالي :

الحمد لله الولي الحميد، المبدئ المعيد، البعيد في قربه من العبيد، القريب في بعده، فهو أقرب من حبل الوريد، ومحيي ربوع العارفين بتحيات حياة التوحيد، ونشر للعلم في المومنين أعلاما، ونور به للموفقين قلوباً وأحلاماً، وشيد به دعائم الدين، وبين به معالم الحمد للمهتدين، وجعله براقاً لأرفع الدرجات، ومركب ساحل الأمن والنجاة، وقوام صلاح المعاش والمعاد، ومنهاج الفوز والإسعاد.

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد أكمل النبيئين علما، وأوسعهم برّاً ورحماً، وهو أفضل من رفع الإسناد، وأكرم من أجاز الرواية عنه في كل ناد.

وعلى آله، وأصحابه المهتدين الذين تلقوا عنه الدين، حتى نشروا للعلم ديوانا، وشيدوا له إيواناً.

أما بعد :

فلما كانت سنة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء في القديم والحادث، والعلم هو الذي ورث منهم كل وارث.

---

(34) ذيل كتاب الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للأستاذ أحمد متفكر.

طلب الأخذ فيه بالإجازة، وهي طريقتهم المتصلة المُجازة :

الفقيه، النبيه، النزيه، الجامع، المانع، الحافظ، اللافظ، الذي أطاعته فنون العلم، وأطلعته على جلائلها، ودقائقها، وأرته فنونه ما شاء من يانعات حدائقها...[35].

حيث جمع خلالا حساناً، وكان لقويم الدين لساناً، السيد أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي المغربي، الذي مَنّ الله عليه بما لم ينله أحد من أقرانه من تمام المعرفة، المتصف بحسن الصفة، حتى استحق أن يُنشد فيه :

له ذهن يخوض ببحر علمٍ فيأتي منه بالدر النظيم

وقد سأل الإجازة من العبد الضعيف المعترف بالحق في مقام الإنصاف، ان سائلها أغزر علماً وأوسع فيما ممن سُئِلَتْ منه بلا خلاف، إذ الاعتراف بالحق فريضة ومساحَةُ فهم السائل فسيحة طويلة عريضة، اللهم إني أعيذه بكلماته التامة من شر كل هامة وعين لامة.

لكن لما أصلح الله نيته وزين اعتقاده حَسُنَ أن ننيله مراده وعليه فأقول :

أبا شعيب إني نظرت فلم أجد في جنسك من ينسيك في الحفظ والفهم

هذا وقد أسعفتك وأجزتك إجازة كاملة، تامة عامة شاملة في جميع مقرؤاتي، ومسموعاتي، ومروياتي، كما أجازني جِلَّةُ أشياخي منهم علامة الزمان في الفروع، شيخ الجماعة سيدي محمد عبد الرحمان الفيلالي، وعلامة دهره الشريف العلوي مولاي الصادق دفين ضريح مولاي علي الشريف أخذت عنه بالسند صحيحي البخاري ومسلم، وموطأ الإمام مالك، والشفاء للقاضي عياض، وشمائل الترمذي وأجازني في ذلك بخط يده وسنده وأخذت صحيح البخاري والشفاء كليهما درساً عن تلميذهما أبي عبد الله شيخ جماعته في وقته سيدي محمد كَنون، وأجازني بخط يده، وعن أشياخ عدّةً يطول استقراؤهم وعن شيخ الجماعة البركة المتفنن أبي العباس سيدي أحمد المرنيسي أخذت عنه جل مختصر خليل وكثيرا من التفسير وجل صحيح البخاري درسا، وجميع خلاصة ابن مالك كالسنوسية وأجازني بخط

(35) هنا كلمات لحقها محو.

يده وسنده الذي هو في صحيح البخاري شيخه العلامة قاضي الجماعة السيد أحمد بن الشيخ التاودي عن أبيه الشيخ التاودي ذي التآليف العديدة المفيدة عن شيخه الإمام سيدي محمد بن القاسم جسوس عن الشيخ الشهير أبي محمد عبد السلام بن حمدون جسوس عن الشيخ العارف بالله عبد القادر بن علي الفاسي عن عمه بن زيد عبد الرحمان العارف بالله عن الشيخ القصار الذي عليه المدار...[36] بأسانيده عن أبي البركات عن أبي جعفر بن الزبير عن أبي الخطاب عن خليل عن أبيه عن أبي عبد الله بن سعادة قال حدثنا أبو علي بن الحسين بن فيارة إلى قوله حدثنا أبو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم البخاري قال حدثنا الحميدي عن سفيان قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن أبي وقاص الليثي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات إلى آخر الحديث، وكذا ما بعده من الأحاديث إلى آخر الكتاب كلها رواية عن البخاري بالسند المذكور وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

وقد أجزتك أيها الأخ بهذا إسعافا لك وإتحافاً، وإلا فكيف أجيز مثلك وأنا ممن لا يستحقها لصلاح نيتك وحسن طويتها، كما تقدم من كونها عامة تامة كاملة شاملة فالله ينفعنا وينفعك، وينفع بك، ويوفقنا بجاه من قال : «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم»، وكتب عبيد الله، محمد بن إبراهيم السباعي نجاراً، المراكشي داراً وقراراً، وفقه الله.

هذه الإجازة الصادرة من شيخ الجماعة بمراكش سيدي محمد بن إبراهيم السباعي، تدل على المكانة العلمية للشيخ أبي شعيب الدكالي الذي خاطبه شيخ الجماعة، ناعتاً له بالحافظ اللافظ، الذي أطاعته فنون العلم، وأطلعته على جلائلها، ودقائقها، وأرته فنونه، ما شاء من يانعات حقائقها.

ثم يعترف بعالميته، اعترافاً ينبئ عن أدب جم، وتواضع رفيع بقوله :

وقد سأل الإجازة من العبد الضعيف، المعترف بالحق في مقام الانصاف، أن سائلها أغزر علما، وأوسع فيما ممن سئلت منه بلا خلاف، إذ الاعتراف بالحق فريضة، ومساحة فهم السائل فسيحة طويلة.

(36) يوجد هنا سطر لحقه محو لا يمكن قراءته.

ويخاطبه شعراً بقوله :

أبـا شـعـيب أني نـظـرت فـلـم أجـد   في جنسك من ينسيك في الحفظ والفهم

ثم ينشد فيه :

ولـه ذهـن يـخـوض بـبـحـر عـلـم   فـيـاتـي مـنـه بـالـدر الـنـظـيـم

ومما يدل على تقديره للشيخ أبي شعيب، ومحبته الخالصة في الله له - إذ العلم رحم متصل - أن يدعو له بالحفظ من شرور الخلق عامة بقوله :

اللهم إني أعيذه بكلماتك التامة، من شر كل هامة، وعين لامة.

ويؤكد إجازته له، بتقدير تام، وتنويه كامل بقوله :

وقد أجزتك أيها الأخ بهذا إسعافاً لك، واتحافاً، وإلا فكيف أجيز مثلك، وأنا ممن لا يستحقها، لصلاح نيتك، وحسن طويتك.

ويستشف من هذه الإجازة أن شيخ الجماعة بالحضرة المراكشية المذكور أجاز الشيخ أبا شعيب الدكالي في إحدى زياراته للمغرب من المشرق، بعد أن امتلأ وطابه من العلوم، فروى وأسند وتفقه، وحلق ذهنه في سماء المنطوق والمفهوم، واطلع على خبايا كل فن ومعلوم.

والدليل على ذلك أنه بعد عودته إلى أرض الحجاز كان يجيز بهذه الإجازة بعض من أخذ عنه بالديار المقدسة، كما حصل للمحدث الشيخ عمر بن حمدان المَحْرَسي المتوفى بالمدينة المنورة عام 1368هـ - 1949م، الذي أجازه الشيخ أبو شعيب الدكالي بعد أن حضر دروسه في صحيح الإمام البخاري بالمدينة المنورة.

مشيراً إلى أن من شيوخ أبي شعيب الدكالي في الرواية وهو أجلهم مفتي مراكش أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي، عن أشياخه كأبي عبد الله محمد بن حمادي المكناسي سماعاً، وإجازة، عن أخيه القاضي أبي عبد الله التهامي بن حمادي المكناسي سماعاً وإجازة، عن أبي العلاء إدريس بن زيان العراقي سماعاً وإجازة، عن أبيه، عن أبي العلاء إدريس محمد بن حمدون العراقي الحسيني الفاسي، وكأبي العباس أحمد بن محمد المرنيسي، عن القاضي أحمد التاودي، عن أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي ومنهم قاضي سجلماسة مولاي الصادق بن محمد الهاشمي دفين مراكش، وأبو حفص عمر بن الطالب ابن سودة... الخ...

- رحلات دراسية أخرى للشيخ أبي شعيب الدكالي :

أكمل الشيخ أبو شعيب دراسته القرآنية بالمدارس والزوايا الآتية وكلها داخل المغرب.

1 - مدرسة مولاي الطاهر القاسمي :

تنسب هذه المدرسة إلى مؤسسها الشيخ مولاي الطاهر القاسمي الذي يرجع نسبه إلى أبي الحسن علي بن القاسم المعروف بأبي سجدة دفين مدينة مراكش[37].

تقع هذه المدرسة بضاحية قبيلة أولاد فرج بمنطقة دكالة.

وفي ظل هذه المدرسة درس الشيخ أبو شعيب الدكالي، وهذه المدرسة قريبة نسبياً من بلد الشيخ أبي شعيب[38]. ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة إلى عهد المولى الحسن الأول الذي عاش الشيخ مولاي الطاهر القاسمي في عصره.

وقد أخذ هذا الشيخ القرآن الكريم، والقراءات السبع عن شيخه الحاج التاغي نزيل قبيلة «بزام» بالشاوية، وهو بدوره تلميذ الشيخ المعطي الشرقاوي دفين «الزاوية الشرقاوية» بأبي الجعد.

ورعاية لمكانة زاوية مولاي الطاهر القاسمي، العلمية والتربوية، أصدر المولى الحسن الأول رحمه الله ظهيراً بتاريخ 6 شعبان 1302هـ موافق 21 - ماي - 1885 بإضفاء أردية التوقير والاحترام على أصحابها وأهلها وإعفائهم من التكاليف المقررة آنذاك.

ومازالت هذه المدرسة قائمة الذات (الآن عام 1423 - 2002) تؤدي رسالتها في مجال دراسة القرآن وتعليمه تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

---

(37) انظر ترجمته السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، ج 2، ص 392 وما يليها، المرجع السابق، والإعلام للمراكشي، ج 9، ص 183.

(38) ذكر ذلك الشيخ أحمد سكيرج في ترجمته للشيخ أبي شعيب المنقولة من كتابه قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، وهو مخطوط.

2 - مدرسة سيدي علي امعاشو (المعاشات) :

تنسب هذه المدرسة إلى الولي الصالح سيدي علي امعاشو الإدريسي النسب، ويلتقي نسبه أيضاً مع بني السباع في الجد الأعلى وهو عامر الهامل أبي السباع[39].

تقع هذه المدرسة بـ(منطقة أحد دُرَى) ناحية الصويرة وكما يسمى موقعها هذا قديماً بـ«أفوغال» كما أسلفنا.

وفي رحاب هذه المدرسة تلقى الشيخ أبو شعيب الدكالي دراسته القرآنية[40]، من باب الزيادة في الحفظ والتعلم، وهي عادة متبعة عند حفاظ القرآن الكريم، ولاسيما بالقراءات السبع فما فوقها.

ومازالت هذه المدرسة تؤدي رسالتها إلى الآن تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

3 - مدرسة سيدي الزوين (ناحية مراكش) :

تنسب هذه المدرسة إلى مؤسسها الشيخ الولي الصالح سيدي محمد الزوين الذي يرجع نسبه إلى الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح المعطي الشرقاوي المشهور بسيدي بوعبيد الذي يوجد مثواه بأبي الجعد.

ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة إلى عهد المولى الحسن الأول الذي كانت له رعاية حسنة وتشريف لهذه المدرسة ومؤسسها الذي توفي عام 1312 رحمه الله[41].

---

(39) يعد سيدي علي امعاشو تلميذاً لسيدي محمد بن سليمان الجزولي الذي كان مقيماً بتافوغالت (أو أفوغال) وهي المنطقة المسماة الآن (أحد درى) ناحية الصويرة، وحين توفي الشيخ الجزولي بقي بعده تلميذه سيدي علي امعاشو يؤدي رسالته التعليمية والتربوية إلى أن توفي بموطنه المعروف به الآن في العشرة الثامنة من المائة الثامنة من الهجرة حوالي 880هـ وكونه إدريسي النسب هو ما تتبثه وثائق الشرف التي بيد ذريته، انظر ترجمته تحفة الحواشي في مناقب سيدي علي المعاشي لمؤلفه سعيد المعاشي، والأنس والإمتاع في أعلام الأشراف أولاد أبي السباع، ص 87، المرجع السابق.
وانظر التعريف بزاوية «أفوغال» كتاب المغرب، ص 148، للصديق بن العربي، ط 3، عام 1404 - 1884، دار الغرب الإسلامي.

(40) انظر ترجمة الأستاذ عبد الرحمن الدكالي الخاصة لوالده أبي شعيب الدكالي.

(41) انظر ترجمته الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 7، ص 108، للعباس بن إبراهيم المراكشي، وكتاب المغرب، ص 156، للصديق بن العربي، م.س.

وتقع هذه المدرسة بضاحية مدينة مراكش على الطريق المؤدية إلى مدينة الصويرة.

وحصل تجديدها وتوسعة مرافقها في عهد الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، ومازالت تقوم بدورها كباقي مثيلاتها في الدراسات القرآنية إلى الآن تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

وفي رواق هذه المدرسة تلقى الشيخ أبو شعيب الدكالي تعلمه في مجال القراءات القرآنية كما ألقى بعض الدروس بها وهو طالب علم ينشد المزيد.

وفي ذلك يقول ابن الشيخ عبد الرحمن الدكالي رحمه الله :

ذهب التلميذ أبو شعيب الدكالي إلى مدرسة سيدي الزوين وهناك وجد تلامذة والده وعمه بمدرسة سيدي الزوين، فعرفوه، لأنهم كانوا قد تلقوا القراءة عن والده وعمه بدوار الصديقات، وعلموا اتقانه لعلم القراءات وغيرها، وطلبوا منه مساعدتهم فتعاطى التدريس مع صغر سنه مدة سنة كاملة[42].

4 - مدرسة الشماعية :

جاء في كتاب المغرب أن الشماعية :

قرية كبرى من قرى بلاد أحمر تنسب إلى القائد هدى بن الشماع أحد القواد في عصر السلطان محمد بن عبد الله الذي كان له اعتناء كبير بالقرآن الكريم، ونشره، وتحفيظه، ومنح الصلات للقائمين بتعليمه.

وبسبب ذلك انتشرت الزوايا في هذه القبيلة للعناية به كزاوية النواصر المنسوبة إلى سيدي علي بن ناصر الحمري شيخ الرماة المتوفى بمراكش في منتصف القرن العاشر، وزاوية الخنوفة، وكان لهذه الزوايا اعتناء بتعليم فن الرماية، والفروسية.

وكان الملوك العلويون يرسلون أولادهم إلى هذه المراكز للتدرب على الفروسية، وحفظ القرآن، وتجويده، منهم مولاي سليمان، ومولاي عبد الرحمان، ومحمد بن عبد الرحمان، ومولاي الحسن الأول، ومولاي عبد الحفيظ[43].

---

(42) الترجمة الخاصة لولده العالم الشاعر عبد الرحمن الدكالي.

(43) كتاب المغرب، ص 239، المرجع السابق.

وفي رحاب مدرسة الشماعية تردد الشيخ أبو شعيب الدكالي الذي مكث فيها مدة قبل أن يرحل منها إلى مدرسة سيدي الزوين[44].

5 - رحلة الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى فاس ثم إلى الريف :

أ - الرحلة إلى فاس :

بعد قيام الشيخ أبي شعيب الدكالي برحلاته العلمية السابقة وهو مازال في مرحلة الطلب والتعلم، تشوفت نفسه إلى المزيد من المعرفة فقرر الانتقال إلى فاس حيث توجد جامعة القرويين العامرة، كما يحكي عنه ولده البار عبد الرحمن الدكالي.

وقد رافقه في هذه الرحلة صديقه قاسم الدكالي الذي كان يطمح أن يكون تاجراً واسع الغنى، بينما كان طموح أبي شعيب الدكالي أن يكون عالماً كبيراً، وكذلك كان.

ونظراً لقلة وسائل النقل آنذاك اشترى الصديقان حماراً يضعان عليه رحلهما، ويتناوبان الركوب عليه من مدينة مراكش الحمراء إلى مدينة فاس الفيحاء[45].

وتعرض الصديقان في هذه الرحلة الطويلة الشاقة إلى كثير من المحن والأهوال نظراً لوعورة الطريق وطولها، وصغر سنهما وعدم تجربتهما آنذاك.

ولما حلا بفاس قصدا مسجد القرويين عمرها الله، وكان أول درس حضره أبو شعيب في النحو لعالم كان يدرس التوضيح، وكان الدرس في أسماء الإشارة وحصل نقاش بين التلاميذ وبين شيخهم، ورفع الخلاف أبو شعيب الدكالي حيث أملى على الشيخ الباب كله من حفظه للتوضيح، فقال الأستاذ : أنت تحفظ التوضيح ؟ فقال: نعم، قال : تبارك الله، وبسم الله الرحمن الرحيم[46].

---

(44) الترجمة الخاصة لابنه عبد الرحمن الدكالي.

(45) وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الطموح، والهمة العالية، والرغبة الملحة في طلب العلم على حد قول الإمام الشافعي رحمه الله :

أخي لن تنال العلم إلا بستة	سأونبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة	وصحبة أستاذ وطول زمان

وقول المتنبي

وإذا كانت النفوس كباراً	تعبت في مرادها الأجسام

(46) الترجمة الخاصة لابنه عبد الرحمن الدكالي، وقول الأستاذ بسم الله الرحمن الرحيم ابداء للتعجب، واستغراب من أن يكون هذا الطفل يحفظ متن التوضيح آنذاك...

واستمر أبو شعيب في تلقي العلم مدة تقارب ثمانية أشهر قبل أن يرحل إلى الريف.

ب - الرحلة إلى الريف :

لم تطل المدة التي قضاها أبو شعيب الدكالي (التلميذ) آنذاك بفاس، إذ لم تسعفه الأحوال على متابعة دروسه بجامعة القرويين، فتوجه إلى الريف بقصد التفرغ للقراءة والاستفادة فمكث نحو سنتين.

وإن كان هناك قصد أكبر لأبي شعيب وهو أن يكون قريباً من محطة الإبحار بطنجة للتوجه من هناك إلى أرض الكنانة مصر حيث الأزهر الشريف الذي كتب له أن يذهب إليه وأن يدرس به كما سيأتي بعد عند الكلام عن رحلته إلى المشرق.

وهذا ما أكده الابن الجليل عبد الرحمن الدكالي بقوله :

ثم رأى بعد ذهابه إلى فاس أن يرحل إلى الأزهر الشريف بالقاهرة، ولكن يعوزه الزاد، فارتحل إلى الريف حيث وجد وظيفاً في العدالة، فتعاطى هذه المهنة مدة سنة كاملة، وسنثبت نموذجاً من رسم عدلي للشيخ ضمن آثار الشيخ، وبكل ما اقتناه من وظيف العدالة كان يدفعه إلى صديقه السيد قاسم الدكالي من أجل التجارة به في الأسواق، في أوقات اشتغاله هو بالأوراق، ويعرب له عن رغبته الملحة في الهجرة إلى الديار المصرية.

وفوق أرض الريف حفظ أبو شعيب الدكالي موطأ الإمام مالك بأسانيده، وشرع في حفظ صحيح الإمام البخاري[47].

المبحث الثاني

دراسة الشيخ أبي شعيب الدكالي بالمشرق

كان الأمل الأكبر، والرجاء المشرق، للشيخ أبي شعيب الدكالي أن يذهب إلى جامع الأزهر بمصر، قصد الدراسة هناك، والاطلاع على مناهج العلوم بتلك

(47) انظر الترجمة الخاصة لابنه عبد الرحمن الدكالي، وترجمة ابنه الأستاذ عبد الله الدكالي ضمن كتاب قبيلة زعير، ج 2، ص 223، المرجع السابق.

الديار، بعد أن استكمل ما يتوقف عليه من حفظ المتون العلمية المتداولة، بعد حفظ كتاب الله بالقراءات السبع، وحفظ موطأ الإمام مالك وغير ذلك من كتب العلم.

وعن هذه المرحلة من حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي يحكي الأستاذ جعفر الناصري السلاوي[48]، بقوله :

وقد سمعت الشيخ رحمه الله، يحدث مراراً أنه لما عزم على التوجه إلى المشرق بقصد طلب العلم، والأخذ عن شيوخ الأزهر، زوده الشيخ الصالح سيدي الحاج سليمان الناصري بكتاب تعريف منه إلى والدنا الشيخ أبي العباس أحمد بن خالد الناصري[49].

وكان إذاك في وظيفة مخزنية بالدار البيضاء، فلما وصل إليها زاره وتعرف به، وعرفه، وأنزله عنده وأكرمه، وكأنه تشخص فيه، ما سيكون منه، وما سيؤول إليه أمره، لذكائه ونجابته، مع صغر سنه آنذاك، وأيقن أن هلاله سيكون بدراً كاملا، ومآله سيكون غيثاً بالمعارف والعلوم هاطلا.

---

(48) هو أحد تلامذة الشيخ النجباء مع أخيه محمد بن أحمد الناصري، وهما ابنا الشيخ المؤرخ أحمد بن خالد الناصري صاحب كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى.
وقد كتب الأستاذ جعفر بن أحمد الناصري ترجمة الشيخ أبي شعيب الدكالي تحت عنوان «شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي» وقد كتبها عام 1388 - 1968، وانظر ترجمته : التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، ص 293 وما يليها للعالم المؤرخ عبد الله الجراري، والأدب العربي في المغرب الأقصى، ص 109 وما يليها للأديب محمد بن العباس القباج.

(49) هو الشيخ المطلع المؤرخ صاحب كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، وله زهر الافنان في شرح شمقمية ابن الونان، وطلعة المشتري في النسب الجعفري، وتعظيم المنة بنصرة السنة، المتوفى عام 1315هـ - 1897م.
قال الأستاذ جعفر الناصري :
وقد كان الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله يذكر والدنا (يقصد أحمد الناصري) بالتعظيم والإجلال في مجالسه، ودست وزارته، ويصفه بلسانه وقلمه بالشيخ الإمام، وجمال المغرب، وتاج المحققين ويقول : إنه أول سلفي بالمغرب رفع عقيرته بالتحذير من البدع في الدين، وطلب الوقوف على تأليفه المخطوط المسمى بـ(تعظيم المنة بنصرة السنة)، فطالعه وأعجب به وقال : ليته طبع ! ترجمة جعفر الناصري لأبي شعيب الدكالي، ص 4.
وقد بلغني أن كتاب تعظيم المنة حصل تحقيقه بكلية الشريعة بأكادير.
انظر ترجمته موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 2811، تنسيق وتحقيق د. محمد حجي، والأعلام، ج 1، ص 120 لخير الدين الزركلي.

ولما عزم على السفر، زوده والدنا بكتاب تعريف وتوصية منه إلى صديقه الأمين السيد الحاج إدريس بن جلون بطنجة.

وركب البحر من الدار البيضاء إليها، فقام الأمين المذكور بحقه، ثم توجه إلى الريف، ورحل إلى القاهرة سنة أربع عشرة وثلاثمائة وألف (1314هـ) (1896 - 1897م) وتعرف على رفيقه الفاضل السيد الحاج قاسم الدكالي[50].

- حالة مصر السياسية والاجتماعية في هذا العهد:

حين ذهب الشيخ أبو شعيب الدكالي وهو طالب علم إلى الديار المصرية، كانت الأوضاع السياسية والاجتماعية في الديار المصرية تشبه في مجملها ما كانت تعانيه جميع الدول الإسلامية والعربية من أغلال الاستعمار، والتدخل الأجنبي على أوسع نطاق، رأينا ذلك في المغرب، إذ لم يكد يغادر أبو شعيب الدكالي بلده هذا حتى تسارعت الدول الأوربية من أجل الاستحواذ عليه كالطريدة التي يحاول كل قناص رميها من بعيد.

وقد وجد الشيخ أبو شعيب الدكالي نفس الوضع في مصر وفي الحجاز من بعد مع نوع اختلاف بطبيعة الحال، كما سوف نومئ إليه لاحقا.

فقد كانت مصر تابعة للخلافة العثمانية التي ورثت مجد الخلفاء العباسيين، وأصبحت دولة إسلامية تتمثل فيها الخلافة على أوسع نطاق.

لكن أعداء الإسلام والمسلمين كانوا لها بالمرصاد حتى انهد ذلك البناء الشامخ السامق، وبقي من كان يستظل به يعاني من ويلات العالم الأوربي والحروب المدمرة، ما كان له الأثر البعيد على أغلب الدول الإسلامية إلى الآن.

وضع الشيخ أبو شعيب الدكالي قدميه على أرض مصر، فوجد ظل الخلافة العثمانية في هذه الديار يبرز حينا ويختفي أحيانا، نظرا للتدخل الانجليزي الذي أصبح يفرض وجوده بالقوة والسلاح والاقتصاد.

أدرك الشيخ أبو شعيب الدكالي وهو ينشد المعارف وينوي الالتحاق بالأزهر الشريف، ولاية الخديوي عباس حلمي (عباس الثاني) حفيد محمد علي، الذي

(50) ترجمة الأستاذ جعفر الناصري للشيخ، ص 4.

تولى الحكم بعد موت أبيه توفيق، عام 1309هـ 1892م، وبقي في الحكم إلى عام 1332هـ - 1914م.

إذ كانت رحلة الشيخ أبي شعيب إلى مصر عام 1314هـ الموافق 1896م، أي بعد تولية (الخديوي عباس الثاني) بسنوات تقريبا.

وكان الاستعمار الانجليزي جاثما على الصدور، فلم تنفع معه المقاومة والثورات ضده ولاسيما ثورة أحمد عرابي[51] التي تركت صداها في الديار المصرية كلها.

ومن آثار هذا الاستعمار خلع الخديوي عباس الثاني المذكور عام 1914)[52].

كما أدرك الشيخ أبو شعيب الدكالي آثار الاصلاح والنهضة التي أرسى قواعدها المصلح جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده وغيرهما من العلماء والمصلحين الذين قاوموا الخرافات والشعوذة، وحاربوا الأمية والجهل والخوف مما كان ضاربا أطنابه على كثير من الناس، وهو أمر كانت تشترك فيه أغلب الشعوب الإسلامية وما أمر المغرب في هذا المجال عنا ببعيد.

كما ألفى الشيخ أبو شعيب الدكالي بعثا ثقافيا عارما في رحاب الأزهر العامر، حيث كانت تلقى فيه الدراسات الإسلامية بجميع فروعها من تفسير وحديث وفقه وأصول الدين وأصول الفقه، فضلا عن الدراسات اللغوية والأدبية في شتى فنونها وأشكالها، والدراسات الكلامية والمنطقية والتاريخية إلى غير ذلك من فنون.

في هذا المناخ العلمي المتعدد، وجد الشيخ أبو شعيب ضالته، وعثر على الكنز الذي لا يفنى، فكان رحمه الله متفانيا في الطلب والدرس حتى كان من شأنه ما كان يحمل لقب شيخ الإسلام على حقيقته دون مبالغة ولا تزيد.

يقول تلميذه الأبر محمد المختار السوسي في هذا الصدد :

فآوى الشيخ إلى الأزهر فأقبل على الدراسة العالية فأتقن التفسير ببركة الروايات التي جودها في المغرب، وأخذ الحديث أخذاً جيداً حتى حكى أنه كان يكتب في لوحة أسماء الرجال ويتعهد تراجمهم حتى كان له من ذلك ما كان.

---

(51) ويعرف بعرابي باشا زعيم مصري توفي عام (1329 - 1911).

(52) أحد من حكموا مصر توفي عام (1363 - 1944).

وبرع أيضاً في النحويات، واللغويات، والأدبيات، وقد أعانه ما أعده من المحفوظات، وما في صدره من حافظة غربية، وما في جأشه من رباطة وما في قلبه من جرأة على أن يستتم بعد سنوات قليلة هنالك أمضاها في التحصيل إلى درجة لفتت إليه أشياخه الأزهريين فأثنوا عليه، ويحكى أن مسائل كثيرة من فنون كتبها سائل في ورقة فوقعت في يده فأجاب عنها كلها، فأعجب به عارفوه والسعد من وراء ذلك كله يأخذ بيده، ومن أعانه السعد ولاحظه بعينه فلينم فإن المخاوف كلها أمان[53].

- الشيخ أبو شعيب الدكالي في رحاب الأزهر الشريف :

ذكر الابن البار عبد الرحمن الدكالي أن والده أبا شعيب الدكالي قد حفظ موطأ الإمام مالك في الريف، وتشاء قدرة الله أن يظهر فضل الله وكرمه على عبده أبي شعيب، فيلتحق بالأزهر، فيأخذ مقره هو وصديقه في رواق المغاربة، ولكن ماذا سيدرس أبو شعيب ؟ إنه على جانب كبير من الحفظ ومعرفة علوم الآلة واستحضار أمهات المذهب المالكي، لقد فكر أن يدرس علم الفلسفة، وقد درس علم المنطق وأتقنه جيداً، نعم رأى في قائمة الدروس التي تعرض على عموم الطلبة أن فضيلة العلامة الشيخ محمد بخيث سيفتتح صبيحة الغد درسه، فرغب في الحضور بمجلسه، ولكنه بعد أن صلى صلاة العشاء والشفع والوتر، ونام مبكراً ليستيقظ لصلاة الصبح، رأى عمه العالم سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي، الذي كان يخافه ويهابه، يقول له : أبو شعيب، احضر غداً عند فضيلة الشيخ سليم البشري شيخ الديار المصرية[54].

فلما صلى الصبح وجد الطلبة يتهامسون بينهم أن شيخ جامع الأزهر سيفتتح الآن صحيح الإمام البخاري، فذهب إلى درس الشيخ المذكور، ومن هذا الدرس اتجه أبو شعيب إلى دراسة الكتاب والسنة، وعكف على حفظ صحيح الإمام البخاري وغيره من كتب الحديث حتى استطاع أن يستحضر بعد عشرة أعوام مئة ألف حديث من كلام رسول الله ﷺ.

---

(53) الترجمة الخاصة للشيخ للأستاذ محمد المختار السوسي.

(54) ترجمة الأستاذ جعفر الناصري للشيخ، ص 4.

وكانت مدة إقامته بمصر ست سنوات، حصل فيها على شهادة الأزهر، وصار مدرساً مساعداً يعلم العربية، والفقه، والمنطق، وعلوم القراءات، ومصطلح الحديث، والبلاغة.

واشتهر بين شيوخه، ورفاقه من العلماء المتخرجين بحفظه النادر، ووطابه العامر، وفصاحته وحسن أسلوبه حتى كان بعض شيوخه يلذ له أن يحضر بعض دروسه أو محاضراته.

وكان يلقى كامل العناية والعطف من لدن الجميع، واستطاع أن يجمع نصيباً من المال لأنه كان يشارك في كل جائزة للمتفوقين، وكان الطلبة يسمونه الصاعقة، إذ كان يفوز في كل مبارة تنظم في أي علم من العلوم[55] وكانت سكناه أثناء دراسته بالأزهر في رواق المغاربة.

وتوجت دراسة الشيخ أبي شعيب الدكالي في مصر بإجازته من الشيوخ الكبار لجامع الأزهر.

ومما وقع له في هذا المجال أن خطه المغربي كان يتعذر قراءته على أهل المشرق وحتى إنهم أرادوا أن يسقطوه في امتحان أداه المترجم في دورة من دورات الامتحان، لكن تدخل في الأمر شيخه وعمدته الشيخ سليم البشري إذ قال له : اقرأ علينا ما كتبته فقرأه، فوفق في أجوبته التي طرحت عليه، وبسبب ذلك نجح في امتحانه، وكان من جملة الممتحنين له الشيخ محمد عبده، بالإضافة إلى شيوخه الآخرين[56].

الدراسة بالأزهر في هذا العصر :

منذ تأسس جامع الأزهر، وهو ملاذ للعلوم الإسلامية، ومهد لتعليم اللغة العربية وآدابها مع المحافظة على التراث الإسلامي والعربي جملة وتفصيلا، وكانت الدراسة به على طريقة الحلقات، وقراءة المتون، دون نظام للقبول، والامتحانات، والشهادات، ودون تقيد بالمناهج، وقد امتد اشعاع الأزهر على العالم الإسلامي، مما جعل طلاب العلم يقصدونه من كل حدب وصوب، للاقتباس من أنواره، والرشف من رحيق أزهاره، وكانت المواد التي تدرس بالأزهر في ذلك العهد

(55) ترجمة الأستاذ عبد الرحمن الدكالي لوالده.

(56) ترجمة الأستاذ عبد الرحمن الدكالي لوالده.

هي : الفقه، الأصول، التفسير، الحديث، النحو، الصرف، المعاني والبيان والبديع، متن اللغة، العروض والقافية، الحكمة الفلسفية، والتصوف، المنطق، الحساب، الجبر والمقابلة، الفلك والهيئة[57].

وكانت الطريقة التي تتم بها الدراسة بجامع الأزهر تشبه الطريقة التي كانت معروفة بجامع القرويين بالمغرب وجامع الزيتونة بتونس.

وكانت دعوات الإصلاح لجامع الأزهر قد بدأت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إذ صدر أول قانون وضع للأزهر في عهد إسماعيل والي مصر الأسبق سنة 1288هـ - 1872م، وكان شيخ الأزهر وقتئذ الشيخ محمد المهدي العباسي.

وقد نظم هذا القانون طريقة نيل شهادة العالمية، وبين مواد امتحانها، وقسم الناجحين فيها إلى ثلاث درجات : (أولى، وثانية، وثالثة)، على أن تصدر بذلك براءة ملكية بتوقيع ولي الأمر، والمواد التي بينها ذلك القانون التي يدرسها الطلبة ويمتحنون فيها هي : الأصول، الفقه، التوحيد، الحديث، التفسير، النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، المنطق.

ولكن مما يؤسف له أن هذا القانون لم يستطع أن ينهض بالأزهر النهضة المرغوبة، ولم يتجاوز بمواد الامتحان لنيل شهادة العالمية «الأحد عشر علماً»، مما يدل على جمود الحركة العلمية، وفتور النشاط فيه.

وحدث بعد ذلك أن عين المرحوم الشيخ حسونة النواوي شيخا للأزهر، وكان الشيخ محمد عبده رحمه الله عضده وساعده، فتعاونا على إنهاض الأزهر من كبوته، وفي ذلك الحين وضع القانون الصادر بتاريخ 20 المحرم سنة 1314هـ - 1896م.

وقد لحظ واضعوا هذا القانون من وجوه الاصلاح ما رأوه كفيلا بإنهاض الأزهر، فأدخلوا فيه مواد جديدة هي : الأخلاق، مصطلح الحديث، الحساب، الجبر، العروض والقافية، وجعل التاريخ الإسلامي، والإنشاء، ومتن اللغة، ومبادئ الهندسة، وتقويم البلدان وغيرها من مواد يفضل محصلها على غيره، ويقدم

(57) الأزهر في ألف عام، ج 2، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب، بيروت، ط 2، 1407 - 1987.

عليه، وفك التقيد بكتب دون أخرى، وحرم قراءة الحواشي في السنوات الأربع الأولى، وحرم التقارير التي على الحواشي، وبذلك نهض الأزهر نهضة مباركة[58].

ومنذ عام 1872م (1288هـ) وضعت للأزهر عدة قوانين لتنظيمه وإصلاحه من أهمها :

1 - قانون بتنفيذ قانون التدريس - 3 من فبراير 1873.

2 - قانون امتحان من يريد التدريس بالجامع الأزهر - 24 مارس 1885.

3 - قرار يضبط عدد أهل الجامع الأزهر - 15 أكتوبر 1885.

4 - قانون بامتحان التدريس - 19 يناير 1888.

5 - قانون بتشكيل مجلس إدارة الأزهر - 3 يناير 1895.

6 - قانون بامتحان من يريد التدريس بالأزهر - 17 يناير 1895.

7 - قانون صرف المرتبات بالأزهر - 29 يونيو 1895.

8 - قانون كساوي التشريفية العلمية - أول فبراير 1896.

9 - قانون الجامع الأزهر - 8 محرم 1314 - أول يوليو 1896[59].

ومن خلال ما سبق يكون الشيخ أبو شعيب الدكالي قد أدرك الأنظمة الجاري بها العمل المتعلقة بالدراسة والامتحانات بالأزهر، لأنه ذهب قاصداً جامع الأزهر عام (1314هـ موافق 1896م)، وأن آخر قانون في تلك الآونة لتنظيم الأزهر صدر عام 1314 - 1896 وهي السنة التي سافر فيها إلى مصر.

كما صادف تعيين أحد شيوخه الأقربين الذين كان يعتز بهم ويقدرهم وهو الشيخ الأكبر سليم البشري الذي عين شيخاً للأزهر عام 1317هـ، ويعد الشيخ سليم البشري أحد المساهمين في إصلاح الأزهر.

وممّن أدركهم أبو شعيب الدكالي آنذاك من شيوخ الأزهر الإمام علي بن محمد الببلاوي الذي تولى مشيخة الأزهر بعد الشيخ سليم البشري عام 1320هـ،

(58) المرجع السابق، ص 175 وما بعدها.

(59) الأزهر في ألف عام، ج 1، ص 194، المرجع السابق.

والإمام علي الببلاوي من شيوخ أبي شعيب الدكالي أيضا كما سنذكره ضمن الشيوخ الذين تلقى عنهم أبو شعيب الدكالي العلم والرواية.

بين جامع الأزهر وجامع القرويين :

غادر الشيخ أبو شعيب الدكالي المغرب بعد موت المولى الحسن الأول رحمه الله بثلاث سنوات، أيام تولية المولى عبد العزيز.

وكان المغرب آنذاك محل أنظار الدول الاستعمارية مما عجل بعقد الحماية البغيض على المغرب.

وقد عانت دولة مصر ما كابده المغرب من ربقة الاستعمار، فذاك في المغرب استعمار فرنسي وهذا في مصر استعمار انجليزي.

في ظل هذه الأجواء القاتمة كانت همة الشيخ أبي شعيب الدكالي في طلب العلم أكبر من تلك الحواجز والدواهي.

وإذا كانت هناك عوامل مشتركة غير ما ذكر تجمع بين المغرب ومصر وغيرها من الدول الإسلامية، تلك العوامل الراجعة إلى أصول التاريخ وثوابت لا تتغير ولا تتبدل، منها دين الإسلام الذي ارتضاه الله سبحانه لجميع المسلمين، واللغة العربية، وتاريخ الإسلام العام.

إلا أن هناك أوجها للتشابه والتقارب مما يرجع إلى الوشائج العلمية، وروابط المعرفة، والعلم ومن تلك الصلات القائمة ما يوجد من ذلك بين جامع الأزهر بمصر وجامعة القرويين بالمغرب.

وقد أجمل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي هذه الصلات وهذا التشابه بقوله :

وكان هناك تشابه بين الأزهر وجامع القرويين في طريقة الدرس وفي منهاج البحث : فكانت هناك الحلقة، وكانت هناك المناقشة، وكانت هناك المحاضرة والتعقيب عليها، وكان أسلوب الدراسة في واقع أمره أسلوبا لتربية العقل، وتخطيط طريق التفكير والوصول إلى الحق في ذاته، وما كان للجامع الأزهر ولجامع القرويين من أسلوب في البحث إذ ذاك هو ما للجامعات المعاصرة اليوم في منهج البحث.

وهناك التشابه فيما طرأ على التعليم في كل منهما من تغيير وما أصابه من تقلبات، تبعا للعهود السياسية التي مرت على كل من القاهرة وفاس : فنجد تشابهاً في طابع التعليم أيام أن حكم الفاطميون في مصر والأدارسة في المغرب، وتشابهاً في طابع التعليم أيام حكم الأيوبيون بمصر والموحدون بالمغرب. كما نجد تشابها في إطار المعرفة نفسه : اتسع فترة فشمل جميع الفروع المختلفة التي يضمها اسم التراث الإسلامي والعربي، وضاق في فترة أخرى فلم يشمل علوم الرياضة والطبيعة والطب والفلسفة.

وهناك تشابه كذلك بين الأزهر والقرويين فيما مر على التعليم في كل منهما من مراحل الإصلاح والتطور : سواء في طريقة التعليم أو في نظام الاختبار أو في تعدد المراحل أو في منهاج المواد، أو في تغيير الكتاب : فقسمت مراحل التعليم في كل منهما إلى ثلاث، وأخذ بنظام المحاضرة بجانب نظام الحلقة في طريقة التدريس، ورتبت كتب التعليم على حسب ما بينها من اختلاف في الحجم وفي أسلوب التعبير، وعلى أية حال لم ينتقل التعليم في كل منهما طفرة ليساير الوضع الغربي سواء بسواء بسبب ما لكل منهما من طابع المحافظة على ما ورثناه من تراث روحي وفكري وعلمي، وما لهما من طابع التمسك بالقيم التي خلفها آباؤنا في حياتنا وتوارثناها جيلا بعد جيل، وربما كان لهذا الطابع الذي للأزهر وجامع القرويين على السواء دخل كبير في مقاومة الغزو الفكري، والغزو السياسي والاقتصادي للوطن العربي.

ويسوقنا من أجل ذلك الحديث عن وجه التشابه بين الأزهر وجامع القرويين في موقف كل منهما تجاه المستعمرين الغازين، وفيما قام به كل منهما من حمل راية الجهاد والكفاح ضد المستعمر الأجنبي، وفيما أصاب كلا منهما من نقمة المستعمر وعنته، وفيما سببه المستعمر لحملة التراث الإسلامي والعربي في كل منهما من أذى وأضرار مادية وأدبية في المجتمع العربي الخاص والعام، وفيما ضيقه من خناق على هؤلاء وأقامه من عقبات في سبيل سعيهم في الحياة، وفي الحصول على وضع في المجتمع يجعل منهم مواطنين لهم ما لمواطنيهم الآخرين من حقوق، وعليهم ما عليهم من واجبات.

وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين في حفظ التراث الإسلامي والعربي وصيانته من التبديد والضياع، فلم تفتر عناية كل منهما في رعاية حفظ القرآن

الكريم ودرسه وتفهم معانيه ولم تفتر رعاية كل منهما عن نقل ما كان للأولين العرب والمسلمين إلى خلفائهم من بعد جيلا بعد جيل من أفهام في القرآن، ومن حلول لمشاكل الحياة ومن معارف كانت تدور في محيطهم الثقافي، وقد كانت صدور علماء وطلاب كل من الأزهر وجامع القرويين مقراً للقرآن الكريم، وكانت عقولهم مرجعا لتفكير المسلمين، وكانت ألسنتهم تنطق بأسلوب كتاب الله، وهو الأسلوب العربي المبين، فحفظوا القرآن من التحريف، وحفظوا التفكير من الضياع.

وهناك التشابه بين الأزهر والقرويين في تأثر الأزهر بعلماء بغداد الذين وفدوا في عهد المماليك إلى القاهرة في سنة 656هـ بعد سقوط بغداد، وفي تأثر القرويين بعلماء الأندلس الذين وفدوا إلى المغرب بعد سقوط الأندلس في القرن الرابع عشر الميلادي.

وهناك التشابه في حركة الإصلاح القوية التي قام بها محمد عبده في الأزهر في نهاية القرن التاسع عشر، والشيخ أبو شعيب الدكالي في القرويين في أوائل القرن العشرين[60].

وهناك التشابه بين الأزهر وجامع القرويين في تربية الحماس القومي، وتنمية الروح الوطني، والقيام بالحركات المعبرة عن سخط الوطن، وتكوين الرأي العام، والدفع إلى بقائه في النضال بين الدخلاء الغاضبين، وبين أصحاب الوطن المعتدى عليهم.

كل هذه الأوجه من التشابه بين الأزهر، وجامع القرويين تجعل لجامع القرويين صدى قوياً لا يتضاءل ولا يضعف مهما فرق الاستعمار فيما مضى بين أجزاء الوطن الواحد، ومهما حاول بأساليبه المختلفة أن يضعف من الصلات الثقافية، والترابط الروحي بين فاس والقاهرة، ومهما حاول وبذل في

(60) هناك روابط مشتركة تجمع الشيخ محمداً عبده، والشيخ أبا شعيب الدكالي منها ما ذكر هنا من حركة الإصلاح في التعليم، وكذلك الإصلاح الاجتماعي عموماً، وتولية القضاء لكل واحد منهما، ومهمة التدريس والتعليم التي اشتركا فيها، والوطنية الصادقة التي اتصفا بها، لكن لأبي شعيب الدكالي خصوصيات منها سعة الرواية، والمشاركة في العلوم الإسلامية سواء كانت من علوم الآلة أو علوم المقاصد، ولا ننكر أن للشيخ محمد عبده خصائص تميز بها.

وانظر ما ذكره تلميذ الشيخ الأستاذ العلامة عبد الله كَنون في هذا المجال في كتابه : (التعاشيب) تحت عنوان (محمد عبده المغرب)، يقصد الشيخ أبا شعيب، انظر ص 89، ط 2، 1975، بيروت.

وضع العقبات المادية والمعنوية في طريق لقاء العربي القاهري بالعربي المغربي[61].

شيوخ أبي شعيب الدكالي بالمشرق :

تعددت شيوخ أبي شعيب الدكالي في رحاب الأزهر الشريف وغيره، من علماء المشرق، ممن كانوا أوعية للعلم، وحملة للرواية والدراية، وكانوا أعلاماً جهابذة، سارت بذكرهم الركبان، وانتشر صيتهم في العالم الإسلامي وفي كل مكان.

وقد ذكر الشيخ أبو شعيب رحمه الله في ترجمته لنفسه بعض شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، وأجمل غيرهم ممن أجازه، وهم كثير، ولاسيما حين جاور مكة المكرمة، حيث كانت الوفود تترى من العلماء الأجلاء من اليمن، وأهل الشام، والعراق والهند[62].

فحصل للشيخ شعيب معهم تعارف وتآلف، أفاد واستفاد من الجميع بالمذاكرة، والمشاورة مع ذوي الألباب ما ملأ به الوطاب، وأفعم الجراب، وظهر أثره في ثقافته الشاملة، وآفاقه الواسعة.

ومن أبرز هؤلاء الشيوخ ما يلي :

1 - الشيخ محمد عبده :

الشيخ الإمام، الأستاذ المصلح المجاهد في سبيل الله والوطن.

محمد عبده بن حسن خير الله، ولد بقرية الغربية بمصر عام 1266هـ - 1849م، وتوفي عام 1323هـ - 1905م.

---

(61) الأزهر في ألف عام، ج 3، ص 232، المرجع السابق.

تنبيه :

إن ما ذكره الدكتور المذكور في المقابلة بين الأزهر وجامع القرويين بفاس ينطبق مثله على جامع ابن يوسف بمراكش فهما صنوان للمعارف يلتقيان في مضمار واحد، وغاية مشتركة لا يجوز التفرقة بينهما ولا النيل من عمل أحدهما، لأن ذلك يخدم العصبية القبلية، ويقضي على المحبة القلبية الإيمانية، ويشتت الجهود، ويقضي على تراث الآباء والجدود، فرحم الله من جمع الشمل بين الأخوين، وجعل الأمر واحداً بين النظيرين، ونظر إليهما بما يرفع شأنهما، ويعيد المجد لهما، فإن حصل ذلك انتفع الأحبة المؤمنون، وارتفعت راية العلوم خفاقة فوق هذا الوطن الكريم، ورجع خصوم الوحدة، وأعداء هذا الدين بخفي حنين.

(62) الترجمة الخاصة التي كتبها الشيخ أبو شعيب الدكالي بنفسه.

وبالرغم من عمره القصير، فقد حقق فيه الشيء الكثير، فضلا من الله وتكرماً.

تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وتعلم اللغة الفرنسية وقد جاوز الأربعين، واشتغل بالتدريس، وكتب، وحرر، وتولى القضاء وقد امتاز في قضائه بتحريه الحق، وتقديره للعدالة أكثر مما يقدر نصوص القانون، كما تولى الافتاء للديار المصرية، ولم يحل ذلك دون أن يناهض الاستعمار الانكليزي، وناصر الثورة العرابية، فسجن، ونفي من أجل ذلك[63].

وترجمته واسعة تكفل تلميذه الشيخ محمد رشيد رضا بكتابتها تحت عنوان (تاريخ محمد عبده).

وكان من أهل الدراسة، ولم يهتم بالرواية[64]، ناظراً إلى المقاصد الشرعية، والاهتمام بحال الأمة الإسلامية، ومقاومة الاستعمار، والدعوى إلى التجديد، وفتح باب الاجتهاد.

جاء في معجم الشيوخ :

بعد ذكر جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ومؤلفاتهم التي ظهرت حجة ناطقة على علو مقامهم وخدمتهم للشريعة المطهرة، وتنزيههم عن مطاعن من جهل قدرهم، وعلى كونهم من الهداة المهديين، ومن الدعاة المحقين للإصلاح الديني، وأنهم أحيوا سننا، وأماتوا بدعاً، ودافعوا عن الإسلام بما لم يقدر أحد من العلماء على الدفاع بمثله، أو القيام بما قاموا به، فكانوا قدوة لمن قاموا بعدهم لخدمة الملة الإسلامية، والدفاع عنها، وما النهضة الإسلامية الصحيحة القائمة اليوم بالمشرق، وخصوصاً بمصر، ومحاربة الملاحدة به إلا من أثر مؤلفاتهم المذكورة، وتعاليمهم[65].

---

(63) انظر ترجمته الواسعة (تاريخ محمد عبده) للشيخ محمد رشيد رضا، الطبعة الثانية، مطبعة المنار، بمصر، عام 1344، وأعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص 143 لأحمد تيمور باشا، ط 1، عام 1387 - 1967، القاهرة، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 280 وما يليها لأحمد أمين، القاهرة، 1949، المجددون في الإسلام، ص 530، لعبد المتعال الصعيدي، المطبعة النموذجية، بمصر، دون تاريخ، الأعلام، ج 6، ص 252، لخير الدين الزركلي، المرجع السابق، والفكر السامي، ج 2، ص 200.

(64) تاريخ الإمام محمد، ج 1، ص 1033.

(65) معجم الشيوخ، ج 2، ص 163 وما يليها، المرجع السابق.

وقال أحمد أمين :

لقد أيقظ الشيخ محمد عبده الشعور الديني، وأشعر المسلمين أنهم يجب أن يهبوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم، وتكميل نقصهم، وألا يعتمدوا على الفخر بماضيهم، بل يبنوا من جديد لحاضرهم ومستقبلهم، ودعا إلى أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عُرف بالعقل، ولابد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معاً، حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدنية الجديدة، ونقتبس منها ما يفيدنا، لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا في عزلة، ولابد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم، وأكبر سلاح في الدنيا هو العلم، وأكبر عمدة في الأخلاق هو الدين، ومن حسن حظ المسلمين أن دينهم يشرح صدره للعلم ويحض عليه، وللعقل ويدعو إليه، وللأخلاق الفاضلة التي تدعو إليها المدنية الحاضرة.

لقد خلف في هذه الآراء كلها مدرسة تأخذ بتعاليمه وتعتمد على آرائه، منهم من أخذها عنه شفاها، ومنهم - في الأقطار الإسلامية المختلفة - من أخذها عنه بما نشره في كتبه ومقالاته[66].

وكانت مدرسته هذه مدرسة قوية الأثر، واضحة المعالم، وحسبنا دليلا على هذا أن أكثر من تصدوا للإصلاح الديني أو الاجتماعي أو السياسي بعده كانوا من تلاميذه أو من أصدقائه المتأثرين به[67].

وقد نال الشيخ أبو شعيب الدكالي حظه من تعاليم هذا الإمام، والجهبذ الهمام، ويكفيه فخراً أن الشيخ محمد عبده كان أحد المتحنين له في لجنة الامتحان[68].

وعايش الشيخ شعيب الأجواء التي كان ينادي فيها محمد عبده بالإصلاح في كل مجال.

كما أن المدة التي قضاها في رحاب الأزهر، كان فيها الشيخ محمد عبده يتولى فيه كرسي تفسير القرآن الكريم، بالرغم من توليه للقضاء والافتاء[69].

---

(66) انظر زعماء الاصلاح في العصر الحديث، ص 280 وما يليها.

(67) زعماء الإصلاح، ص 337، المرجع السابق.

(68) ترجمة ولده الأستاذ عبد الرحمان الدكالي.

(69) زعماء الاصلاح، ص 329، المرجع السابق.

ويصف الأستاذ أحمد أمين طريقته في هذا التفسير بقوله :

كان يقرأ الآية، فإذا اتصلت بالعقيدة شرحها شرحاً وافياً، عارضاً ما ورد في القرآن في موضوعها، مبيناً ما دخل على المسلمين في هذه العقيدة من فساد ودخيل، وإذا اتصلت الآية بالأخلاق أبان أثر هذا الخلق في صلاح الأمم، وضياعه في فسادها، وإذا اتصلت بحالة اجتماعية أوضح أثر هذه الحالة الاجتماعية في حياة الأمم، مسترشداً بالواقع، مستشهداً بما يجري في العالم، في بيان متدفق، ولسان ذلق، وصوت جميل أخاذ، فهو تفسيرٌ عملي، يشرح الواقع ويبين سببه[70].

كما كان من دروسه درس في البلاغة لا على نمط البلاغة التي أفسدتها الفلسفة، بل على النمط الذي يربي الذوق ويرقي الأسلوب، فقرأ كتابي «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني، وكان هو السبب في نشرهما، فقدم بهما معنى للبلاغة لم يكن مفهوماً للناس من قبل[71].

واستمر يدرس التفسير في الأزهر نحو ست سنين، كان يحضره كثير من علية القوم، وكبار القضاة، والموظفين، وشباب الأزهر، والمدارس العالية، وكان درسه ذا أثر كبير فيهم[72].

ولاشك أن الشيخ أبا شعيب قد نالته بركات هذه الدروس، وهو من شباب الأزهر وطلابه آنذاك، وستظهر تلك النفحات المشرقة في دروسه، ودعوته التي بدأها في رحاب الأزهر، والحرمين الشريفين، وكان لها أثر أكبر عند عودته إلى بلده المغرب الأقصى كما سوف نرى من بعد في حينه إن شاء الله.

يقول أحد تلامذة الشيخ شعيب الدكالي المخلصين الشيخ محمد السائح : وفي أيام المولى عبد الحفيظ وفد عليه الشيخ أبو شعيب الدكالي من المشرق يتوقد نشاطاً وحدة.

وكان قد تأثر بمدرسة الشيخ محمد عبده إلى حد كبير، فقام بنشر مبادئ الإصلاح غير هياب، ولا وجل، واتصل بالسلطان، وبرز للنضال، وثبت في الميدان، حتى استقرت مبادؤه واستحكمت أركانها[73].

---

(70) المرجع السابق، ص 329، وانظر تاريخ الإمام محمد عبده، ج 1، ص 769.

(71) (72) المرجع السابق، ص 333 وص 330.

(73) انظر الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح، ص 94، للعلامة عبد الله الجراري، ط 1، 1399 - 1979، مطبعة النجاح الجديدة.

وإن كانت بين الرجلين الشيخين فوارق في المنهج والأسلوب سنتعرف عليها في المبحث الخاص بدور الشيخ شعيب في الإصلاح.

ونختم هذه الترجمة المباركة لعلم من الأعلام، كافح وناضل من أجل العلم والوطن والإسلام بما قاله قبل موته بالرغم من عدم عنايته بالشعر، مما يبرهن على ما تحمله نفسه من مشاعر أبية، وطموح لا يحد.

قال رحمه الله :

ولست أبالي أن يقال محمد ... أبلّ أو اكتظت عليه المآتم
ولكن ديناً قد أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم
فيارب إن قدرت رجعي قريبة ... إلى عالم الأرواح وانفض خاتم
فبارك على الإسلام وارزقه مرشداً ... رشيداً يضيء النهج والليل قائم[74]

وقال الشاعر اللافظ حافظ إبراهيم[75] في رثائه، وهي مرثية أبرزت فضل هذا الإمام، ولخصت أنواراً مشعة من حياته، وجوانب مشرقة من كفاحه ونضاله :

سلام على الإسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات
على الدين والدنيا، على العلم والحجا ... على البر والتقوى، على الحسنات
لقد كنت أخشى عادي الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوالهفي - والقبر بيني وبينه - ... على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً ... كأني حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الإمام فأودعوا ... تجاليده في موحش بفلاة
ولو ضرحوا بالمسجدين لأنزلوا ... بخير بقاع الأرض خير رفات
تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك في الدنيا بغير حُماة ؟
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ... ولانت قناة الدين للغمزات
زرعت لنا زرعاً فأخرج شطأه ... وبِنْتَ ولما نجتن الثمرات
فواهاً له ألا يصيب موفّقاً ... يُشارِفُه والأرضُ غيرُ مَواتِ
مددنا إلى الأعلام بعدك راحنا ... فردت إلى أعطافنا صفرات

(74) الأزهر في ألف عام، ج 3، ص 310، المرجع السابق.

(75) انظر ترجمته الأعلام للزركلي، ج 6، ص 76، المرجع السابق.

وجالت بنا تبغي سواك عيوننا ... فعدن وآثرن العمى شرقات

وآذوك في ذات الإله وأنكروا ... مكانك حتى سودوا الصفحات

رأيت الأذى في جانب الله لذة ... ورحت ولم تهمم له بشكاةِ

لقد كنت فيهم كوكباً في غياهب ... ومعرفةً في أنفسٍ نكرات

أبَنت لنا التنزيل حكما وحكمة ... وفرقت بين النور والظلمات

ووفقت بين الدين، والعلم، والحجا ... فأطلعت نوراً من ثلاث جهات

وقفت (لهانوتو) و(رنيان) وقفة ... أمدك فيها الروح بالنفحات

وخفت مقام الله في كل موقف ... فخافك أهل الشك والنزغات

وكم لك في إغفاءة الفجر يقظة ... نفضت عليها لذة الهجعات

ووليت شطر البيت وجهك خالياً ... تناجي إله البيت في الخلوات

وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى ... ونبهت فيها صادق العزمات

وأرصدت للباغي على دين أحمدٍ ... شباة يراع ساحرِ النفثات

إذا مس خد الطرس فاض جبينه ... بأسطار نور باهر اللمعات

كأن قرار الكهرباء بشقه ... يريك سناه أيسر اللمسات

فيا سنة مرته بأعواد نعشه ... لأنتِ علينا أشأم السنوات

حطمت لنا سيفاً وعطّلتِ منبرا ... وأذويت روضا ناضر الزهرات

وأطفأتِ نبراسا وأشعلت أنفسا ... على جمرات الحزن منطويات

رأى في لياليك المنجم ما رأى ... فأنذرنا بالويل والعثرات

ونبأه علم النجوم بحادث ... تبيت له الأبراج مضطربات

رمى السرطان الليث والليث خادر ... ورب ضعيف نافذ الرّهيات

فأودى به ختلاً فمال إلى الثرى ... ومالت له الأجرام منحرفات

وشاعت تعازي الشهب باللمح بينها ... عن النيِّر الهاوي إلى الفلوات

مشى نعشه يختال عجبا بربه ... ويخطر بين اللمس والقبلات

تكاد الدموع الجاريات تقله ... وتدفعه الأنفاس مستعرات

بكى الشرق فارتجت له الأرض رَبَّةً ... وضاقت عيون الكون بالعبرات

ففي الهند محزون وفي الصين جازع ... وفي (مصر) باكٍ دائم الحسرات

وفي الشام مفجوع، وفي الفرس نادب ... وفي تونس ما شئت من زفرات

بكى عالم الإسلام عالم عصره ... سراج الدياجي هادم الشبهات

مـلاذ عـيـايـل ثـمـال أرامـل غـيـات ذوي عـدم إمـام هـداة

فلا تنصبوا للناس تمثال (عبده) وإن كـان ذكـرى حـكـمـة وثـبـات

فإني لأخش أن يصَلو فيومئوا إلى نـور هـذا الـوجـه بـالسـجـدات

فـيـا ويـح الشـورى إذا جـدّ جِـدّها وطـاشت بـهـا الآراء مشـتـجـرات

ويا ويح للفتيا إذا قيل من لها ؟ ويـا ويـح لـلـخيرات والصـدقـات

بـكـيـنـا عـلـى فـرد وإن بـكـاءنـا عـلـى أنـفس لـلّـه مـنـقـطـعـات

تـعـهـدهـا فضـل الإمـام وحـاطـهـا بـإحسـانـه والـدهـر غير مـواتـي

فـيـا مـنـزلا في (عين شـمس) أظـلـنـي وأرغـم حسـادي وغَـمّ عـداتـي

دعـائـمـه الـتـقـوى وأسـاسـه الـهـدى وفـيـه الأيـادي مـوضـع الـلـبـنـات

عـلـيك سـلام الـلّـه، مـا لك مـوحشـا عـبـوس المغاني مـقـفـر الـعـرصـات

لـقـد كـنت مـقصـود الجوانب آهـلا تـطـوف بك الآمـال مـبـتـهـلات

مـثـابـة أرزاق، ومـهـبـط حـكـمـة ومـطـلـع أنـوار، وكـنـز عـظـات[76]

ومما يسجل هنا أن الشاعر حافظ أبراهيم قد حفظ ود الشيخ محمد عبده، وأشاد بقدره العلمي، وذكراه الطيبة في مراثيه الشعرية، بينما تنكر أمير الشعراء، ورائد الأدباء أحمد شوقي لذلك، فقال في حق الشيخ متهكما وساخراً :

مـفسـر آي الـلّـه بـالأمس بـيـنـنـا قـم الـيـوم فسِّـر لـلـورى آيـة الموت

إلخ...[77].

ولكن قدر الشيخ محمد عبده فوق ذلك، وعند الله يبرز الراجح من المرجوح.

وقديماً قال الإمام الشافعي رحمه الله :

تمنـى رجـال أن أمـوت وإن أمت فـتـلك سـبـيـل لست فـيـهـا بـأوحـد

(76) ديوان حافظ إبراهيم، ص 92، تهذيب وتعليق د. يحي شامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، عام 1419 - 1998.

(77) رد عليه الشاعر حسن أفندي صبحي مما أثبته الشيخ محمد رشيد رضا في تاريخه للأستاذ الإمام محمد عبده في آخر الجزء الثالث الخاص بالمراثي بقوله :

وقـائـل فسـر لـنـا آيـة الـ ـمـوت فـيـا لـلّـه مـن حـقـده

أمـا كـفـاه أن خير الـورى فسـرهـا قـبـلك في لحده

الخ... انظر ج 3، ص 317، تاريخ محمد عبده، المنار، عام 1367.

2 - الشيخ أحمد الرفاعي :

هو الشيخ المحدث، الفقيه، المالكي، أحمد بن محجوب الفيومي المشهور بالرفاعي، ولد بقرية الصوافنة بمديرية الفيومي، درس بالأزهر على كبار الشيوخ فيه آنذاك، أمثال : الشيخ محمد عليش، والشيخ أحمد منة الله المالكي، وهو عمدته في رواية الحديث[78]، والشيخ محمد القلماوي، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ مصطفى الميلط، والشيخ أحمد الدمنهوري، والشيخ أحمد الإسماعيلي، والشيخ محمد الدمنهوري، وغيرهم كثير، إلى أن برع في غالب الفنون.

وكان عالما، بارعاً، إماما محققاً، دؤوبا على التدريس ونصح الخلق، لا يعرف الكسل ولا الملل، مواظباً على قراءة كتب الحديث كالموطأ، والصحيحين، مع باقي الكتب الستة، وغير ذلك من كافة الفنون النقلية والعقلية، وكان فصيح العبارة، سهل الإفادة، فقرأ الكتب المتداولة مراراً، ومهر فيها بسبب كثرة اشتغاله حتى صار المستعصي منها عنده بمنزلة السهل عند غيره، وأتقن فن التجويد فكان شيخاً على المقارئ مدة طويلة ومكث مدرساً بالأزهر نحواً من ثلاث وخمسين سنة (53) حتى انحصر الأزهر في تلامذته، وتلامذة تلامذته، فكل الأزهريين عيال عليه في العلم.

ومن أكبر تلامذته :

- الشيخ محمد عبده.
- الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية.
- الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي.
- الشيخ محمد حسنين العدوي.
- الشيخ محمد النجدي الشرقاوي.
- الشيخ محمد البشير ظافر وغيرهم.

---

(78) الشيخ أحمد منة الله هو أحد الرواة في سند رواية الشيخ أبي شعيب الدكالي عن طريق الشيخ أحمد الرفاعي، توفي رحمه الله عام 1272هـ.

انظر ترجمته اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، ص 60 لمحمد البشير ظافر الأزهري، دار الآفاق العربية، ط 1، 1420 - 2000، القاهرة.

ومن تآليفه : حاشية على شرح بحرق اليمني على اللامية، وتقريرات على المطول للسعد، والأشموني، وجمع الجوامع، وحاشية على منظومة الصبان في العروض، وتقرير على المقولات وغير ذلك.

وتوفي في صفر عام 1325 [79].

وقد روي الشيخ أبو شعيب الدكالي عن الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله بأسانيده الحديثية صحيح الإمام البخاري، وموطأ الإمام مالك، وصحيح الإمام مسلم، وسنن أبي داود، وسنن ابن ماجة، وسائر المسلسلات الحديثية[80].

3 - الشيخ سليم البشري :

وهو الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، سليم بن أبي فراج البشري، ولد (بمحلة بشر) من قرى (شبراخيت) بمحافظة البحيرة عام 1248هـ، درس في بدايته على خاله بمسجد السيدة زينب القراءات، وعلوم الدين، واللغة، والفقه على مذهب مالك.

ثم التحق بالأزهر فتلقى دراسته على يد العلماء الأجلاء أمثال : الشيخ الباجوري، والشيخ عليش، والشيخ الخناني الذي استخلفه في قراءة أمهات الكتب مع تلامذته، ونبغ في علوم كثيرة، وكان يجد لكل مسألة حلا، حتى قصده العلماء، وعين شيخاً لمسجد السيدة زينب فقرأ على الناس أهم العلوم المقررة.

ثم عين شيخاً للسادة المالكية وهو منصب كبير بالأزهر، وتخرج على يديه كثير من العلماء الأجلاء، ومنهم الشيخ أبو شعيب الدكالي الذي درس عليه صحيح الإمام البخاري في رحاب الأزهر الشريف، وهو عمدته في الرواية والدراية، وشارك الشيخ سليم البشري في إصلاح الأزهر، ثم أصبح شيخاً له من عام 1899م - 1902م، ثم في المرة الثانية من سنة 1909م - 1917م.

وفي جميع الأحوال سواء في توليته مشيخة الأزهر أو في حالة استقالته منها لم يكن يترك التدريس بجامع الأزهر وساعده على نشر العلم وكثرة التلاميذ

---

(79) اليواقيت الثمينة، ص 62 وما يليها، وأعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص 107، وشجرة النور الزكية، ص 411، والأعلام للزركلي، ج 1، ص 202.

(80) المحدث الحافظ أبي شعيب الدكالي، ص 123، ضمن إجازة الشيخ أبي شعيب للعالم المحدث محمد المدني بن الحسني.

طول عمره المبارك إذ تجاوز التسعين في ذلك. وكان من المدافعين عن علماء الأزهر وطلابه من أجل الزيادة في رواتبهم، ومنحهم، بينما هو كان من العلماء العاملين الزاهدين[81].

وكان معروفاً رحمه الله بالإحسان إلى ذوي الحاجة، فيخرج لهم من مرتبه ما يسدون به خلتهم ومآربهم كل شهر.

وقد استفاد الشيخ أبو شعيب الدكالي من علم وسمت هذا الشيخ الجليل، وكان يعتز ويفتخر به، وهو الذي أخذ بيد الشيخ أبي شعيب حين كان أمام لجنة الامتحان بالأزهر فلم يستطيعوا قراءة خطه المغربي فطلب الشيخ سليم البشري أمام اللجنة من أبي شعيب الدكالي أن يقرأ على أعضاء اللجنة ما كتبه حتى يسمعوه، ووفق في الامتحان.

والشيخ سليم البشري هو الذي رشح الشيخ أبا شعيب الدكالي من أجل الذهاب إلى الحجاز كما سيأتي بيانه، ولذلك أكثر الرواية عنه في سلسلة رواته الحديثية، إذ كانت بينهما محبة علمية، وتقدير متبادل من الجانبين، ولا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه.

وهكذا أخذ وروى عنه بأسانيده الحديثية المتصلة محلياً إياه بالفاضل شيخ الإسلام، صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وسنن أبي داود، والسنن الصغرى للنسائي، وسنن ابن ماجة[82].

للشيخ سليم البشري عدة مصنفات منها :

- حاشية تحفة الطلاب على شرح رسالة الآداب.
- حاشية على رسالة الشيخ عليش في التوحيد.
- المقامات السنية في الرد على القادح في البعثة النبوية.
- عقود الجمان في عقائد أهل الإيمان.

---

(81) حلاه محمد بن الحسن الحجوي بأنه : علامة، دراكة، جهبذ، فاضل، محقق. الفكر السامي، ج 2، ص 311، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، عام 1397 - 1977.

(82) إجازة الشيخ أبي شعيب الدكالي لمحمد بن المدني بن الحسني، ضمن كتاب المحدث الحافظ أبي شعيب الدكالي، ص 123، المرجع السابق.

- الاستئناس في بيان الأعلام وأسماء الأجناس.

- شرح نهج البرد لأحمد شوقي[83].

وتوفي رحمه الله عام 1335هـ، ورثاه شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم بقوله:

أيدري المسلمون بمن أصيبوا ... وقد واروا (سليماً) في التراب

هوى ركن الحديث فأي قطب ... لطلاب الحقيقة والصواب

(موطأ مالك) عز (البخاري) ... ودع لله تعزية الكتاب

فما في الناطقين فمٌ يوفّي ... عزاء الدّين في هذا المصاب

قضى الشيخ المحدث وهو يُمْلي ... على طلابه فصل الخطاب

ولم تنقص له التسعون عزماً ... ولا صدته عن درْكِ الطّلاب

وما غالت قريحته الليالي ... ولا خانته ذاكرة الشباب

أشيخ المسلمين نأيت عنا ... عظيم الأجر موفور الثواب

لقد سبقت لك الحسنى فطوبى ... لموقف شيخنا يوم الحساب

إذا ألقى السؤال عليك مُلقٍ ... تصدى عنك برُّك للجواب

ونادى العدل والإحسان إنّا ... نزكي ما يقول ولا نحابي

قفوا يا أيها العلماء وابكوا ... ورِوُوا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ولنحن أولى ... ببذل الدمع من ذات الخضاب

عليك تحية الإسلام وقفاً ... وأهليه إلى يوم المآب[84]

---

(83) شيوخ الأزهر، ص 29 وما يليها، وزارة الإعلام، جمهورية مصر، دون تاريخ، الأزهر الشريف في عيده الألفي، لوحة مشيخة الأزهر الشريف، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام 1402 - 1982.

النور الأبهر في طبقات شيوخ الجامع الأزهر، ص 44، لمحي الدين الطعمي، ط 1، عام 1412 - 1992، دار الجيل، بيروت، الفكر السامي، ج 2، ص 311، المرجع السابق، الأزهر في ألف عام، ج 1، ص 254 وما يليها، د. محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، الأعلام للزركلي، ج 3، ص 119.

(84) ديوان حافظ إبراهيم، ص 189 وما يليها، تصحيح وشرح أحمد أمين ومن معه، دار العودة، بيروت، دون تاريخ.

وهو رثاء صادق متضمن خصال الشيخ سليم البشري الحميدة، وما يتصف به من علم، وهمة عالية في نشره بالرغم من كبر سنه، وأياديه البيضاء التي يمدها إلى المساكين والفقراء(85).

4 - الشيخ محمد بخيت المطيعي :

هو شمس الدين محمد بخيت بن حسن المطيعي، الفقيه الحنفي، الأصولي، المتكلم، القاضي، مفتي الديار المصرية، ولد ببلدة المطيعة، التابعة لمديرية أسيوط عام 1271هـ - 1856م.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم التحق بالأزهر الشريف، فدرس على كبار الشيوخ آنذاك، أمثال الشيخ الدارستاني، والشيخ عبد الغني الحلواني، والشيخ عبد الرحمن البحراوي، والشيخ الدمنهوري، والشيخ العباسي المهدي شيخ الأزهر.

وعمدته في الرواية الشيخ محمد عليش، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عبد الرحمن الشربيني.

وبالرغم من أخذ الشيخ شعيب الدكالي عن الشيخ محمد بخيت فقد شاركه في الأخذ والرواية عن الشيخ أحمد الرفاعي لكبر سنه.

ودرس الشيخ محمد بخيت الفلسفة عن الشيخ حسن الطويل، والسيد جمال الدين الأفغاني.

---

(85) يقول ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه أبو داود والترمذي والنسائي والبخاري في الأدب المفرد.

وقد ترك الشيخ سليم البشري رحمه الله علماً بعده مما كتبه والذين تتلمذوا عليه، ومنهم الشيخ أبو شعيب الدكالي، وما قام به من أعمال صالحات تشهد له يوم تطوى الصحف، وقد خلف ابنا فاضلا يدعو له وهو القاضي الأديب عبد العزيز البشري، انظر ترجمته الأعلام، لخير الدين الزركلي، ج 4، ص 18.

وما توفر في الشيخ سليم البشري هو من جملة ما نظمه جلال الدين السيوطي بقوله :

إذا مات ابن آدم ليس يجري ... عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف، ورباط ثغر ... وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوي ... إليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصر

وامتحن لنيل شهادة العالمية من الأزهر سنة 1292هـ، فحازها من الدرجة الأولى، وأنعم عليه بكسوة التشريفة العلمية من الدرجة الثالثة مكافأة له على نبوغه.

وكان عالماً مشاركاً في أكثر العلوم الإسلامية، إلا أنه كانت تغلب عليه الدراية على الرواية.

ولاشك أن الشيخ شعيبا الدكالي قد استفاد من شيخه هذا سعة الأفق العلمي، والمشاركة الشاملة في كافة العلوم، ولاسيما علم الأصول، فكان يدرس كتاب التوضيح، وجمع الجوامع، ومسلم الثبوت.

كما قام بتدريس علوم التوحيد، والفقه، والتفسير، والحديث، والفلسفة، والتصوف، والمنطق.

جاء في تشنيف الأسماع :

وكان درسه في التفسير غاية في النفاسة، فيتكلم على الآية من الإعراب، والبلاغة، وأسباب النزول، والأحكام الشرعية، فيبهر العقول، ويأتي بفرائد المعقول، والمنقول، بحيث اشتهر درسه في التفسير، فتجد أكابر العلماء فيه فضلا عن غيرهم، كيف لا، وقد سارت إليه الركبان، وكان لا يمر بمصر عالم إلا أتاه، وجلس إليه واستفاد منه[86].

ولازم التدريس إلى أن توفي، بالرغم من اشتغاله بالوظائف العليا في القضاء والافتاء.

إذ تولى وظيفة القضاء في مناطق متعددة في مصر، وأسندت إليه المراتب العالية في القضاء نظراً لكفاءته، وفي عام 1914م تقلد منصب مفتي الديار المصرية.

ومن أشهر تلاميذته في مصر الشيخ محمد الأحمدي الظواهري شيخ الأزهر، والشيخ محمد مصطفى المراغي، والشيخ محمد مأمون الشناوي، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ حسنين محمد حسنين مخلوف، والشيخ عبد الله دراز، ومن المغاربة الشيخ المحدث أحمد بن الصديق الغماري.

---

(86) تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، ص 112، لأبي سليمان محمود سعيد ممدوح، دار الشباب للطباعة، القاهرة، دون تاريخ.

وقد أجاز العلامة عبد الحفيظ الفاسي من المغرب، بإجازة علمية أثبتها في كتابه معجم الشيوخ[87].

وقرظ كتاب فهرس الفهارس للشيخ عبد الحي الكتاني ذكر ذلك في آخر كتابه المذكور[88].

وانتشرت فتاويه في الآفاق، واستخدم كتاباً لنقل تلك الفتاوي وإرسالها إلى أصحابها في الأقطار النائية، متحملا نفقات أولئك الكتاب، وما يرسله بالبريد.

وكان من العلماء الزاهدين، ينفق من مرتبه الخاص على الفقراء من الطلبة، والعلماء الذين ليس لهم مرتبات[89].

وترك مجموعة من المؤلفات تدل على مشاركته العلمية، وعنايته بشؤون الثقافة الإسلامية.

فمن ذلك :

- البدر الساطع على جمع الجوامع.
- أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام.
- إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة.
- حسن البيان فيما ورد من الشبهة على القرآن.
- القول الجامع في الطلاق البدعي والمتتابع.
- نهاية السول في علم الأصول.
- إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة.
- الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن.

---

(87) معجم الشيوخ، ج 1، ص 164 وما يليها.

(88) فهرس الفهارس، ج 2، ص 1171، دار الغرب الإسلامي.

(89) انظر ترجمته المصادر الآتية : الأعلام الشرقية، ج 2، ص 497، ط 2، دار الغرب الإسلامي، 1964، معجم الشيوخ، ج 1، ص 162، المرجع السابق، الفتح المبين في طبقات الأصوليين، ج 3، ص 181 لعبد الله مصطفى المراغي، ط 2 - 1394 - 1974، بيروت، الفكر السامي، ج 2، ص 201، الأعلام للزركلي، ج 6، ص 50، الأزهر في ألف عام، ج 2، ص 46، د. محمد عبد المنعم خفاجي.

وغير ذلك من الكتب والرسائل[90].

وكانت وفاة الشيخ محمد بخيت رحمه الله عام 1354هـ - 1935م.

5 - الشيخ محمد محمود الشنقيطي :

قال فيه تلميذه العالم الأديب الباحث المؤرخ أحمد تيمور باشا[91] : هو الأستاذ العلامة الحجة الثقة إمام اللغويين في عصره، شيخنا محمد محمود بن أحمد التركزي الشنقيطي، اشتهر والده بالتلاميد (بالدال المهملة) وسبب ذلك على ما أخبرني به أنه كان يقرئ تلاميذه في خيمة انفرد بها، فكان كل من يسأل عنه يقول : أين خيمة التلاميد ؟ ثم أطلق هذا اللقب عليه، كما يقال : السادات للواحد من السادات الوفائية بمصر.

وتركز بضم فسكون : اسم قبيلته، وهو في الأصل أموي النسب، ولهذا كان يكتب في توقيعه (العبشمي) نسبة إلى عبد شمس، ثم ترك كتابته لما أقام بمصر[92].

وقرأ ببلده شنقيط على أبيه وبعض أقاربه، ولازم الشيخ عبد الوهاب الملقب بأجدود، وعليه تخرج، ثم أخذ الحديث عن ابن بلعمش الجكني بتيندوف[93].

واستظهر من المتون وأشعار العرب شيئا كثيراً لم يذهب من حفظه حتى مات، واشتهر باللغة والأنساب وانفرد بهما، ثم رحل إلى المشرق فحج واجتمع بأمير مكة آنذاك الشريف عبد الله بن محمد بن عون فأكرمه، وطلب منه البقاء عنده فأجاب، وكانت تقع بينه وبين علماء مكة، والواردين عليها مناظرات ومحاورات علمية في

---

(90) انظر في ذلك الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ج 2، ص 498، والأعلام للزركلي، ج 6، ص 50، الفتح المبين، ج 3، ص 186، المرجع السابق.

(91) انظر ترجمته، الأعلام، للزركلي، ج 1، ص 100.

وجاء في اتصاله بالشيخ الشنقيطي :

وصحب إمام اللغة الشيخ، محمد محمود الشنقيطي، الشهير، فقرأ عليه المعلقات السبع، رواية ودراية، وكثيراً من دواوين العرب التي كان يرويها، وبعض الرسائل اللغوية، واستفاد منه فوائد جمة، صرفته إلى الاشتغال باللغة بعد أن كان مقتصراً على الأدب والتاريخ، ولم يزل مصاحباً له حتى توفي قبل غروب يوم الجمعة 23 شوال سنة 1322هـ.

انظر مختارات أحمد تيمور، ط 1، 1376 - 1956، القاهرة.

(92) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص 369.

(93) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، ص 381، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، ط 2، القاهرة، 1378 - 1958.

مجلس الأمير، وصار يتردد في الإقامة بين مكة والمدينة، إلى أن قصد القسنطينية فأكرمه السلطان عبد الحميد، وعرف قدره.

ثم رجع إلى المدينة المنورة، ومنها قدم إلى القاهرة، وألقى بها عصا التسيار، واستحضر أهله وكتبه من المدينة[94].

وفي رحاب القاهرة أخذ الشيخ محمد عبده بيده، ولولاه ما بقي في مصر، فكان الشنقيطي علما من أعلام اللغة يعلمها للناس، ويصحح ما تعقد من الكتب، وينشر البحوث اللغوية الدالة على اطلاع واسع، وتدقيق عميق[95].

ولا غرو أنه في هذه الآونة كان اتصال أبي شعيب الدكالي بشيخه الشنقيطي، الذي أخذ عنه علوم اللغة، والأدب، وأشعار العرب.

ولما تأسست (جمعية إحياء الكتب العربية) برئاسة الشيخ محمد عبده عام 1318، كانت فاتحة أعمالها نشر كتاب المخصص في اللغة، وعهد في تصحيحه للشيخ محمد محمود الشنقيطي[96].

قال تلميذه الأستاذ أحمد تيمور باشا :

وكان رحمه الله نحيفاً أسمر اللون، شديد التمسك بالسنة، قوالا للحق، ولو على نفسه، مع حدة طبع زائدة[97]، ولهذا لم ينتفع به إلا القليلون، وكان لا يمل المطالعة ليلا ونهاراً حتى أضنته كثرة الجلوس، وسببت له أمراضاً وآلاماً، ولاسيما لما اشتغل بتصحيح المخصص، وأنه كان يقابله مع شخص آخر بمكان رطب في الطبقة السفلى من داره، فاشتد به مرض الصدر، وألم الرثية في أطرافه، وكثيراً ما كان يقول : «أنا قتيل المخصص، أنا قتيل الكتب»[98].

ومن كتبه :

- الحماسة السنية في الرحلة العلمية، ضمنها بعض أخباره وأشعاره.

---

(94) أعلام الفكر الإسلامي، ص 370.

(95) (96) زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 333 - 334، المرجع السابق.

(97) وهي التي كانت تسبب له بعض المواجهات مع علماء عصره وغيرهم، ولم ينفرد بهذه الحدة فقد كان علماء من قبله نقلت عنهم هذه الحدة كشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله وأبي بكر بن العربي المغافري من المالكية.

(98) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص 371.

- عذب المنهل، أرجوزة.

- إحقاق الحق، حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني، بين فيها أغلاطه.

- تصحيح الأغاني[99].

توفي رحمة الله عليه عام 1322هـ - 1904م.

ومما كان يقوله الشيخ محمد محمود الشنقيطي في تلميذه أبي شعيب الدكالي :

كان هو أحفظ مني في التابعين، وأنا أحفظ منه في الصحابة[100].

ومن شعره السائر كالمثل :

غنينا بنا عن كل من لا يريدنا ... وإن كثرت أوصافه ونعوته
فمن جاءنا يا مرحبا بمجيئه ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته[101]

ومن الفوائد التي نقلها عنه أحمد تيمور باشا :

قال : أنشدني شيخنا العلامة الإمام الشيخ محمد محمود الشنقيطي للشيخ الإمام محمد، قال ابن مُنال من علماء شنقيط :

---

(99) الأعلام الشرقية، ج 1، ص 398، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، ص 1149 وما يليها ليوسف إلياس سركيس، 1346 - 1928، مصر، والأعلام للزركلي، ج 7، ص 89 وما يليها.

(100) الشيخ أبو شعيب الدكالي، ص 120، لعبد الحكيم بركَاش، مطبعة المعارف الجديدة، ط 1، عام 1989.

(101) وفي هذا يقول الإمام الشافعي رحمه الله :

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
وفي الناس أبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير في ود يجيء تكلفا
ولا خير في خل يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشاً قد تقادم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس قد خفى
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وقول الآخر :

إذا كنت تأتي المرء تعرف حقه ... ويجهل منك الحق فالترك أوسع
ففي الناس أبدال وفي الأرض مذهب ... وفي الناس عمن لا يواتيك مقنع
وإن امرأ يرضى الهوان لنفسه ... حقيق بجذع الأنف والجذع أشنع

زَمِيلِيَ أَفْنِ العمر غير المُدَّد | على نَشَب إن منه واسيتَ يَزْدَدِ
ولا تُفْنِيَنَّ العمر في جمع ما إذا | بخلتَ به تُذمَمْ وإن جدْتَ يَنْفِدِ

ولبعضهم :

وَمَا عَبَّرَ الإنسان عن فضل نفْسِه | بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
وليس من الانصاف أن يدفع الفتى | به النقص عنه بانتقاص الأفاضل[102]

وما رواه عنه من أن بيتاً من قصيدة : «بانت سعاد» لا يوجد في النسخ، وهو :

من اللواتي إذا ما خُلَّةٌ صدقت | يشفي مضاجعها شم وتقبيل

وبعده : هيفاء مقبلة الخ....

ومن هذه القصيدة :

حرفٌ أبوها أخوها من مهجنة | وعمها خالها قوداء شِمليل[103]

ومن إملاء الشيخ الإمام الشنقيطي رحمه الله :

وقعت بَكْرةٌ في بئر، فأمسك الماتح[104] ذنبها، فاستغاث به المائح[105]، ألا تسقط عليه، فقال له ذاك لذنبها[106].

6 - الشيخ علي الببلاوي :

هو الشيخ الإمام علي محمد الببلاوي، ينتسب إلى بلدة ببلا[107]، بمحافظة أسيوط بمصر، وبها ولد عام 1251هـ (1835م)، وهو إدريسي حسني النسب، مالكي المذهب.

---

(102) مختارات أحمد تيمور، ص 13، المرجع السابق.

(103) نظم نسب هذه الناقة الشاعر الأديب محمد أفندي شكري بقوله :

كعب بن زهير ناقته | لعريقة هجنة أصلين
قد كان أخوها والدها | والعم الخال بلا مين
كيفية ذا فحل ضرب ابنـ | ـته فأتت ببعيرين
فعلا أحد الأنثين الأ | م فتلك الناقة من ذين

فورد ذلك ضمن مختارات أحمد تيمور، ص 21.

(104) الماتح : هو الذي يستخرج الماء من البئر بالدلو.

(105) المائح : هو الذي يدخل البئر فيملأ الدلو لقلة مائها.

(106) مختارات أحمد تيمور، ص 57.

(107) وهي بلدة يسكنها السادة الحسنيون.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم ببلده، التحق بالأزهر عام 1269، فقرأ على شيوخ وقته كالشيخ محمد عليش، والشيخ منصور كساب، والشيخ محمد الصاوي، والشيخ محمد الأنباري، وغيرهم.

وباشر التدريس بالأزهر والمسجد الحسيني، وعمل بدار الكتب المصرية، ووصل إلى نظارتها عام 1299هـ (1882م)، ثم عين خطيباً بالمسجد الحسيني، ثم شيخاً له عام 1311هـ، ثم عين نقيباً للأشراف عام 1312هـ.

وفي عام (1320هـ) (1902م) عين شيخاً للأزهر بعد استقالة الشيخ سليم البشري.

وكان متفقاً مع الشيخ محمد عبده في نظراته الإصلاحية للأزهر وغيره، مما كان لا يرضاه الأمير الخديوي توفيق.

ولما رأى أن الأمور لا تجري على ما يريد، استقال من مشيخة الأزهر عام 1323هـ.

وتوفي رحمة الله عليه في نفس العام الذي غادر فيه مشيخة الأزهر.

له كتاب الأنوار الحسينية على رسالة المسلسل الأميرية، وهو شرح للحديث المسلسل يوم عاشوراء بسند الشيخ محمد الأمير الصغير، الذي طبع بمصر عام 1305هـ[108].

وقد روى الشيخ أبو شعيب الدكالي عن الشيخ علي الببلاوي الحديث المسلسل بيوم عاشوراء[109].

---

(108) انظر ترجمته في المصادر الآتية :

- معجم المطبوعات العربية لسيركيس، ص 522، م.س.
- أعلام الفكر الإسلامي لأحمد تيمور باشا، ص 110، م.س.
- الأعلام للزركلي، ج 5، ص 18.
- الأعلام الشرقية، ج 1، ص 349.
- الأزهر الشريف في عيده الألفي ضمن شيوخ الأزهر.
- شيوخ الأزهر، ص 30.

(109) والحديث المسلسل هو تتابع رجال إسناده وتواردهم فيه واحداً بعد واحد على صفة أو حالة واحدة قولا أو فعلا أو هما معاً.

وفي البيقونية :

مسلسل قل ما على وصف أتى ... مثل : أما والله أنبأني الفتى

كذلك قد حدثنيه قائما ... أو بعد أن حدثني تبسما

وفي ألفية العراقي :

مسلسل الحديث ما تواردا ... فيه الرواة واحداً فواحدا

حالا لهم أو وصفاً أو وصف سند ... كقول كلهم سمعت فاتحد

الخ....

ونسوقه حسبما رواه عنه العلامة سيدي محمد السائح في فهرسته متحدثاً عن شيخه أبي شعيب بقوله :

لازمته سنين عديدة تلقيت عليه فيها علوماً جمة، بل بحاراً زاخرة من علوم الحديث، والتفسير.

وسمعت عليه يوم عاشوراء الحديث المسلسل بعاشوراء عن شيخه سيدي علي الببلاوي خطيب المسجد الحسيني بمصر عن الشيخ محمد الأمير الصغير عن والده محمد الكبير عن أبي الحسن علي بن محمد بن العربي بن علي السقاط الفاسي عن أحمد بن العربي بن الحاج، وعمر بن عبد السلام لُوكَس التطواني عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي صاحب (المنح البادية في الأسانيد العالية) عن سيدي عبد السلام اللّقاني عن والده سيدي إبراهيم اللقاني عن أمين الدين محمد بن أبي الجود بن النجار إمام جامع العمري عن فخر الدين محمد بن محمد بن أحمد السيوطي بقراءة الحافظ عثمان الدّيْمي عن أبي الفرج ابن الشيخة عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن قريش عن صاحب الترغيب والترهيب زكي الدين بن عبد العظيم المنذري عن أبي حفص عمر بن طُبُرْزد عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كيسان، قال : أخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي، قال : أخبرنا أبو الربيع، قال : أخبرنا حماد بن زيد عن غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد الزّماني عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال : «صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبلها».

حديث صحيح تفرد به مسلم، وقال : كل واحد من رواته، سمعته في يوم عاشوراء[110].

ورواه عنه تلميذه المحدث المؤرخ القاضي عبد الحفيظ الفاسي قائلا :

وحدثنيه الشيخ أبو شعيب الدكالي في يوم عاشوراء برباط الفتح عام 1343هـ، قال حدثنيه الشيخ الببلاوي بمصر في يوم عاشوراء، قال حدثنا به منة الله المذكور في يوم عاشوراء الخ...

(110) الاتصال بالرجال، ص 70 وما يليها للشيخ محمد بن عبد السلام السائح، دمشق، ط 1، عام 1416 - 1995.

وذكر العلامة المؤرخ عبد الله الجراري رحمه الله وهو من تلاميذ الشيخ أبي شعيب الدكالي ناقلا عنه في مجالسه العلمية ما يلي :

قرر شيخنا الدكالي أن صيام يوم عاشوراء روى مسلسلا بصيام يوم عاشوراء.

وقال (أي الشيخ شعيب) : يا للأسف منذ حللت بهذه الديار المغربية لم أجد من يأخذه عني مع أن أقطار أخرى إذا كان يوم عاشوراء يتوارد الناس على الفضلاء ليأخذوا عنهم حديث صوم عاشوراء[111].

قال : وكثيراً من المحدثين يدرسون صيام يوم عاشوراء بقصد الرواية عنهم، وتبليغها لمن بعدهم[112].

7 - الشيخ عبد الله القدومي النابلسي :

جاء في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني :

هو شيخنا عالم الحنابلة بالحجاز، والشام، وإمامهم، الشيخ عبد الله صوفان بن عودة بن عبد الله بن الشيخ عيسى بن الحاج سلامة القدومي النابلسي الحنبلي الأثري مذهباً، المدني جواراً، الإمام المعمر، الفقيه المحدث، الصالح، الناسك، العابد، الخاشع، أعلم من لقيناه من الحنابلة، وأشدهم تمسكاً بتعاليم السلف والاعتناء بحفظ الأحاديث، واستحضارها بألفاظها مع الانقطاع إلى الله، والإكباب على العلم والعمل به ولد بقرية كفر القدوم من أعمال نابلس عام 1247 وبها نشأ وشب على الطاعة والرغبة في العلم[113].

ثم رحل إلى دمشق، وسكن بالمدرسة المرادية، وأخذ عن الشيخ حسن بن عمر الشطي الدمشقي الذي لازمه سنين، وهو عمدته في الدراية والرواية.

كما أخذ عن الشيخ عبد الرحيم التفال[114].

---

(111) الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات، ج 1، ص 87، لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية بالرباط، دون تاريخ.

وسترد إن شاء الله الأحاديث المسلسلة الأخرى المروية عن الشيخ أبي شعيب الدكالي.

(112) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 32، للعلامة المؤرخ عبد الله الجراري، المرجع السابق.

(113) فهرس الفهارس، ج 2، ص 939، المرجع السابق.

(114) الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ج 1، ص 343، المرجع السابق.

ثم رجع إلى بلده واشتغل بالعلم، والإفادة، والبحث، إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة عام 1318، وحج بيت الله الحرام، وهناك أخذ عنه طالبو العلم، وكثير من العلماء، ومنهم الشيخ أبو شعيب الدكالي حين كان بأرض الحجاز وعبد الحي الكتاني السالف الذكر.

وانتفع به خلق كثيرون في الفقه، والحديث وكان تدريسه هناك وظيفة معلومة، فكان خلفاً للشيخ محمد خطيب دوما، وكان في موسم الحج من كل سنة يحج ويؤدي المناسك الشريفة، وربما زار وطنه في خلال ذلك، فتهزه نسمات العودة والرجوع.

ولم يزل على حالته الحسنة يتردد بين المدينة المنورة ووطنه المذكور إلى أن كانت وفاته بنابلس، وهو يصلي الجمعة في الجامع الكبير الصلاحي في اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف (1331هـ)[115].

ومن مؤلفاته :

1 - المنهج الأحمد في درك المثالب التي تنمى لمذهب الإمام أحمد.

2 - بغية النساك والعباد في البحث عن ماهية الصلاح والفساد.

3 - هدية الراغب في ترتيب أبواب البخاري.

4 - الأجوبة الدرية في دفع الشبه والمطاعن الواردة على الملة الإسلامية.

5 - الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية[116].

وقد تلقى الشيخ أبو شعيب الدكالي عن هذا الشيخ الجليل، والعالم الأصيل بالإجازة سنن أبي داود عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير إلى آخر سنده بذلك، كما يروي عنه سائر المسلسلات عن الشيخ حسن بن عمر الشطي بأسانيده المعلومة[117].

كما تتلمذ وتلقى عنه الشيخ عبد الحي الكتاني كما جاء في ترجمته ضمن كتابه فهرس الفهارس بقوله : ونروي عن القدومي المذكور كل ما له من مروي

---

(115) النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ص 400، لمحمد كمال الدين بن محمد الغزي العامري، تحقيق وجمع محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق، عام 1402 - 1982.

(116) الأعلام الشرقية، ج 1، ص 344، م.س.

(117) المحدث الحافظ، ص 124 - 125.

وإفادة إجازة مكاتبة من المدينة لفاس، ثم شفاهاً بمكة بعد أن سمعت عليه كثيراً من ثلاثيات مسند أحمد ورباعياته[118].

8 - الشيخ عبد الرزاق البيطار :

هو الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار الدمشقي العالم، المحدث، الأديب المؤرخ، من بيت العلم والفضل، أخذ عن والده الشيخ حسن البيطار وعن شقيقيه محمد أمين، والحافظ عبد الغني والمسند الرواية يوسف بدر الدين المغربي الدمشقي وغيرهم من المشايخ.

ولد عام 1250هـ - 1834م في حي الميدان بدمشق، واشتغل بالأدب مدة، واقتصر في آخر أمره على علمي الكتاب والسنة، وكان من دعاة الإصلاح في الإسلام، سلفي العقيدة، وقوراً، حسن المفاكهة طيب النفس، ولقي في سبيل ذلك عنتاً من الجامدين.

وينبئ عن نهجه القويم هذا ما أنشده في هذا المجال :

دين النبي محمد أخبار	نعم المطية للفتى أخبار
لا ترغبن عن الحديث وأهله	فالرأي ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهوى	والشمس بازغة لها أنوار[119]

وعمر فوق الثمانين من عمره مما ساعد على كثرة الآخذين عنه، وتوفي عام 1335هـ - 1916م.

ومن تآليفه :

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر.
- الرحلة القدسية.
- الدحلة البعلية.

---

(118) فهرس الفهارس، ج 2، ص 941، وانظر كذلك ص 1005 منه.

(119) انظر في ذلك معجم الشيوخ، ج 2، ص 69، والأعلام للزركلي، ج 4، ص 351، وأعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، ص 176 للدكتور محمد عبد اللطيف صالح الفرفور، دار الملاح، ط 1، عام 1408 - 1978.

- وعدة رسائل في الأدب والتاريخ.

ومن الآخذين عنه من المغرب :

- الشيخ عبد الحي الكتاني الذي روى عنه في مناسبات متعددة في كتابه فهرس الفهارس[120].

- الشيخ عبد الحفيظ الفاسي الذي كتب له إجازة عامة مفتتحة بحديث الرحمة المسلسل بالأولية.

قائلا :

وأنه قد طلب مني كتابة الإجازة العامة بكل ما تجوز لي روايته، ودرايته عن مشايخي، وأساتذتي الكرام، حضرة الشيخ عبد الحفيظ أفندي الفاسي، فاعتمدت على الله، وأجزته بجميع ما تجوز لي روايته وتبثت لي درايته من تفسير، وحديث، وفقه، وغير ذلك من بقية الفنون والعلوم، كما أجازني والدي الإمام وبقية مشايخي العظام، بشرطه المعتبر عند أهل الأثر، وأسأله أن يسديني بدعواته في خلواته، وجلواته، والحمد لله على الإنعام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام.

بقلم عبد الرزاق البيطار عفى الله عنه، في 5 شوال 1327 [121].

- الشيخ أبو شعيب الدكالي حسبما يستفاد من إجازته للعالم المؤرخ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة.

ونصها :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد فقد قال ﷺ : «نَضَّرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها»، وقال مرة أخرى : «ليبلغ الشاهد الغايب، فرب حامل فقه، إلى من هو أفقه منه».

---

(120) انظر في ذلك فهرس الفهارس، ص 138، و164، 366، 460، 713 إلى غير ذلك.

(121) معجم الشيوخ، ج 2، ص 70.

ولما كان ما ذكر كما ذكر، واستجازني الفاضل ابن الفاضل، الأمثل ابن الأمثل، صاحب الفطنة، والذكاء، والجودة، سيدي ومولاي أبو محمد عبد السلام بن سودة، فأجزته بعد أن سمع مني هذه الأربعين حديثاً[122]، وأحاديث متفرقة، وقواعد من فنون مختلفة.

فأقول : أجزت الأجل المذكور، بسائر ما يجوز عني روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول، كما أجازنا مشايخنا الأعلام، ومصابيح الهدى والظلام، مشارقة ومغاربة، نفعنا الله وإياه بهم.

وأما سندنا فهو عن **الشيخ عبد الرزاق البيطار**، والشيخ عبد الله القدومي النابلسي، وشيخنا هذا أخذ عن البرزنجي وأخذ عن الشيخ دحلان عن الشيخ عبد الرحمان الكزبري عن والده محمد الكزبري عن الشيخ الكزبري الكبير عن الشيخ إسماعيل العلموني إلى آخر سنده.

وأوصى المجاز المذكور أن يسهم لي من دعواته، في خلواته وجلواته.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

تحريراً في يوم السبت الموافق لسابع وعشرين من الحجة عام اثنين وخمسين وثلاثمائة وألف (1352هـ)، خادم أهل الله، شعيب بن عبد الرحمان المغربي وفقه الله.

انتهى من خطه مباشرة[123].

9 - الشيخ محمد بدر الدين الدمشقي :

وقد يطلق عليه الشيخ بدر الدين الدمشقي نسبة إلى لقب البيت الذي ينتمي إليه، فهو بيت اشتهر بالعلم، والفضل، ووالده هو الشيخ يوسف بدر الدين الحسني، المغربي، إذ يذكر أن أصله من مدينة مراكش بالمغرب من ذرية الشيخ الصالح الجزولي صاحب دلائل الخيرات[124]، وأبوه هذا انتقل أسلافه إلى مصر التي ولد فيها، وتعلم حتى صار من علماء الأزهر، ثم انتقل من بعد إلى دمشق.

---

(122) المقصود بالأربعين حديثاً هنا طبق ما ذكره المجاز ما تضمنه كتاب عقد الجوهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين، التي جمعها الشيخ إسماعيل العجلوني.

(123) سيل النصال للنضال ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3053، تنسيق وتحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي.

(124) الأعلام، للزركلي، ج 7، ص 158.

ولد الشيخ محمد بدر الدين بدمشق عام 1267هـ - 1851م، وأخذ العلم بعد وفاة أبيه عن شيوخ عصره، ولاسيما الشيخ عبد القادر الخطيب الدمشقي الكبير، وابنه الشيخ أبي الخير الخطيب.

وعمدته في الرواية الشيخ الإمام إبراهيم السقا المصري رفيق والده في الطلب[125].

وحفظ الصحيحين (البخاري، ومسلم) بأسانيدهما، وكتب السنن، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وغير ذلك من كتب الحديث رواية ودراية، وحفظ ما يقرب من اثني عشر ألف بيت من متون العلم المتنوعة، مع اطلاع تام على العلوم الآلية، وتمكن فيها قبل أن يشاركه فيها إنسان....

ولم يكتف رحمه الله بالاطلاع على علوم الشريعة واللغة العربية، بل تعدى أهل زمانه، فقرأ وأقرأ العلوم الكونية على طريقة المسلمين العرب من فلك، وزيج، واصطرلاب، وحساب، وهندسة، وجبر، وفلسفة، الخ....[126].

قال فيه صاحب رياض الجنة :

عالم كبير، وإمام شهير، حافظ من حفاظ الحديث وما يتعلق بفقهه، ومعانيه، ومخرجيه، وتراجم رجاله، منفرد في الديار الشامية بالفوائد الغربية، والمباحث الدقيقة، والاستدراكات العجيبة، والتحقيق البارع، والاطلاع المفرط، مع التواضع والبر، والشفقة، ودماثة الخلق، ورقة القلب، والزهد، والتواضع، وطرح التكلف، والمداومة على العمل.

وبالجملة فهو بقية السلف في الخلف ديناً، وعلماً، وفضلاً[127].

وألف عدة كتب، ومع الأسف ضاع أكثر هذه المؤلفات ولم يبق منها إلا القليل[128].

---

(125) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص 274، المرجع السابق.

(126) المحدث الأكبر وإمام العصر العلامة الزاهد السيد الشريف الشيخ محمد بدر الدين الحسني، كما عرفته ص 47 وما يليها، الشيخ محمد صالح الفرفور، ط 1، 1406 - 1986، دمشق.

(127) رياض الجنة أو معجم الشيوخ، ص 165، المرجع السابق.

(128) انظر تعداد هذه المؤلفات، الأعلام للزركلي، ج 7، ص 158، وأعلام دمشق، ص 244، المرجع السابق.

وقد تولى مشيخة دار الحديث الشهيرة بدمشق الشام، والإمام بالجامع الأموي.

ويصف الشيخ عبد الرزاق البيطار درسه بالجامع الأموي بقوله :

له حافظة تحصى له كل ما يسمع، وإدراك هو أخف من مر النسيم وأسرع، يقرأ في كل يوم جمعة بعد الصلاة صحيح البخاري في جامع بني أمية، ويزدحم الناس على درسه ازدحام الطالبين على العطية[129].

وهو بحق شيخ الشام، وإمام المسلمين في عصره، ومجدد القرن الرابع عشر للهجرة[130].

توفي رحمة الله عليه فجر يوم الجمعة 23 ربيع الأول عام 1354هـ - 1935م.

ومن الآخذين عنه بالمغرب :

- **الشيخ عبد الحي الكتاني** : الذي لقيه بدمشق، وحضر درسه بالجامع الأموي يوم الجمعة حيث كان يلقيه في هذا اليوم باستمرار[131].

وذكره في مناسبات عدة في كتابه فهرس الفهارس.

- **الشيخ عبد الحفيظ الفاسي** : وقد كتب إليه بالإجازة العامة عام 1323هـ.

أولها : بسم الله الرحمن الرحيم، نحمدك اللهم على متواتر نعمائك، ونشكرك على مسلسل آلائك، ونسألك متصل الصلوات، والتسليمات على المرفوع بين المخلوقات، وعلى آله المشهورة أخبارهم، وأصحابه المستفيضة آثارهم الخ...[132].

- **الشيخ أبو شعيب الدكالي** : ذكر ذلك ولده الأستاذ القاضي سيدي أحمد الدكالي في ترجمته لوالده[133].

---

(129) الأعلام للزركلي، ج 7، ص 158 هامش.

(130) أعلام دمشق، ص 243، م.س.

(131) فهرس الفهارس، ج 1، ص 516، وانظر أعلام الفكر الإسلامي، ص 275.

(132) معجم الشيوخ، ص 165.

(133) ترجمة محررة بيده صورة منها.

وقد ثبت أن الشيخ محمد بدر الدين رحل إلى الحجاز مرتين فقرأ بمكة المكرمة بعض كتب الحديث[134].

ثم سكن مدة طويلة بالمدينة المنورة، وهناك نظم قصيدته التوسلية الشهيرة في مدح المصطفى ﷺ وأولها[135] :

إليك رسول اللّه وجهت وجهتي	لأنك باب اللّه في أي محنة
وأنت ملاذ العارفين بأسرهم	إذا ما استغاثوا، سيما يوم حسرة

وفي رحاب مكة التقى الشيخ أبو شعيب الدكالي مع الشيخ محمد بدر الدين الدمشقي، وهناك تم الأخذ والرواية عنه، كما أن الشيخ محمداً بدر الدين أخذ عن أبي شعيب الدكالي، حسبما ذكره ابن الشيخ شعيب العالم الأستاذ عبد الرحمن الدكالي وهو يفسر قوله تعالى : ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم، ولكم فيها ما تدعون﴾[136]، ضمن الدروس الحسنية قائلا : وأذكر أنني مما أكرمني الله به، أنني أدركت الشيخ بدر الدين الدمشقي رحمه الله ورضي عنه، وأجازني رضوان الله عليه، ووجدته رضوان الله عليه، يقرر لتلامذته شيئاً من (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح عن الجنة)[137].

وكان هذا مما ختم الله له به، لأنه بعد ذلك لم يقرأ شيئاً، وكان آخر ما قرأ، هو أنه قرأ كتاب وصف الجنة، ومات، ولاشك أن الله أكرمه بالجنة، رضوان الله عليه.

وهو ممن أخذ عن والدي[138]، وأخذ والدي عنه، بينهما رواية الأقران[139].

---

(134) - (135) أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، ص 287 وص 279.

(136) من سورة فصلت / 31.

(137) كتاب لابن قيم الجوزية رحمه الله.

(138) يقصد أبا شعيب الدكالي.

(139) رواية الأقران : أن يروي أحد القرينين عن الآخر، وفي البيقونية :

وما روى كل قرين عن أخه	مدبج فاعرفه حقاً وانتخه

وفي ألفية العراقي :

والقرنا من استووا في السند	والسن غالياً وقسمين اعدد
مدبجاً وهو إذ كل أخذ	عن آخر وغيره انفراد فذ

والمدبج أخص من رواية الأقران، إذ كل مدبج رواية أقران ولا عكس.

وأنتخه في متن البيقونية من الانتخاء وهو الافتخار.

كان والدي يقول لي : إن الشيخ بدر الدين أخذ علي عهداً في الكعبة حينما كان والدي في الحرم، كان في مكة، وكان يلقي دروساً في الحرم، كان الإمام الشيخ بدر الدين في يوم من الأيام هناك، فأمسك بيده إلى أن وقف به أمام الملتزم، وقال :

عاهدني أبا شعيب، وأنت واعية لحديث رسول الله ﷺ، تحفظ منه الشيء الكثير، أن تحاول أن تُفهّم الناس، وألا تعمي في ألفاظك حتى يفهم عنك الخاص والعام.

قال فعاهدته على ذلك، وجعلت أبذل جهدي وكل ما في إمكاني أن يفهم الناس عني، وعلى أن يفهموا ما أحدث به عن رسول الله ﷺ[140].

فوائد منقولة عن الشيخ محمد بدر الدين :

هذه الفوائد ذكرها عنه أحد تلامذته وهو الشيخ محمد صالح الفرفور في كتابه «المحدث الأكبر وإمام العصر» كما عرفته، فمن ذلك :

- مسألة التصوير الفوتوغرافي :

قال تلميذه المذكور : لم تؤخذ للشيخ رحمه الله تعالى صورة بإذنه ولا بعلمه قط، وما يرى من الصور الآن كان يؤخذ في غفلة منه، لأنه ما كان يبيح التصوير لا باليد ولا بآلة التصوير (الكاميرا)[141].

بينما يذهب الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمة الله عليه إلى جواز التصوير الفوتوغرافي فيما أورده عنه تلميذه الأستاذ عبد الكريم سيكرج قائلا :

وسألته رضي الله عنه عند أخذي صورته، عن رأيه في التصوير، فأجابني بأنه لا يعد التصوير الشمسي بالآلة الفوتوغرافية من قبيل التصوير المنهي عنه، لأنه في رأيه غير تصوير، وإنما هو رسم يستخرج بطبع الورق من آلة ماسكة لما انطبع

---

(140) انظر الدروس الحسنية الملقاة في شهر رمضان 1386، ص 182 وما يليها، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(141) وهذا منه من الورع تمسكا بظاهر النص الوارد فيه النهي عن التصوير.

والمسألة فيها كلام يتعلق بالصور المجسمة وغير المجسمة، وأن النهي يحمل على الأولى دون الثانية.

وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله لهذه المسألة عند الكلام عن فتاوى الشيخ أبي شعيب الدكالي.

وقد كتب في هذا المجال الشيخ محمد بخيت المطيعي رسالة سماها : إزالة الوهم والاشتباه على رسالتي الفوتوغراف والسيكورتاه.

فيها عند المقابلة بانعكاس الشعاع الظلي، على أن ذلك لو كان تصويراً فإنه يتخرج له الدليل من الاستثناء في الرقم في الثوب المذكور في الحديث[142].

- مسألة الصلاة في الحمام :

كان يذهب الشيخ محمد بدران إلى أن الصلاة في مكان خلع الثياب في الحمام، ليس من المكان المنهي عنه، وأن محل النهي هو ما كان داخل الحمام.

- جواز سماع الموسيقى التي لا تشتمل على منكر شرعاً.

- حثه على تعلم اللغات الأجنبية للعلوم بقصد الانتفاع.

- ومن أقواله وإنشاداته ما يلي :

في مقام ذكر الله :

ولذيذ ذكرك في فمي لم أنسه ... وبأي أرض كنت أنت بها معي
يا واحداً أنا واحد في حبه ... هذا، وكل الناس تعشقه معي

وفي محبة النبي ﷺ :

إوما شربت لذيذ الماء من ظمأ ... إلا وجدت خيالا منك في الكأس
ولا جلست إلى قوم أحدثهم ... إلا وكنت حديثي بين جُلاّسِي

ومما كان ينشده :

يا معشر الإخوان أوصيكمو ... وصية الوالد والوالدة
لا تنقلوا أقدامكم سادتي ... إن لم يكن في نقلها فائدة
إما لعلم تستفيدونه ... أو لكريم عنده مائدة
وإن رماك الحال في بلدة ... لا أب لك فيها ولا والدة
صادفت أهل الحي في حبهم ... عوراً فَغُض عينك الواحدة

ومن أقواله :

- المجالس ثلاثة : مجلس تنتفع به، ومجلس تنفع به، ولا خير فيما سواهما.

---

(142) كتاب ذ. عبد الكريم سيكرج للأستاذ عبد الرحمن الدكالي في شأن والده الشيخ شعيب، ص 1.

- أتدرون من العالم ؟ العالم من يرى نفسه ليس أهلا لشيء، ثم يتوجه إلى الله ويتكلم امتثالا لأمر الله، فعند ذلك يكرمه الله بالفتح ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾.

- طوبى لعالم في مثل هذه الأيام لا يشتغل إلا بما يعنيه من التعليم، ونشر العلم، وتفقيه الناس، ويدع عنه أمر السياسة والسياسيين، فلا خير في مودتهم لأهل العلم.

- كتب الحديث والشمائل لا تقرأ للتبرك، بل للعمل والاتباع، وإلا كان العلم حجة على صاحبه، فزكاة العلم العمل به، ونشره بين الناس.

ومن رحاب دروسه :

كان يردد هذه الأبيات :

- ما فاز إلا الصامت السّكوت	عن كل من يحيا ومن يموت
ما كل كلمة لها جواب	جوابُ ما تكرهه السكوت
- وواحدٍ يمشي وفيه ثِقَلُ	كأنه على القلوب جِبَلُ
لو أن في بحر الفرات مَرّا	أصبح ماؤه أُجاجاً مُرّا
- وارحل إلى من يستحق الرّحلةْ	خلف الفرات أو وراء الدّجلةْ
حيث انتهت أخباره إليكا	فقصده محتم عليكا

- ذكر تلميذه آنف الذكر الشيخ محمد صالح الفرفور مؤانسته لطلابه في درسه قائلا :

فلقد سمعته، وكان حديث الدرس ذكر الزواج وتعدد الزوجات، فبعد ما ذكر القارئ الحكم الشرعي عقب الشيخ بذكر تعب الزوج بتعدد الزوجات، فالتفت الشيخ، وأورد لنا أبياتا تدل على ذلك المعنى، هي للشيخ عبد العزيز الدريني القائل من كلامه : (إياك أن تتزوج على امرأتك إلا إن وطنت نفسك على نكد الدهر)، فلما تزوج ووقع في هذه المحنة وتزوج على امرأته أنشد يقول متأسفاً :

تزوجت اثنتين سوء حظي	وقد حاز البلا زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفاً	أنعم بين أكرم نعجتين

فـجـاء الحال عـكسَ الحال دومـاً عَـذَاب دائـم بـبـلـيـتين
رضـى هـذي يـحـرك سـخـط هـذي فـلا أخـلـو مـن إحـدى السـخـطتين
لـهـذي لـيـلـة ولـتـلك أخـرى خصـام دائـم في الـلـيـلـتين
إذا مـا شـئت أن تحيـا سـعـيـداً مـن الخيرات مملـوء الـيـديـن
فـعش عَـزَبـاً وإن لم تسـتـطـعـه فـواحـدة تـكـفـي عسـكـريـن

- **ومما كان يجيز به الآخذين عنه ما يلي :**

صورة الإجازة :

«نحمدك اللهم على إنعامك المتواتر، ونشكرك على برك المسلسل المتكاثر، ونسألك متصل الصلوات والتسليمات على المرفوع بين المخلوقات، وعلى آله المسندة أخبارهم، وأصحابه المشهورة آثارهم.

أما بعد :

فإن الإسناد من الدين، والأخذ به معتصم بالحبل المتين، فمن ثمَّ عكف أهل التحصيل عليه، وتوجهت مطايا هممهم إليه، ومنهم الأخ العالم الفاضل الشيخ... جعلنا الله تعالى وإياه ممن عمله مرتضى، فطلب مني بعد ما لازمني الإجازة، لينتظم في سلك القوم، ويأمن المفازة. وأنى لمثلي أن يستجاز، وهل يقال بهذا الجواز، إلا أنه حسن في ظنه، أثابه الله تعالى على قصده الجنة، فأجزته بالفروع والأصول من معقول ومنقول، كما أجازني بذلك فضلاء العصر، وجهابذة مصر، منهم بحر الفضلاء، ومغترف الفحول والنبلاء، أفضل من عنه يتلقى، العلامة الشيخ إبراهيم السقّا، عن شيخه العلامة المهذب، والإمام الكبير ثعيلب، عن شيخه الإمام الملّوي عن الإمام عبد الله بن سالم صاحب الثبت المشهور، وعن الشيخ محمد الأمير عن والده الشيخ الأمير الكبير، وقد حوى ثبته بالتفصيل والإجمال ما يحتاج إليه أولو الهمم العلية، هذا والمرجو من الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى لي وله وللمسلمين الأجور، أن لا ينساني من دعواته الصالحة، جعل الله تجارة الجميع رابحة، وأماتنا سبحانه وتعالى على صريح الإيمان، وخلع علينا خِلَع الرضوان، كتبه العبد الفقير، والعاجز الحقير : محمد بدر الدين المغربي المراكشي، عفا الله تعالى عنه آمين.

10 - الشيخ علي الصالحي :

هو الشيخ علي الصالحي، المالكي المذهب، عالم مشارك في أنواع من العلوم[143]، وكان له عناية بالحديث وروايته.

روى عنه الشيخ أبو شعيب الدكالي صحيح الإمام البخاري، وجامع الإمام الترمذي، والشمائل له، وسنن أبي داوود[144]، للشيخ علي الصالحي رسالة في تحقيق مبادئ العلوم الأحد عشر المستعملة في الأزهر، وبها الامتحان[145].

وتوفي رحمه الله عام 1324هـ - 1906م[146].

وقد روى المحدث المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي عن شيخه أبي شعيب الدكالي حديثاً مسلسلا بقول كل راو إني أحبك فقل : اللهم أعني على شكرك وذكرك الحديث، والشيخ أبو شعيب الدكالي رواه عن شيخه علي الصالحي بما يلي :

وقال لي الشيخ أبو شعيب الدكالي إني أحبك فقل، قال علي الصالحي : قال لي منة الله الأزهري قال لي : محمد الأمير قال لي علي السقاط إلى آخر الحديث المروي عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا معاذ إني أحبك فقل اللهم أعني على شكرك، وذكرك، وحسن عبادتك، وقد روي بسند صحيح في سنن أبي داود والنسائي بلفظ يا معاذ والله إني أحبك وأوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك[147].

11 - الشيخ علي البولاقي :

هو الشيخ علي بن حسين المرعي المعروف بالبولاقي، له مشاركة في العلوم، ولاسيما علم البلاغة الذي له فيه رسالة «تبيان البيان» وهو تقرير على حاشية الصاوي على شرح تحفة الإخوان للدرير في علم البيان[148].

---

(143) معجم المؤلفين، ج 7، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، ومعجم المطبوعات، ص 1364، لسركيس.

(144) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 123 وما يليها.

(145) (146) معجم المؤلفين، ج 7، م.س.

(147) الآيات البينات، ج 1، ص 92 وما يليها، لعبد الحفيظ الفاسي، المرجع السابق، وسيرد هذا الحديث المسلسل بطوله في آثار الشيخ أبي شعيب الدكالي في السنة.

(148) معجم المطبوعات، ج 7، م.س.

وقد ذكر الشيخ أبو شعيب الدكالي أخذه عن الشيخ البولاقي في ترجمته الخطية الخاصة لنفسه.

ولم تضبط وفاة الشيخ علي البولاقي رحمه الله.

12 - الشيخ أحمد بن عيسى النجدي :

هو الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى النجدي الحنبلي، ولد عام 1253 في شقراء من بلدان الوشم بنجد، وحفظ القرآن ومبادئ العلوم على يد والده وبعض شيوخ بلده ثم ارتحل إلى الرياض لتلقي العلم، وتعاطي التجارة بمكة المكرمة وعرف بالصدق، والأمانة، والوفاء.

وأخذ عنه كثير من العلماء بنجد والحجاز، ومنهم الشيخ أبو شعيب الدكالي حين كان بأرض الحجاز.

ومما يدل على ذلك ما رواه عنه من الحديث المسلسل بالأمر بوضع اليد على الرأس عند آخر سورة الحشر، وهو قوله تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾.

وقد أورده المحدث المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي رحمه الله بقوله : وقرأت على الشيخ أبي شعيب الدكالي حفظه الله تعالى فلما وصلت إلى الآية المذكورة، قال لي: ضع يدك على رأسك فقد أخبرني **أحمد بن عيسى النجدي** عن محمد بن عبد الرحمان الأهول عن والده عن الشيخ مرتضى عن محمد بن الطيب الشركي (بالقاف المعقودة) وهو ومحمد بن عبد الله السجلماسي عن محمد بن عبد الرحمان الفاسي عن أبي سالم العياشي، إلى آخر الحديث المروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : فإني قرأت على رسول الله ﷺ فلما بلغت هذه الآية قال لي : ضع يدك على رأسك فإن جبريل لما نزل بها إلي قال لي : ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت[149].

وكان للشيخ أحمد بن عيسى النجدي - أيام إقامته في مكة المكرمة - اتصال بالشريف عون، وله عنده كلمة مسموعة.

---

(149) الآيات البينات، ج 1، ص 129 وما يليها، وسيرد هذا الحديث المسلسل بطوله في آثار الشيخ الحديثية.

وهي المكانة التي حظي بها الشيخ أبو شعيب الدكالي من بعده لدى الشريف عون أثناء وجوده بمكة المشرفة[150].

ومن مؤلفات الشيخ ابن عيسى النجدي : «توضيح المقاصد وتصحيح القواعد» في شرح قصيدة ابن القيم النونية، ومنها «الرد على شبهات المستغيثين بغير الله».

ومن شعره يستنهض همم ال سعود من أجل الوحدة، والحفاظ على البلاد :

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر ... متى ينهض للحق منكم عساكر

متى تنتهوا من غمرة النوم والردى ... وينهض لنصر الدين منكم أكابر

متى تتجدد دعوة حنفية ... يكون لها بالصدع ناه وآمر

وقد تولى القضاء فحمدت سيرته فيه.

وتوفي رحمة الله عليه عام 1329هـ[151].

13 - الشيخ محمد الطمومي :

مصادر ترجمة هذا الشيخ شحيحة، وحسب ما عثرت عليه من معلومات طفيفة أنه كان من أعلام وكبار شيوخ الأزهر[152].

وأن له عناية واهتماماً بعلوم الحديث وروايته.

وقد ورد ذكره ضمن شيوخ الإمام العلامة جمال الدين يوسف الدُّجْوي المالكي المصري المتوفى عام 1365هـ.

وأن اسمه محمد بن سالم طُموم المصري، وروايته عن أحمد الكُمُشْخانوي، عن أحمد الأروادي، عن ابن عابدين، وحامد العطار، وعبد الرحمن الكزبري الصغير، وأحمد الصاوي.

---

(150) سيشار إلى ذلك عند الكلام عن الشيخ أبي شعيب بأرض الحجاز.

(151) ترجمته ضمن النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، ص 399، المرجع السابق، اتحاف النبلاء بسير العلماء، ج 2، ص 281، إعداد راشد بن عثمان الزهراني، ط 1، عام 1418 - 1997، دار الصميعي الرياض.

(152) مرآة الحرمين، ج 2، ص 262، لإبراهيم رفعت باشا، دار الكتب المصرية، عام 1344 - 1925.

كما يروي عن مصطفى المُبلَّط، عن الأمير الكبير، ومحمد الشنواني[153].

وقد روى عنه الشيخ أبو شعيب الدكالي بعد الإجازة من صحيح الإمام البخاري، وموطأ الإمام مالك، وصحيح الإمام مسلم، وجامع الإمام الترمذي، وسنن أبي داوود.

توفي رحمه الله عام 1314هـ.

14 - الشيخ دسوقي العربي :

ترجمة هذا الشيخ كسابقه لم تسعف في التعريف به كتب التراجم التي حاولت الرجوع إليها، إلا بعض إشارات وجدتها في الفتح المبين في طبقات الأصوليين للشيخ عبد الله مصطفى المراغي فقد جاء ذكره في ترجمة محمد مصطفى المراغي حين عدد شيوخه بالأزهر، ومنهم الشيخ دسوقي العربي، والشيخ محمد حسنين العدوي، والشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ أبو الفضل الجيزاوي، وفخر الإسلام والمسلمين الإمام محمد عبده.

وجاءت الإشارة إليه في ترجمة الشيخ عيسى منون الفلسطيني الأصل، حيث ذكر من شيوخه حضرة صاحب الفضيلة المغفور له الشيخ دسوقي العربي المالكي عضو جماعة كبار العلماء وأحد الأفذاذ المشهورين، حيث حضر عليه العقائد النسفية في علم الكلام.

نستفيد مما سبق إيراده، أن الشيخ دسوقي العربي كان من شيوخ الأزهر، إذ كان يقوم بتدريس العلوم الإسلامية المختلفة، ومنها علم العقائد، ولاشك أن الشيخ أبا شعيب الدكالي يكون قد تلقى عنه في رحاب الأزهر.

كما أنه كان مالكي المذهب، وعضواً بجماعة كبار العلماء بمصر، ومما يلاحظ هنا أن أغلب الشيوخ الذين أخذ عنهم الشيخ أبو شعيب الدكالي كانوا ينتسبون إلى مذهب الإمام مالك رحمه الله.

---

(153) امداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح، ص 295، تخريج محمد بن عبد الله آل رشيد، مكتبة الإمام الشافعي، ط 1، 1419 - 1999، السعودية.

- تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، ص 581، لأبي سليمان محمود سعيد ممدوح، دار الشباب للطباعة، بمصر، دون تاريخ.

فمنهم الشيخ أحمد الرفاعي المالكي، والشيخ سليم البشري شيخ السادة المالكية بالأزهر، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، إذ علماء شنقيط على مذهب مالك، والشيخ علي الصالحي المالكي، والشيخ الذي ذكرناه آنفاً دسوقي العربي، وقد ذكر الشيخ أبو شعيب الدكالي في ترجمته الخاصة التي كتبها بيده، أن الشيخ دسوقي العربي من جملة شيوخه الذين تلقى عنهم العلم بمصر.

وبعد :

فعلى يد هؤلاء الشيوخ الأجلاء تلقى الشيخ الهمام أبو شعيب الدكالي أنوار العلم والمعرفة.

وتقديراً لنبوغه المبكر، وحفظه المستمر، واستحضاره الشامل، واعتباراً لفهمه الثاقب، فقد قام بالتدريس بين يدي شيوخه في رحاب الأزهر الشريف كما ألمحنا إليه من قبل.

ونختم الكلام هنا بكلمة الأستاذ العلامة محمد المختار السوسي تلميذ الشيخ رحمه الله حول وجود الشيخ أبي شعيب الدكالي بمصر وفي رحاب الأزهر على الخصوص قائلا :

فاستقل الباخرة فلحق بمصر فآوى إلى الأزهر، فأقبل على الدراسة العالية، فأتقن التفسير ببركة الروايات التي جودها في المغرب، وأخذ الحديث أخذاً جيداً حتى حكى أنه كان يكتب في لوحة أسماء الرجال، ويتعهد تراجمهم، حتى كان له من ذلك ما كان.

وبرع أيضاً في النحويات، واللغويات، والأدبيات، وقد أعانه ما أعده من المحفوظات، وما في صدره من حافظة غريبة، وما في جأشه من رباطة، وما في قلبه من جرأة على أن يستتم بعد سنوات قليلة هنالك أمضاها في التحصيل، درجة لفتت إليه أشياخه الأزهريين فأثنوا عليه، ويحكي أن مسائل كثيرة من فنون كتبها سائل في ورقة فوقعت في يده، فأجاب عنها كلها، فأعجب به عارفوه، والسعد من وراء ذلك كله يأخذ بيده، ومن أعانه السعد، ولاحظه بعينه فلينم فإن المخاوف كلهن أمان[154].

---

(154) الترجمة الخاصة للمختار السوسي لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي ضمن شيوخه الحضريين.

المبحث الثالث

الشيخ أبو شعيب الدكالي في رحاب أرض الحجاز

ذكر الأستاذ عبد الرحمن الدكالي ابن الشيخ رحمه الله : أنه بينما والده الشيخ أبو شعيب الدكالي في الجامع الأزهر يدرس، ويقوم بدوره في إلقاء دروس يستفيد منها الخاص والعام.

وفي مذاكرة تمت بين الملك عباس الخديوي، وفضيلة شيخ الجامع الأزهر[155]، حول رغبة وردت من ملك الحجاز الشريف عون الرفيق في أن يجد عالماً بالكتاب والسنة يأتي مجاوراً إلى مكة المكرمة لينتفع به سكان مكة والوافدون عليها من ضيوف الرحمان.

وقال شيخ الجامع الأزهر للملك عباس الخديوي : إن لدينا بالأزهر الشريف شاباً مغربياً نابغة، وحافظاً للقرآن الكريمة بقراءاته كلها، وواعياً للسنة النبوية، سأخاطبه في هذا الشأن، فإن قَبِل، فهو أهل لذلك.

دعا الشيخ سليم البشري أبا شعيب، وذكر له ما سمع، فلم يتردد الشيخ الشاب أبو شعيب الدكالي في رغبته الأكيدة في مجاورة بيت الله الحرام[156].

فتمت له الرغبة وحقق له الله سبحانه الأمل والرجاء.

وقبل أن نلم بأحوال الشيخ أبي شعيب الدكالي في رحاب الديار المقدسة، ومدى الترحاب الذي لقيه من شريف مكة آنذاك الرفيق عون، وما قام به من تدريس، وتوعية، وخطب، وإفتاء في أرجاء الحرم المكي، والمدني في آن واحد حتى لقب بمفتي الحرمين.

نلقي نظرة إجمالية عن الحالة السياسية والاجتماعية بأرض الحجاز، وما حولها حين ذهب إليها الشيخ أبو شعيب الدكالي.

---

(155) شيخ الجامع الأزهر آنذاك هو الشيخ سليم البشري وكان يعرف الشيخ أبا شعيب جيداً لأنه عمدته في الرواية والدراية كما أسلفنا الكلام عنه ضمن شيوخه.

(156) الترجمة الخاصة للأستاذ عبد الرحمن الدكالي لوالده رحمه الله.

الحالة السياسية والاجتماعية للحجاز في هذا العصر :

كان الحجاز يطلق على عدة إمارات هي مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وجدة، والعلا، والجوف، وتبوك، والطائف، والظفير، والقنفذة.

وتعد مكة المكرمة، والمدينة المنورة من أهم إمارات الحجاز، وكان الحجاز خاضعاً لحكم الأشراف، الذي كان منهم الشريف عون الرفيق، الذي أدركه الشيخ أبو شعيب الدكالي حين ذهب إلى الحجاز.

وكان هؤلاء الأشراف يدينون بالولاء للخلافة العثمانية (الأتراك).

وبقيت الحجاز تحت حكم الأشراف الحسنيين إلى أن ضمها العاهل السعودي الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله إلى المملكة العربية السعودية عام 1925[157].

والأمراء الأشراف الذين أدركهم الشيخ أبو شعيب الدكالي عند رحلته إلى أرض الحجاز هم :

- الشريف عون الرفيق باشا :

وقد وصفت مدة حكمه بالجور، وارهاق الحجاج، وإهمال مرافق البلاد[158].

إلا أنه بالرغم ما قيل فيه، فإنه كان محباً للعلم والعلماء، وكان يحضر مجالسهم، ويستمع إلى محاوراتهم مع التشجيع والتقدير.

وقد ولي إمارة مكة من عام 1299هـ إلى تاريخ وفاته عام 1323هـ.

- الشريف علي باشا بن عبد الله :

لم تطل إمارة هذا الشريف لمكة حيث تولى بعد وفاة الشريف عون الرفيق عام 1323هـ، وعزل عام 1326هـ عقب إعلان الدستور العثماني[159].

---

(157) الموسوعة العربية، ص 690 وص 1199، دار الشعب، عام 1965.

(158) إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام، ص 49، لمحمد صالح الشيبي العبدري الحجي، تحقيق إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ، جامعة أم القرى، 1405 - 1984، والأعلام، ج 5، ص 97، لخير الدين الزركلي.

(159) الأعلام، ج 4، ص 309، للزركلي، وإعلام الأنام، ص 49، المرجع السابق.

- الشريف الحسين بن علي :

وهو آخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين، وقد تولى إمارة الحجاز عام 1326هـ[160].

وقد أدرك الشيخ أبو شعيب الدكالي مدة قصيرة من إمارة الشريف حسين، إذ رجع الشيخ أبو شعيب الدكالي على إثرها إلى بلده المغرب عام 1328هـ - 1910م، إذ كانت الأحوال في الحجاز وما حولها قد تبدلت وساد الاضطراب وعدم الاستقرار إلى أن هدأت البلاد بمجيء آل سعود الميامين كما أسلفنا.

وقد كانت أجواء أرض الحجاز حين انتقل إليها الشيخ أبو شعيب الدكالي تتسم بعدم الاستقرار لتدخل الحكم العثماني في تلك الآونة، وبطريق غير مباشر التدخل الانجليزي.

كما كانت الأراضي المحيطة بالحجاز محل صراع وتناوش بين الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وبين عبد العزيز بن متعب الرشيد.

وقد انتهى هذا الصراع بمقتل هذا الأخير، وانتصار الأمير عبد العزيز آل سعود رحمه الله في النهاية[161].

وكانت الحالة الاجتماعية في الحجاز شبيهة بما يجري في العالم الإسلامي والعربي من تخلف، وخرافات، وأمية، وعدم أمن.

يقول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رحمه الله وهو يصور الحالة الاجتماعية آنذاك :

وقد شاهدت بنفسي الحالة في الحجاز قبل الحكم السعودي بما تقشعر منه الجلود، وتضطرب منه القلوب، حتى إن المعتمر لا يستطيع أن يذهب إلى التنعيم خوفاً من هؤلاء الطغاة.

وقد سافرت إلى المدينة سنة 1324هـ مع القافلة ومعنا جملة من الخفراء، وتخلف عنها درويش لقضاء حاجته، فاجتمع عليه قطاع الطريق، وجرحوه عدة جروح كي يعترف لهم بما عنده من نقد، وهو درويش لا يملك شيئاً.

---

(160) الأعلام، ج 2، ص 249، للزركلي.

(161) انظر تفصيل ذلك تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها لصلاح الدين المختار، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.

وسمعت واحداً من أشقياء عتيبة يفتخر بأنه سرق كذا، ونهب كذا، من الجمال في تلصصه، وغزوه، فقبحه الله على ما افتخر به، فهؤلاء هم سود الوجوه إن لم يظلموا ظلموا.

ثم قال :

وهذا الأمن المستتب الآن في الجزيرة هو من فضل الله ثم من صرامة حكم الملك عبد العزيز على هؤلاء الأعراب[162].

وبالرغم من الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بدأت في زمن متقدم في رحاب نجد وما جاورها، وكانت هذه الدعوة تتعلق أساساً باصلاح العقيدة، وما علق بها من شوائب.

إلا أن أثار هذه الحركة لم تكن انتشرت في ربوع الحجاز جميعها، لأن الذين ناصروا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هم آل سعود وعلى رأسهم الأمير عبد العزيز رحمه الله، وكانت الحجاز آنذاك لم تدخل في نطاق ولايتهم.

وكانت أصداء هذه الحركة تصل إلى رحاب مكة والمدينة وغيرها من أراضي الحجاز عن طريق العلماء الذين كانوا يأتون من نجد لزيارة الحرمين الشرفين، إما بالحج أو العمرة.

وكانت تلك الدعوة المنبعثة في ظل المذهب الحنبلي تنحو منحى المطالبة بالدليل في جميع الأحكام الشرعية، فضلا عن نقاء العقيدة على ما كان عليه السلف قبل دخول الأهواء، وتعدد الأراء.

وهذا الموقف هو الذي حدا بالشريف الرفيق عون أن يبعث إلى الأزهر لإرسال عالم مطلع على الكتاب والسنة، والعلوم الشرعية عموما يتولى الخطابة، والتدريس، والافتاء في ظل الحرمين الشريفين، وكان من رشح لهذه المهمة هو الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله.

وفي رحاب أرض الحجاز تنوعت أعمال الشيخ أبي شعيب الدكالي تدريساً، وخطابة، وإفتاء.

---

(162) الملتقطات، ص 215، للشيخ يوسف القناعي، مطبعة حكومة الكويت، دون تاريخ.

ويحكي الأستاذ عبد الرحمن الدكالي ابن الشيخ عن هذه المرحلة بقوله :

ها هو الملك الشريف عون الرفيق يستقبل ضيفه أبا شعيب في قصره بمكة ويقول له : لقد قيل لي الكثير عن علمك وحفظك، رغم ما أنت عليه من صغر سنك.

وتبتدئ المجالس العلمية بحضرة الشريف عون، وتقع المناقشة في شتى العلوم والفنون، ويستقر الأمر أخيراً على اعتراف علماء مكة لضيفهم بالتضلع في العلم والمعرفة.

ويحيط الشريف عون الرفيق ضيفه بالإكرام، والعناية، والتقدير، وترتبط وثائق الصلة بين أبي شعيب الدكالي وكبار رجال مكة.

وتجتمع أفواج من الناس في حلقات متعددة لتستمع من الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى تفسير القرآن الكريم، ودراسة الكتب الستة في الحديث، ودروس النحو، والبلاغة، والبيان، وتخصص دروس أخرى لطلاب علم الأدب، فيدرس لهم «الكامل للمبرد»، و«البيان والتبيين للجاحظ»، و«الأمالي لأبي علي القالي»، و«المقامات الحريرية»، ويرى الشريف عون الرفيق أنه قد فعل خيراً كثيراً حينما تسبب في جلب هذا العلم الغزير إلى الديار المقدسة[163].

وقد استقر الشيخ أبو شعيب الدكالي بمنزل هناك يسمى بـ«القشاشية» قرب الحرم المكي[164].

كما كانت تحصل ندوات ولقاءات علمية بين علماء مكة وغيرهم من علماء الأقطار الإسلامية وكانت مساهمة الشيخ أبي شعيب الدكالي بارزة في هذه اللقاءات.

جاء في كتاب سير وتراجم عند ترجمة أحمد بن حسن الغطاس المتوفى عام 1334هـ الحضرمي الأصل، الذي كان يدرس بالحرم المكي :

وكان أهل مكة يقيمون له المآدب الفخمة، يحضرها علماء مكة، وكانت تجري هناك مجالس علمية نفيسة، يحضرها من علماء الإسلام من مصر، واليمن،

---

(163) الترجمة الخاصة للأستاذ عبد الرحمن الدكالي لوالده رحمه الله.

(164) قبيلة زعير، ج 2، ص 224، نقلا عن ابنه الأستاذ عبد الله الدكالي رحمه الله، والقشاشية : مكان قرب المسجد الحرام.

والمغرب، والشام، وكان منهم سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والعلامة المحدث الشيخ شعيب المغربي، ومفتي زبيد السيد سليمان بن محمد الأهدل، وغيرهم.

وقد دونت بعض تلك المجالس النافعة في الرحلة المكية(165).

- تدريس الشيخ أبي شعيب الدكالي بالحرمين الشريفين :

كان حسن اللقاء والحفاوة مما لقيه الشيخ أبو شعيب الدكالي من أمير مكة آنذاك الشريف الرفيق عون، ومن حاشيته، وعلماء مكة عامة.

كل ذلك كان حافزاً ومشجعاً له للمضي في نشر العلم، والقيام بأعباء التدريس، والتبليغ على أوسع نطاق.

وبالرغم مما كان يقف في طريقه - أول وهلة - من مناورات كيدية، ومؤامرات خفية، شأن كل العلماء المصلحين الذين تعرضوا لمثل هذا البلاء، إلا أن الشيخ أبا شعيب الدكالي رحمه الله كان يقابل كل ذلك بصدر رحب متسامح، كما كان يعلم كيف يرد بالعلم، والأدب، في علو همة، وسعة أفق، وشمولية في التفكير.

وفي هذا الشأن يحكي لنا تلميذه الأبر الوفي الأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله :

حل (الشيخ أبو شعيب الدكالي) في ضيافة الأمير عون الرفيق، فأولاه رعاية قدمته إلى الأمام، فكان هو جديراً بذلك المقام. فقد أتى به الأمير ليتكئ عليه كفقيه، يردرع به آخرين، فكان نعم التُكأة في ذلك، صلابة لا يغمز عودها، ومحاجة لا يغلب ربها.

فتصدر للتدريس، فكان يستعد للدروس المختلفة التي يدرسها في الحرم الشريف (مكة)، فيبهر بما يأتي به علماء المذاهب.

وفي ذلك الطور مارس الشروح، واستتم معلوماته، وأتقن أصول المسائل، وتمهر في الخلافيات، وأقوال العلماء المتفقة، والمختلفة، حتى كان ما يحتاج إليه في الدروس غالباً مستحضراً عنده بديهة لا يحتاج فيه إلى مراجعة مع مقدرته

---

(165) سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ص 123، للأستاذ عمر عبد الجبار، الكتاب العربي السعودي، ط 3، 1403 - 1982، جدة، المملكة العربية السعودية.

الغريبة في إطالة الدرس إن شاء بما لا يُمَل وإن طال، وفي إيجازه إيجازاً غير مخل إن اقتضى المقام ذلك، أو إن لم يستحضر فيه ما يقول، فيحسب السامع أنه إنما اختصر لموجب اقتضاه المقام، حملا للنادر على الغالب.

كثيراً ما يحكي لنا (القائل هنا الأستاذ محمد المختار السوسي) عن دروسه هنالك (أي في الحرم) ويذكر أنها حقيقة دروس حافلة بما يحس به من كثرة أعدائه الذين يناصبونه العداء، فكانت فصاحته، واستحضاره وحفظه للمتون، واطلاعه على التفسير، واستحضاره لغالب الأحاديث المتداولة، مع استعداده العظيم للدرس، أعظم مجيب للمعادين من العلماء الذين هم هناك مجاورون.

قال : إنهم يُسَرّبون إلي كثيراً من يسألوني على رؤوس الأشهاد في مسائل عويصة ليتخذوا غلطاً مني إن وقعوا عليه حبالة ينصبونها في طريقي.

سألني سائل مرة منهم عن النبي ﷺ أيعرف الغيب أم لا يعرفه ؟

وكان هناك عالمان هنديان، ألف أحدهما، أن النبي ﷺ يعلم كل شيء، والآخر كتب أنه لا يعلم أي شيء.

فأمليت ما أمليت في أنه لا يعرف من الغيب، ثم أمليت أيضاً ما يدل على أنه يعرفه كله، ثم أمليت ما اختاره من أن الحق في الوسط وأنه يعلم من الغيب ما أعلمه الله به عن طريق الوحي.

ثم يقول بعد ذلك بلهجته الحلوة أن الحاضرين يقولون إن مجموع ما أمليته في ذلك المجلس من الأحاديث ينيف على المئة. يقولون ذلك، وأما أنا فلم أعدها، فيكون العجب العجاب قوله هذه الجملة بتلك اللهجة التي يميل بها إلى التواضع، في حين أن المقصود بها هو أن يذكر ما يصله عدد تلك الأحاديث المملاة في مجلس واحد.

وهذه إحدى مميزاته من اختياره لكل مايشاؤه أسلوبا جذاباً غريباً يدرك به مقصوده، ثم لا يشم منه رائحة للافتخار، وهذا مصداق ما يقال : «لكل مقام مقال»[166].

---

(166) الترجمة الخاصة لمحمد المختار السوسي.

ويذكر الأستاذ مولاي أحمد العدلوني رحمه الله أحد تلامذة الشيخ ما يلي:

وكان شيخنا رحمه الله منذ حداثة سنه تواقاً، وطموحاً، وذا عزيمة وإرادة، فبعد أن درس النحو، والفقه، والأدب التحق بكنانة الله في أرضه - أرض مصر - عام 1314هـ[167]، طالباً مزيد العلم والمعرفة.

ولما خالط الطلاب والعلماء، وجد أن الملحوظ بينهم من يتعاطى الأدب ويحفظ الكثير من كلام العرب، فتفرغ لذلك وفاق الأقران، وتفوق في الميدان، واستظهر آلاف الأبيات الشعرية، وحدث من نتيجة ما كان يحظى به لدى أستاذه[168]، من عناية وتقدير أن اختاره بعد أن ورد طلب من أمير مكة إلى مصر أن يوجهوا عالماً بالفقه المالكي ليسد الفراغ الملاحظ في المقام المالكي إذّاك أمام البيت الحرام، فكان هذا من نصيب المغربي اللامع، العالم بذلك من غير منازع.

ووجهته العناية الإلاهية لأعظم حرمة ومهبط وحيه، ومولد رسوله.

فدخل مكة لوظيفه، ووجد العلماء بها على خلاف ما بمصر، إذ العالم هنا من يعي كتاب الله، ويحفظ الكثير من أحاديث رسول الله ﷺ.

وهنا وجد شيخنا دافعين لمسايرة علماء مكة : أحدهما حبه للكرع من سنة المصطفى ﷺ.

وثانيهما : تكفيره عن امتلاء صدره شعراً.

فشمر لحفظ الأحاديث النبوية الصحيحة، وبادر في ذلك، مما أهله أن يلج بيت الملك في زمرة أضرابه من كبار العلماء بالحديث، وكان يجتهد ليل نهار، للتفوق عليهم، ولئن فاته النسب الذي يعرف به الملوك وغيرهم من أكابر العلم المقيمين والواردين، فإنه لم يفته السبب الذي فرض عليهم أن يتعرفوا عليه.

فالمناظرات التي تقام بمجلس الملك خولته عطفه، ورقت به إلى ذروة المجلس، فتصاعد عن الأكابر، خصوصاً إذا تكلم في مذهب إمامه مالك بن أنس رحمه الله، وكتابه (الموطأ) الذي كان أول كتاب حفظه من الحديث.

---

(167) الترجمة الخاصة للفقيه مولاي أحمد العدلوني رحمه الله.

(168) يقصد الشيخ سليماً البشري الذي كان يعتز به تلميذه الشيخ أبو شعيب الدكالي وهو عمدته في الرواية والدراية، كما كان الشيخ سليم البشري يقدر ويجل تلميذه هذا.

وكان كتاب (التمهيد) لابن عبر البر[169]، مهد له المكانة السامية، وأخذ عن أكبر علماء مكة، والزائرين لها، كما أخذ عنه أهلها وغيرهم[170].

العلوم التي درسها الشيخ أبو شعيب الدكالي بالحرمين الشريفين :

من هذه العلوم :

1) تفسير القرآن الكريم.

2) شرح الكتب الستة الحديثية :

- صحيح الإمام البخاري.
- صحيح الإمام مسلم.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن ابن ماجة.

---

(169) إذ كان يطلع على هذا الكتاب باستمرار حتى تمكن من استحضار أغلب مسائله في الفقه، وطرق الاستدلال، وعلم الخلاف، فضلا عن أحاديث كتاب التمهيد المتعددة والمتنوعة.
وكان الذي هيأ له هذا الكتاب الذي لم يكن مطبوعاً آنذاك هو صهره أب زوجه الوزير السيد محمد وزير المالية في عهد الشريف عون الرفيق.
حدثني بهذا العالم الفاضل مولاي أحمد العدلوني تلميذ الشيخ رحمه الله.
وكتاب التمهيد هذا من أنفع وأبدع الكتب في شرح معاني الأحاديث النبوية، يفتح باب التحقيق، والتدقيق العلمي، مع مقابلة الأقوال بعضها ببعض، فيدرب على الاجتهاد، والجمع بين الأقوال، مع العمل بالدليل الأقوى.
تناوله ابن عبد البر رحمه الله على أسماء شيوخ الإمام مالك رضي الله عنه بحروف المعجم، اقتداء بما سار عليه أصحاب المسانيد ومنهم الإمام أحمد في المسند على أسماء الصحابة رضوان الله عليهم.
قال فيه الشيخ محمد بن جعفر الكتاني : غزير العلم لم يتقدمه أحد إلى مثله.
وقد قال ابن حزم : لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا، فكيف أحسن منه، الرسالة المستطرفة، ص 113، دار قهرمان، استانبول، دون تاريخ.
وكتاب التمهيد هذا مع صنوه الاستذكار من أنفع الكتب في الحديث والفقه والاطلاع على خلاف أئمة المذاهب.

(170) الترجمة الخاصة للشيخ للأستاذ الفقيه مولاي أحمد العدلوني رحمه الله.

- وفي رحاب الحرم النبوي بالمدينة المنورة قام الشيخ أبو شعيب الدكالي بتدريس (صحيح الإمام البخاري) حيث كان من الحاضرين لهذه الدروس تلميذه الشيخ عمر بن حمدان المحرسي[171].

3) دروس في السيرة النبوية، بكتاب الشفا للقاضي عياض، وشمائل الترمذي.

4) دروس النحو والبلاغة والبيان.

5) دروس في الأدب للكتب التالية :

- «الكامل للمبرد».

- «البيان والتبيين للجاحظ».

- «الأمالي» لأبي علي القالي.

- المقامات الحريرية[172].

6) دروس في الفقه حيث درس رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر الشيخ خليل.

7) أصول الفقه بمختصر ابن الحاجب الأصلي.

8) علم القراءات بمنظومة الشاطبي.

9) علم مصطلح الحديث بشرح البيقونية للزرقاني، والتدريب لجلال الدين السيوطي وهو شرح تقريب النووي[173].

- فضلا عن المناقشات والمناظرات التي كانت تجري بين الشيخ أبي شعيب الدكالي وبين علماء مكة والعلماء الوافدين على الحرم المكي.

أو تلك المناظرات التي كانت تتم بمحضر الأمير الشريف عون الرفيق.

---

(171) اتحاف الاخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان لأبي الفيض محمد ياسين بن محمد عيسى الفاداني المكي، ص 51، دار البصائر، دمشق وبيروت، عام 1406 - 1985.

(172) الترجمة الخاصة للأستاذ الأديب العالم عبد الرحمن الدكالي لأبيه الشيخ أبي شعيب الدكالي.

(173) انظر في ذلك من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، الشيخ محمد أمين الشنقيطي، ص 273 وما يليها لعبد اللطيف الدليشي الخالدي، ط 1، عام 1401 - 1981، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.

- بالإضافة إلى ما كان يلقيه الشيخ أبو شعيب الدكالي من دروس في رحاب بيت الله الحرام.

فقد كان خطيباً بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وكان يلقب بخطيب الحرم المكي آنذاك.

وسنورد أنموذجاً من خطبه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة ضمن آثار الشيخ إن شاء الله.

- وتولى منصب مفتي الحرمين على المذاهب الأربعة نظراً لتمكنه من الفروع الفقهية المذهبية، وعلم الخلاف العالي[174].

وكان صدى تلك الدروس، والخطب، والفتاوي - بحكم زيارة الحرمين من جميع الآفاق - قد انتشر وذاع في ربوع العالم الإسلامي، فضلا عن المغرب الأقصى بلد الشيخ شعيب، وبلدان المغرب العربي ومنها تونس التي يحكي عنها العلامة الفاضل بن عاشور بقوله :

كان العلامة الشهير الإمام أبو شعيب الدكالي قد بدا نجمه ساطعاً، وذاع صيته عالياً، من مكة المكرمة في العقد الثاني من هذا القرن.

إذ عرف بجمعه لما يعز جمعه من قوة الحفظ، ودقيق الفهم، ومحكم التقرير.

وكانت سمعته العالية تصل إلى تونس، كما تصل إلى وطنه الأصلي بالمملكة المغربية الشريفة، عن طريق الوافدين من الحرمين الشريفين، يتحدثون بأن شابا مغربياً اسمه أبو شعيب الدكالي، قد أتاه الله من تلك النعم ما جعله البارز بين علماء الحرمين الشريفين، وذا المكانة التي لا تداني بين الخاصة والعامة.

وكان أهل العلم بتونس يهشون لهذه الأخبار، ويتناقلونها في لهفة وبهجة، لأنها كانت تروي من غليلهم وتعلل شوقهم إلى أخبار أهل العلم من ذلك القطر الشقيق العزيز الذي قامت بينهم وبينه حواجز من انقطاع الأخبار، وتعطل الصلات العلمية، بعد أن كانت موصولة على مر القرون[175].

---

(174) انظر المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 9.

(175) الترجمة الخاصة للفاضل بن عاشور، للشيخ أبي شعيب الدكالي، ص 1، وما ذكر من حواجز في كلمة الفاضل بن عاشور فالمقصود بها حواجز الاستعمار آنذاك.

تلقي الشيخ أبي شعيب الدكالي عن بعض الشيوخ بالحرم المكي :

اغتنم الشيخ أبو شعيب الدكالي فرصة وجوده بالحرمين الشريفين فتلقى عدة إجازات من الشيوخ القادمين إلى بلد الله الحرام من بلدان مختلفة كما صرح بذلك الشيخ في ترجمته لنفسه بقوله :

وأجازني الكثير لما جاورت بمكة شرفها الله من وفود أهل الله من اليمن، وأهل الشام، وأهل العراق، وأهل الهند[176].

كما أجاز الشيخ أبو شعيب الدكالي كثيراً من الشيوخ والتلاميذ من أوطان شتى.

وفي رحاب بيت الله الحرام التقى بالشيخ عبد الله القدومي النابلسي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ محمد بدر الدين الدمشقي، الذي روى عن الشيخ أبي شعيب، كما روى هو عنه مما ذكر من قبل ضمن شيوخ الشيخ، ومن الشيوخ الذين اجتمع بهم علامة المغرب أبو شعيب الدكالي الشيخ أحمد بن عيسى النجدي.

تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي في ظل الحرمين :

كان للشيخ أبي شعيب الدكالي بأرض الحجاز تلاميذ كثيرون بحكم وجوده بالحرم المكي، فهو أحد العلماء الذين قاموا بالتنوير، وحمل مشعل التدريس في المسجد الحرام، وهو الخطيب المفوه الذي كانت تتردد خطبه الرنانة في أرجاء الحرم الكريم.

وهو مفتي الحرمين : حرم مكة المكرمة، وحرم المدينة المنورة، إذ كانت ترد عليه الأسئلة من كل حدب وصوب، ليجيب عنها ويفتي فيها وفي نطاق المذاهب الأربعة، إذ كان في بيت الله الحرام أربعة مقامات لكل مذهب من المذاهب الأربعة مقام، وإمام.

لكل ذلك كله كثر التلقي، والأخذ عنه من تلاميذ وعلماء من بلدان إسلامية متعددة.

يقول الشيخ أحمد سكيرج العالم الأديب تلميذ الشيخ أبي شعيب الدكالي في هذا الصدد بعد أن استعرض نبذة من حياةالشيخ.

---

(176) الترجمة الخاصة للشيخ أبي شعيب الدكالي لنفسه بيده.

ثم استدعى أمير مكة الشريف عون الرفيق أبا شعيب الدكالي لإقراء العلم بها، فنفع خلقاً كثيراً، لاسيما الغرباء، من أهل المغرب، والهند، وجاوة[177].

فطار صيته للأقطار النائية، وكانت له كلمة نافذة عند الأمير المذكور، وقد استولى عليه، بما أوتيه من حلاوة المنطق، والعلم الصحيح، الذي يميز به المبطل من المحق[178].

كما حصل اللقاء وتبادل الزيارات بين الشيخ أبي شعيب الدكالي، وبين أعلام من المغرب أثناء وجود الشيخ بمكة المكرمة.

وهؤلاء التلاميذ، بعضهم من المغرب الأقصى، تكبدوا مشقة السفر إلى أرض الحجاز للحج وطلب العلم، فأخذوا عن الشيخ أبي شعيب الدكالي هناك[179].

وقد يكون تلاميذ آخرون من بلدان المغرب العربي لكن لم نتمكن من التعرف عليهم.

بينما حصل التعرف على جمهرة من التلاميذ من بلدان مختلفة، كالحجاز، والكويت الآن، واندونسيا، والهند وبلاد القوقاز.

وما نسوقه هنا ما هو إلا نوع من التدليل على مكانة الشيخ العلمية، وعمله العلمي بأرض الحجاز، وإلا فللشيخ تلاميذ أكثر من أن تحصى.

أولا : تلاميذ مغاربة ذهبوا إلى الحجاز :

من هؤلاء التلاميذ الشيوخ نذكر منهم :

---

(177) الترجمة الخاصة لأحمد سكيرج لشيخه أبي شعيب الدكالي المسماة بقدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، مخطوط.

وجاء في رياض السلوان بتراجم من اجتمعت بهم من الأعيان لأحمد سكيرج رحمه الله وهو مخطوط أيضا زيادة ما نصه.

ثم استدعاه أمير مكة الشريف عون لاقراء العلم بها، فحصل فيها على مزايا كثيرة، وجاورها سنين، فنفع الله به خلقاً كثيراً، لاسيما الغرباء من أهل المغرب، والهند، وجاوة، وبخارى، وقازان، والترك، والتركمان، وأهل العراق، وغيرهم.

(178) الترجمة الخاصة للشيخ أحمد سكيرج لأبي شعيب الدكالي.

(179) أما تلاميذ الشيخ في المغرب بعد عودته من أرض الحجاز، فلهم كلام، وشأن آخر يأتي بيانه إن شاء الله عند الكلام على جمهرة من تلاميذته وهم كثيرون من أنحاء المغرب كله.

1 - الحاج مسعود بن أحمد الوفقاوي :

جاء في المعسول (ج 3، ص 59) :

هو الإمام الكبير، العلامة الشهير، أحد مفاخر (إلغ) الخالدة[180]، والفذ المبرز في التدريس، والتخريج، في عهد أقفر فيه من التدريس ساحله، وعريت أفراسه ورواحله، يقبل كل علماء سوس الباقون على خويصتهم، وقد لووا الرؤوس تحت الأجنحة، فيقبل هو على محافل التعليم العربي، وفنونه المتعددة بهمم مرفرفة الأجنجة، فسبحان من قسم الحظوظ، وصير كلا إلى ما خلق له[181].

وورد في نفس الكتاب أيضا (ج 3، ص 63) :

العلامة سيدي الحاج مسعود، نادرة جزولة في سعة الأخلاق، فقد كان موطأ الأكناف، دمث الشمائل، ممتع المجالسة، مقبولا من كل من يعرفه يألف ويؤلف، لا تجد لا من طلبته، ولا من معاريفه من الخاصة، ولا من العامة، من يمكن أن يزنه بفلتة من فلتات المعاشرة، فبهذا الحال أسس لنفسه مجداً شامخاً وشرفاً مؤثلا[182].

التقاء الحاج مسعود بشيخه أبي شعيب الدكالي بالحرمين :

حين ذهب الحاج مسعود الوفقاوي للقيام بمناسك الحج عام 1325، كانت نيته منصرفة للحج، وطلب العلم في آن واحد.

ولذلك لازم الشيخ أبا شعيب الدكالي آنذاك مدة سنة حين كان الشيخ يلقي دروسه بالحرم المكي والمدني.

---

(180) (إلغ) : مدينة بسوس اشتهرت بالزاوية الدرقاوية التي أسسها الحاج علي الإلغي الدرقاوي رحمه الله والد العلامة الكبير محمد المختار السوسي، الذي ألف في حياة والده هذا كتاباً سماه الترياق المداوي في أخبار سيدي علي الدرقاوي، وهناك مدينة أخرى بسوس أيضاً باسم (إيليغ) كانت عاصمة لإمارة أبي حسون السملالي، وفيها كتب الأستاذ محمد المختار السوسي مؤلفا سماه (إيليغ قديماً وحديثاً) وقد طبع.

انظر كتاب المغرب، ص 68 للأستاذ الصديق بن العربي، دار الغرب الإسلامي، ومعلمة المغرب، ج 2، ص 659، مطابع سلا، 1410 - 1989.

(181) المعسول، ج 3، ص 59 وما يليها لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، 1380 - 1961، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.

(182) المعسول، ج 3، ص 68، المرجع السابق.

وتوج هذا اللقاء العلمي بإجازة الشيخ أبي شعيب لتلميذه الحاج مسعود الوفقاوي رحمه الله[183].

ويحدثنا العالم الأديب محمد المختار السوسي رحمه الله في هذا الشأن بقوله:

وفي سنة 1325هـ نزل في الحرمين لأداء فريضته، وللأخذ، فجاور هناك سنة، كان يأخذ فيها عن العلامة شيخنا شعيب الدكالي : الشمائل، وألفية ابن مالك، ثم رجع بحجتين[184].

وذكر الحاج مسعود أن الشيخ أبا شعيب الدكالي كثيراً ما كان ينشده بعدما سمعه :

كم من فقيه سفيه في تدبره فلا تلازم بين العلم والرشد[185]

ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم الحاج مسعود في رحاب الحرمين الشريفين الشيخ محمد فالح المدني وهو من علماء الحجاز المعروفين[186].

ومما أنشد له :

اعلموا أنني مقيم وقلبي راحل بين ركبكم في الجمال[187]

وبعد كفاح علمي متواصل ساهم به الحاج مسعود الوفقاوي في تكوين أجيال وتلاميذ أخذوا عنه، واستفادوا منه[188].

التحق بالرفيق الأعلى عام 1366هـ[189].

---

(183) المرجع السابق، ص 60.

(184) المرجع السابق، ص 60.

(185) المرجع السابق، ص 69.

(186) انظر ترجمته معجم الشيوخ، ص 131، لعبد الحفيظ الفاسي، المرجع السابق، والأعلام، ج 6، ص 326، لخير الدين الزركلي، المرجع السابق.

(187) المعسول، ج 3، ص 70، المرجع السابق.

(188) انظر طائفة من الآخذين عنه، المعسول، ج 3، ص 79، المرجع السابق.

(189) انظر ترجمته الحافلة، المعسول، ج 3، من ص 59 إلى ص 85 منه.

2 - الحاج محمد أو القائد الحاحي (ابن الطالب) :

جاء في المعسول للأستاذ محمد المختار السوسي أنه :

العلامة الكبير، المخرج، المجرر أذيال التحقيق في الفنون التي يجول فيها أحد علماء (حاحة)[190] المتأخرين، وأنبغ نبغاء النوازليين هناك المدققين.

أطبق كل من يحكي لنا عنه ممن عرفوه على تفوقه، وعلى وصوله إلى مرتبة يغبط كل من يتسنم ذراها.

ويسمى بابن الطالب، ولكن الأشهر في اسمه سيدي محمد أو القائد.

وقد أخبرني تلميذه سيدي الحاج مسعود أنه نشأ يتيماً فقيراً، ولعل أباه مات بعد أن أتقن عليه القرآن، وهو إذّاك لايزال صغيراً[191].

ثم قال فيه أيضاً :

كان متمكنا في معارفه التي أخذها، جوالا في الفقهيات، محبباً إليه التدريس، له فيه لذة كبرى، ولذلك لا يفتر عنه[192]، اشتغل بالقضاء بأكادير، وكَسيمة، وهشتوكة في عهد القائد سعيد الكلولي.

ولم يترك التدريس، والاشتغال بشؤون العلم والمعرفة بالرغم من أعباء القضاء، وتابع عمله العلمي إلى أن لقي الله تعالى[193].

اتصال الحاج محمد أو القائد بشيخه أبي شعيب الدكالي :

في رحاب الحرم المكي، كان لقاء العالم الفقيه الحاج محمد أو القائد الحاحي للشيخ أبي شعيب الدكالي، الذي أخذ عنه هناك، صحبة الحاج مسعود الوفقاوي

---

(190) تقع حاحا الآن في الجزء الجنوبي من إقليم الصويرة تحدها مدينة (الصويرة) من الشمال الغربي، وقبيلة (الشياظمة) من الشمال الشرقي، وقبائل (إيمنتانوت) من الشرق، ومدينة (أكادير) من الجنوب.
انظر في ذلك المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة، ص 15 وما يليها، للأستاذ الفقيه إذا إبراهيم التامري، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 1416 - 1995، ومعلمة المغرب الأقصى، ج 10، ص 3264، المرجع السابق.

(191) المعسول، ج 5، ص 282، المرجع السابق.

(192) المرجع السابق، ص 287.

(193) المرجع السابق، ص 287.

الذي صحبه في زيارة تلك الديار المشرفة الفاضلة، وتوجت تلك الرحلة المباركة بأداء مناسك الحج، والاستفادة العلمية، مع الإجازة العامة من الشيخ أبي شعيب الدكالي له.

جاء في كتاب المعسول :

في سنة 1324هـ استناب المترجم (يقصد الحاج محمد أو القائد) الفقيه سيدي محمد بن الحسن بن عبد النبي على مدرسته، فتوجه لأداء فرضه، فصاحب معه تلميذه مسعوداً الوفقاوي ليتلو عليه، لأنه رآه يمرق في التلاوة[194] في أي كتاب، بلا تلعثم ولا تهدج[195] - على عادة الالغيين -.

وقد كانت نفقة حجة المترجم على أخ للقائد، ثم أضاف إليه تلميذه هذا، فكانت رفقه طيبة، نال بها المترجم أمنيته، زيادة على أنه أدى فريضته، فجاور هناك سنة، أخذ فيها على **الشيخ شعيب الدكالي**.

وأجازه بهذه الإجازة :

الحمد لله المعطي المانع، الخافض الرافع، الضار النافع، والصلاة والسلام على أفضل شافع، وعلى آله وأصحابه وكل تابع.

أما بعد :

فقد استجاز مني من لا تسعني مخالفته، الذي إشارته أمر وحكم، وطاعته عبادة وغنم.

ألا وهو الفاضل النحرير الدراكة، سيدي محمد بن الطالب الحاحي، فيما يجوز أن أجيزه به.

فأجزته مع علمي بأني لست أهلا لذلك، والله أعلم بما هنالك، بكل ما تجوز عني روايته من منقول، ومعقول، وفروع وأصول، كما أجازنا مشايخنا الكرام، الأئمة الأعلام، ومصابيح الظلام، ولنقتصر على بعضهم اختصاراً، لأن الوقت لا يسع لذكر جميعهم، فنقول :

---

(194) مَرَقَ السهم من الرمية مُرُوقاً : نفذ فيها وخرج منها، ومعنى يمرق في التلاوة هنا أسرع مع الاتقان.

(195) يقال تهدج الصوت : إذا تقطع في ارتعاش.

حدثنا الشيخ سليم البشري، عن الشيخ منة الله، عن الشيخ الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير، عن الشيخ محمد الزرقاني، عن العلامة عبد الباقي والده، عن الأجهوري، عن نجم الدين الغيطي، عن زكرياء الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن مشايخه الذين ذكرهم في (فتح الباري).

وأوصيه وإياي بتقوى الله في السر والعلن، وأن يسهم لنا من دعواته، في خلواته وجلواته، وأن يقول لا أدري فيما لا يدري، كما هو الظن الجميل به.

والله أسأل، وبنبيه أتوسل، أن يصلح الجميع، إنه ولي ذلك، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تحريراً في المحرم الحرام، عام 1325.

خادم أهل الله، ببلد الله، شعيب بن عبد الله المغربي وفقه الله بمنه[196].

3 - الأستاذ أبو عبد الله محمد العَرَبي الناصري :

العالم المطلع الإداري المشارك وهو الأخ الأكبر للأستاذين جعفر الناصري، ومحمد الناصري، وهم جميعاً أبناء العالم المؤرخ أحمد بن خالد الناصري صاحب كتاب الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى، المتوفى عام 1315هـ.

التقى أبو عبد الله محمد العربي الناصري بالشيخ أبي شعيب الدكالي حين حج إلى الديار المقدسة عام 1323هـ موافق 1906م.

فدرس عليه هناك في رحاب الحرم المكي، وكان الشيخ أبو شعيب الدكالي خير مساعد ومعين له ولمن صحبه في قضاء المناسك، والتعرف على آثار تلك البقاع الطاهرة.

وما ذاك إلا رد للجميل الذي قام به والده الشيخ أحمد الناصري حين عزم الشيخ أبو شعيب الدكالي على السفر إلى مصر من أجل الدراسة في الأزهر الشريف، إذ أعانه على ذلك وأوصى من يعرفه به خيراً.

---

(196) أورد هذه الإجازة الأستاذ العالم الأديب محمد المختار السوسي ضمن كتابه المعسول، ج 5، ص 288.
وقول الشيخ أبي شعيب في إمضائه شعيب بن عبد الله يقصد أن أباه عبد الرحمن هو عبد الله أي من عباد الله سبحانه وهو كذلك.

وهذا ما ذكره الأستاذ الأديب جعفر الناصري بقوله :

ولما حج أخونا أبو عبد الله محمد العربي، نائبه في الوزارة بعد ذلك، سنة 1323هـ / 1906م، اتصل بالشيخ أبي شعيب الدكالي بمكة، وجدد معه المعرفة القديمة، والوصلة التي كانت بينه وبين والده، فالتفت إليه، وإلى رفقائه، وأظهر اعتناء كبيراً بهم، وكان لا يفارقه، واغتبط كل منهما بصاحبه، ومهد لهم حسن الإقامة، ويسَّر لهم أسباب السلامة، وسهل عليهم كل عسير في زيارة المشاهد والمعاهد، وكان لهم خير دليل في الوقوف عليها، والتبرك بها.

ثم وصل سنده به، وقرأ عليه طرفاً من صحيح الإمام البخاري. وأجازه بسائر مروياته، من معقول ومنقول، وفروع وأصول[197].

اشتغل الأستاذ أبو عبد الله الناصري بنيابة وزارة العدلية مدة في عهد السلطان المولى يوسف رحمه الله، أيام كان الشيخ أبو شعيب الدكالي وزيراً للعدلية والمعارف، فكان نائباً عنه مع تلمذته له.

ثم تولى رئاسة الجنايات بالأعتاب الشريفة إلى أن توفي عليها ببلده سلا عام 1362هـ[198].

4 - الشيخ محمد الحجوجي الدمناتي :

العالم المطلع ذكر في فهرسته المسماة بنيل المراد في ذكر رجال الإسناد وهي مخطوطة حين ترجم للشيخ أبي شعيب الدكالي وأنه من جملة شيوخه قائلا :

اجتمعت به أولا بمكة سنة أربع وعشرين، وتذاكرنا في مسائل فكان يملي علينا كأن بيده كتاب وهو يقرأ منه وقد حفظه، وذكر لنا أنه ألف تأليفاً تكلم فيه على حديث «خير الأمور أوساطها» واستنبط منه نحو الثلاثمائة حكم، وذكر لنا نحو الثلاثين من تلك الأحكام بديهة.

---

(197) الترجمة الخطية الخاصة للشيخ أبي شعيب الدكالي للأستاذ جعفر الناصري وأخيه الأستاذ محمد الناصري تحت عنوان : «شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي»، ص 4 - 5.

(198) موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3168، وفيات 1362.

وبلغني أنه شرح مقامات الحريري.

وله شرح على المختصر وصل فيه إلى اللقطة، وله تأليف في توجيه القراءات وله غير ذلك. هـ

5 - الشيخ محمد بن عبد السلام الريفي :

درس على الشيخ بالحجاز ثم أصبح قاضياً بإمارة دبي في دولة عمان بإشارة من الشيخ[199].

ثانياً : تلاميذ من كل الآفاق :

هؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا بعدُ من العلماء والشيوخ ونابوا عن شيخهم أبي شعيب الدكالي في نشر العلم والمعرفة في بلدانهم وأوطانهم بعد رجوعهم إليها، وكانوا قد تلقوا عنه العلم في رحاب الحرمين الشريفين آنذاك.

فمن هؤلاء الآخذين عنه ممن تعرفنا عليهم من خلال المصادر التي ذكرت ذلك ما يلي :

1 - الشيخ يوسف عيسى القناعي :

هو مصلح الكويت الكبير الشيخ :

يوسف بن عيسى بن محمد القناعي، وينتسب - رحمه الله - إلى أسرة عربية كبيرة من أسر الكويت، وهي (أسرة القناعات).

وهذه الأسرة نزحت من نجد إلى الكويت بعد سلسلة من الرحلات من بينها الرحلة إلى الزيارة وهي مدينة في دولة قطر الآن، ثم إلى البحرين، ثم إلى الكويت أخيراً.

ولد الشيخ يوسف في مدينة الكويت عام 1296هـ - الموافق 1876م، في عهد الشيخ عبد الله الصباح حاكم الكويت، في مجتمع فقير آنذاك في موارده المعيشية، يخيم عليه الجهل والجمود.

---

(199) في تاريخ المغرب الديبلوماسي مساعدة جلالة الحسن الثاني للخليج، ص 42 للأستاذ عبد الهادي التازي.

وقد عبر الشيخ عن حالة هذا المجتمع بقوله :

نشأت في الكويت كما نشأ غيري من أبنائها في محيط عمه الجمود، واستحكمت فيه البدع والخرافات التي سترت الحق، وقلبت الحقائق[200].

اتصال الشيخ يوسف القناعي بالشيخ أبي شعيب الدكالي :

بعد أن حفظ الشيخ يوسف القرآن الكريم، ومبادئ الفقه واللغة ببلده الكويت، كما كان مهتما في أول مراحل الطلب بالاطلاع على كتب الأدب، ولاسيما كتاب «المستطرف في كل فن مستظرف».

ثم اشتغل بالتجارة من بعد مدة أربع سنوات.

لكن نفسه كانت تواقة للمزيد من طلب العلم والثقافة، فسافر إلى الأحساء[201]، فقرأ على بعض شيوخها ألفية ابن مالك، وبعض المنظومات والمتون في الفقه الشافعي.

إلا أن ذلك لم يشف غليله العلمي فقرر السفر إلى مكة المكرمة التي كانت تعج بالعلماء، مع مجموعة من طلبة العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وهناك التقى بالشيخ أبي شعيب الدكالي الذي أعجب به أيما إعجاب واستفاد منه الاستفادة الشاملة وأثر في نفسه مما كان له الأثر البالغ في حياته كلها بعد رجوعه إلى الكويت.

يقول الشيخ متحدثاً عن هذه المرحلة العلمية من حياته :

لما عدت من الأحساء أنا وزميلي المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ خالد العدساني، كان رأيه أن يتوجه إلى مصر ليزداد علما.

وأنا رأيت أن أتوجه إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج، وأتزود من العلم.

وسافرت إلى مكة في سنة 1323هـ، وسافر الشيخ أحمد إلى مصر.

---

(200) علماء الكويت وأعلامها، إعداد عدنان بن سالم ا لرومي، ص 455، الطبعة الأولى، 1420 - 1999، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

(201) المنطقة الشرقية بين الكويت وقطر، قاعدتها الدمام.

وبعد وصولي إلى مكة أخذت أحضر دروس المشايخ في الحرم، وأحسن ما رأيت دروس الشيخ شعيب المغربي، فكنت أحضر لدروسه في الحرم في متن ألفية ابن مالك، وصحيح الإمام البخاري.

وطلبت منه درساً في المنطق، فقال : لا أتمكن في الحرم، إلا إذا تأتي إلى بيتنا، فكنت أذهب إلى بيته حتى أكملت شرح السلم[202].

ويؤكد الشيخ يوسف القناعي أن : (أفضل الدروس تلك التي تلقاها على يد الشيخ شعيب المغربي، أما باقي دروس غيره من العلماء فهي تطويل بلا ثمرة)[203].

ويصف شيخه أبا شعيب الدكالي بقوله :

(كان آية من آيات الله في الحفظ، والاتقان في الحديث الشريف، وعلم الرجال، وعلوم اللغة والأدب)[204].

نبذة من أخبار الشيخ يوسف القناعي :

بعد أن أنهى الشيخ يوسف دراسته، وملأ وطابه بالعلم، وحسن الفهم في رحاب الحرمين، رجع إلى بلاده الكويت أكثر حماساً لنشر العلم والاصلاح.

وكان أول عمل بدأ به هو فتح عديد من المدارس القرآنية والعلمية، وإنشاء خزانات الكتب للقراءة والدرس.

كما ساهم في تأسيس مجلس الشورى بالكويت عام 1921م وإنشاء المجلس البلدي بها.

وتولى منصب القضاء بإلحاح الشيخ أحمد الجابر الصباح بعد أن اعتذر الشيخ يوسف لمعرفته بخطورة هذا المنصب، وقبله في النهاية بشروط منها أن يكون لمدة مؤقتة إلى حين يتم العثور على قاض آخر، وعلى ألا يأخذ عليه أجراً[205].

وكان أكبر متعة له في الحياة قراءة الكتب، والاشتغال بشؤون العلم، والتصنيف فيه.

---

(202) الملتقطات، ص 370، مطبعة حكومة الكويت، دون تاريخ.

(203) (204) علماء الكويت وأعلامها، ص 464، المرجع السابق.

(205) علماء الكويت وأعلامها، ص 473 وما يليها، م.س.

ومن جملة مؤلفاته رحمه الله :

أ - المذكرة الفقهية في الأحكام الشرعية[206] :

رسالة مختصرة جمع فيها أمهات مسائل الفقه الإسلامي، واقتصر على ما لابد منه للعمل، وأعرض عن بعض الأبواب والمسائل التي لا يعمل بها أو لا تقع في هذا الزمن.

ومن اختياراته فيها :

- جواز قصر الصلاة في مطلق السفر ولو كان قصيراً[207].
- جواز صرف الزكاة على المشاريع النافعة العامة[208].
- اعتبار الطلاق الثلاث بلفظة واحدة طلقة واحدة لا غير[209].

ب - الملتقطات[210] :

يشتمل هذا الكتاب على حكم، وفوائد فقهية، وأدبية، وتاريخ، وطرائف، وهو على نمط الكشكول دون ترتيب، أو تصنيف موضوعي.

ج - صفحات من تاريخ الكويت[211] :

تاريخ موجز ألفه لأبناء المدارس متحدثاً فيه عن مناخ الكويت وأرضها، وما فيها من زراعة، وصناعة، وتجارة، وتاريخ الحكم فيها، وعن القضاء ورجاله، والعلم والمعرفة، والدين، والشعر، الخ...

وله فيه نظرات عن مجتمع الكويت وأحداثه بالرغم من صغر حجمه.

---

(206) طبعت في بغداد عام 1343هـ، وأعادت طبعها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت.

(207) وهو مذهب ابن حزم الظاهري رحمه الله.

(208) كالمستشفيات، والمدارس، وعلى طلبة أهل العلم.
لأن الغالب الذي يقصد هذه المشاريع، يكون من أهل الفقر والمسكنة، وهم داخلون في أصناف الزكاة.

(209) وهو اختيار ابن تيمية رحمه الله، وبه أخذت مدونة الأحوال الشخصية المغربية.

(210) طبعتها وزارة الأعلام الكويتية، عام 1965.

(211) طبع طبعات متعددة، وآخرها الطبعة الخامسة عام 1408 - 1988، بمطبعة ذات السلاسل بالكويت.

- ومن الفوائد عنه ما يلي :

ما جاء في كتابه صفحات من تاريخ الكويت عن الصناعات حيث حض على تعلمها وتعليمها، منبهاً على أن الأنفة من عدم الاشتغال بها من بعض الطوائف العربية لا مبرر لها، لا من جهة النقل ولا العقل، لأن كل ما يفيد الأمة الإسلامية مطلوب إليه ومرغوب، وهذا ما سارت عليه الدول الأوربية التي أصبحت في مقدمة الكوكبة، وبقيت الدول الإسلامية دون قوة ولا سلاح، ولا سيادة.

قال رحمه الله في كتابه المومأ إليه آنفاً :

والصناعات بأسرها لا توجد لها مدرسة، ولا معلم، يأخذونها عنه الصناعة إلى يومنا هذا، وإنما المشتغلون بالحدادة، والنجارة، والبناء، والصواغ، والنحاسون، تلقوا معرفتهم بالممارسة لهذه الحرف.

وعند أهل الكويت أن المشتغل بهذه الصناعات ساقط الأصل، ولهذا يترفع النسيب عن تعاطي الصناعة، ولكنهم لا يعيبون النسيب إذا كان متسولا يريق ماء وجهه، ولا أن يكون زبالا أو كناساً، أو جصاصاً، أو سقاء.

وهذا المعتقد الفاسد لا يختص بالكويتيين وحدهم، بل يشمل النجديين، وأهل البحرين، وأهل قطر، والعجيب أنهم يترفعون عن مهنة شريفة لم يترفع عنها أنبياء الله الذين هم صفوة الخلق.

اللهم أرشد العرب لما به حياتهم، وأزل عنهم هذه الفكرة السخيفة، فكرة الفخر بالعظام النخرة، وبالأصول التي ما لها أصل عن الله ورسوله.

فالله يقول : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

والرسول ﷺ يقول : «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أسود، الناس من آدم، وآدم من تراب».

ويقول الرسول : لما تلي عليه قوله تعالى : ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم﴾ صدق الله وكذب النسابون.

والعجيب المستغرب الذي لا يقبله العقل السليم أن كتب الأنساب تسلسل النسب إلى آدم، فكأن المؤلف في النسب قابلة تقيد المولود من بني آدم إلى زمننا هذا!!..

انظر نسب السلطان عبد المجيد[212] في كتاب الأنساب تر سلسلة نسبه إلى آدم.

فيا إخواني، وأبناء جنسي كونوا عصاميين لا عظاميين، وجاروا الأمم الحية بصناعاتها، فلا حياة لكم إلا بالأخلاق العظيمة، والصناعات المفيدة، أليس من النقص أن الأصيل لا يحسن صنع إبرة يخيط بها ثوبه، والأوربي طبق الأرض بعلومه وصناعاته، فطار مع الأطيار، وغاص في لجج البحار، واستولى على الممالك، وما فيها من الأقوات، وصرنا نعيش تحت رحمته محافظين على الأصل كي لا يتدهور بالصناعة.... فأف وتف لهذا العقل السقيم، وأقول على هذه المصيبة، وإنا لله وإنا إليه راجعون[213].

إن ما جاء في هذه المقالة ما هو إلا اقتباس مما كان يدعو إليه الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله في رحاب مكة، وفوق منبر بيت الله الحرام.

ولاشك أن الشيخ يوسف القناعي كان من الحاضرين السامعين للشيخ أبي شعيب وهو يحض على تعلم الصناعات والاحتراف، ويذم التكاسل، والتهاون، والبطالة، ويدعو إلى السعي والعمل دون الاتكال على نسب الأجداد، والتفاخر بالأموات، فسرت تلك التعاليم من الشيخ لتلميذه مما استفيد من مقالته السابقة.

فقد جاء في إحدى خطب الشيخ أبي شعيب الدكالي في الحرم المكي نقتطف منها ما يلي :

اعملوا لدنياكم، اعملوا لأخراكم، اعملوا لدنياكم ما يرقي بلدكم، اعملوا لدنياكم ما يرقي أولادكم، اعملوا لدنياكم ما يجعل يدكم عليا.

فقد قال عليه الصلاة والسلام : اليد العليا خير من اليد السفلى).

فالمحترف أمير، والسائل ذليل.

اعملوا لدنياكم ما يقلل البطالة في البلد التي كان يتردد فيها جبريل بالوحي والتنزيل.

---

(212) يقصد عبد المجيد السلطان العثماني.

(213) صفحات من تاريخ الكويت، ص 41، الطبعة الخامسة 1401 -1987، مطبعة ذات السلاسل، الكويت.

اعملوا لدنياكم ما يصيركم أحباب الديان.

فأنتم تعلمون أن أسباب المعايش أربعة :

إمارة، وتجارة، وزراعة، وصناعة.

فأما الإمارة فلا يتعيش بها إلا الأنفار المحدودون دون الغير الكثير.

وأما الزراعة فأنتم بواد غير ذي زرع كما حكى الحكيم الخبير.

فما بقي إلا الصناعة، والتجارة.

وهذه البلاد الطاهرة خالية من الصناعة، وتجارتها ضعيفة مزجاة البضاعة، فهلموا إلى ما ينفعكم، وسلوا من واليكم الجديد، المظفر المعان السعيد، أن يساعدكم على إنشاء مكتب صناعي، فهذا الجلد مباع في بلدكم بالقرش والقرشين، ويصنع ويرد إليكم فتشترونه بالمائة والمائتين، فكأنكم لم تقرؤوا قول الله جل جلاله وعلا : ﴿ومن جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾ وهذا الصوف في بلدكم غاية ما يصنع منه الشمال[214]، وفي بلد غيركم تصنع منه الملبوسات، والزرابي المبثوتة الغوال.

والتجارة في غير هذه الديار تسهلت طرقها بالشركات الكبار، وبمساعدة الحكام للتجار، وفي بلدكم كما تعلمون قد لحقها بوار أي بوار.

إلى أن قال :

كونوا أحراراً عاملين، ولا تكونوا متآكلين، فقد مر عمر رضي الله عنه، على جماعة من البطاليين، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : متوكلون، فقال : بل أنتم متآكلون، إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض توكلا على الله، كونوا أحراراً عصاميين، ولا تكونوا عظاميين[215]، باهوا بموجودكم، ولا تباهوا بجدودكم، باهوا بمحصولكم، ولا تباهوا بأصولكم[216]، باهوا بالعلم والعرفان، ولا تباهوا بسكناكم ببلد الديان، فقد قال تعالى : ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾، كونوا أحسن الناس، كما

(214) أكسية واسعة يشتمل بها.

(215) (216) هذه الفقرات ورد بعضها بالنص والآخر بالمعنى في مقالة الشيخ يوسف القناعي، مما يؤكد ما كان يستفيده هذا الشيخ من شيخه أبي شعيب الدكالي.

أن بلدكم أحسن البلاد، كونوا قبيلة في العلم والمعارف، كما أن بلدكم قبلة البلاد[217].

ومن شعره :

- مناجاة الله سبحانه وتعالى :

أحنـوا إليك برأسي	تذللاً وابتهالا
واختشيك بسري	مهابة وجلالا
وذلتي لكي تحلو	أما لغيرك لا لا

وقال أيضا :

حسبي اطلاعك سيدي	بسريرتي وجلي أمري
فأنا المقصر في الورى	أخفي القصور وأنت تدري
وأنا الذي ألبستني	حللا سمت عن حصر شكري
فأتم جميلك يا جميل	الصفح عن ذنبي ووزري

- دفاعه عن التمسك بالدين :

إذا كان من يتبع دين الهدى	ويقتدي بسيد المرسلين
تدعونه بالرجعى في دينه	فإنني من أول الراجعين
فقلدوا «لينين»[218] في هديكم	لأنه داعية الملحدين

وقال في العيد :

خرج الناس يوم عيد وراحوا	رافلين بزينة وسرور
وأرى العيد في رضى اللّه عني	فهو عيدي وبهجتي وحبوري[219]

(217) تأبين العلامة الشيخ أبي شعيب للأستاذ أحمد الشبيهي وسنورد نص هذه الخطبة ضمن آثار الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله.

(218) سياسي روسي، وزعيم شيوعي انظر ترجمته ومراحل حياته القاموس السياسي ص 1085 وما يليها لأحمد عطية الله، ط 3، عام 1968، دار النهضة العربية، القاهرة.
ويعد لينين، وستالين، وكارل ماركس الثلاثي الملحد.

(219) اقتباسا مما ينسب إلى سيدنا علي كرم الله وجهه قوله : كل يوم تطيع الله، فأنت في عيد.

وقال في العادات الدخيلة على المجتمع الإسلامي :

إذا دعـــيت فـــأت مـــع زوجـــتك ... لـــتـحضـــر المائـــدة الـــعـــالـــيـة
وإن رمـــاك الـــنـــاس في ســـبـــة ... فـــقـــل لـــهـــم ذي مـــوضـــة جـــاريـــة
جـــاء لـــنـــا الـــغـــرب بـــهـــا تحفـــة ... زيـــنـــهـــا الـــشـــيـــطـــان بـــالـــعـــافـــيـة

وقال أيضا :

لا تـــقـــلـــد أجـــنـــبـــيـــا ... بـــلـــبـــاس أو خـــصـــال
واجـــتـــهـــد إن كُـــنـــت شـــهـــمـــا ... تلك محمـــود الـــفـــعـــال

وقال في القراءة :

وفي لـــذة عـــنـــد الـــقـــراءة لم أجـــد ... بـــطـــول حـــيـــاتـــي مـــثـــلـــهـــا بـــنـــعـــيـــمـــي
وتـــلـــك لأني أســـتـــفـــيـــد فـــوائـــداً ... تـــريـــح فـــؤادي مـــن شـــفـــاء هـــمـــومـــي
فـــيـــا رب زودني بـــحـــســـن درايـــة ... وزد نـــاظـــري في حـــدة الـــعـــلـــوم

وقال عندما وصل الثمانين من عمره :

لا أرى بـــعـــد الـــثـــمـــانين ... صـــحـــيـــحـــاً بـــالـــتـــمـــام
بـــل أراه يضـــرب الـــرقـــم ... بـــتـــعـــداد الـــســـقـــام
ولـــهـــذا عـــن قـــريـــب ... ســـيـــودع بـــســـلام[220]

وفـــاتـــه :

في يوم الخميس 5 جمادى الثانية عام 1393هـ موافق 6 يوليوز 1973م توفي العالم المجاهد الكبير الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رحمه الله عن عمر يناهز 96 عاماً.

ذلك هو العالم المؤرخ الأديب أحد تلاميذة الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي حمل عنه روح الإصلاح، ومشعل العلم والمعرفة، والوطنية، فاستفاد منه وطنه، والناس أجمعون.

---

(220) على حد قول الشاعر :

إن الـــثـــمـــانين وقـــد بـــلـــغـــتـــهـــا ... قـــد أحـــوجت ســـمـــعـــي إلى تـــرجـــمـــان

وتختم ترجمته ما ذكره عنه مؤرخ الكويت عبد العزيز الرشيد بقوله : هذا الأستاذ الفاضل هو أحد أقطاب الحركة العلمية، والفكرية في الكويت، وأحد العاملين في كثير من المشاريع الخيرية بل هو في الحقيقة مصلح الكويت الفذ، وقد فاق على ما سواه بمعاضدة المشاريع النافعة مادياً وأدبياً، فنجده يبذل من ماله في سبيل اصلاحها ما يفوق بذل الكثيرين من مواطنيه أهل الملايين، ويبذل ذلك من وقته النفيس ما يعادل بذله للمال، كل هذا قياماً بحق الوطن المقدس الذي لا يعرف الجم الغفير له معنى.

ولا غرو أن يمتاز هذا الأستاذ على إخوانه بذلك، فإنه جمع مع الثروة علما جمّاً انكشف له به من الأسرار ما لم ينكشف لأحد من مواطنيه[221].

وقال فيه الشاعر عبد الله النوري (من الكويت) :

لك يا يوسف بن عيسى أياد	كل فرد منا يراها جليّا
كم يد مددتها لجبان	فاستحال الجبان شهما كَمِّيا
كم يد مددتها لجهول	فغدا بعدها عليما رضيا
فالكويتي يا ابن عيسى مدين	لك بالعلم لم أقله فريا
وليلي مدارس وشبان	يطلب العلم بكرة وعشيا[222]

2 - الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[223] :

ولد الشيخ محمد أمين الشنقيطي بموطنه «شنقيط»[224]، عام 1293هـ - 1876م.

ولما حفظ القرآن الكريم، تلقى مبادئ اللغة العربية، والفقه، والأدب ببلده، ثم تطلعت نفسه إلى المزيد من طلب العلم، فزار بلاد المغرب، حيث ذهب إلى مدينة

---

(221) تاريخ الكويت، ص 325 وما يليها، لعبد العزيز الرشيد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

(222) علماء الكويت وأعلامها، ص 455، المرجع السابق.

(223) هناك عالم شنقيطي آخر بنفس الإسم وهو محمد الأمين الجكني الشنقيطي المولود عام 1325هـ والمتوفى عام 1393هـ، وهو صاحب «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، ولم يدرك هذا العالم الشيخ أبا شعيب الدكالي بالحجاز.

انظر ترجمته، الاعلام، ج 6، ص 45، لخير الدين الزركلي، المرجع السابق.

(224) توجد بـ(موريطانيا) الآن، وانظر حول شنقيط كتاب : بلاد شنقيط (المنارة والرباط)، تأليف الخليل النحوي، تونس، 1987.

الصويرة، ومراكش، والدار البيضاء، ورباط الفتح، وطنجة، لكنه لم يتسن له الأخذ عن علماء هذه المدن، ولاسيما مدينة مراكش، والرباط حيث كانتا آنذاك طافحتين بجهابذة العلماء.

وكان أصيب بمرض الجدري في هذه الآونة، فكتب له الشفاء منه، وواصل سفره بعدُ، إلى مصر عام 1318هـ - 1900م، حيث اتصل بالشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي - ابن بلده - الذي عرفه بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في وقته، وكان صديقاً له، فرحب به واعتنى بقدومه، إلى أن سافر إلى مكة المكرمة من أجل أداء العمرة، والاستفادة من علمائها، وكذلك حصل[225].

اتصال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بالشيخ أبي شعيب الدكالي :

يحكي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في مذكراته، أنه حين قام بمناسك العمرة بمكة المكرمة، قصد المدينة المنورة حيث أقام بها مدة سنة تلقى فيها العلم عن بعض شيوخها كالشيخ علي ظاهر الوتري البغدادي الأصل، الذي وصفه بحسن التقرير، والشيخ عبد الجليل برادة المغربي الأصل.

وكان يريد العودة إلى المغرب بعد زيارته للمدينة المنورة، لولا مرض أحد شيوخه وهو الشيخ سالم بن الحسن الديماني، الذي بقي ملازماً له من أجل تمريضه[226].

وفي هذه الأجواء تعرف على الشيخ أبي شعيب الدكالي في رحاب الحرم المكي الذي درس عليه علوماً كثيرة ذكرها في صلب مذكراته كما سنوردها.

---

(225) انظر هذه المذكرات بملحق ترجمته المسماة : من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة (الشيخ محمد أمين الشنقيطي)، لعبد اللطيف الدليشي الخالدي، ط 1، عام 1401 - 1981، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.
وانظر «الشيخ أبو شعيب كما عرفته»، لمحمد إبراهيم الكتاني، ص 7 وما يليها حيث أكد اتصال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بالشيخ أبي شعيب الدكالي.

(226) وهكذا يكون التلاميذ البررة مع شيوخهم، لأن شيخ العلم أب ثان، بل هو أقوى، إذ أب النسب يورث الحياة الفانية، وأبوة العلم تورث الحياة البرزخية الباقية.

وقد ذكر فيها أيضاً أن الشيخ أبا شعيب الدكالي حين سافر إلى تركيا[227]، وكان يقرأ عليه طلبة من قازان[228]، فأمره بالنيابة عنه في تعليمهم.

وحين ذهب إلى الأحساء، جاءته رسائل من شيخه أبي شعيب يأمره فيها أن يذهب إلى مدينة الزبير بالعراق للتدريس ونشر العلم بها بعد أن كان أهل هذه المدينة طلبوا من الشيخ أبي شعيب الدكالي ذلك، لكن الشيخ كان ينوي العودة إلى بلده المغرب، فأرسل تلميذه الشنقيطي هذا ليقوم مقامه في هذا المجال، بعد أن آنس منه تشبعه بالعلم، وما تلقى عنه من معارف، فصدقت فراسة الشيخ فيه، ونسوق ما ألمحنا له بقلم الشيخ الشنقيطي رحمه الله في مذكراته قائلا :

وكنت عازماً إذذاك الرجوع إلى المغرب، ولكن شيخي أحمد سالم بن الحسن الديماني الذي كان صديقاً لوالدي مرض في تلك السنة، فأقمت معه أمرضه، فأنزلنا الشريف زيد بن فواز عنده، وصرنا نعالج الشيخ بلبن النوق، كما أحضر لنا الشريف كل ما نحتاجه من الكتب، فقرأت عليه جانباً حسنا من - أقرب المسالك - في الفقه، ومنظومة البدوي الشنقيطي في أنساب العرب، ومنظومة في المغازي النبوية، وبقينا عند الشريف إلى وقت الحج، فحججنا، ثم توجه الشيخ إلى المدينة، وعاد إلى مكة والطائف إلى أن توفي رحمه الله في منى سنة 1325هـ.

وعند سفر الشيخ إلى المدينة بدأت أطلب العلم على العلامة المتفنن الشيخ أبي شعيب بن عبد الرحمان الدكالي المراكشي، فقرأت عليه ألفية ابن مالك بتمامها، ومن تلخيص المفتاح، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني بتمامها، وجملا من مختصر خليل، وبعض مختصر ابن الحاجب في الأصول، وسمعت منه شمائل

---

(227) قد يكون سفر الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى بلاد الترك إما للاستجمام ومعرفة تلك البلاد، وقد يكون سفره لمصلحة راجعة إلى أمير البلاد شريف مكة آنذاك ولاسيما أن سفر الشيخ كان عام 1326هـ . 1908م في رجوعه من المغرب إلى مكة، أيام خلافة عبد الحميد الثاني العثماني، وكانت الأحوال ليست على ما يرام لا في الحجاز ولا في بلاد الترك كما هو معلوم.

(228) عاصمة «تتارية» من حوض نهر الفولغا وهي الآن تحت الحكم السوفيتي بعد حرب قاسية بين مسلمي تتارية وبين حكم الروس ويشكل المسلمون فيها 70 %، وكان لها مظهر إسلامي عربي، وحياة ثقافية إسلامية تشبه ما يوجد بدمشق والقاهرة واسطنبول.

انظر أطلس دول العالم الإسلامي، ص 165 للدكتور شوقي أبو خليل، ط 1، عام 1419 - 1999، دار الفكر، دمشق.

الترمذي بتمامها مرتين أو ثلاثاً، والشفاء للقاضي عياض بتمامه، وصحيح مسلم إلا كتاب الصلاة منه أو بعضه، والنصف الأول من سنن أبي داود، وكثيراً من سنن النسائي، أو أكثرها.

وحضرت عليه دراية سنن الترمذي بتمامها[229]، وكثيراً من صحيح البخاري، ومن الموطأ بلا توال، وشرح البيقونية للزرقاني، وكثيراً من التدريب، وشرح العضد في الوضع، وجملة أول المطول للسعد، وجملة من الشاطبية (في القراءات)، وأشياء غير ذلك[230].

ثم ذكر :

وفي سنة 1326هـ سافر الشيخ أبو شعيب إلى بلاد الترك، وكان يقرأ عليه طلبة من قازان[231] - مقامات الحريري - فأمرني بإتمامها لهم، وطلبوا مني أن أقرئهم ألفية العراقي في مصطلح الحديث، فأقرأتهم جملة من أولها[232].

وبينما الشيخ محمد أمين الشنقيطي بالأحساء يقول :

إذ جاءتني مكاتيب من الشيخ أبي شعيب يأمرني بالتوجه إلى العراق، وكان مزعل باشا السعدون بنى مسجداً ومدرسة بالزبير، وطلب من الشيخ أبي شعيب أن ينتصب فيهما فلم يجبه لذلك، بل كتب لي بذلك، ولولا أن الشيخ أخبرني أنه عازم الرجوع إلى المغرب - وهو يكتب لي - لراجعته بذلك، واعتذرت لأني في نهمة لطلب العلم[233].

ومع ذلك فقد ذهب صحبة الشيخ عبد العزيز بن حمد آل مبارك الأحسائي، حيث الزبير التابعة للبصرة، وتزوج هناك واستمر في التدريس والوعظ، وتم الاقبال عليه، بالرغم من بعض المضايقات التي يجدها كل ذي علم ونصيحة، وقد قام بإنشاء المدارس العلمية بالبصرة والكويت، وساهم بالتدريس أينما حل وارتحل.

---

(229) ورد في الأصل شمائل الترمذي، ولكن هذه ذكرت قبل، مما يرجح ما أثبتناه هنا من سنن الترمذي.

(230) المذكرات الملحقة بكتاب من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، ص 273 وما يليها، المرجع السابق.

(231) سبق أنها بلد بروسيا السوفياتية، وهناك تلاميذ آخرون للشيخ أبي شعيب الدكالي من البلاد السوفياتية سنتعرف عليهم من بعد.

(232) المذكرات، ص 278، ج. س.

(233) المذكرات، ص 280، م. س.

وأنجب بنتا تزوجها الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله، وتوفي رحمه الله بالزبير بالبصرة يوم الجمعة 14 جمادى الثانية 1351هـ موافق 13 تشرين الأول 1932م[234].

من خلال ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، واتصاله بشيخه أبي شعيب الدكالي نستفيد ما يلي:

أ - أخذه عن الشيخ أبي شعيب علوماً وافرة، أشار إليها في مذكراته.

ب - تقدير الشيخ أبي شعيب الدكالي لتلميذه الشنقيطي وعلمه، حتى كان ينوب عنه في التدريس بالحرم المكي.

ج - المراسلة المتبادلة بين الشيخ وتلميذه، والعمل بإرشاد وتوجيه الشيخ أبي شعيب الدكالي لتلميذه الشنقيطي في الذهاب إلى الزبير بمدينة البصرة، لنشر العلم والقيام بالإرشاد والوعظ، فانتفعت به الأمة، وترك هناك تلاميذ وشيوخاً للعلم من بعده.

3 - الشيخ عمر بن حمدان المَحْرَسي :

هو عمر بن حمدان المحرسي[235]، المالكي، المدني، ولد رحمه الله عام 1291هـ بالمحرس بتونس.

هاجر صغيراً مع والده من تونس عام 1304هـ، إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبعد ذلك انتقل إلى المدينة المنورة التي استقر بها.

وفي المدينة المنورة حفظ القرآن الكريم، مع بعض القراءات القرآنية، واستظهار المتون العلمية.

وتابع دراسته على علماء المدينة المنورة آنذاك، أمثال الشيخ أحمد بن إسماعيل البرزنجي، مفتي الشافعية بالمدينة المنورة، والشيخ المحدث المالكي فالح بن محمد الظاهري المدني، ومسند المدينة أبي الحسن علي ظاهر الوتري الحنفي،

(234) من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، ص 288 وما يليها، م. س.

(235) نسبة إلى «المحرس» بلدة على خليج قابس ناحية جربه بتونس.

والشيخ المغربي الأصل عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني، وعلي محمد يحي الولاتي الشنقيطي، وعلى العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني الفاسي، وعلى الشيخ عبد الله القدومي الحنبلي، وغيرهم من المشايخ كثير، كما هو مثبت في فهرسة أسانيده المسماة : «بمطمح الوجدان في أسانيد عمر حمدان»، في ثلاثة مجلدات، الذي ألفه أحد تلامذته الشيخ أبو الفيض الفاداني المكي.

ثم اختصر ذلك في كتاب أسماه : «إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان في أسانيد الشيخ عمر حمدان»[236].

اتصال الشيخ عمر بن حمدان بالشيخ أبي شعيب الدكالي :

كان اتصال الشيخ عمر بن حمدان بشيخه أبي شعيب الدكالي بالحرم المدني بالمدينة المنورة حيث تلقى عليه صحيح الإمام البخاري، وأجازه إجازة عامة منه.

وهذا يدل على أن الشيخ أبا شعيب الدكالي كما كان يدرس ويفتي بمكة المكرمة، كان يقوم بذلك في رحاب المدينة المنورة، حتى لقب بمفتي الحرمين، كما أومأنا إليه من قبل.

جاء في إتحاف الإخوان لتلميذ الشيخ عمر حمدان أبي الفيض الفاداني :

الشيخ شعيب بن عبد الرحمان الصديقي المغربي :

العلامة، الأجل، المسند، النحرير، حضر عليه شيخنا (يقصد عمر بن حمدان) دروسه في (صحيح البخاري)، بالمدينة المنورة، وأجيز منه عامة عن شيوخه، منهم :

وهو أجلهم مفتي مراكش أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي عن أشياخه....

ومنهم شيخ المالكية بمصر الشهاب أحمد الرفاعي، عن الباجوري، وأحمد منة الله المالكي، بأسانيدهما.....

(236) أعلام من أرض النبوة، ص 170 وما يليها، للأستاذ أنس يعقوب كتبي، ط 1، عام 1414هـ - 1993م، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ومنهم قاضي سجلماسة مولاي الصادق بن محمد الهاشمي دفين مراكش، وأبو حفص عمر بن الطالب ابن سودة، والشيخ سليم البشري، والشيخ عبد الله القدومي النابلسي، بأسانيدهم السابقة[237].

الحياة العلمية للشيخ عمر بن حمدان :

سار الشيخ عمر بن حمدان على نهج العلماد العاملين، بعد أن أكمل الأخذ عن أفاضل الشيوخ الذين أذنوا له - من بعد - بالتدريس، والتعليم، فكانت له مجالس علمية بمكة المكرمة شتاء، وبالمدينة المنورة صيفاً.

كما كان يقوم بالتدريس ببعض المدارس الخاصة، كالمدرسة الصولتية التي أنشأتها الأميرة صولة النساء إحدى أميرات الهند بمكة المكرمة، ومدرسة الفلاح، التي أسسها الحاج محمد علي رضا التركي، بمكة المكرمة أيضاً.

كما كان الشيخ عمر حمدان، يلقن طلابه الدروس العلمية بمنزله في المدينة المنورة.

ونظراً لتمكنه من الحديث وعلومه، وتدريسه باستمرار بمكة، والمدينة، لقب بمحدث الحرمين الشريفين.

كما كان طلب الفتوى مقتصراً عليه آنذاك، فتأتيه الاستفتاءات من آفاق العالم الإسلامي، فيجيب عنها.

ومن أشهر تلاميذته :

- الشيخ أبو الفيض محمد ياسين الفاداني.
- الشيخ علوي مالكي.
- الشيخ محمد نوركتبي.
- الشيخ إبراهيم الختني.
- الشيخ محمد أمين كتبي.

---

(237) إتحاف الإخوان، ص 51 وما يليها، لأبي الفيض محمد ياسين الفاداني، ط 2، 1406 - 1985، دار البصائر، دمشق، سوريا.

- الشيخ أحمد الغماري.

- الشيخ محمد نور سيف.

- الشيخ حسن المشاط.

وغيرهم كثير.

وخلف مكتبة حافلة مشتملة على نوادر الكتب والمخطوطات، وقد ألحقت بعد موته باسمه، بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، ضمن المكتبات المهداة.

وبعد حياة علمية طويلة، توفي الشيخ عمر حمدان رحمه الله، في يوم 9 شوال عام 1368هـ، عن سبعة وسبعين عاماً، ودفن ببقيع الغرقد بالمدينة المنورة[238].

4 - الشيخ محمد بن خليفة النبهاني :

هو محمد بن خليفة بن حمد النبهاني، المكي مولداً، ومنشأ، المالكي مذهباً، المؤرخ، الفقيه، المحدث، درس بالحرم المكي، ثم زار الهند، والبحرين، وبغداد، قبل أن يستقر به المقام بالبصرة، التي نشر بها العلم، والمعرفة وفتح بها مدرسة باسمه.

وألف كتباً منها «التحفة النبهانية في إمارات الجزيرة العربية» ثلاثة أجزاء في مجلد واحد، طبعت عام 1342هـ، وذيل سبائك الذهب في أنساب العرب، سماه «مؤنس العرب»، و«قطف الأزهار في معرفة المعادن والأحجار»، و«شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث»، إلى غير ذلك من المؤلفات.

وتوفي بالبصرة عام 1369هـ - 1950هـ[239].

صلة الشيخ محمد بن خليفة النبهاني بالشيخ أبي شعيب الدكالي :

كانت ولادة، ونشأة الشيخ محمد خليفة النبهاني في رحاب مكة المكرمة من الدوافع له لتلقي العلم عن علماء مكة آنذاك في الحرم المكي، ومن هؤلاء

(238) أعلام من أرض النبوة، ص 175 وما يليها، م. س، وانظر تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، ص 426 وما يليها لأبي سليمان محمود سعيد ممدوح، دار الشباب للطباعة،بالقاهرة، دون تاريخ، وملحق ترجمته باتحاف الإخوان، المرجع السابق.

(239) من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، ص 214، م. س، والأعلام، ج 6، ص 116 وما يليها، لخير الدين الزركلي، م. س.

العلماء الأجلاء الأفذاذ الشيخ أبو شعيب الدكالي حيث ورد ذكره في شرح البيقونية الذي هو من تأليفه بقوله : «وأملى علينا شيخنا الشيخ شعيب...... الخ»[240].

5 - الشيخ خليفة بن حمد النبهاني :

المولود عام 1270هـ، والمتوفى عام 1362، وهو أب الشيخ محمد بن خليفة المتقدم الذكر، أصله من البحرين، وانتقل إلى مكة عام 1287هـ لطلب العلم، وبقي هناك إلى أن أدرك الشيخ أبا شعيب الدكالي، فدرس عليه مع مجموعة من الشيوخ: التفسير، والحديث والفقه، وعدة مثون، وكان أغلب ما يهتم به علم الفلك والميقات، وله فيها تآليف منها :

- الوسيلة المرعية لمعرفة الأوقات الشرعية.
- مجموعة رسائل في علم الفلك.
- ثمرات الوسيلة لمن أراد الفضيلة في العمل بالربع المجيب.

وغيرها من التآليف.

وأخذ المسلسلات في الحديث عن الشيخ فالح بن محمد الظاهري وقرأ صحيح مسلم على الشيخ أحمد بن اسماعيل البرزنجي، ولما رجع إلى مكة عينه الشريف عون إماماً للمالكية، وأجيز بالتدريس بعد اختباره[241].

6 - الشيخ عبد الله بن بكر كمال :

المولود بالطائف عام 1283هـ، والمتوفى عام 1341هـ، أخذ عن الشيخ أبي شعيب الدكالي اللغة العربية، تولى قضاء الطائف عام 1327هـ، ثم استقال عام 1340هـ، وعين عضواً بلجنة المعارف بمكة، واستمر بها إلى أن توفي بمكة.

ذكر خير الدين الزركلي : أنه من فضلاء الطائف (في الحجاز)، وله نظم حسن.

---

(240) من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، هامش رقم (3)، ص 273، م. س.

(241) سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ص 102، للأستاذ عمر عبد الجبار، الكتاب العربي السعودي، ط 3، عام 1403 - 1982، جدة، المملكة العربية السعودية.

اشتغل بتأليف «تاريخ الطائف» ولم يكمله، وله مجموعة في الأدب، ورسالة في العروض، وأخرى في الفلك[242].

7 - الشيخ عبد الله بن حميد :

مفتي الحنابلة بمكة المكرمة، المولود بمدينة عنيزة، أم قرى القصيم عام 1290، والمتوفى عام 1346 بالطائف، أخذ التفسير والحديث عن الشيخ أبي شعيب الدكالي، تولى الافتاء، وإمامة المقام الحنبلي عام 1326هـ مع التدريس والإمامة.

وله مؤلفات منها :

- شرح مختصر على عقيدة الشيخ محمد السفاريني.
- رسالة في المناسك، طبعت بالمطبعة الماجدية.
- رسالة جمع فيها أسماء كتب الحنابلة[243].

8 - الشيخ حسين عبد الله باسلامة :

من آل باداس، الكندي، الحضرمي، المكي، المولود بمكة عام 1299هـ والمتوفى عام 1359هـ.

من تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي في رحاب الحرم المكي[244]، حيث تلقى عنه مصطلح الحديث، وعلم التفسير، وشيئا من أصول الفقه.

اشتغل الشيخ حسين عبد الله بالتدريس، والكتابة بمجلس الشيوخ في حكومة الملك الشريف الحسين بن علي عام 1335هـ.

وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود، كان عضواً في المجلس التأسيسي لوضع النظام الأساسي لحكومة الملك عبد العزيز عام 1344هـ.

---

(242) الأعلام، ج 4، ص 75، لخير الدين الزركلي، وانظر سير وتراجم، ص 163، المرجع السابق، وفيه أن صاحب الأعلام الزركلي ذكر بعض أشعاره في «كتاب ما رأيت، وما سمعت».

(243) سير وتراجم، ص 200، المرجع السابق.

(244) وصف الشيخ محمد حسين نصيف، عالم الحجاز وصدرها في زمانه الشيخ أبا شعيب الدكالي في هذه الترجمة بقوله :

علامة المغرب الأقصى، المحدث، النابغة، اللغوي، الحافظ.

وانظر ترجمة الشيخ نصيف هذا، الأعلام، ج 6، ص 107 وما يليها.

ومن أهم مؤلفاته :

- تاريخ عمارة المسجد الحرام.

- تاريخ الكعبة المعظمة[245].

9 - تلاميذ من نجد للشيخ أبي شعيب الدكالي :

هؤلاء التلاميذ أخذوا عن الشيخ أبي شعيب الدكالي في رحاب الحرمين الشريفين، وهم من الكثرة ما لا يسع المجال لحصرهم، وسنذكر منهم ما جاء عنهم في المصادر التاريخية وكتب التراجم ما يلي :

الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر النجدي :

ولد في بلدة بريدة سنة 1241هـ، وبعد حفظه لكتاب الله ببلده، قرأ على علماء بريدة وما حولها، ومن أشهرهم : الشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ محمد ابن عبد الله بن سليم، وكلاهما من كبار قضاة بريدة[246].

ثم رحل في طلب العلم إلى دمشق، ومصر، والعراق، رجع إلى أرض الحجاز.

وفي رحاب مكة تلقى وأخذ عن الشيخ أبي شعيب الدكالي[247]، وعاد إلى بلده بريدة بعد أن بلغ الغاية القصوى في جميع العلوم، ولاسيما علوم التفسير، والحديث، ومن أعماله :

- تولى قضاء عنيزة، وقضاء بريدة.

- تولى إمامة وخطابة الجامع الكبير في عنيزة، مع إلقاء دروس علمية فيه.

وقرأ عليه طلاب للعلم كثيرون[248].

وكان محباً للفقراء والمساكين، بالإحسان إليهم، والاعتناء بهم.

---

(245) أعلام الحجاز، ج 2، ص 20 وما يليها، لمحمد علي مغربي، دار العلم للطباعة والنشر، 1404 - 1984.

(246) علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج 1، ص 277، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل البسام، الطبعة الثانية، عام 1419، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(247) المرجع السابق، ج 1، ص 287.

(248) انظر طائفة من هؤلاء التلاميذ، علماء نجد، ج 1، ص 286، المرجع السابق.

انتقل في آخر حياته إلى الكويت، حيث تلقاه أهلها، وعلى رأسهم الأمير مبارك الصباح، بالإكرام والترحاب، إلا أن الأجل المحتوم أدركه هناك عام 1338هـ، وله رحمه الله من العمر سبع وتسعون سنة، ودفن بالكويت[249].

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق :

ولد الشيخ سعد، هذا في بلدة (الحلوة)، إحدى القرى التابعة (لحوطة بني تميم) سنة 1268هـ.

درس ببلده مبادئ العلوم الإسلامية، ثم سافر إلى الهند فقرأ على محدث الهند الشيخ نذير حسين الدهلوي، والشيخ العلامة صديق حسن خان القنوجي، وغيرهم.

ثم توجه إلى مكة المكرمة، لأداء فريضة الحج فوجد فيها المحدث الكبير العلامة الشيخ **شعيباً بن عبد الرحمن الدكالي المغربي**، والشيخ، الفقيه، العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله الهندي وغيرهم.

وبهؤلاء الشيوخ الأجلاء، وغيرهم، بلغ الشيخ سعد في العلم مبلغاً كبيراً، وأصبح من كبار العلماء، الذين انتفعت بهم الأمة.

تولى القضاء في عهد الأمير محمد بن رشيد، وفي عهد الملك عبد العزيز آل سعود، مع اشتغاله في الفتوى.

وبقي معتنياً بشؤون العلم والمعرفة، إلى أن توفي في الرياض بعد أن كف بصره، وذلك عام 1349هـ[250].

الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش :

ولد الشيخ صالح في بلدة «الزلفى» عام 1290هـ، وأخذ في بلده عن قاضي الزلفى، الشيخ عبد الرزاق بن عبد الله المطوع، ثم رحل إلى بريدة فأخذ عن الشيخ محمد العبد الله آل سليم، والشيخ محمد بن عمر آل سليم، وكان سنه آنذاك دون

---

(249) علماء نجد، ج 1، ص 290، م. س.

(250) انظر علماء نجد، ج 2، ص 220، المرجع السابق.

العشرين، ثم سافر إلى مكة، وفي رحاب الحرم المكي، قرأ على **الشيخ أبي شعيب الدكالي**، والشيخ أحمد بن عيسى، وكان من زملائه في القراءة بمكة المكرمة الشيخ صالح بن عثمان آل القاضي، ورحل إلى الهند لطلب العلم، ثم زار بلد إيران، وبلدان الخليج العربي، وأقام مدة في الشارقة يدرس، ويرشد، ويقضي بين الناس.

وفي آخر المطاف انتقل إلى عنيزة التي استقر فيها مدة قبل أن يعود إلى بلده «الزلفى»، التي توفي بها عام 1352هـ، وقد عرض عليه القضاء مراراً بأرض الحجاز فرفض ذلك تورعاً[251].

الشيخ صالح بن عثمان آل القاضي :

ولد الشيخ صالح بن عثمان في «عنيزة» عام 1282هـ، وكانت له من بعد رحلة إلى القاهرة لم تطل، حيث عاد إلى مكة المكرمة، فدرس على مجموعة من المشائخ الأجلاء منهم **الشيخ أبو شعيب الدكالي**، الذي حلاه مؤلف كتاب علماء نجد : بالمحدث الكبير.

ثم عاد الشيخ صالح هذا إلى بلده عنيزة، فقام بالتدريس بها، كما تولى منصب القضاء أيضاً بعد إلحاح من الأمراء عليه، ولاسيما الإمام عبد العزيز آل سعود الذي قبل والتزم له.

وقد توفي رحمه الله عام 1351هـ[252].

الشيخ عبد العزيز بن صالح المَرْشدي :

ولد الشيخ عبد العزيز في مدينة الرياض عام 1240هـ، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة ببلده، ودرس على شيوخ العلم الذين أدركهم بمدينة الرياض آنذاك.

جاء في كتاب علماء نجد أنه :

قرأ على هؤلاء (الأعلام) كل منهم بفنه، فأدرك في العلوم الشرعية، والعلوم العربية، حتى عد من العلماء المدركين، ثم سمت به همته العلمية، فرحل إلى مكة المكرمة، للاستزادة من طلب العلم، فكان عين العلماء في ذلك الزمن :

---

(251) علماء نجد، ج 2، ص 482 وما يليها، م. س.

(252) المرجع السابق، ج 2، ص 517 وما يليها.

- الشيخ عبد الرحمن سراج الحنفي.

- والشيخ إبراهيم بن خلف بن هدهود النجدي الحنبلي.

- والشيخ شعيب المغربي.

فقرأ عليهم وعلى غيرهم، حتى أدرك.

تولى قضاء الزلفى، وقضاء الرياض، وتولى إمامة جامع الإمام تركي وخطابته، والتدريس به، فقام بذلك خير قيام.

وتلقى عنه تلاميذ كثيرون.

وبعد حياة علمية حافلة توفي رحمه الله بمدينة حائل عام 1324هـ[253].

الشيخ عبد الله بن علي بن حميد :

ولد الشيخ عبد الله بن علي عام 1292 في عنيزة، من أسرة اشتهرت بالعلم والفضل، إذ كان أبوه وجده من علماء الحنابلة.

جاء في ترجمته ضمن علماء نجد أنه :

نشأ في مكة المكرمة، وقرأ على علمائها حتى أدرك لاسيما في الفقه الحنبلي، فله فيه معرفة جيدة.

وشارك في كثير من العلوم، كالتفسير، والحديث فأخذهما عن الشيخ شعيب المغربي.

وأخذ الفقه عن الشيخ أحمد بن عيسى، والشيخ عبد الله بن علي بن عمرو.

ثم توجه إلى المدينة المنورة فأقام فيها سنة لازم خلالها الشيخ عبد الله القدومي، فتفقه على يده....

ولما تولى الشريف الحسين إمارة مكة المكرمة عام 1326هـ عينه مفتياً للحنابلة، وإماماً للمقام الحنبلي.

---

(253) علماء نجد، ج 3، ص 393 وما يليها، المرجع السابق.

وله مؤلفات منها :

- شرح مختصر على عقيدة السفاريني.

- مختصر في المناسك طبع في المطبعة الماجدية.

- رسالة في تراجم الحنابلة جعلها ذيلا على طبقات جده، سماها : (النعت الأكمل في تراجم أصحاب أحمد).

- رسالة في مؤلفات الحنابلة سماها : (الدر المنصد في أسماء كتب مذهب الإمام أحمد).

وخلف عدداً من التلاميذ.

وتوفي رحمه الله في الطائف يوم 21 من شهر ذي الحجة عام 1346هـ[254].

الشيخ محمد بن علي تركي :

ولد الشيخ محمد بن علي تركي في بلده عنيزة عام 1301هـ، ودرس بمكة، وبموطنه عنيزة.

وقام برحلة إلى الهند، والعراق، وإمارات الخليج، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

كما زار مصر وفلسطين، وبلاد الشام كلها.

وجاء في كتاب علماء نجد أن من مشايخه الشيخ المحدث شعيب المغربي الدكالي، قرأ عليه في الحديث سنتين.

وكانت له عناية بالأدب، وحفظ نصوصه، فكان من محفوظاته (ديوان المتنبي).

وكانت له حلقات دروس عامة في الحرمين الشريفين، مما درس عليه تلاميذ كثيرون.

وتولى قضاء المدينة المنورة عام 1345هـ، وعين مساعداً لرئيس القضاة في مكة المكرمة، ما لبث أن طالب إعفاءه من ذلك عام 1348هـ.

---

(254) علماء نجد، ج 4، ص 338 وما يليها.

وبعد حياة علمية حافلة، توفي بالمدينة المنورة صباح الجمعة (20 - 6 - 1380هـ)، وصلي عليه في المسجد النبوي، ودفن بالبقيع رحمة الله عليه[255].

ومن رحاب الحرمين نورد :

ترجمة خاصة للشيخ أبي شعيب الدكالي لعالم سعودي :

جاء في كتاب سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، للأستاذ عمر عبد الجبار ما يلي :

الشيخ شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المغربي :

ولد رحمه الله في ذي القعدة 25 عام 1295هـ في المغرب، نشأ بين أسرة اشتهرت بالعلم، والفضل، والمحافظة على شعائر الدين، ثم شرع في طلب العلم في بلده على علماء عصره.

وفي عام 1314هـ قام برحلة إلى مصر، فواصل تعليمه بالأزهر، ثم قدم إلى مكة فعقد حلقته صباحاً في حصوة باب الصفا، ومساء في رواق باب السليمانية.

وكان رحمه الله طويل القامة، طلق اللسان، كث اللحية، وكانت دروسه في التفسير، والحديث، فذاع صيته، وبلغ الشريف عوناً غزارة علمه، وصراحته، فقربه منه، وأكرمه، فطابت له الإقامة بمكة، فتزوج، وواصل تدريسه.

ومن طلابه حسن سعيد يماني[256].

وفي حديث جرى بيني وبين فضيلة الشيخ حسن يماني عن الشيخ شعيب، وغزارة علمه، قال :

نقد في درسه جماعة دون أن يصرح باسمهم، فكتبوا إليه :﴿يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز﴾[257].

---

(255) علماء نجد، ج 6، ص 333 وما يليها، المرجع السابق.

(256) هو ابن الشيخ سعيد اليماني المتوفى عام 1352هـ، الملقب بحمامة المسجد لملازمته بيت الله الحرام، ومن أحفاده الشيخ سعيد اليماني أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية بالمملكة العربية السعودية. انظر سير وتراجم، ص 120 وما يليها، المرجع السابق.

(257) هود / 91.

فلما تسلم الرسالة، وهو يلقي درسه في صوت جهوري، وحماس ديني بالغ، كتب تحتها : ﴿الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾[258].

واستمر في شرح درسه، وإرشاده، وبعد وفاة الشريف عام 1329هـ، رحل الشيخ شعيب إلى بلاده فولاه السلطان يوسف القضاء بمراكش[259]، وعام 1330هـ عين وزيراً للعدل، وقدم إلى مكة حاجاً مرتين، ثم عاد بأسرته إلى مراكش، وأقام فيها إلى أن توفي رحمه الله سنة 1356هـ[260].

10 - علماء من مصر واليمن :

- فمن مصر :

الشيخ صالح بن أبي بكر شطا المكي :

الحسيني المصري الدمياطي الأصل المكي مقاماً، الشافعي مذهباً.

ولد بمكة المكرمة سنة 1302، وبدأ في طلب العلم في حياة والده العالم المشهور بالبكري، وبعد وفاته كفله أخوه الأكبر السيد أحمد بن أبي بكر شطا، فحفظ كتاب الله، وبعض المتون اللغوية، كالأجرومية، والملحة والألفية، وغيرها.

ثم شرع في فهم هذه المتون على يد علماء أسرته، أمثال أخيه العالم السيد أحمد شطا، وعمه السيد عمر بن محمد شطا، وابن عمه السيد سعيد بن عثمان شطا.

وتلقى الحديث وعلومه على مفتي الشافعية الحبيب حسين بن محمد الحبشي.

ومن جملة شيوخه سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ شعيب الدكالي المغربي، وغيرهم.

وحين حظي بالإجازة من شيوخه شرع في التدريس بالحرم المكي الشريف، وكان موضع درسه في الحصوة التي أمام باب الزيادة، فدَرّس هناك علوم العربية، والفقه الشافعي.

---

(258) الأعراف / 92.

(259) الصحيح هو أن الذي ولى الشيخ شعيباً القضاء هو السلطان مولاي حفيظ رحمه الله، وأنه تولى وزارة العدل في عهد السلطان مولاي يوسف رحمه الله.

(260) سير وتراجم، ص 123، المرجع السابق.

وتولى نائب رئيس مجلس الشورى، فانتفع الناس بعلمه وفتاويه.

وتوفي رحمه الله في 29 صفر عام 1369هـ، ودفن بالمعلاة بمكة المكرمة[261].

- ومن اليمن :

الشيخ عبد القادر بن حسن القلعي اليمني :

ولد الشيخ عبد القادر بن حسن بالجبل نواحي اليمن عام 1289هـ، وحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع ببلده، والمتون العلمية، كما تلقى الفقه الشافعي، والأصول، والأدب، ثم رحل إلى الحجاز لطلب العلم والقيام بمناسك الحج والزيارة، وفي رحاب الحرمين الشريفين، أخذ عن الشيخ حسين الحبشي المفتي، وعن الشيخ شعيب بن عبد الرحمن الصديقي الدكالي، والشيخ محمد بن جعفر الكتاني.

ومن مشايخه في اليمن الشيخ محمد بن سليمان الأهدل، والشيخ حسين بن عبد الباري الأهدل، وغيرهما.

وتصدر للتدريس، وإفادة الطلاب، مع القيام بالفتوى في بلده حتى عرف بفقيه الجبل.

توفي رحمة الله عليه عام 1356هـ[262].

الشيخ عبد الله بن طاهر الحداد الهدار :

ولد الشيخ عبد الله بن طاهر الحداد عام 1296 بمدينة قيدون باليمن، ولما أدرك سن التميز ذهب إلى حضرموت عام 1306هـ، حيث حفظ القرآن الكريم.

ثم رجع إلى قيدون، فأخذ عن الشيخ عبد الله بن أبي بكر باراس، وعلى أفراد من أسرته.

ثم سافر إلى الهند عام 1312هـ، واستفاد من بعض الشيوخ هناك.

ثم سافر إلى جاوة، واجتمع بالسادة آل باعلوي ولازم القراءة ليل نهار.

---

(261) تشنيف الأسماع، ص 319، م. س.

(262) تشنيف الأسماع، ص 319، المرجع السابق.

وفي عام 1324هـ حج حجة الإسلام، وأخذ عن علماء الحرمين الشريفين آنذاك، منهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن الأهدل، والشيخ شعيب المغربي الصديقي، وغيرهم.

ولقب بالهدار لكثرة لهجه بالأذكار.

وكان الشيخ عبد الله بن طاهر متجرداً للتعليم، والدعوة، والتدريس.

وله مؤلفات في الآداب، وفي مناقب بعض الأعلام.

وكان شاعراً وشعره لا يخرج عن مدح الرسول ﷺ، وآل بيته الكرام، وفي مناقب مشايخه.

وله تلاميذ حملوا عنه العلم، ونشروا من بعده ألوية المعرفة.

وتوفي رحمة الله عليه ببلده قيدون في 23 جمادى الأولى عام 1367هـ[263].

11 - علماء من أندونسيا تلاميذ للشيخ أبي شعيب الدكالي :

من هؤلاء العلماء :

الشيخ أحمد المرزوقي بن حامد السواهاني :

هو الشيخ أحمد المرزوقي بن حامد السواهاني[264]، الجاوي[265]، الأندونيسي، الشافعي.

ولد بسرابابا عام 1268هـ، وبها نشأ، ورحل في سن صغيرة عام 1275هـ إلى الحرمين الشريفين لطلب العلم، فحفظ هناك القرآن الكريم، والأجرومية في النحو، والألفية، وقطر الندى، والجوهر المكنون، وغاية التقريب في الفقه، ومن أجلّ شيوخه بالحرمين، الشيخ أحمد زيني دحلان، الذي لازمه أكثر من عشر سنين، وبه تخرج مع الإذن له بالإفتاء، والتدريس في الحرم المكي.

---

(263) تشنيف الأسماع، ص 340 وما يليها، المرجع السابق.

(264) نسبة إلى محلة السواهان بأندونسيا.

(265) نسبة إلى جاوة بأندونسيا.

ومن شيوخه الشيخ عبد الحميد الشرواني، والشيخ عابد بن حسين المالكي، وغيرهم كثير.

ومن الذين أخذ عنهم أيضاً الشيخ شعيب بن عبد الرحمن المغربي (الدكالي)، والشيخ البرهان إبراهيم بن حسن السقا، وغيرهم، وكلهم أجازوه.

ثم رجع إلى أندونسيا، فاشتغل بالتدريس، والإفادة، والخطابة، إلى أن توفي رحمة الله عليه ببلده عام 1355هـ[266].

الشيخ باقر بن محمد نور الجوكجاوي :

هو الشيخ باقر بن محمد نور الجوكجاوي الأندونيسي الشافعي ثم المكي.

ولد بمدينة كوكجا بجاوة الوسطى عام 1306، ورحل إلى مكة المكرمة التي نشأ بها مجاوراً وطالباً للعلم.

وفي رحاب مكة أخذ عن مجموعة من الشيوخ منهم الشيخ أبو شعيب الصديقي (الدكالي).

وله ثبت ذكر فيه شيوخه سماه (الناشر بأسانيد باقر) واشتغل بتدريس اللغة، والفقه، والحديث.

وصنف تأليفاً كبيراً في تراجم علماء أندونيسيا.

وكان رحمه الله سليم الصدر، طيب الخلق، كثير الذكر، تاليا للقرآن، محباً لمشايخه معظماً لهم وموقراً وكذا الأقران، شديد العطف على الطلاب والغرباء.

توفي رحمة الله عليه يوم 27 محرم عام 1363هـ بمكة المكرمة ودفن بالمعلاة[267].

الشيخ عبد الرشيد بن أسلم البوقيسي :

ولد الشيخ عبد الرشيد بن أسلم البوقيسي الأندونيسي الشافعي، ببوقيس في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وقرأ في بلده على الشيخ عبد القادر المندري

---

(266) تشنيف الأسماع، ص 40، م. س.

(267) تشنيف الأسماع، ص 109، م. س.

البوقيسي ثم رحل أولا إلى الحجاز سنة 1312 فأخذ عن بعض علماء مكة المكرمة آنذاك، ثم ذهب إلى الشام، ومصر فأخذ عن مشايخ الأزهر في ذلك العهد.

ورجع إلى الحجاز ثانياً فقرأ الحديث على الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أبي شعيب الدكالي، والشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة، وغيرهم، مما هو مذكور في ثبته المسمى بـ(فتح المجيد في أسانيد عبد الرشيد).

ورجع إلى بلده في النهاية لنشر العلم والمعرفة إلى أن توفي رحمة الله عليه عام 1356هـ[268].

الشيخ فضلي بن سعيد النقشبندي :

هو الشيخ فضلي بن سعيد النقشبندي الخالدي الأندونيسي الشافعي.

ولد عام 1291هـ بيورنيو بأندونسيا، وطلب العلم أولا على يد علماء بلده.

ثم رحل إلى مكة المكرمة فجاور هناك عدة سنوات، فدرس على مجموعة من الشيوخ منهم الشيخ أبو شعيب الدكالي، ثم رجع إلى بلده، ولبث في بث العلم والتدريس، والتربية، إلى أن لبى نداء ربه ببلده رحمة الله عليه عام 1355هـ[269].

الشيخ الشهيد منصور بن مجاهد باشيبان السرباوي :

جاء في تشنيف الأسماع ملخصاً:

هو الشيخ منصور بن مجاهد العلوي الحسيني الشهير بباشيبان.

ولد بسربايه عام 1302هـ، ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم، وقواعد اللغة العربية، والفقه وأصوله.

وحج مرات عديدة، وأقام بمكة المكرمة مجاوراً في حجته الأولى وأخذ بها عن مجموعة من الشيوخ منهم :

- الشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي.
- والشيخ أحمد بن عمر بركات.

---

(268) تشنيف الأسماع، ص 302، م. س.

(269) المرجع السابق، ص 440.

- والشيخ عمر باجنيد مفتي الشافعية.

- والشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي (الدكالي)، وغيرهم.

ثم رجع إلى بلده سرباية، فاستوطن أسفلها وبنى فيها مسجداً ورباطاً للطلاب، فقام بالتدريس، والإفادة، ونشر الدعوة خير قيام.

ولما دخلت جزيرة جاوة تحت استيلاء الكفار من اليابان كان الشيخ منصور ممن جاهر بمعارضتهم، وجهادهم، فوقع القبض عليه، وسجن، وعذب بشتى أنواع التعذيب ثم قتلوه من بعد، رحمة الله عليه، عام 1360هـ[270].

12 - تلاميذ من بلاد القوقاز وما وراء النهر :

أ - تلامذة بلاد القوقاز :

هناك تلاميذ متعددون للشيخ أبي شعيب الدكالي من هذه البلاد المترامية الأطراف ذهبوا إلى أرض الحجاز للحج، وطلب العلم في ذلك الوقت، فتلقوا عن الشيخ أبي شعيب آنذاك.

وقد تعرفنا على بعضهم من خلال ما كتباه الشيخ المفتي ضياء الدين بابا خانوف، رئيس النظارة الدينية - بآسيا الوسطى مركز طشقند - بالاتحاد السوفياتي[271]، وخليفة المفتي الشيخ إسماعيل مخدوم بن ستي أخوند، في شأن ما يعرفانه عن الشيخ أبي شعيب الدكالي.

ومن خلال ما كتباه هذا الشيخان استفدنا التلاميذ الآتية أسماؤهم :

- أب الشيخ ضياء الدين بابا خانوف.

- الشيخ محمد سعيد العسلي الشامي الطرابلسي شيخ ضياء الدين بابا خانوف.

- أب إسماعيل مخدوم وهو الشيخ داملا ستي أخوند.

---

(270) تشنيف الأسماع، ص 554، المرجع السابق.

(271) طشقند عاصمة أوزبكستان الآن، وتوجد مدينة بخارى، وسمرقند ضمن أوزبكستان أيضاً، وهي جمهورية مستقلة عن الاتحاد السوفياتي سابقاً.

- الشيخ ثابت خان التمنكاتي.

- الشيخ المقرئ روزي قادي داملا الاندجاني.

- الشيخ عبد الرزاق بن قمبر التمنكاني.

- الحافظ إسماعيل القاري بن قلندر الخوقندي[272].

ونثبت نص الكتابين المذكورين، ليعلم منهما مكانة الشيخ أبي شعيب الدكالي عند أهل تلك الديار، بعيدة المزار، وأن العلم ليس له حدود ولا قيود.

أ) الكتاب الأول من الشيخ ضياء الدين بابا خانوف :

الشيخ أبو شعيب المكي المغربي :

وإنني مفتي آسيا الوسطى، سمعته مراراً من والدي المحترم بعدما أدى فريضة الحج، قبل الحرب العالمية الأولى يذكر كثيراً عن الشيخ أبي شعيب المغربي، وكنت حينذاك في الخامسة عشر من عمري بأن الشيخ من المدرسين في علم الحديث بالحرم المكي، يقول : والناس يزدحمون عليه، لتبحره في أكثر العلوم، وخاصة في علم الحديث.

والدي المحترم قد سمع منه بعض جزء من أحاديث البخاري، والقصائد النبوية، وغيرها.

ويذكر والدي من حسن ورعه، وتحفظه في الحرم حتى لا يتكلم بما لا حاجة إليه مع أحد، ولا يلفت بعد الدرس إلى أحد، ويذهب إلى منزله، ولا يكاد يجيز لأحد أن يتواضع له في الخدمة، حتى قال والدي وكنت أردت أن آخذ نعليه لإجلاله، وما تركني أحمل النعلين.

وكان مع والدي المحترم في هذا السفر أخي الكبير وهو أيضاً قابله وسمع من فضيلته كثيراً من المواعظ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه، آمين.

وإنني لما شرعت في علم الحديث لدى الأستاذ الجليل الشامي الطرابلسي، محمد سعيد العسلي الشامي، يوماً من الأيام دار الحديث عن ذكريات الإقامة في

(272) هؤلاء التلاميذ لم نتمكن من ترجمتهم الآن.

الحرام الشريف بين والدي وأستاذي، فبدأ والدي المرحوم في ذكر الشيخ أبي شعيب المغربي، فأجاب فوراً الشيخ الشامي، بأن الشيخ أبا شعيب المغربي أستاذي في علم الحديث، ولي سند منه، وكان حافظاً، ثقة، وعالماً في الفقه، ومتبحراً في مذاهب الفقهاء وخاصة في فقه الإمام مالك إمام دار الهجرة على صاحبها الصلاة والسلام.

وأنا الفقير أيضاً ممن أخذ علم الحديث عن هذا الشيخ الشامي، وتشرفت بأخذ الشهادة العليا بين زملائي، وأقراني، وفي هذه الشهادة سندان بطريق الشيخ أبي شعيب المغربي، وبطريق السيد علي الظاهري الوتري المدني.

وإنني متشرف، ومفتخرٌ بهذا الاتصال في سلسلة شيخي وبركتي الشيخ الشامي إلى هذين الإمامين في الحديث، والساكنين في الحرمين الشريفين.

مفتي ضياء الدين

رئيس النظارة الدينية للمسلمين بآسيا الوسطى

طشقند، الاتحاد السوفياتي، بتاريخ 13 - 11 - 1968

ب) الكتاب الثاني من خليفة المفتي إسماعيل مخدوم :

باسمه سبحانه :

سيدي الأخ العزيز عبد الرحمن الدكالي :

الحمد لله الذي منّ علينا بالتعارف، والتآلف، لقد كان سروري عظيما جدّاً بتبادل الزيارات بيننا، وأسأل الله سبحانه أن يديم ذلك.

أخبرنا سماحة مفتينا الأعظم[273]، بعد عودته من زيارة المغرب عمن لقيه، وتعارف معه من رجال المغرب الأجلاء، واحداً واحداً، حتى حدثنا عن فضيلتكم بأنكم نجل الشيخ الكبير أبي شعيب المغربي رحمه الله، فقلت هل هو الشيخ شعيب المعروف في الحرمين ؟

قال : نعم هو ذاك، الذي تلمذ عليه الكثير من ديارنا، منهم والدي المحترم، فقلت : عجيب.

---

(273) هو الشيخ ضياء الدين بابا خانوف.

ولما قال إن فضيلة ولده السيد عبد الرحمن الدكالي يشرفنا بالزيارة في وفد كريم من المغرب إن شاء الله، كنت مسروراً، لأن اسم والدكم كان معروفاً لدينا، وطالما سمعت والدي يذكره، ويحدث عنه، وربما يكون تتلمذ عليه، وأخذ عنه الإجازة في الحديث وغيره، وأظنني رأيت ورقة الأستاذ، وكان معه في سفره إلى الحجاز رفيق من العلماء، وهو الآن على قيد الحياة، وقد ناهز المائة من عمره، وهو تتلمذ على الشيخ صرح به إلي.

وأنا العبد الضعيف من بلدة تمنكان الواقعة في وادي فرغانة[274] قرب مرغنيان واندجان، وكان شيخنا الفقيه المحدث المفسر السيد ثابت خان التمنكاني أقام سنوات بالحرمين، ودرس هناك ودل أهل بلادنا ولاسيما علماء بلدة تمنكان على حضرة والدكم رحمه الله، فقد كان بينهما صداقة ثم عاد شيخنا المذكور من الحجاز، ولولا الحوادث التي وقعت في الحجاز وغيرها، لكان حضرة والدكم الكريم زار بلادنا، وذلك لكثرة تلاميذه، ومعارفه، ولهجهم بذكره الطيب، ومما أعلمه يقينا أن شيخ المقارئ في ديارنا الشيخ روزي قاري داملا، هو ممن أخذ القراءات من حضرة الشيخ رحمه الله، وتخرج في العشر، وبعد عودته أقام في طشقند، وبخارى، وأندجان، ونشر علم القراءة، والتجويد.

وذهب أيضاً إلى الصين، وله تلاميذ لا يحصون عدداً، وأنا إن شاء الله، سأبحث عمن بقي حياً ممن أدرك الشيخ، وآخذ ما عنده من الأخبار، وأبحث عن كل ما يمت به رحمه الله، ولعلي أعثر على سندات الإجازة، وأرسله إلى فضيلتكم إن شاء الله.

والقصد أن نقوي اتصالنا الحسي، والمعنوي، حتى يستمر ذلك في أعقابنا أيضاً.

ويمكن أن نقول الآن أن من المقرر أن :

- أبي الشيخ داملا ستي آخون التمنكاني بن رازق.
- والشيخ عبد الرزاق بن قمبر التمنكاني.

---

(274) الواقعة الآن في أوزبكستان.

- والشيخ الأستاذ روزي قاري دوملا الأندجاني.

- والحافظ إسماعيل القاري بن قلندر الخوقنيدي.

وقد تتلمذوا على والدكم الكريم الشيخ رحمه الله، وتغمده بغفرانه.

وقد كنت سمعت من غير واحد أن الأستاذ روزي قاري داملا لما أتم دراسته في التجويد عند الشيخ، قال له قد علمتك القراءة على وجهها، ولم يبق إلا عجمتك، فلولا عجمتك لكنت من الكاملين، يعني أن لحنك يخالطه شيء من لحون الأعجمية، وفي الحقيقة أنه كان يقرأه بالعشرة، ويدرس بالتجويد، غير أنه إذا تلا كان صوته يميل إلى لحن العجم.

وحضرة الوالد كان معروفاً عندنا بـ«شيخ شعيب مغربي».

مع السلام والاحترام

أخوكم الشيخ إسماعيل مخدوم بن ستي آخوند

طشقند في 3 - 3 - 1388 هـ

ج) كتاب الأستاذ العالم عبد الرحمن الدكالي :

هناك بعض التلاميذ ذكرهم ابن الشيخ شعيب الأستاذ عبد الرحمن الدكالي في مذكرة كتاب له حين زار مدينة طشقند ببلاد القوقاز جاء فيه :

يوم الأحد 27 صفر الخير 1388 موافق 26 مايو 1968 زرنا بضواحي طشقند ضيعة تعاونية في قرية تسمى بيت فرغان، وفرغان معناه قلعة، وحينما وجبت صلاة الظهر ذهبنا بين رفقة الشيخ ضياء الدين بابا خنوف، وخليفته الشيخ إسماعيل المخدوم، ومن كان معنا من الأفاضل إلى مسجد بيت فرغان، وقرأنا سورة طه، وتوجهنا إلى الله بالدعاء أن يعز الإسلام.

وبعد الصلاة قدمنا الشيخ ضياء الدين إلى جماعة المسلمين كل واحد باسمه، ووصفه، ووظيفته.

وحينما وصل إلى تقديم العبد الضعيف، قال : إن هذا المسجد مبارك، وقد كان فيه عالم من علماء المدينة اسمه الشيخ عبد العظيم حاجي، جاء إلينا، ومكث عندنا في هذا المسجد عشرين سنة يعلم العلم، وكان دائماً يذكر أنه تلميذ المحدث

الكبير والدكم الشيخ أبي شعيب المكي الدكالي، ويروي عنه، وقد بقي ولده بعد موته يشتغل مكانه، واسمه الشيخ عبد الرحيم.

وقد ذكر لي الشيخ إسماعيل المخدوم، نائب المفتي الشيخ ضياء الدين : أنه يعرف عالماً كبيراً اسمه عبد الرزاق من كبار علماء الإسلام بلغ المائة سنة، ولازال حياً يرزق بفرغانة[275]، يروي كذلك عن شيخه الحافظ أبي شعيب الدكالي حينما أخذ عنه بمكة المكرمة.

كما ذكر لي أنه يوجد عنده سند والده الذي أخذ هو كذلك عن والدي في الحجاز، وقد وعد بإرساله إلي جزاه الله خيراً.

ب - تلامذة ما وراء النهر للشيخ أبي شعيب الدكالي :

الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي :

ولد الشيخ محمد سلطان المعصومي الحجندي، ببلده خجندة[276]، وإليها ينسب، عام 1297هـ.

بدأ دراسته بقواعد اللغة العربية، من صرف، ونحو، وبلاغة، ثم توغل في دراسة كتب المنطق، والفلسفة، وقرأ كتب العقائد : كالنسفية، والعضدية، والطحاوية، وجوهرة التوحيد، والسنوسية، وغيرها، درس كل ذلك على يد الشيخين محمد عوض الخجندي، وعبد الرزاق الرغيناني البخاري.

ثم تاقت نفسه إلى المزيد من العلم، وهو في سن الثالثة والعشرين من عمره، فسافر قاصداً أرض الحجاز، ومر في سفره على تركيا مهد الخلافة العثمانية آنذاك، ووصل إلى أم القرى في اليوم الثامن ذي الحجة 1323هـ.

---

(275) مدينة واقعة الآن في أوزبكستان.

(276) خُجندة بلد من بلاد ما وراء النهر وفرغانة على شاطئ سيحون وهي قريبة من طشقند، زارها ابن بطوطة في رحلته، وأخرجت مجموعة من العلماء والشعراء، وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان عند ذكرها البيتين الآتيين :

ولم أر بلدة بإزاء شرق ... ولا غرب بأنزه من خجندة

هي الغراء تعجب من رآها ... وهي بالفارسية مزندة

ومن جملة شيوخه في الحجاز :

- الشيخ شعيب بن عبد الرحمان المغربي (الدكالي)، قرأ عليه الصحيحين، والموطأ، ومشكاة المصابيح، وكتب له سنده، وأجازه.

- الشيخ صالح كمال الحنفي.

- الشيخ محمد مراد الرمزي القازاني.

- الشيخ محمد سعيد بابصيل الشافعي.

- الشيخ أحمد الحضراوي.

وغيرهم.

ثم ذهب إلى المدينة المنورة التي تلقى فيها على الشيخ عبد الله القدومي الحنبلي، الذي قرأ عليه أجزاء من المسند، وأوائل كشف الخفاء.

وعلى الشيخ أحمد البرزنجي، الذي تلقى عنه صحيح الإمام البخاري.

وأجيز من الكل، وكتبوا له سند الإجازات.

وبعد ذلك عزم على الرجوع إلى بلده، فمر ببلاد الشام، فالتقى بعلمائها أمثال الشيخ بدر الدين يوسف، وغيره، وعرج على بيروت، فالتقى بالشيخ عبد الرحمن بن درويش الحوت، والشيخ يوسف النبهاني، ثم زار المسجد الأقصى، ومصر التي التقى فيها في رحاب الأزهر بالشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ محمد رشيد رضا، واشترى من مصر جميع أعداد مجلة المنار، ومؤلفات الشيخ محمد عبده، وما طبع من كتب الشيخ أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، فكان مما حمله معه من كتب إلى بلده ألف كتاب، فضلا عن الرسائل والمجلات، وهذا يدل على شغف علمي أصيل، وحب للعلم والمعرفة لا حدود له.

وحين استقر الشيخ المعصومي بموطنه، اشتغل بالتدريس في المدرسة التي أنشأها والده، وعين مفتياً للمحاكم الشرعية عام 1328هـ.

ونشر الفكر السلفي في بلاد ما وراء النهر، ولاشك أنه كان متأثراً بشيخه أبي شعيب الدكالي في ذلك، وفي مشاركته في العلوم الشرعية ولاسيما الحديث وعلومه.

إلا أن نشره للعلم هذا، ودعوته الإصلاحية، حال دونهما، ما حصل من الانقلاب الشيوعي المشؤوم عام 1917م، بقيادة أهل الكفر من لينين، وستالين وغيرهما الذين عاثوا في الأرض فساداً، فحاربوا دين الإسلام، وأهله، وقتلوا العلماء، ونفوا كثيراً منهم خارج البلاد.

ولم يسلم الشيخ المعصومي من أثر ذلك، فتعرض للسجن مرتين، فنجاه الله، وذهب إلى مرغنيان التي تولى بها القضاء، لكنه اعتزله من بعد لعدم إمكان الحكم بالحق، وناظر الملاحدة في طشقند الذين رفعوا رؤوسهم في تلك الآونة تقرباً لشياطنهم ورؤسائهم من أهل الفساد والإلحاد، فأفحمهم على مرأى ومسمع رؤوس الأشهاد، فانتقم منه هؤلاء الملاحدة، وهجموا على بيته، وصادروا ما فيه، وألقي عليه القبض، وحكم عليه بالإعدام إلا أن الله سبحانه نجاه منه ومنهم، ففر عام 1928م إلى الصين التي استقر فيها سنوات.

ثم في عام 1353هـ عزم على السفر إلى مكة المكرمة، التي استوطنها، وأصبح مدرساً بدار الحديث بمكة، وفي رحاب الحرم المكي، إلى أن توفاه الله سبحانه، رحمة الله عليه عام 1380هـ.

وقد ترك الشيخ المعصومي رحمه الله جملة صالحة من المؤلفات منها ما يلي:

- هدية السلطان إلى قراء القرآن.
- إرشاد الأمة الإسلامية في التحذير من مدارس النصرانية.
- اللآلئ الغالية في الرحلة الحجازية.
- الدر المصون في أسانيد علماء الربع المسكون.
- سند الإجازة لطالب الإفادة.
- تحفة الأبرار في فضائل سيد الاستغفار.
- الهدية المعصومية في نظام التجارة
- رفع الالتباس في أمر الخضر وإلياس.
- جلاء البوس في انقلاب بلاد الروس.

- هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان[277].

12 - من الهـنـــد :

الشيخ هداية الله الفارسي :

ترجم لهذا الشيخ علامة الهند ومؤرخها عبد الحي اللكنوي في كتابه الإعلام (ج 8، ص 1401)، وأثبت أنه من الآخذين عن الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله.

ونقتطف من الكتاب المذكور ترجمته بما يلي :

إنه الشيخ الفاضل هداية الله بن عبد الله الحنبلي الفارسي السورتي، أحد العلماء المبرزين في المعارف، ولد في 5 محرم سنة 1250هـ، وكان اسمه جهانكير بن بهمن شاه، أسلم مع أبيه، وسافر للعلم، فقرأ النحو، والصرف على الشيخ حبيب الله البريلوي، وعلى غيره من العلماء.

وقرأ (موضح القرآن) للشيخ عبد القادر، والصحاح الستة على المفتي عبد القيوم بن عبد الحي البكري البرهانوي بمدينة (بهوبال)، ولازمه مدة.

وممن أخذ عنهم الشيخ شعيب المغربي، والشيخ عبد الحي (الكتاني) المغربي، والشيخ قطب الدين الدهلوي، والشيخ محبوب علي الجعفري، وغيرهم من الشيوخ.

وله زيارات للحجاز، ومصر، والشام، والقدس، وبلاد أوربا، وبلاد التتر، وبلاد أمريكا.

وساح معظم المعمورة، ورأى العجائب من كل بلدة وإقليم، وكان باهر الذكاء، قوي التصور، كثير البحث عن الحقائق، لطيف الطبع، حسن المحاضرة.

---

(277) اقتطفنا هذه الترجمة من مقدمة كتاب «هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين»، وهو كتاب الشيخ المعصومي المسمى بـ«هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان»، وفي نفس الاتجاه كتاب بدعة التعصب المذهبي لمحمد عيد عباسي، طبع المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، وقد ورد تعريف موجز للشيخ المعصومي في الصفحة 274 وما يليها، وفي موضوع الكتابين يوجد كتب مقابلة : ككتاب الحافظ ابن رجب الحنبلي المسمى بالرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة المطبوع بدار الحرمين بمصر، عام 1419 - 1999، واختلاف المذاهب لجلال الدين السيوطي، دار الاعتصام، 1989.
وكتاب اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية لمحمد سعيد رمضان البوطي.
وانظر في الموضوع أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ص 80 وما يليها، للدكتور محمد رياض، مطبعة النجاح في طبعاتها الثلاث.

وكان يعرف اللغات المتنوعة، فيتكلم بالعربية، والفارسية، والانجليزية، وغيرها من اللهجات.

مات الشيخ هداية الله الفارسي بحيدرآباد عام 1335هـ[278].

ثالثا : أعلام التقى بهم الشيخ أبو شعيب الدكالي بأرض الحجاز :

هناك علماء وأعلام تم اللقاء بينهم وبين شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي رحمه الله فوق أرض الحجاز، ولاسيما في رحاب الحرم المكي والمدني، حيث كان يلقي دروسه العلمية، ويقوم بتوجيهاته الارشادية من أجل النهوض بالأمة الإسلامية.

ومن هؤلاء العلماء والاعلام ما يلي :

المولى عبد الحفيظ بن المولى الحسن الأول :

تعرف المولى عبد الحفيظ العلوي على الشيخ أبي شعيب الدكالي أيام كان خليفة على مدينة مراكش لأخيه السلطان المولى عبد العزيز، وذلك حين ذهب إلى أرض الحجاز للقيام بالحج وزيارة المدينة المنورة حيث القبر الشريف للسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وصاحبيه الكريمين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وفي هذا الصدد يذكر العالم الفقيه مولاي أحمد العدلوني رحمه الله : ولما توجه المولى عبد الحفيظ أيام خلافته، وقبيل ملكه، إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان على جانب كبير من العلم، تعرف على شيخنا هناك، وطلب منه الرجوع إلى المغرب، لتنتفع به بلده، وبعد جلوسه على العرش المغربي ألح عليه في ذلك، فاستجاب لطلبه عام 1325هـ، ويمكننا أن نعتبر أن هذه المرحلة هي التي تكون العقد الثالث من حياة شيخنا رحمه الله[279].

يستفاد من هذا أن المولى عبد الحفيظ اتصل بالشيخ أبي شعيب الدكالي بالحجاز، وكان يقدر مكانة الشيخ، ويعرف له فضله ومزاياه العلمية والأدبية،

---

(278) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ«نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) لمؤرخ الهند عبد الحي اللكنوي، ج3، (ج 8)، ص 1401 وما يليها، الطبعة الأولى، عام 1420 - 1999، دار ابن حزم، بيروت.

(279) الترجمة الخاصة للشيخ أبي شعيب الدكالي، لمولاي أحمد العدلوني.

فشجعه على العودة إلى بلاده المغرب الأقصى، لنشر ألوية المعارف والعلوم على ربوع هذا الوطن، وكذلك كان.

مولاي علي بن محمد العدلوني الكتاني :

ذكر ابنه مولاي أحمد العدلوني أن والده مولاي علي العدلوني رحمه الله التقى بالشيخ أبي شعيب الدكالي بأرض الحجاز بالحرم المكي عام 1321هـ، وروى كل واحد منهما عن الآخر بطريق التذبيج عند المحدثين.

وسيلتقي الفقيه مولاي علي العدلوني مع ابنه مولاي أحمد بالشيخ أبي شعيب في رحاب مدينة رباط الفتح عاصمة المغرب الأقصى ويبعث بأبيات من الشعر يمدح بها أبا شعيب معتزاً بعلمه وفضله وهي :

يا مفرد الدهر يا نور الزما أبا	عبد العزيز تباهت الدنا بكم
لما جرى منك بحر العلم غار له	بحر لئلا يعم البر فيضكم
فاسكن جوار أخيك البحر معتليا	عليه فالعلو لا يزهو بغيركم[280]

مولاي أحمد الكتاني (أب محمد إبراهيم الكتاني) رحمه الله :

جاء في رسالة (من ذكريات محمد إبراهيم الكتاني) قوله : كنت أسمع الشيخ أبا شعيب الدكالي رحمه الله يتردد إلى بيتنا، وأنا طفل صغير، فقد كان للشيخ اعتقاد كبير في والدي رحمه الله، واعتناء زائد به.

وعندما حج الوالد عام 1323هـ، استدعاه الشيخ لمنزله بمكة هو ومن كانوا معه يوم الأربعاء 27 ذي القعدة (من العام نفسه)، وأخبرهم عندما كانوا داخلين إلى منزله : أنه رأى صبيحة تلك الليلة كأن قائلا يقول له : إن مولانا رسول الله ﷺ آت الآن لملاقاة مولاي أحمد الكتاني.

قال الشيخ : فأخذت أنتظره، ثم استيقظت قبل أن يأتي، فتحيرت في ذلك غاية التحير، ثم أخذ بيد الوالد، وصار يتأدب معه أدباً ما كان يفعله معه من قبل.

ذكر ذلك والدي رحمه الله، في رسالة طويلة كتبها لأسرته من مكة المكرمة صبيحة يوم الخميس الموالي وهو 28 ذي القعدة (من العام المذكور).

---

(280) المرجع السابق.

ويغلب على ظني أن الشيخ أبا شعيب رحمه الله ذكر لي ذلك بنفسه في إحدى المناسبات[281].

الشيخ سيدي محمد الكتاني :

ذكر ابنه الشيخ محمد الباقر الكتاني[282]، في ترجمة والده، أن أباه الشيخ محمداً الكتاني التقى بالشيخ أبي شعيب الدكالي، في رحاب مكة المكرمة عام 1321هـ.

وأن الشيخ شعيباً استمع لدروسه في الحرم المكي.

جاء في ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد على لسان ولده المذكور :

وحدثني كثير من إخواننا الكتانيين بمراكش أنه لما كان (يقصد الشيخ أبا شعيب) يدرس الصحيح (يعني صحيح البخاري) بها أيام وزارته قال : للجماهير الغفيرة التي كانت تحضر دروسه، ما رأت عيني من يحسن دراسة التفسير كالشيخ سيدي محمد الكتاني رحمه الله سواء في المغرب أو المشرق، وصار يصف لهم مجالس المترجم (الشيخ محمد الكتاني) بالحرم المكي، حين ما كان يدرس التفسير به سنة 1321هـ[283].

الوزير المهدي بن العربي المنبهي :

كان السيد المهدي المنبهي وزيراً للحربية في عهد السلطان المولى عبد العزيز، وسط فتن واضطرابات عارمة في ذلك العهد[284].

وكان لقاء المنبهي بالشيخ أبي شعيب الدكالي فوق أرض الحجاز عام 1321هـ.

---

(281) مقال للأستاذ العالم المؤرخ محمد إبراهيم الكتاني تحت عنوان : «الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته»، مرقون ص 1.

(282) يعد الشيخ محمد الباقر الكتاني من تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي كما سوف نورده إن شاء الله ضمن جمهرة من تلاميذته.

(283) ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد، ص 126، لابنه الشيخ محمد الباقر الكتاني، مطبعة الفجر، عام 1962.

(284) انظر ترجمته الموجزة موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3070، وفيات عام 1358هـ وهي السنة التي توفي فيها الوزير المنبهي بمدينة طنجة، وانظر أخباره في كتاب التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب للحسن بن الطيب بن اليماني بوعشرين تصحيح الأستاذ العلامة محمد المنوني رحمه الله.

وقد أكد الوزير المنبهي آنذاك، ما كان رغب فيه المولى عبد الحفيظ من رجوع الشيخ إلى وطنه.

يقول الأستاذ محمد المختار السوسي :

فكان ذلك سبب أن زار الشيخ المغرب زيارته الأولى محل بلده دكالة ثم بمراكش، فصادف مولاي عبد الحفيظ، وقد أولع بالعلم والعلماء، فأخبر به، فاستحضره في القصبة، فرأى منه ما ينبهر، فوصله بمائتي لويز[285]، وهي أول جائزة منه إليه[286]، فألقى الشيخ بعض دروسه بالحمراء، رأى منها الحاضرون ما لم يسمعوا به قط، فرأى من الإكبار، والتكرمة، ما لفت نظره إلى المغرب[287].

وأورد صاحب مرآة الحرمين :

أنه من نتائج اتصال الوزير المهدي المنبهي بشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي أن كلف الشيخ أن يشتري عقاراً بمكة يقفه على فقراء الحرمين[288].

اللواء إبراهيم رفعت باشا :

اللواء إبراهيم رفعت باشا، مؤرخ مصري، ومن أمراء الحج العسكريين، حيث ولي إمارة الحج ثلاث مرات (من سنة 1320هـ - 1321هـ - 1325هـ)[289].

وقد ذكر في كتابه مرآة الحرمين بعض العلماء والأعلام الذين التقى بهم، وعقد الصلة معهم، وأن ذلك من ثمرات الحج الطيبة، ومن بركات تلك البقاع الطاهرة، وأن التعارف، والتآلف هو من آثار خلق الله لعامة البشر، طبقاً لقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾[290].

---

(285) اللويز عملة ذهبية كانت متداولة آنذاك.

(286) هذا يدل على تشجيع المولى عبد الحفيظ للعلم وأهله.

(287) ترجمة الأستاذ محمد المختار السوسي للشيخ أبي شعيب الدكالي.

(288) مرآة الحرمين، ج 2، ص 96، اللواء إبراهيم رفعت باشا، ط 1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1344 - 1925، وقد أثبت صورة للوزير المنبهي في نفس الجزء والصفحة من كتابه مرآة الحرمين، وصورة للشيخ أبي شعيب في ص 112 من ج 2 من الكتاب المذكور.

(289) انظر الأعلام، ج 1، ص 39 للزركلي.

(290) الحجرات / 13.

وقد تم اللقاء بين اللواء إبراهيم رفعت باشا وبين شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، في رئاسة اللواء المذكور لركب الحج المصري عام 1321هـ.

وقد أثبت اسم الشيخ في كتابه مرآة الحرمين ضمن الأعلام الذين تعرف عليهم فوق أرض الحجاز، وأكد الصلة بهم[291].

أحداث وارتسامات عن الشيخ أبي شعيب الدكالي في الحجاز :

في ختام الكلام عن شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي في رحاب أرض الحجاز، وعن مكانته السامية في تلك الديار، وما قام به من تدريس، وتنوير، وتوعية، نتناول أحداثاً وارتسامات عن حياة شيخ الإسلام فوق أرض الحجاز كالتالي:

أ - تذكر وحنين الشيخ شعيب لوطنه :

تجدر الإشارة إلى أن الشيخ شعيباً رحمه الله وهو بالحجاز، كان دائماً يعاوده الحنين، والشوق إلى وطنه المغرب الأقصى الذي فتح عينيه الكريمتين على ربوعه، وتردد بين معاهده.

وكما قال الشاعر :

وحــبب أوطــان الــرجـال إلـيــهـم   مـئـارب قضـاهـا الشـبـاب هـنـالـكـا

وكما قال الآخر :

بـلاد بـهـا نـيـطت عـلـى تمائـمـي   وأول أرض مس جـلـدي تـرابـهـا

لذلك كان يقوم ببعض الزيارات لبلده، وأسرته، فزار المغرب عدة مرات، قبل أن يعود إليه عودته المحمودة الأخيرة في عهد المولى عبد الحفيظ العلوي رحمه الله.

كما كان يبعث برسائل من أرض الحجاز يعبر فيها عن مشاعره نحو وطنه، والتعرف على أحواله، والسؤال عن أسرته وذويه.

ونثبت هنا نموذجين من رسالتين بعث بهما من البقاع المقدسة.

---

(291) مرآة الحرمين، ج 2، ص 136، المرجع السابق.

الرسالة الأولى :

بسم الله الرحمن الرحيم.

الأجل، الأبر، الأكرم، الشريف سيدي محمد بن الطاهر[292].

السلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد، فالمقصود السؤال عنكم، نطلب الله أن تكونوا بخير، وقد من الله علينا في هذه السنة بالمشي إلى المدينة من مكة، فدعونا الله لكم، وللأولاد جميعهم - أصلحهم الله، وأنبتهم نباتاً حسناً - بأن الله يجعلهم من العلماء العاملين، الجامعين بين شرفي العلم، والنسب، إنه على ذلك قدير. والمؤكد به عليك أن تعلمهم العلم، وتهتم في ذلك، فإني الآن من أسياد الناس ببركة العلم، جزى الله عنا من علمنا خيراً.

والسلام منا على الأخ مولاي أحمد، وأولاده أصلحهم الله، ومولاي علي، ومولاي الطاهر، وسائر الأقارب، والتعلقات، وعلى الطالب سيدي أحمد بن عبد الصادق، كان الله للجميع، ببركة النبي الشفيع.

والسلام في 10 ربيع الأول عام 1322هـ.

أبو شعيب رعاه الله

الرسالة الثانية :

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

من مكة في 13 رجب عام 1326.

جناب الأجل الأكرم الأفضل الشريف سيدي محمد بن الطاهر.

(292) هو سيدي محمد بن مولاي الطاهر بن محمد بن موسى، ابن عمة الشيخ أبي شعيب الدكالي، وله إخوة هم مولاي أحمد، ومولاي علي، ومولاي الطاهر، وهؤلاء السادات كانوا موجودين بالصديقات من دكالة الغربية، ويعرفون بأولاد الرويحة من أهل الفضل، والعلم، والدين، ومكارم الأخلاق... وبيتهم بدكالة عظيم القدر، شهير الذكر تعدد فيه العلماء الجهابذة الذين كان لهم الأثر المحمود في نشر العلم وبثه في هذا الصقع الدكالي وغيره، انظر جواهر الكمال في تراجم الرجال، ص 98، لمحمد بن أحمد الكانوني، المرجع السابق.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ورضوانه الأعم وتحياته.

أما بعد، فنحن بخير إلى ساعة تاريخه، حامدين الله شاكرين، داعين لكم، ولأولادكم، وإخوتكم، أصلح الله الجميع بمنه وكرمه.

وقد بلغنا ما كدر خاطرنا من الجور الواقع بالبلد، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وكل هذا مقدمة لحكم النصارى، نسأل الله اللطف بمنه وكرمه، وفرج الله قريب[293].

وسلموا منا على أولادكم أصلحهم الله، وأنبتهم نباتاً حسناً، وعلى أهلنا جميعاً وأقاربنا، وكل سائل عنا.

ونسأل الله أن يلهمك الرشد، فتسافر عندنا لأداء فريضة الحج، وزيارة النبي عليه السلام، والدنيا زائلة، والباقي وجه الله.

مع أنك لو وصلت إلى طنجة لساعدك أخونا السيد قاسم في التوجه عندنا، والسلام.

أبو شعيب

ب - زواج أبي شعيب الدكالي بأرض الحجاز :

تم زواج الشيخ أبي شعيب الدكالي في رحاب الحرم المكي على يد الشريف الرفيق عون أمير مكة المكرمة آنذاك.

وكان الوزير السيد مَحمد بَوْ[294] - في حكومة الشريف عون - هو الذي حصلت المصاهرة معه، حيث عقد الشيخ أبو شعيب الدكالي على ابنته المصونة الفاضلة السيدة جميلة بنت محمد بو، وهي أم الأستاذ العلامة عبد الرحمن الدكالي ابن الشيخ شعيب الذي يحكي عن هذا الحدث بقوله :

(293) يشير رحمه الله إلى الفتن العارمة التي كانت آخر أيام السلطان المولى عبد العزيز، وبداية عهد المولى عبد الحفيظ، وتدخل فرنسا في شؤون المغرب آنذاك، وقد صدقت فراسة الشيخ أبي شعيب طيب الله ثراه، فيما رأى، وكان ما كان من أمر الحماية على المغرب.

(294) من أصل تركي.

حكى لي والدي عن زواجه بأمي، قال : لقد كنت سمعت عن أمك جميلة بنت مَحمد بَوْ، الوزير الأول مع الشريف عون، فأفضيت برغبتي إلى الشريف عون الرفيق، فدعا ثلاثة من وزرائه، وقال لهم : إني سأختار بالقرعة، واحدة من بناتكم الثلاث لتكون زوجة لعالمنا الجليل الشيخ أبي شعيب.

وكتب أوراقاً ثلاثة، وطواها ووضعها على مائدته، ودعا أكبر وزرائه مَحمد بَوْ، وقال له : خذ واحدة، واقرأها علينا، فلما قرأها ابتسم، وقال : إنها ابنتي جميلة، فكان ما كان من عقد الصداق على جميلة بنت مَحمد بَوْ[295].

وولد له من الأولاد بمكة المكرمة ولده الأكبر الفقيه الأديب سيدي موسى، والأخلاقي الأريب سيدي عبد العزيز، والسيدة الفاضلة خديجة، والعلامة الجليل سيدي عبد الرحمان[296].

ج - ما تملكه الشيخ أبو شعيب الدكالي بأرض الحجاز :

جاء في كتاب قبيلة زعير :

وقد ملك (الشيخ شعيب) بالحجاز أموالا كثيرة من دور وعمارات وغيرها.

وحينما أراد الخروج من مكة المكرمة، وعزم على الخروج إلى وطنه تصدق بالجل من أملاكه، ولم يبق إلا هرياً بالمدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وإنما تصدق بذلك لأنه يرى أن الأموال التي اكتسبت بالحرمين الشريفين لا تخرج منهما هكذا قال لأولاده، ومازال الهري المذكور على ملك ورثته إلى الآن[297].

---

(295) ترجمة الأستاذ عبد الرحمن الدكالي لوالده أبي شعيب الدكالي.

(296) وهذا ما أكده الأستاذ عبد الله ابن الشيخ من أن السيدة جميلة هي والدة أولاد الشيخ السادة : موسى، وعبد العزيز، وخديجة، وعبد الرحمان، وكلهم ازدادوا بالحجاز، أما بقية أولاده وهم السادة محمد، وعبد الله، أحمد، وزبيدة فقد ازدادوا له بالرباط بعد رجوعه إلى وطنه، انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 224، وأصغر أولاده السيد عبد اللطيف، وللشيخ أولاد آخرون.

(297) قبيلة زعير، ج 2، ص 224.

المبحث الرابع

عودة الشيخ أبي شعيب الدكالي من المشرق إلى المغرب

تعددت روايات تلاميذة الشيخ أبي شعيب الدكالي حول زيارات الشيخ لأرض المغرب، وتواريخها قبل أن يعود إلى أرض الحجاز في تلك الزيارات، وقبل عودته الأخيرة المباركة إلى أرض الوطن في عهد المولى عبد الحفيظ العلوي رحمه الله.

وقد وجدت أن المعتمد في تلك الروايات هو ما ورد في الترجمة الخاصة للأستاذ جعفر الناصري[298]، أحد تلاميذة الشيخ، بحكم المخالطة والمعاشرة للشيخ إبان رجوعه إلى المغرب، وبحكم اتصال آل الناصري بالشيخ أبي شعيب الدكالي، ابتداء من عميد الأسرة الناصرية آنذاك الشيخ أحمد بن خالد الناصري[299]، وأبنائه أبي عبد الله محمد بن العربي الناصري، وجعفر، ومحمد الناصريين، وهؤلاء الأبناء كلهم تلاميذ للشيخ.

جاء في الترجمة المومأ إليها للأستاذ جعفر الناصري :

وفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف (1321هـ) موافق (1905م)، رجع (يقصد الشيخ أبا شعيب) إلى المغرب زائراً، وتوجه إلى مراكش، ثم رجع إلى الحجاز في العام المذكور.... وبعد ذلك رجع الشيخ رحمه الله إلى المغرب مرة ثانية، سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وألف (1325هـ) موافق (1908م)، متفقداً زائراً، وعاد إلى الحجاز من سنته أيضاً، وبقي بأرض الحجاز إلى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف (1327هـ) موافق (1910م).

وفي هذه السنة أيضاً انقلب راجعاً إلى المغرب، حيث استقبله المولى عبد الحفيظ في فاس بحفاوة منقطعة النظير، وأسند إليه رئاسة الدروس الحديثية

---

(298) عنوانها : «شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي».

(299) هو الأستاذ الشيخ المؤرخ صاحب كتاب «الاستقصاء» المشهور في تاريخ المغرب الأقصى.

التي كانت تلقى بحضرته، كما ألقى درساً حافلا بالمسجد الأعظم بسلا قبل قدومه على المولى عبد الحفيظ بفاس.

وفي رحاب جامع القرويين تصدر الشيخ أبو شعيب الدكالي لإلقاء دروسه الحديثية والتفسيرية مما كان له الأثر البالغ والصدى البعيد في الأوساط العلمية آنذاك.

وقد بقي الشيخ رحمه الله بفاس إلى سنة 1328هـ موافق 1910م، حيث رجع إلى الحجاز للاتيان بأهله إلى المغرب نهائياً في ظل حكم السلطان المولى عبد الحفيظ[300].

من خلال هذه النظرة الاجمالية لحركة الشيخ أبي شعيب الدكالي بين أرض الحجاز، ووطنه أرض المغرب.

وابتداء من تاريخ عام 1328هـ الموافق لسنة 1910، وهو التاريخ الذي رجع فيه إلى الوطن بصفة نهائية كما ذكرنا آنفاً، نتابع الخطوات الآتية من حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله.

أولا : الشيخ أبو شعيب الدكالي في عهد المولى عبد الحفيظ :

بدأ اتصال الشيخ أبي شعيب الدكالي بالمولى عبد الحفيظ وهو خليفة لأخيه السلطان المولى عبد العزيز بمراكش حينئذ حين كان يزور الشيخ بلده وأقاربه بين الفينة والأخرى.

فكان الشيخ يلقي دروساً حافلة بمدينة مراكش، حين زارها عام 1323، وهو لايزال في العقد الثالث من عمره، وكان يحضرها أساطين العلم المسنون آنذاك كالشيخ محمد بن إبراهيم السباعي وأمثاله[301].

وعرف المولى عبد الحفيظ - وهو المولع بالعلم والعلماء - فضل الشيخ شعيب، وما يحمله من علم غزير، عز نظيره، فاستحضره في القصبة التي كان يقطنها، فرأى منه ما يبهر العقول، فوصله بمائتي لويز، وهي أول جائزة منه

(300) ترجمة الأستاذ جعفر الناصري، ص 4 وما يليها.

(301) ترجمة الأستاذ الأديب محمد المختار السوسي.

إليه[302]، فألقى الشيخ بعض دروسه بالحمراء، رأى منها الحاضرون ما لم يسمعوا به قط، فرأي من الإكبار والتكرمة ما لفت نظره إلى المغرب، ثم رجع إلى الحجاز فأتى بأهله، فنزل في طنجة، وقد احتل مولانا عبد الحفيظ فاساً بعدما تسلم عرش المغرب، فكان عنده خبر (الشيخ أبي شعيب)، فأوعز أن تهيأ له بهائم يحمل عليها متاعه[303]، وأهله من طنجة إلى فاس، فدخل الحضرة الحفيظية، فكان له بسبب عناية السلطان، ومن أجل أنه وارد من الخارج، ومن علمه العظيم في عين السلطان فمن دونه، منزلة ما فوقها منزلة، فقد هيئت له دار عظيمة، ومؤونة كبيرة، ويحضر دروس السلطان، فيتقدم كل الشيوخ المسنين الذين يحضرون كالشيخ ابن الخياط، ومولاي عبد الكبير و(مولاي المهدي الوزاني)، ونظرائهم.

وكان السلطان إذاك حر الفكر، يرفع ضد كل البدع، سيوفاً مرهفة، فلم يجد من يخلص لمبدئه (كالشيخ شعيب)، فكان ذلك إحدى المراقي التي ترقى منها.

وأما دروسه إذاك في القرويين فلا تسأل عنه[304] إذ تصدر وتصدى لنشر العلم بجامعة القرويين، وهي إذاك زاهرة عامرة، وبالأساتيذ الأعلام النبلاء، والطلبة النجباء النبغاء زاخرة.

فارتفع صوته عالياً من كراسيها، وتردد صداه بين حناياها وأركانها، وازدحمت على درسه الركب، وانساب إليه الآخذون عنه من كل صوب وحدب، وبعد رجوعهم إلى بلادهم، وقبائلهم بأطراف المغرب، بثوا علما كثيراً بين مواطنيهم،

---

(302) هذا يدل على إكرام وتقدير العلماء من الأمراء، وتشجيعهم على المضي في نشر العلم والمعرفة، وهذه العطايا تدل على العناية والاهتمام مما يرضاه العلماء ولو كانوا أغنياء، فما بالك لو كانوا من الفقراء أو بين الفقر والغنى.

ولذلك كتب أبو علي الحسن اليوسي رحمه الله إلى السلطان المولى إسماعيل العلوي طيب الله ثراه، ضمن ما كتبه في رسالته الكبرى ما يلي :

والعطايا تُطلق اللسان، وتشرح الجنان، وتشجع الجبان، وتنشط الكسلان وتسر الغضبان، سجية مطبوعة في الإنسان على مرور الزمان، وقيل لجرير : لمَ كانت أشعارك في بني أمية أحسن منها في بني العباس ؟، فقال : إن اللُّهى تفتح اللَّها، أي العطايا تفتح اللسان.

انظر رسائل أبي علي الحسن اليوسي، ج 1، ص 141، تحقيق فاطمة القبلي، دار الثقافة، ط 1، عام 1401 - 1981.

(303) هو الشيخ عبد الكبير بن محمد الكتاني الفاسي المتوفى عام 1333هـ.

انظر ترجمته موسوعة أعلام المغرب، ج 8، وفيات 1333، المرجع السابق.

(304) ترجمة الأستاذ الأديب محمد المختار السوسي لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي.

وأبناء جنسهم وجلدتهم، مفتخرين بالانتساب إليه، والأخذ عنه، فازداد بذلك شهرة وذكراً في كل صقع وناد[305].

ووصف الأستاذ جعفر بن أحمد الناصري المنهج الذي كان يتبعه في إلقاء دروسه في هذه الآونة قائلا :

وقد كان الشيخ رحمه الله في إلقاء دروسه الحديثية، والتفسيرية يسلك طريقة وأسلوباً خاصاً به.

فكان يستهل درسه بذكر سنده واتصاله برواة الحديث الذي سيفسره، ثم يتبعه بتراجم رجاله، والتعريف بهم، ويردف ذلك بالكلام على الحديث من الناحية الاصطلاحية، وما فيه من اتصال وانقطاع، واختلاف في اللفظ والرواية، ويتخلص إلى تحليله، والبساط الذي جاء فيه، وما احتف به من الحوادث والأخبار، وما يعضده من الآيات القرآنية، ويعقب عليه بالحكم الشرعي الذي تضمنه، ومن أخذ به من الأئمة، وإن كان أخذ به الإمام مالك توسع في الكلام عليه، وبين وجهة مأخذه ونظره، وعلق عليه بكلام أئمة المذهب، وكثيراً ما كان يورد كلام الشيخ خليل ويستشهد به، ويختم درسه بالمستنبطات والفوائد المأخوذة منه صراحة، وضمنا، وفهماً وقياساً.

ولا يخفى أن هذا الأسلوب الذي اتخذه الشيخ في دروسه جامعاً، مانعاً، دالا على حفظه، ومشاركته، وتحصيله، وسعة اطلاعه وغزارة مادته، وتعدد روايته، وقل من يتوفق إليه، ويطبقه في دروسه.

وفي أثناء هذه الدروس الجامعة المانعة، كان ينادي برد الناس إلى الكتاب والسنة، ويحضهم على اتباع مذهب السلف الصالح، ونبذ ما يؤدي إلى الخلاف[306].

وأسند السلطان المولى عبد الحفيظ للشيخ أبي شعيب الدكالي رئاسة الدروس الحديثية العليا بحضرته، قال الأستاذ جعفر الناصري :

---

(305) شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي، ص 6.

(306) هذه الطريقة في وصف دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله، حصل الإجماع على نقلها، وسنورد ما يتعلق بالموضوع إن شاء الله عند الكلام عن جهود الشيخ في مجال العلم والثقافة. وانظر شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي، ص 6 و 7.

وما ظنك بهذه الدروس العليا، وبمن كان يحضرها من أعلام الحضرة السلطانية الفاسية، وأعيان علماء الشناقطة والصحراء الموريطانية، وما كان يروج فيها من الفوائد الغالية، والأبحاث العالية، حسبما كانت ترويه بعض الصحف العربية، التي كانت تصدر في ذلك العهد، وما كنا نسمعه من أحاديث الشيخ عنها، منوها بها في مجالسه، وفي كل مناسبة بين مؤانسه ومُجالسه[307].

تولي الشيخ أبي شعيب خطة القضاء بمراكش :

في آخر دولة المولى عبد الحفيظ، حين رفعت الفتن رؤوسها في كل واد، قرر السلطان المولى عبد الحفيظ رحمه الله الانتقال من مدينة فاس إلى مدينة مراكش، التي كانت تهددها الاضطرابات والمخاطر، في هذه الآونة أمر المولى عبد الحفيظ الشيخ أبا شعيب الدكالي بالالتحاق بمدينة مراكش من أجل القيام بخطة القضاء بها، ولتهدئة الأوضاع آنذاك، وذلك أوائل عام 1329هـ الموافق لسنة 1911م.

ويذكر الأستاذ جعفر الناصري هنا أن الشيخ رحمه الله انتقل من فاس إلى مراكش، وهي وناحيتها، وكافة الإقليم السوسي، وما وراءه إلى الصحراء الموريتانية، تغلي غليان المرجل بالفتن، فاستقر بها، مشتغلا بوظيفته، عاكفاً على دروسه العلمية، بالكلية اليوسفية، ورواد العلم وطلابه يتواردون عليه من كل ناحية.

وقد وافقت مدة إقامته بمراكش دخول الشيخ أبي العباس أحمد الهيبة بن الشيخ ماء العينين إليها داعيا إلى نفسه، ووصول الحملة الفرنسية لانقاذها ومحاربته.

فكانت للشيخ أبي شعيب رحمه الله في وسط هذه العواصف مواقف محمودة في تلك الأيام المشهودة، والساعات المعدودة، حذر فيها المتزلزلين، وأنذر المتهورين، وثبت المتربصين، إلى أن انكشفت الغمرة، ولم تكشف لأحد عورة، وخمدت نيران الثورة، ورجع الحق إلى نصابه، ببقاء الملك والسلطان بيد أربابه[308].

ويحدثنا المؤرخ الفقيه العباس بن إبراهيم المراكشي عن هذا الحدث، وموقف شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي منه بقوله :

---

(307) المرجع السابق، ص 6.

(308) شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي، ص 8.

وحدثني المحدث الحافظ العلامة قاضي الجماعة بمراكش إذذاك، وخطيب الحرم المكي، زاده الله عزاً وتشريفاً، الفقيه الوزير السيد أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي أصلا، المكي هجرة، أنهم وجهوا عليه بتاريخ 18 رمضان ليلا، فتلاقى بخليفته مربيه ربه، وكان في المجلس القاضي ابن عبد العزيز، فقال له الخليفة : هل عرفته ؟ يعني الشيخ أبا شعيب، فأجابه بأنه شيخ الإسلام مشرقاً ومغرباً، إلا أنه ارتد، فأجابه الشيخ المذكور بأن النبي ﷺ قال : «إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما»، فلاشك أن واحداً منا مرتد، وإنني أتيقن أن لست هو، وأنك أقررت لي بأني شيخ الإسلام، وعلومي هي الحديث، والتصوف والفقه.

ولا أستدل بالحديث، لئلا يعتقد في أنني من أهل الاستدلال، ولا أدعي هذا القدر، وأما التصوف، فإنني وإن كنت عرفته أوراقاً، فلم أكن أجيد فيه أذواقاً، فلم يبق إلا الفقه، فهل تحفظ باب الردة من المختصر ؟ فقال : لا أعرضه، فأملاه عليه، وقال له في أي قسم منها تجعلني ؟ فقال أخي لا أدري ؟، فقال له هل هذه الأخوة أخوة الإسلام، من باب قوله تعالى : ﴿إنما المومنون إخوة﴾، أو إخوة البشرية من باب قوله تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾، فقال له : إنك تلعن المجاهدين على رؤس المنابر، فقال لم أفعل، وهذا لا يوجب الردة لأنه ليس فيه تعيين، وعلى أنه لوعين لم يكن فيه كفر ولعله من باب قوله تعالى : ﴿ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾، فذكروا لك أني أقف على (ويل للمصلين) ولا أقيد، أو ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾، فنقلوا لك أني أقرأ ﴿لا تقربوا الصلاة﴾ وأقف.

وإلا فإني أذم المجاهدين الذين يكونون سبباً في أخذ بلاد الإسلام، فحذفوا لك القيد، كأبي عمامة، وأبي حمارة، وزعماء الشاوية، وبني مطير، وأضرابهم، ممن لا أحصيهم كثرة في شرق الأرض وغربها.

فكشف الهبة الستارة، وقال : إنه فكراش أي رجل شجاع.

ثم قال له : إنك تضعف المسلمين وتقول : إن أوربا تسع عشرة دولة، فقلت له: نعم إنها تسع عشرة دولة، وأما المسلمون فما ضعفتهم، فقال : إنه يحاربها جميعاً، فقال قائد المشور : إن والد سيدنا واعدنا بذلك وأنه ليس بكذاب.

وهاهنا انقطع الكلام في المذاكرة، ثم قال له : أرسل إلى دكالة يأتون، وإلى السيد عيسى بن عمر، فقال له : لا أستطيع ذلك، فقال له : (لا تثريب عليكم اليوم

يغفر الله لكم)، ثم قال له : إن هؤلاء الولاة لم يعطونا ذهباً ولا فضة، فقال له : إن الأولى لك معاملتهم بالرحمة[309].

فمن خلال هذه المحاورة العلمية، والمذاكرة الوطنية، في تلك الأجواء العصبية، والمحنة الرهيبة التي مر بها المغرب وقف شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي - رحمه الله - علما بارزاً، ومناضلا عزيزاً، متشبعاً بوطنيته، وحب أميره، فكان نعم المكافح والمنافح عن وطنه، وعن الشرعية التاريخية، والدينية المتجلية في مَلِكه.

كما يستفاد من خلال ذلك الاستجواب، قوة عارضة شيخ الإسلام، وحضور جنانه، وثبات أركانه، في إيراد النصوص الدينية، والآثار التاريخية المناسبة للمقام، ورد الشبهات والأوهام العالقة بالأذهان والأفهام، حتى هدأت الأوضاع، وزالت الأوجاع.

فخرج المغرب - في تلك الأونة بإذن الله - سليماً من الفوضى والاضطراب والصراع.

قيام شيخ الإسلام بالتدريس على أوسع نطاق :

هيأ الله سبحانه شيخ الإسلام أبا شعيب الدكالي ورصده للعلم والمعرفة منذ نعومة أظفاره، تعلماً، وأخذاً، وصبراً على التلقي.

وكانت مواصلة التبليغ والتدريس في الكبر، من نتائج تلك الدراسة المباركة في الشباب والصغر.

فكان رحمه الله، وطيب ثراه، خزانة متنقلة للعلوم، أينما حل وارتحل.

إذ قام بالتدريس وهو طالب فوق أرض المغرب ضمن مدارسه العلمية المعروفة آنذاك كمدرسة سيدي الزوين، ومدرسة الشماعية.

وقام وهو طالب علم أيضاً بالتدريس في رحاب الأزهر، ثم كانت النهضة العلمية التي تصدى لها في رحاب الحرمين بأرض الحجاز.

---

(309) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج 2، ص 479 وما يليها، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية.

وكانت للشيخ أبي شعيب الدكالي زيارات متواصلات لوطنه أرض المغرب، فكانت له صولات وجولات للتوعية، وإلقاء الدروس العلمية المتنوعة في كل مكان حل به.

وحظيت مدن مراكش، وفاس، والرباط من بعد بالحظ الأوفى والأوفر من تلك الدروس الزاهرة، منذ عهد المولى عبد الحفيظ، قبل أن يستقر بأهله بمدينة الرباط من بعد، فكان هناك لشيخ الإسلام جهاد علمي متواصل، وكان هناك توجيه، وتنوير، وتوعية عارمة من أجل رفع الهمم، وإيقاظ العزائم للتعلق بأذيال العلم، والمعرفة، على أوسع نطاق.

فحدث عما شئت من علوم قرآنية، وقراءات مروية، بإتقان واتزان وروية، وأحاديث صحيحة نبوية، وخلافات عالية، مؤيدة بالأدلة والبراهين الوافية، وفقهيات مذهبية، موجهة بالآيات والأحاديث والأقوال القوية.

وحدث عما شئت مما يورده شيخ الإسلام من علوم لغوية، وبلاغيات راقية، ونكت، وحكايات أدبية.

فكنت كلما دخلت رياضاً من تلك العلوم، وإلا وخرجت إلى فجاج واسعة، ومسالك شاسعة من المعارف والفهوم، والله يأتي فضله من يشاء وهو الحي القيوم.

ففي رحاب مراكش الفيحاء يحكي نموذجاً من تلك الدروس الزاهية، تلميذ الشيخ : الفقيه الحسين بن محمد المسفيوي قائلا :

ثم رجع (الشيخ) من الديار المشرقية إلى المغرب بعدما زار أهله، وذويه بدكالة، ثم رجع ثانياً لمراكش بتاريخ 1321هـ آخر ملك السلطان مولانا عبد العزيز المحفوظ بالعناية الربانية، والسطوة المحمدية، فاتصل بخليفته العلامة مولانا عبد الحفيظ قبل سلطانيته، فأكرمه بما يستحقه وأجله ونوه به غاية التنويه، وأخذ عنه.

فافتتح في مسجد الشرفاء بالمواسين موطأ إمامنا مالك إمام الأئمة، فجلس على كرسي منصوب له تعظيما لعلمه، وللأحاديث النبوية، تعلوه هيبة ووقار، ويلوح عليه جمال وأنوار، يحضر مجلسه عدد كثير من الناس من بينهم المدرسون وذوو الحيثيات من سائر الطبقات، يلقي من أحاديث بقية الكتب الستة، زيادة على

أحاديث الموطأ العجاب، يتحير في حفظه، وحسن تعبيره، وفصاحته، واستحضاره، أولو الألباب.

يستنبط استنباطات مستعذبة، ويبدي نكتا مستغربة ومستبدعة، يستدل بها على ما في الشيخ خليل رحمه الله، وغيره من الأحكام بعد ما يأتي بنصه لكونه من جملة محفوظاته، كما يستدل كثيراً بقصائد العرب العرباء وغيرهم عند احتياجه للاستدلال بها، لحفظه كثيراً منها يعلمه من حضر تدريسه.

ويعارض بالمذاهب الأربعة، ويستشكل فيما بينها، فيجيب عن كل معارضة وإشكال بأجوبة يعرفها من ألقى السمع، كما أنه إذا تعرض لقراءة من القراءات، أو تفسير آية من الآيات يبدي ويعيد، ويوضح ويفيد.

مجلسه في كل العلوم لا في خصوص علم الحديث والتفسير، مجلس إجادة وإفادة، يزدحم عليه كل الطبقات على اختلافها، وكل ينال من علومه على قدر فهمه، وذكائه.

والملازمون له، والراحلون إليه ورثوا من علومه بالفرض والتعصيب، على رغم أنف الوقت العصيب.

إن صناعة التدريس، وتشجيع الطلاب، باستنهاضه لهم، باتيانهم معه بالشواهد من المختصر وغيره، وتشديد النكير على أهل البدع والبطالين من الطلبة، وإرادة الخير لجميعهم، والحث على القيام بالأمور الدينية، والمحافظة على ما تسود به الأمة المحمدية، أمر معلوم شهرته تغني عن ذكره، والحاصل هو آية في العلوم كلها[310].

وفي رحاب مدينة مراكش الحمراء يذكر أيضاً تلميذه الأبر الأستاذ محمد المختار السوسي، أن شيخ الإسلام حين قدم مراكش عام 1323هـ، ألقى دروساً حافلة، وهو لا يزال في العقد الثالث من عمره، وكان يحضر دروسه أساطين العلم المسنون، كابن إبراهيم السباعي وأمثاله[311].

(310) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 131 وما يليها.

(311) ترجمة محمد المختار السوسي ضمن مشيخة الإلغيين.

وأورد تلميذه الأشهر الأستاذ عبد الله كَنون أن الشيخ أبا شعيب الدكالي الذي سماه «محمداً عبده المغرب»، لما عاد إلى بلده عام 1325هـ، من رحلته العلمية الطويلة في بلاد المشرق التي أراد أن يحيي بها عهد يحي الليثي، ومحمد الأصيلي، ودراس بن إسماعيل، وأبي عمران الفاسي.

وكان قد أشبع نهمته من العلم، وقضى حاجته من المعرفة، فحل بين قومه حلول الخصب بعد الجدب، والأمل بعد اليأس، إذ كان رسولَ حياة علمية صحيحة تنفخ فيهم روح اليقظة، والنهوض، وتبعثهم على نبذ الكسل، والخمول وراءهم ظهرياً.....

كان الشيخ قد طوف بلاد المشرق، ورأى الحركات الناشئة فيها من سياسية، واجتماعية، ودينية، وهو يعلم ما خلف في بلاده المغرب من تدهور، وانحطاط، وجمود وخمود.

فلما رجع رفع عقيرته بدعوة إصلاحية عامة، غايتها إيقاظ الأمة من غفلتها، وتنبيهها إلى واجباتها الدينية، والدنيوية، والارتفاع بها عن مستوى الخالفين.

فما كان من الأمة إلا أن أقبلت عليه إقبال الظمآن على الماء، وتلقت قوله بالقبول، لاسيما وقد كان وعاء مليء علماً، وشخصية مؤثرة بروحها، وأخلاقها، ومظهرها.

وأمتنا - والحمد لله - مازالت تدين لله بتعظيم العلم، وأهله، وترفع مقامهما وتجل أقدارهما.

وكذلك مازالت تخفض من جناحها لذوي الفضل، والكمال، وتلين من جانبها لهم في كل زمان ومكان.

وهكذا أصبحت القلوب مجمعة على حب الشيخ أبي شعيب، واحترامه، سواء من العلماء أو من غيرهم، من الشيوخ أو الشبان، فلم يكن يخالف عليه أحد لا من هؤلاء ولا من هؤلاء، وحصل على رئاسة العلماء الحقيقية التي لم يحصل عليها أحد بالمغرب منذ وفاة الفقيه «كَنون الكبير»، في أول هذا القرن[312].

---

(312) التعاشيب، ص 89 وما يليها لعبد الله كَنون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، عام 1975.

المحبة المتبادلة بين الشيخ أبي شعيب الدكالي وأهل مراكش :

كانت أول مدينة رحل إليها، وفتح الشيخ أبو شعيب الدكالي عينيه الكريمتين عليها، هي مدينة مراكش الحمراء، مدينة العلم، والأصالة، والوفاء.

كان ذلك في عهد المولى الحسن الأول - كما أوردناه في بداية حياته - حين حصل له الاختيار ضمن حفاظ المختصر الخليلي.

ثم كتب للشيخ أبي شعيب الدكالي أن يأخذ قسطاً من العلم على بعض شيوخ هذه المدينة المباركة، وأن يدرس ببعض مدارسها القرآنية، كمدرسة سيدي الزوين وغيرها.

وترسخت الذكريات الجميلة، والمواقف الجليلة لمدينة مراكش، في ذهن الشيخ أبي شعيب الدكالي، حين كان يزور هذه المدينة العتيدة، ليلقي الدروس العلمية العالية بها.

وازداد الأمر رسوخاً حين استوطنها، وهو يتولى منصب القضاء بها أواخر عهد المولى عبد الحفيظ.

وكان في جميع الأحوال يواصل التدريس، ويقوم بالتوعية والتعليم في رحاب مساجدها الزاهرة، كمسجد الكتبية، ومسجد الشرفاء (المواسين)، وجامع ابن يوسف الأعظم.

ونظراً لتلك الوشائج المتينة، والروابط المكينة، بين شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، وبين مدينة مراكش وأهلها، تكون بين الجانبين حب متبادل، وتقدير متواصل.

وكان الشيخ أبو شعيب الدكالي يصرح بهذه المحبة الخالصة، والمودة الأصيلة، على رؤوس الاشهاد، ويقول :

«يا أهل مراكش إني أحبكم» فترى جوابهم اخضلال لحاهم بكثرة البكاء من شدة فرحهم بمقالته.

وكان في الغالب ينزل في حي المواسين، ويؤثر جامع المواسين أيضاً، كأنه ساير من يحن إليها من الأدباء القائل :

بـالـلّـه، إن وطـأت مـراكشـاً قـدمك　　　وجـزت يـومـاً عـلـى تـلك الـبسـاتين
أن لا تـقـدم أمـراً قـد هـمـمت بـه　　　حـتـى تحي سـكـان المواسين[313]

ولـيس ذلك غـريـبـاً عـن شـيـخ تجمـعـه بمدينـة مـراكش ذكريات الطفولة، والشباب، وما بعد الشباب.

وكان أهل مراكش يبادلون شيخ الإسلام نفس المحبة، والشعور، والوئام، وينظرون إليه نظرة إجلال، واحترام.

وكان إذا حل مراكش هرع الناس للسلام عليه، لما كان عليه من سعة الأفق، وشمولية المعارف، ودماثة الخلق، وهيبة العلم.

وذكر تلميذ الشيخ العلامة محمد بن عبد الرازق في ترجمته للشيخ أنه :

كانت جماعة من العلماء بمراكش تجتمع في كل أسبوع منهم العبد الضعيف (يقصد نفسه محمداً بن عبد الرازق)، فاجتمعنا مرة في عرصة مولاي عبد السلام، فلما قدم الشيخ شعيب رحمه الله إلى مراكش، وسأل عنا، أخبر بأننا في عرصة مولاي عبد السلام، فجاء عندنا من غير إشعار، فلا تسأل عما حصل للجميع من الفرح، والسرور، وقد مرت تلك العشية في جو لا يمكن وصفه، وراحت في ذلك المجلس مـبـاحث عـلـمـيـة، ونـوادر أدبـيـة، ونـكت طـريـفـة، وحـكم بـديـعـة، ونصـائـح مفيدة[314].

وحكى العالم الأديب محمد المختار السوسي عن شيخه أبي شعيب الدكالي أنه :

من أعجب ما شاهده أن بعض العظماء يردون إلى مراكش ثم لا يشيع أنهم واردون إليها إلا بعد يوم أو يومين، وأما الشيخ فلا يكاد يحط رحله أمام درب عزوز (بالمواسين) ويلج دار صاحبه سيدي عثمان المسفيوي، حتى نرى الناس يتواردون للسلام عليه، زرافات ووحداناً، كسلسلة لا تنقطع إلا في أوقات تناول الطعام، ثم لا تصل المغرب حتى يكتض بهم «الجامع المُواسيني»[315]، ينتظرون درس الشيخ.

(313) الترجمة الخاصة للشيخ لمولاي أحمد العدلوني مرقونة على الآلة الكاتبة.

(314) الترجمة الخاصة للشيخ لمحمد بن عبد الرزاق، مخطوط خاص.

(315) نسبة إلى المواسين.

وقد ورد مرة بين الظهرين، ولم تصل المغرب حتى تقاطر الناس من نواحي المدينة النائية، كالقصبة، وباب أيلان، والزاوية العباسية.

وهكذا تكون المحبة إذا تأصلت في القلوب لرجل، فإنها تنقاد إليه انقياد المطايا الذلل ببراتها.

وعهدنا ببعض العلماء الأجلة الكبار عند أنفسهم، إذا ورد أحدهم إلى الحمراء، فإنه لا تكون لدروسه الأبهة، إلا إذا كان ذلك على يد السلطة التي توعز إلى الناس أن ينحشروا.

وأما الشيخ فإن الناس ينحشرون من عند أنفسهم ببساطة، وسذاجة، ثم يكون له، ولدرسه، لوقعه في القلوب ما لا يكيف، ولا يوصف، فمن كان مدركاً لدقائق العلوم، فإنه مبهور بالتحقيقات التي يتفجر بها الشيخ من منصه، ومن كان عامياً أو بليداً فإنه يعجب بتلك الفصاحة الخلابة التي تسحر رناتها ذوي المسامع[316].

وقد برزت محبة أهل مراكش، وتقديراتهم في صورة أخرى لشيخ الإسلام في أشعار أرسلوها، في مدح الشيخ، وإظهار محامده، وخصاله العلمية، والأخلاقية والإصلاحية[317].

كما عبر عن ذلك تلامذته في رسائل، وكلمات تأبينية[318]، وسندرج هذه الآثار - إن شاء الله - ضمن ما قيل في الشيخ من قصائد، وكلمات، سواء في حياته أو بعد مماته.

ثانيا : الشيخ أبو شعيب الدكالي في عهد المولى يوسف العلوي :

أ - تولي الشيخ أبي شعيب وزارة العدل :

في غضون اعتلاء المولى يوسف العرش العلوي المجيد[319]، كان الشيخ أبو شعيب الدكالي قاضياً بمدينة مراكش ينوب عنه ابن عمه السيد الطاهر بن حمو الصديقي.

---

(316) ترجمة الشيخ أبي شعيب ضمن مشيخة الإلغيين من الحضريين.

(317) كما فعل مؤرخ مراكش العباس بن إبراهيم، والشاعر مولاي أحمد النور، والشاعر عبد القادر حسن العاصمي وغيرهم، ومن المدن المغربية الأخرى كفاس، والرباط ومكناس الخ...

(318) أمثال الفاروق الرحالي، والحسن الزهراوي، وعبد الكبير الزمراني، وغيرهم من أنحاء المغرب كالأستاذ علال الفاسي، وعبد الله كَنون، والحاج أحمد بن شقرون الخ....

(319) كان ذلك بعد تنازل السلطان المولى عبد الحفيظ رحمه الله، في أحداث عصيبة معلومة سبقت الإشارة إليها، فانعقدت البيعة لأخيه السلطان المولى يوسف (29 شعبان 1330) - (13 غشت 1912) فانتقل =

كما كان قائماً بشؤون العلم وتبليغه أينما حل وارتحل.

فإذا بالأمر المولوي يصدر بتولية شيخ الإسلام منصب وزارة العدلية - التي كانت تسمى بها آنذاك - تقديراً لعلمه، وقوة عارضته، وأمانته، وصدق وطنيته، وذلك بتاريخ 20 ذي القعدة 1330هـ موافق 31 - 10 - 1912م، وبناء على ذلك صدرت كتب ورسائل سلطانية لقضاة المغرب، إعلاماً لهم بولايته، والكون عند إشارته.

ونص الكتاب الشريف الواصل إلى نائب قاضي سلا :

الحمد لله وحده... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الطابع اليوسفي الشريف

الفقيه الأرضى النائب في الأحكام الشرعية عن قاضي سلا السيد علي عواد.

سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد :

فبمقتضى ما أوجبه الله علينا من النظر في مصالح رعية دولتنا الشريفة، وحقوقها عموماً، وخصوصاً الحقوق المتعلقة بالشرع المطاع، قد أمعنا النظر بكمال اهتمام، فيما هي عليه وظيفة القضاء في هذه الظروف الوقتية، فألقيناها بحال لا يسع السكوت عنه، بل يجب شرعاً وطبعاً تهذيبه وتنقيحه، حتى تجري أمور الشرع استقبالا على مقتضاها.

ولأجل ذلك، انتخبنا الفقيه العلامة السيد الحاج شعيب الدكالي الصديقي، وزيراً للأمور العدلية بدولتنا الشريفة، لكمال أهليته لذلك المنصب الشريف.

وأسندنا إليه النظر في كل ما يرجع للأمور الشرعية، والعقارية، وفي مراقبة الأحكام الصادرة فيها من القضاة.

وعليه فنأمرك أن تكون عند إشارته في كل ما يكتب لك به، مما رآه جارياً على النهج الشرعي، والسبيل المرعي، وتنفيذه طبق ما يكتب لك به.

= من فاس إلى رباط الفتح، وكان أول ما بدأ به إعادة نظام المخزن الشريف، فأصدر ظهيراً شريفاً بتاريخ 10 ذو قعدة (10 نونبر) من السنة المذكورة جاء فيه :

إن وزير العدلية يكلف بكل ما يتعلق بأمور الشرع، وتنفيذ الأحكام المتعلقة بالعقار الخ...

انظر شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي، ص 80.

وسيرد عليك قريباً بحول الله ضابط في كيفية التمشي في الخطة، مؤسس على المهيع الشرعي، لتقتفي أثره حذواً بحذو، وتكتب لمن عسى عندك من النواب بالبادية، بما سيبين لك في ضابطهم، وتحذرهم عاقبة الخروج عنه.

وأعلمناك لتكون على بال من ذلك.

وقد كتب لغيرك من سائر قضاة إيالتنا الشريفة بمثله.

والسلام في ثالث ذي الحجة الحرام عام ثلاثين وثلاثمائة وألف (1330) (13 نونبر سنة 1912).

وقد لخص المؤرخ العالم عبد الرحمن بن زيدان هذه المرحلة من حياة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي حين توليته وزارة العدل بقوله :

ولما حالت الأحوال، وخيمت بكلكلها الأهوال، وفشا الاستبداد، ومدت أيدي العمال العاديه إلى التهجم على الحكم في القضايا الشرعية، وأخذ يتقلص بسبب ذلك نفوذ القضاة، وتداخلت الخطة الشرعية مع خطة العمال، وكثرت المظالم، واشتد الخطب وعظم.

كان فاتحة أعمال الجلالة اليوسفية عندما تسنمت عرش سلفها المتقين، النظر في رتق هذا الفتق العظيم، فأصدرت ظهيراً شريفا، قررت فيه وزارة العدلية، وأسندت النظر في تنظيمها، وتسيير شؤونها على السند الشرعي إلى الحافظ الأشهر، أبي شعيب بن أبي عبد الرحمان الدكالي.

فقام بما أمكنه من الصلاح، وسعى ليرد المياه إلى مجاريها جهد استطاعته، وضم لهذه الوزارة استيناف أحكام القضاة، والنظر في المصارف الإسلامية[320].

وفي هذه الآونة عين السلطان المولى يوسف أبا عبد الله محمداً العربي الناصري[321]، نائباً عن الشيخ أبي شعيب الدكالي في وزارة العدل.

وكان محمد العربي هذا من تلامذة الشيخ، وله به اتصال، ومودة، وأخوة، شأن أسلافه من آل الناصري، فأضحى للشيخ نعم المؤازر المساعد في تحمل أعباء الوزارة.

---

(320) العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج 2، ص 53، لمؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الملكية، الرباط عام 1382 - 1962.

(321) هو الابن الأكبر للشيخ أحمد بن خالد الناصري صاحب كتاب الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى.

وقد حصل تنظيم وزارة العدل آنذاك على أسس ومبادئ اتسمت بالجدة، والحركة، والحيوية وشملت ما يلي :

1) **إصلاح القضاء :**

إذ تمت مراجعة تولية القضاة باشتراط الكفاءة والمعرفة الكافية بالأحكام الشرعية مع النزاهة.

2) **إصلاح مهنة العدالة :**

وذلك بأن لا يتولى هذه الخطة إلا من كان أهلا لها علما، وديناً، ومروءة وصلاح حال، مع مراعاة أن لكل زمن عدوله.

3) **إحداث لجان الامتحان، والترقي، والتأديب لكل من القضاة والعدول.**

4) **إصلاح خطة الفتوى :**

إذ صدرت الأوامر بقصر الفتوى على الفقهاء والعلماء الأجلة المشهورين، ضماناً للحقوق، وصيانة لها من تطويل الدعاوي، والتماطل في فصلها عاجلا[322].

وفي ظل هذا التطور الإصلاحي في منحى خطة العدالة والقضاء، أصدر الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله، منشوراً متعلقاً بكيفية إجراء المسطرة الشرعية المؤرخ في 29 رجب عام 1333هـ موافق فاتح يونيو سنة 1916م.

وقد مزج هذا المنشور بين مبادئ المسطرة المدنية وبين أحكام المسطرة الشرعية.

ويعد هذا المنشور فتحاً جديداً في الاصلاح، وحماية الحقوق في عهده، كما يتجلى ذلك من ديباجته.

ونورده هنا لأهميته، وأنموذجاً لما قام به شيخ الإسلام من جهود في هذا المجال.

منشور من وزير العدلية في كيفية إجراء المسطرة الشرعية :

لما كانت أحكام بعض القضاة في الحواضر والبوادي توجد غالبا عند تصفحها بمجلس الاستئناف مختلفة المبني من عدم ترتيبها على المسطرة الشرعية وإجرائها

---

(322) انظر تفصيل ذلك ترجمة جعفر الناصري للشيخ.

على القواعد الفقهية واهمال ما يجب اعتباره في المقام عند تسجيل الأحكام مما هو ضروري عند الجهابذة الاعلام تعين تنبيه الجمع على فصول لابد من مراعاتها والمحافظة عليها واعتبارها وذلك إما في المقال والجواب وإما فيما يبنى عليه الحكم من الأسباب كالشهادات والآجال والاعذار وغير ذلك من الأمور الواجبة الاعتبار لتجري الأحكام المسجلة على نسق وترتيب ويقل فيها المخطئ ويكثر المصيب وتقصر المدة التي تنفذ فيها الأحكام ويتوصل ذوو الحقوق إلى حقوقهم وتنحسم مادة الخصام إذ الاستئناف ما جعل إلا لتصحيح الأحكام وامضائها أوردها ونقضها لا لاجراء المساطر القضائية وإعادة الدعاوي وسماع البينات لأن ذلك من وظيف القضاة وإذا كانت الأحكام مبنية على أساس صحيح شرعي مستوفية للترتيب الواجب المرعي سهل النظر فيها وأمكن في الغالب تصحيحها ولا تحتاج إلى إعادة وتطويل ومراجعة وتكميل إذ بذلك يتعذر استيفاء الحقوق وقطع النزاع الذي نصبت لأجله الحكام وشرعت الشرائع وقررت الأحكام.

الفصل الأول

لابد من تقييد المقال والجواب والآجال والتلوم والإعذار وسائر ما يروج لدى القاضي في الدعاوي المهمة ويكون ذلك بشهادة عدلين وخطاب القاضي.

كما أنه يتعين بيان المدعين والمدعى عليهم وتعيينهم بأسمائهم وحصر الدعوى إذا كانت في غير الميراث، فإن ادعى المدعي شيئا بيد غيره فمعلوم أنه يكفي الحائز المدعى عليه جوابه بالحوز والملك ولا ينزع الشيء المدعى فيه من يده ويكلف المدعي حينئذ بالإتيان بما ينفعه شرعا لإثبات ما يدعيه وتجري الدعوى على قاعدة الاستحقاق.

الفصل الثاني

إن ادعى المدعي أن الشيء المدعى فيه صار إليه من موروثه فإنه يكلف أولا بإثبات موته وعدة ورثته وتناسخ الوراثات إلى أن وصل إليه وان كان معه غيره من الورثة وطلب خصمه منه جمعهم له حضروا كلمهم إن لم يكن فيهم غائب أو وكلوا واحدا.

الفصل الثالث

إن كان أحد الخصمين نائبا عن غيره فلابد من إثبات وجه النيابة توكيلا أو إيصاء أو غيرهما وأن يتحقق القاضي بصحة ذلك الوجه وكفايته شرعا ويبين النائب والمنوب عنه باسمائهما وإن كانت الدعوى على شخص حي موجود فلا إشكال وإن كانت على ميت فلا تتوجه على ورثته إلا بعد إثبات الموت وعدة الورثة وتناسخ الوراثات إلى أن تعلق الحق بالموجودين.

الفصل الرابع

تبين الدعوى بيانا شافيا حتى لا يكون فيها إبهام ولا إشكال فإن كانت في أرض مثلا بينت حدودها والمكان الذي هي فيه ووقت ترامي المترامي عليها وسبب سكوت المدعي إن سكت مدة طويلة.

وإن كانت في شيء من الذمة بين قدره وصفته وسكته وسبب ترتبه من بيع أو غيره وأن المدعى عليه حاز السلعة مثلا وبقي الثمن في ذمته إلى وقت الدعوى.

وإن كانت في شيء من ذوات الأمثال بين الكيل والوزن أو العدد أو فيما لا تضبطه الصفة، فلابد من بيان القيمة.

الفصل الخامس

الجواب يكون مطابقا لفصول الدعوى إقرارا وإنكارا وإذا كان في الجواب إجمال بين حتى يكون واضحا ولا يبقى فيه إشكال بحيث لا يتوقف عند النظر فيه إلى إعادة بيان.

الفصل السادس

إذا أجاب المدعى عليه في الاستحقاق بقوله حوزي وملكي يكتفي منه بذلك ولا يكلف ببيان مدخله ولا بإظهار حججه قبل إثبات المدعي ملكيته كما يجب وقبل الاعذار فيها للمدعى عليه كما نبه عليه في الفصل الأول.

الفصل السابع

لا يكلف الأوصياء بالجواب عن الدعوى على المحاجير بتعمير الذمة ولا بالمعاوضات لا بإقرار ولا بإنكار إذ الدعوى على المحجور بذلك غير معتبرة شرعا فلا تسمع ولا تفيد[323].

الفصل الثامن

شهادة الشهود تكون مفسرة لا إجمال فيها ولا لبس بحيث تكون في الملكية مثلا محتوية على الشروط الخمسة المقررة مع عدم التفويت إلى تاريخ الشهادة وتكون متضمنة لمستند العلم. كما أن شهادة التوجيهات والتلقيات تقيد حسبما يتلقى من الموجهين والمتلقى منهم وتكون كذلك واضحة بحيث يفسرون جميع ما يشترط في تلك الشهادة إن أمكنهم ذلك فلا يكتب الوثائق بين الناس إلا أهل المعرفة بها.

وشهادة الموجهين لابد أن يكون أقل عدد شهودها اثنين فأكثر ولا يكفي واحد ولابد من تقييدها عند عدلين ومن الخطاب عليها لا كما يفعله بعضهم من الاكتفاء بتقييد غير مكتوب بشهادة عدلين ولا مخاطب عليه.

الفصل التاسع

لابد من كل وثيقة من النص على معرفة المشهود له وعليه أو وصفهما وصفا كافيا ظاهرا يحصل به التمييز ولا يكتفي بالتعريف الذي غلبت فيه الدلسة والتلفيف سيما في الحقوق العظيمة وفي الشهادة على النساء إلا مع التعذر فيكون الاكتفاء بالتعريف من العدول الحذاق الذين لا تتمشى عليهم الحيل.

الفصل العاشر

إذا كان رسم قديم فلابد من الرفع عليه بعدلين فلا تنسخ الرسوم بقصد التمسك بها بلا وضع خطاب قاضي مع التسجيل عليه ولا تنقل بعلامة العدلين الناقلين فقط كما يفعله بعضهم بل لابد من إحضار الأصل عند القاضي والاشهاد عليه بصحته عنده وإن كانت فيه ريبة من محو أو بشر وما أشبههما غير معتذر عنه نبه على ذلك كله.

---

(323) راجع المنشور المؤرخ في 11 قعدة 1351 الموافق 8 مارس 1938 في الدعاوي المالية الموجهة على القاصرين.

ولا ينسخ الرسوم القديمة إلا قوي العدالة الفطن السالم الإدراك فذلك أحوط في نفي للزور وابطاله.

الفصل الحادي عشر

لا تقيد الشهادات بالمعاوضات وتعمير الذمم على من يكون محجورا عليه بسبب من أسباب الحجر المعلومة بحيث يتحرى العدول عدم الشهادة على من يتوهم فيه حجر إذ ربما يكون المشهود عليه محجورا فيضيع مال الغريم.

الفصل الثاني عشر

لا يتقدم إلى الشهادة بالوصايا والأحباس إلا العدول الفقهاء العارفون بأحكام ذلك إذ ربما شهد على الموصي أو المحبس بشيء وكتب عنه في الرسم عبارة مغايرة لقصده ويتنبه العدول المتقدمون لذلك على تفصيل الشهادة وتوضيحها وبيانها بيانا تاما والاحتياط في اتمام جميع شروطها التي لا تصح بدونها وإذا اقتضى الحال تنبيههم للموصي أو المحبس على ما يلزم على اشهاده شرعا فلابأس بذلك فإن كثيرا من المنازعات والمخالفات في الوصايا والأحباس المعقبة منشأها جهل الشهود وإجمالهم فيما يجب فيه البيان واخلالهم ببعض الفصول التي لابد منها.

الفصل الثالث عشر

إذا أدلى الخصم بحجة نظر القاضي فيها فإن كانت تامة الشروط شرعا ليس فيها اجمال ولا نقصان مما تتوقف عليه صحتها أعذر لخصمه فيها ويضرب له الأجل المقرر له شرعا ويقيد عقب رسمي المقال والجواب وعند تمامه يوقفه القاضي ويسأله بمحضر عدلين هل له حجة أم لا فإن أدلى بها نظر فيها أيضا فإن كانت مفيدة اعتبرها وإلا ألغاها.

وبعد انصرام الآجال المعتبرة في الدعوى والاعذار كما يجب حكم فيها بمقتضى القول المشهور أو الراجح أو المعمول به وعجز فيما يسوغ فيه التحجيز من الأحكام.

ويكتب الحاكم بذلك كل من المتداعين بعد نسخ جميع ما بنى عليه حكمه من الوثائق والبيانات والنصوص والفقهيات الشاهدة لحكمه ويكون ذلك مرتبا بحسب تاريخه في صك واحد مخاطبا على جميعه.

الفصل الرابع عشر

لا يبني القاضي حكمه على أمر مجمل لا في مقال ولا في جواب ولا على مناقضة ليست بظاهرة التناقض.

الفصل الخامس عشر

لا يحكم القاضي في شيء إلا بعد استيفاء آجاله وثبوت الاعذار فيما يكون فيه الاعذار ولا يؤجل أجلا إلا بعد انقضاء الذي قبله.

الفصل السادس عشر

لابد من إشهاد عدلين على الحكم ووضع علامة القاضي داخل التسجيل عليه إذذاك أحوط وأثبت لا كما يفعله بعضهم مما يخالف ذلك.

الفصل السابع عشر

لا يماطل في الدعاوي زيادة على ما هو مقرر فيها شرعا من الآجال المعروفة لأن فضل القضاء من تغيير المنكر فيقتصر فيه على ما يجب وإن امتنع أحد من اتمام الدعاوي فلابد من إيقافه ليسلم في دعواه أو يتمها لتنحسم مادة النزاع فيها ولا يمكن العود إليها مرة أخرى.

الفصل الثامن عشر

ينبغي للقاضي أن يشاور أهل العلم ويختار أمثل من يوجد منهم وأفضلهم علما ودينا ولا يستشير من سبق افتاؤه في عين الدعوى وإذا اختلفوا عليه فلياخذ بما ترجح لديه من قول أعلمهم ولابد من تسجيل حكمه بذلك ولا يكتفي بحكاية مشاورته لهم ويسند الحكم إليهم فإن الحكم لا يبني إلا على القاضي وحده.

الفصل التاسع عشر

لا يدعو القاضي للصلح مع ظهور وجه الحكم إلا إذا كانت الدعوى بين الأقارب وأهل الفضل المندوب فيها أمره لهم بالصلح وإلا مع خوف الفتنة الواجب فيها أمره بالصلح وهذه الصورة نادرة الوقوع وإذا دعا في الوجه المندوب فلا يكون على وجه الالزام والجبر بل على وجه الإشارة والإرشاد فقط فإن لم يقبل الخصوم فليحكم بينهم بصميم الحق وقد صار بعض القضاة يرتكب الصلح في غالب

القضايا ويجعله ذريعة للتوصل إلى إبطال الحقوق مع أن هذا لا يسوغ شرعا وقد عزل ابن عبد السلام قاضيا جبر على الصلح كما هو معلوم.

ومن الجبر عليه إحضار ذوي الوجاهة ومن يستحي منهم من الأشراف والعلماء لدى القاضي والإلحاح على صاحب الحق حتى يسلم حياء عن غير طيب نفس فإن ذلك حرام.

والحاصل من هذه الفصول التسعة عشر المسطرة والمسائل المحررة هو ترتيب الدعاوي على الوجه المعتبر فيها شرعا وتقييدها في صك واحد ليشار إلى رسومها المنعقدة فيها داخل الحكم إشارة صحيحة محسوسة وضعا والمبالغة في الاحتياط وتحرير المناط فإن النظر في جزئيات القضايا لا ينحصر فيجب التفات النظر لكل نازلة حتى لا يبطل حق أو يحق باطل.

حرر بالرباط في 29 رجب 1333 موافق لفاتح جوان سنة 1916.

وزير العدلية

أبو شعيب الدكالي

ب - رئاسة الشيخ أبي شعيب الدكالي للمجلس الاستينافي الشرعي الأعلى:

بتاريخ 21 محرم عام 1332 موافق 20 دجنبر سنة 1913، صدر ظهير شريف بإحداث مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى[324]، وأسندت رئاسته لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي بالإضافة إلى توليته لوزارة العدل.

وعين بهذا المجلس جماعة من العلماء الأعلام، لتعقب ما يصدر من القضاة من الأحكام، وفتحت أبوابه للخاص والعام.

كما سن له من الضوابط والقوانين ما يلائم وضعه، وموضوعه[325].

قال الأستاذ جعفر الناصري :

فعظمت بذلك سلطة الشيخ الشرعية والدينية، وازدادت شهرته، وزاد نفوذه انتشاراً واتساعاً[326].

---

(324) انظر ترجمة جعفر الناصري «شيخنا الوزير»، ص 11، نسخة خطية مصورة.
ويضاهي مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى آنذاك قضاء المجلس الأعلى الآن.

(325) (326) الترجمة الخاصة للشيخ لجعفر الناصري.

وإبان هذا المجلس صدرت عدة أحكام باسم الشيخ سنشير إلى نماذج منها ضمن آثار الشيخ مع فتاويه.

ج - تولي الشيخ أبي شعيب الدكالي إدارة المعارف والشؤون الدينية :

كان لإدارة المعارف والشؤون الدينية مندوب خاص بها، لكن أمام تعثر هذه المندوبية، وعدم حصول الفائدة المرجوة منها آنذاك، صدر ظهير شريف بتاريخ 12 رمضان عام 1332هـ (4 غشت سنة 1914) بالاستغناء عنها، وإضافة ما يتعلق بالتعليم الديني إلى وزارة العدلية لتتميم أعماله، وتهذيب منواله، لتقارب موضوعهما، وتناسق أجزائهما.

ثم صدر ظهير شريف مؤكد لما سبق، بتاريخ 22 ربيع الثاني عام 1333هـ (9 مارس سنة 1915) متضمناً التصريح بإسناد شؤون المعارف الإسلامية، والقائمين بالوظائف الدينية إلى وزير العدلية نفسه (الشيخ أبي شعيب الدكالي).

ونصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الطابع اليوسفي الشريف.

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره.

أنه بمقتضى ظهيرنا الشريف المؤرخ بـ 12 رمضان المعظم عام 1332، الموافق للرابع من غشت سنة 1914، المتعلق باسقاط إدارة المعارف الإسلامية من شريف أعتابها، لكون موضوعها من شأن وزارة العدلية، شرعاً، وعرفاً، وطبعاً.

أسندنا النظر لوزير العدلية في ضبط ما يتعلق بالمعارف الإسلامية، وضبط شؤون القائمين بالوظائف الدينية، ونأمره بمباشرة هاتيك الأعمال، وإدارتها على أحسن أسلوب، وأبدع منوال، رغبة في تحسين هيئتها، وعود كليات الديانة الإسلامية إلى نضارتها، وزهرتها، متبعاً في ذلك ما يرشد إليه من الإشارات الحسنة، والإرشادات المستحسنة.

والله يعينه ويسدده، ولصالح القول والعمل يرشده، والسلام.

صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله في ثاني وعشري ربيع الثاني عام ثلاثة وثلاثمائة وألف (1333هـ) (9 مارس 1915)[327].

وبمجرد هذا التعيين الكريم للشيخ أبي شعيب الدكالي، بادر الشيخ رحمه الله ضمن مهامه الدينية هذه، بابراز المجلس العلمي التحسيني للقرويين، للوجود بعد أن كان مجرد عزم فيما سبق من مشاريع.

وأقر على رئاسة هذا المجلس أبا العباس أحمد بن الخياط رحمه الله[328].

وخاطبه برسالة جاء فيها :

رسالة الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى الشيخ أحمد بن الخياط :

محبنا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأجل، سيدي أحمد بن الخياط، أمنك الله، وسلام عليك، ورحمة الله، عن خيز مولانا نصره الله.

وبعـد :

فقد اقتضى نظر سيدنا أيده الله، اسناد النظر في المعارف الإسلامية، وضبط أمور العلماء، وأرباب الوظائف الدينية، إلى وزارة العدلية.

وأناط بنا - دام علاه - إدارة أعمالها، وتهذيب شؤونها في سائر إيالته الشريفة، لتنتظم الدروس العلمية والمدارس، وتعمر منها الربوع الدوارس، ويعود للعلوم الإسلامية رونقها، وبهجتها، وكلياتها نضارتها وزهرتها، حسبما صدر أمره الشريف بذلك.

وعليه، فإنك قد أقررت في رياسة مجلس التحسين العلمي بتلك الديار الفاسية، لما عهد منك منذ قديم، من العكوف على بث العلم ونشره، مع الاخلاص، وحسن الطوية، ورسوخ القدم، وصدق الروية.

وسترد عليك المكاتب بما يتعين إجراؤه في تأسيس الضوابط الممهدة لذلك، والخطة التي يُسلك عليها فيما هنالك، بحول الله.

أدام الله وجود مولانا الإمام، لاحياء مآثر علوم الإسلام، ما خفقت بنصره الرايات والأعلام، وعلى المحبة والسلام.

---

(327) (328) الترجمة الخاصة للشيخ لجعفر الناصري.

رسالة جواب وتقدير من سيدي أحمد بن الخياط إلى الشيخ :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بحر العلوم الزاخر، الفقيه العلامة المشارك المحاضر، المحدث، البليغ، المذاكر، الوزير، الشيخ مولانا شعيب.

بعد السلام التام، عن خير مولانا الإمام، أيد الله نصره، وأطال للمسلمين عمره، فقد وصلني كتابكم الأجل، بأن سيدنا المؤيد، أسند النظر في المعارف الإسلامية، لوزارة العدلية،وأناط بكم دام علاه، إدارة أعمالها وشؤونها، في سائر إيالته الشريفة.

فقد أعطى القوس باريها، وأسكن الدار بانيها، وحلَّى جيدَ هذا المنصب بعد العَطَل، وما أحسن الصارم في يد بطل، وقسما بمن زان بك المعارف، وجعلك الرئيس العارف، لو خير العبد بين قَوْد أمانيه بِرَسَن، وبلوغه الأمنية من كل حسَن، وبين تكليفك كما أنت، لا تأخذك في الدين لومة، ولا تستفزك في نصيحة الإسلام قَعْدَة ولا قومة، لكان الأحبُّ تكليفَك، والأطبُّ توظِيفَك.

فلتدم شيخ الإسلام، علامة الاعلام، وارف الظلال، شريف الخلال، مُنعَم الدولة، نافذ القولة، ساهراً في مصالح الوطن والدين، ناهجاً نهج المهتدين، في ظل مولانا السلطان، ظل الأوطان، دامت أيامه منصورة، وأعداؤه مقهورة، وبنوده خافقة، ومواضيه بارقة.

وعلى المحبة والسلام.

في سادس عشر جمادى الثانية عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف (1333)، (فاتح مايو سنة 1915)[329].

ثم أرسل الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله كتباً ورسائل إلى كافة قضاة المغرب، يخبرهم فيها بإضافة مديرية المعارف الإسلامية إلى وزارة العدلية بناء على الأمر المولوي بذلك.

---

(329) أورد هذه الرسالة الأستاذ جعفر الناصري في ترجمته للشيخ.

كما كتب إلى قاضي فاس بالأخص مخبراً إياه بما تقرر في شأن إسناد النظر في المعارف الإسلامية إلى وزارة العدلية، وأن المكلف بالوظائف الدينية، والدروس العلمية في الديار الفاسية هو الفقيه العلامة سيدي أحمد بن الخياط رحمه الله.

وذكر الأستاذ جعفر الناصري أنه :

بمقتضى هذه الظهائر الشريفة، والأوامر المخزنية، الصادرة لقضاة مدن المغرب وعواصمه، استقل الشيخ رحمه الله بالنظر في شؤون الموظفين الدينيين كالأئمة، والخطباء، والوعاظ، وغيرهم، واختص بإدارة دواليب أعمال المعارف الإسلامية.

وانقطع اتصال القضاة بالقرويين والشؤون الدينية، بكافة مدن المغرب[330].

وعظم بذلك نفوذه، وامتد ظل رئاسته العلمية والشرعية، فأوى إليه القائمون بالدين، والآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر.

ثم حصلت فترة في استمرار سير الأشغال، فأوقفت حركة دواليب الأعمال، لعجز الميزانية الحبسية عن القيام بما يتطلب منها، إلى أن صدر ظهير شريف آخر بتاريخ 16 ربيع الثاني عام 1336 (29 يناير سنة 1918)، تضمن تقرير رواتب العلماء بفاس والزيادة فيها، وإحداث مجلس مراقبة العلوم الدينية الخ[331]..

فاعتمد الشيخ رحمه الله على هذا الظهير الجديد، وعمل كل ما في وسعه في التعجيل بتنفيذ الجرايات للعلماء والموظفين الدينيين، وإصلاح حالتهم المادية والأدبية.

وبعد ذلك توالت الأنظمة، والقرارات المخزنية الصادرة بإصلاح التعليم الديني، ورفع مستواه، حتى يساير روح العصر، والنهضة الجديدة بالمغرب.

أول إصلاح لجامعة القرويين تم في عهد الشيخ أبي شعيب الدكالي :

نظرة عامة عن جامعة القرويين قبل الإصلاح :

جاء في الترجمة الخاصة للشيخ لجعفر الناصري قوله :

لم يكن لجامعة القرويين نظام خاص فيما سلف، وإنما كانت ثَمَّ عوائد وقواعد مقررة، لا تختلف ولا تخرق، لأنها محفوظة في الأذهان، معلومة عند المخزن.

---

(330) كان القضاة قديماً يشرفون على النظام التعليمي، ويدخل في ذلك جامع القرويين.

(331) انظر نص هذا الظهير، الدرر الفاخرة، ص 136، لعبد الرحمن بن زيدان، المرجع السابق.

والمعروف أن شؤون العلماء والتعليم بالقرويين في عهود دولتنا الشريفة - أيدها الله - كانت راجعة إلى الوزارة الكبرى، أو إلى وزير الشكايات.

وكان السلاطين المقدسون : المولى إسماعيل، وسيدي محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، من أشد الناس اعتناء بالقرويين وعلمائها.

وفي عهد السلطان المولى الحسن الأول رحمه الله، تخصصت شؤون التعليم والعلماء، بوزير الشكايات، والذين كانوا يتلقون الأوامر منه هم القضاة، لأنهم نواب السلطان في الأمور الشرعية كلها، وكان لهم القول المسموع، والكلمة النافذة في التقديم والتأخير، وتعيين رواتب العلماء وتقديرها، وتنفيذ الصلات والمكافآت التي تخصص لهم أو لبعض أفرادهم في كل مناسبة.

وبالجملة كان لهم النظر المطلق في التعليم، وشؤون العلماء إدارياً، وفنياً..

أما من الناحية الإدارية :

فقد كان النظار والأمناء بالمراسي، يتولون تنفيذ الجرايات عند أمر القضاة بها، مع استشارة السلطان، ورد الأمر إليه، ليصادق عليه.

وأما من الناحية الفنية :

فقد كانوا يراقبون سير الدروس، ويقدمون من فيه الأهلية، ويأمرون بتدريس كتاب مثلا، ومنع تدريس كتاب آخر، بعد مراجعة السلطان أيضاً.

كما أنه لم تكن لترتيب الدروس قواعد مدونة، كما هو الشأن اليوم، وإنما كان المدرس يختار الفن، يريد تدريسه، فيشرع في إقرائه بحسب اقتراح الطلبة.

وقد يدرس بعضهم فنوناً مختلفة في أوقات مختلفة، إذا كان من ذوي المشاركة والاطلاع.

وكانت الفنون التي تدرس في القرويين في العهد الأخير قبل النظام منحصرة: في الفقه، والنحو، والأصول، والمنطق، والتوحيد، واصطلاح الحديث، والبلاغة، والمعاني، والبيان، والبديع، في أوقات خاصة، وأيام معلومة.

ولم يكن لطالب العلم حد ينتهي إليه في الطلب، أو مدة معينة يستوفيها، وإنما كان يهاجر من بلده إلى القرويين، ويلازمها إلى أجل غير معلوم، وربما أقام بالمدرسة عشرين أو ثلاثين سنة، لأنه لم يكن هناك امتحان منظم في أوقات معينة...

وإنما كان التمييز يحصل بالشهرة في العلم، وبالتدريس، أو التأليف، وكل من آنس من نفسه أهلية نصب نفسه للتدريس، أو يعطيه أشياخه إجازة، ويقدمونه للقيام به، أو يقيم موجباً بأهليته، يشهد له فيه أشياخه الذين قرأ عليهم، أو يأذن له الناظر، وقد كان هذا العمل جارياً في الأزمنة المتأخرة لا غير، أما فيما قبل ذلك، فقد كان الملوك يأمرون باجراء امتحانات عامة عند الموجب، ومن نجح فيها أُذن له في التدريس بالقرويين.

وبطل العمل بذلك منذ وفاة السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله إلى عهد السلطان المولى الحسن الأول، فأمر بإجراء امتحانات عامة في بعض الأحيان، كانت تعقد مجالسها، إما بفاس، أو مراكش، أو رباط الفتح.

هذه حالة القرويين قبل النظام الذي أجرى فيها على يد الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله، لخصناها هنا على سبيل الإيجاز.

ومنها يعلم أنه لم يكن بها نظام مقرر مدون، وإنما كان المدار على التحصيل، والشهرة في العلم.

والدليل على ذلك، أن المتخرجين منها في ذلك العهد، كانت لهم قدم في العلم راسخة، وعلمهم ثابت ناضج، وتحصيلهم كامل، لأنهم كانوا يقرأون العلم لله، ولكونه علماً، فرحم الله ذلك السلف الصالح، وجعل التوفيق حليف الخلف الناجح إن شاء الله تعالى[332].

وقد نال جامع القرويين حظاً وافراً في عهد وزارة الشيخ أبي شعيب الدكالي للعدل، ولاسيما حين أضيفت إلى وزارته هذه إدارة المعارف والشؤون الدينية كما سبق الكلام عن ذلك.

وعين الشيخ رحمه الله الأستاذ جعفر الناصري كاتباً ضمن كتاب وزارته، مكلفاً بالشؤون الدينية، وما يتعلق بوكلاء الغيب[333].

---

(332) (333) ترجمة الأستاذ جعفر الناصري للشيخ.

د - أعمال أخرى في حياة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي :

من هذه الأعمال والوظائف تولية الشيخ أبي شعيب الدكالي النيابة عن الصدر الأعظم، والقيام بالتدريس بالرغم من أعباء الوزارة.

وهناك جانب يستحق الوقوف عنده وهو اهتمام واشتغال الشيخ بالفلاحة.

فضلا عن رحلاته العلمية داخل المغرب وخارجه.

1 - نيابة الشيخ أبي شعيب الدكالي عن الصدر الأعظم :

نظراً للتقدير الذي كان يحظى به الشيخ من السلطان المولى يوسف طيب الله ثراه، والمكانة العلمية، والوطنية، والثقة، والأمانة، وهي شمائل، وخصال اتصف بها الشيخ رحمه الله، جعلته مكرماً مبجلا من الجميع، وأهلته إلى المرتبة العليا في الدولة.

فبالإضافة إلى ما كلف به الشيخ قدس الله روحه، من وظائف وأعمال، كان يتولى النيابة عن الصدر الأعظم[334]، ويوقع القرارات باسمه.

وفيما يلي أنموذج من تلك النيابة عن الصدر الأعظم آنذاك السيد محمد المقري[335]، جلبه المؤرخ العلامة عبد الرحمن بن زيدان في كتابه العز والصولة في معالم الدولة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه.

الطابع اليوسفي

يعلم من كتابنا هذا أبد الله مجده وفخاره، وجعل على مركز اليمن والسعادة مداره، أننا بحول الله وقوته، وشامل يمنه ومنته، كلفنا خديمنا الأرضى الطالب الوزير الحاج محمد بن عبد الكريم التازي بأشغال دار النيابة السعيدة بطنجة، عوضاً عن الخديم الفقيه السيد محمد الجباص المترقي إلى رتبة الوزارة الكبرى بأعتابنا الشريفة.

---

(334) منصب الصدر الأعظم يوازي الآن رئيس الوزراء.

(335) هو محمد بن عبد السلام المقري توفي عام 1377هـ تولى منصب الصدر الأعظم مدة تقرب من أربعين عاماً، وعاش أكثر من مائة وعشرة أعوام، انظر (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3330).

أرشده الله لما فيه رضاه، ووفقه لعمل يرضاه، والسلام.

صدر به أمرنا الشريف في 3 حجة الحرام 1331.

قد سجل هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ 3 حجة عامه.

نائب الصدر : أبو شعيب الدكالي وفقه الله[336]

2 - القيام بالتدريس :

أهم ما يميز أعمال شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي هو نشر العلم على أوسع نطاق، وكثرة تدريسه في الآفاق، جاعلا نصب عينيه حديث نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام : «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[337].

وقوله ﷺ : «من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار»[338].

فشيخنا والحمد لله كان من المندرجين ضمن ورثة الأنبياء، والناجين من خصلة كتم العلم، بل كان يبثه بالسؤال ودون سؤال وفي جميع الأحوال، مقتدياً بنهج سيدنا محمد ﷺ الذي بعث معلماً وهادياً، وبعمل صحابته الكرام، ومن جاء بعدهم من الأعلام، الذين نقلوا علوم الإسلام إلى جميع الأنام.

وتنوع قيام الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمة الله عليه، بأعباء التدريس في شتى فنون العلم، والمعرفة، منذ حل بالمغرب من المشرق، مما سوف نتحدث عنه لاحقاً بتفصيل، ضمن جهود الشيخ في مجال العلم، والإصلاح، والوطنية.

كما كانت للشيخ مرتبة علمية منيفة بين يدي ملوك الدولة العلوية الشريفة، في عهد المولى عبد الحفيظ، والمولى يوسف، وأب الوطنية الأمجد، محمد الخامس طيب الله ثراهم جميعاً.

وكان مشهوداً له بالبراعة والتقدم في تلك المجالس الراقية، لما يبديه من صولات، وجولات، وتحقيقات، وتحليقات، واستنباطات عالية.

(336) العز والصولة، ج 1، ص 389، لمولاي عبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الملكية بالرباط، عام 1381 - 1961.

(337) رواه أبو داود والترمذي.

(338) رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والإمام أحمد في المسند، والحاكم وصححه.

انظر كشف الخفا للعجلوني، ج 2، ص 273.

وفي هذا المجال يذكر الأستاذ جعفر الناصري أحد تلاميذة الشيخ ممن كان يحضر هذه المجالس :

أن الشيخ رحمه الله كان متصدراً في الدروس الحديثية بفاس، في العهد الحفيظي، وكذلك بمراكش في العهد اليوسفي.

ولما رجع جلالة السلطان[339] إلى رباط الفتح، واستقر به أمر رحمه الله باستيناف قراءة كتب الحديث بحضرته الشريفة، وكان شغوفاً بها، سباقاً إلى مجالسها، رتاعاً في رياضها، شراباً بأنقعها[340]، منذ صباه.

فنظم مجالسها الزاهرة بقصره العامر، في الأشهر الثلاثة : رجب، وشعبان، ورمضان، من كل سنة.

وخصص صفر، وربيع الأول، لقراءة كتاب الشفا (للقاضي عياض)، والشمائل المحمدية (للترمذي).

وأسند رئاسة هذه الدروس إلى وزيره الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله.

وقد ضمت هذه المجالس العالية، زيادة على علماء حضرته بوزارة العدل، ومجلس الاستيناف الشرعي، قاضي العدوتين : سلا، ورباط الفتح، ونخبة من علية كبار علمائها.

وكانت تجري أثناءها أبحاث، ومذاكرات، وتحقيقات، ومسائل غريبة في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والأدب، وتحرير أسماء رواة الحديث، وضبطها، والكشف عن غريبه، وعلله، مما يتداوله أهل المجلس بينهم، ويتحدثون به خارجه، فأحدث ذلك في الأوساط العلمية بالعدوتين حركة مفيدة، وروحاً أدبية جديدة، ودامت هذه الدروس العالية مدة الدولة اليوسفية، ختمت فيها الكتب الست كلها، وموطأ الإمام مالك، وشفاء القاضي عياض، والشمائل النبوية، مراراً عديدة، ومسند الأئمة الأربعة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله، وقسط كبير من مسند الإمام أحمد بن حنبل، لانقطاعه بوفاة السلطان المذكور.

---

(339) المولى يوسف رحمه الله.

(340) أنقع جمع نقع : وهو الماء المجتمع.

ثم استؤنفت مدة الشطر الأول، من دولة ولده جلالة الملك المقدس أبي عبد الله محمد الخامس، إلى أن انقطعت آخرها في زمن الأزمة الاستقلالية، لاشتغاله بالمسألة الوطنية، وما ترتب عليها من الحوادث والمشاكل، والمسائل السياسية، وقد التحقنا أخيراً بهذه المجالس الملكية، في العهد المحمدي، فشاركنا فيها فعلا، وازددنا وروداً من حوض شيخنا رحمه الله وارتواء من معين روايته العذب الزلال(341).

ويحدثنا الأستاذ الكبير عبد الله الجراري رحمه الله، وهو من تلامذة الشيخ المعتز بشيخه بقوله :

إن شيخنا الدكالي عندما أضاء نجمه متألقاً في سماء المغرب وربوعه، أصبح الفتى الذي لا يبارى في الميدان، وغدت الرئاسة العلمية تجر إليه أذيالها، منقادة مطمئنة على رسالتها المقدسة إزاء مناهج علمية، روحها الحفظ السليم، ومادتها الفن والتقنين.

ففي عهد الملوك الثلاثة : المولى عبد الحفيظ، والمولى يوسف، والمولى محمد الخامس طيب الله ثراهم، كان الوحيد الذي أسندت إليه رئاسة تسيير الدروس السلطانية، فنجده يحلق في أجواء السنة بياناً وتحليلا لرجال السند أولا.

ثم لنصوص المتن بما يشبع، ويروي غلة جميع من حضر من علماء، ومثقفين، على اختلاف اتجاهاتهم الفنية، واختصاصاتهم العلمية، ثانياً.

مما لا يلبث يدهش، ويخرص، وعن تسليم، واقتناع لا يذران مجالا للنقاش والحوار.

أضف لذلك رنته الصوتية، ورقتها الباعثة على إخضاع كل الحواس للإقبال والاستماع، خاصة، عندما يجعل يستوحي من ثنايا النص المقروء، ويستنتج من بين سطوره، ما يجلى به في أعالي الفهم العميق، وإدراك ما لا يذل، ويلين إلا للشيخ أبي مدين.

قائلا : كم استفدنا من هذا، ممليا تلك الدرر الكامنة، والمفتوح بها على أمثاله ممن نالوا قصب السبق في الميدان، ماضياً في عرض الاستفادات، والإيحاءات

(341) من كلام الأستاذ جعفر الناصري، انظر : شيخنا الشيخ الوزير أبو شعيب الدكالي، ص 11 - 12.

التي هي في المجموع كحصيلة علمية، أوحت بها جهوده العصامية، وممارسته الصادقة، وإن كان للغير في بعضها نوع مشاركة في الاستنكاه والاستنباط، فقد لا يعدو أن يكون من باب (توارد الخواطر)، وأحياناً بلون يشعر بفرق ما، يجعلنا نؤمن باستقلال الشيخ فيما طلع به علينا من استنتاجات، وإفادات[342].

3 - اشتغال الشيخ أبي شعيب الدكالي بالفلاحة :

نشأ الشيخ أبو شعيب الدكالي في صغره، في بيئة علمية، وفلاحية، في أجواء البادية الصافية، هواء نقي، وماء زلال، وطعام طيب، وذكاء تسطع بأشعتها الزاهية فوق أرض دكالة الخصبة، مما جعل لنفس الشيخ الزكية تشوفاً وارتباطا بالبادية والفلاحة.

فكان يرى رحمه الله أن الاهتمام بالفلاحة والزراعة من أسباب الرزق، لقوله تعالى : ﴿وفي السماء رزقكم﴾[343] أي المطر الذي ينبت الزرع، وينمي الضرع.

وكان - طيب الله ثراه - ينادي في خطبه، ودروسه بالعناية بذلك، بل باشر بنفسه، شؤون الحرث والحصاد في نهاره وأمسه.

ولم يشغله التدريس، والتعليم عن ذلك، فقد عد تلازم الأمرين، من تلاقي الدنيا مع الدين، وأن العالم الحق من اتخذ حرفة، أو صناعة، أو مورداً، يغنيه عن سؤال الناس، نظراً لما يحمله من أمانة العلم، وقدسية الرسالة.

حكى الشيخ الرحالي الفاروق عن شيخه أبي شعيب أنه كان يقول :

أبى العلم إلا أن يكون بالحاضرة، وأبت الصحة إلا أن تكون بالبادية.

ولذلك كان رحمه الله يحب البادية، وعليه مسحتها، ويعمل عمل البادية، كالفلاحة وتربية المواشي، ويذكر حديث أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة : إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو في باديتك، فأذنت للصلاة، فارفع صوتك بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن

---

(342) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 100 وما يليها.

(343) الذاريات / 22.

جن، ولا إنس، ولا شيء، إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ[344]، وأن النبي ﷺ تربى وشب في بادية بني سعد[345].

وندلي بشهادات بعض تلامذته في هذا المجال تؤكد مشاركة الشيخ رحمه الله في شؤون الدنيا والدين.

فقد جمع الله له ثلاثة أمور، قل أن تجتمع لأحد وهي : العلم، والجاه، والمال، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم﴾.

أ - كلمة الأستاذ العالم محمد المختار السوسي :

قال رحمه الله :

كان الشيخ - كما قلنا مراراً - من الذين يعنون بتنمية الأموال بالطرق المشروعة.

فكانت أشغاله في دار المخزن، كما أنها لم تحل بينه وبين الدراسة، كذلك لم تحل بينه وبين تنمية ماله، فقارض التجار، وعانى أن يتخذ له أملاكاً للكراء، واتخذ أراضي واسعة للفلاحة[346].

وذكر أن الشيخ رحمه الله انهمك أخيراً في الفلاحة انهماكاً لابد له منه، بعد أن تفرغ لها[347]، وجعلها مصدراً لريع أمواله، وليست الفلاحة التي تعاني اليوم مثل فلاحة الأمس، التي هي بدور شق أرض ثم ترك ذلك إلى الحصاد بل لابد من

---

(344) رواه البخاري في الصحيح.

(345) انظر شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، ص 55، سلسلة التوعية الإسلامية، عدد 4، المجلس العلمي لجهة مراكش، تانسيفت، الحوز، للمؤلف د. محمد رياض، ط 1، عام 1424 - 2003.

والشيخ الرحالي الفاروق رحمه الله حاكي حال شيخه في هذا الصدد كان يحب البادية، وكان عليه أثرها، كشيخه من قبل، إلا أن شيخ الإسلام أبا شعيب طيب الله ثراه، سرت إليه لطافة المصريين، ولهجة الحجازيين، فكان للشيخ نبرة، ومسحة خاصة تميزه.

وكان للشيخ الرحالي ضيعة في نواحي قلعة السراغنة يتخذها للدراسة والاستجمام في أغلب أوقاته رحمه الله.

(346) الترجمة الخاصة للأستاذ محمد المختار السوسي لشيخه أبي شعيب الدكالي، المرقونة ص 12.

(347) ذلك بعد طلب الاستعفاء من الوزارة، فتفرغ لذلك، ولنشر العلم على أوسع نطاق، ولو أنه مع أعباء المناصب، كان قائماً بالتدريس صباحاً ومساءً.

تسميد الأرض أولا ثم شقها قبل البذر ثم الحرث بعد ذلك وهذا كله بعد تنقية الحقول والضياع من كل نابتة أجنبية ومن أحجار، ثم إذا جاء الحصاد والدراس فلا تسأل عما في ذلك من عنث ومصاريف، لأنه كما كانت دراسته التي شاهدناها منه، فملكت علينا مشاعرنا على آخر طراز، كذلك فلاحته فإنه سلك فيها آخر ما اهتدى إليه المعمرون من العدد والآلات حتى كانت أرضه الواسعة في (زعير)[348] أعلى أرض عامرة بشهادة أرباب الفن[349].

ب - كلمة الأستاذ الشاعر محمد الجزولي :

جاء في كتابه ذكريات، متحدثاً عن الشيخ :

يجب الإبانة عن ظاهرة من مظاهر هذا الرجل الفذ التي يجب أن يقتدي بها فيها من يريد المحافظة على شرفه، ورجولته، ومروءته.

ففي الوقت الذي كان فيه مدرساً، مرشداً، نصوحاً، كان فيه أيضاً وزيراً للعدلية، وركنا من أركان الدولة، وبين عشية وضحاها انفصل عن الوظيف، وهو ذو أسرة كبيرة، ومقام سام يجب الاحتفاظ به، وليس لديه مدخر يقوم بكل ذلك.

فاتجه نحو الفلاحة باشترائه أرضاً على طريق التقسيط، واهتم بفلاحتها، وتربية الماشية فيها، وتولى التسيير والإشراف على ذلك بنفسه، لا يكله إلى غيره، وكانت تلك الأرض جيدة التربة، طيبة المنبت، فبارك الله له فيما اشترعه، فلم يمض كبير وقت حتى تدفق الخير بين يديه فاشترى عمارات مدرة، وبنى داراً مهمة بشارع تمارة سكنها بقية حياته، ولازالت بيد أبنائه إلى الآن، وهم كلهم ذوو علم، ومروءة، وثراء، وجاه.

ولو بقي في الوظيف عشرات الأعوام، لما أدرك عشر ما أدركه بكد يمينه، وعرق جبينه في بضعة أعوام.

هذا هو الموقف الذي أوجه إليه من تخلى عنهم الوظيف، أو قصر عما يقوم بحياتهم، ولا ينبئك مثل خبير، لأن هذا المسلك (يقول الجزولي) هو الطريق الذي

(348) قبيلة تقع بضواحي الرباط، انظر تاريخ هذه القبيلة قبيلة زعير قديماً وحديثاً للأستاذ القاضي محمد بن سودة التاودي في جزئين.

(349) الترجمة الخاصة للأستاذ محمد المختار السوسي، المرجع السابق، ص 27.

نهجته، وحمدت مغبته، لا كما يسلكه الكثير من الوزراء، ومن في معناهم، عندما يقصون عن وظائفهم، من الانطواء داخل البيت، والانطواء على النفس، مستسلمين للهم، والفراغ، والموت البطيء[350].

ولم تشغل (الشيخ أبا شعيب رحمه الله) أشغاله الفلاحية عن متابعة الدروس المعهودة، محافظاً على مواعيدها، وحتى ولو كان في الضيعة، فإنه يدخل منها إليه مباشرة قبل أن يعرج على بيته، وبقي يسير على تلك الحالة حتى عاقه المرض الذي أودى بحياته.

ولقد كان رحمه الله كما عرفناه، وخالطناه مدرساً، ووزيراً، وفلاحاً، متفتحاً، بساماً، ضحوكاً، يشرك جلاسيه في أحاديثهم، وأفكارهم، وآرائهم، بدون تحرج، ولا تزمت، نعم وبلا إسفاف، وكان يواجه الحياة، كما هي، لا كما ينبغي أن تكون، ويخالط الناس على علاتهم...

ذلك هو الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله.

فلقد كان أمة وحده، وأنه لم يفارق هذه الحياة، حتى ترك من مبادئه الحرة في كل ركن من أركان المغرب نوراً يستضاء به[251].

ج - كلمة الأستاذ القاضي محمد بن سودة التاودي (وهي كلمة جامعة لأحوال الشيخ في هذا المجال) :

قال رحمه الله عن الشيخ :

أما الجانب الذي أريد أن أتناوله من جوانب حياته العادية الداخلية في نطاق شغفه بما كان يهواه من حبه للتجارة والفلاحة التي كانت الأخيرة هي عيش جل المغاربة بهذا الوطن السعيد والتي بها يزدهر اقتصادنا وعليه المعول الرئيسي في مورد المغرب المالي...

ولهذا نجد جل المغاربة فلاحين بطبيعتهم وحتى الذين يسكنون بحواضر المغرب فإنك تجدهم مالكين للأراضي الفلاحية بالبادية، لا فرق في ذلك بين علمائهم وغيرهم.

---

(350) كان هذا في زمان ولى وانقضى أيام عهد المؤلف، حيث الأمانة والديانة، والقناعة، أما اليوم فأمر آخر.
(351) ذكريات من ربيع الحياة، ص 50 وما يليها، لمحمد الجزولي، مطبعة الأمنية، بالرباط، عام 1391 - 1971.

بل نجد أكثر علمائنا الذين حملوا إلينا شريعة الإسلام، نجد أكثرهم يتعاطون للفلاحة، والتجارة، وغيرهما مما يدر عليهم أرزاقهم، وأرزاق أولادهم، لأنهم كانوا لا يتكلون على الوظائف التي لا تدوم، وإن دامت فإن رزقها ضئيل محدود، وكانوا يرددون قولتهم المشهورة «وظيف كوصيف، وزنا ومعنى».

يعرف هذا القدر كل من تصفح تراجم الأئمة الأعلام من علماء الإسلام.

إذ كل من وقف على سيرة المصطفى ﷺ، وسيرة صحابته الكرام يدرك ذلك من أول بداهة.

فهذا الرسول الأكرم كان يتجر في مال خديجة رضي الله عنها، قبل البعثة، وكانت تعطيه الأرباح على عمله التجاري، وكذلك جل الصحابة رضوان الله عليهم...

ولهذا حبب إلى شيخنا، وقدوتنا شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، حبب إليه تعاطي التجارة في أول أمره، فاتخذ له شركاء يعينونه على تسيير شؤونها، فعقد الشركة مع الحاج عمر التازي الذي كان محظوظا وكان مشهوراً بها، فاقتنوا منها الأراضي التي أصبحت صالحة للسكنى بالبيضاء، والرباط، وغيرهما، كما أنه عقد الشركة مع صديقه العالم الجليل وهو السيد محمد بن عبد السلام بن سودة، فكانت يدهما تجول في أموال التجارة المنعقدة بينهما أعواماً في المدن الكبيرة من مغربنا العزيز، مثل فاس، ومكناس، والدارالبيضاء.

فأسسوا عدة أماكن في أرباض تلك المدن التي عرفت ازدهاراً عمرانياً في مطلع القرن العشرين، وبنوا عدة دور لاسيما بمدينتي الرباط، وفاس، ومن جملة شركائه بالرباط السيد محمد المنجرة وغيرهم.

أما تعاطيه للفلاحة فقد ظهرت هوايته فيها لما اشترى بلدة بأرض زعير، المعروفة بـ«الشعبة الطويلة»، فكان يتعاهدها بنفسه ويقيم فيها أياماً طويلة لاصلاح تربتها، وقلع الدوم من مساحتها، بل كان يعمل بيده في مباشرة الأعمال الفلاحية وفي غرس الأشجار من الزيتون، واللوز، وغيرهما مما يناسب تربتها.

وكان ذلك منه لا يشغله عن دروسه الحديثية التي كان يلقيها بالعاصمة بالرباط، بل بمجرد دخوله من باديته إلا وتجده يبادر بالتوجه إلى المسجد لإلقاء دروسه بعد استراحة واستجمام.

بل كان يحث في دروسه على العمل المفيد، وينفر من البطالة، والكسل، بل إنه يجد في عمله الفلاحي ترويضاً لنفسه مما عساه أن يحصل لها من أثر التعب الذي يخرج عقبه العرق من جميع مسام العروق، وفي ذلك معالجة نافعة من مرض السكر الذي أصيب به في آخر عمره، فكان يصرح بذلك لأولاده، وللمقربين لديه، وكان الأطباء يشيرون عليه بذلك لأن كثرة الانتقال بواسطة السيارة التي ظهرت حديثاً يتسبب في جلب أمراض لا ينفع معها إلا الرياضة البدنية، وهل الفلاحة إلا رياضة للجسم كله ؟

ومن شدة ولوعه ببلدته أنه حينما يكون مقيما بها فإنه كثيرا ما ينشد :

يا من يلومني على سكنى درا	فلا تسل عما جرى كيف جرا
فها أنا بوادي درعة رخيص	وليس لي مما قضى اللّه محيص

لعله كان رحمه الله يتأسف على الأيام التي تنصرم من حياته وهو قابع في ضيعته من غير أن ينفق سلعته التي اعتاد أن ينشرها في حواضر المغرب من إلقاء دروسه في ميدان العلم والحديث.

ولهذا كان يتمثل بتلك الأبيات مخاطبا بها من يلومه على هجرة الحاضرة والإقامة بالبادية لأنه يجد من نفسه ميلا لتعاطي مهنة الفلاحة لما لها عنده من مكانة، وقد ألمح أخونا الأستاذ محمد المنوني[352] إلى شيء من هذا في مجلة دعوة الحق، العدد 17، السنة 17 محرم 1396 يناير 1976 حيث قال :

ورأى السكنى بالرباط أسلم عاقبة لمن كان بمنصب عال يحسد عليه فحظي لدى قبيلة زعير جارة الرباط فاقتنى فيها ضيعة نافعة وفلاحة واسعة وتجارة رابحة.

---

(352) العالم المشارك المؤرخ من الرعيل الأول الذي كان يمتاز بشمولية الثقافة والاطلاع من أمثال محمد المختار السوسي، ومحمد بن أبي بكر التطواني وكان هؤلاء الثلاثة أصدقاء أوفياء لبعضهم رحمة الله عليهم.

وأسجل هنا بهاته المناسبة ارتساماتي حول هواية المترجم، فإنه كان كثيرا ما يشيد في دروسه الحديثية التي كان يعقدها بجامعة القرويين بفاس، يشيد ويحض على طرق الكسب المعتادة لكسب الأموال من طرقها المشروعة.

فلقد سمعنا منه مرارا وتكرارا ما ورد في هذا المعنى من أحاديث وروايات وبالخصوص فإنه كان يرفع صوته بما جاء في الصحيحيين للإمامين محمد بن إسماعيل البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري رحمهما الله تعالى.

وهاك أيها القارئ الكريم البعض من تلك الأحاديث فمن صحيح البخاري تحت عنوان كتاب المزارعة وقول الله تعالى : ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ راويا حديث الباب عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة.

وفي صحيح الإمام مسلم عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما كال منه صدقة وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منع فهو له صدقة وما أكلت منه الطير فهو له صدقة ولا يرزئه منه أحد إلا كان له صدقة «لا يرزؤه أي ينقصه»، ج 9، 213، طبعة دار الفكر، ببيروت.

وهناك أحاديث كثيرة فيهما وفي غيرهما من كتب الحديث المعتمدة وكلها تحض على تعاطي الزراعة والغراسة، وتضرب على وتيرة واحدة وتردد نغمة متحدة في هذا المعنى.

ولقد كان الشيخ رحمه الله يفيض في شرحه لهذه الأحاديث بما عند الشراح وبالأخص ما علقه عليهم صاحب كتاب فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني لأنه كان مغرما به حتى إنه كان يقول في حقه إذا قالت حذام فصدقوها : فإن القول ما قالت حذام : ويقول أيضا لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، ومن تعاليق الحافظ ابن حجر قوله : ويستفاد من حديث الباب اتخاذ الضيعة والقياس عليها، وفيه فساد قول من أنكر من المتزهدة، وما ورد من التنفير عن ذلك فإنه يحمل على

ما إذا شغله عن أمر الدين ومنه حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا.

وعلق الإمام النووي على أحاديث مسلم بقوله، وفي هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع، وان أجر ذلك مستمر مادام الغرس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة.

ولقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب وأفضلها فقيل التجارة وقيل الصنعة باليد وقيل الزراعة وهو الصحيح، كما نقل الحافظ ابن حجر عن الإمام الماوردي قوله : أصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة، والأشبه بمذهب الشافعي أن أطيبها التجارة، وأخيرا قال إن أطيبها عندي الزراعة لأنها أقرب إلى التوكل.

فلهذا نجد إمامنا أبا شعيب يجمع بين القولين معاً في سلوكه وتعاطيه للتجارة والزراعة ولعله كان يميل إلى الوفاق بينهما، ولا يرجح أحدا من القولين على الآخر، ولكل وجهة إذا سلمت النية، وكان القصد محمودا من جلب المال من طرقه المشروعة.

ثم إن شيخنا رحمه الله لم يكتف باتخاذه لطبيعته المشهورة والمعروفة بالشعبة الطويلة الكائنة في أحسن تربة من أرض زعير وهي أرض «مغشوش» التي قل نظيرها في المغرب لجودة تربتها ولحسن منتوجها الفلاحي حتى قيل فيها إنها مغشوشة لمن لا يعرفها ولا يسمع عنها ما تدره على أربابها لأن الهكتار الواحد يعطي من العشرين إلى الثلاثين قنطارا من الحبوب في السنوات العادية أما في غيرها فلربما يفوق ذلك.

ولهذا كان محسودا من طرف المعمرين الأجانب المحيطين به من كل جهة، الذين عرفوا حق المعرفة هاته الأراضي الزراعية، نعم إن صاحبنا لم يقتصر على فضيلة حبه للزراعة وحدها بل أضاف إليها فضيلة أخرى وهي غرس الأشجار من الزيتون بهذه الأراضي التي كانت لا تعرف هذا النوع من الغرس بترابها، فهو أول من غرس بها الشجرة المباركة التي قال الله فيها : ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ الآية 25 من سورة النور.

وقد أثمرت هاته الشجرات المباركة التي غرسها شيخنا بيده الكريمة الطاهرة وبأمره وتحت سمعه وبصره، ولعله أكل غلتها، واستفاد من ثمرها قبل مماته، كما استفاد من فلاحته التي كان يهواها أيما استفادة، وزاحم بها أولئك المعمرين الذين استولوا على البلادات المجاورة لها بالطرق الاستعمارية المعروفة والمعهودة منهم.

ولقد حدثني ولده صاحب الفضيلة القاضي الأخ السيد أحمد بأنه كان عدوا لدودا لهؤلاء المعمرين وهم في عنفوان استيلائهم على أرضنا، من ذلك أنه صارح أحد المعمرين المعجبين بأنفسهم لما رأى سوء معاملته للمستخدمين بضيعاتهم إذ شافه هذا المعمر أحد مستخدميه بكلمة نابية لا لباقة فيها ولا كياسة فجابهه بقوله: إنه غير مؤدب أما علمت أنك نازل بأرضه وأرض أجداده ومن ذلك الوقت قاطع الشيخ هذا النذل من هذا الفوج الوقح من المعمرين، وزاد قائلا له اخرج من منزلي لأنك لم تحترم معينك ولم تراع مكانتي وأنت في داري.

ولقد كان الشيخ رحمه الله معروفا بنكته اللاذعة حينما تواتيه الفرصة من ذلك أنه ضمته ضيافة كبيرة مع أول مقيم عام لفرنسا بأرضنا المغربية وكانت ضيافة فاخرة قدمت فيها الأنواع الفاخرة المعروفة بوطننا ومن جملتها «البسطيلة» فحينما وضعت على المائدة نطق اليوطي بقوله : إن هذا النوع كان معروفا أيضا بأرض الجزائر ولكنه انقطع أخيراً، فأجابه الشيخ على الفور نعم إن طالت إقامتكم بالمغرب مثل الإقامة بالجزائر فسوف تذهب البسطيلة من أرضنا، فتفطن المقيم العام لمغزى هاته الدعابة التي كانت ضربة قوية موجهة إليه من طرف أكبر عالم بأرضنا، وذلك هو شأن العلماء المقتدى بهم فإنهم يصدعون بالحق لا يخافون من أية سطوة.

فمواقفه هذه هي التي مكنته من شرائه لضيعته من بين وسط المعمرين مع أنهم كانوا يتحكمون في الإقامة العامة بالمغرب إذ لولا وقوفه ومركزه في قلوب المغاربة لما أمكنه أن يعيش بينهم، ويؤسس فلاحة عريضة وحقلا كبيرا.

وقد تأسى به الغير في غرس أشجار الزيتون بهاته الأراضي، ومنهم صديقنا الأشيب السيد الحاج سليمان الدكالي، فقد غرس هو الآخر أشجارا من الزيتون

قرب داره بالرماني فأثمرت له وأكل غلتها بالفعل ولنعمت الحسنة التي سنها الشيخ القدوة علماً وعملاً.

ومما قيل في شجرة الزيتون والحرث :

الحرث حرب والجنان جنون والكرم كرب «والغنى زيتون»

ومازالت الشعبة الطويلة في ملك بعض ورثته إلى الآن.

كما كان صاحبنا مولعا بتربية الماشية فكانت له قطعان من البقر والغنم وهما النوعان المشهوران بزعير، وبذلك تم ولوعه بالفلاحة وتوابعها.

هذا وقد درت عليه فلاحته المباركة وتجارته الواسعة أرباحاً طائلة وتأثل منها الدور والأراضي الواسعة بزعير وغيرها وساهم بدوره في ازدهار العمران بقرية الرماني التي أحدثت بعد الحماية فأسس بها دورا متعددة وفندقا وحماما وحمد الناس عمله لهذا الحمام، فكل من استحم فيه فإنه يدعو له بالبركة والأحدوثة الطيبة إذ هو أول حمام بهذه القرية التي عرفت نور الحياة بهاته القبيلة.

ومن حسنات شيخنا التي يشكر عليها أنه تصدق بالأرض التي أقيم بها سوق «سبت مغشوش»، إذ كانت السوق تعقد يوم الجمعة قديما بجوار دار القائد عبد البوعزاوي بأرض تويست إلا أن السلطة المحلية باتفاق مع قائد التراب بوعمرو بن رحو العليوى أراد الجميع نقل مكان السوق القديم إلى مكانه الحالي القريب من الطريق المعبدة التي تربط مركز دائرة الرماني بالخط الذاهب إلى الدار البيضاء وإلى الرباط إذ جاء موقعه الحالي في مفترق الطرق.

وكانت الأرض، على ملك صاحبنا الشيخ أبي شعيب ففاتحوه في الأمر بالبيع فوجدوا منه الاستعداد الكامل ولكنه اشترط عليهم أن يحول السوق من يوم الجمعة إلى يوم السبت فقبلوا شرطه وإثر ذلك تصدق على الجماعة بموقع السوق الحالي وتقدر المساحة بنحو أربع هكتارات ومن ذلك اليوم وهو يعقد السوق بيوم السبت وأصبح يدعى بسبت مغشوش وإنما اشترط عليهم شرطه المذكور لأن يوم الجمعة يوم فاضل في الأسبوع وفيه تقام صلاة الجمعة التي وردت فيها أحاديث كثيرة، والاشتغال يومها يصرف الناس عن عباداتهم، وأيضا فإن مركز الشيخ

العلمي لا يسمح له بأن يوافقهم عما يصرفهم عن أمور دينهم فجزاه الله خيرا وأثابه على أعماله الممدوحة شرعاً.

وقد شيد ولد الشيخ السيد الحاج عبد الله بإزاء السوق مسجدا يناسب تلك الناحية الآخذة في اتساع العمران بهاته الجهة كما أسس الولد بجانب المسجد حماما يستحم فيه المسلمون الذين يريدون إقامة الشعائر الإسلامية وبذلك تمم الولد ما بدأ به الوالد من إقامة الشعائر الإسلامية بهاته الأماكن وهذا هو شأن العلماء وشأن أنجالهم ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾[353].

هذا وقد ترك صاحب الترجمة تركة مناسبة لوقته والتي اكتسبها من تجارته وفلاحته وخلفها للورثة بعد مماته ولا غضاضة عليه فيما خلفه من أموال اكتسبت من طرق مشروعة، فهذا رسول الإسلام عليه أفضل صلاة وأزكى سلام، يقول : «لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم فقراء يتكففون الناس».

وهكذا قضى شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي رحمه الله حياته مجزأة بين نشر المعرفة والاشتغال بالتجارة والفلاحة إلى أن أتاه اليقين حيث لبى نداء ربه يوم الخميس 18 جمادى الثانية عام 1356 موافق 25 غشت سنة 1937[354].

4 - رحلات شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي بعد عودته من المشرق :

كانت لشيخ الإسلام رحمة الله عليه رحلات متعددة، ومتنوعة، داخل المغرب، وخارجه.

وأغلب هذه الرحلات رحلات علمية، وفي رحلاته الرسمية، أو الإدارية كان يغتنمها فرصة للتدريس والتعليم، إذ كانت مهمة الشيخ العليا السامية في نشر العلم وإشاعته، فالله سبحانه خلقه للعلم، وهيأه له منذ نعومة أظفاره، إلى أن اشتد عوده، وإلى أن استأثر به عز وجل في العالم الأقدس الأعلى طيب الله ثراه.

---

(353) الطور / 21.

(354) انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 228 وما يليها، المرجع السابق.

أولا : رحلات الشيخ داخل المغرب :

استقر شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي بعد عودته من المشرق في نهاية العهد الحفيظي بالرباط، بحكم توليته لمنصب وزارة العدل، وغيرها من الوظائف القضائية، والإدارية، ناهيك عن سابق استقراره بمدينة مراكش الحمراء، وهو يزاول مهنة القضاء منيباً عنه ابن عمه السيد الطاهر بن حمو الصديقي، كما ذكر من قبل.

وبالرغم من سكنى الشيخ بمدينة الرباط، ومن وظائفه المتعددة، فإنه لم يترك التدريس، ولاسيما أقرب مكان إليه وهو مدينة الرباط التي تعددت مواطن الدراسة فيها كما سوف نتناوله ضمن جهود الشيخ العلمية.

لكن همة الشيخ لم تقف في نشر العلم عند حدود مدينة الرباط، بل كان رحمه الله ينتقل، ويرحل مرة بعد أخرى إلى مدن داخلية في المغرب، إما بحكم عمله الرسمي، أو لغرض آخر.

وفي كل رحلة كان يهتبلها لنشر العلم والإفادة.

ومن هذه المدن ما يلي :

- مدينة مراكش الفيحاء :

ترددت رحلات الشيخ إليها بحكم الصلات الشخصية الحميمة، وبحكم الذكريات الجميلة الكريمة لأيام مرت بها وهو طالب علم، وقاض، ومدرس.

وفي كل رحلة إلى تلك الديار، ديار مراكش ذات المجد الأثيل، والذكر الأصيل، كان يلقي بمساجدها العريقة الدروس الحافلة، والفوائد الجليلة النافعة، مما كان يشهد به أهل مراكش من علمائه، وأذكيائه، وعامة ساكنيه.

ومن أهم المساجد التي ألقى بها دروسه :

- مسجد ابن يوسف العامر.
- مسجد المواسين (الشرفاء).
- مسجد الكتبية.

- مدينة فاس الزاهرة :

وهي أول مدينة نزل بها الشيخ بعد عودته من المشرق في عهد المولى عبد الحفيظ وهو يتربع على كرسي الخلافة العظمى.

وكان للشيخ شعيب يومها هناك، حفل مهيب، يليق بمقام شيخ للعلم، عائد من أرض المشرق بوطاب من المعارف لا تحصى.

وكانت رحاب جامع القرويين تردد صدى الشيخ بالصدع بتلك العلوم.

وكان هذا الجامع الأنور غاصاً بالجموع الغفيرة من أهل فاس النجباء من علماء، وعامة الناس، هناك من جاء للاستفادة والتنوير، وهناك من أتى به حب الاستطلاع، كما هي شنشنة البشر في كل عصر، ومصر.

وكان من أمر شيخ الإسلام، ما كان من تدفق علمي زاخر، ونبرة صوتية، لا هي شرقية، ولا هي غربية، وهو يتناول بالشرح، والتحليل، والتمثيل، والتفصيل صحيح الإمام البخاري، محلقاً في سماء من العلوم، وسابحاً في بحر من الفهوم.

وكان صوته الجوهري يسمع من خارج رحاب جامع القرويين، يساعده شباب غض الإهاب، وقوة جسمية، أكسبها الترحال بين المشرق والمغرب زاداً متواصلاً، وهناك حافظة - وهبها له الله سبحانه واهب القوى والفِكَر - تسعفه حين تخون غيره في المناسبات، فتنقذه من العثرات.

فارتفع ذكر شيخ الإسلام حينئذ في الخافقين في أول زيارة لمدينة فاس، مدينة العلم، وكهف العلماء الأكياس.

وقد تكررت زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي لمدينة فاس العامرة من بعد، وهو وزير للعدل، وبعد الوزارة، فألقى دروساً نيرة متلاحقة في مساجد أخرى بفاس بالإضافة إلى الجامع الأكبر، والموئل الأزهر، جامع القرويين.

ومن هذه المساجد :

- ضريح سيدي أحمد الشاوي :

الذي درّس به جامع الإمام الترمذي.

- **ضريح مولاي إدريس الأزهر :**

الذي درّس به موطأ الإمام مالك.

- **جامع القلعة الكائن بأعلى عقبة صوال :**

حيث درّس به مقامات الحريري، والبلاغة بالشراح الأربع على السعد.

وختم تفسير الإمام ابن عطية في مجلس مولاي حفيظ بقصره بالبطحاء بفاس.

وكان ممن يسرد بين يديه العلامة السلفي سيدي محمد بن العربي العلوي وهو أحد تلامذته الكبار، ومولاي أحمد الشبيهي، الذي ختم عليه ستة أجزاء من شرح الإمام القسطلاني لصحيح الإمام البخاري(355).

- **مدينة مكناس :**

زارها الشيخ مرتين :

- **الزيارة الأولى**، عام 1327 - 1909، وأثناء هذه الزيارة، أنشد فيه تلميذه العالم الشاعر عبد القادر العرائشي المكناسي، قصيدة قال في ختامها :

هو الشيخ المحقق ذو المعالي	(شعيب) من حوى علما وساحا
إمام قد تفرد بالحديث	فحدثنا وشوقنا وراحا
فلازالت معالمه ترينا	وتمنحنا الهداية والنجاحا

- **الزيارة الثانية**، كانت عام 1339 - 1920 .

وكان علماء هذه المدينة وطلبتها لما علموا بحلوله بمدينتهم، طلبوا منه أن لا يحرمهم من دروسه الجامعة العامرة، فلم يسعه إلا تلبية الرغبة.

قال الأستاذ محمد بن عبد القادر العرائشي :

حدثني بعض من حضر مجالسه، أنه استمر ثمانية أيام، يلقي دروسه الجامعة بالمسجد الأعظم.

(355) ترجمة الحاج أحمد بن شقرون لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، ص 1 وما يليها، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

وكان يحضر دروسه هاته، النخبة من جميع الطبقات، وكان علماء هذه المدينة يجلسون في مقدمة الدرس.

وقد عبر تلميذه الشاعر عبد القادر العرائشي في قصيدته التي أنشدها بين يديه في مجلسه العلمي عن غزارة علم الشيخ (شعيب الدكالي)، وتعمقه في مادة علم الحديث.

ومما قاله في مطلعها :

أمـلـيـحـة قـد أنـعـمت بـوصـال	نـهضت تجر ذيـولـهـا بـدلال
تمشـي بـحسـن تـأدب إن شـمـتـهـا	نـزهت طـلـعـتـهـا عـن الأمـثـال
جـاءت تـبشـرنـا بـطـلـعـة عـالم	قـد أقـبـلت بـالـبشـر والإقـبـال

إلى أن يقول :

شيـخ الشيـوخ (شـعيب) ذو علـم علا	فـهـمـا يـزيـل غـوامض الأشـكـال
في كـل فـن حـاز مـنـه جـلـيـلـه	فتراه فـيـه كـوابـل هـطـال
لاسـيـمـا عـلـم الحديث فـإنـه	قـد خصصـه بـه ربـنـا المتـعـالي
سـعـدت بـكـم مـكـنـاسـة وتمايلت	طـربـاً وقـالت مـرحـبـاً بـجـمـال

ويقول في ختامها مشيراً لتاريخ الزيارة بكلمة (شمس) : 1340 - 1339 :

حسـن الختـام بـحسـن تـاريـخ لـه	(شـمس) كست قـمـر الـعلا بجـمـال
واطـرح أخـي مـن عـهـد شـمس واحـداً	واقصـد سـعـادة كـعـبـة الآمـال[356]

- مدينة تطوان :

تناول زيارة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي لمدينة تطوان، الأستاذ العالم التهامي الوزاني رحمه الله واصفا الأجواء التي تمت فيها هذه الزيارة ولاسيما من الناحية العلمية بقوله :

أثناء العقد الثالث من سنة تسعمائة وألف ميلادية، قام الحافظ الشيخ شعيب الصديقي الدكالي بزيارة مدينة تطاون، وهي الفترة التي كانت قد تحسنت

(356) ترجمة محمد بن عبد القادر العرائشي للشيخ مرقونة على الآلة الكاتبة.

فيها العلاقات بين فرنسا واسبانيا، اللتين كانتا تقومان بحماية المغرب، ومن الغني عن البيان القول بأن التقارب بينهما - فيما يتعلق بتوحيد عملهما في المغرب - لم يكن يقصد منه أن يكون لفائدة وصالح المغرب، بل كانت الفائدة تعود على الدولتين في الدرجة الأولى، لكن، قد يحدث أن يكون في تقاربهما فائدة - ولو ثانوية - للمغرب، وكذلك كان الأمر : فقد سمحت الإدارة الفرنسية بالرباط لبعض العلماء بزيارة تطاون، بعد أن كانت تحظر زيارتهما على موظفيها والذين كانت لهم صلات ودية.

ففي سنة من هذه السنوات زار الوزير الحافظ الشيخ شعيب الصديقي الدكالي تطوان، التي كانت تطفح بتلاميذها المباشرين وتلاميذ عن طريق الوسائط، وحتى علماء تطاون الذين كانوا في سنه، وأخذوا عن مشايخه، رغبوا كل الرغبة في الاتصال به والأخذ عنه، وعلى رأس هؤلاء الوزير العلامة سيدي الحاج أحمد الرهوني.

والعادة بالمغرب - وهي عادة قديمة - أن يقوم العالم الكبير إذا زار بلدا غير بلده، أن يقوم بإلقاء درس أو أكثر بمسجد الجامع الكبير يدعى لحضوره حكام المدينة، وعلماؤها وطلبتها والناس كافة، وهذه هي التحفة التي يقدمها العالم الجليل للبلد الذي يزوره، ويحضر المجلس أو المجالس العلماء بقصد الاطلاع من جهة، وبقصد سبر غور العالم الزائر من جهة أخرى.

فلما زار الشيخ شعيب الدكالي تطاون تلقاه الحكام الاسبانيون بكل حفاوة واحترام، أما المغاربة فلا تسأل عن اعتباطهم بهذه الزيارة الفريدة، وقابل سمو خليفة السلطان الخليفة مولاي الحسن ابن الخليفة السلطاني مولاي المهدي، ابن الخليفة السلطان وصنوه مولاي إسماعيل ابن السلطان مولاي محمد الرابع ابن السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، ابن السلطان مولاي محمد ابن السلطان مولاي عبد الله ابن السلطان الكبير أمير المؤمنين مولاي إسماعيل العظيم، الملقب عند الأوربيين بأنه لويس السادس عشر المغربي.

قلنا قابل الشيخ شعيب الدكالي الخليفة السلطاني مولاي الحسن بن المهدي، ونزل في ضيافته، وصدر الأمر المولوي الخليفي بالتنادي في تطاون بحضور

دروس الشيخ شعيب التي سيلقيها **بالمسجد الأعظم** بعد صلاة المغرب وصلاة الحزب، كانت تطاون في هذه الفترة التي نتحدث عنها، قريبة عهد باستقبال بعثة من طلبة تطاون تلقوا دراساتهم بفاس الادريسية، وطفقوا يقومون بمختلف وجوه النشاط الثقافي والعلمي، وكانت بعثة من نحو عشرين طالبا، فلما رجعوا قوبلوا من أهل بلدهم بكل حفاوة وإكرام، يغبطهم الطلبة الآخرون الذين منعتهم الموانع عن الارتواء من «جامعة القرويين» والتباهي بالأخذ من علمائها المحققين الفطاحل، وكان الطالب التهامي بن عبد الله الوزاني كاتب هذه السطور من جملة الطلبة الذين عاقهم الفقر عن الهجرة في طلب العلم إلى فاس.

وحين تقرر أن يقوم الشيخ شعيب بإلقاء دروسه الحديثية بتطاون تجند أعضاء البعثة للدعوة إلى حضور هذه الدروس التي سيلقيها عالم المغرب، ومحدث العالم الإسلامي الشيخ شعيب، وكنت ممن ساعدهم الحظ فحضرت دروس الشيخ شعيب رغم ما كنت فيه من حياة الانقطاع إلى التصوف ومجانبة «علوم الرسوم».

لكن دروس الشيخ شعيب دروس حديثية، والقوم يرون أن دين الله الحق هو ما جاء به القرآن الكريم، ووردت به السنة النبوية، وعلم التصوف يقوم على هذين الأصلين بقطع النظر عن فقه المعاملات الدنيوية.

وأخذت مجلسي وراء حلقة الدرس مباشرة، وكان جلوس الشيخ شعيب بعتبة خزانة المسجد الأعظم جاعلا جدار المحراب عن يمينه، مستقبلا جهة الشمال، وحضر الشيخ رضي الله عنه وقد غص المسجد بالحاضرين، عبقت روائح الطيب، وتجمل الناس، لأن قصة الإمام مالك، وما كان يفعله - رضي الله عنه - عندما يأخذ في قراءة الحديث كانت شائعة بين الخاصة والعامة، وكان الصوفية عندنا يقررون للإمام مالك - رضي الله عنه - بالخصوصية، بدليل شدة تعظيمه لحديث رسول الله ﷺ.

أخذ الشيخ شعيب الدكالي، يحدث وكان كالنهر الجاري، ثم كالبحر الزاخر، ثم دق عن الوصف، فما هو إلا علم متدفق يغمر الناس والزمان والمكان، وكعادته - رضي الله عنه - في البدئ دائما بحديث «إنما الأعمال بالنيات» من صحيح البخاري، وصال وجال، وتحدث عن الأعمال والنيات، وساير الأسلوب الحديث، حتى

أثبت بالعيان أن النية من العمل بمنزلة الروح من الجسد، وأن العمل من النية بمنزلة الجسد من الروح، فلا غنى للعمل عن النية، ولا ثمرة للنية بلا عمل.

فخطر ببالي ما كنت قرأته في بعض كتب السير، من أن أبا لهب عندما أخبرته أمة له، بأن قد ولد لابن أخيه عبد الله بن عبد المطلب ولد يتيم من أمه آمنة بنت وهب، ففرح أبو لهب فرح جاهلية حيث لم ينقص عدد بني أبيه، وإذ قد ضاع منهم عضو هو عبد الله، فها هو خلفه قد ولد، ولفرحه باكتمال عدد أفراد الأسرة، أشار بسبابته التي بشرته بالمولود، وقال لها : أنت حرة، أما الولد فكان هو رسول الله ﷺ، قال بعض أصحاب السير : إن الله سبحانه - إكراما لعبده ورسوله - جازى أبا لهب - وهو في النار - بأن أجرى له من أصبعه التي أشار بها للأمة بالعتق عرقا من الحليب يمصه كل يوم اثنين، وهو اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، خطر ببالي هذا، وقلت في نفسي : إن عمل أبي لهب كان عملا لا تصحبه نية التعبد، ولكنه لقي الجزاء عن عمل دون نية، فرحبت بها، وسألت الشيخ شعيبا عن قضية ثويبة، وما كدت أذكر ثويبة حتى أخذ الشيخ الموضوع وذكر القصة كما رواها رواتها، وشرحها للجماهير، والتفت إلي - مبتسما - وقال : دعنا من أحاديث القصاصين واشتغل بالحكمة الكبيرة، صحيح البخاري، فقد ورد فيه أن رسول الله ﷺ قال لحكيم بن حزام : «لقد أسلمت على ما سلف لك من خير».

أو كما قال قال ذلك ﷺ لحكيم حين سأله عن وجوه من البركان ياتيها في الجاهلية، فقصة حكيم بن حزام أصعب لأنها حديث صحيح، ثم أخذ الشيخ يوضح الموقف : وغاية ذكرها - فيما أحسب - أن حديث الباب «إنما الأعمال بالنيات» هو الحكم الأساسي العام، وما ورد مما يفيد ثبوت أجر عن عمل غير مسبوق بنية، فالأحكام الجزئية لا يقاس عليها، فما صح منها فله حكمه كما ورد، دون أن يؤثر في القاعدة وعمومها.

وطاب المقام للشيخ بتطاون، والتف عليه تلاميذها والعلماء والأماثل والأعيان، وقررت وزارة العدل الخليفية وعلى رأسها وزير عدلية مولانا الخليفة السلطاني الفقيه العلامة شيخنا سيدي أحمد الرهوني - رضي الله عنه - إقامة حفلة تكريم واستقبال على شرف الضيف الكريم، ورغب العدول وطلبة العلم في أن يساهموا في هذا التكريم، فأقاموا حفلا مهيبا ببستان الفاضل، سيدي محمد

السلوي التطاوني، في زيانة خارج الباب السعيد، وحضر هذا الموسم الفذ في حياة تطاون نحو مائة مدعو، من العلماء والعدول ودام نهارا كاملا، قطعناه في صحبة الشيخ شعيب، وكان شيخنا الرهوني - بما عرف عنه من لطف وسعة اطلاع، وغزارة علم، ونكتة حاضرة، وتواضع صوفي منقطع النظير، وكرم حاتمي لم يعرف لمثله في تطاون، حاشا ما كان من الشيخ سيدي إدريس الحراق، رضي الله عنهما - كان الرهوني رئيس لجنة الاحتفال، فعرف كيف يجعلنا نستفيد من هذا اليوم أكبر وجوه الاستفادة، ودارت أحاديث شتى والشيخ شعيب منبسط طيب النفس، يتعمق في الفهم والتفهم والتفهيم، بعباراته الواضحة، وحجته الدامغة، وحفظه لسائر سير الأمثال، ولا أزال أتذكر حكاية حكاها في إحدى المناسبات قال :

كنا نحضر مجالس العلماء التي يعقدها السلطان مولاي حفيظ، قال : وكنت حديث عهد بالعودة من المشرق، لم تطل صحبتي للسلطان، وأخذ قارئ كتاب أدب يسرد من روائع أقوال الأقدمين، حتى أتى على بيت شعر في قصيدة هو :

تلا من كتاب اللّه والرمح مشرع   فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فاستوقف السلطان القارئ وسأل أكبر العلماء المحدقين به قصة هذا البيت فلم يجد عنها ما يقوله فيه، وعادة مجالس السلطان أنه كان يأخذ نسخة في يده من الكتاب الذي يسرد، ويأخذ أحد العلماء المعدين للسرد في عرض النبذة المقرر عرضها، فتسرد في تؤدة ووضوح وإعراب، ثم ينتقل السارد من موضوع إلى آخر ومن مسألة إلى أخرى، فإذا رغب السلطان في مناقشة أحد النصوص، طوى الكتاب الذي بيده ونظر إلى أجل العلماء الحاضرين فيسكت السارد، ويأخذ العالم في عرض ما يعلمه بكل موضوعية ووضوح واختصار، فإن اكتفى السلطان بذلك فتح الكتاب من جديد، فعاد السارد إلى السرد، وإلا أخذ العالم الثاني في إفراغ ما في وطابه في كلمات مركزة معدودة، فإن اكتفى السلطان عاد إلى فتح الكتاب، وإلا أخذ الكلمة العالم الثالث، وربما دار الحديث حتى يقول الحاضرون كل ما عندهم، فإذا أبقى السلطان كتابه غير منشر، فتح باب المناقشة الهادئة، فلما كان المجلس الذي أتى فيه على بيت حاميم، أشار السلطان لأقرب الحاضرين منه، فالتفت العالم الأول إلى من يليه مشيرا إليه هل عنده منه علم فأشار بالنفي، فأشار إلى غيره وغيره، حتى وصل السؤال إلي، فأجبت بالإشارة أن نعم، وبما أنني كنت حديث عهد

بمجالس السلطان، فإن العالم الصدر، نظر إلى السلطان، كأنما يستأذنه في أن أتحدث - يقول الشيخ شعيب - وكان ضمي إليه بعض أخباري في المجالس العلمية، فأشار السلطان أن أذنه بأن يقول ما عنده، قال الشيخ شعيب، فاندفعت أقول :

إن البيت من قصيدة رجل من شيعة علي - رضي الله عنه - حضر بعض الوقعات معه، وكان شعار أصحاب علي فيها «حميم» فما بين الرجل وبين أن يعرف حزبيه إلا أن يردد كلمة «حم».

وحدث أن صاحب البيت لاقى مرة رجلا حسبه من حزب معاوية، وكان يقرأ آيات من القرآن،وكانا كلاهما في حالة حرب شرعي، فعاجله صاحب البيت بضربة أتت على نفسه، فقيل له أنه من شيعة علي وهي شيعتك، فلما قال قصيدته تعرض لهذه الحادثة، ولام المقتول لكونه عندما تقابل معه لم يفه بالشعار الذي هو (حم) فلو أنه قالها لنجا من الموت.

قال الشيخ شعيب، ومن ذلك الوقت عرفني القوم، وهنا حضر وقت الصلاة فصلى بنا الشيخ شعيب صلاة الظهر وحضر طعام الغذاء، ثم دارت كؤوس الأتاي، واجتمع المدعوون في مجلس واحد فطلب الشيخ الرهوني من الشيخ شعيب أن يلقي درسا على الطريقة التعليمية المتبعة في القرويين، لكي يحصل جميع الحاضرين على فضل الأخذ عن الشيخ شعيب، فقال : احضروا كتابا لنجعله موضع الدرس، فقام صاحب البيت سيدي محمد بن الفقيه العلامَة، سيدي أحمد السلوي، التطاوني، فأتى بكتاب الأربعين النووية، وتناوله الفقيه المرير، واختار من بين الأحاديث الحديث القدسي... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم. الحديث... فذكره بسنده إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وسرد الحديث بطوله، - والحاضرون سكوت كأن على رؤوسهم الطير - إلى أن أتى على آخره، فافتتح الشيخ شعيب درسه بالمقدمة المعتادة عند المحدثين : إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم قال : هذا الحديث رواه أبو ذر رضي الله عنه، وانفجر الشيخ شعيب كالماء المنهمر، فذكر قبيل أبي ذر الغفاري، وانجر إلى سبب إسلام أبي ذر، وكيف بعث أخاه ليستطلع له خبر رسول الله ﷺ بمكة، وكيف أن أخاه أتاه بمعلومات ناقصة، وكيف قصد مكة، وكيف كان بالليل يدخل تحت ستر الكعبة فيتسلل حتى

يسامت رسول الله ﷺ - وهو لا يراه من ظلام الليل وستار كسوة الكعبة - وكيف مكث شهرا طعامه وشرب ماء زمزم حتى سمن وطويت أعكانه، وكيف استوعب ما كان محتاجا إليه من المعلومات، ولاسيما في سماعه لتلاوة القرآن الكريم من رسول الله ﷺ، وكيف أسلم، وكيف كان في قومه مبشرا، قبل الهجرة، وكيف هاجر، وكيف كانت حاله بالمدينة، وكيف تأخر عن الركب في «غزوة العشرة» ثم كيف كانت مواقفه من الدين ولاسيما في عهد تحريف تأويل القرآن، هذا والحاضرون أخذهم سحر قوله وقوة بيانه، حتى انبهروا مما لم يظنوا أن الدنيا تشتمل على مثله، في دقته واسناده للأخبار من مصادرها، واستشهاده على كل شيء بكلام العرب وشعر الفحول، ولا أدري كيف ساقه الحديث إلى شأن الوضوء للصلاة، فذكر ما عند المالكية في ذلك من وجوب إزالة النجاسة، مستدلين بآية «وثيابك فطهر» فصال وجال، وأتى بدلائل من صحيح البخاري يثبت أن الصحابة كانوا لا يقطعون الصلاة من جراء طروء خروج الدم من أبدانهم، مما يوذن بأن النجاسة سقوطها لا يبطل الصلاة. وذكر في تأويل آية «وثيابك فطهر» ما رواه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه كان لا يرى وجوب إزالة النجاسة، للحرج في ذلك، فلما قال رأيه بمحضر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه - فيما أذكر - عارضه معارض بآية «وثيابك فطهر» فقال ابن عباس : إن المراد بالثياب في هذه الآية هو القلب، فقال له قائل : أو تعرف العرب ذلك ؟ فقال ابن عباس : نعم، فهذا امرؤ القيس يقول :

وإن تك قد سائتك مني إساءة   فَسُلِّي ثيابي عن ثيابك تنسل

ومراده سلي قلبي عن قلبك، وذهب الوقت كله في ترجمة أبي ذر حتى ما ظننت أن بقيت كلمة في بطون الدفاتر مما يتعلق بأبي ذر إلا أتى عليها، وشعر الشيخ شعيب بأن لابد من سرد الحديث القدسي، والتعرض لفقرات منه، حتى يتسنى للحاضرين أن يتبركوا بالأخذ عنه، وقبل أن يأتي على شرح معاني الحديث أخذ يحل ألفاظه بل حروفه، ولازال صوت الشيخ يطن في أذني بعض مضي نحو ثمانية وثلاثين عاما وهو يتكلم عن كلمة «تظالموا» الواردة في الفقرة الحديثية ﴿يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا﴾ فذكر أن اللام تقرأ مفخمة في قراءة ورش إذا أتت بعد ظاء مفتوحة مباشرة أو بفاصل الألف واستشهد بقول، وفخم ورش فتح لام لصادها، الخ.. ثم فسر بضع كلمات، وحضرت

صلاة العصر فصلى بنا إماما، وقام من مجلسه وتبرد، حيث كان الوقت وقت اشتداد الحر، ثم عدنا إلى مجالسنا وعاد إلى مجلسه، فلما اطمأن بنا المجلس دخل الفقيه الرهوني، وبيده علبة صغيرة، لفت في سراقة حرير، فتقدم بها إلى الشيخ شعيب وقال له بصوت مرتفع : هذه هدية من الطيب، فحدثنا عن الطيب، فتناولها الشيخ شعيب، وابتسم إليه ابتسامة تنطوي على شيء كثير من المعاني الواضح بعضها والغامض بعضها، وسمعت آذاننا كلماته، كأنها فضة جرت له لا يجب اطلاع الجميع عليها، فلما ختمها قال في ذيلها : عادة الطلبة أن يهز بعضهم لبعض الغصون العشرة، فضحك المشائخ هنيئة، ثم تزمت الشيخ شعيب، واندفع يقول : حدثنا عن الطيب أبو الطيب ساكن طيبة ﷺ أنه قال : حبب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في المساجد، هكذا حدثناه دون زيادة كلمة «ثلاث» إثر كلمة «من دنياكم» واندفع في هذا المضمار كأنما قضى في إعداد درسه أياما جديدة.

وبعد انتهاء هذا الدرس كانت الشمس ألت للاصفرار، فودعنا وانصرف، وكان بالنسبة إلي آخر منظر رأيته إياه، فلعلنا سنلتقي معه - بفضل الله وكرمه - في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأتذكر هنا قصة ذكرها عن نفسه، أظن أنه لا يوجد من يعرفها حاشا الذين حدثتهم أنابها، رويتها عن شيخي ووسيلتي إلى ربي مولاي إدريس ابن مولاي الحسين، ابن العارف بالله الشيخ سيدي محمد الحراق، رضي الله عن جميعهم، فقد حدثنا ذات يوم أيام كانت الحرب العالمية الأولى قائمة، وكان قام في أوائلها برحلة إلى داخلية المغرب صحبه فيها كثير من أتباعه، واعتبرها الناس في تطاون مجازفة خطيرة حيث كان الوضع بالعالم وضع حرب لم يعرف التاريخ لها من نظير، وحيث كان الوضع بالمغرب في أشد ما يكون من البلاء، والشدة : فقد انفصلت مناطق الشمال المغربي عن مناطق جنوبه، انفصالا فظيعا حدث لأول مرة في التاريخ، بسبب مرض حماية مزدوجة، قسمت القطر المغربي الواحد إلى عدة مناطق : حماية فرنسية في معظم المعظم، حماية اسبانية في نحو عشر المغرب، حماية طنجية في طنجة وقطاع من الفحص، وبعض أنجرة، ودخلت فرنسا الحرب العالمية بعد فرض المعاهدة بنحو سنة واحدة : واحتاج الماريشال ليوطي إلى دهاء ومرونة

منقطعي النظير، فإذا حاول تخدير المغرب، اضطرته حاجات الحرب القائمة في فرنسا إلى إدراج المغرب والشمال الإفريقي الخاضع لفرنسا ضمن المجهود الحربي الفرنسي، ففرض الضرائب الفادحة، وأخذ الشباب المغربي مجندا ليموت في أوربا وغير أوربا، في سبيل قضية لا يد للمغرب فيها، ولا نفع يرجى من ورائها، ومع ذلك فقد تغلب «ليوطي» على هذه الصعاب، محقق كل ما طلبه منه موقفه كقائد كبير من نصر في إدارة المغرب وفوز بخيراته وأمواله، وأبنائه إلى درجة الإفلاس، وكان له مطمع جهنمي في سياسة البلاد، ومراقبة كل شاذة وفاذة فيها، وكان من النابغين الذين يستطيعون أن يكيفوا المواقف كيفما كان نوعها، سواء كانت مواتية أو غير مواتية، يكيفونها إلى فرص سانحة تفيد فرنسا، ولو كان من المؤكد أن تستفيد منها، فكان قادرا على استخراج اللبن من ثدي القردة، وقادرا على جز الصوف عن حلبه دما، مكذبا المثل القائل كالقرد لا صوف، لا حليب.

فلما عزم سيدي إدريس الحراق على القيام برحلة إلى فاس والرباط والمدن التي بها زوايا جده سيدي محمد الحراق رضي الله عنه، استصدر ترخيصا من القنصلية الفرنسية بتطاون، وكان من المنتظر أن تجيب بالرفض، ولكنها أجابت بالقبول ولا يحتاج إلى ذكر أن قنصلية تطاون لم تقدم على الترخيص إلا بعد أخذ رأي المسؤولين في الرباط، كما أن من الواضح أن الرباط لم تأذن في هذه التجربة التي ستكلفها جيشا من الجواسيس والمحترفين، إلا بعد أن وازنت بين نتيجتي القبول والرفض : فأما سيدي إدريس فقد أدى مهمته التي قصدها وهي زيارة زوايا جده بالمغرب، والقيام بجولة سياحية مكنته من تبليغ الدعوة التي أخذ على نفسه القيام بها، وأما الإقامة العامة بالرباط، فإنها وجدت في مثل هذه الرحلة نوعا من المخدرات التي كانت محتاجة إليها، ليقال : إن المغرب يتمتع بالهدوء والاطمئنان.

واتصل سيدي إدريس الحراق برجالات المغرب، ومن بينهم الشيخ شعيب الدكالي، الذي كان بحر علم يخوض في كل لجة كأحسن خائض فيها، ومن ذلك ميدان التصوف، الذي أخذ به سيدي إدريس، وفي مذاكرة من مذاكرات التصوف وشؤونه تحدث الشيخ شعيب إلى الشيخ سيدي إدريس الحراق فقال - كما يروي ذلك سيدي إدريس : لقد كنت في مكة المكرمة، وكان عامة علمائها من أهل السنة

والجماعة، لأن السلطان العثماني على عقيدة أهل السنة، وكان الشريف عون يتظاهر بمظهر أهل السنة، ولكنه في سره كان شيخا متطرفا، وكان الشيخ شعيب يرى علمه، بأهل السنة إذا ذكر الإمام علي، رضي الله عنه وكرم وجهه، لا يبالغون في الثناء عليه خشية أن يتهموا بالرافضية، فكان الشيخ إذا ذكر الأئمة الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، يبالغ في الثناء عليهم لأنهم أفضل الصحابة عند أهل الحق، وكان الشريف عون يعجبه أن يثني الشيخ شعيب على الإمام علي كرم الله وجهه، ويحسب أن ذكره للشيخين أبي بكر وعمر، إنما هو من باب التقية، قال الشيخ شعيب :

وكان الشريف عون - والي مكة - يدعوني في كثير من الأوقات، ويفضي إلي ببعض آرائه في السياسة والعقيدة، فكنت أجامله، وأتقي أن أصطدم به، فإنه سيد الحجاز، أما أنا ففقيه مغربي.

قال سيدي إدريس : قال الشيخ شعيب : استدعاني الشريف عون ذات ليلة لأتناول معه طعام العشاء، فلما دخلت عليه لم أجد عنده أحدا، إنما هو وأنا، فهش إلي وبش، وأذن باحضار السفرة فنصبت، ووضع عليها جبنة كبرى من الأرز المبخر الغارق في السمن وفوقه خروف كامل، أجيد طهيه وشويه، بحيث تشتهيه نفس الشبعان، فاشتقت إلى الأكل منه، ولكن الشريف عونا التفت إلي وقال في صورة المداعبة : ما أنت بآكل منها لقمة أو تسب الرجلين (أبا بكر وعمر) فشغلته ببعض الحديث، وكأنه فهم كراهيتي لما جابهني به، واعتذرت له عن الأكل بمانع من الموانع، وكنت صادقا لأن المانع هو الشرط الذي اشترطه علي، وتظاهرت بالصداع واستأذنته بالانصراف فأذن لي بذلك، وخرجت كئيبا لهذه الحادثة، ولم أذهب بعيدا حتى لقيني رجلٌ عليه سيما الصلاح، فسلم علي، واستوقفني فوقفت، فعرض علي أن أذهب معه إلى منزله، فلم يجد مني أدنى امتناع، ولما دخلنا داره أذن بإحضار العشاء، فقدمت إلينا جبنة كانت أخذت من سفرة الشريف عون، فأخذت أتأمل في هذه الملابسات والشؤون فالتفت إلي وقال :

أتعجب من أمر الله ؟ إن الله أطلعني على قصتك قبل وقوعها وألهمني أن أعد لك هذا العشاء، لتزاد تأكدا من أنك على حق في حب الأربعة، وإن بعضهم أو واحدا منهم لعلى غير حق.

قال الشيخ شعيب - يقول سيدي إدريس الحراق - : فتناولت عشاء شهيا صحبة رجل صالح، وسألته، من هو ؟ فأجاب بقوله : أنا القطب، فحمدت الله وشكرته على أن وفقني، وعرفني بالقطب.

ومن جملة مذاكرات الشيخ شعيب في «غرسة السلوى» أنه عندما سئل عن العمل بالحديث، أجاب بأن العمل بالحديث - ولو صحيحا - لابد أن يعاني صعوبات، ومتناقضات : فالإمام مالك - رضي الله عنه - وكذلك أصحابه وبناة مذهبه وجد الحديث الصحيح يقول : من أراد قضاء الحاجة فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ولكن شرقوا أو غربوا، أو كما قال : ثم يجد أهل المدينة، وأهل العلم، والذين لا يبالون كيف يبنون مراحضهم ولا يراعون عند قضاء حاجاتهم أن يستقبلوا أو يستدبروا بما شاؤوا، فقال خليل وهو عمدة المالكية في المغرب، «وجاز بمنزل وطْءٌ وبَوْلٌ مستقبل قبلة ومستدبرا وإن لم يُلْجَأ، وأول بالسّاتر وبالاطلاق، لا في الفضاء وبستر قولان تحتملهما (المدونة) والمختار الترْك» وهذا النص عندما يطلع عليه أصحاب الحديث يرونه معارضة صريحة لحديث صحيح لا يطعن فيه، فيمتعضون من هذه الأقوال المصادمة للسنة، ولا يكادون يفهمون احتجاج الإمام مالك بعمل أهل المدينة إلا بمشقة عظيمة.

وكان الشيخ شعيب لا يكاد يأتي على نص حكم من الكتاب والسنة إلا اتبعه بنص من مختصر خليل المالكي.

الحمد لله وجده مكتوبا في الورقتين البيضاوين الأولين من الجزء الأول من شرح الشمائل الترمذية، وكانت للمرحوم الفقيه سيدي محمد الصباغ التطاوني، وكان الشيخ شعيب الدكالي من جملة شيوخه.

1 - الثلاثيات التي في البخاري 23 تقرير شيخنا سيدي شعيب الدكالي.

2 - الحمد لله أخبرنا بالشمائل خطيب الحرم المكي محدث وقته سيدي أبو شعيب الدكالي، قال حدثنا سيدي علي الصالحي المصري حدثنا الصعيدي حدثنا محمد بن عقيلة المكي حدثنا حسين بن علي العجيبي حدثنا صفي الدين القشاشي حدثنا محمد بن علي الشتاوي حدثنا والدي الشيخ علي بن عبد القدوس، حدثنا سيدي عبد الوهاب الشعراني حدثنا الشيخ زكرياء الأنصاري حدثنا أبو الفتح الزين المراغي حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الحيرثي حدثنا أبو الحسن علي بن عمر

الواي حدثنا ابن العربي الحاتمي حدثنا عبد الوهاب بن علي بن سكينة البغدادي حدثنا عبد الملك البغدادي حدثنا أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري حدثنا أحمد بن محمد بن المحجوب حدثنا أبو عيسى الترمذي.

3 - أخبرنا شيخنا الفقيه العلامة الشيخ شعيب الدكالي بسند إلى الإمام البخاري إجازة - عدا إنما الأعمال بالنيات إلى آخر الحديث - قال أخبرنا الشيخ سليم البشري قال حدثنا الشيخ منة الله قال حدثنا العلامة الأمير قال حدثنا الشيخ أبو الحسن الصعيدي قال حدثنا محمد بن عقيلة المكي قال حدثنا الشيخ حسن كذا بن علي العجيم قال حدثنا أحمد بن العجلي اليمني قال الشيخ يحي بن مكرم الطبري قال حدثنا جدي والشيخ محب الدين الطبري قال حدثنا الشيخ إبراهيم بن محمد بن صدقةالدمشقي قال حدثنا عبد الرحمان بن عبد الأول الفرغاني قال حدثنا الشيخ محمد بن نصر بن شاذ نخت عن يحي بن عمار الختلاني عن الشيخ أبي يوسف البربري عن الإمام البخاري رضي الله عنه.

وأخبرني أيضا الشيخ شيخنا المذكور بسندي إلى الإمام النووي رضي الله عنه بأحاديثه الأربعين قال حدثنا سيد أحمد الرفاعي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ سيدي محمد الزرقاني شارح الموطأ عن والده عبد الباقي عن علي الأجهوري عن نجم الدين الغيطي عن زكرياء الأنصاري عن الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي عمر التنوخي عن عز الدين بن جماعة عن الإمام النووي يحيى بن شرف ومنه بسنده إلى الإمام مسلم.

ولعل من غريب وجوه الاتفاقيات بالنسبة إلى كاتبه التهامي بن عبد الله الوزاني ما اشتمل عليه سند الفقيه الصباغ رحمه الله - المتصل بالإمام البخاري من أن شيخه الشيخ شعيبا الدكالي أجازه في صحيح البخاري ماعدا حديث «إنما الأعمال بالنيات» وإنما أقول : لم أسمع الشيخ شعيبا الدكالي يدرس من صحيح البخاري ماعدا حديث «إنما الأعمال بالنيات».

ومن المواقف الوطنية الرائعة التي وقفها الشيخ شعيب الدكالي، وحفظها أهل العلم بتطاون، حتى سارت سيرة الأمثال ما حدثنا به غير واحد من أهل العدل وغيرهم من أن الشيخ شعيبا جمعت بينه وبين الماريشال ليوطي إحدى المناسبات وكانا جالسين على مائدة الطعام، فحضرت سينية البسطيلة، وهو طعام فاخر،

فسأل «ليوطي» الشيخ شعيبا عن اسم هذا الطعام، فأجابه بأنه «بسطيلة» وهي كثيرة التداول في الحفلات، فقال ليوطي : لقد عشت كثيرا في القطر الجزائري - وهو قطر مغربي - وما رأيتها[357] على مائدة قط.

فقال الشيخ شعيب الدكالي - لا فض فوه - : إنها طعام ربما كان أصله من الجزائر، وبعد أن مر عليها خمسة وثمانين عاما فاقدة لاستقلالها انقرض فيها هذا النوع من الطعام الذي يوشك أن ينقرض من المغرب أيضا إذا طال عليه أمد فقدان الاستقلال.

فأجلس «ليوطي» وكان رجلا لبقا، وقد شعر بما أراد أن يقوله العالم الكبير تعريضا بأن فقدان الاستقلال يصاحبه الفقر والخصاصة، حتى تنسى الأطعمة الفاخرة، لعجز المستتمرين (بفتح الميم) عن الانفاق على هذا الوجه من وجوه الترف المؤذن بقدرة اقتصادية صالحة[358].

- مدينة سلا :

كان أول اتصال شيخ الإسلام بهذه المدينة الأصيلة العتيدة بعد عودته من المشرق في عهد المولى عبد الحفيظ حيث زارها وألقى فيها درساً حافلا شهدته الجماهير الغفيرة من أهل سلا النبهاء النبلاء.

ويصف الأستاذ جعفر بن أحمد الناصري هذه الزيارة، والدرس الملقى بالمسجد الأعظم بسلا :

ثم ألقي درسه الخالد بالمسجد الأعظم بسلا، وكان موضوعه (حديث كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ)، المفتتح به صحيح الإمام البخاري.

ومازلنا نتذكر اهتمام الناس بهذا الدرس القيم الذي لم يتخلف عنه أحد من علماء سلا، وطلبتها، وموظفيها، وأعلامها، وأعيانها، وحتى ذوو الحرف والصنائع من عامتها، كأن الناس حشروا إليه حشراً، أو سيقوا إليه قهراً، وانطلقت ألسنتهم بمدحه، والثناء عليه سراً وجهراً، وتحدثوا به وعنه دهراً، لأنه كانت لهم فيه عبرة وذكرى[359].

---

(357) (358) كلمة الأستاذ الأستاذ التهامي الوزاني عن رحلة الشيخ لمدينة تطوان وهي مرقونة على الآلة الكاتبة.

(359) شيخنا الشيخ الوزير، ص 6.

ثم توالت زيارة الشيخ لهذه المدينة العريقة من بعد تباعاً، ونظراً لقرب مدينة سلا من رباط الفتح مقر الشيخ، كان تلامذته من أهل سلا يأتون إليه من منتصف الليل بواسطة السفن بين العدوتين لحضور درس الشيخ بعد صلاة الصبح كما حدثني الحاج أحمد ماعنينو رحمه الله أحد تلامذة الشيخ السلاويين.

- مدينة طنجة عاصمة البوغاز :

زار الشيخ شعيب مدينة طنجة وألقى بها درساً حديثياً من أوائل صحيح الإمام البخاري، وهو قوله عليه الصلاة والسلام : «إنما الأعمال بالنيات، الحديث»، كما تناول دروساً أخرى من بعد.

وقد حضر هذه الدروس وجهاء المدينة من علماء، وأكابر، وطلبة العلم.

وأورد الحافظ المحدث أحمد بن الصديق - مع اختلاف المشرب مع الشيخ شعيب - أورد طُرفة في كتابه جؤنة العطار حول هذا الدرس قائلا :

لما جاء شعيب الدكالي إلى طنجة، وشرع يقرأ دروساً في صحيح البخاري كان يفتتح درسه بقوله : قال الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبة الجعفي مولاهم البخاري، فصار أهل طنجة يقولون إنه متكبر لا يتنازل أن يقول مولانا البخاري بل يقول مولاهم البخاري[360].

- مدينة آسفي :

كانت للشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله صلات ووشائج قربى بمدينة آسفي، فكان يزورها تباعاً، وكلما حل بها ألقى دروساً علمية حافلة بمسجدها الأعظم أو العتيق.

ذكر الأستاذ محمد السعيدي الرجراجي أثناء ترجمة تلميذ الشيخ، الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني، أن ما عيب على هذا الفقيه من خصومه، تفسيره لكتاب الله.

---

(360) جؤنة العطار في طرف الفوائد ونوادر الأخبار، للشيخ أحمد بن الصديق، ج 1، ص 53، مخطوط.
وما ورد من بعض أهل طنجة أن الشيخ يقول مولاهم ولا يقول مولانا فذاك من عدم الاطلاع إذ وصف البخاري بالجعفى مولاهم نسبة إلى ولاء الجعفيين لأن جده كان مجوسياً وأسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي، فهو جعفي ولاء.

وقد أقاموا الدنيا، ولم يقعدوها، وقالوا تحريضاً للعامة : إن تفسير القرآن الكريم كفر، وأن كلام الله فوق تفسير البشر، ثم زادوا بأن التفسير يتسبب في موت الملك.

وليس هناك أقوى من هذا التدجيل الذي أبطله الشيخ شعيب الدكالي حينما ألقى درساً بالمسجد الأعظم (بآسفي)، وسئل عن ذلك فأجاب : بأن القرآن لم ينزل إلا ليفسر، وبطل السحر[361].

- مدينة تارودانت :

حدثني الأستاذ سيدي عبد السلام الدرقاوي عضو المجلس العلمي بتارودانت عن الأستاذ سيدي أحمد غالب السرغيني العضو بالمجلس المذكور أيضاً، أن الشيخ أبا شعيب الدكالي رحمه الله زار مدينة تارودانت، وألقى بها دروساً علمية بالزاوية التجانية.

- مدينة أبي الجعد :

حدثني الأستاذ الحاج سيدي محمد الحبيب الناصري الشرقاوي رئيس المجلس العلمي لجهة الشاوية ورديغة - سطات، ورئيس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، أن الشيخ أبا شعيب الدكالي رحمه الله قد زار مدينة أبي الجعد، وألقى دروسه بالزاوية الشرقاوية التي كانت له بها صلات مودة ومحبة.

- مدينة الدارالبيضاء :

كان الشيخ رحمه الله بين الفينة والأخرى يزور مدينة الدارالبيضاء، ويلقي بها دروساً علمية ولاسيما بالمسجد المحمدي الذي يوجد بالقرية الحبسية حيث يطل على القصر الملكي حالياً.

وكان من الذين حضروا هذه الدروس القاضي الأديب أحمد الأزموري، والفقيه السيد أحمد التازي، والفقيه العدل السيد أحمد حجي السلاوي الذي كان مؤقتا بالمسجد الأعظم (العتيق) بحي بوسمارة بالدارالبيضاء، والفقيه بوشعيب الأزموري الملقب بالفاسي وغيرهم كثير.

---

(361) انظر الفقيه محمد بن أحمد الكانوني، ص 160، للأستاذ محمد السعيدي الرجراجي، ط 1، عام 1421 - 2000، منشورات جمعية آسفي للبحث والتوثيق.

- مدينة الجديدة :

تعد مدينة الجديدة حاضرة إقليم دكالة، وبحكم زيارة الشيخ رحمه الله مراراً لمسقط رأسه بدوار الصديقات، وحيث كانت والدته الفاضلة رحمها الله هناك، فكان الشيخ يعرج على مدينة الجديدة فينزل عند بنته الحاجة آمنة رحمها الله والدة الأستاذ الحاج محمد الصديقي الإدريسي حفظه الله.

وبهذه المناسبات المباركة كان الشيخ يلقي ما شاء الله من دروس حافلة ولاسيما بالمسجد الأعظم بمدينة الجديدة، الملقب بمسجد ابن الحمدونية باسم القائد المشهور.

وكان ممن تلقى عنه بهذا المسجد، العالم الفقيه محمد الحطاب عالم الجديدة وخطيبها.

نقل عنه العلامة عبد الرحمان بن محمد الباقر الكتاني في هذا الصدد، ومن رحاب المسجد المذكور ما يلي :

ومن الفوائد النفيسة التي سجلتها عن صاحب الترجمة (يقصد العلامة محمد الحطاب) أنه سمع شيخنا الإمام أبا شعيب الدكالي - رحمه الله - يقول في بعض دروسه الحديثية بالجديدة :

«كنت أحد العلماء الذين يحضرون الدروس الحديثية التي كان يعقدها الملك عبد الحفيظ بالقصر الملكي بفاس قبل عقد الحماية، فصار جمع من العلماء الكبار يتناقشون حول التاء الواردة في قوله تعالى : ﴿قالت نملة﴾ (النمل / 18) هل هي للتأنيث أم للوحدة ؟. فقلت لهم : لقد فرغ العلماء من البحث في هذا الموضوع منذ قرون عديدة، وكان ينبغي لنا نحن أن نبحث عن الطرق التي تمكننا من طرد الجيش الفرنسي الذي بدأ يحتل بلادنا منذ سنوات، وبلغني أنه وصل في هذا الأسبوع إلى سيدي (أبي عثمان) بقبيلة الرحامنة في طريقه إلى مدينة مراكش...».

وهو كلام نفيس لا يصدر إلا من رواد الفكر وقادة النهضة[362].

---

(362) انظر من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر، ص 207 للإمام عبد الرحمان بن محمد الباقر الكتاني، المرجع السابق.

ثانيا : رحلات الشيخ شعيب خارج المغرب :

بالرغم من أجواء الاستعمار البغيض، التي كان يعيشها المغرب، والأقطار العربية الإسلامية الأخرى، وبالرغم من أعباء الشيخ العلمية، والرسمية، فقد استطاع التحرك، والرحلة إلى بلاد المغرب العربي، ولاسيما الجزائر، وتونس، بحكم الجوار، والصلات المشتركة من الدين، والتاريخ، واللغة وغيرها من العلاقات.

يقول العلامة محمد المختار السوسي في هذا الشأن :

وحدثني صاحبي عالم الشباب سيدي محمد بن أبي بكر التطواني السلوي[363]، ذكره الله بالخيرات، كان حقبة في صحبة الشيخ إلى تونس مع وفد من علماء المغرب الكبار علما، وسمعة، ومنهم من يرى لنفسه أن مقامه في العلم أعظم من الشيخ.

قال : ولكن أبى الله إلا أن يكون الشيخ هو المتقدم في كل شيء، والمنظور إليه بين أصحابه بالإجلال الزائد، فيحكى في ذلك حكايات تدل على أن الجزائر، وتونس تعرفان الشيخ شعيبا كما يعرفه المغرب الأقصى[364].

فقد زار الشيخ الجزائر، وألقى بها دروساً حافلة بجامع القسطنطينة، وكان له اتصال مودة بالشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وجماعته بحكم الرابطة العلمية، والوشيجة الإصلاحية التي كان يشترك فيها الإمامان الشيخان.

ويدل على تلك الثقة الخالصة، والمحبة المتواصلة بين الشيخين شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، والشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، أن هذا الأخير، لما بلغه نعي شيخ الإسلام أبي شعيب، وأنه ستقام له حفلة تأبين يوم الخميس 10 جمادى الثانية عام 1356موافق 26 غشت 1937، عقد العزم على حضور تلك الحفلة، لولا تدخل الإقامة العامة للحماية الفرنسية بالمغرب التي منعته من الحضور، والمشاركة[365].

---

(363) هو العالم الأديب البحاثة الكريم ابن الكريم طُلب لتولية القضاء فامتنع،واشتغل ببيع الكتب حتى توفاه الله فكان من الزاهدين القانعين، كان منزله مأوى لكل غريب وصديق إقامة وأكلا، يلقاك بالترحيب من بعيد ورؤيته رحمه الله تفرح القلب، وتزيل الهم، وكلامه يدخل البهجة على النفس لأنه كان من أهل الله الصادقين كنت أزوره مراراً في بيته بسلا فيحصل ما ذكرنا وفوق ما ذكرنا رحمة الله عليه.

(364) الترجمة الخاصة للشيخ ضمن مشيخة الالغيين.

(365) سنثبت كلمة الشيخ عبد الحميد بن باديس في الموضوع عند الكلام عن وفاة الشيخ.

وكانت للشيخ أبي شعيب الدكالي جولات متكررة، وزيارات متوالية لبلد تونس.

رحلة الشيخ إلى تونس :

ونترك الكلام في هذا المقام لشيخ الديار التونسية سليل العلماء الأفاضل، الفاضل بن عاشور، ليحدثنا عن رحلات الشيخ لبلاد تونس الشقيقة، بقلمه العذب السيال، وأسلوبه الأخاذ، وفي كلمته هذه فوائد عن الشيخ في هذه الرحلات، وطريقة درسه، ولقاءاته العلمية، وهي كلمة أثرية عن الشيخ لا توجد في مرجع آخر.

قال رحمه الله :

كان العلامة الشهير الإمام أبو شعيب الدكالي قد بدا نجمه ساطعا، وذاع صوته عاليا، من مكة المكرمة في العقد الثاني من هذا القرن، إذ عرف بجمعه لما يعز جمعه من قوة الحفظ ودقيق الفهم، ومحكم التقرير.

وكانت سمعته العالية تصل إلى تونس، كما تصل إلى وطنه الأصلي بالمملكة المغربية الشريفة عن طريق الوافدين من الحرمين الشريفين : يتحدثون بأن شابا مغربيا اسمه أبو شعيب الدكالي قد أتاه الله من تلك النعم ما جعله البارز بين علماء الحرمين الشريفين، وذا المكانة التي لا تدانى بين الخاصة والعامة.

وكان أهل العلم بتونس يهشون لهذه الأخبار ويتناقلونها في لهفة وبهجة، لأنها كانت تروي من غليلهم وتعلل شوقهم إلى أخبار أهل العلم من ذلك القطر الشقيق العزيز الذي قامت بينهم وبينه حواجز من انقطاع الأخبار وتعطل الصلات العلمية، بعد أن كانت موصولة على مر القرون حتى زيارة الفقيه العظيم سيدي محمد المهدي الوزاني لتونس سنة 1323، فكانت تلك الزيارة الحافلة آخر العهد بالاتصالات العلمية بين القطرين إذ قام من الأحداث ما عطل الأسباب، وقطع حتى الترسل بين الأحباب.

وبعد أن رجع الإمام أبو شعيب إلى المغرب واستقر به النوى، في أوائل الربع الثاني من هذا القرن، بدأت الفرص تتاح للأفراد من أهل العلم ليصلوا ما طال انقطاعه ويتمكنوا من الرحلة إلى المغرب الأقصى ويتصلوا بالحركة العلمية هنالك عن كثب.

فكان الأستاذ العلامة القاضي الشيخ محمد الصادق النيفر أول من تجددت به الرحلة بين القطرين.

فسافر سنة 1329 أوائل الحكم الحفيظي، ورجع إلى تونس يذكر من أخبار العلماء ومنازلهم ومجالسهم وآثارهم، ما تلقاه أهل المدارك بعظيم الاهتمام، وتجددت به في الأذهان صورة كان قد علاها الغمام.

ثم وفد على تونس سنة 1330 أحد رجال الثقافة الواسعة والمشاركة القوية في الحكمة والتصوف وهو المرحوم محمد الهادي ابن الوزير خير الدين باشا، ردته إلى تونس مسقط رأسه عواصف السياسة بالبلاد العثمانية بعد أن زار المغرب ومكث طويلا بمدينة فاس، واتصل بأعيان من شيوخها العظام، وفي سنة 1335 زار المغرب الأستاذ الكاتب المؤرخ أبو الأمراء محمد ابن الخوجة في مهمة سفارة رسمية كان لها صدى بعيد من الجهة العلمية والأدبية بما أحكمت من الاتصالات، وجددت من المعارف، وأشاعت بين أهل العلم بتونس من بديع التحارير العلمية، وطرائف الآثار الأدبية التي أتى بها ذلك الأديب الغطريف، فاتضحت المنازل، وعرفت الأقدار، وتوثقت الصلات، وأشرقت للمتوسمين الذوات.

وفي ما أشاعت هذه الرحلات العلمية المتوالية بين أهل تونس من أخبار العلم والأدب بالمغرب، كان اسم أبي شعيب الدكالي يرن رنين الدينار الوازن الخالص، بما سبق له في تونس من سمعة رسخت قبل استقراره بالمغرب، يوم كانت تطلع أخباره على تونس مع العائدين من البلد الحرام.

وكان استقراره رضي الله عنه بمدينة رباط الفتح بعد أن تحولت العاصمة السلطانية عن مدينة فاس إليها عاملا في وضوح مقامه العلمي، ومسليا للمشفقين على مصير العلم في المغرب، بأن العاصمة الجديدة لم ينقطع منها صوت العلم الذي كان رنانا في العاصمة القديمة، وأن فذا من أفذاذ العلماء قد أتى الله به العاصمة نورا وضاحا : بدروسه التي تُشَدُّ لها الرحال، ولاسيما درسه لصحيح البخاري.

ثم كانت منزلته من الدولة بتقلده وزارة العدلية، ورئاسته مجلس الاستيناف الشرعي، مسليا آخر للمتوجسين خيفة على ما اشتهرت به بلاد المغرب من علم بالفقه، وبراعة في القضاء.

فكان الناس يتحدثون بسعة علمه، وطول باعه، ورشاقة نظره، فصور الأحكام التي تصدر عنه، محققة للمناط، محررة لمجال النظر، كانت محل اعتناء الفقهاء يتنافسون فيها ويتهادون نسخها، وينصبون للمذاكرة في مبانيها، ومسايرة مراميها.

وفي سنة 1336 تأسست جمعية أحباس الحرمين الشريفين فكانت صورة تأليفها ونظام اجتماعاتها المتنقلة بين عواصم الأقطار الثلاثة فرصا عزيزة سمحت باتصال العلماء وتعارفهم، ومكنت لأئمة أهل العلم من المغاربة والتونسيين مجالا واسعا لتبادل الفوائد والأنظار وتعارف الحقائق المفصلة عن الحياة العلمية بالقطرين، وبسببها عرف كثير من علماء تونس وأفاضلها الإمام أبا شعيب.

وبهذه العوامل المتلاقية كانت سمعة المولى أبي شعيب تزيد شيوعا وعلوا بتونس : يعتز بمعرفته من عرفه، ويتوق إلى لقائه من لم تتح له أسباب ذلك، لاسيما وقد سبق أن فازت تونس بزيارة كثير من أعيان علماء المغرب، في فرص جلسات جمعية أحباس الحرمين، مثل العلامة الجليل الشيخ محمد الحجوي، وغير جلسات الحرمين مثل زيارة الإمام المحدث الشريف عبد الحي الكتاني.

زيارة أبي شعيب الأولى :

في فصل الخريف من سنة 1346هـ / 1927م، كانت زيارة المولى أبي شعيب الدكالي تونس للمرة الأولى.

وكان الشيخ يومئذ قد اعتزل وزارة العدلية، وأقام غير مشترك في الدولة على صلاته الطيبة بالسلطان المقدس المولى يوسف، وعلى مقامه المرعي وعمله العلمي، بمدينة الرباط.

وصل الإمام أبو شعيب إلى تونس يوم الجمعة 2 جمادى الأولى موافق 28 أكتوبر سنة 1346هـ / 1927م، وكان مصحوبا بالفقيه الأديب النبيل سيدي محمد بركاش، وهو يومئذ خليفة باشا الرباط، وبالفاضل المرحوم السيد محمد بن غبريط من موظفي البلدية بالرباط، وهو أخو رئيس جمعية الحرمين المرحوم السيد قدور بن غبريط، وكان وصوله بطريق البحر من مرسيليا بعد أن كان بباريس وشهده الملك فؤاد ملك مصر بجامع باريس، فكان نبأ وصوله هزة ابتهاج

وسرور، وأكبر الناس فضله في الابتداء بهذه الزيارة بصفة شخصية، دون توجيه من الحكومة، ولا مناسبة انعقاد مؤتمر جمعية أحباس الحرمين، ولا غير ذلك.

وكان وضعه يومئذ في اعتزال الوظيف، والاستقلال بسلطان فضله، دافعا إلى المزيد من الترحيب به، والاحتفاء بمقامه، حتى يبدو ذلك خالصا لمقامه العلمي ومشيرا إلى حسن تقدير المعاني الذاتية القائمة بشخصه العظيم والتي تزيد ولا تنقص بانفصاله عن مقام الوزارة.

فلم يكن لمقدمه صبغة رسمية أبدا، ولم يهتم به رؤساء الحماية ولا زار الملك، ولا زار دور الوزارات والإدارات الرسمية، وكان اقبال الوزراء التونسيين والعلماء ووجوه الدولة عليه، واستضافتهم إياه، وتسابقهم في إكرامه، لعنوانه العلمي لا لأي معنى آخر من المعاني الرسمية المتعلقة بالمناصب، وقد نزل وصاحباه بنزل «تونزيا بالاص» وهو في الدرجة الأولى من أنزال المدينة وأقبل على زيارته هنالك الوزير الأكبر للدولة التونسية، وكان قد عرفه معرفة شخصية بالمغرب، ووزير القلم، وشيخ الإسلام، وباش مفتي المالكية، وشيخ مدينة تونس، وشيوخ المجلس الشرعي، وعلماء جامع الزيتونة الأعظم.

وتسابق الناس إلى السلام عليه والنظر إلى ذاته، وعرض عليه بعض الذين من ذكرهم من سادة البلاد، النزول ببيوتهم فألح في أن يبقى مقيما بالنزل، فاكتفوا بدعوته إلى مآدب غذاء وعشاء ومجالس شاي ببيوتهم، فكانت إقامته بالعاصمة موزعة بين زيارة معالمها العظمى، وأسواقها، والتجول بضواحيها، وتلبية الدعوات للمآدب الجامعة التي أقامها لإكرامه وإكرام الناس بمجلسه كبار العلماء وأعيان الوزراء والرؤساء.

وقد استطعنا أن نحقق من ذلك ذكر الأسماء والمحال الآتية : صدر الدولة خليل بوحاجب ببيته بالمرسى، شيخ الإسلام أحمد بيرم ببيته بضاحية خير الدين، باش مفتي المالكية والدنا الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ببيته بالمرسى، شيخ مدينة تونس الشاذلي العقبي بمحله بحلق الوادي الشيخ علي ابن الخوجة من علماء جامع الزيتونة ببيت المشايخ الخوجيين قرب زاوية الشيخ محرز ابن خلف بحاضرة تونس.

وقد كانت تلك المآدب الفاخرة، مجالس علم حافلة بالمذاكرة والبحث والمؤانسة الأدبية الراقية، اجتمع فيها الشيخ أبو شعيب بالمشاهير من العلماء وجرت معهم الأحاديث العلمية وتبادل معهم الأنظار العالية والنكت الرائعة والفوائد الهامة وأجاز الذين استجازوه، وكان الذين اتسقت أحاديثه ومباحثاته العلمية معهم فيما رأيت وسمعت مشايخ الإسلام : الأعلام أحمد بيرم ومحمد الطاهر بن عاشور ومحمد بن يوسف وبلحسن النجار ومحمد العزيز جعيط، والعلامة محمد ابن القاضي، والشيخ محمد باش طبجي، وكان عالمنا من المغمورين، ليس له منزلة رسمية.

وكانت الأحاديث غالبا حول مسائل من مشكلات الحديث، واختلاف الفقهاء، ومسائل الأصول، وقواعد العربية، ونكت البلاغة، تتخللها مفاكهات أدبية، وملح، وتبادل ثناء وتقريض.

وأذكر أن من أهم الأحاديث التي استمعت إليها وتتبعتها في المجلس الذي كان في دعوة سيدي الوالد ببيتنا، أثناء مأدبة الغداء، وبعدها إلى ما بعد العصر : مسائل الربا، والبيوع الربوية، وما يتصل بذلك من أحاديث عن عمر رضي الله عنه في ربا النسيئة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في ربا الفضل، وما جر إليه ذلك من مباحث الاجمال والبيان، والأمر والقياس ومعنى المصلحة والمفسدة، والحكم المعلل، والحكم التعبدي، وإشارات الإمام البخاري في صحيحه إلى منازع الاجتهاد.

وكان الذين يحضرون كل مأدبة : هم في الغالب، الداعون والمدعون إلى مثيلها، فكان الذين اجتمعوا بالشيخ اجتماعا متكررا، على مآدب متعددة حتى كادوا أن يجتمعوا به يوميا، هم :

الوزير الأكبر السيد خليل بوحاجب.

وزير القلم السيد الهادي الإخوة.

شيخ الإسلام الشيخ أحمد بيرم.

باش مفتي المالكية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

الشيخ محمد بن يوسف.

الشيخ محمد العزيز جعيط.

الشيخ أبو الحسن النجار.

الشيخ الصادق النيفر.

الشيخ محمد بن القاضي.

الشيخ معاوية التميمي.

أمير الأمراء محمد ابن الخوجة.

أمير الأمراء الشاذلي العقبي.

الأستاذ مصطفى صخر.

وكان من الذين اجتمعوا به في بعض المآدب دون بعض :

الأمير محمد ابن الملك محمد الناصر باشا.

الشيخ المفتي إبراهيم المارغتي.

الشيخ المفتي أحمد بن مراد.

الشيخ المفتي محمد الطيب برم.

الإمام الشريف الشيخ محمود محسن.

الإمام الشريف الشيخ علي محسن.

القائد محمد الحبيب الجلولي.

الشيخ علي ابن الخوجة.

الشيخ محمد باش طبجي.

وقصد الشيخ أول أيام إقامته - وهو يوم السبت - جامع الزيتونة الأعظم بمدخله مع صاحبيه أول وقت الضحى، حوالي الساعة الثامنة، ووجده مكتظا بحلقات الدروس، زاخرا بالطلبة، وحضر في حلقة درس أستاذنا العلامة شيخ الإسلام أبي الحسن النجار، واستمر يصغي إلى تقريره البديع إلى آخر حصة الدرس، وكان العلامة النجار، رحمه الله تعالى من أجمع العلماء لفصاحة التعبير،

وحسن الالقاء، وإحكام التقرير، وربط أوصال الموضوع، والإحاطة بما يكتب فيه، مع بهجة الطلعة، وحسن التؤدة والوقار، فكان درسه محل إعجاب الشيخ أبي شعيب، وقد هجر جميع الطلبة دروسهم، والتفوا حول حلقة أستاذنا النجار وقوفا، وكانوا نحو ألفين، وعند نهاية الدرس نهض الشيخ النجار، وقصد الشيخ أبا شعيب فعانقه، واحتفى به، وأجلسه إلى جنبه، وأثنى الشيخ على ما رأى في الأستاذ النجار من فصاحة وعلم وحسن تقرير، وما شاع أن الوافد هو الإمام أبو شعيب حتى أظهر جميع مدرسي الكلية الزيتونية وطلبتها رغبة في أن يعقد للشيخ أبي شعيب مجلس جامع يلقي فيها درسا، على الطريقة المتبعة قديما وحديثا، وكان أحدث العهد بها الدرس الذي ألقاه العلامة محمد الحجوي سنة 1336.

وكانت إدارة الكلية الزيتونية يومئذ بيد النظارة العلمية، وهي تتألف حسب نظام الزيتونة من أربعة نظار هم : شيخ الإسلام الشيخ أحمد بيرم وباش مفتي المالكية الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والقاضي الحنفي الشيخ محمد رضوان والقاضي المالكي الشيخ محمد الصادق النيفر ومن نائبين وهما الشيخ صالح المالقي والشيخ محمد ابن القاضي، وكان هو الحامل رغبة الشيوخ والطلبة إلى النظارة.

وقررت النظارة دعوة الشيخ لإلقاء درس بالزيتونة وشاع ذلك وخوطب الشيخ فيه فاستجاب.

وسافر الشيخ وصاحباه من العاصمة صباح الأحد في سيارة أجرة خاصة قاصداً مدينة سوسة فاستقبلهم هنالك عاملها المرحوم الأستاذ عبد الجليل الزاوش وأقام لهم مأدبة غداء حضرها رجال من أهل العلم بسوسة، فيهم قاضيها الجليل الشيخ عبد الحميد السقا، ثم زار المنشير والمهدية وانتهى إلى صفاقس فأقام فيها ليلته، وقد اقتبله عاملها السيد سالم الصنادلي وأنزله في ضيافته وأقام له مأدبة عشاء، دعا إليها شيوخ المجلس الشرعي، وقضى يوم الاثنين بصفاقس فتجول في المدينة وزار غابة الزيتون وزار المعاصر الميكانيكية وكانت في مفتتح موسم الزيت، ورجع بعد الظهر إلى سوسة قاصدا مدينة القيروان فقضى فيها ليلته في بيت عاملها المرحوم أمير اللواء محمد الهادي المرابط الذي أقام له مأدبتي عشاء وغداء، ومن الغد زار جامع عقبة ومقام السيد الصحابي أبي زمعة البلوي رضي الله عنه

والشيخ ابن أبي زيد واجتمع بأعيان علماء القيروان منهم الشيخ محمد صدام الباش مفتي والشيخ محمد العلاني القاضي والشيخ محمد الجودي المفتي والشيخ حفيظ الفاسي وهو مدرس محدث.

ورجع الشيخ إلى العاصمة مساء يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء كانت مأدبة العشاء الفاخرة التي أقامها شيخ الإسلام سيدي أحمد بيرم ببيته بخير الدين وفيها تقدم إليه شيخ الإسلام بطلب إلقاء الدرس غدا صباحا فأظهر الاستعداد، ولما سئل تحديد الموضوع فوض الأمر إلى شيخ الإسلام وقال «يسرد أحد الطلبة حديثا من البخاري يكون هو موضوع الدرس» وتعين إلقاء الدرس ليوم الغد : الخميس تاسع جمادى الأولى ثالث أكتوبر 1346هـ / 1927م، على الساعة الثامنة والنصف صباحاً.

وقبيل الساعة المحدودة ذهب الأستاذ الشيخ محمد ابن القاضي نائب النظارة العلمية وشيخ المدينة أمير الأمراء الشاذلي العقبي إلى النزل الذي يقيم فيه الشيخ واصطحباه إلى جامع الزيتونة الأعظم، ودخلا به إلى مقصورة جلسة النظارة العلمية، وكانت هيأة النظارة مجتمعة فتلقاه بالترحيب المشايخ النظار والنائب الأول الشيخ صالح المالقي وقال له شيخ الإسلام بعد الترحيب والشكر والثناء، أن الطالب الذي سيقرأ الحديث بين يديكم - وهو إنما يعني نفسه - يريد أن يعرف أي حديث يقرأ..

فقال له الشيخ «أنا لم أعين للدرس موضوعا فليقرأ الطالب من أي محل شاء من صحيح البخاري وأنا أعرض ما عسى أن يكون عندي فيه للمذاكرة..

وخرج الجميع من حجرة المجلس فدخلوا بيت الصلاة من باب المقصورة الشرفية متجهين إلى المحراب وكان الشيخ بين شيخ الإسلام والشيخ باش مفتي المالكية وحولهم الشيخان القاضيان والشيخان النائبان وشيخ المدينة.

وكان جمع يقدر بثلاثة آلاف من الشيوخ والطلبة وأعيان أهل الثقافة من الموظفين والأحرار قد ملأ ما بين المحراب وباب اليهود، وترامى إلى الطرفين الشرقي والغربي، وكان الشيوخ وعددهم يومئذ قرابة مائة قد جلس المقدمون منهم وهم شيوخ المجلس الشرعي وأعيان مدرستي الطبقة الأولى بوجه القبلة،

وتتابع البقية سمطين على حسب مراتبهم، وجلس من حولهم الأعيان وكبار الموظفين وقدماء خريجي الزيتونة ومنهم رجال من القضاة والمدرسين أتوا من آفاق بعيدة.

وجلس الشيخ أبو شعيب بصدارة المحراب وعلى يمينه شيخ الإسلام ورجال من أهل المجلس الشرعي وعلى شماله الشيخ باش مفتي ورجال آخرون من المجلس الشرعي منهم الشيخ محمد بن يوسف والشيخ محمد العزيز جعيط والشيخ أبو الحسن النجار والشيخان القاضيان.

وأحضر لشيخ الإسلام نسخة من صحيح البخاري في مجلد واحد فتوجه إلى الشيخ يطلب منه أن يجيزه بسنده في البخاري وأن يأذن له في القراءة بين يديه، وأن يعين له الموضوع فأظهر الشيخ من التواضع والخجل أمرا عجيبا وقال : أما الإجازة فالأولى بي أن أطلبها منكم وإذ سألتموها فأنا أجيبكم امتثالا وهي من إجازة الأصاغر للأكابر، وأما قرائتكم فستكون مشيخة لكم علي ورواية من لفظكم، وأما الحديث فأنتم أولى باختياره، فتردد شيخ الإسلام لحظات ثم افتتح بالاستعادة والبسملة والصلاة وما جرى الأمر على الافتتاح به من الدعاء ثم قال : بسندكم رضي الله عنكم إلى الشيخ الإمام العلم الهمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله ورضي عنه، قال حدثنا الحُميدي قال حدثنا سفيان قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليتي يقول سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه...

وعندما انتهى شيخ الإسلام وطوى الكتاب، غير الشيخ أبو شعيب جلسته متربعا فجلس على ركبتيه ثم وضع برنس ردائه على رأسه حتى قرب من عينيه ثم افتتح الكلام بالاستعاذة والبسملة والصلاة وما جرى عمل المغرب على الافتتاح به «إن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

ثم أخذ يسوق سنده إلى البخاري قائلا : حدثني شيخي وقدوتي شيخ الإسلام سيدي سليم البشري رحمه الله تعالى ورضي عنه قال : حدثني الشيخ منة

الله الخ، وهو سند الأمير إلى المحب الطبري إلى الفرغاني عن الختلاني عن الفربري عن الإمام البخاري، ثم ابتدأ الكلام على الحديث ببيان مواقع تخريجه والأسانيد التي خرج بها في صحيح البخاري وغيره من مشهور كتب الحديث والطرق التي ثبت فيها أول وجهي التقسيم «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» والتي لم يثبت فيها ذلك كما وقع في رواية البخاري عن الحميدي.

ثم تكلم على رجال السند وأفاض في نقل كلام علماء الرجال على كل واحد منهم وعلى ما خرج له بالأسانيد العديدة في الكتب المعتمدة، ثم أخذ يتكلم على الحديث فذكر نظائر من التحديث على المنبر، وتكلم على موقع الحديث، وهل نظر في وضعه إلى منزلته من عموم الصحيح أو منزلته من الباب، وطريقة بعض المحدثين من المغاربة في إيراد سندهم إلى البخاري تحت الترجمة، وتكلم على النية وأحكامها وما للفقهاء في اشتراطها في بعض العبادات مثل الطهارة، وعلى القصد الدنيوي المؤثر في العبادة المبطل لها والقصد غير المبطل كمسألة التجارة في الحج ثم تكلم على الهجرة ومعانيها وتعدد استعمالاتها وأقسامها وما نسخ منها وما لم ينسخ وتكلم على معنى «فهجرته إلى ما هاجر إليه» وهل تقتضي نفي القبول أو نفي الكمال أو نفي الأجر وما للعلماء في ذلك ورجح أنها لا تقتضي أكثر من نفي الكمال وختم بالدعاء بالتوفيق في الاكمال والاخلاص فيها ووفرة الثواب عليها.

واستغرق الدرس حصة ساعتين إلا ربعا وعند انتهائه رجع الشيخ مع المشائخ النظار إلى المقصورة ومن هناك خرج مع صاحبيه يرافقهم شيخ المدينة، السيد الشاذلي العقبي وكان الشيخ على موعد للغداء عنده ذلك اليوم بحلق الوادي.

وبقي الشيوخ المدرسون مبهوتين بما سمعوا في ذلك الدرس الحافل ومقبلين على تحليل ذلك وتقريره والتعليق عليه، وأحاط بهم الطلبة حلقا يستطلعون تقديرهم الدرس القيم، فكانوا متفقين في الثناء عليه مطبقين على أن لا نظير له في الحفظ والرواية، إلا أن أكثرهم أخذته مظاهر قوة الحافظة وسعة الرواية، فقصر تقدير قيمة الأستاذ ودرسه على تلك الناحية، والقليل منهم لم تطغ على نظره قوة الحافظة فتلفته عن مثانة البيان وحسن الفهم ورشاقة البحث فأخذوا يجادلون في أن الشيخ ليس رجل حفظ ورواية فقط، ولكنه رجل بحث وفهم وتدقيق

وسمو نظر أيضا، وكان الأبرز من هؤلاء العلامة الشيخ محمد ابن القاضي وهو من المشار إليهم بين أهل الزيتونة في العلم والذكاء وصناعة التدريس، وأقام الشيخ بالعاصمة بقية يوم الخميس فكان غداؤه ببيت السيد الشاذلي العقبي وعشاؤه على مائدة صدر الدولة خليل بوحاجب، ويوم الجمعة بعد صلاة الجمعة بجامع صوره باشا بإقامة الشيخ محمد ابن القاضي قصد مع صاحبيه بيتنا بالمرسى فشرفنا بالغذاء هنالك استجابة لدعوة سيدي الوالد، وحضر معه العلماء والأفاضل الذين تقدمت أسماؤهم.

ويوم السبت سافر إلى بنزرت بدعوة من عاملها المؤرخ الشهير أمير الأمراء محمد ابن الخوجة وكان من أصدقائه الأقدمين فقضى هنالك عشية السبت وأقيمت له مأدبة ببيت الأستاذ ابن الخوجة حضرها مفتي بنزرت الشيخ إدريس بن محفوظ وقاضي بنزرت الشيخ محمد النفطي وقاضي ماطر الشيخ البشير بن حسين والسيد عبد الرحمان اللزام صاحب المكتبة الشهيرة ببنزرت وحضر من تونس والدنا الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ويصحبه صديقاه الحميمان القائد الحبيب الجلولي والأستاذ الشيخ محمد ابن القاضي، وقضى المولى أبو شعيب ورفيقاه ليلتهم تلك ببيت أمير الأمراء وفي الصباح قصدوا إلى محطة الجديدة فامتطوا القطار المتوجه إلى الجزائر لحضور مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين.

فكانت إقامة الشيخ بالبلاد التونسية تسعة أيام من الجمعة 2 جمادى الأولى 28 أكتوبر حتى السبت 11 موافق 5 أكتوبر وكان السفر في اليوم العاشر وهو يوم الأحد 12 جمادى الأولى سادس أكتوبر.

الرحلة الثانية :

كانت الرحلة الثانوية للمولى أبي شعيب الدكالي إلى تونس بعد رحلته الأولى بأربع سنين وثلاثة أشهر وكانت تختلف من جهات كثيرة عن الرحلة الأولى في صبغتها وظروفها ومتعلقاتها، كانت في شعبان سنة 1350 موافق دجنبر 1931م.

وكانت في مناسبة رسمية مزدوجة هي مناسبة انعقاد مؤتمر اللغة والآداب والفنون العربية بتونس، وانعقاد مؤتمر جمعية الحرمين، وكان وفد كل من المؤتمرين مدعو إلى الاشتراك في المؤتمر الآخر.

وكان مؤتمر اللغة والآداب والفنون العربية مؤتمرا غريب القصة، انعقد بقرار من الحكومة الفرنسية «بناء على اقتراح صادر من مجلس الأمة الفرنساوي».

واتخذ صبغة رسمية بوضعه تحت الرئاسة الشرفية لملك تونس والوزير المقيم الفرنسي، وتكون مجلسه من طائفة من المستعربين الفرنسيين تحت رئاسة الأستاذ الشهير وليام مارمي ومعهم أفراد من التونسيين.

وقد دعي إليه عدد كبير من المشتغلين باللغة العربية وآدابها وفنونها والدارسين للحضارة الإسلامية والمستشرقين بأقطار المغرب العربي الثلاثة، وعين انعقاده بمدينة تونس من 14 حتى 16 دجنبر وكان المولى أبو شعيب معينا في طليعة الوفد المغربي للمشاركة في المؤتمر.

وكانت سياسة الحماية قد لاحظت على سمعة أبي شعيب وعظيم الإقبال عليه لما دخل تونس حرا فأرادت أن تسلكه في هيئة تدخل تونس تحت اسمها، وفي ظل نفوذها سياسة واصطناعا، فكان علماء المسلمين الذين مثلوا المملكة المغربية في المؤتمر هم : الإمام أبو شعيب، والإمام محمد الحجوي، والعلامة الشريف عبد الحي الكتاني والعلامة الشريف النقيب المولى عبد الرحمان ابن زيدان، والمستشرقين أمثال برينو، وريكار، وليفي بروڤنصال، وحضر من الجزائر الشيخ عبد القادر الدواجي قاضي تلمسان وكثير من الأساتذة المستشرقين، ووزعت أعمال المؤتمر على لجان تعمل في وقت واحد في قاعات متعددة، ولكن لجنة خصت من بينها بمزيد من الاعتبار، دعيت باسم لجنة البلاغة العربية عقدت جلسة جامعة كانت هي الأولى بعد جلسة الافتتاح الرسمية انعقدت بعد ظهر يوم الثلاثاء 5 شعبان 15 دجنبر سنة 1355هـ 1931م، تحت رئاسة المولى شيخ الإسلام أحمد بيرم وحضرها الوزير الأكبر ووزير العدلية وشيوخ المجلس الشرعي ووجوه العلماء وكبار الموظفين وخطب فيها شيخ الإسلام أحمد بيرم والشيخ أبو شعيب والشيخ عبد الحي الكتاني والمولى عبد الرحمان بن زيدان وباش مفتي المالكية الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، وكان الأستاذ الحجوي قد منعه من الوصول إلى الحاضرة انقطاع طريق المواصلات بسبب السيول، فتعطل بسيارته في بلدة سوق الأربعاء، فتقدم العلامة الأستاذ الشيخ محمد ابن القاضي وهو رئيس إحدى لجان المؤتمر

بإلقاء خلاصة للبحث الذي أعده الأستاذ الحجوي في «نقد كتب الدراسة العربية المستعملة في شمال افريقيا» ثم لما أدرك المولى الأستاذ الحجوي المؤتمر في الأيام الموالية ألقى بنفسه محاضرته كاملة في الجلسة الختامية، كان موضوع خطاب شيخ الإسلام «حياة اللغة العربية» وقد دافع فيه هجمات المستشرقين وأتباعهم على اللغة العربية بصورة أثارت حفائظ أولئك وشرحت صدور أهل العربية لاسيما في ذلك الظرف الثقيل، وقد طبعت المحاضرة مستقلة فيما بعد.

وبعد شيخ الإسلام تكلم المولى أبو شعيب وقد قدمه شيخ الإسلام بكلمة تقريض وتنويه، كان موضوع المحاضرة «اللغة العربية وتطوراتها» وقد تناولت انتقال العربية من طور السليقة إلى طور القواعد واختلاف طرق وضع القواعد بين البصريين والكوفيين وامتياز الخليل وسيبويه ثم الفراء والمبرد وتغلب وانصراف النحو إلى البصريين والقراءة والرواية إلى الكوفيين واختلاف طرائق التأليف في النحو والصرف وتأثر بعضها ببعض، وكانت دراسة طويلة واسعة موعبة ألقاها الأستاذ قراءة من الأوراق في سرعة كبيرة، ثم تكلم الشريف الكتاني عن «أول كتاب ألف منذ ألف سنة في تاريخ آداب اللغة العربية»، وقد عنى به كتاب الفهرست لابن النديم فعرض تأليفا جليلا عن ابن النديم ومصادره واكتفى بإيراد فقرات منهجية منه، ثم تكلم المولى عبد الرحمن بن زيدان عن ترجمة عمر بن الحسين وزير السلطان مولاي إسماعيل ثم تكلم المولى الوالد الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور عن «اللفظ المشترك» وقد طبعت فيما بعد بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتهت بذلك الجلسة بعد خمس ساعات من ابتدائها.

وكان شيخ الإسلام رئيس الجلسة هو الذي يعين المتكلمين ويقدمهم ويقر كل كلماتهم بعد الانتهاء من إلقائها واستمرت أعمال المؤتمر موزعة بين اللجان في الغد من يوم الأربعاء 6 شعبان 16 ديسمبر وعقدت الجلسة الختامية العامة مساء يوم الأربعاء.

وقد حفت أشغال المؤتمر مقابلات ومآدب وحفلات فزارت وفود المؤتمر المقيم العام الفرنسي صباح الاثنين وزارت معه جلالة الملك أحمد باشا الثاني بقصره بحمام الأنف وأخذت لهم صورة مع حضرته وأقيمت لاكرامهم سهرة عربية بالسفارة الفرنسية مساء ذلك اليوم.

وأقيمت لهم مأدبة عشاء مساء الخميس بقصر شيخ الإسلام حضرها بعض المشاركين في المؤتمر دون بعض.

وكان سيدنا الشيخ أبو شعيب حاضرا هذه المشاهد كلها، وكانت وفود المؤتمر ممتزجة بوفود جمعية الحرمين الشريفين حاضرة جلساتها ووفود جمعية الحرمين حاضرة الجلسات العامة للمؤتمر، فكان من بينهم الفقيه الوزير محمد ملين والعلامة شيخ الإسلام محمد بن العربي والرئيس السيد قدور بن غبريط والعلامة المفتي الشيخ المولود بن الموهوب والفقيه القاضي الشيخ محمد بن ساسي من الجزائر والعالم الأديب الشيخ محمد المهدي الحجوي من المغرب والشريف السيد علاوة بن علي الشريف من الجزائر.

ولما توجهت وفود المؤتمر بعد انتهاء أشغاله في رحلة إلى الوسط والساحل لم يصحبها الشيخ أبو شعيب في تلك الرحلة ولا غيره من المغاربة مثل العلامة الحجوي وابنه والشريف الكتاني فبقوا بالعاصمة في إقامة خاصة وأقيمت لهم دعوات ودادية ومجالس علمية وكانت إقامة المولى أبي شعيب والمولى عبد الحي الكتاني في بيت خاص أعده لضيافتهما المرحوم الشيخ التبريزي ابن عزوز خارج باب سيدي عبد السلام غربي العاصمة فطالت إقامتهما بعد المؤتمر نحو عشرة أيام.

وكان من أكثر الناس ترددا عليه ومؤانسته له في مقامه ذلك أستاذنا إمام الأدب محمد العربي الكبادي وأستاذنا العلامة الشيخ عبد السلام التونسي.

ودعت الجمعية الخلدونية الأستاذ الحجوي لإلقاء محاضرة بناديها فألقى محاضرته عن الفتح العربي لشمال افريقيا في مجمع حافل رأسه والدنا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وتولى فيه تقديم المحاضر والتنويه به.

ودعي للحفل علماء المغرب والجزائر قصد تكريمهم والاحتفاء بهم من لدن العلماء والأدباء الذين لم يكن لهم في المؤتمر مجال فسيح وكان في مقدمة الحاضرين المولى أبو شعيب وكان ذلك اليوم الأربعاء 13 شعبان 23 دجنبر سنة 1350هـ / 1931م وفي ذلك المجمع القى الشاعر العالم الشيخ محمد المهدي الحجوي قصيدة في تحية تونس :

ألا كــل مـــا قـــال الـــرواة وخبروا فـتـونس مما قـيـل أبـهـى وأجـدر

وتقدم الشاعران العجلان أبو الحسن ابن شعبان والطاهر القصار يحييان ضيوف البلاد من أعلام المغرب، فانطلق ابن شعبان يقول :

حـلـوا بـهـا كـبـحـور طـم زاخـرهـا فـاسـتـقـبـلت بـهـم العرفان والشمما
حـلـو ضـيـوفـا فـأصبحنا لهم خدما ومـا نـرى لسـوى أضـيـافـنـا خـدمـا
وافـوا من المغرب الأقصى دعاة هدى فـمـرحـبـا مـرحـبـا بالسادة العظماء
وان تـكـن بـعـدت انـحـاء مـغـربـهـم فـان بـالـديـن والـفـصحى لهم رحما
جـاءوا لـكـي يـنـشـروا أنـوار مـعـرفـة جاءوا لكي يظهر وللناس ما اكتتما
صـالـوا لـيـوتـا بـميدان الـبـلاغـة لم يـعـي بـهـم مـنـطـقـا أو يـركـبـوا وهـمـا

ثم أقبل القصار يذكر عدم شهوده المؤتمر ويقول :

ولـئـن حـرمت الـقـول فـيـه فـهـا أنـا ذا بين الـكـرام مـرددا أوزاني
بين الـهـداة ضـيـوف تـونس نـخـبـة الـعـلـمـاء والـفـضـلاء والأعـيـان
الـظـاهـريـن عـلـى الحقيقة مـثـلـمـا قـد قـالـه المختـار مـن عـدنـان
أضـيـاف تـونس مـرحـبـا بـقـدومـكـم أهـلا بـكـم يـا بـهـجـة الأكـوان
فـالـديـن يـجـمـع بـيـنـنـا ولـنـعـم ذاك الـديـن يـجـمـع أمـة الـقـرآن
أخـلاقـنـا ولسـانـنـا وعـلـومـنـا صـلـة بـرغـم تـبـاعـد الأوطـان
فـاس وتـونس والجزائـر نـعـمـة الإخـوان في لـغـة وفي إيمان
ولـئـن يـقـال المغـرب الأقـصـى فـكـم عـنـد الـدعـا كان الحبيب الداني[366]

محمد الفاضل ابن عاشور

- زيارة الشيخ للجزائر :

قام الشيخ بزيارات متكررة للجزائر، وكان يلتقي بعلمائها ولاسيما علماء الناحية الغربية كالمفتي عبد القادر بن الصديق، وقد كانت تدور بينهم مناقشات ومحاورات علمية[367].

(366) هذه الكلمة من أولها إلى آخرها كتبها العلامة الفيلسوف محمد الفاضل ابن عاشور ووجهها إلى ابن الشيخ سيدي عبد الرحمن الدكالي بتاريخ فاتح رجب 1388 موافق 23 شتنبر 1968، ومن أصلها نقلت.

(367) انظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 578 للدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط 1، عام 1998.

كما ألقى دروساً نافعة في جامع القسطنطينية بالجزائر[368] وكان علماء الجزائر عامة يبجلون الشيخ ويقدرون علمه وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس وجماعته ويبادلونه نفس المحبة المبنية على روح العلم ورابطة الإسلام، كما تعبر عن ذلك تعزية الشيخ ابن باديس في وفاة الشيخ وسنثبتها عند ذكر وفاته بحول الله.

- الرحلة إلى أرض الحجاز في مهمة :

كانت للشيخ روابط وصلات متينة بأرض الحجاز آنذاك، فهي الأرض المباركة التي هاجر إليها مدرساً ومفتياً، وفوق أرضها المقدسة وأمام الكعبة المشرفة التقى مع أعيان وجمهرة من التلاميذ من أنحاء المعمور ومثل ذلك في رحاب مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ولما رجع إلى المغرب كان المولى عبد الحفيظ بين الفينة والأخرى يرسله إلى هذه الديار السعيدة من أجل القيام بمهام مختلفة.

ويقول الشيخ محمد السائح أحد تلامذته أنه :

في أواخر حياة الشيخ اختاره ملك البلاد (محمد الخامس طيب الله ثراه) لرئاسة وفد الحاج المغربي إلى البقاع المقدسة، فكان في أداء هذه المهمة مثال المحنك الخبير الذي برهن عن حيوية أصيلة في أبناء المغرب العربي الذين يدفعهم الواجب لربط وشائج الأرومة بصلة عريقة بين القطرين عرفها التاريخ، وسجلها بين صحائفه الذهبية(369)، وقد ألقى بهذه المناسبة كلمة قيمة بين يدي ملك الحجاز آنذاك ابن السعود، أثبتناها ضمن آثاره في آخر هذا الكتاب.

- الرحلة إلى فرنسا :

قام الشيخ بزيارة فرنسا عام 1927، بوصفه رئيس الوفد المغربي من أجل استقبال ملك مصر فؤاد الأول في رحاب مسجد باريز.

وألقى الشيخ بهذه المناسبة خطابا سامياً أمام الملك منوهاً بمكانة مصر العلمية والتاريخية وبدور المساجد في تمتين الصلات، وتوطيد عرى الوئام والتآلف[370].

---

(368) الشيخ أبو شعيب الدكالي، ص 10 لعبد الحكيم بركَاش.

(369) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح، ص 95 وما يليها لعبد الله الجراري، المرجع السابق.

(370) ألحقنا ملخصاً من هذا الخطاب بآثار الشيخ.

الفصل الثاني

جهود شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي في العلم والاصلاح والوطنية

بعد عودة شيخ الإسلام إلى المغرب كان له جهاد متواصل، وعمل متكامل، لا يعرف الكلل ولا الملل، من أجل أداء رسالة من أشرف الرسائل، وأنبل الوسائل، رسالة العلم، والاصلاح، والوطنية، فكان للشيخ جهود متفانية من أجل النهوض بالمستوى العلمي في هذه البلاد التي كانت في ذلك العهد تعاني من الجهل، والأمية، وعدم الوعي على العموم.

وكانت له جهود أخرى متلازمة مع تلك الجهود العلمية، وهي أعماله في مجال الاصلاح، ومجال الوطنية، حيث كان كلكل الاستعمار جاثما على الصدور، فكانت دروس الشيخ وتنبيهاته، تستنهض الهمم، وتلهب النفوس من أجل الجهاد ضد الاستعمار، والتشبث بروح الوطنية.

وكانت تلك الدروس العلمية، والتوجيهات الإصلاحية، في صف واحد، تكون نواة الوطنية الحق، وكذلك كان.

وبنظرة واحدة، فاحصة، يتبين أن أغلب تلامذة الشيخ النجباء الذين تلقوا عنه، كانوا من بعد، من المناضلين المكافحين من أجل التحرير والاستقلال، ومن الوطنيين المخلصين الأوفياء، المتفانين في حب البلاد، ومحبة رمزها الأبي الكريم، السلطان محمد الخامس آنذاك طيب الله ثراه.

ومن هؤلاء التلاميذ العلماء المجاهدين وهم على سبيل المثال لا الحصر :

- العالم المناضل علال الفاسي.
- العالم الأديب محمد المختار السوسي.

- العالم السلفي محمد بن العربي العلوي.
- الأستاذ المجاهد المربي عثمان جوريو.
- الأستاذ المجاهد أبو بكر القادري.
- الأستاذ أبو الشتاء الجامعي.
- الأستاذ الدبلوماسي أحمد بلافريج.
- الأستاذ الحاج أحمد بن عبد السلام بنشقرون.
- الأستاذ الحاج أحمد الشرقاوي.
- الأستاذ الحاج الحسن بوعياد.
- الأستاذ الفقيه عبد السلام المستاري.
- الأستاذ الشاعر عبد القادر حسن العاصمي.
- الأستاذ الفقيه عبد العزيز بن إدريس.
- الأستاذ الحاج عمر بن عبد الجليل.
- الأستاذ المربي مبارك الغراس.
- الأستاذ المربي محمد البقالي.
- الأستاذ الحاج محمد الرفاعي.
- الأستاذ الفقيه محمد بن محمد غازي.
- الأستاذ المؤرخ الأديب محمد الفاسي.
- الأستاذ المجاهد محمد اليزيدي.
- الأستاذ المجاهد الهاشمي الفيلالي.
- الأستاذ الشاعر عبد الرحمن حجي.
- الأستاذ العالم محمد أقصبي.
- الأستاذ القاضي مولاي رشيد الدرقاوي.

- الأستاذ الداعية عبد السلام السرغيني.

- العالم المؤرخ عبد الله الجراري.

- العالم الأديب عبد الله كَنون.

- الشيخ محمد المكي الناصري.

- الشيخ الأديب محمد بن اليمني الناصري[371].

- العالم الأستاذ محمد بن عبد السلام السائح.

- الشيخ الأديب محمد المدني بن الحسني.

- الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني.

- الأستاذ المؤرخ محمد داود التطواني.

- الأستاذ الشاعر محمد الجزولي.

- الأستاذ الحاج أحمد معنينو السلوي.

- الأستاذ المؤرخ أبو عبد الله محمد الكانوني الآسفي.

- الشيخ المحدث عبد الحفيظ الفاسي.

- الشيخ الرحالي الفاروق المراكشي.

- الأستاذ الفيلسوف الحسن الزهراوي المراكشي.

وغيرهم كثير نشير إليهم في جمهرة تلامذة الشيخ إن شاء الله.

وقد شهد تلامذته الكثيرون، وعامة الناس من كل صوب بجهود الشيخ المتكاملة المتسقة، ودونوها في كلمات مكتوبة، وكتب معلومة.

وسنتناول في هذا الفصل المباحث الآتية :

المبحث الأول : شهادات تلامذة الشيخ في هذا المجال.

المبحث الثاني : جهود الشيخ العلمية.

المبحث الثالث : جهود الشيخ الاصلاحية والوطنية.

---

(371) هو أخ الشيخ السابق محمد المكي الناصري.

المبحث الأول

شهادات تلاميذ الشيخ في هذا المجال

نقدم في هذا المبحث شهادات بعض التلاميذ الذين لازموا شيخهم أبا شعيب الدكالي، وعاشروه عن كثب، وأخذوا عنه العلم، وتأثروا به علما، وسلوكا، وأخلاقاً.

وكانوا معه يتذوقون المعارف، واللطائف، كالمريدين مع شيخهم في محراب التصوف، والصفاء، والطهر.

وهؤلاء التلاميذ كانوا شيوخاً من بعد التحاق الشيخ الأكبر، والطود الأشهر، بالرفيق الأعلى، بل وكانوا من أهل العلم الذواقين له في حياته، مما تعد شهادتهم شهادة خزيمة، أي شهادة الصدق، والاقرار بالحال الصحيح الذي كان عليه شيخ الإسلام إن كان الأمر يحتاج إلى دليل.

ويدل مجموع تلك الشهادات الواردة على أن هذا الشيخ الهمام كان أمة وحده، فيما قام به من أعمال تنوء بها سواعد الرجال والأبطال في خدمة هذا الوطن السعيد.

كما يستفاد من تلك الشهادات ما سار بخبر الشيخ الركبان، وبلغ حد التواتر من نشر العلم، ومواصلة التدريس، والتوعية بالفضل والنبل، والاصلاح، وإذكاء روح الوطنية في القلوب عن طريق التلميح، والتصريح في دروسه الحافلة، بالرغم من أعين الاستعمار المبثوتة في كل مكان، وبالرغم من آذان هذا الاستعمار التي كانت تلتقط القطمير، والكبير من الأخبار.

ونورد هذه الشهادات كالتالي :

1) شهادة الأستاذ محمد داود[372] :

جاء في كتابه على رأس الأربعين :

والشيخ أبو شعيب رحمه الله كان من أفذاذ الرجال الذين يفتخر بهم المغرب.

فهو العلامة المشارك في جميع العلوم الدينية، واللغوية، أصولها، وفروعها.

(372) انظر ترجمته إسعاف الاخوان الراغبين، ص 146، لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، ومعجم المطبوعات المغربية، ص 120، لادريس بن الماحي القيطوني.

وهو الحافظ الفصيح الذي لم ير المغرب له نظيراً في وقته، ولم أعرف له مثيلا حتى في المشرق، وقد زرت جميع الشمال الافريقي، ومصر، والحجاز، وفلسطين، والعراق.

وقد كان مع وظيفه العالي، وأعماله الكبرى، لا ينقطع عن إلقاء الدروس، ونشر العلوم صيفاً وشتاء.

وكانت مجالسه كلها عامرة بالفوائد والنوادر، يظل الوقت الطويل يملي من حفظه بفصاحة نادرة، واستحضار عجيب، حتى ليظن سامعه أنه يتلو من كتاب، وكان مهما تكلم في علم من تلك العلوم إلا ويظن السامع أنه قد تخصص فيه، وانفرد به.

وكان رحمه الله متظاهراً بالدعوة للسنة، ومحاربة البدعة، حراً في أفكاره، صريحاً في كلامه.

وقد اجتمعت به كثيراً بعد عهد الدراسة بفاس، وتذاكرت معه طويلا، وكنت في ذلك العهد من الشبان الوطنيين المتحمسين الداعين للكثير من الأعمال، والحركات، ولتضامن جميع الطبقات لصالح الوطن.

فوجدت الرجل عالماً بحقوق الشعوب، وواجباتها، عارفاً بحقيقة الأمة المغربية وبلادها، دارساً للتاريخ وتطورات الأحوال، مطلعاً على شؤون العالم العربي والإسلامي، ماضيه وحاضره، إلا أنه بعيد الأمل، يجاري الأشياء، ويساير الظروف، ويخضع للأقدار.

قلت له : «اعلموا أنتم كبار الأمة، وعلماءها، وأغنياءها، وقادتها»، فقال : «نحن نعمل ما في إمكاننا الآن، أما أنتم معشر الشباب العالم، فإن مجال العمل أمامكم أوسع مما لدينا نحن المخضرمين، وإن المسؤولية عليكم أعظم، لأن الأمة تتعلم وتستيقظ، وما بعد اليقظة إلا الأعمال النافعة، والموقف الحاسم».

فقلت : «سنعمل نحن أيضاً ما في استطاعتنا، فأرشدونا وأوصونا».

فأرشد وأوصى، وجد وما هزل، وأنصف وما اعتسف، وذكر، وأنذر، وبث من البذور ما انضال وأزهر، وإنا لنرجو من الله الحليم الكريم أن يثمر أحسن الثمرات.

....

يرحم الله الشيخ أبا شعيب، فقد كان شريف النفس، طيب القلب، أبي الضيم، واسع الصدر، حسن المقابلة، قليل التكلف، كريم المائدة، خفيف الروح، معتزاً بقوميته، جميل الأخلاق[373].

2) شهادة الأستاذ عبد الله الجراري[374] :

جاء في كتابه من أعلام الفكر المعاصر عن الشيخ :

كان نادرة المغرب وأحد علمائه، إماماً في علوم الحديث، والسنة، وفقه معاني الآثار، والخلاف العالي والنازل، ومعرفة أنظار أئمة المذاهب، ووجوه أقوالها، والامتياز بالتطبيق والاستنتاج، مع حفظ المتون، والجمع بين الروايات، ومعرفة المخرجين، والتابعين، وأنساب الرواة وتراجمهم، داعية إلى السنة، شديد القمع لأهل الأهواء والمبتدعين، والمشعوذين.

كان آية في علوم القرآن، وقراءاته، وإعرابه، وناسخه، ومنسوخه، وأحكامه ومعانيه، ووجوه بلاغته، وأنواع تفسيره، متقن لعلم القراءات، عارف بوجوهها، متمكن في العلوم العربية بأنواعها، ملازم لنشر العلم، والدءوب على تدريسه.

كان الشيخ أبو شعيب الدكالي مضرب الأمثال في الحفظ، والاستحضار، وحسن الاملاء، وقوة العارضة[375].

وجاء في كتابه : «المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي» :

فكان (الشيخ) من فينة لأخرى، ينتقل من بلد لآخر، ومن مدينة لقرية، يبث الوعي، واليقظة، وينشر السلفية الداعية إلى التحرر، والانعتاق من بوائق التقليد الأعمى، ورواسب التحجر، والجمود، اللذين بدائهما، الفتان، فترات، وفترات، عشنا لحظات مريرة من مساوئها، حتى كان بعض علمائنا رحمهم الله، كعمي، لا تكاد تتفتح عيونهم على آي الكتاب، وبيان السنة، ولا عجب وقد حالت بينهم وبين الأصلين خرافات، وأفكار، ودعوات مغرضة، أن لا ينظر فيهما بمنظار البحث، والكشف عن أسرار، من شأنها البعث على التنوير، والتحرر من ربقة الجهل، والضيق.

---

(373) على رأس الأربعين، ج 1، ص 226، تعليق حسناء داود، تطوان، 1421 - 2001، بمطابع الشويخ.

(374) انظر ترجمته إسعاف الاخوان الراغبين، ص 398، المرجع السابق، ومعجم المطبوعات المغربية، ص 79.

(375) من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 269 وما يليها.

ومع كل العراقيل التي كانت تنصب أمامه، مانعة له، وصارفة إياه، عما جبل عليه أو خلق من أجله (فكل مسير لما خلق له)[376].

كان يجهد نفسه، ويقف موقف المؤمن الصادق في أداء رسالته المقدسة مما كانت له نهضة مباركة عمت المغرب، وأطرافه مدنا وقرى.

مما يحتم وبكل تجرد أن يكون شيخنا الدكالي مجدد القرن المعاصر.

ثم رغم انعزاله عن العمل ذي المناحي الثلاثة :

1) وزارة العدل.

2) الاستيناف الشرعي.

3) التعليم.

بقي محل عناية، ورعاية من العاهل (محمد الخامس أكرم الله مثواه)، ومن كافة الأوساط خاصة المثقفة.

وبهذه الصفات الحميدة التي عاش عليها طيب الله ثراه، يكون قد ضرب الرقم القياسي في الوطنية الحق، التي تتجلى وبصدق في التكوين الصالح، وتربية النفوس على المثل العليا، وجعلها في خدمة البلاد، والحفاظ بالطبع على مقوماتها ديناً، وسياسة، واقتصاداً، ولا غرابة وقد انبثقت من روحي الكتاب والسنة، حيث هما المنهجان اللذان كانت دروسه الباعثة تفيض بمفاهيمهما في شتى القضايا الهادفة إلى البعث والوعي طالما هي نابعة من قلبه المؤمن، وضميره الحي في مثابرة، وممارسة لا تكادان تعرفان الملل، حراً وقرّاً.

رحمك الله يا حافظ السنة، ويا منقذ الأفكار من مهاوي الشعوذة والبدعة.

نم في جوار ربك مع الذين أنعم الله عليهم من النبئين، والصديقين، والشهداء، والصالحين[377].

---

(376) رواه البخاري في صحيحه.

(377) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 82 وما يليها.

3) شهادة الأستاذ عبد الله كَنون[378] :

جاء في كتابه «التعاشيب»، وهو يصف ما قام به شيخ الإسلام - بعد عودته من المشرق إلى المغرب - من نشر العلم والدعوة إلى الإصلاح والحفاوة التي لقيها من أهل المغرب عامة، قائلا :

وهكذا أصبحت القلوب مُجْمِعة على حب الشيخ أبي شعيب واحترامه سواء من العلماء أو غيرهم، من الشيوخ أو الشبان، فلم يكن يخالف عليه أحد لا من هؤلاء ولا من هؤلاء، وحصل على رياسة العلماء الحقيقية التي لم يحصل عليها أحد بالمغرب منذ وفاة الفقيه كنون الفقيه في أول هذا القرن.

أما العلماء ففضلا عن أنه لم يكن فيهم من يَفْرِي فَرْيَه فإنهم تعرفوا في دعوته روح شيخهم كَنون ومنزعه الذي ما حادوا عنه إلا لقصور في الباع، وضعف في الطباع، وأما الشبان وغيرهم فقد طالعهم بما كانت تتطلبه نفوسهم المتوثبة إلى النهوض الراغبة في التجديد، فلذلك ألقى العلماء السلاح للشيخ، وعقد الشبان الخناصر عليه، ولم تكن إلا فجوة قليلة حتى وجدت هذه الحركة العلمية المباركة، وهذه الحركة الاصلاحية الموفقة، واستيقظ المغرب، وتنبهت مشاعر أبنائه للخير، فكان موقظه، ومحرك عزماته الساكنة هو شيخنا أبو شعيب.

إذن فهو عبده المغرب، وهو شيخه الإمام، ولئن اختلفنا في بعض الأوصاف فقد اتفقا في أصلها، والغالب عليهما منها وهو الاصلاح، والتجديد، والإيقاظ، والتنبيه.

أما إن قلت إن محمداً عبده كان كاتباً مجيداً، وخلف في عالم التأليف آثاراً مهمة لازالت مما تزين به الخزائن، وتعد من أنفس الذخائر.

فإننا نقول إن أبا شعيب كان بحراً في علمه لا ينتهي إلى ساحل - وإن كان لكل بحر ساحل - وقد علم أبو شعيب فنوناً لم يكن لمحمد عبده فيها حظ ولا نصيب، فهذه في مقابلة كتابته وإنشائه[379].

(378) العالم الأديب الكاتب المشهور، انظر اسعاف الاخوان الراغبين، ص 402 وما يليها.

(379) كتاب التعاشيب، ص 89 وما يليها، المرجع السابق.

وجاء في ترجمة خاصة له للشيخ قوله :

كان الشيخ أبو شعيب رحمه الله حافظاً من حفاظ الحديث، وعلماً من أعلام السنة، وداعية من أكبر الدعاة إلى التمسك بالهدي النبوي، وزعيماً من زعماء الاصلاح الديني الموفقين، لم نر مثله في ذلك مدى الأربعينات، والخمسينات من هذا القرن إلى أن توفي عام 1356هـ، ولا رأيناه فيما بعد ذلك إلى الآن.

أما فيما يرجع إلى حفظ الحديث، والعلم بالسنة، فما كان إلا مثالا حياً من أولئك الرجال الذين نقرأ عنهم في الكتب، ولا نكاد نصدق ما كانوا عليه من الاستظهار للآلاف المؤلفة من الأحاديث، والمعرفة بالسنن، متناً، وإسناداً، رواية ودراية، والاستذكار لتراجم الرجال، وطبقاتهم، والاطلاع على مذاهب الأئمة ومداركهم مع القدرة على التصحيح والترجيح، والغوص على المكنونات، والمضامين، في يسر وسهولة، شأن المتمكن من عمله الممارس لمهنته.

وزاد على ذلك فصاحة اللسان، وحلاوة النكتة، وحسن التأني، والربط بين الموضوع الذي يتناوله والاستطرادات التي يكون لها أدنى اتصال به، بحيث يجعل من مجلسه روضاً من رياض العلم والأدب، وحديقة غناء حافلة بثمار المعرفة والحكمة.

هذا أمر لا ريب فيه، وهو محل اتفاق ممن حضره وشاهده من تلامذته، والمستفيدين منه، وممن كانوا فوق درجة التلمذة من العلماء، والمشايخ الكبار.

سمه موهبة، وفتحاً ربانياً كما كان هؤلاء يقولون، أو طلباً واجتهاداً، وحرصاً على العلم، وضرباً في الآفاق المغربية والمشرقية لتحصيله، والأخذ عن أربابه، مع الموهبة، والفتح المذكورين، كما هو في الحقيقة والواقع.

فليست التسمية هي المهم، وإنما المهم أنه كان كذلك، وبهذه المثابة حتى دعى حافظ المغرب والشمال الافريقي من غير أن ينازعه أحد في ذلك[380].

---

(380) ترجمة خاصة لعبد الله كَنون.

4) شهادة الأستاذ علال الفاسي[381] :

جاءت هذه الشهادة ضمن رثائه الذي أوردته جريدة الأطلس بتاريخ 20 جمادى الأولى 1356 (29 - 7 - 1937) - السنة الأولى - العدد 24 - تحت عنوان: شيخنا أبو شعيب.

وكلمة الزعيم العالم علال الفاسي هذه تلخص مآثر الشيخ الاصلاحية، والتعليمية والوطنية، وهي شهادة صادرة من تلميذ للشيخ وفي، وهي تنبئ في آن واحد بالصدق والوفاء في تلك المواقف.

قال الأستاذ علال الفاسي رحمه الله :

كان شيخنا رَوَّحَ الله روحه في طليعة علماء الإسلام الذين تذوقوا الروح الإسلامية وطمحوا للتقمص فيها والدعوة إليها والرغبة في العمل بمقتضاها. فلم يكن من أولئك العلماء الجاحدين الذين يضيق فكرهم عن المعرفة ويقصر عن الإدراك، فيرضون بالدون، ويقنعون بالهون ثم يصرفون الناس عن الكتاب والسنة والتملي بهما، والتحلي بخصالهما، ويعرفون في ذلك الكلم عن مواضعه، حتى إذا استيأسوا من الفوز، وأيسوا من النصر، عمدوا إلى الوقيعة في العاملين والسب في المخلصين، بل كان رحمه الله من الذين درسوا العلم الصحيح وتزودوا من الكتاب والسنة ما كون منهم رجالا عارفين معنى الإسلام مقتنعين بالغاية السامية التي بعث إليها الرسول عليه السلام، حتى أصبح ذلك عقيدة في أنفسهم يدعون إليها ويستميتون في سبيلها، وهكذا كان الفقيد في الرعيل الأول من أشياخنا الذين نعوا على التقليد وحاربوا الجمود ودعوا إلى التحرر من قيود العصور الأخيرة المنحطة والسمو بالفكر إلى مستوى السلفية الأولى التي تعبد الله خالصا له الدين توحي بالعقل في الفهم والتفهيم، وترجع القرآن والسنة في البرهنة والتدليل، فكان لهم الفضل في السبق لهذه الدعوة والميز في تنوير أفكار الكثير من التلامذة والمريدين،حتى ارتكزت في البلاد هذه الروح السلفية المومنة وهذه النهضة الاصلاحية الثابتة.

---

(381) العالم الأديب الشاعر المؤرخ الفيلسوف الوطني الزعيم المشهور، انظر إسعاف الاخوان الراغبين، ص 472 وما يليها.

وكان شيخنا فوق ذلك من العلماء الذين يناصرون الوطنية ويدعون إليها ويشايعون القائمين بها بتأييدهم الروحي واخلاصهم القلبي، وتارة يدفعهم الشعور الوطني الخالص لأن يقولوا كلمتهم ويعلنوا معاضدتهم كما فعل الشيخ في قضية الظهير البربري.

فقد كان أول من وقع العريضة المقدمة من طرف الأعيان والعلماء الرباطيين في تأييد القائمين باستنكار السياسة البربرية والاستبسال في مقاومتها، فزاد بعمله الحركة قوة وتأييدا.

لذلك كان المصاب به عظيما والرزء فيه جسيما، ولذلك حق للأمة المغربية أن تبكيه وتندب فيه العالم العامل والسلفي المخلص، وحق لرجال الحركة الوطنية أن يقدروا مكانته ويعتبروا منزلته ويقيموا له من الذكر ما يليق برجل خدم الاصلاح ونور الادهان، وكذلك فإن الوطنيين أقاموا على روحه صلاة الغائب في نواح مختلفة وكونوا لجنة تقوم بإعداد العدة لتأبينه يوم الأربعين، وتقدمت لجنة الاسعاف الوطنية بفاس، فوزعت عشر بطاقات على عشرة من الفقراء يأخذون بها مساعدة يومية كصدقة على روح الفقيد الكريم.

5) شهادة الأستاذ عبد السلام بن سودة[382] :

جاء في كتابه «سل النصال» ما يلي :

أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي، الشيخ الإمام، علم الأعلام، المحدث، المفسر، الراوية على طريق أئمة الاجتهاد.

آخر الحفاظ بالديار المغربية، ومحدثها، ومفسرها من غير منازع ولا معارض.

وهو آخر من رأينا، بل وأول من رأينا على طريق الحفاظ المتقدمين، الذين بلغنا وصفهم بالحفظ، والاتقان، والاستحضار.

ولولا رؤيته، وحضور دروسه، لدخلنا الشك في وصف من تقدم قبله.

يستحضر متن الحديث، وسنده، ومختلف رواياته مع من انفرد بالزيادة والنقصان من أئمة هذا الشأن، ومعرفة تراجم رواته على اختلاف أسمائهم،

---

(382) انظر ترجمته معجم المطبوعات المغربية، ص 167.

وأنسابهم، وطبقاتهم، ووفياتهم، وفي أي بلد عاشوا، ومرتبة كل واحد منهم، بحسب التعديل والتجريح، مع تطبيق نصوص فقهاء المذاهب الأربعة، وكيفية أخذ كل واحد منهم الحكم من نص الحديث، ونظر كل إمام من الأئمة الأربعة في الأخذ والرد، وقواعد مذهبه في الاستنباط من الحديث وقيمته، وبيان الخلاف بين الأئمة في بعض المسائل المهمة، وسببها إن كان خلافاً في الحكم الشرعي، والكل بفهم ثاقب.

وكثيراً ما كان ينتصر للمذهب المالكي لكونه مذهبه، بل لأن أصوله صحيحة، واستنباطه من النصوص سليم.

وكثيراً ما كان يقول في تقريره : (فإن قالوا) (قلنا لهم كذا وكذا)، وإن كان في بعض الأحيان ربما انتصر لغير المذهب المالكي في قلة، إن كانت حجج الغير أقوى، وربما أجاب عن الإمام مالك بأن نص الحديث المحتج به من الغير لم يبلغه، لأنه رُوي مثلا عن أصحاب الشام، وأصحاب العراق، والامام لم تكن له رحلة إلى تلك الأصقاع.

وأما تطبيق علوم الآلة من أصول، وبيان، ونحو، وغير ذلك، فله اليد الطولى فيها، وخصوصاً في الروايات السبع التي كان يحفظها بل حتى ما وراءها إلى العشر حفظاً متقنا مع فهم أسرار قواعدها حسب المقرر في ذلك.

وكل ما وصف به فالرجل فوق ذلك، ولا يؤمن به إلا من شاهده.

فهو مفخرة من مفاخر المغرب، وترجمته واسعة تستحق مجلداً.........

وفي طور حياته كان لا يترك التدريس في أي محل كان، وفي أي بلد دخل.

وترى الجموع محتشدة على درسه حتى إنك إذا لم تذهب قبل الوقت بساعات، لا تجد محلا قريبا منه تجلس فيه.

فإن جامع القرويين على كبره، كان يمتلئ نحو النصف منه بدون مبالغة.

وقد رزقه الله صوتاً عالياً يُسمِع كل من حضر، ولا تراه في تعب من أجل الدرس ولا إعياء، ولا تلعثم، ولا إعادة جملة لأجل الأخرى، ولا عبارة لها حشو أو تكرار[383].

---

(383) انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3052 وما يليها.

6) شهادة الشيخ عبد الحفيظ الفاسي[384] :

جاء في كتابه **معجم الشيوخ** عند ذكر الشيخ ما يلي :

أوحد علماء عصره، وأشهر علماء المغرب في وقته من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها، إمام في علوم الحديث والسنة وفقه معاني الآثار والخلاف العالي والنازل ومعرفة أنظار أئمة المذاهب ووجوه قولها مع حفظ المتون والجمع بين الروايات ومعرفة المخرجين والمتابعين وأنساب الرواة وتراجمهم متظاهر بالعمل بالحديث والتمذهب به قولا وعملا داعية له ناصر له متبحر في علوم القرآن قراءاته واعرابه وناسخه ومنسوخه وأحكامه ومعانيه ووجوه بلاغته وأنواع تفسيره متقن لعلم القراءات عارف بوجوهها متمكن في العلوم العربية بأنواعها حاذق بفنونها عارف بالأصول الصحيحة الخالية من البدع والعقائد الزائفة شديد على المدعين قامع لأهل الأهواء والمبتدعين سيف الله القاطع على رقابهم ملازم لنشر العلم والدءوب على تدريسه صيفا وشتاء بل لا يخلو مجلس من مجالسه من الإفادة، منقطع القرين وعديم النظير في كل ذلك يضرب به المثل في الحفظ والاستحضار وحسن الاملاء وقوة العارضة، شهد له الأكابر بالكمال في كل ما ذكر، له التقدم والجاه العريض في الدين والدنيا ورزق السعد والقبول عند كافة الطبقات مع سلامة الصدر والسعي في إيصال الخير لكافة الناس والتواضع وحسن الأخلاق، وشهرته تغني عن استقصاء فضائله الجمة[385].

7) شهادة الأستاذ العلامة محمد المختار السوسي[386] :

جاء في كتابه **مشيخة الإلغيين من الحضريين** عند ترجمة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي قوله :

الشيخ شعيب آية من آيات هذا العصر في قطرنا هذا بل في المغرب كله من قطرنا إلى قطر تونس، فقد أحيا الله به أفكارا، ونشر به علوما واستبدل به حالة

(384) معجم المطبوعات المغربية، ص 262، المرجع السابق، وموسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3376 وما يليها، وهي ترجمة لابأس بها عن هذا العالم النحرير.

(385) معجم الشيوخ، ج 2، ص 142 وما يليها.

(386) الأستاذ العلامة الأديب الكاتب الوطني الغيور اسمه على الألسنة أشهر من نار علي علم، وانظر ترجمته اسعاف الاخوان الراغبين، ص 284 وما يليها، ومعجم المطبوعات المغربية، ص 173.

بحالة أخرى، حتى انقلبت أساليب التدريس، وسلكت مجاري التفهم للعلوم مسلكا آخر انقلبت بسببه جميع أحوال الطلبة من جنب إلى جنب آخر بالتدريج، شعروا كلهم بذلك أم لم يشعروا، والزمان كفيل بالادلاء غدا بهذه الشهادة الناصعة.

الشيخ شعيب هو ذلك العلامة المشارك الذي يذاكر كل ذي فن في فنه، ثم لا يعجز عن أن يتخلل معه في مسالكه الدقيقة، وإن كان مذاكره أكثر تحصيلا من الشيخ في ذلك الفن، أو كان فيه أخصائيا، لأن الله أعطى له ملكة يقتدر بها أن يعلو دائما كعبه في المباحثة، فلا يقوم جليسه إلا معجبا به راضيا يباحث الفقيه الذي قتل الفقه المالكي قتلا حتى استحضر من جزئياته ما استحضر، فيميل به الأستاذ برفق ولطف من حيث لا يشعر صاحبه، حتى يذكر له حول مسألة عنت في المذاكرة من أقوال مالك في الموطأ ومن بعض أقوال أصحابه المتقدمين في المذهب، يوردها من كتب غريبة عن نظر فقيه القرويين الذي لا يعدو المختصر وحواشيه ثم لا يزال به حتى يدخل به في استدلال مالك وسوق أحاديث تشبه له، فيمزج ذلك بقواعد أصولية يعتمدها المالكية، فهكذا ينقطع عن مجاراته الفقهاء الذين لهم من الفقهيات وحدها قدم عالية حتى سيدي المهدي الوزاني، وابن الخياط، والسباعي وهم أطواد الفقهيات في عصرهم بهذه الطريقة يسلمون له، ويرون أنهم عنه يقصرون وأنهم دونه بمراحل، ثم لا يبدون الفضل كل الفضل إلا في الشهادة له بالسبق يباحث النحوي فيملي عليه من الموضع الذي يستظهره من صغره ويضربه بابا لباب وربما ذكر التسهيل ويورد من الشواهد التي يعرفها النحوي من المكودي ومن الموضح ومن الأشموني، ثم يزيد عليها أمثالها مما يحفظه في عُرْضِ القصائد العربية ويستشهد للمسألة التي راجت بآيات وأحاديث وبكلام المغني إن كان ذلك حول ما في المغني، أو بكلام المبرد إن كان المبرد ذكر تلك المسألة في كلامه، وكل ذلك بفصاحة وذلاقة لا تهدج يعتري لسانه ولا وقفة تعترض في كلامه فيقتنع بعلو مقامه النحوي الذي أجاد معرفة الكتب التي درسها، لأنه إن درس الموضح لكنه لا يحفظه أو المغني لكنه لا يستحضر كل ما فيه، فهب أنه استحضر ما فيهما فمن أين ضرب الأخير بالأول وقرن باب بباب والاستدلال بالآيات القرآنية يتلوها الاستدلال بالحديث، ثم بأبيات من قصائد ما سمع بها قط، وأما الكامل وأمثاله من تلك الكتب فهي عنقاء مُغْرِبٌ في انظار النحويين من الجيل الماضي

الذي وجده الشيخ أمامه وكثير منهم لم يسمعوا به وبأمثاله يباحث الأصولي وَهَبَهُ مولاي عبد الله الفضيلي الفاسي رئيس القرويين اليوم فيتدفق عليه بمتن جمع الجوامع الذي حفظه صغيرا، ثم سرعان ما يُفَرِّعُ على تصوير قاعدة من القواعد الأصولية الخلافية أن ينتصر لمذهب مالك، فيذكر من المسائل التي بنيت على ملاحظة تلك القاعدة من الأحاديث ثم يتطرق إلى اختلاف المذاهب في الفقهيات.

ويذكر مسائل مما بنى عليه كل واحد مذهبه فبينما مباحثه يريد أن يربطه بما يعده علم الأصول من تلك المجاذبات العنيفة بين اللقاني والعبادي وأمثالهما إذا به نفذ من قاعدة من القواعد إلى ما أسس عليها، فيملي على مسامع جليسه من نظائر ذلك في المذهب المالكي وفي غيره من المذاهب ما يرد به العلامة الأصولي رأسه تحت طي جناحيه فيقوم وهو يتعثر في أذياله.

يجالسه الفرضي كبعض السوسيين الذين يَحْذَقُونَ علم الفرائض، فيفاتحه في مسألة، فيسرد عليه نصها من المختصر فيكون ذلك أول ما يبهر السوسي الذي يَعُدُّ حفظ المختصر إلى آخره إحدى المعجزات، ثم يسرد عليه مما يتعلق بالمسألة من الموطأ من قول مالك ويتلو عليه أصل تلك الفريضة من القرآن ويتبع ذلك بأقوال زيد بن ثابت وعبد الله بن عباس ومعاذ وعمر وابن مسعود وعلي إن كان سبق فيها قول لهم، أو يذكرهم بحسب التوسع في الاستدلال فقط، وهكذا ينكمش الفرضي السوسي في مِسْلاَخِهِ ويقول بينه وبين نفسه، أَفَسِحْرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون فيخرج إلى حيث يشيد بذكر الشيخ في مدارس جزولة ويقول أن الشيخ شعيبا الدكالي يعلم كل شيء، يلتقي به صاحب الروايات في القرآن التي أتقنها بلزوم مدارسها عقدين من السنين أو أكثر، وحتى أتقن العَشْرَ، فيفاتحه الشيخ شعيب فينفد في القراءات كلها المشهورة، ويذكر رواية أصحاب كل ذي قراءة بالاتفاق أو بالاختلاف، فيستدل للسيد الحمزاوي الذي بين يديه بتلك المنظومات التي لفقها المعلمون على ما هي عليه من انخرام الوزن واختلاف القوافي، ثم يذكر أبيات الشاطبي ثم ابن بري، ويتبع ذلك بقول العكبري والخراز وابن الجزري وابن عاشر وأمثالهما من أرباب الفن ثم يتكلم على كل رواية بلسان العلم، وربما ذكر اسم من روي كل رواية عن النبي ﷺ، فيذكر البخاري ومسلم والكتب والستة ومسند أحمد

ابن حنبل ومسند ابن الجارود، ثم يتجاوز القراءات التي أتقنها الحمزاوي وحين لا تَعْدُ العشرة غالبا، فيتدفق بالقراءات الشاذة التي لم يسمع بها قط السيد الحمزاوي المتقن لكل ما أخذ فَيُفْرِغُ وسعه في الشواذ وما أكثرها في كل آية وما أكثر استحضار الشيخ لها من علم التفسير الذي أتقنه فَيَنْفَتِلُ سيدنا الحمزاوي مشدوها مما يراه من توسع في فنه الذي كان يحسب أنه أحاط به فيجري إلى مدرسة سيدي الزوين وإلى مدارس جبالة فَيُعَلِّقُ عليه عشرات من الطلبة الحمزاويين، فيغمرهم بما رآه، حتى إذا أحس أن الشيخ فوق وصفه، يقول الحاصل إنه يحيط بجميع ما يمكن أن يعلم من القرآن الكريم ولا وجود لنظيره.

يجلس إليه أديب من أدباء (إلغ) مثلا الذي كان تربى على النمط القديم في أدبه، فعرف أن ينظم وقد مر بالمقامات وببعض كتب أدبية قديمة، فأول ما يرى من الشيخ أريحية لا يواخذ الأدباء إلا بها فيكهربه الشيخ بها أولا، ثم في أثناء المذاكرة يملي عليه من غزليات رقيقة للقدماء مما حققه وياتيه بسلسلة أبيات في معنى واحد يتداوله الشعراء المختلفون عصورا بين جاهليين ومحدثين ويملي عليه وراء ذلك بعض خطب عالية المنزع استظهرها الأستاذ من المكان للمبرد والأمالي للقالي ويتخلل ذلك ببعض مقامات من الحريرية وببعض آيات وأحاديث تضم من المعاني الرقيقة ما يعجب بمثله الأدباء الذين تربوا على ذلك النمط.

ثم يذكر له من أبيات الجناس وعلمه وما إلى ذلك من البيانيات والبديعيات ما يفغر به الأديب فاه.

ويقول لقد كذب والله من يرمي كل فقهاء هذا العصر بالجمود وبغلظ الأكباد وبالاعراض عن الأدب وافترى على الله كذبا من يزعم أن كل من يشتغل بالأدب لا يمكن له أن يشتغل بغيره بعد.

فيخرج الأديب من حضرة الشيخ وهو يراه مثلا عاليا للأديب الجامع المستحضر الذي ما أفلته شيء.

ثم لا يرى عالما إلا الشيخ شعيبا فيتمنى لو كان له نصيب من مشاركته فيكون ذلك سبب اقباله على معاطاة التعلم، حتى يدرك ما يمكن أن يستدركه من تأخر كثير حتى ضاع من ريق شبابه ما لا عوض له يصادفه أحد المتدينين المفكرين في

هذا العصر الجديد الذي يُبْهَرُ بأفكار محمد عبده، ويتشبع بمبادئه فَيَمَاذُه الشيخ الحبل ويسترسل معه في كل ما يستحسنه من الدعوة إلى السنة والقضاء على البدعة، فيميل إليه الشيخ بالكلية، فيقول الحمد لله الذي أحياني حتى رأيت من أبناء أمتي من يعرفون الحق حقا فيتبعونه، والباطل باطلا فيجتنبونه، ثم يدلي في كل ما يذهب إليه المفكر الجديد بدلوه ويؤيد في كل ما يذهب إليه، فيحكي له ما كان لاقاه بادئ بدء من المتفقهين الذين يعبدون المشاهد فياتي بحكايات يتأنق فيها مع تسميته لأصحابها واحدا واحدا، ثم يستطرد أنه وقف حتى كسرت صخرة تعبد من دون الله بمراكش وأنه شتت صُبْرَة من الأحجار في دكالة تنذر عنها النذور فيسهب في ذلك حتى يستولي على مشاعر السامع الذي جالسه ويتمكن من عواطفه، حين علم أن في أبناء قومه من هم كمحمد عبده إصلاحا ودعوة للسنة وإماتةً للبدعة، عملا ظاهرا ينظره كل أحد. لا فكرة فقط ثم إذا سأله المفكر أيعرف محمد عبده بمصر ؟ يقول إنني أعرفه حق المعرفة، وهو كذا وكذا فيثني عليه ثم يقول، وعهدي به وكل أتباعه من أصحاب الطرابيش من الشباب ولكن الخير كله إنما ينتظر من الشباب الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فأولئك الذين هداهم الله وأولئك ألو الألباب، فإذا كان يسقط آخر معقل من عظمته جليسه الشاب المفكر فيقوم ولا عالم عنده ولا سني ومسلم ولا مفكر إلا الشيخ شعيب الدكالي الذي وجد من عنده ما لم يجده عند غيره.

هكذا يعرف الشيخ كيف يتسرب إلى أواسط القلوب، وكيف يحوز الخصال في كل ميدان، وكيف يضع يده على ناصية كل فريق من طبقات الشعب، فيميل وجهته لناحيته، وكل ذلك من غير تعمل يحسن به إنسان منه ومن غير تظاهر بأنه سيد أقرانه وإن كان كل ما فيه من الخلال العالية تصيح بملء فيها أنه سيد أقرانه أجمعين أكْتعِين أبْتعِين أبْصَعِين شاء من شاء وأبى من أبى، والحق يظهر من معني ومن كلم وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل.

وذكر الأستاذ محمد المختار السوسي أيضاً وهو يوازن دروس الشيخ بدروس غيره من علماء عصره، وقبل عصره، من عدم القدرة على التبليغ، والتطويل بجلب ما في الحواشي والتقريرات على المتون، وإلقائها إلى طالب العلم دون تمحيص وتخليص، قائلا :

فأين يا للناس هذا الدرس الذي على هذا النمط من الأساتذة الذين لا يعرفون في دراستهم إلا سلوك هذا المسلك من درس الشيخ الذي نراه الآن كما رجع من ضيعته في زعير، أو في دكالة، فيبتدئ الدرس معك، وأنت وهو خاويا الوفاض مما سيقال، ثم عند التقرير لا يلقي إليك إلا ما كان قتله بحثاً، فجلاه لك في ثوب بهيج، قريب الملمس، لطيف المنظر، ثم يأخذ بيدك تدريجاً، وهو يرتقي بك شيئاً فشيئاً، وشهية تفهمك تتفتح بالمسائل الأولى السهلة التي فهمتها بديهة إلى أن يقف بك إلى معترك الأفهام، ومنتطح الكباش، فهناك تتكفل لك عبارته السهلة الواضحة، وفصاحته الغريبة المعسولة، وتقريره المنظم، المرتب ترتيباً طبعياً بأن تفهم كل عويص جال فيه الأستاذ بتقريره، ثم إذا عن لك إشكال، ورآك الأستاذ بحذقه الغريب، وفراسته الإياسية تحدجه بطرفك. وتردد سؤالا من فيك، يتوجه إليك بذلك الوجه النير، البراق الأسرة، ويقول لك : ما تقول يا سيدي ؟ فتتجرأ إذن أن تعلن سؤالك، وأنت باعتناء الأستاذ بك بين أولئك الكثيرين، مسترق العواطف، مبتهج الفؤاد، منشرح الصدر، ثم تسمع جواباً لطيفاً هادئاً، مسوغاً في قالب التنازل العظيم، فإن راجعته ثانياً أو ثالثا يمادك المجاوبة، وإن رأى من كلامك ناحية فيها صواب، اعترف لك على رؤوس الأشهاد بأنك على صواب، فلا تسأل عما يعتريك إذّاك من الحبور، والسرور، والرغبة التامة في تحصيل العلم، فلا يزال ذلك يتكرر حتى تهتم أن تطلق كل الحياة، وشهواتها، ويكون لك هذا العلم السهل الذي نال به الشيخ شعيب ما نال.

هذا هو صنيع الشيخ في أيام وزارته التي استمرت اثني عشرة سنة، فقد أعطى العلم فيها حظاً وافراً لا يغبه، فكانت دروسه مورداً عذباً للرباطيين الذين سَعِدُوا في الأزل فسيقت هذه النعمة العظمى إليهم فتملوها زمنا طويلاً.

ليس الشيخ شعيب من الأساتذة المتعجرفين الذين لا يتصل بهم تلاميذهم إلا في الدرس، بل كان يتصل بهم في كل مناسبة، فيتنزه معهم، ويسامرهم الليالي الطوال، فيثج عليهم بسيول متدفقة من النوادر، والفوائد، وكل ما يَعِن.

فإن من خواص الشيخ أنه يكيف بجليسه، فيكون عظيما من العظماء، الذين تميد الأرض بهيبتهم، إذا جالس الوزراء وسفراء الدول حتى لتجد فخامة من

صوته - إذذاك - وعلواً من قامته إذا ماشاهم في بعض مماشي البلاط الملوكي أو في حفلة رسمية في بعض الندوات الكبرى.

ويكون مالياً إذا جالس الذين يعنون بالمال، وبتنمية التجارة أو الفلاحة، وما إلى ذلك.

فإذا جالس المليوني التازي الشهير، أو أحد كبار أثرياء المغرب من المعمرين أو رؤوس الأبناك، والشركات، فإنه ذو دقة غريبة في تنمية الأموال، واختيار الطرق لذلك، فيدلي بأراء تكون لها قيمتها في ندوات الأغنياء يتخذونها أمثالا متداولة[387].

ويكون فقيراً درقاوياً إذا لاقى أحد الفقراء فيتحدث معه عن الشاذلية، وعن مولاي العربي[388]، وسند هذا الورد[389] إلى الشاذلي، فيروي أحاديث صحيحة في الاستغفار مائة مرة، والهيللة مائة، والصلاة على النبي ﷺ مائة.

ويتبع (أي الشيخ) ذلك بسلاسة العقائد عند أهل هذه الطريقة، وقد لاقيت أناساً من الدرقاويين الكبار يفتخرون بأن الشيخ منهم كما كان كل ذويه من قبله[390]، وأنهم سمعوا منه أحاديث تؤيد ما يذكرونه دائماً في أورادهم.

والحقيقة أن الشيخ لا ينحاش لفريق دون فريق، وحاشاه أن يجعل المسلمين عضين.

---

(387) هذا يدل على ما كان عليه الشيخ من اطلاع واسع على الأحوال الاقتصادية، وما يجري في الواقع، وكيفية تسيير الأموال، فلم تكن تشغله المعارف العلمية المترامية عن معرفة عالمه الذي يعيش فيه.

(388) هو مولاي العربي الدرقاوي مجدد الشاذلية في زمانه وإليه تنسب الطريقة الدرقاوية.

(389) المقصود بالورد مجموعة أذكار معينة يقوم بها الذاكر في وقت معين كما أشار إليه هنا الأستاذ محمد المختار السوسي من الورد الدرقاوي وهو : (أستغفر الله مائة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة، والصلاة على النبي ﷺ مائة، وزيد من بعد حسبنا الله ونعم الوكيل)، ولاشك أن هذه الأذكار قد ورد بها صحيح الآثار.

(390) كانت أسرة الشيخ بدوار الصديقات بدكالة متبعة للطريقة الدرقاوية كما هو شأن عامة أهل دكالة في زمان الشيخ وبعده.

بالرغم مما كان ينادي به الشيخ من سلفية فلم يكن ينكر التصوف برمته، ولا كرامات الأولياء، وكان يدعو عامة الناس بالتي هي أحسن دون تعصب أو عنف وكانت سلفية علمية، لذلك كان من الآخذين عنه جميع فئات طرق التصوف بالمغرب كما سوف نرى من خلال جمهرة تلامذته.

ومن الطرائف هنا أن تلميذه الشيخ محمداً الحجوجي رحمه الله وهو تجاني الطريقة روى عنه مسلسلا بالتصوف أثبتناه عند ذكر آثار الشيخ الحديثية.

ويكون أحد التلاميذ إذا جالس التلاميذ، وأحد الطلبة من أصحابه إذا كان معهم[391].

ويزيد الأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله متحدثاً عن أخلاق شيخه السامية، ونبل شمائله الفاضلة، في لين جانب، وخفض جناح، مع رفعة قدر ومنزلة. قائلا :

غير أننا نرى له من أجل علمه، وشمائله، ولطافة جانبه، ومن إلقائه التعجرف والتكبر بما وقر الله في صدره، ومن مخالقته لكل أحد، حتى خالطت بشاشة محبته وإجلاله كل أحد.

ومن أنه أحيا الله به أمما موتى، وفتح به أعيناً عميا، وقلوبا غلفاً، وآذاناً صما.

نرى له من أجل هذه الخلال التي لا نرى بعضها فضلا عن كلها في أقرانه.

ومن تواضعه وراء ذلك، وإقراره بذنبه لو كان له ذنب عظيم، ما ملك به عواطفنا، وأسَرَ به أفئدتنا، فآثرناه بإكبارنا، ونصرتنا، وولائنا، وهو أحق بها وأهلها.

إن الشيخ شعيباً حي الضمير، وريف الظل، عذب المورد، سهل الكنف، قريب الجنى، يرتبط بالقلوب بسرعة، فيألف ويؤلف.

ويكاد صدر كل من رآه ولو مرة، يتفتح عن صورته الوضاءة التي هي رمز لكل كمال.

فكأن طينته جمعت من كل القلوب، فتمثل بها بشراً سوياً.

فهكذا نعرف الشيخ، وبذلك استولى على أرستنا في حياته، وعلى أقلامنا الآن بعد وفاته، وسيعرفه الغد أكثر مما يعرفه اليوم، يوم ينصب الميزان، وتوزن الرجال بأعمالها فحينئذ يظهر الراجح من المرجوح[392].

وبعد :

فقد جلبنا هذه الشهادة التي اتسمت بالصدق، وأمانة النقل، بالرغم من طولها، تلك الشهادة الصادرة من أستاذ جليل، وشيخ أصيل، وأديب وشاعر نبيل،

---

(391) ترجمة الشيخ ضمن مشيخة الإلغيين للأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله.

(392) المرجع السابق.

وعالم لغوي ليس له مثيل، ألا هو سيدي محمد المختار السوسي[293]، الذي أعجب بشيخه أبي شعيب الدكالي.

فألقت تلك الشهادة بل الشهادات بظلالها الوارفة على شخصية ذلك الشيخ الشهم الكريم، فتناولت من المآثر والمفاخر ما تناولت، ونقلت لنا الصورة الكاملة لشيخ الإسلام علما، وفضلا، وخلقا، ونبلا.

والأستاذ محمد المختار السوسي هو التلميذ الأوحد للشيخ الذي امتاز بدقة الوصف، وبحسن ذلك الرصف، ولا غرابة في ذلك فهو الأديب البارع، والشاعر المفوه دون منازع.

فرحمة الله الشاملة عليه، وأحيا ذكره في الأولين والآخرين، كما أحيا ذكر شيخه، وللعلم أبوة تفوق أبوة النسب كما هو معلوم.

8) شهادة الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني[394] :

وهي شهادة وردت ضمن مقالة له عنوانها : (الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته)[395].

قال رحمه الله :

كان شيخنا الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله علامة، محدثاً، حافظاً، مقرئاً، نحوياً، لغوياً، أديباً، فقيها.

كان يحفظ كثيراً من القراءات، وكان مواظباً على تلاوة القرآن بها.

وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث، ذاكراً لأسماء الرواة، وشيوخهم، وتلامذتهم، وتراجمهم.

وكان يحفظ كثيراً من المتون كمختصر خليل، وألفية ابن مالك، وأوضح المسالك لابن هشام وغيرها، وكثيراً من الشعر العربي، كما أنه كان تاجراً، وفلاحاً، ووزيراً.

---

(393) وفي هذا المقام يقال : «لا يعرف الفضل لذويه إلا أهله».

(394) انظر ترجمته إسعاف الاخوان الراغبين، ص 135 وما يليها.

(395) حيث أورد فيها ذكرياته مع الشيخ، وبعض الفوائد عنه مما نشير إليه بعد في محله إن شاء الله.

وكان متواضعاً، لين العريكة، دمث الأخلاق، خفيف الروح، حاضر البديهة، حلو النكتة، عذب الفكاهة، لين الجانب، حسن العشرة، كريم النفس، عارفاً بأقدار الناس، منزلا لهم منازلهم.

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه كفاء ما قدم لدينه، وأمته، ولغته من نفع عميم.

9) ما ذكره الأستاذ جعفر الناصري عن الشيخ[396] :

أورد الأستاذ المذكور في ترجمته الخاصة للشيخ ما يدل على قيامه بشؤون التدريس، والصبر على مواصلته، دون كلل ولا ملل، وحث طلبة العلم على الحفظ، والسؤال عن مسائله، وتشجيعهم على ذلك في كل مناسبة.

قائلا :

ولما استقر الشيخ بالعاصمة الرباطية، استأنف دروسه الحديثية، على عادته.

فافتتح صحيح الإمام البخاري رضي الله عنه بالزاوية الناصرية بين العشائين، وكان لا يتخلف عن هذا الدرس أحد من علماء الرباط، وطلبته، وسائر كتاب الحضرة الشريفة، فاسيين وغيرهم، وكنا في جملتهم أنا وأخي أبي عبد الله مَحمَّد، نتردد على هذا المجلس، معجبين به، وبما نسمعه فيه، ونلتقطه من درره، وفوائده الجمة النفيسة وغرره.

ثم شرعنا صحبة زمرة من الإخوان البررة، لا يتجاوز عددهم الأنامل العشرة، في تلقي دروسه الخاصة بروضه الذي كان ساكناً به (بسيدي فاتح برباط الفتح) فختمنا عليه ألفية ابن مالك مرتين بالموضح[397]، قراءة تفصيل، وتحصيل، وتوضيح، وما رأينا من يقرأ العربية مثله تحليلا، وتفهيماً، وتقريباً، حتى كنا نتشخص معانيها، ونستجلي قواعدها، ونتصور فاعلها، ومفعولها، ومعربها ومبنيها، وبارزها ومضمرها، ومبتدأها وخبرها، فنتذوق حلاوتها، ونستسيغها طيبة سهلة لذيذة.

(396) جعفر الناصري هو أبي أحمد خالد الناصري صاحب الاستقصا في تاريخ المغرب.

(397) يقصد كتاب توضيح ابن هشام في النحو.

وكان يكلفنا بحفظ الشواهد والشوارد، وتقييدها أثناء إملائه، ويحتم علينا في البحث عن القصائد المقتبسة منها، ورد كل فرع إلى أصله، ومعرفة قائله، وترجمته، حتى اجتمع لدينا عدة دفاتر أبية مما كان يمليه علينا رحمه الله ويقول: «احفظ تجد ما تقول، إن الكلام من الكلام».

وبهذه الطريقة، تحصل الملكة في العربية، ويستطيع الطالب أن يكتب فيها كما يريد، ويعبر كما يشاء، ويفهم كتاب الله وسنة رسوله، وكتب السلف الأول، وإنتاج حملة الأدب والشعراء الأولين النابغين صدر هذه الأمة، في القرون الأربعة الأولى.

وكان يقول أيضا :

«العربية هي أصل الأصيل، والبيان والتحصيل، لكل إنتاج وتحصيل».

وقرأنا عليه أيضا : معلقات الشعراء الست، والمعاني، والبيان، والبديع، واصطلاح الحديث، والأصول، ومختصر الشيخ خليل، وغير ذلك.

وكانت حلقات هذه الدروس مستمرة، مرتبطة، متصلة لا انفصام لها، ولا عائق يعوقها، أو يحول دون متابعتها، وإن كان غائبا عن منزله حضر في وقتها، أو التحقنا به في المحل الذي يكون فيه، لأنه كان يقول : «العلم لا ينتظر».

وإن كان عنده أضياف أو زوار، انصتوا لها، وأخذوا حظهم منها، ولابد أثناءها من إحضار ما لذ وطاب من الفواكه والحلويات، ولذيذ الشراب، كالشاي ونحوه.

وعند ختم كل كتاب، كان يقيم لنا أو نقيم له احتفالا إما بمنزله، أو بإحدى منتزهات الرباط، ويحضره بنفسه، وبعض علماء العدوتين، وأدبائها المشار إليهم بالبنان، وأعيان المخزن، وكتاب وزارته.

ويكون يوماً أغر من أيام الأفراح المشهودة، وساعات الأنس المعدودة.

وقد دامت هذه الدروس المفيدة، سنين عديدة، عامرة زاهرة، وبالفوائد والتحصيل زاخرة.

فيا لها من أيام، كانت كأنها أعراس قائمة، مستمرة دائمة، ليلها كنهارها، وعشاياها كبكورها.

أيام حفلات، واجتماعات، ومذاكرات، ومساجلات، ومناظرات، ومحاضرات، متصلة الحلقات.

في منتديات ومجالس، يستحليها ويستطيبها الجالس، وينقاد إليها النفور الشامس، وينبسط فيها المحزون العابس، ويغشاها اليائس والبائس، فتذهب أتراحه، ويعود إليه انشراحه، وتتجدد أفراحه.

تذكرنا أيام الفردوس المفقود، والظل الممدود، والحوض المورود، والترف المعهود، بقرطبة، واشبيلية، وغرناطة، آخر مقام محمود، إلى أن أصابتها القارعة في اليوم الموعود، والأجل المحدود، لشاهد ومشهود.

فحيا الله تلك الأيام، ما كان أزهاها، وأبهاها، وألذها وأحلاها، ومازال يتردد في الفكر صداها، فتنتعش النفوس من ذكراها، واستحضار منتهاها ومبتداها.

وكل ذلك، كان بوجود الشيخ وتشجيعه، وبثه في روح تلك الزهرة من الشباب المترددة على رياضه، الكارعة من حياضه، محبة العلم الصحيح، والأدب الغض النقي العربي الصريح[398].

10) شهادة الأستاذ إبراهيم بن محمد الكتاني[399] :

وردت هذه الشهادة ضمن مقالة له عنوانها «الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته».

وقد وصف فيها الشيخ في ديباجة هذه المقالة بقوله :

شيخنا المفرد العلم نادرة المغرب، تفسيراً، وحديثاً، وأصولاً، ونحوا، وفقهاً ممزوجاً بالحديث، وتصوفاً، وفلسفة، ولغة، وبلاغة.

فالشيخ أبو شعيب أعجوبة العصر في جميع الميادين.

وبعد أن ذكّر بمجالس الشيخ التفسيرية وما فيها من علوم متكاملة من تفسير، وحديث، وأصول، وفقه، ولغة، وبلاغة، صرح قائلا :

---

(398) شيخنا الوزير الشيخ أبو شعيب الدكالي.

(399) هو غير الأستاذ المتقدم محمد إبراهيم الكتاني، كان شيخاً للزاوية الكتانية بسلا.

هكذا كان الشيخ يحلل المشاكل، فيعلم العالم كيف يلقي درسه، والمنتهي كيف يفهم، والمبتدئ كيف ينصت، (واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون).

ثم عرفته محدثاً فقرأت عليه معظم كتب السنة.

قرأت عليه جل البخاري، والشيء الكثير من صحيح مسلم، وسنن الترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وأبي داوود.

فكنا سابحين معه في الأنوار المحمدية، وفي المشكاة الأحمدية، ثم كان يمزج التفسير بالحديث، والحديث بالتفسير، ويستعمل الآلات الموصلة لذلك من نحو، وقراءة، وبلاغة، وفقه، وأصول، ولغة.

فكنا نقضي الساعات الطوال في ذلك، ولا يحصل لنا شيء من التعب، والملل، لأن من كان سابحاً في الأنوار المحمدية لا يمكن أن يحصل له الملل، أو الضجر، أو التعب أو الضنك، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها).

فلقد كرس حياته كلها للتفسير والحديث[400].

وبعد أن قام بوصف كيفية دروسه الحديثية، وما فيها من فوائد، وجلب نموذجاً منها سنشير إليه في محله إن شاء الله.

أورد هذه الشهادة الناطقة بفضل الشيخ في مجال العلم، والأدب، والأخلاق الكريمة الفاضلة، والشمائل النبيلة السامية، قائلا :

فقد اجتمع في شيخنا العظيم من العلوم الغزار، ما عسر على كثير من العلماء، كما حوى من المعارف، والعوارف، والفضائل، والفواصل، ما تتضاءل دونه العقول، وتشرئب لسماع ما يلقى عليها من تلك الأنوار المقتبسة من مشكاة ذلك البحر الطام، فنجد لذتنا، وراحتنا في ذلك، وقد قال إمام الأصول ابن السبكي الشافعي رحمه الله: «واللذة حصر الشيخ والامام (يقصد والده والفخر الرازي) في المعارف».

فقد متعنا سبحانه وتعالى بهذه العطايا الإلاهية، والمواهب المحمدية، والفتوحات العرفانية من شيخنا الكبير، فجزاه الله عنا أفضل ما جزى به نبياً عن

(400) الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته، مقالة مرقونة، ص 2.

أمته، وعالماً عن طلبته، وبما أسداه لهذه الأمة المحمدية من بث العلوم، والفهوم، والحقائق، والأسرار الساطعة، والأنوار أناء الليل، وأطراف النهار، لا يشغله شاغل، ولا يصده صاد، لأنه كان شديد الحرص على أن يصل أسبابه بأسباب الذين يحبون العلم، ويمتازون فيه، كما كان لا يعرف محباً للعلم إلا سعى إليه، واتصل به، وقربه منه، وفتح له داره، وقلبه، وعقله.

كما كان وفياً شديد الوفاء لكل من عرف من الناس، محباً لهم، لا يفرق بينهم، باراً بطلاب العلم خاصة، وبكل من يحتاج إلى البر عامة.

فلم أعرف قلباً أبر بفقير، ولا نفساً أرق لذي حاجة، ولا يداً أسرع لعطاء من قلبه، ونفسه، ويده[401].

ثم عرفته نحوياً فقرأت عليه النحو بكتاب الصبان مع الأشموني، بعد صلاة الصبح بجامع سيدي فاتح قرب داره، وناهيك بهذا الشرح الفريد من نوعه فكان لا يحضر عليه إلا العلماء الكبار من العدوتين، فيضفي علينا الشيخ بما يدهشنا رغم استعدادنا لذلك استعداداً عظيماً ثم يزيد على ذلك بما ألهمه هذا العلم النحوي من عطاء واسع لأن النابغ أو المجتهد لا يعطي هذه الرتبة إلا من أكرمه الله بميزتين عظيمتين :

الأولى وهي الحفظ بمعنى أنه كل ما سمع شيئاً إلا وحفظه في الحين، كما هو مذكور في الكتب المعروفة، مسطور عند أهل هذا الشأن.

الثانية هي الذكاء في الفهم.

فإذا حصل للمجتهد أو النابغ هذا العطاء الإفضالي من ربه، كان نابغاً، وفذاً، وعبقرياً، وذا شأن عظيم في وقته.

والشيخ ممن أكرمه الله بهذين العطاءين الافضالين، بل زاد على ذلك حتى فاق الجميع.

ولا يعرف هذا إلا من أسعده الله بالجلوس بين يديه، فيعرف ما عرف الناس، ويذوق ما ذاق الناس، ويسعد بما سعد به الناس.

---

(401) المرجع السابق، ص 4 وما يليها.

ولا يزال يلقي علينا حتى يخرجنا من عالم الحس إلى عالم المعاني، فنسبح جميعاً، ثم يدخل بنا إلى بستان المعارف فنقطف من هنا ومن هناك، ثم ننظر إلى هذا فلا نقدر على مفارقته لما نجد فيه من لذة عظيمة، وفضل واسع...........

وبالجملة فهو أقنوم العلوم، وخريت الفهوم، وأعجوبة العجائب، والبحر المتدفق على الإنسانية من البحوث العلمية، والفهوم الفكرية.

فهو مجدد القرن بلامين، والفاتح لأسرارها من ظهر الغيب، زيادة على ذلك فهو خزانة العلوم، ومستمد الفيض من الفيوضات الربانية، المكسبة للعطايا الإفضالية من الأنوار المحمدية.

وكان شيخنا من قادة النهضة الحديثة، ودعاة الفكر الذين كان لهم تأثير كبير في الأوساط المغربية، كما كان من أكبر المصلحين الذين ظهروا في هذا القرن، وطبعوه بثقافتهم، وعلمهم، ودعوتهم الاصلاحية[402].

11) شهادة الشيخ الرحالي الفاروق :

وردت هذه الشهادة ضمن كلمة له بعنوان : «شيخنا وسندنا الحافظ أبو شعيب الدكالي».

جاء فيها ما يلي :

فقد كان هذا الشيخ رحمه الله علما من أعلام المغرب الشاهقة، وفذاً من الأفذاذ الذين يفتخر بهم في ميادين المعرفة، والاصلاح، وفي خدمة الكتاب والسنة، ورفع رايتهما، ونشر معانيهما، وإقامة أحكامهما، بل كان يعتبر من الرعيل الأول في المغرب الذين أخذوا على أنفسهم إحياء العقيدة السلفية، وبعث الروح الإسلامية الصحيحة في النفوس باعتماد وحي الكتاب العزيز، ووحي السنة الذي لا ينطق عن الهوى، ونبذ ما سوى ذلك من الأقوال الموهومة، والعقائد المشبوهة، والخرافات المدسوسة، التي أخرت سير المسلمين، وشوهت سمعة الإسلام، وجعلته محل انتقاد، واعتراض من لدن الأجانب الذين يتربصون به الدوائر، ويوجهون إليه التهم الملفقة، والشبه المختلفة من قريب ومن بعيد.

---

(402) المرجع السابق، ص 5 و 6.

وكان – رحمه الله – يختلف إلى المدن الكبرى، كفاس، ومراكش، وإلى غيرهما صيفاً، وشتاء، وليلا، ونهاراً، لتبليغ رسالة نشر العلم، وأداء واجب النصح للمسلمين، كما قال ﷺ : «الدين النصيحة، قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله، ولكتابه، ورسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(403).

وكان ينادي في كثير من دروسه باعتبار المعرفة الصحيحة، أساساً للحضارة الإسلامية، واعتبار العقيدة السلفية التي جاء بها الكتاب والسنة حصناً من الأمراض الوثنية.

وكان رحمه الله حرباً على البدعة لا تأخذه في ذلك لومة لائم، ويحمل حملات عنيفة ضد العقيدة المخلوطة بالشك، والشرك، ويوصي بترك الزيارة التي تفضي إلى إفساد العقيدة، وإبطال الركن الأول من أركان الإسلام(404).

كما كان رحمه الله يوحي إلى العامة بقراءة توحيد ابن أبي زيد القيرواني، وأما الخاصة الذين حصنوا أنفسهم، وبرعوا في الأصول والفروع فلهم أن يتوغلوا في كتب الفلسفة، والطبيعة، ليتمكنوا من الدفاع عن العقيدة الإسلامية ودفع خصومها الألداء.

وأما اللغة العربية، فكان له رحمه الله غيرة خاصة، رئي مرة يخطب في حفل أقيم لوداع السنة الدراسية، بحضور المندوب الفرنسي، وهو يحث الناس على التشبث باللغة العربية والمحافظة على علومها حتى لا تضيع أمام الاقبال على اللغة الأجنبية والأجانب يحدقون النظر إليه، ويشخصون الداء فيه بينما الخطباء الآخرون أثنوا على اللغة الفرنسية، ومروا مرور الكرام باللغة الوطنية وعلق الناس على ذلك بعد انتهاء الحفل، كل بما يشتهي.

وختم الشيخ الرحالي الفاروق كلمته هذه بقوله :

وبالجملة فقد كان الشيخ رحمه الله مدرسة خاصة لها منهج خاص، ولاسيما قراءة التفسير، والحديث.

---

(403) رواه الإمام مسلم والترمذي وغيرهما.

(404) أما الزيارة التي تكون للاعتبار، والترحم فمما يخرج من هذا النهى بدلالة المفهوم.

وكانت دروسه نافعة للكبير، والصغير، لما حباه الله من ظرف الشمائل، ولطف الأخلاق، وفصاحة اللسان، وسعة الصدر، وحسن الإلقاء، علاوة على ما كان يقوم به رحمه الله من وظائف عامة، وما كان يتمتع به من رعاية الملوك العلويين - قدس الله أرواحهم - في دار السلام.

فهو شيخ المشيخة، ونادي الأندية، (رحمة الله عليه)[405].

12) شهادة فيلسوف المغرب الحسن الزهراوي :

وردت هذه الشهادة ضمن كلمة عن الشيخ المؤرخة في 20 ذي القعدة عام 1388 (8 فبراير 1969)[406].

ومما جاء فيها :

لقد رزق المترجم (يقصد الشيخ) من غزارة العلم، والحفظ، وحسن الإشارة، وفصاحة اللسان، وبراعة البيان، وصحة القريحة، وقرب الافهام، ووضوح الشرح، وعذوبة المنطق، ودقة التعبير، وكرم العشرة، وحلاوة الشمائل، ما ليس لأحد ممن تقدم عنه أو تأخر، مع تواضع، وبشاشة، وحسن خلق.

لقد كان رحمه الله متبحراً في العلوم كلها جامعاً لشتاتها، حافظاً لمتونها، متضلعاً في علوم القرآن، عالماً بالقراءات، وتوجيهاتها، عارفاً بأسباب نزوله، وبناسخه، ومنسوخه، وعامّه، وخاصّه، ومطْلَقِه، ومقيّده، حقيقته، ومجازه، ووجوه بلاغته، وإعجازه.

متفوقاً في الخلاف العالي، وأسبابه، مطلعاً على مدارك أئمة المذاهب، والترجيح بينها، بصيراً بعلوم العربية، وأنواعها، عالماً بدقائق الأصلين على الطريقة المنطقية، والفرعية، إماماً في الحديث، وفقه الآثار، رواية ودراية.

---

(405) انظر هذه الكلمة ضمن كتاب شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، للدكتور محمد رياض، ص 50 وما يليها منشور المجلس العلمي لجهة مراكش تانسيفت الحوز، ط 1، عام 1424 - 2003.

(406) نشرت هذه الكلمة ضمن كتاب شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء. المرجع السابق، ص 66.
وانظر ترجمة العلامة الحسن الزهراوي إسعاف الإخوان الراغبين، ص 96، المرجع السابق.

عالماً بالرجال، وأنسابهم، ووفياتهم، وأمكنتها، وبالمؤتلف والمختلف من أسمائهم، ومكانتهم جرحاً وتعديلا، محيطاً بالمخرّجين والمتابعين، إلى غير ذلك من العلوم التي وهبه الله إياها.

وخلاصة القول فهو كما قيل :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في أحد

وقال فيه أيضاً :

وأنّى للإنسان أن يكتب حول شخص ليست علومه الجمة ناتجة عن الدرس والتحصيل فحسب، ولكنها موهبة إلاهية والله يؤتي فضله من يشاء.

13) **كلمة الأستاذ الحاج أحمد معنينو**[407] :

جاء في كتابه ذكريات ومذكرات[408] :

كان هذا الشيخ، معتكفاً على الدراسة في مختلف الفنون، وكانت مجالسه مضرب الأمثال، وكان يرحمه الله يتجول في المغرب، وكلما حل بمدينة أو قبيلة إلا ويعطي الدروس ويلقن الأمة العلم والمعرفة، وكنا نحن الطلبة من شتى جهات المغرب نجهد أنفسنا لحضور دروسه المختلفة، وأول اتصال لنا به في الدرس دراسة ألفية بن مالك بشرح الصبان وتعليق الأشموني، وكان يحضر هذا الدرس معي من سلا عدة أفراد الأديبان الشهيران عبد الرحمان حجي الشاعر الرقيق، والأديب العربي معنينو الشاعر المفلق، والشريف محمد بن مولاي الطيب العلوي والشاب محمد بوبكر اشماعو والطالب محمد الزعري بدوي يسكن بسلا، كما كان يحضرها أبناؤه الثلاث موسى، عبد العزيز، عبد الرحمان، وأحد أبناء عمومتهم من دكالة، وطالب من سوس تيزنيت سمي احماد وطالب من الرباط الشيخ محمد المكي الناصري الشهير، والطالب الشاب امحمد الرندة والأستاذ عبد الله الجيراري والأستاذ بركاش وغيرهم، وقد سهوت عن الكثير من الطلبة، وكنا في هذه الدروس اليومية الصباحية بضريح سيدي فاتح جوار منزل سكناه، وكان يلقي علينا ما

---

(407) الكاتب الوطني الشهير من مدينة سلا وهو أحد تلامذة الشيخ المعتزين به.

(408) ذكريات ومذكرات، ج 9، ص 37 وما يليها.

يدهشنا من القطع الشعرية العريقة الطويلة، بحيث سائر نصوص الشاهد لا تهتدي لنص البيت فضلا عن القصيدة التي تنقل منها.

ولكنه رحمه الله يكشف بلوانا ويستظهر القطعة الشعرية بأسرها وقائلها في الجاهلية أو الإسلام، وكان يتحدث إلينا ويقول : عندما كنت طالبا أدرس ألفية بن مالك كنت أحفظ لكل بيت من الألفية عشر شواهد من عشر قطع، أي كان يحفظ عشرة آلاف قصيدة، شعرية، وكان يجهدنا يوميا، فيشرح لنا خمسة إلى عشرة أبيات وختمناها في سنة ونصف، بينما يتحدث إلينا العلماء أن ألفية بن مالك بشرح الصبان وتعليق الأشموني درست في القرويين في 20 سنة.

أجل ! درس قبلنا تلامذة آخرون على يد هذا العالم الفذ أساس البلاغة للزمخشري، واستطعنا أن نطلب من سعادته أن يدرس معنا مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي فكان جوابه رحمه الله أنه كتب عن مختصر الشيخ خليل يشرحه بنصوص أحاديث نبوية وأنه ألف ذلك في كتاب تركه بالحجاز، وافتتح معنا مختصر الشيخ خليل بالسنة بضريح مولاي المكي عقب صلاة الصبح، فكنا نرحل من مدينة سلا قبل الصبح، ونؤدي صلاة الصبح بضريح مولاي المكي الشهير، ونمكث في الرباط طيلة النهار نتردد على الخزانة العامة للكتب وكان القيم عليها سيدي عبد الله يتحفنا بالكتب المنوعة والجرائد والمجلات النادرة، ونداوم على هذه الحالة بالحضور بالزاوية الناصرية بحومة بوقرون حيث نتلقى عليه دروس الحديث في الكتب الست الصحيحة، ثم فتح معنا تفسير القرآن، واستطعنا نحن طلاب سلا أن نرجو منه أن يمنحنا درسين في الأسبوع من التفسير، وهكذا كنا نتلقى عنه الدروس في الحديث، والتفسير، والفقه، والأدب، والمنطق، والبلاغة، والشعر والأدب، طيلة عدة أعوام.

فكانت دروسه مضرب الأمثال، يحضرها الطلبة من القرويين، وقد حضرها فعلا الأستاذ المختار السوسي الإلغي المؤرخ الشهير، والطالب الأريب سيدي أحمد والسيد أبو بكر طالب من مراكش، وعدة أفراد من كبار القوم كانوا يحضرون جميعا دروس الشيخ أبي شعيب التي كانت لا تضاهى بالمغرب.

وكان رحمه الله إلى جانب علمه الغزير ذا أخلاق سامية ونفس أبية وكرم حاتمي، وأذكر على سبيل المثال : أنني أنا عبد ربه، ذهبت يوما للدراسة بالزاوية

الناصرية، وكان بجانبي الأستاذ المجاهد إبراهيم الوزاني، وعقب انتهائي من الدروس تقدمنا للسلام عليه وتعرف على إبراهيم البطل، فاستدعانا للحضور عنده في البيت بالدار الجديدة التي بناها بالحي «ديور الجامع» وكانت الأيام شاتية، ونحن الطلاب لا مال عندنا، فذهبت والصديق الوزاني من مدينة سلا، إلى محل سكناه بالحي «ديور الجامع» ووصلنا عنده بالدار في حالة يرثى لها، المطر يبلغ إلى أعضائنا، فما كان منه رحمه الله إلا أن استحضر «مجمارين» من النار، وأخذ ثيابي وألبسني جلبابه، وأخذ ثياب صديقي الوزاني وألبسه القفطان والفرجية وبقي يلبس التشامير فقط ! وجعل مع بعض خدامه يضع ثيابنا فوق (العافية)[409] إلى أن استرجعت حالتها الطبيعية، ولبسنا ثيابنا ولبس ثيابه، ثم وضع بين أيدينا مائدة الأكل، وفيها عدة أنواع من الفواكه، وكان يقول لنا يرحمه الله، أن جل هذه الفواكه من غرس يده؛ إذ كان يرحمه الله يعتني بالزراعة والغرس...

وأخيرا لا أستطيع الكتابة على هذا الشيخ المربي العالم الخير المحدث الشهير المعتز الكبير، والإداري الماهر والوطني الشهم، والغني الكريم، كل هذه الأوصاف كانت من صفاته رحمه الله ورضي عنه...

14) شهادة الأستاذ العالم محمد بن عبد الرازق الفاسي المراكشي[410] :

جاء في كتابه[411]، الذي أرسله إلى ابن الشيخ الأستاذ عبد الرحمن الدكالي حول نبذة من ترجمة شيخه أبي شعيب الدكالي رحمه الله.

ورد في ديباجته :

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد فغير خاف أن مغربنا الأقصى يظهر فيه في كل عصر عظماء مخلصون، وعلماء عاملون يفتخر بهم العالم الإسلامي، ويستضاء بهم في سائر الأزمان.

ومن أولئك الأفذاذ المصلحين، والعلماء الخالدين، شيخنا وقدوتنا صاحب الفضيلة، الشيخ المحدث الكبير، الذي منحه الله الحلاوة في التعبير، والإصابة

(409) يقصد النار بالدارجة المغربية.

(410) انظر ترجمته اسعاف الاخوان الراغبين، ص 269.

(411) مؤرخ في 20 صفر الخير 1388هـ / 18 - 5 - 1968م.

التامة في التفكير، سيدي أبو شعيب بن عبد الرحمان بن عبد العزيز الدكالي الصديقي.

وقد امتاز - رحمه الله - بقوة الحفظ، وجودة الإدراك، وفصاحة اللسان وطلاقته.

فتراه يعبر عن المعاني الدقيقة بعبارات واضحة يفهمها الخاص والعام.

كما أن أفكاره كانت في غاية الاعتدال، والمطابقة، ليس فيها أدنى شذوذ ولا انحراف، وكيف لا وهو قد قرأ في صغره القرآن العظيم بالروايات السبع، وأتقن العلوم الأولية إتقاناً كبيراً من نحو، وتصريف، وبلاغة، ومنطق، وأدب، وفقه، وتوحيد وغير ذلك، ثم رحل إلى المشرق، فاتصل بكبار العلماء في الحديث، والتفسير، والأصول، وما إلى ذلك.

وزيادة على ما ذكر فإنه من بيت أهل الفضل، والعلم، والصلاح، مع ما منحه الله به من التواضع، والأخلاق الطيبة، ومحبة أهل العلم، والفضل، والشدة على أهل البدع والأهواء.

وقد كانت جماعة من العلماء بمراكش تجتمع في كل أسبوع منهم العبد الضعيف فاجتمعنا مرة في عرصة مولاي عبد السلام، فلما قدم الشيخ رحمه الله إلى مراكش وسأل عنا أخبر بأننا في عرصة مولاي عبد السلام، فجاء عندنا من غير إشعار، فلا تسأل عما حصل للجميع من الفرح والسرور.

وقد مرت تلك العشية في جو لا يمكن وصفه، فقد راجت في ذلك المجلس مباحث علمية، ونوادر أدبية، ونكت طريفة، وحكم بديعة، ونصائح مفيدة.

كما أنه كان كثير الاستحضار، فإذا كان يتكلم على رجل من رجال الحديث يستقصي جميع ما كان عليه ذلك الرجل فتحسبه كأنه عاش معه.

وإذا كان يتكلم على مسألة فقهية فإنه يستقصي جميع أدلتها.

وإذا كان كان يتكلم على آية أو حديث فإنه يستقصي جميع ما يتعلق بهما وجميع ما يستنبط منهما.

وكل ذلك بعبارة واضحة سهلة، لا تكلف فيها، ولا لكنة.

وإذا أبدى فكرة فلا ترى فيها شذوذاً ولا تطرفاً.

وما مات رحمه الله حتى عمت أفكاره ومعلوماته جميع الآفاق، وتتلمذ له الجميع، ورزق الجاه، والقبول عند الخاص والعام، وبث السلفية والاصلاح بثاً حقيقياً، ومن الغريب أنه حصل على ما ذكر، وعمره لم يتجاوز ستين سنة قمرية وخمسة أشهر واثني عشر يوماً أي 58 سنة شمسية وسبعة أشهر و26 يوماً.

المبحث الثاني
جهود الشيخ العلمية

تمهيد :

فضل البارئ عز وجل آدم عليه السلام بالعلم، فاكتسب بنوه هذا التفضيل من بعده بالتبعية، قال تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[412].

قال الفخر الرازي : (فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم عليه السلام إلا بأن أظهر علمه فلو كان في الامكان وجود شيء أشرف من العلم لكان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم)[413].

وشرف الله تعالى العلم، والقراءة منذ نزول أول سورة من سور القرآن الكريم في قوله عز وجل : ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾[414].

---

(412) البقرة / 30 - 32.

(413) مفاتيح الغيب، ج 1، ص 178، المطبعة البهية بمصر، دون تاريخ.

(414) العلق / 1 - 5.

ونوه كتاب الله بفضل العلماء وعلو شأنهم في قوله سبحانه : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾[415].

قال الإمام الغزالي رحمه الله : (فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه، وثنى بالملائكة، وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً، وفضلا، وجلاء، ونبلا)[416].

وقال عز وجل : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[417].

وجاء تكريم العلم وأهله في أحاديث نبوية كثيرة منها :

- قوله ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[418].

- وقوله عليه الصلاة والسلام : «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[419].

يستفاد من هذا الحديث : أن الاشتغال بالعلم بأي طريقة كانت موجب لدخول الجنة، سواء تعلق ذلك بالمجهود الجسمي، أو المعاناة الفكرية.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث :

وسلوك الطريق لالتماس العلم، يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي، وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلماء، ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه، ومدارسته، ومذاكرته، ومطالعته، وكتابته، والتفهم له، ونحو ذلك من الطرق المعنوية التي يتوصل بها إلى العلم[420].

- وقوله ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[421].

---

(415) آل عمران / 18.

(416) إحياء علوم الدين، ج 1، ص 11، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، 1358 - 1939.

(417) المجادلة / 11.

(418) رواه البخاري ومسلم.

(419) رواه الإمام مسلم وأبو داود والترمذي وآخرون.

(420) جامع العلوم والحكم، ص 299، لابن رجب في شرحه للحديث السادس والثلاثين من الأربعين النووية، مطبعة البابي الحلبي، بمصر، ط 3، عام 1382هـ - 1962م.

(421) رواه الإمام مسلم.

يدل هذا الحديث على أن أثر العلم يبقى خالداً بعد الموت، تدوم حسناته، ولا تفنى أفانينه وثمراته.

- وقوله عليه الصلاة والسلام : «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»(422).

وسئل عبد الله بن المبارك مَنِ الناس ؟ فقال العلماء، فحصر معنى الإنسانية وكمالها في العلماء.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : الدراسة صلاة.

وقال الإمام الزهري : ما عبد الله بمثل العلم.

وقال الإمام الشافعي :

ليس بعلم ما حوى القمطر ... ما العلم إلا ما وعاه الصدر

وقال بعضهم :

لا ينال العلم إلا بأربع :

- شيخ فتاح.
- وعقل رجاح.
- وكتب صحاح.
- ومداومة وإلحاح.

في ظل هذه المبادئ السامية، والفضائل العالية، كانت عين شيخ الإسلام ترنو إلى نيل المعالي العلمية، ونفع البشرية، بهمة لا تعرف الكسل ولا التواني، مما أكسبه صفة المشاركة في كل العلوم الإسلامية، فضلا عن أريحيته النفسية من أجل الإصلاح وقيامه بذلك من بعد، والتمسك ببلاده وبروح الوطنية.

وإذا كان بعض العلماء المصلحين، يقتصرون على التوعية، والتنبيه، والتحذير، انطلاقاً من مبادئ مسلمة، ونصوص متبعة، ومن مصادر دينية معلومة.

---

(422) رواه أبو داود والترمذي.

فإن شيخ الإسلام أبا شعيب الدكالي الشيخ العالم المصلح - رحمه الله - كانت له المساهمة في كل العلوم الإسلامية، والمشاركة الفعالة فيها وزيادة.

يقول الأستاذ عبد الله كَنون - تلميذ الشيخ المباشر - وهو يقابل بين علم وعمل الشيخ أبي شعيب الدكالي وبين الشيخ محمد عبده : أما إن قلت إن محمداً عبده كان كاتباً مجيداً، وخلف في عالم التأليف آثاراً مهمة لازالت مما تزين به الخزائن، وتعد من أنفس الدخائر، فإننا نقول إن أبا شعيب كان بحراً في علمه لا ينتهي إلى ساحل - وإن كان لكل بحر ساحل -.

وقد علم أبو شعيب فنوناً لم يكن لمحمد عبده فيها حظ ولا نصيب، فهذه في مقابلة كتابته وإنشائه.

وأما الكتب فليس بلازم أن يكون للعالم كتب، وأن يخلف آثاراً إذا قام بمهمة التعليم، والبلاغ، ولم يترك واجب النصح، والإرشاد، فشيخ الحكماء، وأبو الفلاسفة سقراط العظيم، لم يؤلف ولا كتابا واحداً، إلا أن تلاميذه، وتلاميذهم من أفلاطون، وأرسطو وغيرهما فيهم الكفاية.

وكذلك نحن ألسنا كلنا كتباً، وآثاراً لفقيدنا العظيم[423].

فكل ما نخطه بأيدينا ونرقمه في صحائفنا، إنما هو نفحة من نفحات أشياخنا، ونفثة من نفثات صدورهم رحمة الله عليهم[424].

وكان شيخ الإسلام أبو شعيب على اطلاع واسع بتفسير القرآن، وعلومه، وعلم القرآن، والحديث حيث درس الكتب الستة المشهورة وهي : صحيح الإمام البخاري، وصحيح الأمام مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وكتاب الموطأ، ومسند الإمام أحمد الذي لم يدرسه إلا أقل من القليل من المغاربة[425]، والسيرة النبوية، كما قام الشيخ بتدريس مصطلح الحديث، والفقه بمذاهبه الإسلامية، وخلافاتها، وأدلتها مما يطلق عليه الخلاف العالي، مع الاهتمام بالمذهب المالكي ومؤلفاته، واللغة وقواعد النحو، والبلاغة، وبعض كتب

---

(423) يقصد الشيخ أبا شعيب الدكالي.

(424) التعاشيب، ص 89 وما يليها، المرجع السابق.

(425) منهم العالم المحدث سيدي محمد بن جعفر الكتاني المتوفى رحمه الله عام 1345هـ.

الأدب المعتمدة، كالمعلقات السبع، والكامل للمبرد، والأمالي لأبي علي القالي، ومقامات الحريري الخ....

وسنتناول هذه العلوم التي درسها الشيخ، والكتب المتعلقة بتلك العلوم مما درسه، والأماكن التي كان يلقي بها دروسه، ولاسيما في المغرب ذاكرين كل ذلك في خط واحد حتى تكتمل الصورة العلمية لشيخ الإسلام في هذا المجال.

أما تدريسه في المشرق، فقد ألمحنا إليه في محله من حياته العامة.

العلوم التي درسها الشيخ أبو شعيب الدكالي بالمغرب :

نبدأ بأشرف هذه العلوم وأعلاها، وأكرمها وأقدسها وأسماها، مما له اتصال بكتاب الله العزيز، ألا هو تفسير القرآن العظيم من شيخ الإسلام.

أولا - تدريس الشيخ لتفسير القرآن الكريم :

عرف بدر الدين الزركشي التفسير : أنه علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.

وعرفه بعضهم بأنه علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية[426].

وهو من أهم العلوم الإسلامية لشرف التعلق بكتاب الله المجيد.

جاء في الأزهار الطيبة النشر :

فصناعة التفسير قد حازت الشرف من جهات ثلاث : من جهة الموضوع، ومن جهة الغرض والفائدة، ومن جهة شدة الحاجة إليه.

- أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة، ومعدن كل فضيلة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم كما في الحديث.

(426) انظر باقي التعاريف التفسير والمفسّرون، ج 1، ص 14 للشيخ محمد حسين الذهبي، ط 1، عام 1381 - 1961، مطبعة السعادة بمصر، وانظر كشف الظنون، ج 1، ص 427، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.

- وأما من جهة الغرض والفائدة، فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

- وأما من جهة شدة الحاجة، فلأن كل كمال ديني ودنيوي عاجلي وآجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله[427].

ونظراً لهذه المكانة والفضيلة لهذا العلم الرباني، قام شيخ الإسلام بنشره وبثه في الآفاق.

وأحيا تفسير كتاب الله بعد أن كان لا يتناوله أحد بدعوى «أن تفسير القرآن يؤدي إلى موت السلطان»[428]، وهي بدعة روجها بعض العلماء الجامدين آنذاك، وسار على نهجها أتباعهم من الجاهلين.

يقول العلامة عبد الله الجراري رحمه الله :

إن تفسير الكتاب الكريم كان من المحظور لدينا مزاولته إذ احتفت به مقالات، وخرافات كانت تحول بين المثقفين ودراسته لحد جعلهم يتشاءمون من تفسيره قائلين : إن ذلك مما يسبب موت رئيس الدولة وسلطانها، مهازل، وحماقات لا يبعد أن تكون نزعة استعمارية ترمي في طياتها المشؤومة إبعاد الإنسان المسلم عن كتابه المقدس، وهيهات هيهات[429].

---

(427) الأزهار الطيبة النشر، للشيخ محمد الطالب بن حمدون بن الحاج، ص 133، طبعة حجرية عام 1317هـ.

(428) وقد رد شيخ الإسلام هذه الدعوى بقوله : «إن تفسير القرآن يؤدي إلى حياة السلطان، وإلى موت الشيطان».

ودعوى أن «تفسير القرآن يؤدي إلى موت السلطان»، سبقتها دعوى أخرى عند الأقدمين وهي أن الكلام في القرآن «خطؤه كفر، وصوابه خطأ»، ومعنى ذلك لا سبيل إلى فهم القرآن وتدبره، حيث سدوا الباب في ذلك، انظر السبب في ذلك كتاب أليس الصبح بقريب، ص 186، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1967.

وذكر عالم سوس وأديبها محمد المختار السوسي رحمه الله قائلا : ثم لما حططت ركابي (بمراكش) و(فاس) صرت أسمع أن قراءة التفسير ما أحياها إلا الأستاذ الكبير أبو شعيب الدكالي،

انظر مدارس سوس العتيقة، ص 71، للأستاذ محمد المختار السوسي، ط 1، عام (1407هـ - 1987م) بمؤسسة التغليف والطباعة، طنجة، نشر الأستاذ عبد الوافي رضى الله المختار السوسي.

(429) من أعلام الفكر المعاصر، ج 1، ص 234 وما يليها، ط 1، مطبعة الأمنية، بالرباط، عام 1391هـ - 1971م.

وهكذا سار الشيخ أبو شعيب الدكالي رافعاً راية تفسير كتاب الله خفاقة في الأجواء.

وسنتابع مسيرة شيخ الإسلام التفسيرية فيما يلي :

أ - تدريس الشيخ للتفسير بمدينة الرباط :

يذكر العالم المؤرخ عبد الله الجراري - رحمه الله - بعد أن حكى ما كان عليه الأمر من ظاهرة منع التفسير آنذاك، قائلا :

أجل بقيت تلك الأفكار البالية معششة في مجموعة من الأدمغة إلى أن حل بين ظهرانينا المحدث السلفي أبو شعيب الدكالي وهو في مجموعة المثقفين، الذي كسر تلك القيود الوهمية، وحال بيننا وبين سدودها الواهية.

فدرس تفسير الكتاب العزيز بتفسير الجلالين، ثم أعاده مرة أخرى بتفسير العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي الحنفي المتوفى عام 701هـ - 1301م[430].

وكانت دروس الشيخ في التفسير تلقى بالزاوية الناصرية بالرباط[431]، وكان يحضرها من التلاميذ الذين أصبحوا من بعد، في العلم شيوخاً وهم على سبيل المثال لا الحصر :

- أبو بكر بن الطاهر زنيبر السلوي (المتوفى عام 1376هـ)[432].
- محمد بن إبراهيم الكتاني (ت عام 1411هـ)[433].

---

(430) من أعلام الفكر المعاصر، ج 1، ص 235، المرجع السابق.

كان الشيخ رحمه الله يسلك مع طلبة العلم سنة التدرج في التلقين والتعليم فقد بدأ في تدريس التفسير (بالجلالين) وهو كتاب للمبتدئين، ثم ثنى بكتاب (النسفي) وهو كتاب وسط، ثم للطبقة الثالثة كان يدرسها كتاب (التفسير من صحيح الإمام البخاري) مستعرضاً الأدلة وما أثر عن النبي ﷺ، وأقوال العلماء من الصحابة وغيرهم.

(431) توجد الزاوية الناصرية بشارع بوقرون بالمدينة القديمة بالرباط.

(432) انظر ترجمته من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 266، وإسعاف الإخوان الراغبين، ص 15، لمحمد بن الفاطمي السلمي، ط 1، عام 1412 - 1992، مطبعة النجاح الجديدة.

وقد حصلت الإشارة إلى تلقي أبي بكر زنيبر للتفسير عن الشيخ في ص 16 من كتاب السلمي.

(433) ترجمته في إسعاف الإخوان الراغبين، وفي الصفحة 136 أنه تلقى عن الشيخ تفسير النسفي في الزاوية الناصرية برباط الفتح.

- محمد المختار السوسي (ت عام 1383هـ)[434].

- عبد الحفيظ الفاسي الرباطي (ت عام 1383هـ)[435].

- عبد الواحد بن عبد الله الرباطي (ت عام 1411هـ)[436].

- أحمد بن محمد الزبدي الرباطي (ت عام 1382هـ).

- محمد المدني بن الحسني الرباطي (ت عام 1378هـ)[437].

- إبراهيم بن محمد الكتاني السلاوي (ت عام 1401هـ)[438].

- عبد الله الجراري الرباطي (ت عام 1403هـ)[439].

- محمد عبد السلام السائح الرباطي (ت عام 1367هـ)[440].

---

(434) انظر الإسعاف، ص 286، ومحمد المختار السوسي، دراسة لشخصيته وشعره، ص 130 لمحمد خليل، ط 1، عام 1406 - 1985، مؤسسة بنشرة، الدارالبيضاء، ومن أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 197 وما يليها.

(435) جاء في معجم الشيوخ له، ج 2، ص 143 وما يليها عند ترجمة الشيخ قوله : ولما استوطنا مدينة الرباط سمعت عليه بعض البخاري، ومسلم، ومسند الإمام أحمد، والشفا والتفسيروغير ذلك...

(436) انظر إسعاف الإخوان، ص 444، حيث صرح بأخذه عن الشيخ دروساً في التفسير وغيره من العلوم.

(437) جاء في كتاب من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 202، عند ترجمته أن محمداً المدني بن الحسني رحمه الله كان يحضر دروس أبي شعيب الدكالي في الحديث والتفسير طوال مدة تنيف على العشرين سنة وطبيعي أن حضوره بهذه الدروس أضفى على معلوماته الوافية حلة قشيبة زادت في إذكاء نبوغه، وقوة إطلاعه، ومتانة معارفه.

وانظر ترجمته ضمن شخصيات مغربية لعبد الله الجراري رحمه الله.

(438) شيخ الطريقة الكتانية بسلا، الوطني المجاهد الداعية، وهو تلميذ الشيخ مع أخويه المهدي والباقر، وقد ذكر تلقيه التفسير عن الشيخ فيما كتبه تحت عنوان : «الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته»، مقال مؤرخ 28 جمادى الثانية عام 1388.

وانظر من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر، ص 200، هامش لعبد الرحمن الكتاني.

(439) تلقى الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله عن الشيخ علوماً كثيرة سنشير إليها في محلها ومنها التفسير، انظر مقدمة أعلام الفكر المعاصر، ص 236.

(440) جاء في كتابه لمحة بصر على البلاد المقدسة، ص 70، تحقيق د. محمد قرقزان : وقد هيأت للشيخ الأقدار درس كتب جليلة قل أن يدرسها غيره في هذا العصر، كالكتب الستة، والشفا، وتفسير ذي الجلالين، والنسفي، وحرر الأماني للشاطبي، ومختصر خليل، وتلخيص المفتاح، وأساس البلاغة، وأمالي القالي، وألفية ابن مالك بالأشموني وغيرها.

ثم قال : ولازمته سنين عديدة تلقيت عليه فيها علوما جمة، بل بحاراً زاخرة من علوم الحديث والتفسير وغيرها.

- الغازي بن محمد سباطة الرباطي (ت عام 1356هـ)[441].

- المكي بن أحمد بربيش الرباطي (ت عام 1373هـ)[442].

- المكي امبيركو الدكالي الرباطي (ت عام 1355هـ)[443].

وغيرهم كثير[444].

كلمة الشيخ إبراهيم الكتاني السلاوي عن تفسير الشيخ للقرآن :

قال رحمه الله في الشيخ :

عرفته مفسراً فقرأت عليه معظم التفسير بكتاب محمود النسفي مع الخازن في الزاوية الناصرية بين العشائين.

فكان يحضر عليه معظم العلماء، وجل الكبراء، وأكثر المحبين في العلم.

وكان إذا جلس في المنصة يغشاه نور محمدي، فيستفيض منه ويفيض على الحاضرين من تلك الفيوضات المستمدة من العنصر الفياض المتدفق من الأنوار المحمدية.

فتحصل في المجلس قداسة رحمانية، وبركات محمدية بما يلقي فيه، فما شئت من تفسير، وحديث، وأصول، وفقه، ونحو، وبلاغة، وفلسفة، ولغة.

فالشيخ بحر يغرف من بحر، ويمد الجميع بما ألهمه الله ووفقه إليه من تلك العلوم التي قل أن تجتمع لعالم مثله.

---

(441) جاء في كتاب من أعلام الفكر المعاصر للأستاذ عبد الله الجراري، ج 2، ص 376 : كما تلمذ للشيخ أبي شعيب الدكالي مدة طويلة سرد عليه الكتب الستة، وسواها كالشفا والتفسير.

(442) جاء في كتاب من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر عند ذكر الأستاذ المكي بربيش أنه أخذ العلم على الشيخ أبي شعيب الدكالي حضر عليه في الألفية بالأشموني، وفي دروسه الحديثية والتفسيرية، وحضر عليه في الشاطبية، وكان هو القارئ عليه فيها (أي السارد)، وانظر من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 463.

(443) جاء في أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 398 أن الأستاذ المكي امبيركو قرأ على الحافظ السلفي أبي شعيب الدكالي الكتب الستة، والتفسير آلخ.....

(444) هناك تلاميذ آخرون، وانما اكتفينا بالمثال والا ضاق عن ذكرهم الحال.

ومع طلاقة في اللسان، وحسن التعبير، وبلاغة في القول، زيادة على ذلك كان الشيخ مشرق الأسلوب، سلس التعبير، رائع البيان، دقيق الملاحظة، بارع التوضيح، صادق اللهجة. عذب الحديث، جم الأدب، موفور التواضع، لا يتجاوز القصد في قول أو عمل، مع قبول في الكلام لأن الكلام إذا خرج من القلب دخل إلى القلب، وإذا خرج من اللسان وصل إلى السمع.

تكاد من عذوبة الألفاظ — تشربه مسامع الحفاظ

فلذلك كان علمه نافعاً لكل العباد، وموقوراً في القلوب، فتجد الكل يتسابق على الدرس في جميع الأوقات لما يجدون فيه من العلم الواسع، والاطلاع الكامل في جميع العلوم، وللهيمنة المستولية على النفوس، فلا تجد مَلَلاً ولا تعباً ولا أي عنت من طول الدرس.

حلف الزمان ليأتين بمثله — حنثت يمينك يا زمان فكفر[445]

وصف الشاعر محمد الجزولي لتفسير الشيخ بمدينة الرباط :

جاء في ديوانه الشعري «ذكريات من ربيع الحياة» قائلا :

ولما ختم الشيخ رحمه الله التفسير في صلب دراسة البخاري هنأته على ذلك الختم بقصيدة تغزلت في أولها بمدينة الرباط بلدي الحبيب، وبشارع علوه[446]، الذي كان إذذاك مهوى الأفئدة، ومطمح الأنفس، ومحط الأنظار، ومجال الذاهبين، والآيبين عندما تميل الشمس للغروب، إذ لم يكن إذذاك بالرباط شارع يماثله طولا، وعرضاً، وغرساً، وتشجيراً، وأناقة.

جاء في ديباجة هذه القصيدة العصماء :

رباط الفتح مأوى الفاتحينا — بكعبته يطوف الناس حينا

هو البلد الأمين ومن بناه — عظيم من ملوك المسلمينا

إلى المنصور نسبته وأعظم — به نسباً يزكي الناسبينا

الخ...

(445) ضمن مقاله بعنوان «الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته».

(446) هو شارع لعلو الآن بالرباط.

ثم تطرق إلى ذكر شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي بقوله :

ونور العلم ينشره لدينا | إمام ذوي المعارف أجمعينا
عماد الدين بحر العلم قطب الـ | ـحديث منار هدى المهتدينا
جليل القدر ليس له مثيل | يجاريه ولو قطع الوتينا
ترعرع في فضاء العلم غصنا | وأثمر طلعه دنيا ودينا
دؤوب بدأ مثل من تعاطى | وفض مشاكلا أعيت ذوينا
فلا والله قبله ما رأينا | ولا والله بعده ما لقينا

وأورد ضمن قصيدته هذه وصفاً لدرس التفسير الذي كان الشيخ يحلق في أجوائه الطيبة النيرة بقوله :

يا لِلَّهِ منه حين يملي | شروح كتاب رب العالمينا
بتفسير يكاد يكون وحياً | لعمرك من كرام كاتبينا
يفسر جله آيا بآي | ويظهر بالحديث الصعب لينا
ويوضح مشكلات الآي حتى | تهم بلمسها حينا فحينا
يرى التفويض إلا لاضطرار | يرى التأويل خوف الحائرينا
ويوكل ما تشابه منه مما | يجل على عقول الراسخينا
ولِوقفُنا على المقصود منه | وأن به صلاح العالمينا
وأن السر في التشريع هدى | يساس به عقول القاصرينا
وأنه في القصاص لنا حياة | وأن النار عقبى المجرمينا
وأن البغي مصرعه وخيم | وأن الظلم يخلى الدور حينا
وأن المرء مجزي بفعل | وأن بما يدين الناس دينا
وأن الرزق مقرون بسعي | وأحلى الخبز ما أندى الجبينا
وأن ذوي البطالة هم كسالى | وأخزى الناس من أكدى وشينا
وأن الدين عند الله قول | وفعل لا كرقص الراقصينا
ولا نهش اللحوم ولا بشدخ الر | ؤوس ولا بشرب الماسخينا
وأن الذكر ليس بقرع طبل | ومزمار علا دقناً لعينا
وأن الدين من هذا براء | وأن الله يخزي المدعينا
متى يبري الإلاه الدين منهم | ويشفي صدور قوم مؤمنينا

لبسنا الدين مقلوباً لبطن   وصيرنا الأعالي سافلينا

إلى أن قال في نفس السياق :

بذاك وذا وأمثاله أتانا   يفسر قول ربك من سنينا
بلفظ كالدراري واللئالي   نثيراً يزدري العقد الثمينا
رياضاً كم هصرت بها غصوناً   وكم غصنا قطفت به فنونا
رتعنا في خمائلها ومنها   تفيأنا ظلالا آمنينا
وكنا حيثما سرنا لقينا   وجوهاً كالبدور علت غصونا
وسرنا نقطع الآيات فهما   وينعشنا النسيم إذا عيينا
وأدلجنا السرى حتى رأينا   بشائر فجر ختمته تلينا
لك البشرى فؤادي إن يومي   يساوي ما مضى مني مئينا
رشفت رضاب ذاك الختم رشفاً   ومن فرح أسلت الدمع سينا
هنيئاً للرباط وساكنيه   لقد فزتم به فوزاً مبينا[447]

كلمة الشيخ مولاي أحمد العدلوني[448] في الموضوع :

جاء في ترجمته لشيخ الإسلام :

وبقي الشيخ في منزلة سامية عند السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى أن تنازل عن الملك لأخيه المولى يوسف إبان الحماية الفرنسية على المغرب التي وجدت شيخنا في درجة مستشار للملك، ثم وزيراً للمولى يوسف للعدل وغيره.

وفي كل هذه الحالات، كان الشيخ الجليل لا يفوته أن يلقي دروساً يومياً في كل ما طلبه منه طلبة العلم، فتجده في الصبح يقرأ خليل المالكية، والعاصمية، وفي الزوال : اللغة، والنحو، والأدب، وعلم القراءات بالشاطبية، وفي كل ليلة إما التفسير أو الحديث، وقد استمر على هذا المنوال إلى آخر سنة، 1346هـ، حيث قدمنا عليه بالعاصمة رباط الفتح التي استقر بها نهائياً وذلك بحي لعلو بسيدي فاتح.

وقد أدركنا بعض نشاطه في دروسه المختلفة النهارية، والليلية، وكان قلما يراجع الدروس إذ كثيراً ما يكون بالبادية، ومنها إلى الدرس مباشرة.

(447) ذكريات من ربيع الحياة، ص 31 وما يليها.
(448) من علماء مراكش ومن تلامذة الشيخ.

وكان رحمه الله إذا أبصر علماء غرباء حضروا درسه كان يحلق ما شاء في سماء الاستحضار والتدقيق، وتراه والعبارات تتبادر إلى فيه، ويفور فوراناً في فصاحة وبلاغة نادرة، ويستولي بذلك على لب العلماء الحاضرين.

ولا أنسى أبداً درساً من دروس التفسير في قوله تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الآية﴾[449]، فرأيت في تلك الليلة استغراب جميع العلماء الحاضرين مما كان يقرر به الآية، وعند رجوعي من الدرس حكيت بعض ما رأيت وسمعت إلى والدي (يقصد عليا بن محمد العدلوني) فقال لي : ذلك فتح إلاهي لا دخل للتكسب فيه[450].

ب - تدريس الشيخ للتفسير بمدينة فاس :

تردد الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله على مدينة فاس كثيراً، ولاسيما بعد استقراره بمدينة الرباط أيام المولى يوسف طيب الله ثراه.

وكان أول لقاء له بمدينة فاس العريقة في المجد، والعلم، والعرفان في رحاب جامع القرويين العامر، وذلك قبل عهد الحماية وبعده بقليل، أيام السلطان مولاي عبد الحفيظ، وفي رحاب القصر الملكي أيضاً حيث كان الشيخ ممن يحضر الدروس التي يعقدها السلطان المذكور رحمه الله.

وحظي جامع القرويين بكثرة ما كان يلقيه شيخ الإسلام به من دروس.

بالإضافة إلى مساجد أخرى بمدينة فاس درس بها الشيخ علوماً مختلفة ذكرها الأستاذ الحاج أحمد بن شقرون[451]، منها :

- جامع القلعة الكائن بأعلى عقبة ابن صوال.
- ضريح سيدي أحمد الشاوي.
- الضريح الإدريسي.

---

(449) المائدة / 29.

(450) انظر ترجمته الخاصة للشيخ مرقونة على الآلة الكاتبة.

(451) انظر مقالته بعنوان «الإمام أبو شعيب الدكالي ودروسه في فاس» وكان قد بعث بها إلى ابنه البار الأستاذ عبد الرحمان الدكالي، المقالة مؤرخة في صفر عام 1388 موافق ماي عام 1968.

وكان يحضر دروس الشيخ في التفسير بفاس تلاميذ كثيرون لا يحصون، كما كان يحضر هذه الدروس علماء شيوخ كبار قصدهم المعرفة والاستطلاع كأمثال مولاي المهدي الوزاني صاحب النوازل، وسيدي أحمد بن الخياط[452]، ومن هؤلاء العلماء التلاميذ الذين تلقوا علوم التفسير بفاس، وهم على سبيل المثال :

- سيدي محمد بن العربي العلوي[453].
- محمد بن محمد الحجوجي الدمناتي التجاني طريقة[454].
- محمد العبادي القاضي[455].
- محمد المرير التطواني[456].
- أحمد بن عبد النبي السلاوي[457].

---

(452) أشار إلى ذلك العلامة محمد المختار السوسي لترجمة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، ص 1.
وأن سيدي أحمد بن الخياط على كبر سنه، وشيخ الجماعة بفاس لما حضر درس الشيخ وسمع تلك العلوم المنسابة من صدر وفم الشيخ قال قولته المشهورة : ياليتني فيها جَذَعا، كان ابن الخياط يقدر الشيخ، ويحبه حتى طلب منه أن يجيزه على صغر سن الشيخ آنذاك كما كان الشيخ يجله ويقر بفضله وعلمه، ويزوره في بيته، وهكذا تكون محبة أهل العلم لبعضهم، كما كان يفعل الإمام الشافعي مع الإمام أحمد حتى قال في ذلك :

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت : الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

(453) درس على الشيخ في رحاب جامع القرويين تفسير النسفي، وصحيح البخاري، والموطأ، وجامع الترمذي، ومقامات الحريري، ونخبة ابن حجر في الاصطلاح. انظر اتحاف ذوي العلم والرسوخ، ص 211 لمحمد بن الفاطمي السلمي، دار الطباعة الحديثة بالدارالبيضاء، 1398 - 1978.
وقال الأستاذ عبد السلام بن سودة في سل النصال ضمن موسوعة أعلام المغرب، تنسيق محمد حجي، ج 9، ص 3384، عند ترجمة محمد بن العربي العلوي.
وأخذ العلم عن الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو الذي وجهه التوجيه السلفي.

(454) جاء في فهرسته «نيل المراد في معرفة رجال الاسناد» عند ذكر الشيخ شعيب :
ولما أتى لهذه الحضرة الادريسية الفاسية سنة 1327هـ افتتح قراءة التفسير بتفسير الخطيب الشربيني بجامع القرويين وكان افتتاحه يوم الأربعاء 6 من رمضان من السنة المذكورة.

(455) جاء في إسعاف الإخوان الراغبين، ص 232 أن الأستاذ محمداً العبادي أخذ عن الشيخ صحيح الإمام الترمذي بتمامه، وتفسير الخطيب الشربيني وذلك بضريح سيدي أحمد الشاوي بفاس.

(456) ورد في المرجع السابق، ص 216 أن الأستاذ محمداً المرير تلقى دروساً على الشيخ من تفسير الخطيب الشربيني وغيره، وذلك بجامع القرويين.

(457) جاء في المرجع السابق، ص 23 أن الأستاذ أحمد بن عبد النبي درس عن الشيخ التفسير في شهر رمضان والشمائل للترمذي بضريح سيدي أحمد الشاوي بفاس.

- عبد الرحمان الشفشاوني[458].

- محمد أفيلال التطواني[459].

وغيرهم كثير.

ويذكر الدكتور عبد الهادي التازي عن تدريس الشيخ للتفسير بفاس بقوله:

وقد عمد بادئ بدء إلى تدريس التفسير الذي كان يشاع «أن قراءته تنذر بموت السلطان» وأن «الخوض» في القرآن مما لا يناسب، أفكار كانت تهدف إلى إبعاد الناس عن أصول القرآن، وموارده الأولى، حتى يسهل تضييعهم في المعارج والمنعطفات.

وقد استعان الشيخ شعيب بنفوذه في البلاط الملكي، ففسر، ودرس القرآن، وحمل بعض العلماء على «الخوض» في بحور القرآن.

وكتب إليه أحدهم ساخراً : «يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول، وإنا لنراك فينا ضعيفاً، ولولا رهطك لرجمناك. وما أنت علينا بعزيز»[460].

ولكن شعيباً كان ماضياً في طريقه، يدعو بالتي هي أحسن، وهكذا استطاع خلال الثلاث سنوات التي قضاها بفاس أن يكون (مدرسة) لأفكاره....

ونشأت (حركة) في جامعة القرويين تدعو للقيام على البدع التي كانت تزري بسمعة البلاد، وتدعو إلى المطالبة بوضع نظام إصلاحي للتعليم بالقرويين[461].

فضلا عما كان يلقاه الشيخ من تشجيع من السلطان المولى عبد الحفيظ العالم الأديب، الذي قربه إليه بعد عودته من المشرق، ليفيد رحاب جامع القريين من روح السلفية.

---

(458) ذكر صاحب المرجع السابق، ص 376 أنه تلقى عن الشيخ دروساً في التفسير بالخطيب الشربيني بفاس.

(459) درس على الشيخ التفسير والحديث اسعاف الإخوان، ص 170، المرجع السابق.

(460) الآية 91 من سورة هود، فأجابهم الشيخ شعيب بتتمة الآية وفيها ما يدل على إفحامهم، وهي قوله تعالى : ﴿قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً، إن ربي بما تعملون محيط، ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب، وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ 92 - 93 سورة هود.

(461) جامع القرويين، ج 3، ص 735، للدكتور عبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، ط 1، عام 1972، بيروت.

فقد كان أبو شعيب يوجد بالأزهر لما كان الأستاذ محمد عبده يلقي دروسه في التفسير، وكان يطالع مجلة المنار التي أنشأها الشيخ محمد رشيد رضا[462].

زيادة على ما استفاده الشيخ من علوم ولقاءات شيوخ العلم والأدب فوق أرض الحجاز المباركة.

وقد بلغ من تقدير السلطان مولاي عبد الحفيظ للشيخ أبي شعيب الدكالي، أن ختم له الشيخ تفسير الإمام ابن عطية بقصره بالبطحاء بفاس[463].

ثم ما لقيه من تكريم، وحفاوة، وتشجيع من السلطان المولى يوسف رحمه الله، وما حفزه على نشر العلوم وبثها في الآفاق على أوسع نطاق.

ج - تدريس الشيخ للتفسير بمدينة مراكش :

يرجع اتصال الشيخ شعيب بمدينة مراكش منذ أمد بعيد، إذ يبتدئ هذا الاتصال منذ صغره حين مثل بين يدي السلطان مولاي الحسن الأول رحمه الله، بمدينة مراكش من أجل الاختبار كما سبق بيانه في حياته العامة.

ثم كان للشيخ أكبر الوشائج بمدينة مراكش حين ولاه المولى عبد الحفيظ منصب القضاء بها، بعد عودة الشيخ من المشرق.

وفي هذه الآونة كان يقوم بالتدريس في رحاب مدينة مراكش الزاهرة، بل وقبلها حين كان يزور بلده المغرب راجعاً من المشرق في فترات متكررة.

ويرجع تدريس شيخ الإسلام بمدينة مراكش إلى عام 1321هـ في إحدى زياراته الميمونة آخر عهد المولى عبد العزيز، وكان المولى عبد الحفيظ آنذاك خليفة لأخيه بمراكش[464].

وتواصل تدريس الشيخ بهذه المدينة لما تولى وزارة العدل في عهد السلطان المولى يوسف رحمه الله، حيث لم تنقطع هذه الصلات بين شيخ الإسلام أبي شعيب

---

(462) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(463) «الإمام أبو شعيب الدكالي ودروسه في فاس» للعميد الحاج أحمد بن شقرون، ص 2.

(464) انظر شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، للمؤلف د. محمد رياض، نشر المجلس العلمي لجهة مراكش تانسيفت، الحوز، ضمن سلسلة التوعية، عدد 4، ط 1، عام 1424 - 2003.

الدكالي وبين مدينة مراكش الفيحاء، وبين مساجدها العامرة (مسجد المواسين، وجامع ابن يوسف، ومسجد الكتبية الخ...).

وإذا كان المنقول من تدريسه بمدينة مراكش منصباً على الحديث وعلومه، والفقه، واللغة، فإنه نظراً لطول المدة التي قضاها بهذه المدينة، وتردده عليها، فإنه كان دون شك يقوم بدروس تفسيرية[465].

بالإضافة إلى الدروس الحديثية والفقهية التي سنشير إليها في محلها إن شاء الله.

وفي ختام الكلام عن تدريس الشيخ للتفسير نورد منهجية تناوله للتفسير، ونموذجاً لاجازته في التفسير لأحد تلاميذته.

- وصف الأستاذ عبد الرحمن الدكالي لطريقة التفسيرعند الشيخ :

قال رحمه الله :

منهجية أبي شعيب في تفسير القرآن الكريم، فقد كانت تسرد عليه الآيات القرآنية فيتكلم قبل كل شيء عن أسباب نزول الآية، ويقرر المعنى اللغوي لمفردات الآية، ويؤثر أن يفسر كلام الله جل جلاله بكلام رسول الله ﷺ، فيأتي بالأحاديث النبوية التي لها علاقة بمعاني القرآن، ويفيض فيها ويقول حينما تعجبه، ويطرب لها : (زُبْدٌ بِعَسَل)، ثم يتكلم عن القراءات، ويعلل كل قراءة بما تدل عليه، فإن كانت الآية في الأحكام فإنه يفيض في شروح المذاهب الأربعة، ومذهب داوود الظاهري، ومذهب الأوزاعي.

ويرجح بين مذهب وآخر بما لديه من اطلاع واسع على أصول المذاهب.

ويتعرض في تقريره إلى ما في الآية من بلاغة، وبيان، ومحسنات بديعية.

ثم إنه يتكلم عن الناسخ والمنسوخ، ثم إنه في دروس التفسير يربط بين سابق القرآن ولاحقه، ويحاول ما أمكنه أن تكون المعاني متراصة في كتاب الله تعالى، هذا الشيء قليل عن منهجيته في دراسة القرآن الكريم[466].

---

(465) انظر الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور إبراهيم الوافي، ص 263، ط 1، 1420 - 1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء.

(466) ترجمة الأستاذ الأديب عبد الرحمن الدكالي لوالده الشيخ شعيب المكتوبة بخطه والمرقونة على الآلة الكاتبة.

إجازة للشيخ في التفسير:

وردت هذه الإجازة في فهرس (نيل المراد في معرفة رجال الإسناد) للشيخ محمد الحجوجي الدمناتي التجاني طريقة عند ترجمته لشيخه أبي شعيب الدكالي.

قال رحمه الله :

وسندنا إلى الخطيب (يقصد المفسر الخطيب الشربيني) من طريق الشيخ شعيب حفظه الله وهو عن العلامة سيدي أحمد الرفاعي قراءة منه عليه من أوله إلى سورة الجمعة، والباقي إجازة، وهو عن شيخه منة الله وهو عن شيخه العلامة مفتي الديار المصرية أبي عبد الله سيدي محمد (فتحا) ابن محمد بن أحمد بن عبد القادر الشهير بالأمير، المتوفى في شوال سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف (1232)، ومولده كان سنة أربع وخمسين ومائة وألف (1154)، وهو عن شيخه أبي الحسن سيدي علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي، وهو عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن الشيخ حسن الجهمي عن صفي الدين القشاشي عن الشيخ أحمد الشناوي عن الشيخ أحمد الخطيب عن الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب الشافعي المتوفى سنة سبع وسبعين وتسعمائة (977).

ثانيا - تدريس الشيخ لعلم القراءات القرآنية :

المقصود بعلم القراءات :

قال بدر الدين الزركشي :

القرآن، والقراءات حقيقتان متغايرتان.

فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها من تخفيف، وتشديد، وغيرهما، ولابد فيهما من التلقي والمشافهة، لأن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة[467].

---

(467) البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 318، ط الحلبي، ط 1، عام 1376هـ.

وجاء عن ابن خلدون في المقدمة :

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه، وكيفيات الحروف في أدائها، وتنوقل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة، تواتر نقلها أيضاً بأدائها، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الغفير.

فصارت هذه القراءات السبع أصولا للقراءة، وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوي في النقل، وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها[468].

وفائدة علم القراءات :

معرفة كتاب الله عن طريق كيفية أدائه واختلاف النقل في ذلك عن رسول الله ﷺ مما يجوز للقارئ المسلم أن يقرأ به تيسيراً ورفعاً للحرج كما هي سنة القرآن في تقرير الأحكام، قال سبحانه : ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[469].

وقد اهتم المغاربة بعلم القراءات عبر العصور بعد أن انتقل إلى المغرب من الأندلس عن طريق كتابين في القراءات هما : «كتاب التيسير في القراءات السبع» للإمام أبي عمرو الداني المتوفى عام 444هـ و«كتاب الشاطبية» نسبة لأبي القاسم ابن فيرة الشاطبي المتوفى عام 590هـ.

شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي وعلم القراءات :

يعد شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي من حفاظ القراءات السبع والعشر، وقد تلقى ذلك منذ نعومة أظفاره ببلده الصديكَات بدكالة، على يد أسرته وشيوخه

---

(468) نقلا عن خزانة العلوم، ص 88 وما يليها، لشيخ الإسلام أبي يحي زكرياء الأنصاري، دار البشائر الإسلامية، ط 1، عام 1419 - 1998، بيروت، لبنان.

(469) البقرة / 184.

هناك، وكان الناس آنذاك بدكالة مهتمين بعلم القراءات وغيرها من علوم أشد الاهتمام[470].

يقول الشيخ شعيب عن نفسه لما حضر بمراكش - وهو صغير السن - بناء على دعوة السلطان المولى الحسن الأول رحمه الله :

فحضرت كغيري لمراكش، فاختبر الناس، فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي[471]، ثم قال لي : هل تحفظ القرآن ؟، فقلت: نعم بالروايات السبع، فأحضر من يعرفها، وقالوا لي : اقرأ، فقرأت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علم القرآن﴾ بالقراءات، فظن الوزير أني عنيت ذلك، وأن الرحمن علمني مع الصغر الخ....[472].

وبعد ذلك أكمل الشيخ دراسة علم القراءات على سبيل التوسع والتثبت بمدرسة المعاشات نسبة إلى الولي الصالح سيدي علي امعاشوا المدفون بأحد ذرى ناحية الصويرة.

كما أخذ العلم نفسه بالشماعية بمدرسة الأمراء التي كانت توجد بضاحية أسفي، وبمدرسة سيدي الزوين بنواحي مراكش، وكانت هذه الدراسة المتنوعة في القراءات قبل أن يرحل إلى المشرق، حيث أخذ هذا العلم بالشرح، والتفصيل عن أصحابه الأكفاء ولاسيما بمصر في رحاب الأزهر الشريف.

---

(470) ذكر الأستاذ الأديب المؤرخ عبد الله الجراري في هذا المجال ما يلي :

وهذه دكالة المشار إليها آنفا كانت تعج بالمدارس القرآنية على اختلاف بدورها ورواياتها، كزاوية التونسي، وزاوية الغالي، ومدرسة الحاج بوعزة، ومدرسة محمد الحيمر، ومدرسة مولاي الطاهر ابن يوسف، ومدرسة المعطي الجراري بأولاد عمران، مدارس كان جلها يؤدي رسالتين مزدوجتين، رسالة القراءات وأدائها، ورسالة العلم ومبادئه...

وبهذه المناسبة لا يغرب عن البال شيخنا المحدث المقرئ أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي الذي لا ريب أنه خريج أحد هذه المعاهد القرآنية، والذي كان في مدرسته التفسيرية آية الإعجاب، رواية وتوجيهاً بل تجلت هذه الظاهرة الغالية أيام كان يلقي دروساً موضوعية حول لامية الشاطبي (الشاطبية) بشرح الأستاذ ابن القاصح بالزاوية الناصرية بالرباط، مزية لها قيمتها الكبرى فاز بها طلبة العاصمة ومن شاركهم من الإخوان، انظر متعة المقرئين، ص 93 للأستاذ عبد الله الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 1401 - 1981.

(471) وزير الشكايات (العدل) في عهد المولى الحسن الأول.

(472) ورد ذلك في ترجمة الشيخ لنفسه.

ويدل ما ذكر على مكانة هذا العلم في نفس الشيخ، مما سيظهر أثره في تدريسه وبثه بين الناس، بعد عودته الميمونة من المشرق إلى المغرب.

ويحكي الأستاذ العلامة عبد الله الجراري رحمه الله عن إقراء الشيخ لامية الشاطبي[473]، بقوله :

نعلم وجميع من عايش الشيخ أو سمع به أنه كان علاوة على تخصصه في السنة ورجالها، وتراجم المقبول منهم والمتكلم فيه، وفي علوم التفسير، هو أيضا من الأسانيد البارزين في القراءات وتوجيهاتها والمتواتر منها والشاذ وما لرواتها البدور السبعة ومن ورائهم إلى العشر من آراء وتوجيهات للآي وحسبما تفيد إليه من مدلولات، فكان كلما درجت آية كدليل أو شاهد من الشواهد أثناء موضوع من الموضوعات إلا وتصدى لبيان قرائتها وما للقراء حلولها من آراء حيث كل يؤيد قرائته بما يقتضيه اللسان العربي وتوحي به أساليبه من قوة في جهة، وضعف أو شذوذ في جهة أخرى، وكان الشاطبي من أقطاب القراء والمهرة في الروايات ورواتها مع المشاركة الواسعة في العلوم خاصة التفسير والحديث وما تدرك به من آلات أدبية وفنية، وإلى القارئ مطلع الحرز :

بدأت ببسم اللّه في النظم أولا	تبارك رحمانا رحيما وموئلا
وثنيت صلى اللّه ربي على الرضا	محمد المهدي إلى الناس مرسلا

ويقول في الختام :

وآخر دعوانا بتوفيق ربنا	أن الحمد للّه الذي وحده علا

---

(473) هي منظومة في علم القراءات تسمى «بحرز الأماني ووجه التهاني»، ومن جملة شروحها:

- إبراز المعاني من حرز الأماني، لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة.
- سراج القارئ المبتدئ، وتذكار المقرئ المنتهي، لعلي بن عثمان المعروف بابن القاصح.
- تحبير التيسير في القراءات العشر من طريق الشاطبية والدرة، للإمام محمد بن محمد الجزري.

ومن المعاصرين :

- إرشاد المريد في شرح القصيد، شرح الشاطبية، لعلي محمد الضباع.
- الارشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية، للدكتور محمد سالم محيسن.
- الوافي في شرح الشاطبية، للشيخ عبد الفتاح القاضي.

وانظر مراجع أخرى لعلم القراءات كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج 2، ص 1318، لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ.

وكان شيخنا رحمة الله عليه يتولى شرح أبياتها وما تحتويه من حروف ورموز إلى البدور وسواهم حسبما اصطلح عليه في ذلك بما عهد فيه من اطلاع وسعة باع في البيان ووضع نقطه على الحروف بين يدي الدارسين الذين يحضرونها وكلهم شوق وتوق لتحليلاته الواضحة لما قد يبدو على القصيدة لولاه من غموض واعتصاء، كما نجده وبنفس الطريقة مع الشارح ابن القاصح[474]، الذي هو الآخر يدور مع الحرز[475] متلمساً الخروج منه بنتيجة، وكان الذي يتولى السرد والاملاء بين يديه هو الأستاذ المقرئ المرحوم المكي بن أحمد بربيش الرباط.

ثم لم يكن الشيخ يحكي ما للشارح تأييداً أو رفضاً بل كانت له آراؤه في التوجيهات وخبراته الفنية، ولا بدع وهو من الاطلاع، والقدرة، والبراعة، بالمكان المخول له المشاركة في الميدان، والإدلاء في التالي بما يراه من رأي في الموضوع[476].

وكانت دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي في القراءات تلقى في الزاوية الناصرية صباحاً بالرباط، وفي فاس بجامع القرويين، وبعض المساجد الأخرى كضريح سيدي أحمد الشاوي وغيره.

ومن التلاميذ الذين تلقوا عن الشيخ علم القراءات وهم على سبيل المثال لا الحصر :

- الأستاذ الأديب المؤرخ عبد الله الجراري[477].
- الأستاذ المكي بن أحمد بربيش[478].
- الأستاذ المجاهد عثمان جوريو[479].

---

(474) هو علي بن عثمان شارح متن الشاطبية وشرحه المسمى : «سراج القارئ المبتدئ، وتذكرة المقرئ المنتهي».

(475) المقصود متن الشاطبية.

(476) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 97 وما يليها.

(477) تلقى هذا العلم عن الشيخ بالزاوية الناصرية بالرباط، وقد ساهم هذا الأستاذ الجليل رحمه الله في علوم القرآن بأبحاثه فيها، وتدريسه لها، والكتابة في موضوعاتها ومنها كتابه الممتع : «متعة المقرئين في تجويد القرآن الكريم»، وغير ذلك.

(478) تلقى هذا العلم عن الشيخ بالزاوية الناصرية بالرباط وكان السارد عليه فيها، انظر من أعلام الفكر المعاصر، ج 1، ص 237 (المقدمة).

(479) تلقى أيضاً عن الشيخ بالرباط، وكان الشيخ يقدره، ويجله، وقدمه ذات مرة في صلاة التراويح بالسلطان محمد الخامس طيب الله ثراه، أخبرني بذلك مشافهة بارك الله في عمره.

- الأستاذ المكي أمبيركو[480].

- الأستاذ القاضي عبد الرحمان الشفشاوني[481].

- الأستاذ مولاي علي الدرقاوي[482].

كلمة الأستاذ محمد بن المكي بربيش في الموضوع :

قال حاكياً عن والده الأستاذ المكي بربيش - رحمه الله - :

بعد البسملة والحمدلة :

وبعد :

فيقول العبد الحقير، المفتقر إلى عفو مولاه القدير، محمد بن المكي بربيش:

هذه نبذة وجيزة عن الشيخ الأكبر، والحافظ الأشهر، والمحدث الأنور، سيدي أبي شعيب الدكالي رحمة الله عليه، من ناحية دروسه في القراءات والتجويد، كما أخبرني بذلك سيدي الوالد رحمه الله، فأقول :

من جملة الفنون التي كان الشيخ أبو شعيب، متبحراً فيها، ومهتما بها اهتماما بالغاً، ويتقنها إتقاناً جيداً، فن القراءات، وفن التجويد.

كما كان يبرهن على ذلك عند دروس التفسير، فكان يتلو الحصة من كتاب الله التي يريد تفسيرها أولا برواية ورش عن نافع التي هي قراءة المغاربة، تلاوة مرتلة مجودة، محافظاً على مخارج الحروف.

وقصده رحمه الله أن يعطي درساً في التجويد لحفظة كتاب الله ثم يعيدها ثانياً بروايات السبع، ذاكراً من قرأ بها.

---

(480) يقول فيه الأستاذ عبد الله الجراري :

(وهذا الأستاذ المكي بربيش الرباطي الذي كان يتولى سرد شارح الشاطبية (ابن القاصح) على الشيخ شعيب الدكالي في كل صباح بالزاوية الناصرية، كان المترجم (المكي امبيركو) يطالع معه الشرح لصعوبته التي لا يستطيع أن يقف أمامها إلا المطلع).

انظر ترجمته والقولة هذه، من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 398 - 399.

(481) تلقى هذا العلم عن الشيخ بجامع القرويين وغيره من مساجد، انظر اسعاف الاخوان الراغبين، ص 376.

(482) تلقى هذا العلم عن الشيخ بفاس وغيره، انظر اتحاف ذوي العلم والرسوخ، ص 100.

فلهذا أراد والدي رحمه الله أن يجعل لهذين الفنين درساً خاصاً، فطلب هو وجماعة من الطلبة الشيخ رحمة الله عليه أن يدرس معهم متن الشاطبية.

فأجابهم حالا، ولبى رغبتهم، لما كان للشيخ من المحبة والحرص على نصر هذا العلم، واقترح أن يكون الوالد هو القارئ (السارد).

وكان ذلك صباحاً طيلة الأسبوع بالزاوية الناصرية، واسترسل معهم إلى أن ختمها[483].

تقرير وصفي لدراسة الشيخ شعيب للقراءات :

حكى الأستاذ محمد بن المكي بربيش عن والده الأستاذ المكي بربيش رحمه الله طريقة الشيخ شعيب في تدريس منظومة الشاطبي في القراءات، بقوله : كانت دراسة الشيخ أبي شعيب للمنظومة المذكورة كسائر دروسه القيمة.

الحاضرون يتتبعونها بتلهف واشتياق، وارتياح ونشاط.

يعرب ما أشكل من كلام المنظومة، ويُجل حروف أول الكلمات التي ترمز للقراء ورواتهم، وتأتي بتوجيهات القراءات، وعللها من نحو، وصرف، ولغة، وتقارب معنى، مستشهداً بكلام الله تعالى، وحديث رسوله ﷺ، وكلام العرب، ليزيد بذلك وضوحاً وتبياناً، وأعطي مثالا لذلك :

يقول الشاطبي رحمه الله في سورة البقرة :

وإثـم كـبير (شـ)ـاع بـالـثا مثلثا   وغيرهـمـا بـالـبـاء نـقـطـة أسـفـلا

وتقرير الشيخ بعد إعراب ما يحتاج اللفظ من إعراب :

يشير ولي الله إلى قوله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾.

فقرأ صاحبا (ش) من (شاع) وهما حمزة والكسائي : ﴿قل فيهما إثم كثير﴾، بالثاء المثلثة، وغيرهما وهم الخمسة الباقون : نافع، وابن كثير المكي، وأبو عمرو البصري، وابن عامر الشامي، وأبو بكر عاصم، قرأوا : ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ بالباء الموحدة من أسفل، ثم يأتي بتوجيهات ذلك فيقول :

---

(483) الشيخ أبو شعيب الدكالي، أكاديمية علمية، ص 81 وما يليها.

وجه التاء المثلثة : اعتبار المعنى أي آثام كثيرة، أو باعتبار وقع اللفظ على متعدد وهو الخمر والميسر.

ووجه القراءة بالباء : اعتبار اللفظ : ثم كبير أي عظيم.

وأيضاً قوله تعالى، بعد هذا : ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ ولم يقل : (أكثر).

ثم يبين معنى الآية، ويفسرها، وما يلحق بها من أحكام مستدلا بالأحاديث الشريفة، ثم يتبع ذلك بقول الشاطبي :

قل العفو للبصري رفعٌ، وبعده　　　　لأعنتكم بالخلف أحمد سهلا

تقرير الشيخ :

هنا ذكر كلمتين فيهما قراءتان :

العفو : بالرفع والنصب، ولأعنتكم بالتخفيف والتسهيل على خلاف.

فالعفو يشير الناظم إلى قوله تعالى : ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾.

فالبصري قرأ (قل العفو) بالرفع، وهنا صرح باسمه، والباقون بالنصب.

فالمسألة تتعلق بعلم النحو، فوجه الرفع : أن ذا الواقعة بعد ما الاستفهامية، فهي اسم موصول بمعنى الذي فتكون ذا وصلتها خبر ما.

والعفوُ بالرفع بدل من ما، ومنه قول الشاعر :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول　　　　أَنَحْبٌ فيقضى أم ضلال وباطل

ووجه النصب : أن (ذا مع ما) صارت كلمة واحدة أداة استفهام في محل نصب مفعول مقدم بينفقون، والعفو بالنصب مفعول بفعل محذوف يفسره الفعل المذكور أي أنفقوا العفو، ومنه قوله تعالى : ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾.

وإلى هذه المسألة يشير ابن مالك في خلاصته :

ومثل ما، ذا بعد ما استفهام　　　　أو من إذا لم تُلْغَ في الكلام

وأما (لأعنتكم) فهي من قوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾. فقرأ أحمد البزي من رواية ابن كثير (لأعنتكم) بتسهيل الهمزة بين بين، بخلاف عنه فيهما، فله فيها وجهان : التسهيل، والتخفيف، وقرأ الباقون بالتخفيف.

فوجه التسهيل : التخفيف، ووجه التخفيف : الأصل.

ثم يتصدى لتفسير الآيات الواقعة فيها تلك الكلمات المدروسة فيدخل ميدان التفسير، ويأتي ما يتعلق بها من أحكام، وأقوال العلماء.

فهذا نموذج من نماذجه الدراسية في علم القراءات على وجه التقريب، وإلا فالشيخ رحمه الله كان يعبر عن تلك المعاني بتعبيره الواضح المعهود، وأسلوبه البديع البين بصوته الفصيح، الذي يفهمه الخاص والعام، والعلماء والعوام، مشيراً إلى تلك الحقائق، مبيناً للأسرار والدقائق.

وبهذه الدراسة للقراءات كان مشوقاً للبحث والاطلاع على كلام العرب وآدابها، فبكتاب الله حفظت اللغة العربية كما حفظ غيرها. تغمد الله الشيخ برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيئين، والصديقين، والشهداء، والصالحين[484].

فوائد منقولة عن الشيخ شعيب في القراءات :

أ - جاء في مقدمة كتابه (من أعلام الفكر المعاصر) للعالم الأستاذ عبد الله الجراري ضمن العناية بالرسم القرآني :

ومما لاحظه شيخنا المحدث السلفي المقرئ أبو شعيب الدكالي في بعض دروسه بالزاوية الناصرية (بالرباط أثناء دراسة الشاطبية) مخاطباً الحاضرين خاصة الطلبة منهم قائلا : أيها الطلبة الراغبون في فهم القراءة وأحكام القرآن :

إن الشيخ الهبطي ارتكب غلطة بل أغلاطا في الوقف تقديماً وتأخيرا بالأخص ما يسطر من الوقفات التالية، فالمرجو حفظه أو على الأقل تقييده ونشره ليكون نبراسا لمن يرغب فيه، وذلك في ثلاثة عشر موضعاً :

1 - ﴿بسم الله الرحمان الرحيم ألم ذلك الكتاب لا ريب﴾[485]، وكان حقه أن يقول: لا ريب فيه.

---

(484) المرجع السابق، ص 76 وما يليها.

(485) البقرة / 1 - 2.

2 - وفي (آية الكرسي)[486] - الله لا إلاه إلا هو، وكان من حقه أن يقول الحي القيوم كما هو الصواب.

3 - وفي حزب (من سورة النساء الآية 87) ﴿الله لا إلاه إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾.

4 - وفي آية : ﴿يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا﴾[487].

5 - وفي آية : ﴿فأصبح من النادمين من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل﴾[488].

6 - وفي آية : ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾[489].

7 - وفي سورة طه : ﴿الله لا إلاه إلا هو له الأسماء الحسنى﴾[490].

8 - وفي سورة الرعد : ﴿إنما يتذكر أولو الألباب الذين﴾[491].

9 - وفي سورة الأنفال : ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾[492].

10 - وفي سورة الكهف : ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾[493].

11 - وفي سورة اليقطين : ﴿سلام على آل ياسين إنا كذلك نجزي المحسنين﴾[494].

12 - وفي سورة القمر : ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾[495].

---

(486) البقرة / 255.

(487) المائدة / 64.

(488) المائدة / 31 - 32.

(489) الكهف / 63.

(490) طه / 8.

(491) الرعد / 19.

(492) الأنفال / 5.

(493) الكهف / 63.

(494) الصافات / 130 - 131، سميت هذه السورة بسورة اليقطين لقوله تعالى فيها : ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ واليقطين فسر بالقرع المعروف.

(495) القمر / 46.

13 - وفي سورة ﴿عم، يتساءلون عن النبأ العظيم، الذي هم فيه مختلفون﴾[496].

قال الشيخ رحمه الله : ينبغي للهبطي أن يقف في المعوذتين، خمس وقفات في كل من السورتين كما يلي :

1 - ﴿بسم الله الرحمان الرحيم، قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

2 - ﴿بسم الله الرحمان الرحيم، قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾[497].

ب - ما ذكره علامة الجنوب محمد المختار السوسي في كتابه (مدارس سوس العتيقة) بقوله :

فرضي الله عن أستاذنا شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي الذي حكى لنا في درس الشيخ خليل بعد عصر يوم في سنة 1342هـ ونحن في (المسجد اليوسفي بمراكش)، في معرض عدم اعتناء المغاربة (بالإعجام).

أنه كان مرة يلقي درساً من «كامل المبرد» في (الجامع الأزهر)، فجاءت كلمة (جذوة)، فنطق بها بالدال المهملة، وقال : إن هذه اللفظة في القرآن، وقال : فقال لي أعمى قاعد إزائي، لا أيها الشيخ ليست هذه اللفظة في القرآن، قال فقلت له : أين أنت من قول الله : ﴿لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾[498].

قال : فقال لي : هذه جذوة بالذال المعجمة، وأنت تنطق بها مهملة، وهذه غير تلك.

قال : فصرت من ذلك النهار أعتني بالإعجام، حتى تمرن عليه لساني[499].

---

(496) النبأ / 1 - 3.

(497) من أعلام الفكر المعاصر، المقدمة، ج 1، ص 41 وما يليها، للعلامة المؤرخ عبد الله الجراري، مطبعة الأمنية، ط 1، عام 1391 - 1971، الرباط.

(498) القصص / 29.

(499) مدارس سوس العتيقة،ص 35، المرجع السابق.

ج - ما أورده العالم المؤرخ عبد الله الجراري في كتابه (متعة المقرئين)، بقوله:

كنا نسمع من بعض شيوخنا في القراءة : أن قراءة ورش أصعب القراءات، وهذا شيخنا المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي الصديقي طيب الله ثراه كان يقول في دروسه خاصة وقتما كان يدرس معنا الشاطبية : أن رواية ورش عن نافع من الصعوبة بمكان بالنسبة لبقية القراءات لا يصاولها إلا الممارس المتقن، والمتلقي لها من أفواه مهرة الشيوخ.

ويضيف قائلا : تلكم عادة أهل المغرب أنهم غالباً ما يتعاطون الصعب من العلوم، والفنون، مقتحمين نصوصها، ومتونها شرحاً وتفسيراً.

وإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على علو همتهم حتى فيما يحاولون أخذه من علم وفن[500].

ثالثا - تدريس الشيخ لعلم الحديث النبوي :

المقصود بعلم الحديث وفضله :

علم الحديث رواية هو ما أضيف إلى النبي ﷺ قولا، أو فعلا، أو تقريراً، أو صفة[501].

وهو من أهم العلوم الإسلامية بعد كتاب الله تعالى، لأنّ بالحديث والسنة بيان آيات الله، وأحكامه.

والحديث طريق من طرق الوحي، لقوله تعالى في شأن ما يصدر عن النبي ﷺ : ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[502].

ولأن (ما) في الآية تفيد العموم عند الأصوليين.

وفي فضل هذا العلم وأهله يقول الرسول ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم» الحديث[503].

---

(500) متعة المقرئين، ص 93، المرجع السابق.

(501) خزانة العلوم، ص 43، المرجع السابق، وانظر الأزهار الطيبة النشر، ص 134، المرجع السابق.

(502) النجم / 3 - 4.

(503) متفق عليه.

وقد نقل عن عبد الله بن المبارك، والإمام أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، والإمام البخاري، وغيرهم في معنى هذا الحديث أن المقصود به أصحاب الآثار والحديث[504].

وقال عليه الصلاة والسلام في ذلك أيضاً: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[505].

وقال هارون الرشيد:

طلبت أربعة فوجدتها في أربعة:

طلبت الكفر فوجدته في الجهمية، وطلبت الكلام والشغب فوجدته في المعتزلة، وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة، وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث[506].

وقال الإمام الشافعي:

دين النبي محمد آثار	نعم المطايا للفتى الأخبار
لا تغفُلن عن الحديث وأهله	فالرأي ليل والحديث نهار

وقول القائل:

أهل الحديث همُ أهل النبي إذا	لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

وقال بعضهم:

قناديل دين الله يسعى بحملها	رجال بهم يحيا حديث محمد
هم حملوا الآثار عن كل عالم	تقي، صدوق، فاضل، متعبد
محابرهم زُهرٌ تضيء كأنها	قناديلُ حبر ناسك وسْط مسجِد
تساق إلى من كان في الفقه عالماً	ومن صنف الأحكام من كل مُسْنَد

وذكر الحافظ أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي في هذا الشأن وهو أبلغ كلام فيه وأجمع:

---

(504) انظر شرف أصحاب الحديث، ص 26 وما يليها، للحافظ أبي بكر أحمد الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، دون تاريخ.

(505) روي هذا الحديث من وجوه متعددة، أشار إليها ابن قيم الجوزية في مفتاح السعادة.

(506) شرف أصحاب الحديث، ص 55، المرجع السابق.

ولأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين، والإخبار عن صفات الجنة والنار، وما أعد الله تعالى فيهما للمتقين والفجار، وما خلق الله في الأرضين والسموات من صنوف العجائب وعظيم الآيات، وذكر الملائكة المقربين، ونعت الصّافّين والمسبّحين.

وفي الحديث قصص الأنبياء، وأخبار الزهاد والأولياء، ومواعظ البلغاء، وكلام الفقهاء، وسير ملوك العرب والعجم، وأقاصيص المتقدمين من الأمم، وشرح مغازي الرسول ﷺ وسراياه، وجُمل أحكامه وقضاياه، وخطبه وعظاته، وأعلامه ومعجزاته، وعدّة أزواجه وأولاده وأصهاره وأصحابه، وذكر فضائلهم ومآثرهم، وشرح أخبارهم ومناقبهم، ومبلغ أعمارهم، وبيان أنسابهم.

وفيه تفسير القرآن العظيم، وما فيه من النبأ والذكر الحكيم، وأقاويل الصحابة في الأحكام المحفوظة عنهم، وتسمية من ذهب إلى قول كلّ واحد منهم من الأئمة الخالفين والفقهاء المجتهدين.

وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كلّ بدعة شنيعة، فهم أمناء الله من خليفته، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه، سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يُقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظةُ الدين وخزنته، وأوعية الدين وحملته، إذا اختلف في حديث، كان إليهم الرجوع، فما حكموا به، فهو المقبول المسموع، ومنهم كل عامل فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح - بغير مذهبهم - لا يتجاسر، من كادهم قَصَمَه الله، ومن عاندهم خذلهم الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى ارشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حَسِير ﴿وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج / 37[507].

(507) انظر شرف أصحاب الحديث، ص 8 - 9، المرجع السابق.

الشيخ شعيب رافع ألوية الحديث في المغرب :

نظراً لما للحديث النبوي من شرف أصيل، ومجد أثيل، تسارع العلماء لتلقيه، والرحلة إليه في الأمصار، والضرب في الأرض من جميع الأقطار، للانتساب إلى السلسلة النبوية، والتعلق بما ثبت عن سيد البشرية، عليه أزكى الصلاة وأطيب السلام[508].

وكان ممن ساهم في هذا المجال بنصيب وافر، وحقق الأمنية فيه، فكان كالبدر الساطع الزاهر، شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي.

فقد رحل، وسمع، وتلقى، وروى، وأسند، واستجيز، وأجاز، ودبج، ودرّس المصنفات الحديثية العالية، بتراجم رواياتها، وتعدد أخبارها، وتفاصيل أبوابها، وإيراد مستفاداتها، وتفسير كلماتها.

فكان المثال الحق للعالم، المحدث، الفقيه البارع، الأصولي، المشارك في كل علم وفن.

وحاز على ما دعا به عليه الصلاة والسلام من نضارة الوجه[509]، ابتهاج النفس، وطمأنينة القلب.

وكان رحمه الله عضواً عاملا ضمن الطائفة المنصورة الظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة.

---

(508) تحقق في الشيخ شعيب، أدب الطلب، وبركة الرحلة في طلب العلم عامة والحديث خاصة كما نقل عن علماء السلف الصالح، انظر الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي، تحقيق نور الدين عنتر، دار الكتب العلمية، ط 1، عام 1395 - 1975، فقد رحل إلى الأزهر وتلقى عن مشايخه في الحديث وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري ثم انتقل إلى الحجاز فروى عن مشائخ الحديث من جميع الأمصار.

(509) المستفادة من قوله ﷺ : «نضر الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع».
رواه أصحاب السنن وغيرهم، بطرق كثيرة، وألفاظ مختلفة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وغيره. انظر كشف الخفا، ج 2، ص 319، للعجلوني، ط 3، عام 1352، بيروت، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة، وأكد ذلك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته، انظر المجلد السادس، ص 29 وما يليها، المكتب الإسلامي، ط 3، عام 1402 - 1982.

وكان - طيب الله ثراه - من المنافحين المكافحين عن هذا الدين، النافين عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وقد قام شيخ الإسلام بجهود أثابه الباري سبحانه عليها - في نشر علوم الحديث والسنة على أوسع نطاق في هذا الوطن الكريم بل وخارجه حين كان يسطع نجمه الوضاء في المشرق، قبل أن تطلع شمسه اللامعة في المغرب، حيث تلقى عنه رجال أفذاذ، وعلماء أمجاد، من جميع الأقطار والبلاد.

وقد أحيا دراسة الحديث والسنة في هذه الديار المغربية، بعد أن كانت متون الحديث في عهود سابقة تقرأ على سبيل التبرك دون التمعن في معانيها، والاستفادة من مراميها، والوقوف على مقاصدها.

فيكون شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي رحمة الله عليه، ممن أحيا تدريس علوم القرآن وتفسيره، وعلوم الحديث بالمعنى الصحيح.

وهذا ما أكده عالم الرباط ومؤرخها الأستاذ عبد الله الجراري بقوله :

كان الحديث يسرد تبركا، وتيمنا بأقوال الرسول صلوات الله عليه، وفي أوقات خاصة من السنة، كرجب، وشعبان، ورمضان.

فكانوا يتهيبون دراسته وتفهمه، وحل مشاكل ما يقع في ألفاظه عبادات، واعتقادات، ومعاملات، وآداب، ورقائق.

يقول المرحوم محمد بن علي دنية أحد مؤرخي الرباط في أول تاريخه : وقد كان جل العلماء الذين أدركناهم يقتصرون في الحديث على سرد ألفاظه تبركاً لعدم القيام بآداب تدريسه، نعم كانت قلة من العلماء تدرس بعض مصنفات الحديث، كالأربعين النووية التي اعتنى بشرحها جماعة، كالنووي نفسه، والشمائل المحمدية لأبي عيسى الترمذي، ومختصر البخاري لابن أبي جمرة المسمى : (جمع النهاية في بدء الخير وغاية)......

ورغم هذا فكان علماؤنا يهابون دراسة السنة كما أشير لذلك آنفا، وبقيت هذه الهيبة سارية في الأوساط العلمية إلى أن عاد إلى المغرب أبو شعيب الدكالي (المحدث الكبير)، واستقر بالرباط، في هذا الظرف انفسح المجال لسنة الرسول

(عليه الصلاة والسلام)، وحديثه فأخذ يدرس أمهات الحديث، وكتب السنة كالصحيحين، وسنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجة، والنسائي، وشفاء القاضي عياض.

ووجد الشيخ الدكالي من أبناء الرباط، ومثقفيه بالأخص، إقبالا نادراً على دروسه التي كان جلها (بالزاوية الناصرية).

تلك الدروس الإملائية، والتحليلية التي كان لها الأثر الحسن على الأفكار عموماً، لما كانت تصطبغ به من سلفية بعيدة عن الخرافات، والأوهام، التي كانت تملأ أدمغة البعض من أبناء المغرب......

إنها دروس تكوّن من بين حلقاتها نخبة من علمائنا وأشياخنا الذين أصبحوا وقد شقوا الطريق بجبهة عالية لدراسة السنة، غير هيابين لما كان ينشر قبل في أوساطهم من إبعاد، وتهويل.

ذلك ما دفع العلماء للاتصال بالسنة اتصالا دراسياً كباقي الفنون بدل السرد المعتاد.

منهم شيخنا محمد المدني ابن الحسني، الذي تجرد لإلقاء دروس في الصحيح (بالمسجد الأعظم) بين العشائين، وأخرى بكتاب زاد المعاد لأبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، وعمدة الأحكام لابن دقيق العيد، وبلوغ المرام في أحاديث الأحكام لابن حجر، ورياض الصالحين للنووي.

ومن علمائنا المرحوم الفقيه محمد الرندة، فقد كان هو أيضاً يلقى دروساً في الحديث بصحيح البخاري صباحاً (بمسجد دنية إزاء حمام العلو بالرباط)، أواخر عمره، كما كان يقرأ عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (بجامع مرينو) على الساعة التاسعة صباحاً.

فضلا عما كان يقوم به شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي من رئاسة المجالس العلمية الحديثية السلطانية في عهد المولى عبد الحفيظ، والمولى يوسف، والسلطان سيدي محمد الخامس طيب الله ثراهم جميعاً[510].

---

(510) انظر المجالس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، ج 2، ص 87 وص 109، وص 120، للأستاذة آسية البلغيثي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، عام 1416 - 1996.

كما ألقى الشيخ رحمه الله دروسه الحديثية في أغلب مدن المغرب :

- الرباط.
- وفاس.
- ومراكش.
- وآسفي.
- والجديدة.
- والدار البيضاء.
- وتارودانت.
- والزاوية الشرقاوية بأبي الجعد.
- وتطوان.
- وطنجة

لكن المدن التي كانت لها الحظوة في تلك الدروس الحافلة هي الرباط بالدرجة الأولى نظراً لاستقرار الشيخ بها، وفاس، ومراكش بحكم العمل الرسمي.

وباقي المدن المغربية الأخرى بحكم الزيارات المتكررة لها، وسنذكر جهود الشيخ الحديثية في تلك المدن المذكورة مقتصرين على مدينة الرباط، وفاس، ومراكش نظراً لكثرة ما درس بهذه المدن، كما سنورد إن شاء الله الكتب الحديثية التي درسها، والأماكن التي كان يلقي بها تلك الدروس، والتلاميذ الذين تلقوا عن الشيخ العلوم الحديثية وكل ذلك على النحو الآتي :

أ - تدريس الشيخ لعلم الحديث بمدينة الرباط :

قام شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي بتدريس كتب السنة، ونشر علومها، وفوائدها على أوسع نطاق، بجميع مدن المغرب، وقراه، ولاسيما مدينة الرباط التي كان يقيم بها بحكم عمله الرسمي، واشتغال الشيخ بالفلاحة بضواحيها.

فكان مثال العالم الذي لم يترك رحاب العلوم التي عرف ما لها من لذة باقية، ومرتبة سامية، وأثر في النفوس، وإصلاح في المجتمع.

كما كان مثال العالم الذي يجمع بين النظر في شؤون الدين، والنظر في شؤون الحياة، وما يلزم في ذلك من تحصيل مال، وتحسين أحوال.

وقد أحدث الشيخ رحمه الله نهضة علمية كبيرة عن طريق فروع العلم والعرفان المتعددة، ومنها دراسة كتب الحديث والسنة، مما جعل الأستاذ محمد الجزولي يتحدث عن ذلك بقوله :

إن هذا الرجل العظيم (يقصد الشيخ أبا شعيب الدكالي) قد خدم المغرب في مجالسه هذه، وأحسن إليه الإحسان الذي لا قبله، ولا بعده، وقد أيقظ فيه المعرفة، والعلم، ووجه أهله لمدارسة الحديث، وتفهم معانيه، ومقاصده، عوض أن يتلى للتبرك بتلاوته، وجرأهم على التفسير، وعلوم القرآن، وأحيا فيهم روح الواقعية، ودفعهم للصعود بالأمة إلى مراقي العز والكرامة[511].

الكتب الحديثية التي درّسها الشيخ بمدينة الرباط :

درس الشيخ الكتب الستة المشهورة في الحديث، وغيرها، وهي كالتالي حسب وفاة أصحابها :

1) موطأ الإمام مالك بن أنس، المتوفى عام 179هـ.

2) مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى عام 241هـ.

3) صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى عام 256هـ.

4) صحيح الإمام مسلم بن محمد النيسابوري المتوفى عام 261هـ.

5) سنن محمد بن يزيد المعروف (بابن ماجة) المتوفى عام 273هـ.

6) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى عام 275هـ.

7) سنن محمد بن عيسى الترمذي المتوفى عام 279هـ.

8) سنن أحمد بن علي النسائي المتوفى عام 303هـ[512].

وغيرها.

(511) انظر ذكريات من ربيع الحياة، ص 29، المرجع السابق.

(512) ذكر الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله أن الشيخ درّس الكتب الستة وختمها بمدينة الرباط، وكان التدريس لهذه الكتب والختم لها يتردد ما بين الزاوية الناصرية، والمسجد الأعظم، كما درّس كتاب الموطأ أيضا بالمسجد الأعظم، انظر المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 85 - 91. =

وكانت دروس الشيخ الحديثية تلقى بالأماكن التالية :

- الزاوية الناصرية[513]، وبكثرة كما ذكر الأستاذ عبد الله الجراري.

- المسجد الأعظم[514].

- ضريح سيدي فاتح[515].

- مسجد القبة[516].

- جامع ضريح مولاي المكي بن محمد الوزاني[517].

- منزل الشيخ بشارع سيدي فاتح بالرباط آنذاك.

وممن كان يسرد بين يدي الشيخ في دروسه الحديثية بالرباط :

- الفقيه الغازي بن محمد سباطة الرباطي.

- الأستاذ الطيب بن محمد (كحل العيون) المراكشي.

- الأديب السيد عباس المعروفي.

وغيرهم.

وكان يحضر من التلاميذ الآخذين عليه علم الحديث بمدينة الرباط الآتية أسماؤهم وهم على سبيل المثال :

- محمد بن المدني بن الحسني الرباطي.

- عبد الله كَنون الحسني الطنجي.

- محمد بن عبد السلام السائح الرباطي.

= وجاء في معجم الشيوخ للمحدث عبد الحفيظ الفاسي قوله :
ولما استوطنا مدينة الرباط سمعت عليه (أي الشيخ) بعض البخاري ومسلم، ومسند الإمام أحمد، والشفا، والتفسير وغير ذلك، انظر معجم الشيوخ، ج 2، ص 143.
ويكون الشيخ من العلماء القليلين في المغرب الذين درسوا مسند الإمام أحمد إلا من كان له همة الشيخ وسعة أفقه بالإضافة إلى تدريس الكتب الستة مع كتاب الموطأ.

(513) (514) (515) (516) (517) انظر التعريف بهذه الأماكن كتاب ورقات في أولياء الرباط ومساجده وزواياه للأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله، ط 1، 1398 - 1978، مطبعة النجاح الجديدة.

- محمد بن إبراهيم الكتاني الفاسي الرباطي.
- عبد الله الجراري الرباطي.
- عبد الحفيظ الفاسي الرباطي.
- إبراهيم بن محمد الكتاني السلاوي.
- محمد بن اليمني الناصري الرباطي.
- أخوه محمد المكي الناصري الرباطي.
- الشاعر عبد الرحمان حجي السلاوي.
- الشاعر محمد الجزولي.
- محمد بن العباس الرفاعي الرباطي.
- محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي.
- أبو بكر بن الطاهر زنيبر السلاوي.
- أحمد بن محمد الزبدي الرباطي.
- محمد بن العباس الجراري الرباطي أخ عبد الله الجراري المتقدم.
- عبد الواحد بن عبد الله.
- ابنه عبد العزيز بن عبد الله (من صغار التلاميذ).
- محمد بن عبد الواحد بنونة الرباطي.
- العربي التمسماني الطنجي.
- الحاج أحمد معنينو السلاوي.

طريقة تدريس الشيخ للحديث :

أجمع تلامذة الشيخ الذين كانوا يلازمون دروسه الحديثية على أن الشيخ كان من العلماء الراسخين المتمكنين في هذا العلم وغيره، دراية، ورواية، واستحضاراً لأسماء الرواة من صحابة وتابعين ومن جاء بعدهم، وولادتهم

ووفياتهم، وتقلبات أحوالهم في حياتهم، كما كان يستحضر متون الحديث، واختلاف رواياتها، مع الاستنباط والتحليل، وربط الفروع بالأصول، مع ذكر الآخذين من المذاهب لكل حديث أو عدم الأخذ به، مع التعليل في ذلك بما هو مجال علم الخلاف العالي بين الأئمة كصنيع ابن رشد الحفيد في بدايته.

كما كان الشيخ رحمه الله يورد النصوص المناسبة في شرح الأحاديث النبوية من اللغة، والشعر العربي الجاهلي والإسلامي، والاستشهاد بمتن الألفية، وتوضيح ابن هشام وغيرها من المتون اللغوية والبلاغية، وجلب النصوص الأدبية الرفيعة، واستحضار النصوص الفقهية والقواعد الأصولية، ولاسيما مختصر الشيخ خليل، ومتن العاصمية، والزقاقية، ومن المتون الأصولية جمع الجوامع لابن السبكي وغيره، فكان رحمه الله موسوعة من العلم يوردها في صعيد واحد عند الحاجة إليها.

كلمة الأستاذ عبد السلام بن سودة في الموضوع :

ونورد في هذا المقام ما ذكره العلامة المؤرخ عبد السلام بن سودة صاحب دليل مؤرخ المغرب الأقصى في حق شيخ الإسلام بقوله : أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي، الشيخ الإمام، علم الأعلام، المحدث المفسر، الراوية على طريق أئمة الاجتهاد، آخر الحفاظ بالديار المغربية، ومحدثها، ومفسرها من غير منازع، ولا معارض.

وهو آخر من رأينا بل وأول من رأينا على طريق الحفاظ المتقدمين الذين بلغنا وصفهم بالحفظ، والاتقان، والاستحضار، ولولا رؤيته، وحضور دروسه، لدخلنا الشك في وصف من تقدم قبله.

يستحضر متن الحديث، وسنده، ومختلف رواياته، مع من انفرد بالزيادة والنقصان من أئمة هذا الشأن، ومعرفة تراجم رُواته على اختلاف أسمائهم، وأنسابهم، وطبقاتهم، ووفياتهم، وفي أي بلد عاشوا، ومرتبة كل واحد منهم بحسب التعديل، والتجريح، ونظر كل إمام من الأئمة الأربعة في الأخذ والرد، وقواعد مذهبه في الاستنباط من الحديث وقيمته، وبيان الخلاف بين الأئمة في بعض المسائل المهمة وسببها إن كان خلافاً في الحكم الشرعي، والكل بفهم ثاقب.

وكثيراً ما كان ينتصر للمذهب المالكي لكونه مذهبه، بل لأن أصوله صحيحة، واستنباطه من النصوص سليم، وكثيراً ما كان يطول في تقريره : «فإن قالوا»، قلنا لهم كذا وكذا»، وإن كان في بعض الأحيان ربما انتصر لغير المذهب المالكي على قلة إن كانت حجج الغير أقوى.

وربما أجاب عن الإمام مالك بأن نص الحديث المحتج به من الغير لم يبلغه، لأنه روى مثلا عن أصحاب الشام، وأصحاب العراق، والإمام لم تكن له رحلة إلى تلك الأصقاع[518].

وأما تطبيق علوم الآلة من أصول، وبيان، ونحو وغير ذلك فله اليد الطولى فيها، وخصوصاً في الروايات السبع التي كان يحفظها بل حتى ما وراءها إلى العشر حفظاً متقناً مع فهم أسرار قواعدها حسب المقرر في ذلك.

وكل ما وصف به، فالرجل فوق ذلك، ولا يؤمن به إلا من شاهده، فهو مفخرة من مفاخر المغرب[519].

كلمة العلامة محمد بن عبد السلام السائح في الموضوع :

قال رحمه الله :

هذا الشيخ لم يكن مهتما بالاستدعاءات، والاستجازات متبجحاً بكثرة أسماء الشيوخ والاطلاع على الفهارس والأثبات، وإنما كانت همته الدراية.

---

(518) عدم بلوغ الحديث المحتج به هو أحد الأسباب الموجبة للخلاف بين الأئمة.

وقد ذكر الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله في كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»، هذا السبب وهو عدم بلوغ الحديث لإمام من الأئمة وهو مما يعذر به ذلك الإمام.

ويمكن حصر ما ورد في هذا الكتاب على وجه الاجمال مما يعذر به فيما يلي :

- إما في عدم بلوغ الحديث.
- أو في عدم ثبوته لو بلغه.
- أو اختلاف دلالة.

انظر الكتاب المذكور وقد طبع عدة مرات كما يوجد ضمن فتاوي الشيخ ابن تيمية ضمن مجلد التمذهب من أصول الفقه.

(519) انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3052، وفيات، عام 1356.

وما ورد هنا من وصف لعالمية الشيخ عن العلامة المؤرخ عبد السلام بن سودة مطابق لما أورده العلامة المؤرخ عبد الله الجراري في وصف طريقة تدريس الشيخ، انظر المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 80.

كان أولا يتقن العربية إتقاناً، ويحفظ كثيراً من الشواهد وبعض القصائد العربية، ويجيد قراءة السبع.

أما حفظ السنة فهو ذلك الفحل الذي لا يجدع أنفه، يملي على الحديث الواحد الكثير الطيب مما له به ارتباط فني، ويجمع أطرافه المتفرقة، ثم يأخذ في استنباط الأحكام الفقهية منه، ويعادل بينها وبين مختصر خليل الذي كان يحفظه في صباه، ويحكي الخلاف العالي.

وكثيراً ما كان يقوم بدور مناظرة مفروضة بين المالكية وغيرهم يحتج فيها لكل فريق، وتنتهي غالباً بانتصار المالكية.

وإذا مر بحديث يشهد لمبادئه الاصلاحية تدفق كالسيل، وإذا مر بحديث لم يأخذ به المالكية أظهر امتعاضه من ذلك.

يكره الجمود، وكثرة التكاليف الفرعية المتكلفة الاستنباط، لا يتقيد بما كتب الناس على الحديث كما هي حال من يتعاطى الحديث ممن عاصرناه، بل يملي املاء محدث متمكن، حر يجمع بين أطراف السنة، ويرشد إلى الغاية منها، وأمامه خزانة حفظه التي يتناول منها ما شاء، إلى ذوق سليم، واستعداد فطري قوي.

أخبرني شيخنا القاضي أبو حامد البطاوري[520] أنه حضر دروسه لصحيح مسلم بالقصر السلطاني، وذكر من اتقانه لمقدمة مسلم على صعوبتها ما بهره.

وقد حضرت عليه[521] بعض صحيح مسلم ودرست عليه تلك المقدمة ورأيت من أماليه عليها، وقوة ملكته في إجادة شرحها ما يعز مناله.

وكان الشيخ لا يهتم بمناقضات الشروح، ولا بمناقشات الحواشي، ولا يرى بذلك قيمة.

وأرى أنه قضى شطراً من حياته في حل رموز تلك المختصرات، وما عليها من كتابة متشعبة (الأمر الذي يراه علماؤنا مقياس العلم والذكاء) لو كان خلته كذلك لضعفت ملكته، وتضاءلت أشعة فكره الوهاج[522].

---

(520) وهو من شيوخ العلم الأجلاء بالرباط، انظر ترجمته لعبد الله الجراري ضمن سلسلة شخصيات مغربية.

(521) القائل هنا العلامة محمد بن عبد السلام السائح.

(522) انظر كتاب : «الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح»، ضمن شخصيات مغربية 4، للعلامة عبد الله الجراري، ص 97 وما يليها، ط 1، عام 1399 - 1979، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء.

كلمة الأستاذ إبراهيم بن محمد الكتاني في الموضوع :

قال رحمه الله :

وكان أسلوب الشيخ في الحديث أسلوب كبار المحدثين، يبدأ السارد في سرد الباب مع السند والأحاديث التي بعده[523].

ثم يتهلل وجه الشيخ، وتتسع عيناه، وتحمر وجنتاه، فيذكر مناسبة الباب للحديث، ثم يحلل ضافياً بما عهد فيه من عبقرية فذة حتى تندهش لذلك.

ثم يتكلم على السند فيترجم لكل واحد من رجاله مستفيضة، ثم يذكر ولادتهم مع وفياتهم.

ثم يذكر لطائف السند : صحابي عن صحابي، أو تابعي عن تابعي، أو ما يناسب ذلك، أو فلان صلى الصبح بوضوء العشاء ثلاثين أو أربعين سنة، أو كان مجاب الدعوة، لأن الشيخ كان يهوى الحديث بطبعه، والتعمق في بحوثه، ويجد لذته في ذلك.

فكان بحراً تتلاطم أمواجه لمشاهدة تلك الأسرار، والخوض في كنهها، ثم يدخل الجزئيات تحت الكليات، ثم يستدل على ذلك بكلام الشيخ خليل ثم يذكر استفادة الحديث بقوله : يستفاد منه كذا وكذا.

وإن أنس فلن أنسى درساً عظيماً في قوله ﷺ : (يا أبا عمير ما فعل النغير)[524].

فابتسم ابتسامة الرضى والسرور، وصار يتكلم بشيء غريب انفتحت له عقولنا، وانشرحت من أجله صدورنا، ووجدنا لذة عظيمة داخلة على أرواحنا حتى كأننا في الجنان نتنعم بما أوجده الله فيها من الخيرات والبركات.

---

(523) كان يفتتح الدرس بالبسملة، والحمدلة، والصلاة على النبي ﷺ، وقد يقول : والصلاة والسلام على بدر الدنيا والآخرة.

ثم يتلو الحديث الذي رواه الإمام مسلم : إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم يقول : وبالسند المتصل إلى الشيخ الإمام الحافظ الهمام، أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبة البخاري الجعفي مولاهم رحمه الله تعالى آمين.

(524) رواه الإمام أحمد في المسند والإمام البخاري في صحيحه.

ثم تكلم كثيراً فقال : إن الإمام محمداً بن إدريس الشافعي أحد المذاهب الأربعة : كانت له بنت، وكان يحبها حباً جماً، فأخبرها بأن له طالباً من طلبته، عظيم الشأن في العلوم والفهوم ألا وهو الإمام أحمد بن حنبل صاحب المسند، وأحد المذاهب الأربعة[525]، فألحت عليه في إكرامه، ثم هيأت له العشاء لتشاهد تلك الأسرار المتجلية فيه، والمحيطة به، وصارت تترقب قدومه، لتخبر دعوى والدها فيه.

فلما دخل الابن الروحي للإمام إلى المنزل، قدم له الشيخ الطعام فأكل أكلا كثيراً، ثم استلقى على قفاه من العشاء إلى الصبح، ثم قام فصلى الصبح بدون وضوء.

فلما خرج من منزل الشيخ جاءت البنت إلى والدها الإمام وأخبرته بأن ولده الروحي قد فعل ثلاثة أشياء مخالفة للشرع :

الأولى أنه أكل كثيراً، والنبي ﷺ يقول : (حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صلبه، فإن كان ولابد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه)[526]، وهذا أكل كثيراً، ثم استلقى على قفاه، ثم قام وصلى الصبح بدون وضوء.

فسأله الشيخ عن هذه التصرفات، فأخبره بأنه أكل كثيراً ليدخل السرور على شيخه، ومن أكل طعام أخيه ليسره لن يضره، أما صلاته بدون وضوء، فإنه صلى الصبح بوضوء العشاء، وكثيراً ما كان يفعل ذلك الصحابة والتابعون.

أما استلقاؤه على قفاه، فإنه كان يستنبط من الحديث المذكور (يا أبا عمير ماذا فعل التغير)، فاستنبط منه سبعين مسألة من العلم إلى أن طلع الفجر، فقام وصلى الصبح بوضوء العشاء.

---

(525) ومع ذلك كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول للإمام أحمد إذا صح عندك حديث فأخبرني به حتى أعمل به، فكان الإمام الشافعي يتعلم منه الحديث وكان الإمام أحمد يتعلم منه كيفية الاجتهاد، وفيهما قيل :

قالوا يزورك أحمد وتزوره ... قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني فبفضله أوزرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

(526) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة، وانظر الحديث السابع والأربعين (47) من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي رحمه الله.

هكذا كان الأئمة الأعلام، والقادة الفخام لهذه الملة السمحة، فرضي الله عن جميعهم، وجعلنا على أثرهم، والثابتين على عهودهم، فكان الشيخ يرشدنا، ويعلمنا بأقواله، وإشاراته حتى اندبغ ذلك في أديمنا، وصار خلقاً لنا، (فصادف قلباً خالياً فتمكنا)، فهذه نقطة من بحره المتدفق على هذه الأمة المحمدية، يعمل من أجلها في جميع الأوقات حضراً، وسفراً، حتى غدّى الأرواح، مع النفوس فتعلمت واهتدت بهديه، واسترشدت برشده، وتمسكت بسنته.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

وقد قال إمام النحويين ابن مالك في التسهيل :

وإذا كانت العلوم منحاً إلاهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يؤخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين[527].

ثم زاد الأستاذ إبراهيم بن محمد الكتاني رحمه الله منوها بفضل الشيخ في هذا المقام قائلا :

ومن العجائب الكونية، والعجائب جمة أننا جلسنا في يوم من الأيام الفاضلة عندنا للدرس.

فابتدأ السارد قوله ﷺ : (أيما إهاب دبغ فقد طهر)[528].

ثم شرع الشيخ في إلقاء درسه فرأينا أنواراً قدسية نازلة عليه، فانغمرنا فيها جميعاً فبقي يلقي علينا من تلك الأنوار الحمدانية أسبوعاً كاملا، فقرر المذاهب الأربعة، ولكل واحد حجته، وما انبنى عليها، ثم أدخل الجزئيات تحت الكليات، ثم منحنا بما فتح الله عليه من تلك العلوم الخارقة للعادة في هذا الحديث الذي قلّت ألفاظه وكثرت معانيه.

ولازلنا سابحين فيها إلى الآن وحتى الآن.... إذ صور لنا عظمة النبي الأمي صلوات الله، وسلامه عليه في هذا الحديث بما لم يخطر على بال، وبالمعجزات الخارقة للعادة في العقل الإنساني الذي بلغ من السمو والعلو والرفعة أعلى درجات الكمال.

---

(527) ترجمة الأستاذ إبراهيم بن محمد الكتاني شيخ الطريقة الأحمدية الكتانية، مرقونة على الآلة الكاتبة، ص 2 وما يليها.

(528) رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي وغيرهم.

وكل يوم يظهر علينا بعلوم غزار نغيب في حقائقها كأننا سكارى من المعرفة العلمية فيخرج لنا الحقائق الفكرية من البحوثات الحديثية حتى تتجلى لنا عظمة الرسول، وفضله على الإنسانية جمعاء.

فقد جمع الله (في الشيخ) ما تفرق في غيره، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾[529].

وصف ومشاهدة للشيخ في درسه الحديثي للأستاذ الجزولي :

جاء في كتابه ذكريات من ربيع الحياة :

كنت لبثت بالعرائش مدة طويلة، ولما رجعت للرباط أوائل 1919 أدهشني ما وجدته قد حدث فيه من تغيير وتطوير.

وكانت أعظم ظاهرة أدهشتني فيه وأثارت اهتمامي، وأوقفتني موقف الذهول والانتباه مجالس العالم العلامة الحافظ المحدث المفسر المؤثر البليغ المبدع الشيخ أبي شعيب الدكالي في الزاوية الناصرية، فإنني لما حضرت أول مجلس واستمعت إلى ما يلقى وكيف يلقى، سحرت ودهشت وارتبطت بذلك المجلس ارتباطا لا انفصام له، وتالله لقد كنت استطول النهار كما يستطوله الصائم في الصيف، تشوقا إلى وصول وقت الدرس لنستمتع بما لم نستمتع به من أي شيخ حضرنا مجالسهم من قبل، لما كنا نجده عنده من تغذية للنفس وتصفية للروح، وتوجيه للنافع المفيد، وكشف عن مواقف التضليل والزلق مع النكتة البارعة...

ولم يكن ذلك المجلس من سنة 1919 أول مرة عرفت فيها الشيخ أبا شعيب الدكالي، كلا ! فإنه في سنة 1332 - 1913 وقبل سفري للعرائش لقيني الأخ الأحب الصفي الصديق الشاعر المتدفق سيدي محمد بن اليمني الناصري نزيل المدينة المنورة الآن، وأفضى إلي أن اتبعني للزاوية الناصرية مصحوبا بالجزء الأول من الصحيح، فقلت له ماذا ؟ فأجاب سوف ترى ! فلما وصلت للزاوية وجدت جماعة من الطلبة محلقين في اتجاه القبلة، فاتخذت مجلسا بينهم وبعد لحظة أقبل علينا رجل أسمر اللون مهاب الطلعة، مشتملا كساء يجر بعضه، وبيده سبحة، وصحبته الوجيه المرحوم السيد محمد لمريني.

---

(529) ترجمة الأستاذ إبراهيم بن محمد الكتاني، ص 5، المرجع السابق.

فسلم الرجل وتصدر الحلقة، ثم ابتدر يقول : بسم الله الرحمان الرحيم إن أصدق الحديث كتاب الله.. إلخ، ثم أخذ يملي بصوت رفيع جهير وبمنطق عربي فصيح متدفق بدون توقف ولا تكلف مكي اللهجة، مغربي المخارج، كله حلاوة وعذوبة اختلط منطقه بما ينطق به من تفسير وتعليق حول حديث إنما الأعمال بالنيات وحول سنده ورجاله وما لهم وما عليهم.. إلخ وإني لأفتري إن قلت إنني حصلت على شيء مما أملاه وحدَّث به في ذلك المجلس، من روعة الإملاء وسرعة التحديث وقوة المنطق وعذوبة اللفظ وجلال الموقف، ثم أذنت المغرب وأقيمت الصلاة، وأمَّ بالناس، ثم خرج.

فالتفت للناصري وقلت : من الشيخ ؟ قال : ذاك أبو شعيب الدكالي، شيخ المسلمين في الحديث، قد أتى مؤخرا من الحجاز، فقلت ومتى موعد المجلس الآتي؟ فقال هيهات، إنه على سفر غدا إلى مراكش حيث عين في منصب هناك، فقلت له : وهل لهذا الرجل منصب غير الذي كان فيه منذ هنيهة ؟ فقال لي : نعم ! ولكن عين السياسة حولاء.

والآن وقد جلست أمامه بالزاوية الناصرية، بعد سبعة أعوام من الجلسة الأولى، فماذا وجدت ؟ النهر المتدفق لازال هو هو ! والسحاب المنهمر لازالت عزالية تصب صبا، بيد أن لهجته الشرقية قد تأقلمت بعض الشيء، وإن كان نطقه لازال هو هو بسحره وجاذبيته[530].

كلمات وقصائد بمناسبة الختمات الحديثية للشيخ :

بمناسبة ختم الشيخ لصحيح الإمام البخاري بتاريخ 4 جمادى الأولى عام 1338هـ / 1919م بالمجلس الأعظم بالرباط، اندفع الشعراء والأدباء بهذه المدينة في إبراز خصال الشيخ العلمية والإشادة بجهوده في هذا المجال ولاسيما في إحياء السنة النبوية، وإشاعة النور النبوي في الآفاق، وتقرير الحديث النبوي في النفوس.

ونسوق كلمة الشاعر الأديب محمد الجزولي في هذا المقام، نظرا لحضوره هذا الحفل البهيج، حفل خَتْمِ صحيح الإمام البخاري للشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله، ومساهمته الشعرية في هذا الصدد حيث قال :

---

(530) ذكريات من ربيع الحياة، ص 27 وما يليها، للأستاذ محمد الجزولي، المرجع السابق.

وحينما ختم الشيخ رحمه الله دراسة الصحيح قرر أن تكون خاتمة الدروس بالمسجد الأعظم وقد حضره جمع غفير من الرباط وسلا ومن أقطار المغرب، وارتقى الشيخ المنبر بإزاء المحراب، وجلست والأخ ابن اليمني الناصري أمام المنبر، وبعد انتهاء الدرس تقدم الأخ الناصري بإلقاء قصيدته ومطلعها :

(حب الحنيفية السمحاء من شيمي)[531].

وبعد أن ابتدأ قصيدته بألوان من اصطلاحات الحديث تتضمن معاني أدبية مناسبة للموضوع مما يدل على حسن الاستهلال، تخلص إلى ذكر بعض العادات السيئة التي كانت معروفة في المغرب في ذلك العهد، مما كان ينبه عليه الشيخ في دروسه التفت إلى ذكر الشيخ قائلا :

أما اتعظتم وشيخ العصر حافظه	رب الوزارة حامي الدين من وصم
يجلو حقيقتها في الله ناصعة	على منصة تبيان بلا سأم
ولم يزل بسيوف الحق ينصرها	نصرا به غيره في الناس لم يقم
حتى اهتدى كل سار في الظلال إلى	سنا هداها اهتداء الركب بالعلم
وكيف لا وهو في سحر البيان لدى	شرح الحقائق غير المفرد العلم
وكيف لا وهو شمس الدين ناصره	وركن بيت العلى والمجد والهمم
سمير علم وأسرار مقدسة	من الشريعة تستولي على الفهم
لاحت على وجهه آثار خدمته	لسنة المصطفى في الحل والحرم
فالنور مقتبس من نور طلعته	والعلم ملتمس من نطقه الشيم
شيخ إذا سابق النظار لم يصلوا	لشأوه في الذكاء والحفظ والفهم
شيخ تسامى إلى الاملاء وهو فتى	فنال من كل علم أوفر القسم
شيخ يفيض نداه قال قاصده:	أكرم بأكرم مطبوع على الكرم
سعى لنيل العلى والفضل مجتهدا	حتى غدا في الأعالي حامل الحكم
سل على نفائسه درس الصحيح تجد	لطائفا زانها التحرير لم ترم
درس غريب ولكن في محاسن قد	قادت له زمر الاعلام بالخطم
وأصبحت سائر الطلاب سائرة	به لصوب صواب واضح اللقم

(531) سنثبت هذه القصيدة كلها ضمن سجل القصائد التي قيلت في حياة الشيخ إن شاء الله.

وكـيـف يـغشـى ضـلال مـن يـقـلـده | وهـو الـذي حـولـه الأهـواء لم تَـحُـمِ
لا غـرو إن قـام ثـغـر الـفـتـح مبتسما | يـجـر ذيـل فـخـار غير مـنـخـرم
وذا الإمـام شـعـيـب قـد تـخيره | مـأوى بـه يـفـتـح الاسـمـاع مـن صمم
اقـرأ الـصـحـيـح بـه بـدءا لمختـتـم | يـا طـيـب مـبـتـدا مـنـه ومختـتـم
ذاك الصحيح الذي فاق الصحاح على | ولم يـعـبـه بـعـيـب قـول مـتـهـم
حـدّث بـه يـا أخـا الـعـلـيـاء إن بـه | تـزاح عـنـا غـيـوم الجهل والـغـمـم
فـلـيـهـن سـيـدنـا اخـتـتـامـه فـلـقـد | وافـى بسـعـد ويمن غير مـنـصـرم
وأقـبـلـت مـعـه الأفـراح سـافـرة | مـن بـعـد إدبـارهـا عـن وجـه مـلـتـثـم
وصـافـحـت مسلـمـي الـدنـيـا يدا ليد | وعـاهـدتـهـم فـيـا سـعـدي فـمـا لـفـم
فـخـذ بـأيـديـهـم يـا رب قـاطـبـة | لشـامـخ الـعـز والـتـمـكين والـعـظـم
واحـفـظـهـم في شعيب فهو منقذهم | بـحسـن إرشـاده مـن زلـة الـقـدم
مـا قـال ذو شـغـف بـالحق مـفـتـخـرا: | حب الحنيـفـيـة السمحاء من شيمي

وبعد أن أنهى الشاعر الأديب محمد بن اليمني الناصري قصيدته الراقية الرائعة تلاه الشاعر محمد الجزولي كما ذكر آنفا، حيث أدلى بقصيدة عصماء عنوانها «ذكرى البخاري»[532].

أورد فيها حياة الإمام البخاري في صباه، ومستعرضاً رحلته في طلب الحديث وحفظه، وما حصل له في كل ذلك من أخبار، وختم بإهداء ما ورد في هذه الذكرى العطرة الجليلة إلى شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي موجهاً إليه الخطاب بقوله :

إلـيـك يـا عـالم الـدنـيـا وحـافـظـهـا | ذكـرى الـبـخـاري كغض الـورد أهديها
وهـل سـواكـم بـهـا مـنك أحـق وقـد | قـلـدت أعـنـاقـنـا أبـهـى لـئـالـيـهـا
صـيرت عـاطـلـهـا مـن كـنـز عـلـمـكـم | بـكـل لـؤلـؤة كـالـشـمـس حـالـيـهـا
هصـرت فـيـنـا غصـون الـعـلـم زاهـرة | تـدني أزاهـرهـا مـن كـف جـانـيـهـا
بـكل أنـف شـذا مـن عـطـر نـفـحـتـهـا | بـكـل ثـغـر رضـاب مـن دوالـيـهـا
درست فـيـنـا عـلـومـا درس مـقـتـدر | تجلـوا غـوامضـهـا جـهـرا وتـفـريـهـا
تـفـري كـلاهـا بمثل السيف منصلتا | مـاض يـقـد الـصـفـا طـولا ويبريـهـا

(532) سنثبتها إن شاء الله ضمن سجل القصائد التي قيلت في الشيخ في حياته.

جلوتها كالدمى قد طالما احتجبت ... منها المحاسن عن عيني محبيها
شيدت آثارها من بعد ما اندثرت ... وصحت في وجه من يبغي تلاشيها
هذا البخاري فمن قلا خاض لجته ... من قبل أو كان يمشي حذو شاطيها
حتى أتيت كما تأتي الولاة إلى ... ولاية طالما اشتاقت لواليها
فصرت تنشر آيات الحديث على ... اسماع طائعها جهرا وعاصيها
تصيح فيهم بآيات الزواجر من ... آي البخاري كقصف الرعد تلقيها
طورا وطورا بآيات الرجاء كما ... ياتي الحيا بعد ياس الجذب تحييها
تجري بها خببا كالسيل منحدرا ... كما تشا وقعها في النفس تلقيها
بكل لفظ يحاكي الدر منتثرا ... من جيد غيداء لطت في ملاهيها
أو روضة بللتها السحب واتشحت ... أغصانها من سجوف النور ضافيها
قد وشع النهر باللجين سافلها ... ورصع الطل بالألماس عاليها
نظمت من زهرها ذكرى اقدمها ... للشيخ في الختم إعظاما وتنويها
عسى أقوم ببعض الواجبات له ... هيهات من ذا الذي بالقول يوفيها
أبا شعيب وهل في العرب من أحد ... يجزي أياديك الحسنى ويرضيها
اللّه يجزيك عنها وهو مانحها ... وليس يجزيك عنها غير مؤتيها
حسب الجزولي إذاً منك القبول بها ... عذراء تغضي حياء من محبيها
فاقبل بكف الرضى منه هديته ... إن الهدايا على مقدار مهديها[533]

وفي آخر هذه القصيدة ذكر قائلا :

هذا ما أسهمت به في الاعتراف بما أسداه هذا الشيخ الجليل لهذه الأمة من تعليم وتهذيب وإيقاظ ودفع بها إلى الأمام وتطهيرها من البدع والخرافات.

---

(533) سنورد هذه القصيدة بتمامها ضمن سجل القصائد التي قيلت في حياة الشيخ، وانظر ذكريات من ربيع الحياة، ص 46 وما يليها.

وهناك قصيدة أخرى للشاعر محمد الجزولي تشيد بجهود الشيخ العلمية والاصلاحية بوجه عام جاء في التمهيد لها :

وبعد حضوري بضعة مجالس أمام ذلك الشيخ الجليل، وتأثري بما يمليه، وتغلغله في شغاف القلب، وجهت لجنابه هذه القصيدة التي أملاها الاعجاب والتقدير، ومطلع القصيدة هي :

عظيم لا يماثله عظيم ... وفرد في الجلالة قد تناها
مشى نحو المعارف وهو طفل ... وشب وشاب ليس له سواها

انظر المرجع السابق، ص 30 وما يليها، وسنوردها كلها ضمن سجل القصائد.

ولاشك أن ذلك الشعر الصادر من أعماق الفؤاد يعرب عما تلقيته من هاتيك الدروس من نشوة الروح وشفوف العقل ولذة الفكر.

فرحم الله أبا شعيب وجزاه عنا أحسن الجزاء.

كتب حديثية أخرى ختمها الشيخ بالرباط :

بالإضافة إلى ما درسه الشيخ من كتب السنة ومنها صحيح الإمام البخاري، فإنه قام بتدريس وختم الكتب الحديثية الأخرى التالية :

1) موطأ الإمام مالك رضي الله عنه[534] :

حيث درسه بالمسجد الأعظم بالرباط أول النهار[535].

2) مسند الإمام أحمد بن حنبل[536].

3) صحيح الإمام مسلم :

ذكر الشيخ محمد بن عبد السلام السائح قائلا :

أخبرني شيخنا القاضي أبو حامد البطاوري أنه حضر دروس الشيخ لصحيح مسلم بالقصر السلطاني، وذكر من إتقانه لمقدمة مسلم على صعوبتها ما بهره.

يقول الشيخ بن عبد السلام السائح :

وقد حضرت عليه (يقصد الشيخ شعيبا الدكالي) بعض صحيح مسلم، ودرست عليه تلك المقدمة ورأيت من أماليه عليها، وقوة ملكه في إجادة شرحها ما يعز مناله[537].

---

(534) قال فيه الإمام الشافعي : (ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك) مقدمة تحفة الأحوذي، ص 173، دار الفكر.

وقال أبو بكر بن العربي : (هذا أول كتاب ألف في شرائع الاسلام وهو آخره، لأنه لم يؤلف مثله)، مقدمة التحفة، ص 174، المرجع السابق.

والموطأ كتاب حديث وفقه، ومصدر لأقوال الصحابة والتابعين، ولعمل أهل المدينة، ولفتاوي الإمام مالك رضي الله عنه نفسه.

(535) المحدث الحافظ، ص 91، المرجع السابق.

(536) قال فيه ابن حجر العسقلاني : (تصنيف عظيم تلقته الأمة بالقبول والتكريم)، انظر مقدمة التحفة، ص 184.

والشيخ بهمته العالية كان ممن درسه بالرباط.

وكان ممن حضره دروسه في المسند الشيخ المحدث عبد الحفيظ الفاسي.

انظر معجم الشيوخ، ج 2، ص 143 وما يليها.

(537) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح، ص 97 وما يليها، للأستاذ عبد الله الجراري، المرجع السابق.

وطريقة تدريس هذا الكتاب الجليل للشيخ هي ما أوردناه في كيفية تدريس الشيخ لعلم الحديث عامة مما أوردناه من قبل.

4) جامع أبي عيسى الترمذي :

حيث درسه بالمسجد الأعظم بالرباط.

5) سنن أبي داود السجستاني :

حيث درسه بالمسجد الأعظم بالرباط.

6) سنن النسائي :

درسه بالمسجد الأعظم بالرباط.

7) سنن ابن ماجة :

درسها الشيخ على غرار ما درسه من كتب السنة الأخرى شرحاً، وتحليلا، وتصحيحاً، وتحسينا، وتضعيفاً إلى نهاية الختم.

وفي هذا الصدد يقول الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله :

ولا أنسى ليلة الختم الذي كان بالزاوية الناصرية، والذي حضره ليس فقط علماء العدوتين «الرباط وسلا» بل شد الرحلة لحضوره جمهور من علماء المغرب.

وبعد انتهاء الشيخ من الختم انبرى شاعر الحماسة الأستاذ الغيور المرحوم الحاج محمد بن اليمني الناصري، وذلك بتاريخ 9 رجب عام 1344 - 1925 بقصيدة نورد مقتطفات منها لنثبتها كلها ضمن القصائد التي قيلت في حياة الشيخ.

فمن ذلك ما يلي :

أسفر الحق عن صفاء الزجاجة	من معاني الحقيقة الوهاجة
فغدت السن الهداة باظها	رسناها وحسنها لَهَّاجَهْ
وتجارت أقلامهم بميادين	ـن، طروس الهدى تود انتهاجهْ
وتجلت فوق المنابر تجلو	بمُجَلّي بيانها مِنْهَاجَهْ
فبدا مشرق الجبين لمرء	قد رأى حسنه البديع فهاجه
فغدا ينشر المحاسن منه	ليُرَى في سلك الأعالي اندماجه

فأبو مدين الإمام الذي دا | ن بنشر الهدى ونفي السماجه
لم يزل يقرئ الحديث كتابا | فكتابا إلى تمام ابن ماجه
وتولى مرضى النفوس بطب | يسلك المرشد النصوح فجاجه
فشفاها من الضلال بشهد | من بيانٍ تهوى النفوس مجاجه
وأقيموا مجد الجدود بجدٍّ | فوق حصن، بَنَى شُعَيْبٌ، رِتَاجَه
كل من يقتفي سبيل رضاه | رصع اللّه بالكرائم تاجه
ثروة العلم بالشجاعة تغني | أنفسا لم تزل لها محتاجه
نسج الفضل حلّة يرتديها | وكمالا تسدي العلى منساجه
ملك الحس والمشاعر منا | بتقارير السَّنَا نَسَّاجه
إن تصدى يوما لتحرير فنٍّ | لم يدع في النفوس واللّه حاجه
شأن كل امرئ نصوح تحرى | نصح من أمَّهُ يَؤُمُّ علاجه
راية العلم صفقت عند ذا الختـ | ـم فَجَلَّت عن الضمير اختلاجه

ثم ألقى من بعده الأديب الوعية محمد المكي الناصري قصيدة نورد منها ما يلي :

اللّه لا يرضى لأمة أحمد | إلا طرائق العلى والسؤدد
هذا كتاب اللّه مصباح الهدى | لا نستضيء به إذا لم يوقد
فانظر لمغربنا الضعيف فاهله | نار الجهالة بينهم لم تخمد
لكنها ضعفت بما أبديته | يا خير شيخ بيننا ومجدد
إذ قمت تنشر بيتا أنواره | وبغير سيف الحق لم تتقلد
فقرأت تفسير الكتاب موشحا | بحديث خير المرسلين محمد
وبدأت ذلك في صحيح محمد | وختمته بابن اليزيد محمد
قررته تقرير حبر حافظ | سنن النبي بلى واكبر مسند
أبرزت فيه بلاغة ما نالها | قس ولا سحبان عند المشهد
ادركت في الميدان تبريزا به | فخرجت أفضل سيد ومسود
أظهرت للناس الحقيقة جهرة | لم تخش في دعواك قول مفند
وحللت في وسط القلوب تمدها | بالعلم والأثر الصحيح المسند
فلقد أقامك ربنا والاهنا | في مقعد ما فوقه من مقعد

فلتحي فينا يا شعيب مجددا   دين الإلاه وفيه جاهد واجهد[538]

وقد تم تدريس أغلب الكتب الحديثية المذكورة مع ختمها بالمسجد الأعظم، والزاوية الناصرية بالرباط.

وقام الشيخ بإجازة عدة تلاميذ على رأسهم الأستاذ العلامة محمد المدني بن الحسني، والأستاذ الواعية عبد الله الجراري[539].

ب - تدريس الشيخ لعلم الحديث بمدينة فاس :

مدينة فاس مدينة أسست على العلم والصلاح منذ عهد بعيد حين أسسها المولى إدريس الثاني رضي الله عنه عام 192هـ.

وكان جامع القرويين تاجاً لهذه المدينة الأصيلة، أسسته السيدة الفاضلة النبيلة فاطمة أم المومنين رضي الله عنها عام 245هـ[540]، ومنذ ذلك التاريخ الزاهر، تسلسلت العلوم من كل فن في رحاب ذلك الجامع المبارك.

وحين ورد الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله على هذه المدينة العامرة، وأخذ يلقي دروسه العلمية، ولاسيما الحديثية، عرف علماء فاس، وطلبته النابهون قدر الشيخ في هذا الشأن، فأقبلوا عليه، وتلقوه بالبشر والترحاب.

وكانت مدينة فاس أول أرض توجه إليها الشيخ بعد عودته من المشرق في عهد المولى عبد الحفيظ الذي هيأ له سكنا ومقاما يليق بمكانة الشيخ.

وحظي جامع القرويين بأول درس ألقاه الشيخ بين أساطينه، فكان يومها درساً مشهوداً آنذاك.

يقول العالم المؤرخ عبد الله الجراري هنا :

كانت دروسه الحديثية في فاس نموذجاً حياً دل على طاقة علمية نادرة، واطلاع واسع، وندر من علماء فاس وقتئذ من لم يحضرها، على أنه لم يخل بلد من بلدان المغرب لم يمل فيه دروسه بل وحتى في المشرق[541].

(538) ساق هذه القصيدة الأستاذ عبد الله الجراري ضمن «المحدث الحافظ»، ص 89 وما يليها وسنثبتها كاملة ضمن القصائد التي قيلت في الشيخ.

(539) سنشير إلى نماذج من هذه الإجازات ضمن آثار الشيخ.

(540) انظر في ذلك جامع القرويين في ثلاثة أجزاء للدكتور عبد الهادي التازي.

(541) من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 271، المرجع السابق.

الكتب الحديثية التي درسها الشيخ وأماكنها بمدينة فاس :

جاء في ترجمة الحاج أحمد بنشقرون رحمه الله عن كبار علماء جامعة القرويين أن الشيخ :

- كان يدرس صحيح البخاري بين العشائين في **جامع القرويين**.
- ويدرس سنن الترمذي **بضريح سيدي أحمد الشاوي**.
- ويدرس موطأ الإمام مالك **بالضريح الإدريسي**.

وكان إذا شرع في تفسير حديث نبوي شريف يلقي فيه ما لا يحصى من المعارف، والاستنتاجات، والاستنباطات بعد الإفاضة في تراجم الرواة، الأمر الذي يقتضي عدة مجالس يأتي فيها بالعجب العجاب الباهر المنخول الذي يعد في صميم المعارف من لباب اللباب.

وكان محفوظه من المتون، والأحاديث الصحيحة، والنقول الفقهية، والنصوص الأدبية، والتراجم، وأشعار فحول الشعراء في مختلف العصور، ما لا يتيسر لغير الموهوبين، المحفوفين بالعناية الربانية، وكان علماء القرويين يتسابقون على الحضور لدروسه رغبة في الاقتباس من مشكاة نوره المحمدي.

وكان معقوله، ومنقوله مما ترتاح له النفوس وتبتهج به العقول وتنشرح له الصدور.

حتى إن أبهاء القرويين ورحابها تغص بالحاضرين في دروسه الزاخرة بأنواع المعارف التي تغذي جميع الطائفين به والمشرئبين إليه، والملتفين حوله في خشوع، ومحبة، وهيبة ووقار.

وكان الشيخ رحمه الله، العلَم المفرد الذي يشار إليه بالبنان في حل المشكلات، وإيضاح المعضلات في مجلس المولى عبد الحفيظ بالبطحاء، وفيه ختم تفسير الإمام ابن عطية[542].

الذين كانوا يسردون الحديث بين يدي الشيخ بفاس :

وممن كانوا يسردون له تلامذته الآتية أسماؤهم :

- العالم الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي.

---

(542) ترجمة خاصة للشيخ للحاج أحمد بن شقرون.

- العالم مولاي أحمد الشبيهي حيث ختم عليه ستة أجزاء من القسطلاني، وأجازه في الكتب الست والشمائل المحمدية.

- العالم النوازلي عبد الهادي بن محمد بن عبد القادر بن سودة.
- القاضي العربي أكومي.
- سيدي محمد بن الحسن بن سودة.

التلاميذ الذين كانوا يحضرون دروس الشيخ الحديثية بفاس.

من هؤلاء الأعلام الذين تلقوا دروس الحديث عن الشيخ بمساجد فاس ما يلي :

- سيدي محمد أفيلال التطواني.
- محمد داود عالم تطوان ومؤرخها.
- سيدي محمد العبادي.
- سيدي الصديق الفاسي.
- سيدي العابد الفاسي.
- سيدي العباس بناني.
- سيدي عبد الرحمان الشفشاوني.
- سيدي عبد الرحمان الغريسي.
- العالم المجاهد سيدي علال الفاسي.
- سيدي الجواد الصقلي.
- سيدي محمد بن العربي العلوي.
- سيدي محمد بن عبد الرحمان العراقي.
- مولاي العباس الأمراني.
- سيدي أبو الشتاء الصنهاجي.
- سيدي محمد بنونة.

- سيدي الحسين بن البشير.
- سيدي محمد العربي الخطيب.
- سيدي العربي الشامي.
- سيدي محمد بوطالب.
- مولاي التقي العلوي.
- سيدي الحبيب المهاجي.
- سيدي عبد العزيز بن الخياط.
- مولاي عبد الواحد العلوي.
- سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي.
- سيدي عبد الكريم القصري.
- مولاي محمد العلوي.
- سيدي محمد بن عبد الكبير بن الحاج السلمي.
- سيدي محمد بن عثمان الشامي.
- سيدي محمد الطاهري.
- مولاي أحمد النميشي.
- سيدي أحمد أبو حسين الطنجي.
- سيدي أحمد العمراوي الفاسي.
- سيدي الحسن بن عبد الوهاب التطواني.
- سيدي رشيد الدرقاوي.
- سيدي الطائع بن الحاج السلمي.
- سيدي محمد التطواني السلوي.
- سيدي محمد الصنهاجي.

- سيدي محمد (فتحا) ابن سودة المري.

- سيدي محمد بن سعيد المكناسي.

- سيدي محمد أقصبي.

- سيدي علي الذهبي.

- سيدي أبو الشتاء الجامعي.

- سيدي محمد بن الحسن بن سودة.

الذين أجازهم الشيخ بفاس :

لقد حظي من هؤلاء الأعلام المذكورين ومن غيرهم بفاس بإجازة الشيخ وهم :

- مولاي أحمد الشبيهي.

- سيدي علال الفاسي الزعيم.

- مولاي أحمد النميشي.

- سيدي إدريس بن خضراء.

- سيدي عبد الله بن الصديق.

- سيدي محمد بن الحسن بن سودة.

ج - تدريس الشيخ لعلم الحديث بمدينة مراكش :

مدينة مراكش مدينة عريقة في المجد والأصالة منذ أن أسسها الخليفة العادل الزاهد يوسف بن تاشفين رحمه الله.

وكان جامع علي بن يوسف مناراً للعلم والعرفان لهذه المدينة، حيث كان ومايزال مركزاً علمياً أنجب طائفة من العلماء والأعلام.

وترجع علاقة الشيخ أبو شعيب الدكالي بمدينة مراكش منذ صغر سنه حين امتحن أمام السلطان الجليل مولاي الحسن الأول رحمه الله كما هو معلوم.

ثم حين رجع من المشرق عينه السلطان المولى عبد الحفيظ في أول الأمر قاضياً بها إلى أن تنازل المولى عبد الحفيظ عن العرش إبان عهد الحماية، وبعدها تولى الشيخ منصب وزارة العدل والمعارف وغيرها من الوظائف.

وبالرغم من هذه الأعباء والمهام، لم يقطع صلته بالتدريس، ونشر العلم، ولاسيما في رحاب مدينة مراكش، ومساجدها منها مسجد الكتبية، ومسجد المواسين، وجامع ابن يوسف.

وكان مسجد المواسين، وجامع ابن يوسف من المساجد التي حظيت بكثرة دروس الشيخ بها.

وفيما يتعلق بتدريس الشيخ لعلم الحديث بمدينة مراكش نسوق شهادتين في الموضوع، إحداهما لعالم سوس تلميذ الشيخ ألا هو محمد المختار السوسي، والأخرى للفقيه الحسين المسفيوي وهو من تلاميذ الشيخ أيضاً

أ - شهادة عالم سوس محمد المختار السوسي :

قال رحمه الله يصف درساً من دروس الشيخ الحديثية من صحيح البخاري في مسجد المواسين في مراكش من شهر ربيع الثاني عام 1342هـ وقد دخل إلى المسجد.

كان أول ما طرق أذني في تلك الساعة أنني سمعته يقرر في حديث الهدي حين ساق البدنة المشعرة سائق فقال له رسول الله ﷺ اركبها فقال إنها هدي، فكرر عليه، فقال له ثالثا اركبها ويحك، فأفاض الشيخ في ذلك الحديث وهو يتدفق ويطفح أدلة وحججا، فكان مما قال إن الهدي عند المالكية منهي عن ركوبه، وهذا الحديث وارد عليهم وقد مال إليه فخر المالكية ابن العربي المعافري قال إن ركوبه وإن كرهه مالك فلسنا له بمالك، ونقول به متتبعين محمدا بن عبد الله، وإن لم يقل به أبو عبد الله يعني مالكا، كل ذلك بعبارة عربية مبينة حلوة تسيل من فيه سيلانا مطردا بلا تكلف، فأخذت والله على قلبي حتى أحسست إذ ذاك بأنني أقع على كنز ثمين لم أقع له على نظير في كل ما مضى من حياتي.

ثم لما استرسل في الدرس وهو يخب ويضع وينص بتقرير يموج موج البحر الخضم، وصل لفظة أشهد، فقال : إن هذه الكلمة تأتي في لسان العرب بمعنى حضر، قال الله تعالى : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ وبمعنى أقرّ، ومنه قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يقول ذلك والمؤذن يؤذن العشاء، فكانت خير مصادفة، ومر هكذا في الدرس فما شئت من لغويات ونحويات

وبيانات وأصوليات وفقهيات وتواريخ وآداب وتراجم الرجال المذكورين في الدرس، وهو من الألفية والمتون الصغرى النحوية، ومن المختصر والتحفة والزقاقية ومن التلخيص ومن جمع الجوامع ومن أشعار العرب ما يحتاج إليه للاستشهاد، فقلت أهذا هو الشيخ شعيب الذي نسمع بذكره ؟ وهل هذا هو الذي يحمل عارفيه حتى يجمعوا على أنه فريد العصر ومفخرة الدهر والضالة المنشودة، ثم استمر الدرس أكثر من ساعة، ولم يقم المختار منه حتى وضع الشيخ شعيب في صدره بيده المباركة بذرة صالحة يعهدها بعد ذلك بالسقي حتى آتت بعض أكلها[543].

ب - شهادة الفقيه الحسين المسفيوي :

يصف أحد تلامذته الفقيه الحسين المسفيوي درس الشيخ أبي شعيب الدكالي حين قدم مراكش عام 1321هـ، قائلا :

«فافتتح في مسجد الشرفاء بالمواسين موطأ إمامنا مالك إمام الأئمة فجلس على كرسي منصوب له تعظيما لعلمه، وللأحاديث النبوية، تعلوه هيبة ووقار، ويلوح عليه جمال وأنوار، يحضر مجلسه عدد كثير من الناس من بينهم المدرسون وذوو الحيثيات من سائر الطبقات، يلقى من أحاديث بقية الكتب الستة زيادة على أحاديث الموطأ العجب العجاب، يتحير في حفظه وحسن تعبيره وفصاحته واستحضاره أولو الألباب يستنبط استنباطات مستعذبة، ويبدي منها نكتا مستغربة ومستبدعة، يستدل بها على ما في الشيخ خليل رحمه الله وغيره من الأحكام بعدما يأتي بنصه لكونه من جملة محفوظاته، كما يستدل كثيرا بقصائد العرب العرباء وغيرهم عند احتياجه للاستدلال بها، لحفظه كثيرا منها يعلمه من حضر تدريسه، ويعارض بالمذاهب الأربعة، ويستشكل فيها فيجيب عن كل معارضة وإشكال بأجوبة يعرفها من ألقى السمع، كما أنه إذا تعرض لقراءة من القراءات أو تفسير آية من الآيات يبدي ويعيد، ويوضح ويفيد، مجلسه في كل العلوم لا في خصوص علم الحديث والتفسير مجلس إجادة وإفادة، يزدحم عليه كل الطبقات على اختلافها، وكل ينال من علومه على قدر فهمه وذكائه[544].

---

(543) ترجمة الشيخ ضمن مشيخة الإلغيين.

(544) المحدث الحافظ، ص 130 وما يليها للأستاذ عبد الله الجراري، المرجع السابق.

ومن الكتب الحديثية التي درسها الشيخ بمدينة مراكش :

- صحيح الإمام البخاري.
- كتاب الموطأ للإمام مالك.
- بهجة النفوس شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة.

ومن التلاميذ الذين كانوا يحضرون دروسه الحديثية :

هؤلاء التلاميذ العلماء الأعلام :

- خليل الورزازي.
- الرحالي الفاروق.
- محمد المختار السوسي.
- محمد بن عبد الرازق.
- عبد الرحمان الدكالي.
- عبد الكبير الزمراني.
- الحسين المسفيوي.
- محمد بن عثمان المسفيوي.
- أحمد اكَرام.
- محمد بن عبد القادر مسو.
- عبد الوهاب الصحراوي.

ومن الذين أجازهم الشيخ :

من هؤلاء العلماء، ما يلي :

- خليل الورزازي.
- الرحالي الفاروق.

رابعا - تدريس الشيخ لعلوم أخرى مختلفة :

بالإضافة إلى ما درسه الشيخ مما سبق ذكره، فقد قام رحمه الله بتلقين علوم أخرى وهي كالتالي :

أ - مصطلح علم الحديث :

وهو علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن، من صحة وحسن وضعف وعلو ونزول، وكيفية التحمل والآداء، وصفات الرجال وغير ذلك.

وأول من ألف فيه القاضي أبو محمد الرامهرموزي في كتابه «المحدث الفاصل»، ثم الخطيب البغدادي في كتابه «الكفاية»، ثم جاء الشيخ تقي الدين بن الصلاح فلخص وأصلح هذا الفن في كتابه المشهور «المقدمة»، وعليها مدار من ألف بعده[545].

وقد تصدى الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله لهذا العلم وهو المحدث الواعية مدرسا له بكتاب «نخبة الفكر» لابن حجر[546].

وكتاب النخبة بالرغم من وجازته، كتاب جامع مانع في بابه، وقد شرحه مؤلفه بشرح سماه «نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر» وشرحها غيره.

وقد درس الشيخ كتاب النخبة هذا بالرباط وبجامع القرويين بفاس، كما تناول الشيخ أبو شعيب الدكالي مقدمة صحيح الإمام مسلم في شرحه لهذا الصحيح مراراً في دروسه العامة أو في دروسه السلطانية.

ومن المعلوم أن هذه المقدمة كما نقلنا عن تلميذه محمد بن عبد السلام السايح، كلها راجعة إلى مصطلح الحديث، وبالرغم من صعوبة تناولها والتحليق في أجواءها كان الشيخ يبدي ويعيد فيها لتمكنه من علم المصطلح وعلوم الحديث المختلفة[547].

---

(545) انظر في ذلك الأزهار الطيبة النشر، ص 198، المرجع السابق.

(546) المحدث الحافظ، ص 98.

(547) انظر الشيخ المبدع، محمد بن عبد السلام السايح، ص 97، ضمن شخصيات مغربية للأستاذ عبد الله الجراري.

ب - السيرة النبوية :

هو علم باحث عن أيام النبي ﷺ، وأحواله من أول مبعثه إلى أن توفاه الله تعالى، فدخل فيه المغازي والشمائل وأول من أفرد الشمائل بالتصنيف، وهي جزء من السيرة أبو عيسى الترمذي، ثم جاء القاضي عياض فألف كتابه الفذ (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) الذي قيل فيه :

كلهم عالجوا الدواء ولكن ما أتى بالشفاء إلا عياض

ثم جاءت المؤلفات في السيرة النبوية تترى، كسيرة ابن هشام، والكلاعي الحميدي، والروض الأنف للإمام السهيلي، عالم مراكش ووليها، وألفية العراقي في السيرة إلى غير ذلك من المؤلفات[548].

وكان اختيار الشيخ شعيب رحمه الله لتدريس السيرة بكتاب الشفا للقاضي عياض، اختياراً موفقا، لأن عياض رحمة الله عليه من العلماء العاملين، ومن أولياء الله الصالحين ومن المغاربة الملهمين، فضلا عما أورده القاضي عياض في كتابه هذا من أحاديث نبوية مختلفة المراتب ونكث علمية وأدبية، وما ساقه من تلك الأحاديث يتوقف على التثبت منها مما لا يتصدى له إلا مثل الشيخ شعيب.

قال الأستاذ الأبر عبد الله الجراري في هذا الشأن :

من فضل الله علينا أن سقانا من حياضها المروية الشافية من البدئ إلى الختم الذي كان يوم الإثنين لثلاثة عشر خلت من جمادى الأولى سنة 1341هـ، ولاتزال النسخة يقول الأستاذ التي درست بها والتي تحتوي على توقيفات وتقارير مستاقة من الشيخ بخزانتي تحت رقم 1127.

ولا يفوتني بهذه المناسبة الحديث عن دراسة (الشفا بتعريف حكم المصطفى) بين يدي السلطان المغفور له مولاي يوسف وذلك بتاريخ صفر الخير 1332هـ حيث الشيخ أبو شعيب يتولى رياسة المجلس وإملاء ما شاءت له حافظته الواعية بإبراز ما تقتضيه تلك النصوص النبوية، وما لعياض رحمه الله حولها من آراء، وكانت الدروس بمسجد القصر تحضرها هيأة من علماء العدوتين السادة : علي عواد،

(548) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ودليل الثقافة الإسلامية للمؤلف.

أحمد بناني، أحمد عواد، محمد المكي البطاوري، الحاجب التهامي عبابو، والعربي الناصري الذي كان يتولى السرد، ثم يخلفه الفقيه السيد الغازي سباطة الرباطي.

وولاء الشفا يسرد من صحيح الإمام مسلم حديثا أو حديثين حسب ما يستدعيه الشرح طولا وقصراً، ووقع الختم بضريح المولى الحسن الأول وجده المولى محمد بن عبد الله طيب الله ثراهما بعد الفراغ من الأمداح النبوية بمسجد القصر بحضور العلماء والأشراف والوزراء، والعمال وغيرهم.

وفي صفر سنة 1333هـ ألقيت دروس بكتاب الشفاء وشمائل أبي عيسى الترمذي بين يدي العاهل اليوسفي طيب الله ثراه وبمحضر النخبة السابقة من العلماء[549].

ج - الفقه :

لا يخفى على الخاص والعام، فضل الفقه لتعلقه بعلم الأحكام، وباستقرار الحياة والنظام، ومزيته على سائر العلوم الشرعية الأخرى ظاهرة.

وقد عرف أنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المستنبطة من أدلتها التفصيلية وهو آخر ما استقر عليه تعريفه، وهو تعريف لائق بالمجتهد لا المقلد، وإلا يكفي المقلد معرفة الحكم الشرعي مما دون في كتب الفقه المعتمدة.

وهو علم قرآني سني استنباطي، حيث اجتهد الصحابة والتابعون في التعرف على الأحكام من خلال نصوص الكتاب والسنة، وجاء أئمة المذاهب مالك والشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة وغيرهم، فبنوا اجتهادهم على أصول معلومة لكل واحد منهم، فكانت هناك فتاوي مخصوصة لهم وكان هناك أتباع.

ومن أهم المصادر المتداولة عندنا في المغرب على مذهب مالك منذ مدة طويلة في تلقين هذا العلم، المرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر، والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ثم المرجع الأسمى المعتمد في النظر والفتوى ألا هو مختصر الشيخ خليل وقد شرحه علماء الأعلام من المشرق والمغرب من أمثال شرح المواق، والحطاب، والزرقاني، والخرشي، والدردير، وعليش، فضلاً عن الحواشي والتقريرات عليه.

---

(549) الحافظ المحدث، ص 112 وما يليها، المرجع السابق.

ونظراً لمكانة هذا المختصر في فقه الأحكام فقد تناوله الشيخ شعيب بالشرح والتحليل والتأصيل والتقريب وختمه عدة مرات مما كان لا يتيسر لبعض شيوخ العلم أن يفعله، فقد مكث بعضهم بجامع القرويين من أجل ختمه أربعين سنة وهي مدة طويلة.

وذلك أن دراسة الشيخ لمختصر خليل لم تكن مبنية على مراجعات وحشو الاشتغال بخلاف الأقوال، بل كان يعطي خلاصة المتن كالعسل المصفى، والحكم بفرعه ودليله الأقوى ثم يقابل ذلك بأقوال الأئمة الفقهاء، وسند تلك الأقوال مما كان يوضح المتن بأوضح بيان، مع التذكير أن الشيخ شعيب رحمه الله كان يحفظ مختصر خليل منذ صغره.

ويذكر الأستاذ الجراري رحمه الله، أن الحافظ المحدث أبو شعيب الدكالي كان يدرس مختصر خليل بضريح مولاي المكي (بالرباط) بعد الفجر وكان يتولى سرده بين يديه المرحوم الكاتب أحمد بن فقيرة المكناسي الذي كان من حفاظ مختصر خليل أيضا[550].

كما درس الشيخ من كتب فقه القضاء، تحفة الحكام لابن عاصم[551]، حيث كان يدرسها بمسجد القبة بالرباط عقب صلاة الفجر.

وممن كان يحضر هذه الدروس الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله[552].

وبمدينة مراكش الحمراء، درس الشيخ مختصر خليل أيضا بمسجد ابن يوسف، وكان من الذين يحضرون هذه الدروس، الأستاذ الأديب المختار السوسي والفقيه عبد الرحمن الدكالي العوني.

---

(550) من أعلام الفكر المعاصر، المقدمة، ص 203 وما يليها.

(551) من جملة شروحها :
- شرح ميارة.
- شرح التاودي.
- شرح أبي الحسن التسولي.
- شرح توضيح الأحكام لعثمان التوزري التونسي.

فضلا على الحواشي والتقريرات عليها.

(552) مقدمة أعلام الفكر المعاصر، ص 206، للأستاذ عبد الله الجراري.

وفي هذا الصدد يذكر الأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله قائلا :

ثم إننا اقترحنا على الشيخ أن يفتح المختصر بالدردير ففتحه في الجامع اليوسفي فكان درسا حافلا وبه وحده ذقت كيف الفقه وعرفت أن الحديث والفقه ممتزجان فقد كان الأستاذ يورد على كل مسألة مما يمكن من الأحاديث فيذكر مأخذها إن كان من الحديث وإن كان من الآيات أو من القياس أو من الأجماع أورد المقصود، فلا تسأل عن وقع ذلك في أنفسنا وقد طرقنا بادئ بدءٍ جولان في الكتب الستة والمسند والموطأ والمذاهب، فكان الأستاذ بعدم تكلفه يورد علينا ذلك إيراداً لطيفا فندركه حق الإدراك فكنت إذ ذاك أخال أن الشيخ يعرف كل شيء وأنه لا تخفى عنه من العلوم خافية فأذكر أنني كنت أتكلم مع بعض فقهاء بلدنا فأحدثه عما غمرني من استعظام الشيخ استعظاما ما فيه من المبالغة التي لابد منها للمبتدئ مثلي إذذاك.

كان الأستاذ يقرر خطبة المختصر فبلغ قول خليل أن ينظر بعين الرضى والصواب فأورد الدردير البيت الشهير :

وعين الرضى عن كل عيب كليلة	كما أن عين السخط تبدي المساويا

فحكى الشيخ أنه جالس مرة الأستاذ ابن إبراهيم السباعي فقال له : وقد جرى ذكر البيت أقول دائما للناس من دلني على ثان لهذا البيت أعطيه مائة ناقة، قال الشيخ فقلت له ومن دلك على ثالث، قال أعطيه مائتي ناقة، ثم قلت ومن دلك على رابع ؟ قال أعطيه ثلاثمائة ناقة، قال الشيخ فقلت أحضرها وأحضر أيضا ما تعطيه لمن أراك قائلها وفيمن قيلت فيه فداعبته مليا ثم قلت له إنها لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب يقولها لابن عم الحسين من أحفاد علي بن أبي طالب ثم أنشدته :

رأيت حسينا كان شيئا ملففا	فكشفه التمحيص حتى بدا ليا
أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة	وإن نزلت أيقنت أن لا أخا ليا
فلست براء عيب ذي الود كله	ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا
فعين الرضى عن كل عيب كليلة	كما أن عين السخط تبدي المساويا

أنشدنا الشيخ الأبيات فرآنا على عادة الطلبة لم نزد على أن نحدجه بأعيننا فقال غير أن همة الشيخ السباعي على كبر سنه قد حملته حتى ابتدر إلى القلم

فكتب عني الأبيات وأما أنتم أيها الشباب فقد رأيتكم تزهدون في الأدبيات ثم ألحقنا عتابا حلوا ومتى صدر عن مثل الشيخ شعيب في أطواره كلها مُر ؟ فكان ذلك سوطا ملهبا للهمم فرأيت الأعراب الدكاليين والشاويين والسرغينيين والرحمانيين والشلحيين السوسيين قد ابتدر الجميع إلى استملاء الأبيات فكتبوها، ثم لم يحضر واحد بعد ذلك الدرس إلا بقلم وورق فكانت عادة متبعة في درس (المختصر) وفي درس البخاري[534].

وجاء عن الأستاذ عبد الرحمان الدكالي العوني المراكشي :

أنه كان يحضر دروسه بجامع بن يوسف بمراكش، وأنه سمع من الشيخ يقرر عند قول خليل في تارك الصلاة : «وقتل بالسيف حداً» الخ...، قال الشيخ في ذلك : «لا أعلم للمالكية في هذا الفرع سنداً»[554].

د - علـــم الـلغــــة :

لا تخفى مكانة اللغة عند سائر الأمم، فهي وسيلة التواصل، والتخاطب، والتفاهم.

وللغتنا العربية شرف زائد على سائر اللغات، إذ القرآن الكريم وهو كلام الله سبحانه، نزل بلسان عربي مبين، وارتضى عز وجل أن يكون كلامه بالعربية، كما رضي لنا الإسلام دينا.

والعلم باللغة العربية واجب على كل مشتغل بكتاب الله وسنة رسوله، لأن بها تعرف المعاني والأحكام.

قال ابن فارس : «إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله ﷺ، من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدا»[555].

---

(553) ترجمة محمد المختار السوسي، المرجع السابق.

(554) إسعاف الراغبين، ص 355.

(555) كتاب الصاحبي، ص 50، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ.

ومكانة اللغة العربية في المجتمع المغربي والإسلامي عظيمة، لأنها تدل على الأصالة التاريخية المرتبطة باسم الاسلام وبسيدنا محمد المبعوث في أمة عربية، أرادها سبحانه أن تحمل مشعل هذا الدين إلى سائر الأمم والأديان.

لهذا حرص أجدادنا من أجل العناية بها، المحافظة عليها من اللحن والدخيل إلى عصور قريبة منا.

وألفوا فيها مؤلفات مازالت ماثلة أمامنا، إذ من ينكر قيمة المعاجم الآتية :

- تهذيب اللغة للازهري.
- تاج اللغة للجوهري.
- لسان العرب لابن منظور.
- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزابادي.

ومن جنس هذه المعاجم بلون آخر يعتني بالحقيقة والمجاز في لسان العرب كتاب : «أساس البلاغة للإمام محمود الزمخشري».

وقد تتبع الزمخشري رحمه الله المادة اللغوية في حقيقتها ومجازها من ضرب الأمثلة عليها مما يجعل المطلع على ذلك متمكناً من رواج الكلمة في جميع أساليبها.

لذلك اختار الشيخ أبو شعيب الدكالي هذا الكتاب المتين في مادته اللغوية ليدرسه لأجيال عصره، بالرغم من صعوبة تناوله، لولا همة الشيخ التي كانت تعتني بالعلم في جميع شؤونه ومجالاته.

يقول الأستاذ عبد الله الجراري هنا :

«وكتاب بهذه الدرجة لا يجرؤ على ممارسته ودراسته وحل ما ورد في ثناياه من غوامض كألغاز لا يحاولها واقفا أمام مراميها ومواقعها في مدرج الأسلوب إلا المهرة في اللغة كالشيخ، إنه كتاب لم نسمع بعالم من علمائنا أقرأه ودرسه إن هو عدا مصنف من مصنفات اللغة أمثال مقاييس ابن فارس، وصحاح الجوهري، ومصباح الفيومي، ومحيط الفيروزابادي وما إليها من كتب اللغة التي ابتليت بالوضع في الرفوف حتى إذا ما اضطر فقيهنا أو أديبنا للكشف عن لفظة اعتصت عليه مال إلى

أحدها فتناوله رغبة في الوقوف على مدلولها، على أن البعض قد لا يستطيع الاهتداء لمطلوبه لعدم تمكنه من اصطلاح الكتاب الذي وضعه المؤلف[556].

وبهذا الصنيع ضرب الشيخ شعيب أروع الأمثال في المشاركة في العلوم، سواء كانت علوم مقاصد أو علوم آلات.

هـ - علـــم النـــحـــو:

يلحق بعلم اللغة علم النحو فهما متلازمان، إذ بالنحو تعرف أحوال أواخر الكلمات إعرابا وبناءاً، وفائدته الاحتراز عن الخطأ في اللسان، وكان يدرس النحو عندنا في المغرب على سبيل التدرج، فيبدأ بكتاب الأجرومية للشيخ محمد بن محمد الصنهاجي، ثم لامية محمد بن مالك في تصريف الأفعال.

ويذكر العلامة الجراري أن الكثير من علماء المغرب كانوا يتصدون لشرح هذه المؤلفات[557]، وكانوا يقيمون حفلات عند ختمها، اعتناءاً بها وفرحا بالعلم والعلماء.

ومن الذين ساهموا في تدريس هذا العلم، شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي حيث درس الألفية مع طبقة من الطلبة بشرح الأشمولي وحاشية الصبان بالرغم من صعوبته بجامع القبة تحت الحمام بالرباط[558].

كما درسها بجامع القرويين بفاس[559]، وكانت طريقة شرحه للألفية أنه يتناول البيت منها محللاً ومفسراً ما يستنتج منه من القواعد والفوائد مع الاستشهاد بقصائد العرب من الشعر الجاهلي والإسلامي بعشرات القصائد لكل بيت من الألفية، حتى ينقلب الدرس إلى درس أدبي نحوي.

هكذا حكى لي غير واحد من الذين حضروا دروسه في هذا الشأن، منهم القاضي سيدي محمد بلقزيز المراكشي الذي أخبرني بذلك مباشرة، وقد أكد ذلك الأستاذ عبد الله الجراري في كتابه عن الشيخ[560].

---

(556) المحدث الحافظ، ص 92، المرجع السابق.

(557) مقدمة أعلام الفكر المعاصر، ص 195 وما يليها.

(558) المرجع السابق، ص 197.

(559) اتحاف ذوي العلم والرسوخ، ص 147.

(560) المحدث الحافظ، ص 95.

و - علم البلاغة :

شارك الشيخ رحمه الله في تدريس هذا الفن، ليعطي العبرة لغيره، أن العالم الحق هو الذي لا يقتصر على فن من الفنون، إذ العلوم مترابطة ومتشابكة وبعضها معين للبعض الآخر، ولاسيما علم اللغة والنحو، والبلاغة، إذ هي وسائل وأدوات للفهم لا ينبغي إهمالها.

فتصدى رحمه الله لتدريس هذا العلم بتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني.

وكان يلقيه بضريح سيدي فاتح بالرباط قرب منزله آنذاك[561] كما درس تلخيص المفتاح نفسه بمختصر السعد في رحاب جامع القرويين بفاس[562].

ز - تدريس الشيخ لبعض كتب الأدب المعتمدة :

لم يقتصر الشيخ لا في دراسته وطلبه للعلم، ولا في تدريسه، على العلوم الشرعية بل كان رحمه الله المثال الأعلى في تنوع الثقافة العربية الإسلامية والأدبية، ناهجا أثر الأقدمين في هذا التنوع، ومعطيا نموذجا حيا لطلبة العلم في تلاقي العلوم والأدب، في زمن لم يكن فيه شيوخ العلم يهتمون بكتب الأدب وتذوق رقائقه، والتعرف على أساليبها إلا قليلا، وبهذه الروح السامية، والنفس الأبية، التي سبرت أغوار الكلمات الفنية، وذاقت حلاوة المعاني الراقية، افتتح الشيخ بعض الكتب الأدبية المعتمدة في تدريسها مع نخبة من طلبته أنذاك، وليذكر الأجيال بما تركه الجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد، وأبو علي القالي، وأبو الفرج الأصبهاني، وأبو هلال العسكري، وبديع الزمان الهمذاني، وابن رشيق البغدادي، القاسم الحريري، وعلي بن بسام صاحب الذخيرة، وضياء الدين نصر الله بن الأثير في المثل السائر، وابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة، والقلقشندي في صبح الأعشى، والمقري في نفح الطيب، وعبد المالك الثعالبي في يتيمة الدهر، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، والقائمة طويلة.

---

(561) مقدمة إعلام الفكر المعاصر، ص 233.

(562) إسعاف الراغبين، ص 376.

وقال ابن خلدون في المقدمة عن شيوخه أنهم كانوا يقولون : كتب الأدب التي يعتمد عليها أربعة :

- البيان والتبيين للجاحظ.

- الكامل للمبرد.

- الأمالي لأبي علي القالي.

- أدب الكاتب لابن قتيبة.

واختار الشيخ من هذه الكتب في تحليلها وشرحها، كتاب الأمالي لأبي علي القالي، وكتاب الكامل للمبرد، وزاد عليها تدريس المقامات الحريري والمقامات السبع في مناسبات أخرى.

ناهيك عما كان يحفظه الشيخ من قصائد كثيرة ومتنوعة ومن النوادر والطرائف والحكايات الأدبية والأمثال العربية في الجاهلية وعهود الإسلام الأولى، مما كان يستشهد به في دروسه الخاصة والعامة، ويورده في الأجواء العلمية فقها، وأصولا، وحديثا، وتفسيراً، ونحواً وبلاغة، مما يوقظ به الألباب وتستروح به العقول عند تعبها من متابعة الدروس وانتباهها.

- وهكذا فقد درس الشيخ «كتاب الأمالي» لأبي علي القالي بمدينة الرباط التي كان يمليها بعد صلاة الفجر، حيث ابتدأها يوم الأحد عشرين (20) رجب الفرد عام 1348هـ - 1928م بمسجد القبة بالرباط[563].

وكان من الحاضرين البارزين لهذه الدروس الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله، حيث دون تلك اللقطات الأدبية، والمستفادات اللغوية والنحوية، واللطائف والحكايات المشوقة في كتابه «المحدث الحافظ» الذي بالرغم من صغر حجمه، فقد شحن فوائد حتى صار كبيراً في علمه.

- ثم تناول الشيخ بعد كتاب الأمالي «كتاب الكامل» لأبي العباس المبرد.

- كما درس مقامات الحريري بفاس بجامع القرويين ومسجد القلعة بالقطانين[564].

---

(563) المحدث الحافظ، ص 36.

(564) اسعاف الراغبين، ص 186.

المبحث الثالث
جهود الشيخ الاصلاحية والوطنية

تنوعت حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله بعد عودته من المشرق إلى المغرب إلى ثلاثة أعمال :

- التدريس والتعليم، وهو العمل الذي طغى على حياته كلها.

- العمل الرسمي من قضاء ووزارة وغيرهما.

- عمل الاصلاح والتوعية، وما كان يقوم به من توجيه لمصلحة الوطن والوطنية من خلال دروسه.

فقد جاء الشيخ في عهد كانت فيه الأمية، والجهل، والخرافات، والشعوذة منتشرة فاشية في الأوساط المغربية في بواديها وحواضرها، ومن أجل تحرير الناس من ربقة هذه الآفات، وتنويرها حتى تنهض الأمة، وتعمل برسالة العلم والعرفان التي أسسها الإسلام، عمل الشيخ ما في وسعه، وكامل جهده في نشر العلم بالليل والنهار، وكان في طيات ذلك ينبه، ويحذر، ويوقظ، معرفاً بالعقيدة الصحيحة.

كما كان رحمه الله غير راض عما تعرض له وطنه من ويلات الاستعمار وما يعانيه من اضطهاد، وانتقاص من سيادته، فكانت له مواقف وطنية تشهد له بحب بلده والتمسك بشرعية ملوكه المنعمين، والدعوة إلى التحرير والاستقلال في ذلك الأوان.

وسنتناول هذه الجوانب في مطلبين :

المطلـب الأول : جهود الشيخ الاصلاحية.

المطلب الثاني : جهود الشيخ الوطنية.

المطلب الأول
جهود الشيخ الإصلاحية

عمت العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي حركات إصلاحية، كانت ترتكز على تصحيح العقيدة الإسلامية مما شابها من خرافات وشبهات،

ودعوة الناس إلى العمل بمقتضى الكتاب والسنة وعمل السابقين من سلف الأمة، وهذا المعنى هو الذي يحقق معنى السلفية، مما يحقق بهذا القيام بنهضة علمية مستمدة من تدريس تراث الإسلام وكتبه، وعلى رأسها القرآن الكريم وكتب الحديث المعتمدة، وتوعية الأجيال بما اشتملت عليه من أحكام وآداب بما يرفع شأن الأمة.

وكانت هذه الحركات الاصلاحية كذلك رد فعل لما ابتلي به العالم الإسلامي من نشر الاستعمار الذي تكالب على المسلمين بسلب حرياتهم، وأراضيهم، وخيراتهم.

وهكذا قامت حركة اصلاحية في الحجاز يتزعمها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كانت دعوتها قائمة على إصلاح العقيدة، ومرتكزة على سلفية الأصول، فكانت سلفية نقلية.

وانتقلت هذه الدعوة إلى مصر بثوب جديد، على يد جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده، فكانت سلفية عقلانية مبنية على الأخذ بالأصول الثابتة من أصول الإسلام، ومحاولة فهم نصوصها بما يقتضيه العقل والعصر، وكان هناك من مزج بين هذه الأسس وزاد عليها مبادئ التربية والتصوف كما فعلته جماعة الإخوان المسلمين بمصر، وانتشرت أساليب الدعوة هذه في ربوع أراضي الإسلام، كل يأخذ منها بمقدار، كما حصل في الهند، وباكستان والشام، وبلدان المغرب العربي كالجزائر وتونس.

أما في المغرب الأقصى فقد انطلقت سلفية العقيدة، والنظر إلى ما يرفع شأو البلاد من إصلاح التعليم، والقضاء، والإدارة، ومحاربة الشعوذة، والتنبه إلى مخاطر العدو الأجنبي، كل ذلك انطلق منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، والمولى عبد الرحمن، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، والمولى الحسن الأول، والمولى عبد الحفيظ، ورمز الأمة محمد الخامس رحم الله الجميع.

ومن العلماء الشيخ كَنون الكبير، والشيخ الرهوني، وعبد الله السنوسي، وشيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي.

وإذا نظرنا إلى ما قام به هذا الأخير في هذا المجال نجده قد فتح عينيه في أجواء هذه الحركات الاصلاحية ولاسيما في المشرق الذي ذهب إليه دارساً متعلماً في رحاب الأزهر، وشاهد دعوة جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده الذي كان يلقي دروسه بجامع الأزهر، وممن كان يحضر هذه الدروس، ويستمع إليها الشيخ أبو شعيب الدكالي، فضلا عما شاهده، ولاحظه فوق أرض الحجاز من دعوات الإصلاح من علماء الحرمين، وكان الشيخ شعيب منهم حيث كان يلقي دروسه أمام الكعبة المشرفة، وفي المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

فلما رجع إلى المغرب كان يحمل زاداً وافراً، ووطاباً قد امتلأ علماً، وأدباً، وتجربة، وبعد نظر في أحوال الناس وما يصلح لهم.

سلفية الشيخ أبي شعيب الدكالي :

معنى السلفية :

تناول أستاذنا علال الفاسي رحمه الله معنى السلفية بمعنى شمولي شارحاً غايتها ومقاصدها بقوله :

إن مستقبل الإسلام إنما هو في نجاح السلفية الصحيحة، أي في أن يقتنع المسلمون بضرورة العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ومسايرة مقتضيات التطور في أساليب الفهم والتقدير للأشياء، والعناية بالعقل الراجح البعيد عن المؤثرات المختلفة، والتفكير في دائرة الأصول الإنسانية التي وضحها القرآن، ومهدتها تجارب الأمم والشعوب، واعتبار هذه الأسس المقياس الأول والمحك الذي على حكمه المعول بحيث لا تقبل نظرية من النظريات إلا إذا أقرها العقل وصادق عليها الدين.

ومهمة الحركة السلفية هي القيام بنشر هذه الفكرة والدعوة إليها وإقناع الأمة ونخبتها بضرورة الإيمان بها والعمل بمقتضاها، و ذلك ما يستدعي عملا متواصلا وجهدا متواليا في شرح طبيعة الدين وتجلية أصوله وتقريب فروعه للفهم والإدراك ومقارنته بغيره من الأديان والمذاهب وإقامة الحجة على تفوقه عليها وامتيازه بما أنه الدين السماوي المهيمن على غيره من الديانات والمعتمد على العقل ونواميس الكون وتطورات الزمن في العادات والعبادات، وهذا ما يستدعي

أن تتكون في الأمة فئة مصلحة تقصر وقتها على العمل لتحقيق غايات السلفية ومبادئها بوسائل العصر وأساليبه[565].

ويذكر الأستاذ عبد الهادي بوطالب في هذا الصدد :

أن الحركة السلفية كانت اتجاهاً دينياً يعني الرجوع إلى المصادر الأولى للشريعة الإسلامية، ونبذ التداخلات المستحدثة، ومقاومة البدع التي لا توافق أصول العقيدة، فكانت الحنبلية مذهبها الفقهي في المشرق، وكان المجددون يترسمون طريقها في التمسك بالسيرة النبوية والحديث.

وعندما هاجم الاستعمار البلاد الإسلامية وجد العالم الاسلامي في السلفية خشبة النجاة، فلم تبق مذهباً فقهياً فقط، بل تحولت إلى نضال سياسي، وإلى حركة مقاومة، وبذلك أصبحت اتجاهاً دينياً سياسياً عصرياً.

وتعني السلفية في مفهومها الأصيل العودة إلى الاقتداء بنهج السلف الصالح الذي ساد المجتمع الإسلامي أي العهد النبوي وعهود الخلفاء الراشدين، وهي العهود التي لا يختلف المسلمون على نعتها بالزاهرة، وكان ذلك هو مفهوم السلفية في لغة أهل السنة[566].

وجاء على لسان علامة البوغاز الأستاذ عبد الله كَنون وهو يتحدث عن فجر النهضة وعواملها ومقام الشيخ أبي شعيب الدكالي فيها، ومن تلك العوامل :

الاصلاح الديني المتبلور في الدعوة إلى السلفية، فقد كان من رد فعل السيطرة الاستعمارية وظهور أمر الأجانب، أن العلماء قاموا يذكون الشعور الديني في العامة، ويندبونهم إلى الجهاد ويحضونهم على التمسك بالكتاب والسنة، وهجر البدع والأهواء التي انحرفت بالأمة عن سبل المؤمنين، وهدى السلف الصالح، وفرقت كلمتهم وجعلتهم طرائق قددا، وقد ارتفعت هذه الدعوة، من منابر الخطباء، وحلقات المدرسين، وكتب فيها الكتاب وحاضر المحاضرون وكان الذي يتزعمها بجدارة ويضفي عليها الصفة العلمية الخليقة بالقبول، هو الشيخ أبو شعيب الدكالي (ت 1356) ذلك العالم المصلح الذي قيضه الله للمغرب في هذه

---

(565) حديث المغرب في المشرق، ص 27 وما يليها للأستاذ علال الفاسي، ط 1، عام 1956، القاهرة.

(566) السلفية استشراف مستقبلي، ص 7 وما يليها، بحث الأستاذ عبد الهادي بوطالب، منشورات الأيسيسكو.

الفترة، فجدد سند العلم، وأقام للسلفية مناراً عاليا بما أوتي من التبحر في علوم الكتاب والسنة، وما كان له من الفصاحة والمعرفة بطرق الاقناع، فضلا عن خبرته بأحوال العالم الإسلامي التي اكتسبها في جولاته بالمشرق، وكان يلي وزارة العدل فزاده الجاه هيبة في النفوس، وتأثيرا على الخاص والعام، ووجدت هذه الدعوة قبولا لدى الشباب المتعلم، فناصرها[567].

كيف كانت سلفية الشيخ أبي شعيب الدكالي ؟

وبعد فكيف كانت سلفية الشيخ وما هي آثارها ؟

كانت سلفية الشيخ أبي شعيب الدكالي سلفية علمية[568]، هادئة لا عنف فيها ولا صخب، تدعو الناس بالتي هي أحسن وبالحكمة والموعظة الحسنة، فليس هناك دعوة للتكفير ولا للتقتيل، أو التفرقة بين المسلمين.

يقول الأستاذ عبد الله كَنون رحمه الله وهو يقابل بين دعوة الشيخ عبد الله السنوسي في سلفيته قبل الشيخ أبي شعيب الدكالي، وأنها لم تؤت أكلها كما كانت للشيخ أبي شعيب، وأن السبب في ذلك هو أسلوب الدعوة القاسي عند الأول ولينها عند الثاني، قائلا :

والسبب الأكبر في الإعراض عن الشيخ السنوسي وحصول النفرة بينه وبين العلماء والعوام على السواء هو طريقته في الدعوة وأسلوبه في التبليغ، فقد كان شديداً على خصومه، ومتطاولا على المشائخ والعلماء من المتصوفة وأتباع المذاهب المعروفة، يطلق لسانه في التنديد بهم، وتصدر منه كلمات قاسيات في حقهم، وذلك من قوة نفسه وشدة يقينه، فلا ينظر الناس إلى ما يدعو إليه، وإنما يقفون مع هذه الألفاظ، ويعتبرونها تضليلا لسلف الأمة، وحكما على السواد الأعظم من المسلمين بالجهل والشرك، ومن ثم تثور ثائرتهم، ويجدون على الشيخ(يقصد السنوسي) في أنفسهم موجدة عظيمة، أقل نتائجها أنهم يبتعدون عنه ومن سماع كلامه،

(567) أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ص 39،ط 4 عام 1485 - 1984، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء.

(568) هذا ما أكده لي العلامة المؤرخ سيدي محمد المنوني رحمه الله من أن سلفية الشيخ سلفية علمية أخذت من المحافظة على الأصول، كما كانت تراعي الواقع ومجريات الأحداث، فتنهي عما يخل بشأن الأمة من بدع وشعوذة، وتدعو إلى الوحدة والتماسك بين أفرادها.

خصوصاً وأنه لم يكن يصبر على الجدال والمناقشة، فيعتبر العلماء ذلك قصوراً منه، وإفحاماً له، ويحذرون العوام من الاتصال به، والاغترار بدعوته.

وقد كان من المؤسف حقاً أن تضيع جهود هذا الواعية الكبير سدى، وقد لبث على حاله من الاتصال بالأكابر، والتحكك بعموم الناس منذ رجوعه من رحلته إلى أن توفي، وذلك زهاء نصف قرن من غير أن يستجيب له أحد من الطرفين، فالأكابر كانوا يتنذرون بأقواله ومواقفه، والعامة يستعينون بالله من تهجماته واندفاعاته.

والحق أن الذي كان يخطئه هو أسلوب الدعوة القرآني الذي عبر عنه عز وجل بقوله : ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ والهداية من الله.

في هذا الجو، وبين هذه الأصناف من العلماء، قام الشيخ أبو شعيب الدكالي بدعوته التي كان لها غايتان شريفتان :

الأولى - إحياء علم الحديث ونشره على نطاق واسع :

لما كان له فيه من رسوخ القدم، وقوة العارضة، والمشاركة التامة في علومه، والحفظ والاتقان... وهذا ما جعل الاقبال على مجلسه عظيماً، وحمل أقرانه من أهل العلم على التلمذة له، وبعض من هو في مرتبة أشياخه على الأخذ عنه.

والثانية - وهي بيت القصيد الأخذ بالسنة والعمل بها :

وذلك في العقائد، والعبادات فقد جهر في ذلك بدعوة الحق، ودل على النهج القويم، والصراط المستقيم بالبرهان الساطع، والحجة الناصعة، وندد بالخرافات، والأوهام، وأطاح بالدعاوي الباطلة، والأقوال الواهية، وبين وجه الصواب في كل مسألة مسألة من مسائل الخلاف المذهبي، وأقنع خصوم الدعوة قبل أنصارها بما لم يجدوا فيه مدفعاً ولا له رداً، وهكذا حدث تحول كبير في مفهوم الاجتهاد، والتقليد بالنسبة إلى أدلة الفقه، وتحقق العلماء من التقيد بالنصوص المذهبية، ومالوا إلى الترجيح والعمل بالسنة عند ثبوتها، ونبذ ما خالفها....

ولوحظ أن جميع الأصناف من العلماء المخالفين قد استجابوا لدعوة الشيخ، وأقبلوا عليه، واقتبسوا من علمه، ولم يقف أحد في وجهه سرا ولا علنا، وإن تفاوتوا في اعتناق ما يدعو إليه كله، أو بعضه حسب مشاربهم، واختلاف مداركهم.

وإذا كان هناك من سبب لهذا النجاح الباهر الذي أحرزه الشيخ وكتب له من دون غيره من الدعاة، زيادة على ما أتاه الله من سعة في العلم، والمعرفة.

فهو أسلوبه البديع النافذ إلى القلوب الذي أخص ما يتميز به تجنب التشنيع، والهجوم على الأئمة والمشائخ بالكلام النابز، والعبارة الحلوة المؤثرة المنبئة عن صفاء النية، وإخلاص النصح من غير إبداء كراهية ولا تعنت والنفس الطويل الهادئ الذي لا يبدو معه أي انفعال، ولا تسخط، ولا حدة، مما يصرف السامع عن المراد من الكلام، وموضوع الخطاب إلى الجدل والملاحاة بما بعدها من الاعراض والتنكر.

لقد كان رحمه الله يُعَرِّض ويهاجم أحياناً، ولكن بالنكتة الهادفة، والنادرة الموحية، فينفذ قوله إلى الأعماق من غير أن يثير حزازة في النفوس أو يكون سبباً في الانقطاع والتنطع[569].

ويذكر الأستاذ المجاهد أبو بكر القادري في هذا السياق أيضاً وهو يقابل بين منهج أبي شعيب الدكالي في دعوته وسلفيته وبين تلميذه الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي في هذا الشأن قائلا :

تجاوب الطلبة الشباب مع كل هذه الأفكار التي تزعمها كل من الشيخ شعيب الدكالي، والفقيه المصلح السيد محمد بن العربي العلوي.

وإن كانت لغة خطابهما مختلفة، فالشيخ شعيب الدكالي كان يلمح، ويعرض دون أن يصرح، والفقيه ابن العربي كان يهاجم، ويخاصم، ويشتد دون تحفظ.

وهذا ما جعل الكثيرين من الفقهاء المتزمتين يناصبون ابن العربي العداء، ولا يتعرضون للشيخ شعيب الدكالي بمقالة سوء.

ولقد أتيح لي وأنا في عنفوان شبابي أن أحضر بعض الدروس التي كان يلقيها كل من الشيخين المصلحين في مدينة «سلا» والتي كانت تجد إقبالا كبيراً من مختلف الطبقات وكانت ملاحظتي إذاك أن الشيخ شعيباً يغلب على دروسه الاهتمام بشرح الحديث، وسنده، واستنباط الحكم منه مع الإشارة الخفيفة للبدع، وضرورة مقاومتها والكر عليها.

---

(569) مقال بعنوان الشيخ الإمام أبو شعيب الدكالي، بخط يده.

أما الفقيه ابن العربي فكان يتصيد كل شاذة وفاذة ليكر على الطرق والطرقيين، والسخرية من بعض معتقداتهم والتبرء منها تصريحاً لا تلويحاً(570).

وهكذا كانت سلفية الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله سلفية معتدلة اتخذت لها من العلم والتدريس شعاراً، منطلقة من تفسير كتاب الله وعلومه، والتعمق في أسراره، ومن كتب الحديث المختلفة وتفهمها، واستنباط الأحكام منها، واستخلاص العبر والآداب من نصوصها والتحليق في أجواء هذه الأصول.

وفي محاربة البدع والأهواء كان يسلك ويتمسك بالمبدأ الذي أسسه النبي ﷺ في الانكار وهو «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».

فكانت دعوة الشيخ مبنية على التلويح لا التصريح كما حكى عنه تلامذته، حتى لا تكون هناك فتنة واختلاف كبير، وحتى لا تجد النفوس حرجاً ولا ضيقاً إذ الهداية من الله والتوفيق منه عز وجل.

وكانت سلفية الشيخ امتداداً لسلفية العلماء المغاربة وأهل الأندلس، فلم يتأثر كليا بسلفية المشرق وإن كان استفاد منها، كما كانت سلفية تراعي المقاصد وتنظر إلى الواقع مما أصله الإمام الشاطبي في موافقاته، فقد أجاز الأكل بالملعقة والشوكة محتجاً أن ذلك من باب الزيادة في تكريم بني آدم لأن الحيوان لا يأكل بهما، وأن العطر الأفرنجي يجوز استعماله ولو أنه مشوب بمادة كحولية لأن المحرم هو في شرب المسكر لا في شمه، وأن التصوير الفوتغرافي وهو مما دعت إليه الحاجة غير محرم لأنه ما هو إلا حصر الصورة في وقت معين على الورق بناء على انعكاس الضوء، وأن الاشتغال بالفلاحة بالآلات العصرية هو الأولى إذ كان ذلك مما يحسن ويزيد في الانتاج، وأن أكل لحم الخيل جائز لثبوت النص بذلك في حديث أسماء بنت أبي بكر، وجابر بن عبد الله كما في صحيح البخاري، وإليه ذهب ابن عبد البر في التمهيد، وابن أبي جمرة في بهجة النفوس، وأيده ابن رشد في البداية وكلهم من المالكية خلافاً للمشهور بعدم أكله، لكن قوة الدليل تجعل القول بجوازه في ميزان

(570) انظر مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 - 1940، للأستاذ المجاهد أبي بكر القادري، ج 1، ص 249 وما يليها، ط 1، عام 1413 - 1992، مطبعة النجاح الجديدة.

الراجح، إلى غير ذلك من الفتاوي التي كان العلماء لا يستطيعون البوح بها، وسنتناولها في مبحث فتاويه إن شاء الله.

وكان يقول باستعمال السبحة في الذكر، وكانت له سبحة يمسكها في يده لهذه الغاية، لأن السبحة ما هي إلا آلة لحصر العدد المراد، ومنبهة ومساعدة للمطلوب، وحيثما كانت المصلحة فتم شرع الله، وقد جمع المصحف بين دفتين ولم يكن ذلك في عهده عليه الصلاة والسلام وإلى ذلك ذهب الشوكاني في نيل الأوطار وللسيوطي رسالة في الموضوع ضمن كتاب الحاوي سماها (المنحة في اتخاذ السبحة).

والشيخ رحمه الله كان ممن يعلم التصوف ويدرك مقاصده، كما ورد في محاورته للشيخ أحمد الهيبة، وما كان رحمة الله عليه من أخلاق عالية، وما كان يصدر عنه من كلمات طيبة، وشمائل محمدية، وعمل للخير متواصل، ولسان عن الذكر لا يتوانى، وتواضع لا تخفى آثاره على من رآه، ونشر للعلم لا يفتر، يجعله كل ذلك من أولياء الله الصالحين الذاكرين، ومن خيرة عباد الله المخلصين إن شاء الله، وما ذاك إلا عين التصوف السني الحقيقي الذي ما هو إلا خلق كريم، وكلام طيب نبيل، وعمل صالح أصيل، واتصال متواصل برب العالمين، عن طريق الذكر، والتفكر في الآيات كل حين.

جاء عن الدكتور عباس الجراري حفظه الله قوله :

على أنه لا ينبغي أن يفهم من طبيعة هذا الخلاف أن السلفيين كانوا ضد التصوف، بل إنهم كانوا متصوفة كذلك، وأبو شعيب الدكالي كان يحمل سبحة الذكر باستمرار، ولكن هناك فرق بين أن يكون الإنسان متصوفاً، وأن يكون مشعوذاً ففي هذه الفترة من سنوات العشرين (1920) كانت الشعوذة طاغية، والاستعمار كان يساعد على انتشارها، ولذلك تصدى العلماء السلفيون لتنقية الأفكار، ولابعاد المظاهر الخرافية عن الدين الإسلامي، ومن تم فإن الشبان الذين دخلوا معركة السلفية ضد الطرقية لم يكونوا ضد التصوف، ولكن كان لهم موقف ضد المظاهر الخارجة عن الإسلام[571].

---

(571) مع المعاصرين، ص 171.

وهل كان يعمل الشيخ شعيب إلا في رحاب كتاب الله الكريم، يفسره، ويظهر مكنون جواهره، وينشر كتب سنة رسوله ﷺ، وكلام العلماء العاملين من سلف هذه الأمة.

قال تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» المجادلة 11.

ولاشك أن الشيخ شعيباً والحمد لله من الذين آمنوا وممن آتاهم الله العلم وزيادة، وهو إن شاء الله من الذين سيرفع الحق سبحانه درجاتهم.

وقال عليه الصلاة والسلام : «ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة» رواه مسلم والترمذي.

والشيخ شعيب رحمه الله سلك طرقاً متعددة للعلم أثابه الله عليها.

وقد لخص الأستاذ المبدع عبد الهادي بوطالب سلفية الشيخ أبي شعيب الدكالي بقوله :

كان أبو شعيب الدكالي من السلفيين الذين صرفوا عملهم إلى ربط السلفية الحديثة بجذور السلفية المغربية، فلم يعد إلى مصادرها الحنبلية، أو دعوة ابن تيمية، وإنما كان همه إحياء الدراسات الحديثية، وتكوين مدرسة مغربية سلفية ذات ثقافة حديثة، لا تركن إلى الدراسات الفقهية كما كان الشأن في القرويين[572]، وإنما تهتم بالسيرة النبوية، ودراسة أمهات كتب الحديث، وتجديد الفقه السلفي الأندلسي.

وعلى يديه صدرت حركة سلفية سياسية، وأخرى تربوية، برز في الأولى الشيخ محمد ابن العربي العلوي، وتلميذه الأستاذ علال الفاسي، وبرز في الثانية العالمان محمد السائح، والمدني بن الحسني، وتلتهم جماعة وفيرة ظلت تحمل مشعل السلفية في المغرب المستقل[573].

---

(572) وإن كان الشيخ شعيب لم يهمل جانب الفقه بما كان يلقيه من دروس حافلة بمختصر خليلا وشرحه بالدليل، وما كان يدرسه من تحفة ابن عاصم، وأحاديث الأحكام ومقابلتها بفروع الفقه المختلفة.

(573) السلفية استشراف مستقبلي، ص 18، المرجع السابق.

وذكر العالم الفيلسوف الحسن الزهراوي رحمه الله عن سلفية الشيخ قائلا: إن قيمة سلفية شيخنا أبي شعيب ترجع أولا وبالذات إلى ما كان يتصف به من حرية الفكر كما يرجع اعتداله في سلفيته إلى سعة علمه وتضلعه في العلوم الشرعية.

فهو يقف موقف الاتزان والاحتياط في الحكم جاعلا من قواعد حكمه وأسسه الوقوف على وسط طرفي الافراط والتفريط.

فهو وإن كان شديدا على أهل العقائد الزائفة قامعا لأهل الأهواء والمدعين إلا أن شدته كانت في غير عنف وإنما كان يدعو إلى ترك تلك الضلالات والرجوع إلى الكتاب والسنة بالتي هي أحسن ما لم تنتهك حرمات الدين وإلا ثار غضبه لله ولا تأخذه فيه لومة لائم.

ولم يكن رحمه الله في سلفيته سَبَّاباً ولا عَيَّاباً للموتَى ولا مستهزئا بالأحياء كما نشاهد ونسمع عن كثير من دعاة السلفية.

والحق الذي لا مرية فيه والذي لا ينازع فيه إلا مكابر، أن شيخنا أبا شعيب كان أول من أدخل السلفية بمعناها الصحيح إلى المغرب كما أنه أول من أدخل إليه الصناعة الحديثية كما كنا نسمع ذلك من شيخنا سيدي محمد أقصبي رحمه الله[574].

آثار سلفية الشيخ أبي شعيب الدكالي :

من هذه الآثار المحمودة :

1) إحياء دروس العلم المتنوعة :

سبق أن سلفية الشيخ أبي شعيب سلفية علمية تربوية بالدرجة الأولى، ومن أجل هذه الغاية لم يكن يترك التدريس ليلا ولا نهاراً ولا صيفاً وشتاء، كما شهد له بذلك تلامذته.

وكانت له ثلاثة دروس في اليوم بعد الفجر، وبين الظهرين، وبين العشاءين زيادة على العمل الرسمي الذي كان يشتغل به، فكان الشيخ في هذا الباب أمة وحده، إذ قل أن يفعل بعض الشيوخ مثله، ولكن الفضل في ذلك لله إذ زاده سبحانه بسطة في العلم والجسم

(574) انظر كلمة الأستاذ الحسن الزهراوي ضمن كتاب شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، ص 67 وما يليها.

وقد درس الشيخ علوماً مختلفة كما ذكرنا من قبل وعلى رأسها إحياء تفسير القرآن الذي ظل مهجوراً مدة من الزمان.

يقول الأستاذ محمد بن اليماني الناصري عن مرحلة تعطيل تفسير كتاب الله :

وكان ذلك ممنوعاً بدعوى عدم توفر الوسائل، ونزول الشدائد لحبس المطر، وموت الملك عند الاشتغال به مع أننا شاهدنا بأعيننا شيخ الإسلام بهذه الديار المغربية، ومؤسس النهضة العلمية بها الحافظ أبا مدين سيدي بوشعيب الدكالي يقرئ علم التفسير، وحضرنا مجالسه، وإملاآته العجيبة، المطربة، المرقصة فيه، حتى ختمه، وما وقع شيء من ذلك أصلا، وهو الآن رعاه الله (في ذلك الوقت) يقرئ تفسير الإمام النسفي منّ الله عليه بإكماله على أحسن حال[575].

وأحيا الشيخ رحمه الله دراسة الكتب الحديثية الستة، وزاد عليها الموطأ للإمام مالك، ومسند الإمام أحمد، وهو بهذا الصنيع ضرب المثل الأعلى في إحياء علوم السنة والحديث، إذ لم يستطع غيره أن يفعل ما فعل لولا المدد والتوفيق الإلاهي.

وهو في أثناء دروسه التفسيرية والحديثية يدعو الناس بالتي هي أحسن، ويرشدهم إلي التي هي أقوم في المعتقد والسلوك، حتى انتفع به الناس وطلبة العلم من كل أنحاء المغرب، وعمت سلفيته المباركة أرجاء المعمور.

وشارك الشيخ رحمه الله في تدريس علوم أخرى كما أشير إليه في مبحث جهوده العلمية.

جاء على لسان الأستاذ محمد الجزولي أحد تلامذة الشيخ في هذا المجال :

إن هذا الرجل العظيم (يقصد أبا شعيب) قد خدم المغرب في مجالسه هذه، وأحسن إليه الإحسان الذي لا قبله ولا بعده.

فقد أيقظ فيه المعرفة، والعلم، ووجه أهله لمدارسة الحديث وتفهم معانيه، ومقاصده عوض أن يتلى للتبرك بتلاوته، وجرأهم على التفسير، وعلوم القرآن،

(575) ضرب نطاق الحصار على صاحب نهاية الانكسار، ص 30، لمحمد بن اليماني الناصري، المطبعة الأهلية، درب الفاسي، رقم 3، الرباط، دون تاريخ.

وأحيا فيهم روح الواقعية، ودفعهم للصعود بالأمة إلى مراقي العز والكرامة، ثم وضع ثقله كله على محاربة البدع التي كانت متفشية في جميع نواحي المغرب، فقصمها وحسمها، ولكن بأي سلاح ؟ فإنه لم يحفل عليها بخيل ولا سلاح، وإنما بالكلمة الطيبة، والجملة المقنعة، والحجة القاطعة، والآية الصريحة، والحديث الصحيح.

وكل مهاجمته لأصحاب تلك البدع كانت على غرار (ما بال أقوام) فلم يسم، ولم يعين قط، وإن ضرب يوماً فأوجع فإنه لا يجرح ولا يدمي، حتى أثمرت شجرته، واتسعت خطته، وتقبلتها الأمة عن طواعية واختيار، وبدون تعسف ولا إكراه..

ولقد برهنت الأمة المغربية على حيويتها، ويقظتها، وتفهمها للعروض المعقولة، فإنه لم يمض على مواجهة الشيخ لمختلف البدع بالنقد والتجريح وبيان أضرارها، وبعدها عن العقل، ومباينتها للدين، أقول إنه لم يمض على تلك المجابهة بضعة أعوام، حتى امحت تلك البدع والطقوس من تلقاء نفسها من جميع أصقاع المغرب، فلم يبق ناهش لحم، ولا شاذخ رأس، ولا متجوق على النار، ولا راقص على الطبل والمزمار، وها هو المغرب بالباب، فليبحث من شاء في جميع أصقاع المغرب عما كان، وعما هو كائن الآن[576].

2) تدريس مادة الفقه بالدليل :

لم يقتصر الشيخ شعيب في تدريسه على القرآن وعلومه، وكتب الحديث وما يتعلق به، بل كان الشيخ مهتماً بتدريس الفروع الفقهية وإرجاعها إلى أصولها وأدلتها حتى يلتقي الدليل بالمدلول، ومن أجل ذلك درس الشيخ مختصر خليل الذي كان يحفظه عن ظهر قلب منذ صغره، وكان تدريسه له بإرجاع كل فرع فقهي، وجزئية فقهية فيه إلى أصلها من قرآن أو سنة أو إجماع إلى غير ذلك من مصادر الشريعة المتنوعة، ومقابلة الأقوال المذهبية بعضها ببعض مع بيان الراجح منها.

ولم تكن هذه الطريقة في تدريس الفقه معروفة آنذاك في المغرب من لدن شيوخ العلم، حيث كانوا يقتصرون على الفروع المجردة مع حكاية الخلاف حولها داخل المذهب، أو إيرادها في بعض الأحيان مجردة مع جلب ما في الحواشي والتقريرات الفقهية من شروح المختصر.

---

(576) ذكريات من ربيع حياتي، ص 29، المرجع السابق.

فأحيا الشيخ بهذا الصنيع عملية ربط الفروع بأصلها، وتمكن الناس من فهم الفقه بأدلته المبنية عليه، إذ كلما ظهر الدليل ارتاحت النفس إلى ما بني عليه من فقه مما جعل الأستاذ محمد المختار السوسي أن يقول لما سمع من الشيخ شعيب ما سمع وهو يتبع النهج الذي ذكر في جامع ابن يوسف العامر : أنه ذاق حلاوة الفقه بصنيعه هذا.

فضلا عما كان يورده الشيخ من اختلاف المذاهب، وتأصيل فروعها بناء على أدلتها المتعددة، والتأكيد على مذهب مالك منها، وما تنبني عليه فروع هذا المذهب من أدلة.

فجدد الشيخ بهذا شباب الفقه وإهابه، وأعاد له رونقه الذي فقده منذ أجيال.

3) انتشار مدارس العلم والتوعية :

كان من آثار ما قام به الشيخ من نهضة مباركة انتشار المدارس الحرة التي أنشأها العلماء من تلامذته في كل من الرباط، وفاس، ومراكش وغيرها.

فبدأت بوادر محو الأمية من البلاد، وتنبه الناس إلى فائدة العلم ونوره، ونكسة الجهل وظلامه.

4) محاربة مظاهر الشرك والشعوذة :

لم يكن الشيخ يتساهل في أمر سلامة العقيدة من الشرك وما يشوبها من ضلال وشعوذة.

ذلك أن القرآن الكريم من أوله إلى آخره كان يجادل أهل الشرك والكفر، ويناضل عن أهل الإيمان والاسلام الصحيح، وأول ما يسأل عنه العبد في قبره، وعند حشره يوم القيامة ثبات إيمانه، ونقاوة عقيدته، وقد يغفر الله سبحانه الذنوب جميعها بمنه وفضله، ولكنه عز وجل لا يغفر أن يشرك به، قال تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

ويذكر في هذا الصدد الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني رحمه الله وهو من تلاميذ الشيخ أنه سمع بفاس بسدرة (شجرة سدر) قرب ضريح أبي الحسن علي ابن غالب، وكان الناس يزورونها، ويعلق النساء فيها شعوراً وتمائم، وكان الشيخ

ينكر ذلك، ولكن الناس كانوا يتطيرون من مسها بسوء، فذهب جماعة من طلبة الشيخ - وعلى رأسهم الفقيه ابن العربي العلوي - فاقتلعوها من جذورها بالفؤوس، فلم يصب أحد منهم بسوء[577].

وفعل مثل ذلك في كسر صخرة كانت تعبد من دون الله بمدينة مراكش.

ورأيت بأم عيني بأرض دكالة نخلة أحاط بها أصحابها أحجاراً متراكمة، والنخلة في الوسط، فكانوا يأتون في المساء بالشمع لإضاءتها، ويتوسلون بها وبأحجارها، فلست أدرى ماذا يسألون، وبماذا يتوسلون، إذ كان الخلاف في التوسل والتقرب من موتى بني آدم من الصالحين، فأصبح الأمر متعلقاً بالحجر والشجر وهذا لا يجوز لأن عبادة الحجر المجرد والشجر من شأن عهد الجاهلية، من أجل ذلك كما هو معلوم قطع سيدنا عمر رضي الله عنه شجرة بيعة الرضوان لما رأى الناس يأتون إليها بعد وفاة الرسول ﷺ فيصلون عندها، وقال :

أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى، ألا لا أوتي منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد، ثم أمر بها فقطعت[578].

فالصلاة في أي مكان ولو تحت تلك الشجرة أمر مباح، لكن لما قام في أذهان الناس معنى خاص بتلك الشجرة، يرجع إلى التقديس، ويخالف المعهود من عهد الرسول عليه السلام وصحابته، كان ذلك مبرراً لاجتياتها في نظر سيدنا عمر رضي الله عنه سداً للذريعة، وحفظاً لمعاقد الإيمان[579].

5) كثرة التلاميذ :

نظراً لما كان عليه الشيخ رحمه الله من الاشتغال المستمر بالتدريس طيلة حياته، لا يفتر عنه إينما حل وارتحل.

فتكون لديه جمع غفير، وجمهرة لا حصر لها من التلاميذ في أنحاء المغرب، ومن الوافدين عليه في الرباط لحضور دروسه الرسمية التي كان يلقيها ثلاث مرات في اليوم.

---

(577) ذكريات محمد إبراهيم الكتاني مع الشيخ.

(578) منهج عمر بن الخطاب في التشريع، د. محمد بلتاجي، ص 468، دار الفكر العربي.

(579) أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي، ص 431، للمؤلف محمد رياض، مطبعة النجاح الجديدة.

كل ذلك جعل من الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله أستاذ وشيخ الجميع دون منازع.

وهؤلاء التلاميذ هم الذين حملوا مشعل الثقافة ونشر العلم وحملوا لواء الإصلاح من بعده في البلاد، وهم الذين أخذوا بزمام الأمور لا في عهد الحماية ولا في عهد الاستقلال، وأثرهم مازال سارياً إلى الآن.

6) ومن مظاهر إصلاح الشيخ :

ما ذكره الشيخ التاودي بقوله :

ومن حسنات شيخنا (يقصد الشيخ أبا شعيب الدكالي) التي يشكر عليها أنه تصدق بالأرض التي أقيم بها سوق (سبت مغشوش) - بقبيلة زعير - إذ كانت السوق تعقد يوم الجمعة قديماً بجوار دار القائد عبد الله البوعزاوي بأرض تويست، إلا أن السلطة المحلية باتفاق مع قائد التراب بوعمرو بن رحو العليوي أراد الجميع نقل مكان السوق القديم إلى مكانه الحالي القريب من الطريق المعبدة التي تربط مركز دائرة الرماني بالخط الذاهب إلى الدارالبيضاء وإلى الرباط إذ جاء موقعه الحالي في مفترق الطرق، وكانت الأرض على ملك صاحبنا الشيخ أبي شعيب الدكالي ففاتحوه في الأمر بالبيع فوجدوا منه الاستعداد الكامل ولكنه اشترط عليهم أن يحول السوق من يوم الجمعة إلى يوم السبت فقبلوا شرطه، وإثر ذلك تصدق على الجماعة بموقع السوق الحالي، وتقدر المساحة بنحو أربع هكتارات ومن ذلك اليوم وهو يعقد السوق بيوم السبت، وأصبح يدعى بسبتِ مغشوش، وإنما اشترط عليهم شرطه المذكور، لأن يوم الجمعة يوم فاضل في الأسبوع، وفيه تقام صلاة الجمعة التي وردت فيها أحاديث كثيرة والاشتغال يومها يصرف الناس عن عباداتهم.

وأيضاً فإن مركز الشيخ العلمي لا يسمح له بأن يوافقهم عما يصرفهم عن أمور دينهم، فجزاه الله خيراً وأثابه على أعماله الممدوحة شرعا[580].

لماذا لم يؤلف شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي ؟

كثيراً ما تساءل الناس هل ترك الشيخ أبو شعيب الدكالي مؤلفاً أو مؤلفات وهو شيخ الإسلام العالم الحبر في علومه ؟

---

(580) انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 233 وما يليها، المرجع السابق.

للجواب عن هذا التساؤل، نبادر بالقول :

إن الشيخ أبا شعيب الدكالي رحمه الله حين رجع إلى وطنه في مطلع القرن العشرين كان المغرب آنذاك محتاجاً إلى أقوال لا إلى حروف، كان متطلعاً إلى التوعية، وإيقاظ الهمم، متعطشاً إلى العلم والمعرفة، لأن أغلب الناس كانوا بين جهل وأمية.

واختار الشيخ طيب الله ثراه عملية التلقين، ومباشرة التوجيه مما يناسب الجمهور، ولأن القوم مازالوا لا يدركون ما يقرأون، ولا يعلمون ما يأخذون ويذرون، فالأوفق لهم هو ما سلكه الشيخ في إلقاء دروسه بالشرح والتحليل، فضلا عما كان يقوم به من تنبيه للعامة وسط تلك الدروس بما يقتضيه إصلاح العوائد، وتنقية المجتمع من الشوائب، وكل ذلك لا يتسع له التأليف، ولا يأتي بثمرته المرجوة في الحين.

وقد ذكر الإمام الشاطبي في مقدمات موافقاته أن العلم ينال بطريقين :

الطريـق الأول : طريقة التلقين.

الطريق الثاني : الأخذ من الكتب للمتمكن منها.

ذاكراً أن المسلك الأول هو الذي كان عليه النبي ﷺ مع أصحابه، حيث تؤدي الرؤية والسمع مهمتهما في التلقي، لذلك كانت وسيلة الشيخ أبي شعيب الدكالي في التبليغ، والتوعية، والتثقيف هي تلك الدروس الجامعة، الحافلة المتواصلة عبر الليالي والأيام مما كان يقوم به.

وكانت هذه الدروس تشغل باله، وتأخذ من وقته كله، فكيف يمكنه أن يجد زمناً يخلو به بنفسه للكتابة ؟

ومن المعلوم أن التأليف يقتضي راحة بال، وسكون حال، وعدم ازعاج، والشيخ - كما عهد فيه - كان للجميع فهو شيخ علم وتربية، ورجل اجتماعي، فضلا عن الأعباء الرسمية والوظائف المنوطة به، والاهتمامات الأخرى من فلاحة وغيرها.

فكان رحمه الله مدرسة علمية واجتماعية، وشمساً مشرقة تضيء الآفاق، يضاف إلى كل ذلك ما ذكره الدكتور عباس الجراري في هذا المجال من أن الشيخ

اتخذ التدريس وسيلة لأنه لم يكن كاتباً، وحتى لو أنه أراد أن يكتب لأعوزته وسائل النشر، لأن المغرب في هذه المرحلة... لم تكن متوافرة فيه الصحف والمجلات ولم تكن المطبعة فيه نشيطة، ولهذا، وهو واع بالواقع لجأ إلى التدريس باعتباره خير وسيلة للتبليغ[581].

وقد نقل عنه أنه سئل لماذا لم تؤلف ؟ فأجاب لأن المغاربة لا يقرؤون.

وقد رأينا أن هناك من الناس الذين يظن أنهم يقرأون ويطالعون يشترون الكتاب أو يهدى لهم كتاب، فيوضع في رفوف الخزانة ولا يفتح إلا بعد الممات، وصدق الشيخ فيما قال.

ومع ذلك فقد ذكر له بعض تلامذته أمثال محمد الحجوجي الدمناتي في فهرسته نيل المراد عند ترجمة الشيخ مؤلفات منها : شرح مختصر خليل بالدليل والذي كان يسلك أسلوبه في دروسه كما ذكرنا سابقاً، وشرح المقامات الحريري، وكتابه على حديث «خير الأمور أوساطها» حيث استفاد منه ما يقرب من مائة مسألة إلخ...

لكن المؤسف أين هذه المؤلفات ؟ فقد تكون هذه الكتابات ذهبت بها يد الإهمال، والتفريط كما حصل لأغلب تلامذته الذين كتبوا منهم سيدي المدني بن الحسني، والشيخ محمد بن عبد السلام السائح وغيرهم الخ.

فقد نشر لبعضهم ما نشر وهو نزر يسير، ولكن بقي الأكثر إلى حد الآن مجهولا.

ومن تلامذة الشيخ بالرغم أنهم تأخروا عنه في الوفاة وتيسرت الأمور في حياتهم فمنهم من كتب وألف ومنهم من سلك مسلك الشيخ في التبليغ.

يقول الأستاذ عبد الله كَنون في هذا المقام عن الشيخ :

وأما الكتب فليس بلازم أن يكون للعالم كتب، وأن يخلف اثاراً إذا قام بمهمة التعليم والبلاغ، ولم يترك واجب النصح والارشاد، فشيخ الحكماء، وأبو الفلاسفة سقراط العظيم لم يؤلف ولا كتاباً واحداً، إلا أن تلاميذه وتلاميذهم من أفلاطون، وأرسطو، وغيرهم فيهم الكفاية.

(581) مع المعاصرين، ص 166، ط 1، عام 1416-1995، منشورات النادي الجراري 3، بالرباط.

وكذلك نحن ألسنا كلنا كتباً وآثاراً لفقيدنا العظيم (يقصد الشيخ شعيباً)، فكل ما نخطه بأيدينا ونرقمه في صحائفنا إنما هو نفحة من نفحات أشياخنا، ونفثة من نفثات صدورهم رحمة الله عليهم، ولله در البوصيري إذ يقول : (والمرء في ميزانه أتباعه) إلخ.....[582].

ونقل عنه الشيخ الرحالي الفاروق أنه كان يقول :

قول النبي ﷺ أو علم يبثه في صدور الرجال يشمل التعليم، والتأليف، والتعليم أفضل لقوله تعالى في حق النبي ﷺ : ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ ولقوله ﷺ : (وإنما بعثت معلما)[583].

كلمة إنصاف :

وفي ختام الكلام عن سلفية الشيخ، وأثرها في المجتمع المغربي نؤكد ما ذكره الدكتور المستشار عباس الجراري حفظه الله وهو :

أن بعض الناس حين يذكرون السلفية والاصلاح يقدمون وينوهون بالدرجة الأولى بالشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي بدل ذكر شيخه وأستاذه شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي في المقام الأول، وهو في المقام الثاني.

ذلك أن الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي تلميذ أبي شعيب الدكالي كان يحضر دروسه بفاس، والرباط، وهو من المعترفين بفضل الشيخ شعيب عليه، وعامة الناس يعرفون مقام الشيخ والتلميذ.

فمن باب الأدب مع الشيوخ أن ينسب لكل واحد منهما ما له وما عليه، وأن يذكر المتقدم على التالي وكما قال الشاعر :

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

ولكن عين السياسة حولاء كما ذكر الأستاذ محمد الجزولي رحمه الله.

ونحن لا ننكر فضل الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي، ولا جهوده العلمية والوطنية والاصلاحية، ولكن لكل مقام مقال.

---

(582) التعاشيب، ص 91، تحت عنوان «عبده المغرب»، المرجع السابق.

(583) شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، للدكتور محمد رياض، ص 55 وما يليها.

يقول الدكتور عباس الجراري هنا :

فعلى صعيد الطلبة والعلماء فقد خلف أبو شعيب الدكالي تأثيراً كبيراً تجلى في تلاميذه، أولئك التلاميذ الذين نهضوا بالرسالة الإصلاحية، وحملوا أعباءها، سواء في مدينة الرباط التي استقر فيها، واتخذ بها إقامته، أو في مدن أخرى كفاس ومراكش حيث وجد جيل من الطلبة الذين أخذوا عنه وتأثروا به، وربما ذكر بعضهم ونسي هو، فمثلا نجد غير قليل من الدارسين، والكتاب إذا تحدثوا عن الإصلاح وعن السلفية لا يذكرون أبا شعيب، وإنما يذكرون أشخاصاً آخرين كالشيخ محمد بن العربي العلوي الذي كان كذلك من زعماء السلفية في فاس[584].

ثم زاد مؤكداً حفظه الله :

ولهذا فإن أبا شعيب الدكالي - بعلمه وعمله وتجربته وتفتحه وما اكتسبه من خبرة، وكذلك بالمدرسة التي أنشأها، وبالتلاميذ، وبالوعي الذي خلفه بالأمة - بهذا كله استطاع أن يكون بحق وجدارة رائد الإصلاح الفكري أو الفكر الاصلاحي بالمغرب، ولا يناقش في ذلك إلا جاهل بتاريخ المغرب، لماذا أقول هذا الكلام وأكرره ؟

لأن بعض الذين يتحدثون عن السلفية وعن هذه المرحلة يهملون ذكر أبي شعيب ويذكرون أشخاصا آخرين هم من تلاميذه أو ممن يمكن أن يعدوا كالتلاميذ[585].

المطلب الثاني
جهود الشيخ الوطنية

يقول الدكتور عباس الجراري هنا متحدثاً عن وطنية الشيخ شعيب : ثم إن هناك عناصر أخرى ساعدت بدورها على قيام أبي شعيب برسالته الاصلاحية، فعلى الرغم من أنه كان وزيرا للعدلية وعلى الرغم من أنه كان في عهد الحماية يتولى المسؤولية، فقد كان وطنيا، وهذا جانب قلما يتحدث عنه الدارسون، بطبيعة الحال، في هذه الفترة التي نبحثها، الوطنية مازالت لم تولد بالمفهوم الحديث، أي

---

(584) مع المعاصرين، ص 170.

(585) مع المعاصرين، ص 174.

بالمفهوم الذي ربطها بالعمل السياسي، ذلكم مفهوم لم يتبلور إلا في سنوات الثلاثين، وربما جاز التأريخ لبدايته بإحداث الظهير البربري. ولكن الوطنية التي نتحدث عنها كانت كامنة في الروح وفي العمق وفي الرسالة التي يقوم بها الشخص[586].

ذلك أن وطنية الشيخ أبي شعيب الدكالي امتزجت بما كان يقوم به من دروس، وتوجيه، وبرسالته الاصلاحية من خلال ذلك، وعلى يديه المباركتين تكونت نواة الحركة الوطنية، إذ من المعلوم أن رجال هذه الحركة كلهم من تلامذته أمثال الأستاذ علال الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني، وأبي بكر القادري، وعثمان جوريو وغيرهم كثير.

وكلهم كانوا يحيطون بالشيخ، ويحضرون دروسه سواء في فاس أو الرباط، أو سلا.

وكانت دعوة الشيخ من خلال دروسه أكبر محرك للحركة الوطنية وخير مؤطرها وهي في أول نشأتها، فضلا عن دفاعه عن اللغة الرسمية للبلاد وهي اللغة العربية، والتمسك بالشرعية المتمثلة في تسلسل ملوك الدولة العلوية الشريفة ويتجلى ذلك في تأكيد ترشيحه لمحمد الخامس في خلافة والده المولى يوسف رحمه الله آنذاك، وموقفه من الظهير البربري الذي كان أول مناهض له في إبانه، وغيره من المواقف الوطنية المشرفة مما سوف نعرضه من مظاهر وطنيته.

مظاهر وطنية الشيخ أبي شعيب الدكالي :

1) إحياء حركة علمية شاملة ومتواصلة :

منذ عودة الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله من المشرق إلى أرض الوطن وهو شعلة يتقد علما وحيوية ونشاطا، فكان لا يعرف الكلل والملل من مواصلة الدروس العلمية، والتوجيهات الاصلاحية في كل وقت وحين، وعبر الليل والنهار.

ولولا محبة الشيخ لوطنه والنهوض بأهله، لما تحمل كل هذه المشاق من أجل رفع راية العلم والقضاء على براثن الجهل.

---

(586) مع المعاصرين، ج 1، ص 167 وما يليها.

قال الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله في هذا الشأن :

«كان يجهد نفسه ويقف موقف المومن الصادق في أداء رسالته المقدسة مما كانت له نهضة مباركة عمت المغرب وأطرافه مدنا وقرى مما يحتم وبكل تجرد أن يكون شيخنا الدكالي مجدد القرن المعاصر، ثم رغم انعزاله عن العمل ذي المناحي الثلاثة : 1) وزارة العدل، 2) الاستيناف الشرعي، 3) التعليم، بقي محل عناية ورعاية من العاهل المغفور له[587]، ومن كافة الأوساط خاصة المثقفة، وبهذه الصفات الحميدة التي عاش عليها طيب الله ثراه، يكون قد ضرب الرقم القياسي في الوطنية الحق التي تتجلى وبصدق في التكوين الصالح، وتربية النفوس على المثل العليا، وجعلها في خدمة البلاد، والحفاظ بالطبع على مقوماتها دينا وسياسة واقتصادا، ولا غرابة وقد انبثقت عن روحي الكتاب والسنة حيث هما المنهجان اللذان كانت دروسه الباعثة تفيض بمفاهيمهما في شتى القضايا الهادفة البعث والوعي طالما هي نابعة من قلبه المؤمن، وضميره الحي في مثابرة وممارسة لا تكادان تعرفان الملل حراً وقراً»[588].

2) الاهتمام والدفاع عن اللغة العربية :

من ضمن الدروس التي كان يلقيها الشيخ، احتفاله باللغة العربية وتعليم متونها وكتبها الأصيلة، كألفية ابن مالك بشروحها المعروفة، وتوضيح ابن هشام وأساس البلاغة للزمخشري، ومن كتب الأدب شرح المعلقات السبع ومقامات الحريري وأمالي أبي علي القالي والكامل للمبرد، وكل هذه الكتب ذخائر اللّغة العربية وأساليبها المتينة.

وما ذاك إلا اكمال لمهمة الشيخ في نشر هذه اللغة، والمحافظة عليها من الدخيل، ومزاحمة اللغات الأجنبية من أجل القضاء عليها، ولاسيما وقد بسطت الحماية لواءها على ربوع هذا الوطن مما كان مدعاة لمحاربة كل ما يحقق روح الوطنية أو يمثلها.

جاء في خطاب للشيخ بفاس صحبة المولى يوسف رحمه الله قوله :

---

(587) يقصد محمداً الخامس طيب الله ثراه.

(588) المحدث الحافظ، ص 82 وما يليها.

«تعلموا اللغة العربية لغة القرآن لغة الإسلام لغة الإيمان لغة النبي إمام أهل العرفان لغة سلفنا المرحومين.

حفظ اللغات علينا فرض كحفظ الصلاة
فليس يحفظ دين إلا بحفظ اللغات

كان سلفكم يمدحون ويقدحون، ويرفعون ويضعون، ويشجعون الجبان ويطلقون يد البخيل الجعد البنان، فكونوا بهم من المقتدين، فما قرأت في الاسفار وما رأيت في الاسفار، لما خضت البحار وجبت الأقطار، أقبح من المذبذبين وأعني بهم من ترك لغته ودينه، ولا أخذ من العلم العصري لا رخيصه ولا ثمينه، ولا تزين بصنعة ولا حرفة مهمة مما يعد زينته، وقصاراه سوء العقيدة وبيس المذهب مذهب الدهريين، أولئك قوم طلبوا الدنيا فرجعوا بلا دين، فلا ما طلبوا وجدوا، ولا ما أخذوا ردوا، فكانوا عند أهل أوربا من الساقطين، وعندنا من المارقين».

وورد على لسان الشيخ الفاروقي الرحالي أحد تلامذة الشيخ في هذا المقام ما يلي :

«وأما اللغة العربية فكان له رحمه الله غيرة خاصة رءي مرة يخطب في حفل أقيم لوداع السنة الدراسية بحضور المندوب الفرنسي وهو يحث الناس على التشبث باللغة العربية والمحافظة على علومها حتى لا تضيع أمام الإقبال على اللغة الأجنبية والأجانب يحدقون النظر إليه، ويشخصون الداء فيه بينما الخطباء الآخرون أثنوا على اللغة الفرنسية، ومروا مرور الكرام باللغة الوطنية وعلق الناس على ذلك بعد انتهاء الحفل كل بما يشتهي».

3) التمسك بالعرش العلوي المجيد :

كان الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله يتمسك بالشرعية المتمثلة في ملوك الدولة العلوية الشريفة، ويكن لهم أخلص الود وأصفى المحبة ابتداء ممن عاصرهم وهو طفل صغير وهو المولى الحسن الأول ثم المولى عبد العزيز إلى أن جاء المولى عبد الحفيظ الذي كان السبب في استقدامه من أرض الحجاز، ورحب به فوق أرض المغرب ولاسيما في مدينة فاس الزاهرة التي استقبله بها في أول قدومه، فكان هناك تقدير وإجلال متبادل بين ملك عالم وبين عالم نحرير.

وجاء المولى يوسف بعد أخيه المولى عبد الحفيظ وكان يعلم فضل الشيخ وما يحمله من علم شريف ومن أخلاق كريمة ومن تواضع في سمو نفس، مما جعله يقربه إليه ويوليه وزارة العدلية آنذاك، ومناصب أخرى تحدثنا عنها فيما قبل.

وشاءت الأقدار أن يلتحق المولى يوسف رحمه الله بالرفيق الأعلى ويترك أمر الخلافة بين أبناء ثلاثة منهم السلطان الأمجد فيما بعد جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه.

واختارت الحماية آنذاك محمدا الخامس على صغر سنه لتعمل ما تشاء في أمر البلاد في ظنها على يد محمد الخامس آنذاك كما فعل الوزير أبا حماد مع السلطان المولى عبد العزيز لما كان صغيرا، ولكن خاب سعيها، وما حصل إلا العكس كما سارت الأحداث والوقائع من بعد.

وكان من الذين باركوا ترشيح محمد الخامس للخلافة عن المولى يوسف رحمه الله الشيخ أبو شعيب الدكالي لما رأى فيه من مخايل العزة والأنفة والشهامة ومظاهر النبل والتمسك بالوطنية وحب البلاد بالرغم من صغر سنه.

ومما نقله الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني في الموضوع عن الأستاذ الحاج محمد غازي أنه لقي الشيخ أبا شعيب بالرباط بعد رجوعه من بيعة الملك محمد الخامس رحمه الله بفاس فسأل الشيخ عن هذا السلطان الجديد ؟ فأجابه الشيخ بأن مخايل الخير بادية عليه، وتلا قوله تعالى : ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا﴾[589].

4) معارضة الشيخ للظهير البربري :

كان الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله أول من عارض ما يسمى بالظهير البربري وأول الموقعين ضده في تلك الآونة غيرةً منه على وطنه وما يمس وحدته ولغته وشريعته.

---

(589) القصص / 8، وقد أورد الشيخ هذه الآية ليقابل الحماية بآل فرعون، ومحمدا الخامس بسيدنا موسى عليه السلام، فكما قضى الله سبحانه على فرعون وآله بموسى عليه السلام، فقد ذهب عهد الحماية البغيض بمحمد الخامس بطل التحرير وأب الأمة رحمه الله.

وانظر ذكريات محمد إبراهيم الكتاني مع الشيخ.

إذ من المقاصد الاستعمارية في كل زمان ومكان تقسيم البلد الواحد، واشعال الفتنة بين المواطنين في ذلك البلد، ليخلو للاستعمار أن يفعل ما يريد، فكان من لطف الله بهذا الوطن أن تنبه الناس من علماء وعامة الشعب المغربي إلى تلك المقاصد والنيات السيئة للحماية، وقضي عليها في المهد من حيث لم تبلغ غايتها.

يقول أحد تلامذة الشيخ، وأحد الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال الأستاذ محمد الجزولي في هذا الشأن :

«ذهبت إليه يوما صحبة المرحوم الحاج العربي ملين حاملين إليه عريضة الاحتجاج ضد الظهير البربري، فقرعنا عليه الباب في الهزيع الأول من الليل، وما كان أسرع من إدخالنا عليه فوجدناه في فراش النوم فأزاح عنه الغطاء وقابلنا بالترحيب والابتسام، فلما عرضنا عليه العريضة أيدها وأمضاها وجزانا خيرا على مسعانا»[590].

5) الاحتفال بعيد العرش في بيت الشيخ :

كان عهد الحماية في أوج عزه، وأشد ما يكون عنفا وتصلبا، ومع ذلك لم يمنع الشيخ وأهله وأسرته من الولاء للعرش العلوي المجيد، والفرح والسرور بذكرى جلوس الملك المجاهد محمد الخامس على عرش أسلافه الميامين.

وكانت احتفالات عيد العرش هذه تقام في دار الشيخ أبي شعيب بالرباط، ويتزعمها آنذاك ابنه البار سيدي عبد الرحمان الدكالي رحمه الله بالرغم من مراقبة السلطات الاستعمارية وتتبع أعينها في هذا المجال.

وما ذاك إلا أكبر دليل على وطنية الولد والوالد رحمهما الله.

6) الاهتمام بشؤون الإسلام والمسلمين عامة :

حكى الشريف أبو علي الحسن بن محمد المنوني أنه في أحد ليالي العام الثاني لقيام الحرب العالمية الأولى، أقام الشيخ أبو شعيب الدكالي بالرباط حفلا دينيا رغب فيه من الحاضرين أن يبالغوا في القراءة والتوجه إلى الله سبحانه، وكان الشيخ أثناء هذا الاجتماع تبدو على وجهه إمارات الانزعاج، وعلامات التأثر، وتم

(590) انظر ذكريات من ربيع الحياة لمحمد الجزولي، ص : 51.

الحفل وانصرف الناس من غير أن يعرفوا - بالضبط - السبب الداعي لهذا العمل، ثم بعد أيام أسر الشيخ لبعض خاصته، أنه في هذه الأيام بالذات كان الحلفاء قد شددوا الحصار على الدردنيل، لينفذوا منه إلى الاستانة عاصمة الخلافة الإسلامية إذ ذاك، ثم صرفوا عنها، فظهر بذلك سر الاجتماع، وتبين سبب الانزعاج والتأثر، واتضح أن ذلك كله غيرة من الشيخ على الإسلام والمسلمين[591].

7) محاربة الاستعمار بالتوجيه والتنوير :

بالاضافة إلى ما كان ينبه عليه الشيخ في دروسه من التمسك بمقومات البلاد ورموزها، ومن التشبت بأذيال الوطنية الصادقة، فقد نقلت عن الشيخ مواقف مشرفة تدل على وطنية خالصة، فمن ذلك ما يلي :

- يذكر مرة أنه كان - وهو وزير - حاضرا في مأدبة إلى جانب المارشال ليوطي الذي تعرفون أنه كان أول مقيم عام لفرنسا بالمغرب، ووضع على المائدة شواء أي كبش مشوي، فالتفت المارشال إلى الدكالي وقال له : «هذا النوع من الطعام لم يعد موجودا إلا في المغرب، أما في الجزائر فإنهم لم يعودوا يعرفون ما هو الكبش المشوي» أجابه على الفور : «يا سعادة المارشال إن بقيت فرنسا في المغرب، نحن كذلك سنفقد الكبش المشوي»، فغضب اليوطي من كون هذا الفقيه الوزير يجيبه ويرد عليه بكلام فيه مس بفرنسا، يعني أنها إن استمرت فستجعل الأمة تفقد مظاهر أصالتها[592].

- ما يقال من أنه طلب الإعفاء من الوزارة أو أقيل منها لأنه رفض أن يوقع قرارا بإنشاء دار للبغاء في مدينة القنيطرة، رفض وأخذته الغيرة الإسلامية وامتنع ولزم بيته، الرجل إذن كان وطنيا بكل ما يفهم في الوطنية من حماس وروح وثبات على المبدأ وقول الحق وعدم الخوف من قوله.

- حين كان الشيخ وزيراً للعدل، وقد سبق إلى الاطلاع على ضريبة تعسفية فرضها المستعمرون سنة 1929، على الحرفيين، والصناع، عرفت بضريبة (الأكياب)، فنبه الشيخ الوطنيين إليها ودعاهم إلى مناهضتها، فتكونت لجنتان بالرباط وسلا،

---

(591) وثائق ونصوص عن أبي الحسن علي بن منون وذريته، ص 168 وما يليها، للأستاذ محمد المنوني، المطبعة الملكية، الرباط، عام 1398هـ - 1976م.

(592) انظر مع المعاصرين، ص 168، المرجع السابق، وانظر المحدث الحافظ، ص 121، مرجع سابق.

وحررت عريضتان قدمتا إلى جلالة الملك السلطان المولى يوسف في مظاهرة سلمية، ربما كانت الأولى من نوعها في عهد الحماية[593].

- ما ذكره الأستاذ محمد الحطاب عالم الجديدة وتلميذ الشيخ من أنه سمع الشيخ الإمام أبا شعيب الدكالي رحمه الله يقول في بعض دروسه الحديثية بالجديدة :

«كنت أحد العلماء الذين يحضرون الدروس الحديثية التي كان يعقدها الملك عبد الحفيظ بالقصر الملكي بفاس قبل عقد الحماية، فصار جمع من العلماء الكبار يتناقشون حول التاء الواردة في قوله تعالى : ﴿قالت نملة﴾ (النمل 18) هل هي للتأنيث أم للوحدة ؟

فقلت لهم : لقد فرغ العلماء من البحث في هذا الموضوع منذ قرون عديدة، وكان ينبغي لنا نحن أن نبحث عن الطرق التي تمكننا من طرد الجيش الفرنسي الذي بدا يحتل بلادنا منذ سنوات، وبلغني أنه وصل في هذا الأسبوع إلى سيدي (بوعثمان) بقبيلة الرحامنة في طريقه إلى مدينة مراكش....» وهو كلام نفيس لا يصدر إلا من رواد الفكر وقادة النهضة[594].

- كان الشيخ في مدينة مراكش وعلى مائدة الغذاء في دار الباشا التهامي الكلاوي، سأل الباشا الشيخ ما هو درس اليوم، فأجاب الشيخ ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾.

وكان بالفعل هو الدرس الذي ألقاه الشيخ بالمسجد[595]، فكان الأمر من أبلغ المصادفات في التعريض بالباشا الكَلاوي بتلك الآية الكريمة.

- كانت تحصل بين الشيخ وبين بعض أذناب الاستعمار مواجهات كلامية تصل في بعض الأحيان إلى أعنف المواقف[596].

---

(593) معلمة المغرب، ج 4، ص 1075، وانرظ تفصيل هذا الحدث ومساهمة الشيخ أبي شعيب الدكالي فيه وهو آنذاك وزير للعدل كتاب ذكريات ومذكرات، ج 9، ص 38 وما يليها، للأستاذ الحاج أحمد معنينو.

(594) من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر، لأبي هريرة عبد الرحمان بن محمد الباقر الكتاني، ص : 207.

(595) الشيخ أبو شعيب الدكالي، ص 162، لعبد الحكيم بركَاش، ط 1، عام 1989، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

(596) انظر في ذلك الحركات الاستقلالية، ص 139، لعلال الفاسي، المرجع السابق.

- ذكر الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني رحمه الله أنه :

من المعروف ما كان للشيخ رحمة الله عليه من يد بيضاء في تنظيم التعليم بالقرويين، وما كان له من مواقف في (المجلس الأعلى للقرويين) الذي كان ينعقد بالقصر الملكي بالرباط.

وقد أخبرني شيخنا ابن العربي العلوي رحمه الله أنه كان يكون هو والشيخ جبهة داخل المجلس يعملان فيها على إحباط مكايد المستعمرين وأذنابهم من أعضاء المجلس، وأنهما كانا يخوضان من أجل ذلك معارك عنيفة[597].

وفي ختام الكلام عن وطنية الشيخ ندلي بشهادة تلميذه المجاهد علال الفاسي أحد الذين حملوا مشعل الوطنية والاستقلال قال رحمه الله في حق الشيخ: وكان شيخنا فوق ذلك من العلماء الذين يناصرون الوطنية، ويدعون إليها، ويشايعون القائمين بها بتأييدهم الروحي، وإخلاصهم القلبي، وتارة يدفعهم الشعور الوطني الخالص لأن يقولوا كلمتهم، ويعلنوا معاضدتهم كما فعل الشيخ في قضية الظهير البربري، فقد كان أول من وقع العريضة المقدمة من طرف الأعيان والعلماء الرباطيين في تأييد القائمين باستنكار السياسة البربرية والاستبسال في مقاومتها، فزاد بعمله الحركة قوة وتأييدا[598].

الشيخ أبو شعيب الدكالي مجدد القرن الرابع عشر الهجري :

وبعد فبناء على ما أسلفناه وذكرناه من حياة الشيخ العامة، وتقلبه بين أحضان العلوم الإسلامية في المشرق والمغرب رافعا راية القرآن، وعلم السنة بكلتا اليدين، يجاهر بعلومهما وعلوم أخرى متممة، وما سطرنا من جوانب مشرقة ومظاهر نيرة في الإصلاح والوطنية.

يكون الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله بكل جدارة واستحقاق مجدد القرن الرابع عشر الهجري وهو ما شهد به أحد تلامذته الأوفياء الأستاذ المبجل عبد الله الجراري رحمه الله بقوله :

---

(597) ذكريات محمد إبراهيم الكتاني، ص 6.

(598) جريدة الأطلس، عدد 24 السنة الأولى (29 - 7 - 1937).

كان يجهد نفسه، ويقف موقف المومن الصادق في أداء رسالته المقدسة مما كانت له نهضة مباركة عمت المغرب أطرافه مدناً وقرى، مما يحتم وبكل تجرد أن يكون شيخنا مجدد القرن المعاصر[599].

يقول النبي ﷺ فيما رواه أبو داوود والحاكم وصححه وغيرهما : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها».

قال ابن كثير وقد ادعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر - والله أعلم - أنه يعم حملة العلم من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء من مفسرين ومحدثين وفقهاء ونحاة ولغويين إلى غير ذلك من الأصناف[600].

وقد جدد الشيخ شعيب رحمه الله في كل مجال من مجالات العلم والحياة.

جدد مناهج التدريس، وجاء بأسلوب جديد في الإلقاء وإيراد المعلومات في سائر العلوم الإسلامية.

وجدد في الدعوة إلى الاصلاح وبالتي هي أحسن حتى سمع منه الجميع، وأحبه الكل.

وجدد في مجال القضاء والعدالة والحكم وهو على رأس وزارة العدل، فأصدر المناشر المنظمة وأصلح المساطر المتبعة في ذلك.

وجدد في مجال التعليم، وأصدر أول قانون تنظيمي لجامعة القرويين في عهده.

فرحمة الله عليه في الأولين والآخرين، فقد كان أمة وحده، وأثابه على ما علم وعمل بما هو أهله وألحقه في أعلى عليين في جنات النعيم.

صفحات مشرقة من خصال الشيخ أبي شعيب الدكالي :

نختم هذه الحياة الحافلة بجلائل الأعمال لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي رحمه الله بذكر خصال حميدة ومآثر طيبة حكاها عنه تلامذته وملازموه تنبئ

(599) المحدث الحافظ، ص 82.

(600) كشف الحق ومزيل الإلباس، ج 1، ص 243، للعجلوني، المرجع السابق.

عما كان يتصف به الشيخ من إنسانية، وسمو أخلاق، وتواضع، واعتراف بالحق، وانصاف المحاور له في كل المناسبات.

وبالرغم مما جمع له سبحانه من أشياء قل أن تجتمع لأحد وهي العلم، والجاه، والمال، فإن ذلك لم يكن له سبباً للغرور والتعجرف والكبرياء، بل كان علمه لجاماً لكبح تلك الآفات وسار في حياته مقتدياً بسيد الخلق عليه الصلاة والسلام في أخلاقه السامية وشمائله العالية.

ونورد صوراً مما ذكر كما يلي :

- جاء على لسان الأستاذ محمد المختار السوسي وهو تلميذ مباشر للشيخ خلاصة أحوال الشيخ التي تعبق بالعطر والزهر في هذا المجال ما يلي :

ليس الشيخ شعيب من الأساتذة المتعجرفين الذين لا يتصل بهم تلاميذهم إلا في الدرس، بل كان يتصل بهم في كل مناسبة فينتزه معهم، ويسامرهم الليالي الطوال، فيثج عليهم بسيول متدفقة من النوادر والفوائد وكل ما يعن، فإن من خواص الشيخ أنه يتكيف بجليسه، فيكون عظيما من العظماء الذين تميد الأرض بهيبتهم إذا جالس الوزراء وسفراء الدول، حتى لتجد فخامة من صوته إذ ذاك وعلوا من قامته إذا ماشاهم في بعض مماشي البلاط الملوكي أو في حفلة رسمية في بعض الندوات الكبرى.

ويكون ماليا إذا جالس الذين يعنون بالمال، وبتنميته بالتجارة أو الفلاحة وما إلى ذلك، فإذا جالس المليوني التازي الشهير وأحد كبار أثرياء المغرب من المعمرين، أو رؤوس الأبناك والشركات فإنه ذو دقة غريبة في تنمية الأموال، واختيار الطرق لذلك فيدلي بآراء تكون لها قيمتها في ندوات الأغنياء يتخذونها أمثالا متداولة.

ويكون فقيرا درقاويا إذا لاقى أحد الفقراء فيتحدث معه عن الشاذلية وعن مولاي العربي سند هذا الورد إلى الشاذلي، فيروي الأحاديث الصحيحة في الاستغفار مائة مرة والهيللة مائة مرة والصلاة على النبي ﷺ مائة، ويتبع ذلك بسلامة العقائد عند أهل هذه الطريقة، وقد لاقيت أناساً من الدرقاويين الكبار يفتخرون بأن الشيخ منهم، كما كان كل ذويه من قبله وأنهم سمعوا منه أحاديث تؤيد ما يذكرونه دائما في أورادهم، ويكون أحد التلاميذ إذا جالس التلاميذ، وأحد

الطلبة من أصحابه إذا كان معهم، فقد سمعت من أستاذي سيدي المدني ومن الطلبة أقرانه من الرباطيين أن الشيخ في أيام وزارته خصوصا قبل 1340هـ وقبل أن يطرقه مرضه السكري كان دائما معهم في نزه متسلسلة وفي مسامرات متوالية، وقد سمرنا ليلة في دار شيخنا سيدي المدني فكان الأستاذ موضوع جل مسامراتنا معه، قال إن الشيخ شعيبا اليوم قد خامرته هموم، وانهكت جسمه أمراض، وهو وإن كان لايزال أنيس المعاشرة، فكه المحاضرة، قد نزل درجات عما نعهده منه، فقد كنا في زمن نتنزه نزها متتابعة لا تنقطع وكأين من نزهة مضت لنا في الزوارق فوق متن أبي رقراق صاعدين منحدرين والشيخ محور الحديث لا ينضب معينه ولا يُفل حسامه وكم ليلة أيضا قطعناها بالأبحاث العلمية، والنوادر والمفاكهات، فأدغمنا أولها في آخرها، فلا نشعر حتى يؤاذننا المؤذنون في الأسحار بأن الليل يكاد يلفظ نفسه الأخير، قال ارسل إليه رجل استدعانا بأن يحضر ولابد فأجاب بعد أن اعتذر بمرضه، ولكن مجالسة الطلبة حفزته من فراشه فتحامل حتى دخل علينا وهو لا يكاد يُسمع جليسه ببحة زكام سدت حلقه، فطلع على أريكة فامتد فوقها وقال اعذروني اليوم في محادثتكم، ثم دلفنا إلى موضع رأسه في الناحية التي تلينا من الأريكة فصرنا نتساءل معه حول سبب مرضه، ثم لم يشعر الشيخ وهو منبطح على بطنه وقد رفع رأسه إلينا، أن أسمعنا مع بحته التي لا يكاد يبين معها يقول فقربنا برؤوسنا إليه فبقي كذلك بصوته الخافت سلسلة واحدة بأحسن حديث مطرز، بكل ما يعن من النكث والنوادر والحكايات حتى ابهار الليل أو قرب السحر، قال وفي دعوة أخرى جلسنا وقد تهيأ الطعام ونحن في انتظار بعض المتأخرين والطلبة حوله ساكتون، فقال ليزيل عنا مشقة الانتظار، إنني كنت سمعت أن من كانوا ينتظرون إنسانا يحسبون أربعين ممن اسمهم الحسين، فإنهم لا يستتمون ذلك العدد حتى يحضر المنتظر، فجعل كل واحد منا يعد من يستحضرهم في الحين ممن اسمهم الحسين، فلم يقدر المكثر منا أن يبلغ العشرة، فقال الشيخ وقد بلغت إليه النوبة الحسين بن فلان الدكالي الذي كان خماسا عند فلان الساكن في القرية الفلانية في الصديكَات، الحسين بن فلان الفلاني كان ورد علينا من سوس فشارط عندنا سنوات، الحسين بن فلان الفلاني رأيته في مشاجرة مع فلان الذي كان شيخ بني فلان في العصر العزيزي تحت قيادة القائد الفلاني الحسين بن فلان الفاسي، كان شريك الطرنباطي في قيصارية مراكش زمنا، الحسين بن فلان من

عدول عبدة وقد كان كتب زورا فعزره القاضي الفلاني الحسين بن فلان المغربي كان مجاورا معنا في الأزهر ثم قضى عليه بالحبس دهرا لاشتغاله بالتدجيل، الحسين الطربلسي رأيته مع الأتراك الذين وردوا على المغرب في أيام مولاي عبد الحفيظ، الحسين بن فلان الدراوي كان فقيرا درقاويا عند سيدي محمد العربي المدغري كان يسيح مع بعض الفقراء إلى الدرقاويين في دكالة عرفته بسبحة غليظة وعكازة متينة ومرقعة كأنها قوس قزح، هكذا أملى الشيخ أربعين ممن اسمهم الحسين سلسلة واحدة من غير توقف ولا تلعثم ولا تفكر كأنما يملي حول حديث في درس البخاري، قال شيخنا سيدي المدني فقضينا العجب من هذه البداهة النادرة، أقول لم يسق شيخي الأسماء المذكورة على ما تقدم إنما أنا صُغْتُ ذلك على النمط الذي صاغ لي شيخي سيدي المدني حين حكى الحكاية فقد ذكر النسبة لقبائل شتى مع استدراكه أثناء ذلك شبه ما استدركته على نمطه ليكون انموذجا يتصور به القارئ الحكاية على وجهها.

وكان لا يهتم بلباسه وهيئته كثيرا ولا يحفل بالفخفخة الكاذبة في لباسه وممشاه بين الناس، وقد داعب مرةً أحد فقهاء فاس زمانه مباسطة بالتعاظم، فقال له إنني وإياك إلا أن نخرج مترادفين على بغل قصير عليه إكاف نشق أزقة فاس، فلم يقدر الفقيه على ذلك فغلب.

وحكى لي أستاذي سيدي السايح أنه حضر يوماً دعوةً كبيرة في دار سيدي أحمد بركَاش باشا أزمور، فخرج أثناء الجلسة ليتوضأ فتطلب نعلا قديما يجعلها في رجليه، فالتفت الخادم إلى النعال المصطفة فقدم له نعلا قديما فقال فحين خرجنا رمقت رجل الشيخ فإذا هي نعله ورد بها من ضيعته بزعير من البادية ولم يبال.

إن هذه الحالة لا يلزمها الشيخ، وإنما ديدنه أن لا يتكلف في الهيئة فيلبس ما يتيسر، والغالب عليه التوسط كما هو السنة.

نال الشيخ في وزارته مقاماً عظيما هائلا، وله فيها مواقف مشكورة مذكورة، وكان أحياناً ينوب عن الصدر، فتدور الأمور كلها بيده فيحسن الإدارة.

ومما يستحق أن يذكر له أنه كان أخذ بأيدي نجباء الرباطيين والسلويين بل ومن كل المدن، فكان سبب انخراطهم في الوظائف في دار المخزن، وفي القضاء.

وفي المغرب اليوم قضاة لولاه ما أدركوا ما أدركوا، وكان لا يرد طلبة أحدهم، وكانت بشاشته أول ترحيب لمن يقصده، ثم يأتي قضاء حاجته وراءها[601].

ثم زاد الأستاذ محمد المختار السوسي قائلا :

غير أننا نرى له من أجل علمه، وشمائله، ولطافة جانبه، ومن إلقائه التعجرف والتكبر بما وقر الله في صدره، ومن مخالطته لكل أحد حتى خالطت بشاشة محبته وإجلاله كل أحد.

ومن أنه أحيا الله به أمما موتى، وفتح به أعيناً عميا وقلوباً غلفاً، وآذاناً صما، نرى له من أجل هذه الخلال التي لا نرى بعضها فضلا عن كلها في أقرانه، ومن تواضعه وراء ذلك واقراره بذنبه لو كان له ذنب عظيم، ما ملك به عواطفنا، وأسر به أفئدتنا فآثرناه بإكبارنا، ونصرتنا، وولائنا وهو أحق بها وأهلها.

إن الشيخ شعيباً حي الضمير، وريف الظل، عذب المورد، سهل الكنف، قريب الجنى، يرتبط بالقلوب بسرعة، فيألف ويؤلف ويكاد صدر كل من رآه ولو مرة يتفتح عن صورته الوضاءة التي هي رمز لكل كمال، فكأن طينته جمعت من كل القلوب فتمثل بها بشراً سوياً.

فهكذا نعرف الشيخ وبذلك استولى على أرسنتنا في حياته وعلى أقلامنا الآن بعد وفاته، وسيعرفه الغد أكثر مما يعرفه اليوم، يوم ينصب الميزان، وتوزن الرجال بأعمالها فحينئذ يظهر الراجح من المرجوح[602].

ومن مظاهر **تواضعه وخفض جناحه**، رحمه الله، شفقته على طلبته والاهتمام بهم مما حكاه عنه الأستاذ الحاج أحمد معنينو في مذكراته حيث قال :

وكان رحمه الله إلى جانب علمه الغزير ذا أخلاق سامية ونفس أبية، وكرم حاتمي.

وأذكر على سبيل المثال : أنني أنا عبد ربه[603]، ذهبت يوما للدراسة بالزاوية الناصرية، وكان بجانبي الأستاذ المجاهد إبراهيم الوزاني، وعقب انتهائي من

---

(601) ترجمة الأستاذ محمد المختار السوسي للشيخ.

(602) المرجع السابق.

(603) يقصد نفسه وهو الحاج أحمد معنينو.

الدروس تقدمنا للسلام عليه، وتعرف على إبراهيم البطل، فاستدعانا للحضور عنده في البيت بالدار الجديدة التي بناها بحي (ديور الجامع)، وكانت الأيام شاتية، ونحن الطلاب لا مال عندنا، فذهبت والصديق الوزاني من مدينة سلا، إلى محل سكناه بحي (ديور الجامع) ووصلنا عنده الدار في حالة يرثى لها إذ المطر يبلغ إلى أعضائنا، فما كان منه رحمه الله إلا أن استحضر «مجمارين» من النار، وأخذ ثيابي وألبسني جلبابه، وأخذ ثياب صديقي الوزاني وألبسه القفطان والفرجية[604]، وبقي يلبس التشامير[605] فقط، وجعل مع بعض خدامه يدع ثيابنا فوق النار إلى أن استرجعت حالتها الطبيعية، ولبسنا ثيابنا ولبس ثيابه، ثم وضع بين أيدينا مائدة الأكل، وفيها عدة أنواع من الفواكه، وكان يقول لنا رحمه الله : إن جل هذه الفواكه من غرس يده، إذ كان يرحمه الله يعتني بالزراعة والغرس[606].

ومن مظاهر تواضعه أيضا ومؤانسته لتلامذته ما أورده عنه الأستاذ المؤرخ محمد إبراهيم الكتاني في ذكرياته معه قائلا[607] :

وجاء الشيخ مرة إلى فاس - أواخر سنة 1933 أوائل 1934 - فدعوته لبيتي وأضفته على الأسودين الماء والتمر، فسر بذلك سروراً عظيما وقال لي : هذه من سنة جدك ﷺ، وكانت زوجتي حاملا، فدعا لها، وبينما هو عندي جاء بعض الطلبة فأدخلتهم عليه، فازداد سروره رحمه الله، وزودنا بدعواته الصالحة.

وهناك مظهر آخر من مظاهر هذه الشخصية الفذة ألا هي : **إنصافه ورجوعه إلى الحق إذا تبين له**[608].

من ذلك ما حصل للشيخ في إحدى دروسه بالقرويين في تقرير ترجمة صحابي اعتمد فيه على ما أورده ابن حجر في فتح الباري[609]، بينما الصواب ما نبه

---

(604) هما من الألبسة المغربية حيث يلبس الأول فوق الثانية.

(605) لباس مغربي وهو عبارة عن قميص ساتر لكل الجسم.

(606) ذكريات ومذكرات، ج 9، ص 38، المرجع السابق.

(607) ذكريات محمد إبراهيم الكتاني، مطبوعة على الآلة الكاتبة، ص 4.

(608) قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رسالته العمرية : «فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

(609) كان الشيخ معجباً بكتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري وكان يقول عنه : «لا هجرة بعد الفتح».

عليه القسطلاني في شرحه للبخاري، فنبه الشيخ إلى ذلك الأستاذ الحسن بنونة من علماء القرويين، وأمام هذه الملاحظة سكت الشيخ في ذلك اليوم.

وفي الغد حين صعد إلى كرسي الدرس نادى على الأستاذ الحسن بنونة قائلا:

يا سيدي الحسن أعترف لك أمام الملأ ما ذكرته هو الصواب وإني أرجع عما قررته بالأمس[610].

ومن ذلك ما ذكره الأستاذ الجليل محمد المختار السوسي من أن شيخ الإسلام أبا شعيب الدكالي كثيراً ما يراجعه تلاميذه فيئوب إلى الحق على رؤوس الأشهاد والحاضرون كلهم يسمعون، وأنا (يقول محمد المختار السوسي) قد حضرته في داره مرة فأنشد:

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوح نبتها رُعي الهشيم

فأنشده «وطوح» بالطاء، فراجعته في ذلك، فقال إنه حقاً وصوح بالصاد، ولكن هكذا أحفظه من الصغر ملحوناً وكم فيما أخذناه صغاراً من اللحن.

وذكر يوماً في درس بالرباط حديث: من ذهب إلى السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير غفرت له أربعة آلاف من الكبائر.

ثم لما جلست معه بعد ذلك ذكرت له أنني رأيت في كتاب البيروتي في الموضوعات أن في سند هذا الحديث فلاناً، فقال: إذن ليس مما يعتمد عليه فجازاك الله عن فائدتك خيراً، ثم قال أن تكون قولة واحدة تغفر بها أربعة آلاف من الكبائر مما ينبغي أن يتوقف فيه بادئ بدء، وقد قال أصحاب الاصطلاح أن ما يعرف به وضع الحديث ترتب أجر عظيم على عمل قليل تافه[611].

ويذكرني ما أوردناه هنا من إنصاف الشيخ ورجوعه إلى الحق إذ ظهر ولو أمام الملأ، ما جلبه القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه أحكام القرآن حيث قال:

---

(610) انظر الشيخ أبو شعيب الدكالي أكاديمية علمية، ص 44.

(611) ترجمة الأستاذ محمد المختار السوسي للشيخ.

أخبرني محمد بن قاسم العثماني غير مرة قال : وصلت الفسفاط مرة، فجئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري وحضرت كلامه على الناس، فكان مما قال في أول مجلس جلست إليه، إن النبي ﷺ طلق، وظاهر، وآلى، فلما خرج تبعته حتى بلغت معه إلى منزله في جماعة، فجلس معنا في الدهليز، وعرفهم أمري، فإنه رأى إشارة الغربة ولم يعرف الشخص قبل ذلك في الواردين عليه، فلما انفض عنه أكثرهم قال لي : أراك غريباً، هل لك من كلام ؟ قلت : نعم، قال لجلسائه : افرجوا له عن كلامه، فقاموا وبقيت وحدي معه، فقلت له : حضرت المجلس اليوم متبركاً بك، وسمعت تقول : آلى رسول الله ﷺ وصدقت، وطلق رسول الله ﷺ وصدقت، وقلت : وظاهر رسول الله ﷺ، وهذا لم يكن، ولا يصح أن يكون، لأن الظهار منكر من القول وزور[612]، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ، فضمني إلى نفسه، وقبل رأسي، وقال لي : أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من مُعلم خيراً.

ثم انقلبت عنه، وبكرت إلى مجلسه في اليوم الثاني، فألفيته قد سبقني إلى الجامع، وجلس على المنبر، فلما دخلت من باب الجامع ورآني نادى بأعلى صوته، مرحباً بمعلمي، أفسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إليّ، وحدقت الأبصار نحوي - وتعرفني يا أبا بكر -[613] يشير إلى عظيم حيائه، فإنه كان إذا سلم عليه أحد أو فاجأه خجل لعظيم حيائه، واحمرَّ حتى كأن وجهه طلي بجلنار[614].

قال : وتبادر الناس إليّ، يرفعونني على الأيدي، ويتدافعوني حتى بلغت المنبر، وأنا لعظم الحياء لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض، والجامع غاص بأهله، وأسال الحياء بدني عرقاً، وأقبل الشيخ على الخلق فقال لهم : أنا معلمكم، وهذا معلمي، لما كنت بالأمس قلت لكم : آلى رسول الله ﷺ وطلق، وظاهر، فما كان أحد منكم فقه عني ولا رد عليّ، فاتبعني إلى منزلي، وقال لي كذا وكذا، وأعاد ما جرى بيني وبينه، وأنا تائب عن قولي بالأمس، وراجع عنه إلى الحق، فمن سمعه ممن حضر فلا يعول عليه، ومن غاب فليبلغه من حضر، فجزاه الله خيراً، وجعل يحفل في الدعاء، والناس يؤمّنون.

---

(612) يشير إلى قوله تعالى في شأن الظهار : ﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ المجادلة / 2.

(613) يخاطب أبا بكر العربي حاكي القصة.

(614) أوراق الرمان حين يتفتح عنها.

قال أبو بكر بن العربي : فانظروا رحمكم الله إلى هذا الدين المتين، والاعتراف بالعلم لأهله على رؤس الملأ من رجل ظهرت رئاسته، واشتهرت نفاسته، لغريب مجهول العين، لا يعرف من ولا من أين ؟، فاقتدوا به ترشدوا[615].

ومن قبل حصل هذا لإمام الأئمة مالك بن أنس رضي الله عنه مع تلميذه عبد الله بن وهب حيث قال :

سئل مالك عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء، فقال ليس ذلك على الناس، فتركته حتى خف الناس، فقلت له عندنا في ذلك سنة، قال : وما هي ؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد، وعمرو بن الحارث، وابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبد الرحمن الحلبي عن المستورد بن شداد القرشي قال : رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه.

فقال : إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة، ثم سمعته بعد ذلك سئل فأمر بتخليل الأصابع[616].

وبعد :

فإنه بهذه الأخلاق الفاضلة، والخصال النبيلة عاش الشيخ أبو شعيب الدكالي متحلياً بها، وبالرغم من تقلده للمناصب العالية والوظائف السامية من قضاء، ووزارة، فإنه بقي على حاله من التواضع، وخفض الجناح، وعدم العجرفة، واستمر في نشر العلم وحسن الأحوال إلى الرمق الأخير من حياته رحمه الله.

وبقيت له تلك النظرة الجليلة من الناس، ولو بعد اعتزاله لأعلى منصب في الدولة وهو الوزارة على خلاف غيره حين يزول عنه ظل الولاية.

قال الشاعر :

إن الأمير هو الذي ... يضحى أميراً بعد عزله
إن زال سلطان الولاية ... فهو في سلطان فضله

(615) انظر أحكام القرآن، ج 1، ص 182 وما يليها، لأبي بكر بن العربي المعافري، تحقيق على محمد البجاوي، ط 2، عام 1387 - 1967.

(616) مناقب الإمام مالك، ص 37، للشيخ عيسى الزواوي، ط 1، المطبعة الخيرية بمصر، عام 1325.

وقال آخر :

إن الـــولايـــة لا تـــدوم لـــواحـــد إن كـنـت مـنـكـراً ذا فـأيـن الأوّل
فافعل من الفعل الجميل صنائعاً فـإذا عـزلت فـإنـهـا لا تـعـزل

وفاة الشيخ أبي شعيب الدكالي :

قال تعالى : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا﴾[617].

والموت حكم به البارئ سبحانه على جميع خلقه دون استثناء، قال سبحانه مخاطباً رسوله الأكرم ﷺ : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[618] وقال عز وجل : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مِت فهم الخالدون﴾[619].

قال الشاعر :

مررت على الأحبة حين صُفَّت قـبـورهـم كـأفـراس الـرهـانِ
فـلـمـا أن بـكـيت وسـال دمـعـي رأت عـيـنـاي بـيـنـهـم مـكـاني

وإنه بعد عطاء متواصل، وجهود لم تعرف الكلل ولا الملل، وعزيمة عز نظيرها حتى قيل : «من أراد أن يرى العناية الإلهية فلينظرها في شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي»، تلك العناية التي رافقته في تلقيه للعلم في صغره، وفي نشره والقيام بأمره في كبره، بعد كل هذا وغيره، التحق شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي بالرفيق الأعلى يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى عام 1356 موافق 16 - 7 - 1937، ودفن يوم السبت في ضريح مولاي المكي بن محمد (الزاوية الوزانية) بوصية منه.

ففجع المغرب من أقصاه إلى أقصاه، وتقاطر تلامذته ومحبوه على منزل الشيخ من أجل التعزية والمواساة، وكان يوماً مشهوداً.

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولـكـنـه بـنـيـان قـوم تـهـدمـا

وقال آخر :

لـعـمـرك مـا الـرزيـة فـقـد مـال ولا فـــرس يموت ولا بـــعـير

(617) آل عمران / 145.
(618) الزمر / 29.
(619) الأنبياء / 34.

ولــكــن الــرزيــة فــقــد حــر يموت لموتــه خـلــق كــثير

وقال آخر :

المرء مـادام حـيـاً يسـتـهـان بـه ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وكيف لا تبكي الناس شيخ الإسلام، وهو من الذين يبكى عليهم في قول القائل :

إذا شئت أن نبكي فقيداً من الورى وتـنـدبـه بـعـد الـنـبـي المكـرم

فـلا تـبـكين إلا عـلـى فـقـد عـالم يـبـادر بـالـتـفـهـيـم لـلـمـتـعـلـم

وفـقــد إمــام عــادل قــام مـلـكـه بـأنـوار نـور الـعـلـم لا بـالـتـحـكـم

وفـقـد شـجـاع صـادق في جـهـاده وقـد كسـرت رايـاتـه في الـتـقـدم

وفـقـد كـريم لا يمل مـن الـعـطـا ليطفئ بؤس الفقر عن كل معدم

وفـقـد تـقـي صـالـح صـادق الـوفـا مـطـيـع لـرب الـعـالمين مـعـظـم

فهم خمسة يبكى عليهم، وغيرهم إلى حـيث ألـقت رحـالـهـا أم قشعم

وأمام هذا الحدث الجلل بعث عالم الجديدة وفيلسوف المغرب سيدي مَحمد الرافعي تعزية ضمنها تأثره على فقد شيخ الإسلام بعبارات أدبية راقية تليق بمقام الشيخ وأرسلها إلى أبناء الفقيد طيب الله ثراه.

وهذا نص التعزية المنقول من كناش الشيخ محمد بن عمر عاشور الرباطي المحفوظ بخزانة الأستاذ الزعيم علال الفاسي رحم الله الجميع :

الحمـد لله وحـده، وصـلـى الله عـلـى نـبـي الـرحـمـة، وسـيـد الأمة وعلى آله وأصحابه.

من العبد الفقير إلى الله مَحمد بن أحمد الرافعي وفقه الله ولطف به وله.

إلى السـادات الأبـرار، الأعـزة الـكـرام الأخـيـار، الـفـقـيـه المؤدب المهذب سيدي موسى، وباقي إخوته أنجال الأخ السائر إلى واسع رحمة الله، وعظيم رضوانه، الفقيه العلامة الحافظ الكبير، والخريت الماهر النحرير الشهير، الواعية الداعية، الجامع لأشتات العلوم، ومتفرق أحاسن المزايا وأعالي الفهوم شيخ الإسلام، وإمام المسلمين سيدي أبـي شعيب بـن عبد الـرحـمان الـدكالي الصديكَي، رعاكم الله

وسددكم، ووفقكم وأرشدكم، وأخذ بأيديكم في كل مُهم، وجبر كسركم من كل حادث مُلّم، ولاسيما حادث فقد والدكم الذي لا أعظم منه علينا وعليكم بل على الإسلام وأهله.

وسلام عليكم ورحمة الله.

أما بعد :

فإني أعزيكم، وأعزي الدين الإسلامي وأهله أجمعين، في مصيبة الفقد لوالدكم، الأستاذ الحجة الذي هو من أعظم المصائب التي أصيب بها ديننا القويم في صميم الصميم منه، ووسط الكبد في عصرنا هذا، وأشارككم في مأساة ذلك الحادث الجلل، ولي أن أقول متحديا أنكم كغيركم المشاركون لي فالأسف والأسى بفقده من هذا العالم، الذي لولا وجود أمثاله، وقلّ له المثيل والنظير ما حلى بعيني الإقامة فيه، ولو فواق ناقة.

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فأعظم الله أجري وأجركم، وأجر الإسلام وذوي الشعور الحي الحساس فيه.

فلقد كان رحمه الله ورضي عنه، وغمره بواسع إحسانه حسنة الليالي والأيام، وخير الآحاد، وفرد الأفراد، ونادرة العصور في الحفظ الواسع الباهر، الخارق للمعتاد، والاتقان البليغ، والجمع لمختلف العلوم، والتمكن من أعالي ذراها، والتوطن بمكان مكين من أقصى قُصُواها، والبداهة العديمة المثال، العزيزة المنال، والفهم المُجلى في كل ميدان، والآتي من وراء الغاية، والجد والاجتهاد، والدؤوب في نفع العباد بنشر لباب اللباب من صحيح العلم ومتينه، ومجانبة سقيمه ووهيه كل المجانبة، بل ومعاداة كل سفساف وهراء من القول مما يُعْزى إلى العلم أو الدين الحنيف جهلا أو تجاهلا، إلى عين في النقل الصحيح مفتوحة، وبصيرة نافذة.

ولقد خصه الله بهذه المزايا، وحباه بها من لدن حداثة سنه، بحيث أدرك في ذلك كله، وما بَقَل عذاره معه، عجز عن إدراكه السّبّق القُرّح، وذو الأسنان والرحلات الواسعة لمختلف البلاد في مختلف العلوم وضرب الأخماس في الأسداس في التداهي، والإغراب، والإغراق.

ومن تأمل بعين الحقيقة والتبصر، وجد الرجل خلق من عالم آخر، أرقى مما نحن فيه، ولعالم أزكى وأطهر، وأضوا، وأنور، وأنزه من غيون وريون الطبيعة وأبرأ من سائر كَدُراتها، وأدرانها وأوضارها.

وإنه إنما أخرجه الله جل سلطانه إلى هذا العالم ليظهر لنا صنعه البديع العجيب الشأن فيه، وفضله عليه تخصيصاً واجتباء، وتطوله على الناس بوجوده بين ظهرانيهم، وليعلمنا كيف يخص من يشاء بما يشاء من عظيم المواهب، وجليل المكرمات، ولينفع في هذا العالم أكثر مما ينتفع منه.

وأين ما بثه في الناس من إبريز العلم الصحيح القويم، ودرر النفائس العلمية اليتيمة دائمة دائبة، مما نال منه من عرض زائل، وظل حائل، وتافه فائل، حتى إذا تحققت به المنة، وعظمت في علومه المُنة، وأدى الغرض الذي أهل له، وكان لأجله كونُه، غارت عليه الحضرة الإلاهية، واستردت الوديعة فيه، واستأثر الله جلا جلاله وعظم كرمه به، وآواه إلى كنف رحمته الواسعة، ورضوانه الأعم الأتم، فنعمه الله، وقدس أسراره، وبارك في خلفه، وأجزل المتوبة عن المصاب بفقده، وليعلم أني لا أزال عليه حليف أحزان، وأسى على فراقه إيانا، ومغادرته لنا بكل ما نحن فيه تاركا فينا شوقاً إليه، وخنقاً ولواعج وخرقاً.

آه، ثم آه، واشوقاه إليه، فما عيشي ؟ بعد فقدي لأمثاله بعيش، ولا حياتي بحياة.

والسلام عليكم أيها البررة، حفظكم الله، وحفظ دينكم، ووجودكم، وموجودكم بمنه.

وكتبه من سمى نفسه صدره في 14 جمادى الأولى عام 1356هـ.

وقد تكونت لجنة لتأبين الشيخ رحمه الله برئاسة الحاج محمد الرفاعي، وكاتبها الحاج عثمان جوريو.

وتم التأبين يوم الخميس 18 جمادى الثانية عام 1356 موافق 26 غشت 1937، بحضور نخبة من تلامذته ومحبيه الذين ساهموا في إبراز مآثر الشيخ ومراحل حياته العلمية والإصلاحية.

ووجه الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس رسالة اعتذار لعدم حضور حفل التأبين هذا، بسبب المنع الذي واجهه آنذاك من السلطات الاستعمارية بعد أن عقد العزم على الحضور، وكتب في المجلة التي كان يصدرها باسمه في ذلك العهد كلمة تحت عنوان : «الاستعمار يحاول قطع الصلة بين الإخوان» جاء فيها ما يلي :

لما مات الإمام المصلح، العلامة الحافظ، الوزير الكبير، مولانا أبو شعيب الدكالي، فخر الأفارقة والمغرب الأقصى، كان من أقل حقوقه علينا أن قامت جماعة من إخواننا المغاربة بإقامة حفلة تأبين في أربعين وفاته، ودعت صاحب هذه المجلة لحضور هذه الحفلة باسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فلبى الدعوة ووجه للحكومة طلب رخصة السفر فسُكت عنه مدة مع قرب أجل الحفلة، فجدد الطلب ثانية فجاءه الجواب بالمنع البات لأن حكومة المغرب لا تأذن في دخوله للمملكة المغربية.

إزاء هذا ما وسعنا إلا التخلف والاعتذار لإخواننا المغاربة، ثم الاحتجاج على هذه الحكومات الاستعمارية التي تحاول بمثل هذا العمل أن تقطع الصلة بين الذين ساقتهم الأقدار إلى يدها وهي - في الحقيقة - ما تزيده بهذا إلا ارتباطاً وشدة[620].

وخير ما ينشد في حق شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي قول القائل :

وكان من العلوم بحيث يقضى ... له في كل فن بالجميع

وقول الآخر :

والناس أكيس من أن يحمدوا رجلا ... حتى يروا عنده آثار إحسان

وما قيل :

تريك بهجته ما ضمّ باطنه ... من المعارف والأسرار والكرم
فهو الفريد الذي جاء الإله به ... في العلم والدين والتحقيق والحكم

---

(620) انظر ابن باديس حياته وآثاره، إعداد وتصنيف الأستاذ عمار الطالبي، ج 3، ص 377، ط 1، دار اليقظة العربية بالجزائر، عام 1388 - 1968.

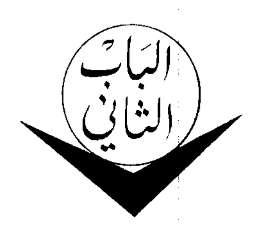
وبعد :

رحم الله شيخ الإسلام أبا شعيب الدكالي، وغفر له، ورفع درجته في عليين مع الصديقين والشهداء والصالحين.

وبوئه - اللهم - مقاماً علياً عندك، وأكرم وفادته عليك، فإنه كان عظيم الرجاء فيك وفي عفوك، وبما أسداه من نصح لكتابك، وسنة رسولك، وبما صدق في تبليغ آياتك، وأحاديث نبيك عليه الصلاة والسلام، وفقه الأئمة الأعلام، المنافحين عن ملة الإسلام، وأسعده في الآخرة، كما أسعدته في الدنيا بكرمك وفضلك، وبما علمته من علمك الذي لا يحيط أحد بشيء منه إلا بإذنك يا أرحم الراحمين، يا رب العالمين.

وصل يا رب على أكرم المرسلين، وخاتم النبئين، سيدنا محمد سيد الهداة المهديين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.





من آثار الشيخ أبي شعيب الدكالي

هذه الآثار متنوعة حاولت جمعها من متفرق الكتب والمجلات والجرائد الرسمية.

وتناولتها كالتالي :

أولا : الآثار المكتوبة.

ثانيا : نماذج من فتاوي الشيخ.

ثالثا : أسانيد الشيخ الحديثية.

رابعا : آثار أخرى مختلفة للشيخ.

خامسا : نماذج أحكام قضائية للشيخ.

سادسا : تقاريظ صادرة عن الشيخ لبعض الكتب.

وسنتابع هذه الآثار حسب المنوال التالي :

أولا : الآثار المكتوبة :

من هذه الآثار :

1 - محاضرة الشيخ في أول تدوين الحديث.

2 - محاضرة ابن الشيخ العلامة عبد الرحمن الدكالي (حول الجامع الصحيح للإمام البخاري).

3 - كلمة للشيخ حول الحج.

4 - المسامرة الأدبية في الاتزان والأخلاق المرضية (محاضرة للشيخ).

5 - نموذج من إحدى خطبه في الحرم المكي.

6 - خطاب للشيخ في حفل مدرسي بفاس.

7 - خطاب للشيخ بمناسبة افتتاح إعانة الفقراء والمساكين.

8 - كلمة الشيخ في إصلاح رواتب الموظفين والعلماء التابعين لوزارة الأوقاف في ذلك العهد.

9 - كلمة الشيخ بين يدي ملك الحجاز (ابن سعود) بمناسبة رئاسته لوفد الحاج المغربي.

10 - ملخص الخطاب الرسمي الذي ألقاه الشيخ بمسجد باريز.

11 - عناوين محاضرة ألقاها الشيخ بتونس.

12 - ترجمة الشيخ بخط يده.

13 - وثيقة عدلية صادرة عن الشيخ بخطه.

1) محاضرة في أول تدوين الحديث[1] :

الحمد لله الذي نضر وجوه أهل الحديث ورفع شأنهم وصحح إيمانهم وحسن آرائهم في القديم والحديث وأصلي وأسلم على الذي قال ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى له من سامع وعلى سائر الأنبياء وعلى الآل والأصحاب ومن لهم تابع.

أما بعد، فلا يخفى أن نبينا عليه السلام بعث على حين فترة من الرسل وقد رفع الجهل أعلامه، ونصب الشرك خيامه، إذ قصارى ما كان يعلمه أهل زمانه هو الشعر والكهانة وشيء من مفاخر آبائهم يتعاكظون به في سوق عكاظ وحباشة وذو المجاز والمزدلفة فما راعهم إلا نبي أمي يعرفون أمانته وصدق لهجته يرعى المواشي كما يرعون، ويتبع الإبل في متجرهم كما يتبعون، لكنه أدبه ربه فأحسن تأديبه وعلمه ما لم يعلم، وكان فضل الله عليه عظيما وخيره لديه جسيما وأوحى إليه بقرآن ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾ ومكث يدعوهم نيفا وعشرين سنة بالوعد تارة وتارة بالوعيد، فما استطاعوا أن يعارضوه وهم الذين يمدحون ويقدحون ويرفعون ويضعون ويشجعون الجبان ويطلقون يد الجعد البنان.

فكان على يده تنزيله بلغه إياه عن الله جبريله وهو المتعبد بتلاوته المتحدي بأقصر سورة منه وأوحى إليه بغيره ألا وهو الحديث الذي يساق إليه الحديث ولقد قال عليه السلام فيما أخرجه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : «لألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول : لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، ألا وإن ما أحل رسول الله كما أحل الله، وما حرم رسول الله كما حرم الله».

وأخرج مسلم أيضا أن يعلى بن أمية قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين : إنا نجد صلاة الحضر في القرآن، ولا نجد صلاة السفر يعني إلا

---

(1) ألقيت هذه المحاضرة ضمن ما ألقي في جلسات المؤتمر السادس لمعهد المباحث العليا المغربية بتاريخ 19 إلى 21 شوال 1346هـ موافق 10 إلى 12 أبريل 1928.
وقد طبعت بالمطبعة الأهلية بالرباط.

مقرونة بالخوف، فقال له : عجبت ما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ فقال : «صلاة السفر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته».

وأخرجا أيضا أن رجلا قال لعبد الله بن عمر مثل ذلك فقال : إن الله بعث إلينا نبيا ونحن لا نعلم شيئا وإنما نعمل مثل ما رأيناه يعمل، وفي رواية فتلى عليه: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

فالحديث أو السنة هو قول النبي عليه الصلاة والسلام أو فعله أو تقريره، وبعضهم يزيد أو وصفه ككونه كان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير.

أما (قوله) فكحديث الستة ومالك في رواية محمد بن الحسن الشيباني : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وأما (فعله) فكحديث عبد الله بن زيد بن عاصم المازني أن النبي عليه السلام دعا بثور من ماء فغسل يديه إلخ.

وأما (تقريره) فكقول جابر كنا نعزل والقرآن ينزل في الفعل، وقول عائشة في الترك كان لا يأمرنا بقضاء الصلاة أيام الحيض.

وأما (وصفه) فكقول الصحابي : كان إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب، وكقول علي يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله.

وإذ قد علم أصحابه أنه ما ينطق عن الهوى، وأنه الصادق اللهجة، حفظوا أقواله وأفعاله وتقريراته، ولمحبتهم إياه حفظوا أوصافه وصاروا أئمة أعلاما يجلي بهم من جاء بعدهم من حنادس الجهل ظلاما، ومنهم المقل والمكثر، والمكثرون سبعة : أبو هريرة واسمه عبد الرحمان بن صخر، وقيل : عامر بن عمرو في أقوال كثيرة، ومنهم أبو سعيد الخدري واسمه سعد بن مالك بن سنان، ومنهم جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، ومنهم أنس بن مالك النجاري الأنصاري، ومنهم عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، ومنهم عبد الله بن عمر، ومنهم عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما زوج رسول الله ﷺ.

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلوا ... من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة، سعد، جابر، أنس ... صديقة، وابن عباس، كذا ابن عمر

ولقائل أن يقول : ما بال عبد الله بن عمرو بن العاص لم يعد منهم مع أنه وقع في الصحيح، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : ما من أحد أصحاب رسول الله ﷺ إلا لو شئت لقلت أنا أكثر منه حديثا، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه أكثر مني لأنه كان يكتب وكنت أمرءا لا أكتب، فهو بهذا التصريح أكثر من أبي هريرة مع أنه أكثر المكثرين الذين تقدموا، فالجواب أن عبد الله بن عمرو سكن مصر ولم تضرب إليها أكباد الإبل في طلب العلم كالمدينة، وقد ثبت أنه عليه السلام قال : «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة» ولئن قال سفيان بن عيينة : إنها في مالك فهو بالنسبة لأهل زمانه.

ولقد اعتنى الصحابة بالحديث كثيرا ورحلوا فيه، ولقد وقع في الصحيح وترجم عليه البخاري بقوله : باب الرحلة في المسألة النازلة، وفيه بسنده أن عقبة ابن الحرث ويكنى بأبي سروعة تزوج امرأة وهي بنت أبي إهاب بن عزيز، فجاءت امرأة سوداء فقالت : أرضعت عقبة والتي تزوج بها فذهب أي من مكة إلى المدينة، وقال : يا رسول الله تزوجت بنت إهاب بن عزيز فجاءت امرأة سوداء فقالت، أرضعت عقبة والتي تزوج بها، ولا أعلم أنها أرضعتني ولا ذكرت ذلك لي، فقال له رسول الله ﷺ : فارقها، أو ليس وقد قيل ففارقها ونكحت زوجا غيره.

وفيه معلقا بلا سند مجزوما به، ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد شهرا. وفي أبي داود أن رجلا رحل إلى أبي الدرداء بالشام في حديث واحد، فلما وصل إليه قال له : يا أبا الدرداء رحلت إليك من المدينة إلى الشام لا لحاجة ولا لدنيا، وإنما لحديث بلغني أنك تحدثه فقال له أبو الدرداء : آ الله فحلف له، فقال : ابشر يا ابن أخي فقد سمعت النبي عليه السلام يقول : «من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع، وان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر، ويحبه أهل السماء، وان العلماء هم ورثة الأنبياء لم يورثو دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم من أخذه أخذه بحظ وافر، وأنه يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما الآخر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة بدر على سائر الكواكب».

وقد علم أن الكتابة كانت عندهم قليلة، وقد قدمنا أن عبد الله بن عمرو كان يكتب وثبت أنه قال : يا رسول الله أكتب سائر ما أسمعه منك في الرضي والغضب، قال : «اكتب فإني لا أقول إلا حقا» ولما خطب ﷺ الغد من فتح مكة قام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه، فقال : اكتبوا لي يا رسول الله، قال : «اكتبوا لأبي شاه»، وهذان الحديثان كما ترى إذن في كتابته وضبطه إلا أنه قليل، ولم تزل النازلة تنزل بالصحابة فيرجحون بين الحفظ، وكثيرا ما كان عمر بن الخطاب يستفتي فيه فلقد جاء أبو موسى فاستأذن عليه فقال أبو موسى : يستأذن الأشعري، يستأذن عبد الله بن قيس،يستأذن وكان عمر في شغله فلم يأذن له، فلما فرغ قال : ألم أسمع صوت أبي موسى قالوا : بلى، إنه استأذن فلم تأذن له، فذهب فأرسل إليه فلما حضر قال : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال له : إن رسول الله ﷺ قال : «استأذنوا ثلاثا فإن أُذن لكم وإلا فارجعوا» فقال له عمر : لئن لم تأتني بمن يشهد لك لأوجعت بطنك وظهرك، فذهب إلى مجلس الأنصار مذعورا فقالوا له : لا يقوم معك إلا أصغرنا، فذهب معه أبو سعيد الخذري وشهد له، فقبل عمر شهادته، وفي رواية قال له : لم أتهمك ولكني كرهت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ ثم جاء التابعون بعدهم واعتنوا اعتناء كبير به، فحفظوا من الصحابة كما حفظ الصحابة من رسول الله ﷺ، ونبغ منهم خلق كبير بالحجاز كالفقهاء السبعة وغيرهم، وبالشام كأبي إدريس الخولاني، وبمصر كأبي عبد الرحمان الحنبلي، ولقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى ابن حزم الأنصاري : «أن اكتبوا العلم فإني أخاف ذهاب العلم بموت العلماء، وأن أجلسوا في الطرقات حتى يتعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا».

وله مع الزهري قرب من هذا ثم تطور إلى جمع، فجمع الربيع بن صبيح، ومكحول بالشام، إلى أن جاء عصر أبي جعفر المنصور فكتب إلى إمام الأئمة إمام دار الهجرة مالك بن أنس، أن اكتب لي كتابا وطئه للناس، واجتنب فيه تشديدات ابن عمر، ورخص ابن عباس، فكتب الموطأ وكان فخراً لأهل الحجاز لتقدمه.

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأُلفت موطآت كثيرة وذهبت أخبارها حتى كأنها قمص بها في الماء، أو عرج بها إلى عنان السماء، ثم تصدى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة

ابن بردزبة الجعفري البخاري وهو شاب، فرحل في طلب الحديث رحلا متعددة، وأجاد إجادة عظيمة، وأفاد إفادة جديدة، فجمع كتابه الصحيح المجرد على أبواب الفقه، بادئا ببدئ الوحي، خاتما بكتاب التوحيد، والرد على الجهمية، فجاء معجزا في بابه، وأخذ من السنة أوفر نصيبه، فتلقته الأمة بالقبول وقالوا : إنه أصح كتاب بعد كتاب الله، وقالوا بتفضيله على ما عداه إلا ما كان من أبي علي النيسابوري وبعض المغاربة فقد قالوا : إن مسلما أفضل، وبعضهم يقول إن تفضيلهم يرجع لسهولة المأخذ، ولحسن التنسيق، ولعدم المكرر فيه، يعني إلا في محل واحد، ولكن البخاري لا يكرر إلا لنكتة، وترجمة غير الترجمة، ومنها يؤخذ الفقة الذي هو مدلول الحديث والمقصود منه، ويعيده بسند آخر، فيعلم بذلك طرقه فنظر البخاري أعلى والمكرر أحلى.

قالوا : لمسلم فضل	قلت : البخاري أعلى
قالوا : المكرر فيه	قلت : المكرر أحلى

وشرط البخاري أسلم وأصعب، لأنه زاد العدالة، والضبط، والاتصال، وعدم الشذوذ والعلة، ثبوت لقي الراوي عمن أخذ عنه ولو مرة، ومسلم إنما يشترط امكان اللقي عادة، وعاب على البخاري في مقدمة صحيحه تشديده، وما ضر البخاري ذلك فهو حينئذ أصح كتاب بعد كتاب الله، ولئن قال الشافعي رحمه الله : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب الموطأ، فعذره أنه ما رأى صحيح البخاري، ولقد قال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه : يا أهل البصرة، اكتبوا عن الشاب فوالله لو حضر له الحسن البصري لاحتاج إليه، وإذا كانت العلوم منحا إلاهية، ومواهب اختصاصية، فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولما عرض ما في حقيبته على المحك أتى بما يجلو ويجلي له الشك، حيث خلط له أهل بغداد أسانيد مائة حديث وعشرة رجال لكل عشرة أحاديث فقال : لا أدريها، ولكن هذه المتون وأسانيدها وأتى بالحق الصراح، ثم تلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري فجمع صحيحه المشهور ولم يكمله، لأنه وقف في التفسير عند قوله تعالى : ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ ولم يبوب وإنما بوب من بعده، وشرط دون البخاري كما ترى، وتنسيقه حسن جدا، وهو سهل التناول لاسيما الفقهاء

الذين يرجعون إلى الاستدلال من السنة، وإذا قيل : الصحيحان فالمراد صحيح البخاري ومسلم، وإذا قيل : على شرطهما فالمراد ما قد علم آنفا ولتجويز الخطأ والنسيان على ما دون الأنبياء من بني الإنسان استخرج الناس عليهما، ومعنى المستخرج أن يعمد الرجل إلى حديث إنما الأعمال بالنيات مثلا فيجوز الخطأ على البخاري، عن الحميدي، ثم يترقى فيجوز ذلك على الحميدي فيرويه عن غيره عن سفيان، ثم يترقى فيرويه عن غير سفيان عن يحيى بن سعيد، وهكذا فربما وجد وربما لم يجد كهذا الحديث، فإنهم ما وجدوا من رواه عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم، ولا وجدوا من رواه غير محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص الليثي، ولا عن عمر غير علقمة، وبذلك تظهر الطرق وربما جاء في بعضها ما يفيد المطلق، وفي بعضها ما يخصص العام، وقد استخرج على البخاري الاسماعيلي وأبو نعيم، وعلى مسلم أبو عوانة الاسفرايني، وقد استدرك عليهما الحاكم أبو بعد الله النيسابوري، ومعنى الاستدراك أن يأتي بما كان على شرطهما ولم يخرجاه، أو شرط أحدهما ولم يخرج ذو الشرط كذلك ولا يخلو من تساهل، وقد انتقد الدارقطني بعض الشيء فصادف الصواب في البعض، والكمال لله وذلك ليحصل الفرق بين المصحف وغيره، واستعملوا الأطراف كالمزي وغيره، ومعنى الأطراف أن يذكر طرفا من الحديث ويبين مخرجه كالبخاري وغيره، وراويه كأبي هريرة وغيره.

ثم جمع أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني كتابه كذلك على الست، والتزم أن ما لم يعله منه فهو صالح للاستدلال، وكتابه في غاية الجودة، وهي مقولة بالتشكيك وشرطه دون شرطهما، وقد قيل : ألان الله الحديث لداود كما ألان الحديد لداود.

وجمع أيضا أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي كتابه الجامع وشرطه دون شرطهما، ولقد امتاز عن غيره بأمور منها : أنه بين الفقه وكثيرا ما يقوله به أخذنا أو به نأخذ، وربما قال : وبه أخذ أهل الكوفة يعني الحنفية وغيرهم، وربما قال : وبه أخذ أهل العراق، وبه أخذ أحمد، وبه أخذ اسحاق، وبه أخذ مالك، وبه أخذ أهل المدينة، وربما روى عن البخاري، وربما روى عن أبي داود، كما امتاز بالتعديل والتجريح، والتضعيف والتصحيح، وكثيرا ما يقول في الباب عن فلان وفلان :

ولبعضهم اللباب لقول الترمذي وفي الباب، ولقد قال في شأن كتابه، وكان في بيته فكأنما فيه نبي ينطلق وقال : كل ما في كتابي فهو صحيح معمول به إلا حديثين حديث أن النبي ﷺ جمع العصر والمغرب والعشاء في غير مرض ولا سفر، وحديث من شرب في الراجعة فاقتلوه مع أن الأول معمول به عند المالكية، والثاني منسوخ.

وجمع أبو عبد الرحمان محمد بن شعيب النسائي كتابه السنن الكبرى، فعرضه على امير زمانه فقال له : كل هذا صحيح، فقال له : البعض صحيح والبعض لا، فقال : فجرده وسماه السنن الصغرى، وهو المجتبي بالباء إذ قد اجتبي والكبرى أو المجتني بالنون إذ قد اجتني وسميت هذه الكتب بالكتب الخمسة وزاد المتأخرون سادسا وهو سنن أبي عبد الله ابن ماجه، وحبذا لو جعل له به سنن الدارمي، وتجد كثيرا ما يقال هذا الحديث في الكتب الستة، وربما قيل : بدل الكتب الستة الصحاح، ثم ألف الناس كتبا كحطين الوراق، وأبي حاتم، وأبي الشيخ، وأبي زرعة الرازي، وأحمد بن حنبل، وابن الجارود، والدارقطني، والبيهقي، والطحاوي، ومن لا يحصى كثرة، وتفننوا في الأساليب، فمنهم من ألف على الأبواب، ومنهم من ألف على التجال كأن يروي عن أبي بكر، ثم عن عمر، ثم عن عثمان، ثم عن علي، ثم يرجع إلى الترتيب على أوائل اسم الصحابي أو كنيته، كما فعل الإمام أحمد في مسنده الحافل، والطيالسي وغيرهم، ومنهم من ألف على المعجم كالطبراني في كبيره ووسطه وصغيره، وكالسيوطي من المتأخرين في كبيره وصغيره، ومنهم من ألف على الطبقات كمحمد بن سعد كاتب الواقدي، ومنهم من جمع بين الصحيحين كالحميدي، ومنهم من جمع بينهما وبين غيرها كالبغوي في المصابيح، إلا أنه انتقد عليه بثلاثة أمور منها : أنه قسمها إلى ثلاثة أقسام سمى القسم الأول صحاحا وأتى فيه بما في البخاري ومسلم، أو أحدهما، وسمى الثاني حسانا وأتى فيه بما في غيرهما من الستة، وسمي الثالث غرابا وأتى فيه بما في غير الستة وارتكب اصطلاحا لم يسبق إليه.

الأمر الثاني أنه لا يعزو الحديث إلى مخرجه ولا إلى راويه.

والأمر الثالث أنه لم يستقص، ثم جاء الخطيب التبريزي وألف مشكاة المصابيح وعبر عن صحاح البغوي بالفصل الأول، وعن حسانه وغرابه بالفصل

الثاني، وعبر عما زاده من الصحيحين وغيرهما على البغوي في الفصل الثالث فجاء أصول الفصول.

وليعلم أن الحديث في حد ذاته بالنظر إليه نقلته إما متواتر، وإما خبر آحاد:

فالمتواتر ما نقله جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عن مثلهم من مبتداه إلى منتهاه، وقد اختلف في عددهم وهو أعلى أقسام الصحيح.

وخبر الآحاد هو ما عداه، وهو إما مستفيض وهو من نقله أربعة، وإما مشهور وهو ما رواه ثلاثة عن ثلاثة، وإما عزيز وهو ما رواه اثنان عن اثنين، ولا يلتزمه البخاري خلافا لأبي بكر ابن العربي، والجواد يكبو والسيف ينبو، وكفى بالرد عن ابن عربي أن البخاري بدأ بغريب وختم بغريب.

وأما الغريب وهو ما رواه راو فقط، فالغرابة تجامع الصحة لأن الباب باب رواية لا باب شهادة، وباب الرواية لا يشترط فيه تعدد، ولا ذكورة، ولا حرية، بخلاف باب الشهادة، والرواية ما دل على عام في وقت عام على مكلف عام، والشهادة ما دل على خاص في خاص على خاص، ولذلك شرطوا فيها التعدد خوف العداوة والحرية والذكورة، لأن حكم القاضي فرع عنها، والنفس تأنف من حكم العبيد، والشرع يأبى من حكم النساء.

ثم إن خبر الآحاد قسمها الأكثر، إلى صحيح، وحسن، وضعيف.

فالصحيح ما اتصل إسناده بلا شذوذ ولا علة، ورواه عدل ضابط عن مثله من مبتداه إلى منتهاه.

والحسن ما رواه عدل غير تام الضبط كذلك.

والضعيف ما عداهما، وربما ترقى الحسن إلى صحيح لغيره، والضعيف إلى حسن لغيره، فحينئذ الصحيح قسمان : صحيح لذاته، وصحيح لغيره.

والحسن قسمان : حسن لذاته، وحسن لغيره. والضعيف كثيرة أقسامه جدا، إذ كلما أخذت محترزا من محترزات الصحيح أو الحسن، كان ضعيفا، فقولنا ما اتصل إسناده خرج به المعلق وهو قول الواحد منا مثلا قال ﷺ كذا.

وخرج الموقوف وهو قول الصحابي، وخرج المقطوع وهو قول التابعي، وخرج المنقطع وهو ما سقط عنه راو، وإن زاد فهو المعضل، وإن لم يصرح الراوي بحدثنا أو شبهه فهو المعنعن أو الموثان لأنه فيه أنه قال، وهاهنا ينظر في أمر التدليس وهو أن يكون الراوي عاصر من فوقه فإن لقيه فهو شرط البخاري، وإلا فهو واسطة، فإن اشتهر بالتدليس كحميد الطويل، والأعمش، وابن عيينة، والحسن البصري، فلابد من مجيئه من طريق أخرى يصرح فيها بالسماع أو المتابعة أو الشاهد. ويسمى بالاعتبار، وإن سقط الصحابي فهو المرسل، وربما أطلقوا المرسل على كل منقطع، وبالاعتبار يعرف هل هو شاذ أم لا ؟ فإن لم يخالف الثقة غيره فهو المحفوظ وغير الشاذ، وإن خالف الثقة الثقات فهو الشاذ، وإن خالف غير الثقة الثقات فهو المنكر، والبعض يجعلها مترادفين، وما سقط منه الصحابي فهو المرسل، وشر الضعيف هو الموضوع، والباب كله ظني وأحد أنواع الصحيح المتواتر كما قدمنا كحديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»، وحديث المسح على الخفين، ثم ما أخرجه البخاري ومسلم، ثم ما أخرجه البخاري، ثم ما أخرجه مسلم، ثم ما كان على شرطهما، ثم ما كان على شرط البخاري، ثم ما على شرطهما، ثم ما على شرط غيرهما، فإن انضم إلى أعلى ما ذكر يسمى سلسلة الذهب فهو أعلى وأغلى وهي عند البخاري ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر ونظمها العراقي فقال :

سلسلة الذهب ما عن مالك ... عن نافع عن الإمام الناسك

وقال يا قوم منذ اليوم :

سلسلة الذهب مالك الأبر ... عن نافع عن الإمام ابن عمر

وقد قيل : ما رواه حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد بن سيرين .

وقيل : ما رواه إبراهيم النخعي، عن علقمة، عن ابن مسعود.

وقيل : ما رواه إبراهيم، عن الأسد بن يزيد، عن عائشة.

وقيل : ما رواه جعفر، عن الباقر، عن زين العابدين، عن الحسين، عن علي عنه عليه السلام.

وقال الإمام أحمد ما رواه الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، وإن قلت الرجال فهو العالي، وإن كثرت فهو النازل في أقسام كثيرة ترجع في الحقيقة إلى ما قدمنا،

والله أسأل أن يحيي من سنة نبينا ما اندثر أو كاد، وأن ينصر سلطان البلاد سليل الكرام والأمجاد وأن يوفق رجال دولته لما فيه الخير والسلام.

2) **نظراً لأن الولد يعد أثراً لوالده** ألحقنا محاضرة الشيخ أبي شعيب الدكالي بمحاضرة ابنه العلامة الأستاذ عبد الرحمن الدكالي كان ألقاها في ذكرى الإمام البخاري ببلاد القوقاز، موضوعها «**الجامع الصحيح للإمام البخاري» منبع لا ينفذ للفكر الإسلامي، والمرجع الحيوي للمسلمين في كل زمان، ومرجع فريد لطلاب العلم.**

فضلا عن أن محاضرة الوالد والولد من جنس واحد.

ونص المحاضرة كالتالي[2] :

الحمد لله رافع قدر أهل الحديث، المحسن وجوههم في القديم والحديث.

والصلاة والسلام على القائل : «ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى له من سامع» وعلى آله وأصحابه وكل من لهم بالخيرات تابع.

أما بعد، فإني أحيي هذه الذكرى الخالدة التي تشد إليها الرحال، وتحمد مساعي الذين دعوا إليها بكل لسان ومقال.

ذكرى تدوم على مدى الازمان	مشمولة برعاية الرحمان
ذكرى تنير لنا الطريق إلى العلا	في خدمة الإسلام والأوطان
ذكرى تذكرنا بأنا أمة	نشرت لواء العدل والعرفان
تدجو الخطوب وليلها مستصبح	بالغرة البيضاء من عدنان

وأحيي بتحية الله تحية الإسلام، إخواني علماء الأمة الإسلامية الأعلام، الذين يرفعون راية الكتاب والسنة على مدى السنين والأعوام.

واسمحوا لي أيها العلماء الإخوان، الذين جمعتكم كلمة الإسلام في هذا الزمان والمكان، أن أخاطب الإمام البخاري فأقول له : إن الله سبحانه قد جازاك أحسن الجزاء، فأجزل لك من ملايين عباده المدح والثناء. ومعلوم أن «من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة».. لقد استطعت أيها المحدث الكبير، والعلم الشهير،

---

(2) نشرت هذه المحاضرة بمجلة دعوة الحق، عدد 9، السنة 16 محرم 1395، يناير 1975.

والحافظ النحرير، أن تقيم أسس تلك المدرسة المحمدية، التي أنشأت للعالم رجالا أصبحوا في عقولهم وعدلهم وعلمهم وحضارتهم ومدنيتهم موضع الاستغراب، على توالي القرون والأحقاب. اعتصموا بالصبر وتحلوا بالشجاعة والكرم والنجدة والوفاء، وعرفوا معنى الحرية والعدالة والمساواة والإخاء. وأقاموا أركان المجتمع الإنساني على ما يضمن له كامل السعادة لو هدي إلى صراط مستقيم. وما هذه البحوث والدراسات التي تسيل بها أسنة الأقلام يحدوها الإخلاص إلى الله في القول والعمل، والتي هي أمضى في تأثيرها من أسنة الأسل، إلا مواد تزود بها مدرستك التي أسستها على هدى من الله وتقوى.

فسلام الله ورحمته وبركاته عليك يوم ولدت ويوم هاجرت ويوم مت ويوم تبعث حيا.

سادتي باختياري لموضوع : «الجامع الصحيح للإمام البخاري منبع لا ينفذ للفكر الإسلامي، والمرشد الحيوي للمسلمين في كل زمان ومرجع فريد لطلاب العلم. لابد أن أتقدم قبل كل شيء باثبات الصلة المتينة بين الإمام الحافظ الحجة أمير المومنين في الحديث الحديث أبي عبد الله سيدي محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفي رحمه الله ورضي عنه، وبين الأجيال التي تعاقبت منذ أخذ عنه حتى الآن خلال اثني عشر قرنا. وأنه لما يسعد المحدث غاية الاسعاد، أن يبدأ بما خصت به هذه الأمة المحمدية من الاسناد، وإني لأحمد الله جل جلاله وعم نواله على أني قد ارتويت من ذلك المنبع الفياض، وتزودت من عبير تلك الرياض، فقد قرأت الجامع الصحيح كله من حديث : «إنما الأعمال بالنيات» إلى حديث : «كلمتان خفيفتان على اللسان» على سيدي وسندي وعمدتي والدي الحافظ المحدث المشارك المقرئ النفاعة شيخ الإسلام، المفتي بالمذاهب الأربعة والعالم بأصولها، المجاور أربعة عشر عاما في الحرمين الشريفين أبي شعيب ابن عبد الرحمان الصديقي الدكالي الذي أجازني هو رحمه الله بسنده عن الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر عن الشيخ منة الله.

وهكذا استطاع طلاب العلم والحديث خلال هذه القرون، أن يرتوا من هذا المنبع الذي لا ينفذ، وأن يكونوا على صلة مستمرة بالإمام البخاري ليرووا «الجامع

الصحيح» وليحفظوا أحاديثه، ويعنوا بأسانيده، ويستعيدوا أصول الدين والفقه. وقواعد المعاملات وآداب الإسلام من ذلك الرجل الذي ذب عن رسول الله ﷺ بمروحته. واستطاع أن يؤلف أصح كتاب بعد كتاب الله بجده وجهده وعنايته وتقواه وعلو همته. وجدير بمن خرج كتابه هذا من ستمائة ألف حديث، أن يترسم خطى سيد الكائنات، وأن يتيقن ببلوغ المقاصد والغايات. لقد تحرى في استنباط المعاني وأصول الأحكام، وعبر في تراجم الجامع الصحيح عن تضلعه في الفقه، وتمكنه من اللغة، وحري بمن بيض تراجم كتابه بين قبر المصطفى ﷺ ومنبره أن يقال فيها : إنها تحير الأفكار وتدهش العقول والأبصار.

والحقيقة التي لا مراء فيها هي أن تراجمه تدل على أنه يعلم قارئ جامعه الصحيح العناية بالتفهم فيما يقصد إليه، ومقاصده في هذا الباب يضيق عنها المقام. لقد ذكر الحافظ ابن حجر أن العلامة ناصر الدين أحمد بن المنير قد جمع أربعمائة ترجمة، وتكلم عليها، ولخصها القاضي بدر الدين بن جماعة، وتكلم على ذلك أيضا بعض المغاربة، وهو محمد بن منصور بن حمامة السجلماسي، وقد قيل قديما : «فقه البخاري في تراجمه».

أما فضائل «الجامع الصحيح» فيكفي أن نسوق كدليل عليها : ما قاله أبو الهيثم الكشميهني : سمعت الفربري يقول سمعت محمد ان اسماعيل البخاري يقول : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين. وعنه رضي الله عنه قال : صنفت الجامع في ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجة بيني وبين الله. وروي عنه أنه قال : «صنفت كتابي الجامع في الحرم وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى وصليت ركعتين، وتيقنت صحته. فما من أمة إسلامية في مشارق الأرض ومغاربها إلا عنيت بصحيح الإمام البخاري رواية ودراية وحفظا. وكم من بيوت لله أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه اجتمع فيها الناس على العلماء الذين يسردون «الجامع الصحيح» أو يشرحون ما ورد فيه من أحاديث ويستدلون بها على مآخذ الأئمة الأربعة وغيرهم. وقد حضرت بنفسي في الأزهر الشريف دروسا في الصحيح على فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بخيت وعلى شيخ الجامع الأزهر الشيخ أحمد الظواهري وشيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى المراغي. وفي ضريح سيدنا الحسين بالقاهرة على الشيخ

السلموطي، وفي المسجد الأموي بدمشق الفيحاء على حافظ الشام العلامة المعمر الشيخ بدر الدين الخطابي الذي أجازني بسائر مروياته رحمه الله.

أما عدد أحاديث هذا الجامع الصحيح فقد قال الشيخ تقي الدين بن الصلاح عدد أحاديث صحيح البخاري سبعة آلاف ومائتان وخمسة وسبعون بالأحاديث المتكررة، وقال إنها باسقاط المكرر أربعة آلاف :

جميع أحاديث الصحيح الذي روى الـ	ـبخاري خمس ثم سبعون للعد
وسبعة آلاف تضاف وما مضى	إلى مائتين عد ذاك أولو الجد

وقد حقق من استوعب كل باب من أبوابه بذكر عدد ما فيه من الأحاديث أنها بلغت تسعة آلاف واثنين وثمانين حديثا بالمكرر، وهذه خارجة عن الموقوفات على الصحابة رضوان الله عليهم، والمقطوعات عن التابعين فمن بعدهم.

أما مشايخ البخاري الذين كتب عنهم وحدث عنهم فقد بلغوا ألفا وثمانين نفسا ليس فيهم إلا صاحب حديث، كما نقل ذلك عنه.

وأما الذين سمعوا منه الصحيح فقد ذكر الفربري أنه سمعه عنه تسعون ألفا وأنه لم يبق من يرويه غيره.

قال ابن حجر : وقد أطلق ذلك بناء على ما في علمه وقد تأخر بعده بتسع سنين أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن قريبة البزدوي. ومن تصانيف الإمام البخاري : 1) الأدب المفرد. 2) ورفع اليدين في الصلاة. 3) والقراءة خلف الإمام. 4) وبر الوالدين. 5) والتاريخ الكبير. 6) والتاريخ الأوسط. 7) والتاريخ الصغير. 8) وخلق أفعال العباد. 9) وكتاب الضعفاء. ومن تصانيفه أيضا : 10) الجامع الكبير. 11) والتفسير الكبير. 12) والمسند الكبير. 13) وكتاب الأشربة. 14) وكتاب الهبة. 15) وأسامي الصحابة. 16) وكتاب الوحدان. 17) وكتاب المبسوط. 18) وكتاب العلل. 19) وكتاب الكنى. 20) وكتاب الفوائد.

❖ ❖ ❖

لقد كان الإمام البخاري رحمه الله آية في الحفظ فقد قال أبو أحمد بن عدي الحافظ سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : ان محمد بن اسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى

مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر، واسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوها إلى عشرة أنفس، لكل رجل عشرة أحاديث، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري، وأخذوا عليه الموعد للمجلس فحضروا وحضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان وغيرهم من البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث، فقال البخاري لا أعرفه. فمازال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ وبالبخاري يقول لا أعرفه. وكان العلماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : فهم الرجل. ومن كان لم يدر القصة يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الحفظ. ثم انتدب رجل من العشر أيضا فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال لا أعرفه. فسأله عن آخر فقال لا أعرفه. فلم يزل يلقي عليه واحدا واحدا حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا أعرفه. ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة. حتى فرغوا كلهم من القاء تلك الأحاديث المقلوبة، والبخاري لا يزيدهم على لا أعرفه. فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول فقال : أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا، وحديثك الثاني كذا وصوابه كذا، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة. فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل. قال الحافظ ابن حجر في المقدمة. (قلت) هنا يخضع البخاري. فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة. وقال سليم بن مجاهد : قال لي محمد ابن اسماعيل لا أجيء بحديث عن الصحابة والتابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم. وقال محمد ابن حمدويه : سمعت البخاري يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح. والكلام في هذا يقضي وقتا طويلا، فها هو قتيبة بن سعد يقول : جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل وهو في زمانه كعمر في الصحابة. وقال أحمد بن حنبل ما أخرجت خراسان مثل محمد بن اسماعيل رواها الخطيب بسند صحيح عن عبد الله ابن أحمد بن حنبل عن أبيه. وقال يعقوب بن إبراهيم الدورقي ونعيم بن حماء الخزاعي : محمد بن إسماعيل البخاري فقيه هذه الأمة. وقال بندار محمد بن بشار : هو أفقه خلق الله في زماننا. وقال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق ابن

خزيمة : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من محمد بن اسماعيل، وقال أبو عيسى الترمذي : لم أر أعلم بالعلل والأسانيد من محمد بن إسماعيل البخاري، وقال له مسلم : أشهد أنه ليس في الدنيا مثلك، وقبله بين عينيه وطلب منه أن يقبل رجليه.

❖ ❖ ❖

وهنا لابد من الوقوف على آية في كتاب الله تعالى وهي قوله سبحانه : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم﴾ الآية. وإلى ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث شريفة «من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة» «أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع» وأن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر، وأنه يوزن مداد العلماء ودماء الشهداء فلا يعدل أحدهما الآخر، وان عالما واحدا أشد على الشيطان من ألف عابد». نعم، من هنا نرى اندفاع الإمام البخاري إلى الهجرة في طلب العلم، فلقد رحل إلى نيسابور والري والعراق والبصرة والكوفة ومكة والمدينة وبلخ ومرو ومصر ودمشق وقيسارية وحمص وعسقلان، وقضى ست عشرة سنة متنقلا يجمع الأحاديث ويستوعبها حفظا ويتقنها إسنادا وربما عاد إلى بلاد واحدة مرارا وتكرارا يلاقي في ذلك ما يلاقي في الجمع والتصحيح رضي الله عنه وأرضاه.

هذا ولم يعن علماء الإسلام بكتاب بعد القرآن كما عنوا بصحيح الإمام البخاري حتى بلغ الذين كتبوا حوله ما بين شروح ومختصرات وتراجم رجال عددا كبيرا جدا، وحسبك أن تعلم أن عدد شروحه فحسب بلغ اثنين وثمانين شرحا، كما ذكر ذلك صاحب كشف الظنون، ومن أشهر هذه الشروح أربعة : شرح الإمام بدر الدين الزركشي واسمه التنقيح (794) والعلامة العيني الحنفي (855) في عمدة القاري، والجلال السيوط (911) في التوشيح، ولكن لا هجرة بعد الفتح، فشيخ الإسلام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (852) في فتح الباري هو بؤبؤها وابن بجدتها، وكثيرا ما سمعنا شيوخنا من الحفاظ الكبار يقولون فيه :

إذا قالت حذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حذام

الجامع الصحيح للإمام البخاري في المغرب :

تيمنا بما «للجامع الصحيح» في بلادي من عناية فائقة يسعدني أن أقول بأن المولى إدريس بن عبد الله بن الحسن الكامل الذي فتح المغرب ونشر فيه الإسلام قد روى الإمام البخاري في كتاب التوحيد من الجامع الصحيح في باب قول الله تعالى: ﴿قل هو القادر﴾ أنه حدثه إبراهيم بن المنذر، قال حدثنا معن ابن عيسى، قال حدثني عبد الرحمن بن أبي الموالي، قال : سمعت محمد بن المنكدر يحدث عن عبد الله بن الحسن يقول أخبرني جابر بن عبد الله السلمي قال : كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن. أن سيدنا عبد الله بن الحسن هذا هو والد المولى إدريس الأكبر، قال القسطلاني في الإرشاد عبد الله بن الحسن هذا ليس له ذكر في البخاري إلا في هذا الموضع، وفي التقريب عبد الله بن الحسن بن الحسن الهاشمي المدني ثقة جليل القدر، وفي الخلاصة وثقه ابن معين وأبو حاتم وروى عنه يزيد بن الهادي، وليث بن سليم، ومالك، والثوري، ومات سنة خمس وأربعين ومائة. كان رضي الله عنه شيخ بني هاشم في وقته، وسيدا في قريش جم الفضائل كثير النسك والعبادة ويلقب بالكامل، وفي الشفا للقاضي عياض روي عن عبد الله بن الحسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي : إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي واكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي. وهو من التابعين، قال ابن سعد في طبقاته هو من الطبقة الرابعة من التابعين، وقال غيره هو من صغار التابعين.

أيها الإخوان الأفاضل، إن صحيح الإمام البخاري يسرد دائما في ضريح المولى إدريس الأكبر وأن ختم الصحيح في ليلة السابع والعشرين من رمضان يحضره كبار العلماء وهو مشهد من أجل المشاهد وأسناها، وقد كان لي منذ سبعة عشر سنة شرف ختم الجامع الصحيح بضريح المولى إدريس الأكبر في مشهد عظيم حضره كثير من الفقهاء والعلماء وما أظن أن قطرا إسلاميا سارع إلى الاعتماد على «الجامع الصحيح» في دراسة سنة رسول الله ﷺ عملا بقوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه». وقوله كذلك : «يوشك أحدكم أن يجلس على أريكته يأتيه الأمر من أمري فيقول : لا أدري ما وجدنا في كتاب الله أتبعنا، ألا وأن ما أحل رسول الله هو ما أحل الله، وأن ما حرم رسول الله هو ما حرم الله».

فمنذ أسست أول جامعة في الدنيا ألا وهي جامعة القرويين بفاس علت فيها أصوات المحدثين الذين انتدبوا بتدريس «الجامع الصحيح» وغيره من كتب الحديث، وكذلك الحال في جامعة ابن يوسف بمدينة مراكش حتى عم ذلك جميع مساجد المغرب، ويرجع الفضل في ذلك إلى الملوك الذين تعاقبوا على عرش المغرب من أدارسة ومرابطين، وموحدين، ومرينيين، وسعديين، وعلويين فكلهم كانوا يعقدون مجالس في قصورهم يستدعي لها حفاظ الحديث سواء من داخل المغرب أو خارجه، ويناقشون هم بأنفسهم العلماء في المسائل الفقهية ورواية الحديث ومعرفة المآخذ التي اعتمدها مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل. وقد نص على أن أول من أدخل رواية البخاري للمغرب هو أبو عبد الله الأصيلي المغربي. أما الحفاظ المغاربة فلا مجال لسرد أسمائهم في هذه العجالة. وقد عرف في عهد الأدارسة الإمام يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس بأنه كان أحفظ الناس لحديث رسول الله ﷺ.

لقد كان أهل الحديث على عهد المرابطين حملة أسفار، ونقلة أخبار كما ذكر ذلك المؤرخ ابن خلدون. وكلنا نعلم أنه كان هناك كثير من الحفاظ، منهم الحافظ أبو عبد الله محمد بن الطلاع، وكذلك الحافظ أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي الذي كانت له صلة بالإمام أبي الحسن اللخمي وغيره من كبار المحدثين، والفقيه القاضي أبو قاسم بن حمدين. ومعلوم أن الأمير يوسف ابن تاشفين كان كأبيه لا يتعدى إشارة العلماء، بل كان يعتمد عليهم في كل شيء وقد كان للفقيه أبي العباس أحمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف مكانته. وكان في عهد المرابطين العلامة أبو ينور عبد الله المشتراءي وهو من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية دفين مدينة أزمور.

وأما الموحدون فقد كان المهدي بن عبد الله بن تومرت رحل إلى الحجاز وارتحل في طلب العلم على رأس المائة الخامسة وحج ودخل العراق، ولقي به جملة من العلماء وفحول النظار، واستفاد علما واسعا، ولقي أبا حامد الغزالي والبالهراسي والطرطوشي وغيرهم، وأقام بمكة مدة مديدة، وحصل قدرا صحيحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين، وأقام كذلك بمصر. قال ابن خلدون : انطوى المهدي راجعا إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا

من الدين. وكان قد لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة، وأخذ عنهم واستحسن طريقهم.

وهكذا كان الموحدون يجالسون العلماء، ولا يعتمدون إلا على كتب الحديث وفي طليعتها «الجامع الصحيح». ومن أشهر الحفاظ من ملوك الموحدين أنفسهم يوسف بن عبد المومن الذي كان يحفظ الصحيحين، وابنه إبراهيم الذي ذكره صاحب المعجب حيث قال : لم أر من العلماء بعلم الأثر أنقل منهم له، ويعقوب المنصور الذي كان يحفظ متون الحديث وابنه الناصر والمأمون الذي كان معدودا من الحفاظ وتميز بعنايته بسرد البخاري بنفسه، وكان ملوك الموحدين يحملون في أسفارهم المصحف العثماني، وجميع كتب الحديث.

وقد اشتهر في هذه المدة ابن المواق المراكشي الفاسي المحدث الحافظ الذي شرح مقدمتي الصحيحين والموطأ. كما اشتهر القاضي عياض من أكبر محدثي الدنيا، وأبو الحسن علي بن خلف بن غالب القرشي زعيم مدرسة الحديث في التصوف وعبد الله بن محمد التادلي الفاسي تلميذ القاضي عياض، وأبو عبد الله ابن محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي تلميذ الشاطبي، وعبد الجليل القصري محدث فاس وصاحب كتاب شعب الإيمان، وأبو الخطاب بن دحية الكلبي الحافظ الشهير. وقد حدث بالمغرب والأندلس وتونس والمشرق، وأبو الحسن السبتي وكانت له بنت محدثة مسندة، وهي أم المجد مريم، وأبو العباس بن فرتون، وأبو القاسم السبتي رئيس مدرسة الحديث بسبتة، وأول من وضع المولد النبوي بالمغرب. أما المرينيون فقد اشتهر منهم أبو الحسن وأبو عنان بالعناية بالحديث، وتأسست على عهدهم المدارس والزوايا والخزائن، وطبعت الكتب وحبست، وكانت مجالس هذين الملكين العظيمين حافلة بالعلماء الأعلام الذين استقدموا من الأندلس وافريقيا. وقد نصت كتب التاريخ أن أبا الحسن رافقه في غزوته لتونس أكثر من أربعمائة عالم. واشتهر جماعة من المحدثين والعلماء في العصر المريني منهم الإمام الشريف التلمساني والمقرئ الكبير، وابن مرزوق، وأبو عباس الشريف السبتي، وابن رشيد السبتي، صاحب ترجمان التراجم في تراجم الإمام البخاري، والافادة والتصحيح، في التعريف باسناد الجامع الصحيح، ومحمد بن أحمد بن المواق الذي ضربت الطبول على رأسه حين حدث بمصر إشادة وتنويها، وابن الصباغ المكناسي

الذي أملى على حديث واحد أربعمائة فائدة، والمحدث الراوية ابن مجراد السلوي، وابن منصور المغراوي الذي نوه به الحافظ ابن حجر وعمر بن علي بن الزهراء الذي ألف المهد الكبير في إحدى وخمسين جزءا وابن الشاط صاحب كتاب الأشراف على الشرف برجال سند الإمام البخاري عن طريق الشريف علي بن شرف، وعبد المهيمن الحضرمي الذي قال عنه ابن خلدون : برز في علم الاسناد وكثرة المشيخة، وكتب له أهل المغرب والأندلس، والشيخ أحمد زروق صاحب كتاب تعليق البخاري، وابن غازي المكناسي صاحب كتاب ارشاد اللبيب، إلى مقاصد حديث الحبيب.

وفي عهد المرينيين أحدثت الكراسي الحديثية في المساجد الكبرى، والمعاهد العليا، وتسارع المحسنون على تحبيس عقارات وأملاك وأوقفوها على العلماءوالمحدثين المعينين لتدريس الحديث، ولا تزال هذه الأوقاف قائمة حتى الآن، ففي جامعة القرويين عدة كراسي للحديث، وكل كرسي معروف في مكانه فهناك الكرسي المبارك الذي عرف فيما بعد بكرسي ابن غازي، وقد تداول الدراسة عليه علماء محدثون من أسرة أبناء سودة المرينيين، وكذلك الكرسي المحبس على أبي الفضل أحمد بن الحاج السلمي وعلى عقبه. وقد ظل علماء هذه الأسرة العلمية يدرسون الحديث عليه خلفا عن سلف، ففي جامعة القرويين كرسي الإمام البخاري يشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني أنشأه السلطان أحمد ابن الشيخ وحبس عليه نسخة من الشرح المذكور منقولة من خط ابن حجر نفسه، وهي لازالت محفوظة بخزانة القرويين، وكان من أفذاذ المدرسين المحدثين على هذا الكرسي العظيم الإمام عبد الواحد الونشريسي، قال عنه المنجور في فهرسته حضرت عدة ليالي كثيرة في مجلس البخاري بين المغرب والعشاء بالقرويين ينقل عليه كلام فتح الباري ويستوفيه، لأنه شرط المجلس.

هذه ظاهرة علمية رائعة سجلها التاريخ عناية بحديث رسول الله ﷺ في عهد المرينيين.



أما عهد السعديين فقد كانت حلقات الجامع الصحيح تعقد بين يدي أحمد المنصور الذهبي، ولقد نقل عن القاضي أبي القاسم الشاطبي، أن أحمد المنصور الذهبي كان يحفظ الجامع الصحيح من كثرة تكراره.

ويتعين منا رغم ضيق الوقت أن نتعرف للمنصور الذهبي أنه كان عالما ومحبا للعلماء ومن عنايته بالسند والمحافظة عليه في رواية الحديث أنه استجاز علماء مصر، وممن أجازه منهم الإمام العارف بالله، أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري رضي الله عنه، والعلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى المصري الشهير ببدر الدين القرافي صاحب ذيل الديباج.

وكدليل قوي على العناية بالجامع الصحيح، فقد روى لنا التاريخ رواية صحيحة أن الجيش الذي أعده المنصور الذهبي للقاء المشركين المغيرين على بلاد المغرب في موقعة وادي المخازن تليت عليه قبل مغادرته مراكش مائة سلكة من القرآن الكريم وختمات الإمام البخاري.

أيها السادة الكرام، إليكم الإمام البخاري مع الدولة العلوية الشريفة الآن نخترق إلى الرياض الأريضة الفجاج، ونجد في أحضان ملوكنا العلويين ما به نسعد وإليه نحتاج، فهذا العصر خليق بأن يسقينا من حديث رسول الله ﷺ أصفى المشارب، ويبلغنا مما نقصد إليه أو في المآرب، هذا العصر الذي تحلى بأمهات الفضائل، الحكمة، والعدل.. والعفة، التي تشملها الأقوال والأفعال والشمائل.

فهذا الإمام المولى الرشيد كان رحمه الله محبا للعلماء مؤثرا لأغراضهم مولعا بمجالساتهم محسنا إليهم حيثما كانوا، ومن تواضعه أنه بعث إلى بعض علماء عصره ليحضر عنده ليتدارس معه الحديث فأجابه : بأنه يريد حضوره هو بجلالة قدره إلى مجلسه فما كان منه إلا أنه جعل يتردد على مجلس هذا العالم مع عامة الناس وكان يحضر مجلس الشيخ اليوسي بجامعة القرويين، وفي أيامه كثر العلم، واعتز أهله وظهرت عليهم أبهته، وكان سخيا كريما مولعا بالكتاب والسنة، وقد أسس المدارس وخزائن الكتب.

وأما المولى إسماعيل فلأنه اشتهر إبان خلافته بحصافة الرأي وقوة العزيمة فقد حضر بيعته أعيان المغرب والعلماء الأفذاذ ووافق الجميع من أهل الحل والعقد على بيعته كالشيخ أبي محمد عبد القادر ابن علي الفاسي والشيخ أبي علي اليوسي، وأبي عبد الله محمد بن علي الفلالي، وأبي العباس أحمد ابن سعيد المكيدري، وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأخيه أبي زيد صاحب نظم العمل والقاضي أبي مدين، وقد كان المولى إسماعيل شغوفا بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

ولشدة اهتمامه بالجامع الصحيح، ألف جيشا عظيما بلغ قبل وفاته مائة وخمسين ألفا من الجنود وسماهم عبيد البخاري وقد كان جمع الجيش في أول الأمر ومكنه من نسخة من كتاب البخاري وقال لهم أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله ﷺ فاحتفظوا بصحيح البخاري واصحبوه دائما في جهادكم تيمنا به، فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه، وجرى على هذا الجيش اسم البواخرة، والكثير من المغاربة يقولون تشريفا لهم عبيد سيدي البخاري، لقد قضى هذا الملك الصالح سبعا وخمسين سنة وهو ملك يدافع عن الوطن والدين، متمسكا بكتاب الله وسنة سيد المرسلين.

ولننتقل الآن إلى الملك العالم السلفي سيدي محمد بن عبد الله الذي كان محدثا حافظا يجمع العلماء في كل يوم جمعة ويدارسهم سنة رسول الله ﷺ ويناقشهم بما كان متوفرا عليه من الحفظ والاطلاع، والبحث والتحقيق وطول الباع، وقد استجلب من الشرق مسانيد الأئمة الثلاثة، واشتغل بدراسة الحديث، وألف الفتوحات الكبرى والصغرى، وكتاب الجامع الصحيح الأسانيد، المستخرج من ستة مسانيد وكلف ثلاثة من العلماء بشرح مشارق الأنوار للقاضي عياض، وهم : الشيخ التاودي والعلامة عبد القادر بوخريص، والعلامة سيدي إدريس العراقي، وقد كان للشيخ التاودي بن سودة مكانة عظيمة وشفوف واعتبار لأنه كان محدثا بارزا في علم الحديث، وهو صاحب زاد الساري، لطالع الإمام البخاري، وكتاب شرح صحيح الإمام البخاري.

ومازالت هذه العناية مستمرة إلى عهد المولى سليمان حيث اشتهرت نخبة من المحدثين منهم العلامة الشيخ الطيب بن كيران والشيخ أبو الفيض حمدون ابن الحاج صاحب كتاب «نفحة المسك الواري، لقارئ صحيح الإمام البخاري» وكتاب رياض الورد، وله قصائد في مدح المولى سليمان وولده المولى إبراهيم الذي أوفده والده إلى الحج والشيخ عبد القادر بن شقرون، والشيخ محمد بنيس.

ولقد كان هذا الملك الصالح يجمع العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مر الليالي والأيام ويتأكد ذلك عنده في رمضان ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب الفصل، ويعظم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته، ويجري عليهم الأرزاق، ويعطيهم الدور المعتبرة والضياع المغلة،

ويوثر المعتنين منهم وذوي الفهم بمزيد من البر حتى لقد تنافس الناس في أيامه في اقتناء العلوم.

وفي عهد المولى عبد الرحمان بن هشام رحمه الله كان أول ما فعل أن استوزر العلامة أبا عبد الله محمد بن إدريس الفاسي، وهنأه عالم افريقيا ومفتيها الشيخ أبو إسحاق بن عبد القادر الرياحي، وكان يستفتي العلامة الكبير المحقق أبا الحسن علي بن عبد السلام التسولي صاحب الشرح الكبير على تحفة ابن عاصم في الأحكام، وشرح الشمائل وشرح الزقاقية وغير ذلك من التآليف الحسان وفي عصره ابتدأت فرنسا - وقد احتلت الجزائر - تهاجم حدود المغرب برا وبحرا وكان رحمه الله الملك الصابر الصامد المجاهد في سبيل الله حتى قيل فيه أنه إسماعيل الثاني، وقد استمرت في عهده العناية بالحديث وظهر محدثون بارزون منهم العلامة محمد بن الطاهر العلوي الحسني المراكشي، والعلامة المطيري المكناسي، والعلامة عبد القادر بن أحمد الكوهن، والشيخ المهدي بن سودة، ولما آل الأمر إلى ولده المتصف بالسكينة والوقار والصلاح والتقوى سيدي محمد بن عبد الرحمان استعار من خزانة القرويين نسخة صحيح البخاري المعروفة «بالشيخة» التي كتبها أبو عمران موسى بن سعادة، وقرأها ستين مرة على شيخه الصدفي وكان ينقصها الجزء الأول، فأمر رحمه الله بنسخه وكلف خطاطا من أمهر الخطاطين وأصدر بذلك ظهيرا سنة 1288، وقد بقيت هذه النسخة محل اجلال واكبار في عهده وفي عهد المولى الحسن الأول فكانا يصحبانها في أسفارهما، واتخذ لها صندوق ثمين مزخرف تحمله دابة خاصة تكون أمام محفة السلطان في جميع تنقلاته، وعلى ذكر هذه النسخة الجليلة لابد أن أتعرض إلى أن أبا عمران ابن سعادة المذكور هو صهر الإمام الحافظ فخر الأندلسي أبي علي حسين ابن قبرة بن حيون الصدفي، وقد أفرد القاضي عياض شيوخ الصدفي فعد له مائة وستين شيخا وأفرد تلاميذه أيضا الحافظ ابن الأبار التونسي وغيره وهو ممن أقام للحديث السوق العظيم الذي فيه نفقت بضائعه، فخضعت له فيه الرقاب، وشدت له الرحال من داني البلاد وقاصيها لوافر علمه وتوسيع تدقيقه وطول رحلته.

وفي الديباج قال أبو علي الصدفي لبعض الفقهاء : خذ الصحيح، فاذكر أي متن أردت اذكر لك سنده، وأي سند أردت أذكر لك متنه، وذكروا أن صهره أبا عمران سمع عليه الصحيح نحو ستين مرة كما ذكرنا ذلك سابقا.

وقد عثر المتأخرون بطرابلس الغرب عام 1211 على أصل عظيم من الصحيح بخط الحافظ الصدفي أسهبوا في وصفه ونعته، قال الحافظ ابن عبد السلام الناصري في كتابه المزايا بعد أن تكلم على نسخة ابن سعادة، وقد عثرت على أصل شيخه الحافظ الصدفي الذي طاف به البلاد بخطه بطرابلس في جلد واحد مدموج لا نقط فيه أصلا على عادة الصدفي وبعض الكتب الا أن بالهامش منه كثرة اختلاف الروايات والرمز عليها، وفي آخره سماع عياض وغيره من الشيخ بخطه، وفي أوله كتابة بخط ابن جماعة، والحافظ الدمياطي، وابن العطار والسخاوي، قائلا هذا الأصل هو الذي ظفر به شيخنا ابن حجر العسقلاني وبنى عليه شرحه الفتح، واعتمد عليه لأنه طيف به في مشارق الأرض ومغاربها : الحرمين، ومصر، والشام، والعراق والمغرب، فكان الأولى بالاعتبار، كرواية تلميذه ابن سعادة. ولقد بذلت لمن اشتراه في عدة كتب من أهل طرابلس الغرب باصطنبول بثمن تافه صرة ذهب، فأبى بيعه، وكان من مدح ابن العطار له بخطه ما نصه :

قد دام بالصدفي العلم منتشرا	وجل قدر عياض الطاهر السلفي
ولا عجيب إذا أبدى لنا دررا	ما الدر مظهره إلا من الصدف

قال ابن العطار : وقلت أيضا في سيدنا ومولانا قاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة وقد حملت هذه النسخة لمجلسه بالصالحية في العشر الأول من رجب 802 فنظر فيها وقال : لو كتبت نسخة واضحة بخط حسن وقوبلت على هذه لكانت أحسن لأن كاتبها رجل جليل القدر.

رأى البخاري الحافظ الصدفي	قاضي القضاة إمام النبل والسلف
جمال واسطة العقد الثمين له	ولا عجيب بمثل الدر للصدف

وممن أفاض كذلك في هذه النسخة أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الشيخ عبد القادر الفاسي لأنه وقف عليها بطرابلس، وقد وصف هذه النسخة وصفا دقيقا وقد ذكر أن بآخرها ما صورته : آخر الجامع الصحيح الذي صنفه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رحمه الله، والحمد لله على ما من به وإياه أسأل أن ينفع به، وكتبه حسين بن محمد الصدفي من نسخة بخط محمد ابن علي بن محمد مقروءة على أبي ذر رحمه الله، وعليها خطه، وكان الفراغ من نسخه يوم الجمعة 21 محرم عام ثمانية وخمسمائة والحمد لله كثيرا

كما هو أهله، وصلواته على محمد نبيه ورسوله ﷺ كثيرا أثيرا وعلى ظهرها كتاب الجامع الصحيح من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري رضي الله عنه، رواية أبي عبد الله محمد ابن يوسف الفربري عنه رحمه الله لحسين بن محمد الصدفي.

وقد تبين أن هذه النسخة لاتزال موجودة ولله الحمد في خزانة السنوسيين بجغبوب كما أفاد ذلك صاحب فهرس الفهارس.



لقد أبدى الإمام المجاهد الذي صبر وصابر أمير المومنين المولى الحسن الأول اهتماما كثيرا بنشر العلم وبعث البعثات للخارج وحضر مجالس العلم بنفسه وناقش العلماء وما أقدم على أمر إلا استشار فطاحل العلماء في عهده، وقد صارت البوادي والحواضر تتبارى في حفظ المتون واتقان القراءات السبع والعشر، وكانت كل أسرة تنجب ولدا يحفظ مختصر خليل أو يتقن علم القراءات تكرم وتعفى من الخدمات وحتى من التكاليف التي كانت تتطلبها حاجة البلاد وربما تمنح ظهير التوفير.



وهنا أسوق قصة والدي رحمه الله مع مولانا الحسن الأول فقد حفظ والدي القرآن الكريم بالقراءات السبع وحفظ مختصر خليل في الفقه المالكي وغيره من المتون كألفية ابن مالك وتحفة ابن عاصم وهو في سن الثانية عشرة من عمره، وكان عمه العلامة الشيخ محمد الصديقي الدكالي الذي كفله بعد موت والده من العلماء الكبار ورغبة منه في تحرير الأسرة المعروفة بالعلم والصلاح انتقل بوالدي إلى رحاب القصر الملكي بمدينة مراكش حيث اجتمع بأعتابه الحفاظ من سائر أنحاء المملكة المغربية، ولما مر جلالة الملك رأى هذا الولد الصغير السن بين الحاضرين، أمر بالبدء به في الامتحان، فلما امتحن في عدة أبواب من المختصر وفي عدة سور من كتاب الله العزيز وتبين لمولانا أنه حافظ، وجه إليه سؤالا قال له قدس الله روحه : كيف تعرب الرمان حلو حامض» فأجابه والدي في الحين بقوله هو كقول القائل :

يداك يد خيرها يرتجى وأخرى لأعدائها نائله

فسر جلالته للجواب، وقال : كنت أظن أنك فقيه فقط فإذا أنت نحوي كذلك، ووقع بيده الكريمة، بعد أن سأل والدي عن اسمه ونسبه، أعطوا أبا شعيب الدكالي منحتين واحدة لصغر سنه والأخرى لكبر فنه، ولما رغب والدي في الرحلة لمصر لطلب العلم كان من جملة المحظوظين الذين أنعم عليهم بذلك.

أما الدروس الحديثية فقد كان للمولى الحسن العناية الفائقة بها، وكانت الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان تدرس فيها كتب الحديث للبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، وموطأ الإمام مالك رضوان الله عليهم. ولا تنقطع هذه الدروس حتى في أسفار جلالته، ويجزل العطايا والهدايا للعلماء، وحين بنى قصره بالرباط أمر بختم صحيح البخاري.

وفي عهد المولى الحفيظ بن الحسن أخذ القوس باريها إذ كان رحمه الله هو بؤبؤها وابن بجدتها، فهو العالم الحافظ الفقيه النحوي الشاعر الناثر الذي اشتغل بالعلم وتفرغ له قبل توليه الملك حينما كان خليفته لأخيه المولى عبد العزيز رحمهما الله، وقد جمع العلماء من سائر أنحاء مملكته وصاحب علماء شنكيط وضمهم إلى مجالسه العلمية وكان يشارك مشاركة تدل على اطلاعه الواسع، ويعنى بتفهم الحديث، ويكتب الحواشي على نسخه، وله عدة تآليف.

وكان من جملة العلماء الكبار الذين لا يفارقون مجالسه، شيخ الجماعة سيدي أحمد بن الخياط الزكري والعلامة سيدي عبد الكبير الكتاني مؤلف كتاب حواشي على البخاري، والعلامة شيخ الجماعة بالرباط سيدي أحمد البطاوري، والشريف الجليل الشيخ أبو الفيض سيدي محمد الكتاني صاحب ختمة البخاري، والمحدث الحافظ الرحالة سيدي محمد بن جعفر الكتاني صاحب الرسالة المستطرفة وكتاب شرح ختمة صحيح الإمام البخاري، والعلامة الحاج علي عواد.

وإذا كان مولانا الحسن الأول هو الذي بعث والدي رحمه الله إلى مصر فمكث فيها حتى نال شهادة الأزهر الشريف، واشتهر بالحفظ الواسع لسنة رسول الله ﷺ حتى بلغت شهرته الحجاز فبعث الشريف عونا يستقدمه إلى مكة المكرمة حيث قلد فيها أسمى المناصب العلمية وختم فيها الكتب الست مرتين وموطأ الإمام مالك ومسند الإمام أحمد، وأفتى في المذاهب الأربعة، وأخذ عنه جمهور من علماء الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وجاور أربع عشر سنة وتزوج وولد له

أولاد كنت آخر من ولد له هناك، فقد استدعاه المولى عبد الحفيظ ليرجع إلى المغرب ويفيد بلاده بعلمه، وكانت ظروف الحجاز في تلك الفترة من الزمن تشجعه على صلة الرحم بالأهل والأحباب فأجاب الدعوة وحل في ضيافة الواعي الجليل مولاي عبد الحفيظ الذي بالغ في إكرامه والاحتفاء به وأعطاه رئاسة مجالسه العلمية التي كان يحضرها جميع من ذكرنا من العلماء الأعلام الذين شاهدوا رجلا يحفظ مائة ألف حديث من كلام رسول الله ﷺ حتى أن شيخ الجماعة العلامة الجليل سيدي أحمد بن الخياط المذكور سابقا بكى في درس المولى عبد الحفيظ، فلما سأله مولاي عبد الحفيظ عن سبب بكائه قال يا مولاي : ليتني كنت فيها جذعا، كيف لا أبكي يا مولاي وهذا البحر الفياض في غضارة شبابه وأنا شيخ كبير أخشى أن لا أتمتع من سعة حفظه وعلمه وقد أطال الله عمر هذا الشيخ حتى عينه والدي حينما كان وزيرا للعدل والتعليم رئيسا على المجلس الأعلى بالقرويين.

ان من عناية المولى عبد الحفيظ بالحديث أنه كان يستمع إلى ما يستنبطه والدي من حديث يرويه الإمام البخاري فيسأل مثلا عن بيت ورد في الصحيح :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلى حاميم قبل التقدم

من قائل هذا البيت ؟ فيجيبه والدي عن البيت، ويسرد له القصيدة ويطيل في شرح الحادثة فيجيز المولى عبد الحفيظ على ذلك بهدايا وعطايا مدهشة ومن عنايته كذلك أنه يأمر بأن يدرس والدي صحيح الإمام البخاري في جامعة القرويين فتمتلئ القرويين عمرها الله بالعلماء والفقهاء والطلاب وعامة الناس.

ومن عنايته كذلك طبعه لكتب الحديث ومؤلفات الفقه، ويبتدأ بطبع كتب الحديث قبل غيرها كحواشي الشيخ التاودي، وحاشية ابن زكرى على البخاري والنظم المتناثر لسيدي محمد بن جعفر الكتاني، وقد عين المولى عبد الحفيظ والدي قاضيا على مدينة مراكش وألزمه بقبول هذا المنصب ليستفيد الناس من علمه وعدله، ولما كان والدي داعية للسلفية فقد أعلنها حربا على البدع والخرافات سواء في مقامه بمدينة فاس أو مدينة مراكش بل أينما حل وارتحل، وهكذا استمر طول حياته عدوا للبدع والضلالة وعدوا للاستعمار ورافعا منار الكتاب والسنة حتى لقي الله تعالى.

لقد بويع المولى عبد الحفيظ بالملك، والمغرب تحيط به الأخطار، ويتآمر عليهاالاستعمار، ورغم ذلك كله بذل المولى عبد الحفيظ كل جهوده في سبيل انقاذ المغرب كما بذل في سبيل نشر العلم رحمه الله وأجزل له الثواب.



وفي عهد المولى يوسف استمرت العناية بدراسة الحديث الشريف، وبقيت مجالس جلالة الملك حافلة بالعلماء وكان الذي يتولى رئاسة هذه المجالس هو الحافظ أبو شعيب الدكالي وزير جلالته في العدل والتعليم وكان يحضر هذه المجالس كثير من العلماء.



أما في عهد بطل التاريخ المحرر الأعظم سيدي محمد الخامس رضوان الله عليه، فقد تفجرت ينابيع العلم والاصلاح، ونودي في كل أنحاء المغرب حي على الفداء حي على الفلاح وراجت سوق العلم والعرفان، وجند العلماء للتعليم في كل مكان.

وقد كانت مجالس الحديث يترأسها والدي الحافظ أبو شعيب الدكالي، إلى أن توفي رحمه الله فتولى التناوب على رئاستها فضيلة العلامة الشريف الشيخ محمد بن العربي العلوي وفضيلة شيخنا الحافظ المحدث سيدي ومولاي المدني ابن الحسني، وكاتب هذه السطور الذي تشرف بالتناوب مع أستاذيه رحمهما الله، وإني لأذكر هنا أن شيخنا سيدي المدني بن الحسني قد ترك خمسين مؤلفا من مؤلفاته التي نرجو الله أن يمن باخراجها لتطبع وتنشر فهو صاحب كتاب مفتاح الصحيحين، وكتاب مقدمة الرعيل، لجحفل بن محمد إسماعيل وغيره من المؤلفات في علم الحديث والفقه والأدب وسائر الفنون. وفي عهد سيدي محمد الخامس انتشر التعليم في الحواضر والبوادي، وجعل الشعب يتهيأ للوثبة الكبرى التي سيبذل في سبيلها المهج والأرواح، نعم يتهيأ للحرية والاستقلال على يد الملك.

رحم الله محمد الخامس وجزاه بأفضل ما يجازى به من قدم نفسه وأهله وعرشه فداء لتحرير وطنه وبلاده.

❖ ❖ ❖

أمـا الإمـام الـبـخـاري في عـهـد أمير المومـنين الحسـن الـثـاني دام لـه الـعـز والتمكين. هنا يجب أن أسجل أمام هذا الجمع المبارك من علماء الإسلام أن الله سبـحـانـه وتعـالى أنعـم على الأمـة المغـربـيـة المسلمـة بملك عـالم مـتشبث بـالـديـن، معتصم بحبل الله المتين.

ففي أول رمضان بعد جلوسه على عرش أسلافه المنعمين، استدعاني لقصره العامر لألقي عليه أعزه الله وعلى الأسرة الملكية المجيدة درسا في تفسير حديث جبريل عليه السلام المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا الحديث». وكان ذلك بعد صلاة التراويح، وعند انتهاء الدرس أمر نصره الله أن أحضر إلى القصر في نفس الوقت أي : بعد صلاة التراويح فسألت جلالته عن الدرس الذي سأحضره، فأجاب نصره الله غداحين تحضر ستعلم ما تلقى، فلما حضرت في الموعد المقرر قال لي ما هو الدرس الذي لقيته اليوم في المسجد الأعظم قلت يا مولاي هو في تفسير قول الله تعالى : ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى، قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾، قال إنني أريد أن تتكلم لنا على هذه المعية لنعيش في جو من التقرب إليه سبحانه. وفي أثناء الدرس شاهدت جلالته يبدو عليه التأثر ويتتبع أحاديث رسول الله ﷺ التي كنت أقررها في الموضوع مثل حديث الافك إلخ.

وعند انتهاء الدرس وجه إلي جلالته السؤال الآتي هل يظهر الآن في المغرب محدثون أم لا ؟ فأجبته بقولي : أناشدك الله يا مولاي أن تؤسس دارا لحديث رسول الله ﷺ حتى لا ينقرض هذا العلم، فلما كان الغد أمر أعز الله أمره بأن تؤسس دار للحديث وأمرني بأن أدشنها في مجلسه الملكي الموقر بمحضر علماء المغرب فقررت فيها حديث رسول الله ﷺ «نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» وكان ذلك في عام 1388 هـ 1966.

واستطاعت دار الحديث الحسنية أن تواصل عملها بتوفيق من الله عز وجل حيث تخرج منها خلال هذه المدة مائة وتسعة من الأساتذة، وتقدم 13 منهم برسائلهم لنيل الدبلوم وكدليل على حيوية المواضيع التي حصل فيها على الدبلوم: إليكم قائمة بها :

1 - البينات أو وسائل الاثبات في الشريعة الإسلامية للسيد محمد المزغراني.

2 - الأسس الإسلامية لبناء الأسرة للسيد محمد الحبيب.

3 - الصحابي أبو ذر الغفاري ونوع اشتراكيته للسيد أحمد لسان الحق.

4 - الحسبة في الإسلام للسيد الوليد المريني.

5 - سيدي محمد بن عبد الله وآثاره العلمية والاصلاحية للسيد الحسن العبادي.

6 - ألواح جزولة والتشريع الإسلامي للسيد محمد العثماني.

7 - أصول المسيحية في القرآن الكريم للسيد داود علي الفاضل الأردني.

8 - حياة البخاري وانتماؤه إلى الاجتهاد للسيد محمد الأدوزي.

9 - المدرسة القرآنية بالمغرب إلى نهاية القرن السادس للسيد أحمد عبد السلام الكنوني.

10 - رباعيات الإمام البخاري للسيد يوسف الكتاني.

11 - النقود والمصاريف التجارية «دراسة إسلامية» للسيد مروان القيسي الأردني.

12 - الفقيه أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي للسيد عبد الكبير المذغري.

13 - الحق الشخصي بين الشريعة والقانون للسيد إدريس أمزيان.

هذه نظرة خاطفة عن دار الحديث الحسنية، أما الدروس الحسنية برمضان المعظم فإنه يستدعي لها أكابر المحدثين والعلماء من بعض الأقطار الإسلامية كتونس والجزائر ومصر والعراق والحجاز والشام ولبنان، ويحضرها جلالة الملك الذي تقدم إليه مواضيع الدروس التي ستلقى أمام جلالته، ويختار من فطاحل علماء المغرب من يشاركون في هذه الدروس، وتطبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هذه الدروس التي تختم في غالب الأحيان بدرس ملكي سامي يلقيه الملك العالم الحسن الثاني أدام الله نصره وتوفيقه، فيكون هذا الدرس الذي يدل على اتساع الأفق وعظيم التفكير وواسع الاطلاع محل تعليق

العلماء. ومن اهتمام جلالته بعلم الحديث أنه أمر وزيره في الأوقاف والشؤون الإسلامية بإجراء مباراة في كل سنة لحفاظ الحديث، واعطاء قدر مهم من المال لمن يحفظ كمية وافرة من صحيح الإمام البخاري أو من موطأ الإمام مالك، وأذكر أننا حصلنا على نتائج كبيرة في هذا الميدان فقد ظهر عندنا حفاظ من الشباب استطاع واحد مرة وكنت مشرفا على لجنة الامتحان بأن يسرد لنا ألفا وخمسمائة حديث بأسانيدها،واستطاع اثنان من قبيلة زعير أن يسردا لنا ألفي حديث بالرواية عن الصحابي، ولا تقتصر هذه المباراة على حفظ السنة بل تجرى حتى في تحصيل القراءات السبع، ولدينا ولله الحمد ما يزيد عن أربعمائة طالب من العرب والأفارقة وحتى من هذه البلاد بجامعة القرويين وكلية ابن يوسف والمعهد العلمي بتارودانت ودار الحديث الحسنية وجامعة محمد الخامس وكليات الهندسة والاحصاء وغيرها وحتى المدارس العليا العسكرية كلها روافد تزود إخواننا من عرب وأفارقة ومسلمين بما يحتاجون إليه من أطر، وكل هذا بفضل جلالة الملك الهمام الحسن الثاني الذي يهيئ الآن شبابا مغاربة مزودين بتكوين مهم لينتشروا في افريقيا ويقوموا بالواجب الذي يفرضه انهاض قارتنا السمراء.

إن الدروس الحديثية التي أسلفنا ذكرها تنقل بواسطة الإذاعة وعلى شاشة التلفزة فيشاهدها جميع المغاربة وهم في أعلى قمة السرور والحبور.

وهكذا نجد عناية جلالة الحسن الثاني نصره الله بحديث رسول الله ﷺ أنه يصدر أمره بطبع المدارك للقاضي عياض، وكتاب الاعلام له أيضا والتمهيد لابن عبد البر، هذا بالإضافة إلى المصحف الحسني في حجميه الكبير والصغير.

أما خزائن مولانا التي هي فريدة من نوعها فقد احتوت على ما يزيد عن أربعين نسخة من الجامع الصحيح وكل نسخة لها قيمتها التاريخية، ولا يسعني هنا إلا أن أختم هذه الكلمة داعيا إلى الله عز وجل أن يجمع كلمة المسلمين، ويجازي جميع الأصدقاء والأحباء المخلصين.

الرباط : عبد الرحمن الدكالي

3) كلمة إرشادية حول الحج وفضله :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

كتبت مجلة المغرب تطلب من الشيخ أبي شعيب الدكالي رحمه الله أن يتحف قرائها الكرام بنبذة ارشادية في الحج وفضله فأجابه رضي الله عنه وأرضاه ورحمه وأسكنه فسيح جناته.

بعد السلام اللائق بالمقام والدعاء لمولانا الإمام، قد وصلني كتابكم متضمنا بعض أحاديث عن الحج تطلبونها مني، وها هي تصلكم على استعجال، وإني أشكركم شكرا جما على تحريك الهمم والدعاية إلى مكارم الأخلاق والشيم، وذلك باصداركم أولا تلك المجلة مما دل على عبقريتكم، وحثكم ثانيا على مثل هذه الأمور النافعة، إذ روينا في صحيح الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال : من دل على خير كان كمن فعل، فلتدوموا بارك الله فيكم على دلكم، ألهمكم الله رشدكم وأصلحكم وأصلح بكم، والسلام.

الحج شعيرة من شعائر الإسلام وركن من أركانه، التي لها أثر عظيم ومنافع شتى، جديرة بأن تكون نصب عين كل قاصد إلى تلك البقاع المشرفة، وهو مظهر جليل من مظاهر الإسلام التي يتجلى فيها جلال الإسلام وعظمته ومؤاخاته ووحدته، حيث يقف المسلمون وهم آلاف مؤلفة في صعيد واحد وكلهم يشعرون شعورا واحدا وهو توحيد الله وتنزيهه عن كل ما عداه، ولو استكهنت ضمير كل فرد منهم لوجدته لا يختلف عن ضمير أخيه، وذلك لأنهم يحسون باحساس متحد ويشعرون بشعور مشترك، وكلهم يبكي ذنبه متضرعا مبتهلا داعيا ربه وظانا به جميلا أن يوليه أربه.

وحكم الحج أنه دعامة من دعائم الإسلام الخمس كما في الصحيحين : بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، فهو بهذا فريضة على الحر المكلف المستطيع، الذي يمكن وصوله بلا مشقة عظمت مع الأمن على النفس والمال، إلا أن أصحاب المذاهب اختلفوا فمن قائل بشرط التكليف وقت الاحرام وهم الأربعة، وذهب الإمام داود الظاهري إلى أن الصبي له حج ولو لم يجب

عليه إلا بعد التكليف لما في صحيح مسلم أن امرأة أخذت بصبي، فقالت يا رسول الله ألهذا حج ؟ قال نعم ولك أجر، قال الأئمة الأربعة ومن وافقهم معنى له حج أن له توابا وأما الفرض فلازال إلى أن يبلغ ونظروا ذلك بأن النبي ﷺ قال كما في صحيح أبي داوود مروا أبنائكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، مع أنه لو بلغ الصبي وقد صلى الظهر ووقتها لم يخرج لوجب عليه إعادتها كما اختلفوا في الاستطاعة، فقال مالك هي إمكان الوصول بلا مشقة ولو لغير الزاد والراحلة، فوقف مع لفظ استطاع في كتاب الله وجعله واجبا على القادر على المشي وعلى ذي الصنعة التي تقوم به.

وذهب الأئمة الباقون إلى أن الاستطاعة هي الزاد والراحلة، وفي المستدرك لأبي عبد الله النيسابوري، سئل رسول الله ﷺ عن الاستطاعة، فقال الزاد والراحلة، هذا حكمه.

ويجب مرة في العمر على قاعدة الدين الحنيف من عدم الحرج فيه، ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فقام الأقرع بن حابس، فقال : أفي كل عام يا رسول الله، فسكت إلى أن عاوده ثلاث مرات، فقال : «لا، لو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا»، وأوجبه بعض العلماء من غير الأربعة في كل خمسة أعوام مرة، لحديث : «أن عبداً صححت جسمه وأوسعت عليه رزقه تقض عليه خمسة أعوام، لا يأتيني زائراً لعبد جاف».

وليس بذلك القوي ولو ذكره بعض أصحاب السنن، وأما فضله فلقد قال ﷺ وهو في الصحيحين : «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»، وفيها «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، وفي مسند الإمام أحمد أنه سئل عن الحج المبرور، فقال : «هو الذي فيه إنشاء السلام وإطعام الطعام»، ومن علمائنا من قال: هو الذي لا رفث فيه ولا فسوق، وجاء في السنة عليه السلام ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة، كما في السنة أيضا، أعظم الناس وزرا من وقف بعرفة وظن أن الله لم يغفر له.

وأما حكمته فلسر الاجتماع وتواصل المشرقي والمغربي، والنجدي والتهامي، واليمني والشامي، والعربي والعجمي، ليستفيد البعض من البعض، وليتمم كل من أخيه مكارم الأخلاق، وهنا المساواة الحقة السائدة، فشعار الصعلوك كشعار

الصعلوك ملك الملوك، الكل في إزار ورداء، بعيد عن الرفاهية كحالة أول أحوال الآخرة، ولذلك سئل عليه الصلاة والسلام، ما يلبس المحرم ؟ فقال : لا تلبسوا القميص ولا السراويل ولا البرانص ولا ثوبا مسه زعفران أو رش ولا الخفين إلا أحدا لا يجد نعلين، فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا السفل من الكعبين، والشارع يريد من الاجتماع، ولذلك دعانا إلى الجماعة ثم دعانا إلى مجتمع أكبر منه ألا وهو الجمعة، ثم دعانا إلى أكبر منه وهو العيد، ثم دعانا إلى الحج، فهو أكبر وأشرف لمن خلص نيته وحج وعرف ما يراد بالحج والسلام.

4) المسامرة الأدبية في الاتزان والأخلاق المرضية[3] :

الحمد لله الواسع الرزاق، الآمر بالسعي للمعاد والمعاش بالعمل الصالح والارتزاق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث ليتمم مكارم الأخلاق، وعلى إخوانه من الأنبياء وآله وصحبه وكل من إلى سجاياهم اشتياق.

أما بعد، فقد دعيت ها هنا لأذكر أبناء المدرسة فحصرت الكلام في الأخلاق والإرتزاق، فاعلموا يا أبناء المستقبل ورجال الغد أن الواحد هنا ينبغي أن يكون عالماً، عاقلا، عاملا، حازما، ومحترفاً، والعقل قسمان جبلي، يجبل عليه الإنسان، بحسب فطرته، ومكتسب بالتعلم والمخالطة مع أهله، فخالطوا أهله وتعلموا منهم.

اختر لنفسك الذي أطاع	إن الطباع تسرق الطباع
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه	فكل قرين بالمقارن يقتدي

العلم ! العلم ! العلم المعادي ! العلم المعاشي ! تعلموا بالنبي عليه السلام أمر بالتعلم. والله قال : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ولقد قال سيدنا عمر : (إنما العلم بالتعلم).

ثقفوا أنفسكم، هذبوها، رافقوا من هو أحسن منكم لتهتدوا بسَمْتِه ومعارفه، جانبوا الرذلاء، جانبوا الأسافل، لتحسنوا إلى أنفسكم وتحسنوا إليهم وتحسنوا إلى الهيأة الاجتماعية، أما إحسانكم إلى أنفسكم فهو ألا تتسرب إليكم أخلاقهم، وأما

---

(3) وهي المسامرة التي ألقاها بنادي المسامرات بفاس عشية يوم الخميس 28 جمادى الثانية عام 1339هـ موافق 10 مارس 1921م، وقد طبعت هذه المسامرة بالرباط في نفس العام في إحدى عشرة صفحة.

إحسانكم إليهم فإذا رأوكم تجانبونهم أقلعوا عما هم عليه، وأما إحسانكم إلى الهيئة الاجتماعية فهو تنقيص الشر منكم وارعواء ذوي الشر.

تعلموا، تعلموا، فقيمة كل امرئ ما يحسن، لا فضل إلا لأهل العلم :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء

قلت لا أفرق بين علم المعاش وعلم المعاد لأن الكل نافع، فالعلم الدنيوي به يصير كاسباً، به يصير زارعاً، به يصير صانعاً، به يصير تاجراً، وجماعها الكسب والاحتراف.

قال نبينا عليه السلام : «الكاسب حبيب الرحمن»، وقال : «إن الله يحب العبد الكاسب» وفي النساءي أن أنصاريا سأل رسول الله ﷺ، فأعطاه ثم سأله فأعطاه ثم سأله فقال : «هل في بيتك شيء» قال : «قدح وبق» (البق الثوب الغليظ).

قال الشاعر :

إن يكن ذا بق فهنا بقي ... مقيظ هصيف مشتي

قال سيدنا عليه السلام : «اذهب وأت بهما»، فأتى بهما فباعهما عليه السلام بدرهمين، واشترى له بدرهم طعاما وبدرهم فاساً، وقال : «غيب عني وجهك عشرة أيام، احطب وبع» ففعل فلم يزل حتى أثرى.

انظر إلى هذا المعلم الأكبر، انظر إلى هذا المربي الأنور، فقد علمه الإقتصاد والاحتراف اللائق به، فكفى عياله واخرجه للاحتطاب من النزر اليسير الذي كان عنده.

بعلم المعاش تكون اليد عليا، قال عليه السلام : «اليد العليا خير من اليد السفلى»، وقال عليه السلام : «اليد المُعطية العليا، واليد السائلة السفلى».

في البخاري أن حكيم بن حزام قال : (سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فقال : «يا حكيم إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس، بورك فيه، ومن أخذه بغير ذلك، لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع، خير له من

أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه») قال حكيم : (فقلت والله لا أرزأ أحدا بعدك يارسول الله)، فكان أبو بكر يعرض عليه عطاءه فيأبى أن يأخذه، فيقول : (يا معشر المسلمين أشهدكم على حكيم أعرض عليه عطاء فيأبى أن يأخذ).

وفي النسائي أن حكيماً كان يسقط له سوطه ينزل ويأخذه، وإذا ناوله مناول أعطاه شيئاً في مقابلة مناولته.

ما أحوجنا إلى همة حكيم ! ما أحوجنا إلى الاحتراف الذي تشهد له هذه الهمة العالية !

مرّ عمر بن الخطاب على جماعة فقال : (ما أنتم)، فقالوا : (متوكلون) قال: (كذبتم بل أنتم متواكلون، المتوكل هو رجل ألقى حبة في بطن الأرض وانتظر سنبلها).

قلت، أتكلم على الارتزاق والأخلاق، وبالارتزاق تهذب الأخلاق، الإنسان إذا كان بطالا اشتغل بما لا يعنيه، اشتغل بالقيل والقال، في الحديث : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وفي الحديث : «كره - أي الله - لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال».

البطال يبني على أقوال يسمعها القصور والقرى والمداشر، البطال يحسد، البطال يغتاب، البطال ينم، لو كان محترفاً ما شهد الزور، لو كان محترفا ما أخذ الرشوة، لو كان محترفا ما ضمن الجنة، لو كان محترفا ما تحلم المنامات، لو كان محترفا ما استنبط الخرافات.

كفى ! كفى ! كفى ما حاق بنا فقد ظننا من لا يعرفنا أن ديننا بني على ذلك، كفى ! كفى ! فقد جعلنا نأول ما شئنا لمن شئنا والمؤول ليس بقرآن أو حديث.

الاكتساب ! الاكتساب ! الارتزاق ! الارتزاق ! الاقتصاد ! الاقتصاد ! والاقتصاد بعد الكسب، قال الله تعالى : ﴿ولا تبذر تبذيراً إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾، وقال عز من قائل : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا﴾، وقال أيضا : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾.

في البخاري أن أبا مذكور الأنصاري دبر غلاماً فدعاه - أي الغلام - وقال : (من يشتريه مني)، فقال رجل : (بخمسمائة درهم)، فقال : (هل من زائد)، فقال آخر : (بكذا) إلى أن باعه من نعيم بن عبد الله النخام، فأتى بالمال فقال عليه السلام: (ابدأ بنفسك، ثم بمن تعول، ثم خذ بالمال هكذا وهكذا)، فالبدء بالأقارب هو المتعين.

قال عليه السلام وهو في البخاري عن أبي مسعود الأنصاري «نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة»، وقال عليه السلام لسعد ابن أبي وقاص لما سأله عن الوصية : «وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا اجرت عليها حتى ما تجعله في فم امرأتك».

قلت سابقاً إن الله سمى المبذر أخا الشيطان، كذلك المتكبر، فالمتكبر تلميذ إبليس لأنه أول من تكبر، قال الله : ﴿إلا إبليس أبى واستكبر﴾، فلا تتكبروا فتكونوا تلامذة الشيطان، وتواضعوا تقتدوا بسنن الأنبياء والمرسلين.

أُرْعِدَ رجل بين يدي نبينا عليه السلام، فقال له : «هون عليك لست بملك»، خير نبينا بين أن يكون نبياً عبداً أو نبياً ملكا، فاختار أن يكون نبياً عبداً.

إن عيسى عليه السلام ترك الطريق لخنزير، فقيل له فقال : (أردت أن أعود نفسي ذلك)، ورأى سيدنا الإمام مالك ولد يزيد بن المهلب يتبختر في مشيته، فقال له : (ارفع ازارك) فقال : (أو ما تعرفني)، قال : (أعرفك، أولك نطفة مدرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بينهما تحمل العذرة).

ألا وإن الكبر مفسد الأخلاق، مفوت للارتزاق، لينوا جانبكم في احترافكم وإلا لتكبر عليكم زبائنكم لأن الكبر يقابل بالكبر عادة.

(أنا أمير وأنت أمير ومن يسوق الحمير) تراحموا ! تراحموا ! قال نبينا عليه السلام : «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وقال : «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

إرحموا المعسر، فقد جاء في الصحيح أن رجلاً كان ينظر المعسر ويتجاوز على الموسر فلما مات غفر له، ارحموا المسكين وذوي القربى واليتامى، ارحموا الهائم، فقد قال عليه السلام : «في كل كبد رطبة صدقة»، وقال : «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض».

تـوادوا، تعاطفوا، تحابوا، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وقال عليه السلام : «لا تحاسدوا ولا تدابرواولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»، أبناء المستقبل وقروا الكبير وارحموا الصغير.

أبناء المدارس، لا تزدروا بالوالدين فإنهما سبب في الإيجاد سبب في الإمداد، أنفقوا علينا، عانوا أمراضنا، عانوا تعليمنا، حافظوا على دينكم حافظوا على قوميتكم.

كثير من الناس يطلب العلم الدنيوي فيرجع بلا دين، فلا ما طلبوا وجدواولا ما أخذوا ردوا، جنوا على أنفسهم، جنوا على أهل العلم، جنوا على الهيئة الاجتماعية، جنايتهم على أنفسهم من الشر الذي ارتكبوه، على أهل العلم المحسنين له من كون أهاليهم يكذبوننا في نشر فضله ويقولون هؤلاء أبناؤنا صاروا إلى ما ترون.

جنوا على الهيئة الاجتماعية وعلى الحكومة التي قامت بنشر العلم حتى ظن قاصر الرأي أن سوء الأخلاق يتعلم بالمدارس وحاشى الله.

جملوا أنفسكم، جملوا مدارسكم، حتى لا ينسب لها السوء، يا أبناء المدارس: اتركوا المراء واتركوا الجدال، فقد قال الشاعر :

فإياك إياك المراء فإنه	إلى الشر دعاء وللشر جالب

وقال آخر :

وإذا جلست إلى الرجال واشرقت	في جو باطنك العلوم الشرد
فاحذر مناظرة الجهول فربما	تغتاظ أنت ويستفيد ويجحد

أما المذاكرة بالمناوبة لا بالمناهبة فلابأس بها، قال الشاعر :

ولله قوم كلما جئت زائرا	رأيت قلوباً كلها ملئت حلما
إذا اجتمعوا جاءوا بكل فضيلة	ويزداد بعض القوم من بعضهم علما
أولئك كالمشموم كل له شذا	ومجموعة أزكى أريجا إذا شما
تعاطوا كؤوس العلم في روضة التقى	فكلهم من ذلك الري لا يظما

الحلم ! الحلم ! قال الله تعالي : ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾.

في الصحيح أن أعرابيا جبذ رداء النبي عليه السلام حتى أثر في عنقه، وقال له : «احمل لي من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك»، فقال عليه السلام : «المال مال الله وأنا عبد الله ولكن إيقاد منك ؟»، قال لا، قال عليه السلام : ولم ؟، قال : «لأنك لا تجزي السيئة بالسيئة، ولكنك تعفو وتصفح»، فأمر أن يحمل له على بعير شعيراً وعلى بعير تمرا.

نعم لا يحلم على الجهال، قال النابغة بين يديه ﷺ :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له   بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

الوقار ! الوقار ! الثبات ! الثبات ! السكينة ! السكينة ! فقد كنت والله أتألم مما ينسبه لنا المصريون من عدم ثباتنا، فأصبحت لا أتألم اليوم وذلك أن رجلا مغربيا جاء إلى مصر فجعل مصري يثني عليه بأن المغاربة أحسن الناس وأعظمهم إيمانا وكذا وكذا إلا واحدة، فَبَدَل أن يقول المغربي بوقار وسكينة الكمال لله ومن ذا الذي ما ساء قط وكفى المرء نبلاً أن تعد معائبه، صاح حتى أزعجه قائلا له : وما هي ؟ فقال له المصري هذه الصيحة المزعجة الناشئة عن عدم الوقار.

فنتج أننا معشر المغاربة نحتاج إلى وقار، انزلوا الناس منازلهم، فقد جاء في الحديث أن عائشة رضوان الله عليها قالت : (أمرنا أن ننزل الناس منازلهم).

وقف أعرابي بسيدنا علي رضي الله عنه فقال : (إني رفعت إلى الله حاجة قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك وإلا حمدت الله وعذرتك)، ففهم أنه استحيا فقال : (خطها في الأرض)، فخط : (إني فقير)، فأمر له بحلة فلبسها، وأنشد يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها   فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه   كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به   فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فأمر له بخمسين ديناراً، وقال : (الكسوة لفقرك وخمسون دينارا لأدبك، سمعت النبي ﷺ يقول : انزلوا الناس منازلهم).

الحياء ! الحياء ! وقال عليه السلام : «الحياء من الإيمان»، مَرَّ علي رجل من الأنصار وهو يَعِظُ أخاه في الحياء، فقال : (دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير) ولكنه الحياء الشرعي وليس منه الحياء في العلم، قالت أم سليم : (إن الله لا يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت قال «نعم إذا رأت الماء») فلم يمنعها الحياء من السؤال عن دينها، وقالت عائشة رضي الله عنها : (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من التفقه في الدين) وقال مجاهد بن جبير : (إثنان لا يتعلمان : مستكبر ومستحيي) فإن حصلت الفائدة مع الحياء فلابأس، فقد قال سيدنا علي : (كنت رجلا مذاءا فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ لمكان ابنته مني) فأمرت المقداد فسأله فقال : «فيه الوضوء».

أولادنا ! أبناء المدارس : أحُثكم على طلب العلم، على المذاكرة فيه، في خلواتكم، في جلواتكم في كسلكم، في نشاطكم، وأحث الكل على الانفاق والاشتغال بما يعني، ومحبة مولانا السلطان والدعاء له بكل خير لأنه بمنزلة القلب من الجسد فإذا صلح صلحت الرعية، فاللهم انصره وأيده ووفقه لرفع معالم العلم، ونثني على من كان سبباً بجمعنا هاهنا وهو مدير المدرسة وسائر أعوانه والمقام يحتاج إلى بسط ولكن الزمان لا يسعه وبالله التوفيق.

في 22 جمادى الثانية عام 1339

5) إحدى خطب الشيخ أبي شعيب الدكالي في الحرم المكي(4) :

الحمد لله الآمر بالعدل والإحسان الذي حكم وعدل المكرم لنوع الإحسان الذي ولى وعزل.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عظيم الشأن الذي قال وفعل، وعلى آله وأصحابه ذوي الحجر والعرفان وعلى كل من للعدل نصر وللجور خذل.

أما بعد : فيا معشر المسلمين قال مولانا جل جلاله : ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾، واشكروا الله

(4) هذه الخطبة من إملاء الشيخ على تلميذه الأستاذ أحمد الشبيهي رحم الله الجميع بمناسبة عزل وولاية يحض فيها كثيراً على الاحتراف، وعدم التفرقة والاعتساف ومجانبة الإخلاد والركون إلى الدكة والسكوت.

العظيم اشكروا وقدروا حق هذه النعمة أقدروا ودوموا بارك الله فيكم على ذلك وانظروا جميعا في مستقبل أمركم ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

فقد قال عليه السلام : «لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا».

معشر الراقين اعملوا عمل رجل واحد إذ أنتم أبناء وطن واحد وأهل دين واحد واتباع خليفة واحد، اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون.

إلتئموا اتفقوا اتحدوا فقد قال عليه السلام : «المومنون كجسد واحد إذا مرض عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر» وقال عليه السلام : «المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه».

اعملوا لدنياكم اعملوا لأخراكم اعملوا لدنياكم ما يرقي بلدكم اعملوا لدُنياكم ما يرقي أولادكم، اعملوا لدنياكم ما يجعل يدكم عليا.

فقد قال عليه السلام : «اليد العليا خير من اليد السفلى» فالمحترف أمير والسائل ذليل.

اعملوا لدنياكم ما يقلل البطالة في البلد التي كان يتردد فيها جبريل بالوحي والتنزيل.

اعملوا لدنياكم ما يصيركم أحباب الديان فقد قال عليه السلام : «الكاسب حبيب الرحمن» فأنتم تعلمون أسباب المعايش أربعة : إمارة وتجارة وزراعة وصناعة، فأما الإمارة فلا يتعيش بها إلا الأنفار المحدودون دون الغير الكثير، وأما الزراعة فأنتم بواد غير ذي زرع كما حكى الحكيم الخبير فما بقي إلا الصناعة والتجارة، وهذه البلاد الطاهرة خالية من الصناعة وتجارتها ضعيفة مزجاة البضاعة فهلموا إلى ما ينفعكم وسلوا من واليكم الجديد المظفر المعان السعيد أن يساعدكم على إنشاء مكتب صناعي فهذا الجلد مباع في بلدكم بالقرش والقرشين ويصنع ويرد إليكم فاشترونه بالمائة والمائتين فكأنكم لم تقرؤوا قول الله جل وعلا : ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم﴾ وهذا الصوف في بلدكم غاية ما يصنع منه الشمال وفي بلد غيركم تصنع منه الملبوسات والزرابي

المبثوتة الغوال والتجارة في غير هذه الديار تسهلت طرقها بالشركات الكبار وبمساعدة الحكام للتجار وفي بلدكم كما تعلمون قد لحقها بوار أي بوار.

اعملوا لأخراكم بترك ما لا يعنيكم فقد قال عليه السلام : «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» اعملوا لأخراكم بالتحابب والتواحد فقد قال عليه السلام : «لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا ولا تومنوا حتى تحابوا» قال عليه السلام : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقدف في النار».

اعملوا لأخراكم بالتعلم في الدين فقد قال عليه السلام : «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

اعملوا لدنياكم ولأخراكم معا بالسمع والطاعة لأمير المومنين والاخلاص والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وخاصتهم وعامتهم.

معشر السادات الحكام وفقكم الله لما فيه خير الأنام، اعملوا لراحة الناس عموما لتستظلوا بظل الله يوم لا ظل إلا ظله فقد قال عليه السلام سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه.

اعملوا لتذكروا بخير.

إنما المرء حديث بعده   فلتكن خير حديث يسمع

اعملوا بعدم الرشوة فقد قال الله عز وجل : ﴿ولا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا به إلى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾.

ولعن ﷺ الراشي والمرتشي وأرسل ابن رواحة إلى خيبر فجمعوا له رشوة فقال والله لا آخذه فقالوا بهذا قامت السموات والأرضون.

إخواننا عموما اسمعوا وعوا وامتثلوا وأطيعوا وكونوا أحرارا حسا ومعنى كونوا أحرارا عاملين ولا تكونوا فقط قائلين كونوا أحرارا محترفين فقد قال عليه

السلام : «لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيحتطب فيبيع خير له من أن يسئل الناس اعطوه أو منعوه».

كونوا أحرارا من الأغراض وطهروا قلوبكم من الأمراض فقد قال عليه السلام إن الله لا ينظر إلى أموالكم وصوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، كونوا أحرارا عن الغيبة فقد قال عليه السلام : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

كونوا أحرارا عاملين ولا تكونوا متآكلين فقد مر عمر على جماعة من البطالين فقال ما أنتم قالوا متوكلون فقال بل أنتم متأكلون إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض توكلا على الله.

كونوا أحرارا عن أكل مال الحاج ظلما، ولو قلاعة فقد قال عليه السلام من سرق لحاج عقال بعير كنت خصمه يوم القيامة.

كونوا أحرارا عن شهادة الزور فقد قال عليه السلام أكبر الكبائر الاشراك بالله وشهادة الزور.

كونوا أحرارا عصاميين ولا تكونوا عظاميين.

باهوا بموجودكم ولا تباهوا بجدودكم، باهوا بمحصولكم ولا تباهوا بأصولكم، باهوا بالعلم والعرفان ولا تباهوا بسكناكم ببلد الديان، فقد قال تعالى : ﴿سواء العاكف فيه والبادي﴾.

كونوا أحسن الناس، كما أن بلدكم أحسن البلاد، كونوا قبلة في العلم والمعارف كما أن بلدكم قبلة البلاد.

معشر الحاضرين قال ﷺ : «من أسدى إليكم معروفا فكاتبوه فإن لم تقدروا فادعوا له»، فمولانا السلطان وواليتا عظيم الشأن وجيشنا المظفر المعان أسدوا إلينا معروفا، والسلطان نصره الله أنالنا هذا المجد الباهر، والجيش السبب والمتسبب كالمباشر، ووالينا أوصل السكينة الحجازية لبلد الرسول الطاهر، فلنقل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع، انصر اللهم سلطاننا، أمن اللهم أوطاننا، ول اللهم أمورنا خيارنا، ولا تول أمورنا شرارنا، أدم اللهم توفيق ولينا، أدم اللهم سعادة جيشنا، أمين، آمين، يا إلاه العالمين، آمين، والسلام.

[illegible]

والعربية والفقهية ولا قاموا بعماء الرباط عناية والاشتغال والاصغاء والاقبال
والتحصيل اهل ود [illegible] من علمه والنباس [illegible] بما تقوم بقلبه وكلما
سمعت له الاخبار بالمكث ولو ثلاثة ايام بهاته المسافة [illegible] من العربيين بالاقبال على ما تقوم
من اهل فاس اذ كان عالمه [illegible] مجلسه [illegible] [illegible] او [illegible]
وكسبنا املا كان يحض طالب العلم على الاحترام وتعاطي الاسباب . هو [illegible] افتتاح
مجالسه بالادعية والابتهالات . [illegible] والافادات [illegible]

الحمد لله الآمر بالعدل والاحسان . الناهي [illegible] المنكر لنوع الانسان . الذي [illegible]
والصلاة والسلام على سيدنا محمد [illegible] الشأن [illegible] وعلى آله واصحابه ذوي المجد
والعرفان . وعلى [illegible] للعدل [illegible] . اما بعد فيا معشر المسلمين قال مولانا
جل جلاله اذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا
فلا [illegible] الله العظيم [illegible] واحق [illegible] النعمة [illegible] . واعتصموا [illegible]
على [illegible] واتقوا [illegible] مستقبل [illegible] فقال عليه
السلام لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا [illegible] اعملوا
عمل رجل [illegible] اعملوا فسيرى الله
عملكم ورسوله والمومنون . [illegible] فقال عليه السلام المومنون كجسد
واحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وقال عليه السلام المومن للمومن
كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه . اعملوا للدنيا [illegible] اعملوا
للدنيا [illegible] اعملوا للدنيا [illegible] فقال عليه
السلام اليد العليا خير من اليد السفلى [illegible] اعملوا للدنيا [illegible]
[illegible] اعملوا للدنيا [illegible] اسباب
الدنيا [illegible] فقال عليه السلام الكاسب حبيب الرحمن [illegible] اسباب المعايش
اربعة امارة وتجارة وزراعة وصناعة [illegible]
[illegible] والزراعة [illegible]
والتجارة [illegible] الصناعة [illegible]
[illegible]

وثيقة : خطبة الشيخ أبو شعيب الدكالي

6) **خطاب الشيخ أبي شعيب الدكالي في حفل مدرسي بفاس، أثناء توزيع الجوائز السنوية برئاسته رحمه الله.**

ونصه :

الحمد لله الذي رفع العلم، ووضع الجهل، وأنزل المنازل العالية ذوي النباهة والنبل، وأرسل رسله للخلق معلمين.

والصلاة والسلام على أنبيائه، خصوصاً سيد أصفيائه، وعلى آله وأصحابه وأوليائه، والثناء على مولانا أمير المومنين.

أما بعد :

فحيا الله من حضر، ورعى من سمع فامتثل واعتبر، وأرشد من تعلم، وبعد ذلك ساس، أو زرع، أو احترف، أو اتجر، فكان من عباد الله العاملين.

فقد حضرنا هذا الحفل العظيم، وسمعنا ما تلاه مدير المدرسة الحكيم، من القول الذي يفرح به كل قلب سليم، فبشرى لكم يا أولياء المتعلمين.

هذا وإني أحثكم أيها الفقهاء المعلمون، والفضلاء المرشدون الأجلون، أن تربوا بصغار العلم قبل كباره، ليكثر المحصلون، فقد جاء ذلك في تفسير قوله تعالى : ﴿كونوا ربانيين﴾.

وأرغب إليكم يا أولادنا النجباء، ويا رجال المستقبل الأدباء، أن تسلكوا في ذلك أحسن المذاهب، وتكونوا على التعلم عاكفين.

فقد قيل : من طلب الشيء قبل إبانه، عوقب بحرمانه، ومن تصدى قبل أوانه، فقد تعرض لهوانه، وليس السير سير المستعجلين.

وذاكروا في العلم آناء، وأطراف النهار، وتذاكروه إذا قمتم من مضاجعكم بعد الاستغفار في الأسحار، ولا تتركوه في الآصال والإبكار، ولا تعبثوا مع الصبيان العابثين.

إذا هـجـر الـعـلـم هـجـر	وزال فـلـم يـبـق مـنـه أثـر
كـمـاء تـرقـرق فـوق الصـفـا	إذا انـقـطـع الماء جـف الحجـر

تعلموا اللغة العربية، لغة القرآن، لغة الإسلام، لغة الإيمان، لغة النبي إمام أهل العرفان، لغة سلفنا المرحومين.

حـفـظ الـلـغـات عـلـيـنـا	فـرض كـفـرض الصـلاة
إذ لـيس يُـحـفـظ ديـن	إلا بـحـفـظ الـلـغـات

كان سلفكم يمدحون ويقدحون، ويرفعون ويضعون، ويشجعون الجبان، ويطلقون يد البخيل الجعد البنان، فكونوا لهم من المقتدين.

فما قرأت في الأسفار، ولا رأيت في الأسفار، لما خضت البحار، وجبت الأقطار، أقبح من المذبذبين.

وأعني بهم من ترك لغته ودينه، ولا أخذ من العلم العصري رخيصه ولا ثمينه، ولا تزين بصنعه، ولا حرفة مهمة، بما يُعد زينة، وقصاراه سوء العقيدة، وبيس المذهب، مذهب الدهريين.

أولئك قوم طلبوا الدنيا، فرجعوا بلا دين، فلا ما طلبوا وجدوا، ولا ما أخذوا ردّوا، فكانوا عند أهل أوربا من الساقطين، وعندنا من المارقين.

ثم تعلموا الغير من لغات أوربا، لاسيما لغة فرنسا المعتبرة، لقرب قطرها من قطركم، واشتراك مصلحتها مع مصلحتكم، واتحاد دولتها مع دولتكم، فمن تعلمها، وحافظ على دينه، وعوائده القومية، فاز مع الفائزين.

فيها يستعين التاجر على تجارته، والصانع على صنعته، والزارع على زراعته، ولا تصدنكم أقوال المقلدين المتشدقين.

فقد تكلم النبي عليه السلام بالحبشية، فقال لأم خالد «سنة» وتكلم مع أبي هريرة بالفارسية، وأمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة العبرانية، وقال مالك بن أنس لتلميذه عيسى بن مينا : يا قالون، حيث قرأ فكان من المجيدين.

وقد كان حبر الأمة، وترجمان القرآن، عبد الله بن عباس، يجلس معه على كرسيه أبا جمرة، ليترجم بينه وبين الناس، وما رأى أحد من سلفنا في الكلام باللغات الأجنبية من بأس، وليس المذهب مذهب المتعصبين.

وإني بالنيابة عن المغاربة عموماً، وعن الفضلاء خصوصاً، وعن مولانا السلطان بالأخص، أثني على كل من قام بهذا الشأن، وقدر قدر اللسان العربي قدره، وعلى سائر الموظفين الذين قاموا بوظيفة التعليم أحسن قيام، وكانوا من المرشدين.

7) **خطاب الشيخ أبي شعيب الدكالي** بمناسبة افتتاح إعانة الفقراء والمساكين(5) :

ونصه :

الحمد لله المعطي المانع، الخافض الرافع، الضار النافع، القائل : ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾.

والصلاة والسلام على البر الرحيم، الجواد الكريم، المفضال الحليم، المُنزل عليه : ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره اليسرى﴾.

أما بعد :

فيا عباد الله، ألم يان للقلوب القاسية أن تخشع، ألم يان للعيون الجامدة أن تدمع، ألم يان للآذان الصم أن تسمع، ألم يان للرحمة بالضعفاء في السنة الغبْرا.

أرض مُغبرة، وجلود مُقشعرة، ووجوه مُكفهرة، وأكباد من الجوع أصبحت وأمست حرّا.

فرحم الله عبداً نظر إلى أولئك المساكين الحائرين، في بيداء الفقر التائهين، العراة الأبدان الجائعين، فجاد لمن أرهقوا من أمرهم عسرا.

فالصدقة، يا عباد الله، تطفئ غضب الرب، وتكفر ما سلف من الذنب، وتوجب لله ونبيه المحبة والقرب، والمتكلم والسامع أحاط بذلك خُبْرا.

فهل من مفضال، واسع النوال، يصدق المقال منه الفعال، يجود بما سمحت به همته، فيزيل عن الفقراء الضَرّا.

اعملوا، اعملوا، اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون.

---

(5) وكان ذلك عند انحباس المطر، وارتفاع ثمن الأقوات، وكان هذا الخطاب بعد صلاة العصر من يوم الخميس تاسع محرم الحرام فاتح عام (1332هـ) موافق (18 دجنبر سنة 1913).

انفقوا، انفقوا، انفقوا، وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين.

دعوا البخل، دعوا الشح، دعوا الكزازة، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى.

ما بال الغني يصبح ويمسي، وهو شبعان ريان، وأخوه بين يديه جائع ظمئان.

أليس الله ندبنا إلى المواساة فيما أنزل من القرآن، ونبينا بين لنا ذلك وحث عليه في السنة الغرّا.

فليوقن المنفق بالخلف، والممسك بالتلف، وليتعظا بما سلف، فمن أمسك فلا يحمد دنيا، ولا يثاب أخرى.

ليس من أحسن كمن أساء، والله يقول : ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء﴾.

ليس من أمسك كمن واسى، والنبي عليه السلام يقول : «انفق، ولا تخش من ذي العرش إقلالا»، أي لا ضيقاً ولا قترا.

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، واستمنحه أن يرسل علينا الغيث ولا يجعلنا من القانطين وأن يجعل الرحمة علينا تترى.

وفي الختام، نرفع يد الضراعة متوسلين بصاحب الشفاعة أن يعز سلطاننا، ويرحم أوطاننا، وأن يوفق الآمرين والمأمورين، والرؤساء والمرؤوسين، وأن يوفق وزراءنا الذين تشرفوا بخدمة الفقراء الذين لا يستطيعون على الجوع وكلب البرد صبرا.

فمولانا السلطان، مديد المساعدة والإعانة، فاتفقوا وفقكم الله على لجنة ترى رأيها، وتتذاكر على كيفية الأجراء.

وتعين مكانه وزمانه، وفقنا الله جميعاً لخدمة الفقراء، إذ لا أعظم من ذلك أجرا، ولا أعلى منه فخراً، في الدنيا والآخرة.

8) كلمة للشيخ في إصلاح رواتب الموظفين والعلماء التابعين لوزارة الأوقاف في ذلك العهد :

«أيها السادات، لقد شاهدتم بالعيان ما صارت إليه حالة الأوقاف الآن من نماء المدخول وإصلاح الأملاك وما وضع لذلك من القوانين والضوابط الكفيلة بحفظها من الضياع، بحيث لا يخشى عليها بحول الله احتيال محتال أو ارتكاب خداع، فعظم أمل رجال الدين، إذ لا يخفى عليكم أن ثمرة ذلك كله ونتيجته، هو التوسع والزيادة في رواتب الموظفين القائمين بفروض الدين، والناشرين للعلم بين أكناف المسلمين، من علماء ومتعلمين، وقد وعدتنا الوزارة الوقفية، بإجراء ذلك بعد تعديل الميزانية والقيام بالحقوق الشرعية، لجميع أهل الوظائف الدينية والدروس العلمية، وبسبب ذلك تحصل فائدتان عظيمتان : إحداهما قيام أمور الدين، والثانية نشاط المعلمين والمتعلمين، فما هي إلا أموال أوقاف أسلافكم تجمع وتحفظ لتصرف عليكم في أمور دينكم، وليس للقائمين بذلك إلا السعي فيما يعود بخيري الدنيا والآخرة عليهم.

ومما يجمل به تذييل الكلام في هذا المقام، أننا يجب علينا معشر المغاربة أن نكون يدا واحدة وذاتا متحدة فيما فيه صلاح الدنيا والدين، وعلى البر وحب الخير متعاونين، ونسعى جميعا فيما فيه هناء الأوطان، وتوسيع دائرة العمران، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾، فرحم الله امرءا اشتغل بما يعنيه، واهتم بمصالح وطنه وأمته، وأبقى الذكر الجميل مخلدا بعد موته.

وهذا أميرنا الهمام، أيد الله به الإسلام، منذ ولي أمر المسلمين وهو مثابر على إحياء مآثر الدين، محافظ على ما رسمه أسلافه الكرام أمراء المومنين، جاد في إصلاح البلاد والعباد، متبع آراء ذوي العقل والارشاد، فعلينا أن نخلص له الطاعة، ونجتهد في الدعاء للمولى جل وعلا بإدامة ملكه»[6].

9) كلمة الشيخ بين يدي ملك الحجاز (ابن السعود) بمناسبة رئاسته لوفد الحاج المغربي إلى البقاع المقدسة :

الحمد لله - يا جلالة الملك - أن قلوب المسلمين أجمعين دائمة الاتجاه إلى بيت الله الحرام يغمرها الإيمان، وتشرق عليها أنواع العقيدة ﴿ربنا ليقيموا الصلاة

(6) أثبت هذه الكلمة الشيخ محمد المكي الناصري في كتابه الأحباس الإسلامية، ص 123 وما يليها ضمن مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم﴾ وان في استقبال ذلك البيت المعظم كل صلاة لاعلانا بوحدة الاتجاه وحفاظا على تلك الوحدة الدينية المتغلغلة في القلوب ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم﴾ حتى إذا قرع الآذان موعد الحج قرع القلوب أيضا فثاروا إليه من كل صوب، وطارت قلوبهم إليه خفاقة ﴿وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا، وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم﴾ وإن هذا الشعور ليكون اتحادا وثيقا بين الشعوب الإسلامية جمعاء، وحياة روحية سامية بعيدة التأثير في المشاعر والعقول، وإن هذا الحفل العظيم الذي يضم بين جوانبه شعوبا مختلفة تخضع كلها لذلك الكتاب السماوي المقدس، الذي نزل على خاتم النبيين ﷺ آخر كتاب وأبلغه ليؤدي إلى الإنسانية أسمى معاني السلام وأدق معنى الأخوة والاتحاد.

يا جلالة الملك إنني فخور بكوني مبعوثا من لدن ملكنا الهمام المصلح الكبير أمير المومنين سيدي محمد بن مولانا يوسف العلوي أعلاه الله علاه، ذلك الإمام الذي وقف نفسه على خدمة بلاده فكان لها ابنا باراً مخلصاً كما كان ملكا محبوبا من شعبه الوفي، بل ومن لدن الأمم العربية جمعاء.

يا جلالة الملك المعظم إن بين ملكنا المحبوب وبين هذه الجزيرة المقدسة روابط متينة يستحيل انفصامها، وكفى أن أجداد سيدنا الأشراف الطاهرين من مدينة الينبع تلك المدينة التي نحتفظ لها بمكانة كبرى في تاريخنا المغربي، ولقد كانت دولتنا الشريفة تعمل من قديم على ربط هذه العلائق وتمتين عراها من حين لآخر، كما يشهد تاريخها المجيد، ولقد كان عهد المولى سليمان من أعظم السنن مظهراً لتلك الصلات حيث اندفع صدى عقيدتكم الاصلاحية إلى المغرب فقام للدعوة إليها بنشراته، وعلى أعواد المنابر وأن سيدنا أمير المومنين أعلى الله علاه ليقتفي أثر أسلافه الكرام في تمتين هذه الروابط، وتغذية تلك الوشائج، والدعوة إلى أصول الدين المتينة، والعقائد السلفية الصحيحة، وفي الختام إنني أضرع إلى الله سبحانه بين هذه المشاهد المقدسة، وبين منازل الوحي ومبعث الدين، أن يحقق للشعوب العربية آمالها، ويعضد نهضتها إنه قريب مجيب[7].

(7) أثبت هذه الكلمة الأستاذ عبد الله الجراري في كتابه عن الشيخ محمد بن عبد السلام السائح، ص 96.

10) ملخص الخطاب الرسمي الذي ألقاه الشيخ شعيب الدكالي بمسجد باريس(8) :

بعد البسملة والحمدلة والتصلية على مولانا رسول الله في براعة الاستهلال قال الشيخ :

«إننا لجلالتكم (وفد تحية)، وللقائمين بالمسجد (وفد تهنئة)، والله أحْمَدُ، وأصلي وأسلم على مولانا أحمد، وأثني على الملك الممجد الساكب في الفؤاد : الفؤاد أحمد».

وقدم للملك في هذا الخطاب (باقة شعرية) من خمسة أبيات، منها هذا البيت:

وأعليت ذكرانا وما كان خاملا ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وحَيَّى الملك تحية المسلم : السلام عليك ورحمة الله، وناداه يا نجل إسماعيل وخاطبه بالكلمات الآتية :

أنتم المفاخرون بجدودكم، الشامخون بالأنوف بمحصولكم، العصاميون أدبا، العضاميون نسبا، الكنانة جسد أنتم فؤادها، ودعا له بطول العمر، حتى تحقق مصر ما تأمله في عهده، ووصف مصر أرض الخيرات والبركات، بالمدارس والمستشفيات والمعاهد العلمية والآثار العتيقة والكليات والجامع الأزهر الشريف، وكلها متفجرة بالآداب، قال : والنيل فيها يجري بالذهب، وعن مصر المدرسة قال : المسلمون من أبنائها والوافدون عليها من كل مكان، في مدارسها يتعلمون دنياهم، وفي الأزهر يتعلمون دينهم، وهم وراء البحار يشاركون مصر أفراحها وأتراحها اعترافا بالجميل.

قال الشيخ للملك (فؤاد) : المسجد هو الملتقى، فلولا المسجد ما تشرفنا بلقياكم، فلو دعيتم إلى غيره لكان الداعون ومكان الدعوة دونكم، وفي الحديث من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، وللغاية نفسها شرعت الجماعات والجمعة والحج للتعارف والتآلف، وفي الختام أبلغكم سلام أميرنا (العزيز) : الشريف

---

(8) بمناسبة زيارة فؤاد الأول ملك مصر للمسجد سنة 1927 وكان الشيخ وزيراً شرفياً، وبصفته رئيس الوفد المغربي.

الأمجد مولانا يوسف بن سيدنا ومولانا الحسن، ودعا لجميع المسلمين، وختم بالحمد لله رب العالمين.

والخطاب من أوله إلى آخره طافح بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[9].

11) محاضرة الشيخ في موضوع «اللغة العربية وتطوراتها» ألقاها بتونس :

في سنة 1931 ذهب الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله في رحلة ثانية بعد رحلته الأولى إلى تونس على رأس وفد مغربي من أجل حضور مؤتمر اللغة العربية والآداب والفنون.

ويذكر العلامة المفكر الفاضل بن عاشور رحمه الله الذي حضر هذا المؤتمر وتكلم عن أشغال وعن مشاركة العلماء فيه ولاسيما من المغرب ومنهم شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الذي شارك بإلقاء محاضرة عنوانها «اللغة العربية وتطوراتها» وقد تناولت هذه المحاضرة المحاور التالية :

- انتقال العربية من طور السليقة إلى طور القواعد.
- اختلاف طرق وضع القواعد بين البصريين والكوفيين.
- امتياز الخليل، وسيبويه ثم الفراء، والمبرد، وثعلب.
- انصراف النحو إلى البصريين.
- انصراف القراء والرواية إلى الكوفيين.
- اختلاف طرائق التأليف في النحو والصرف وتأثر بعضها ببعض.

وزاد الفاضل بن عاشور قائلا عن هذه المحاضرة :

وكانت دراسة طويلة واسعة موعبة[10].

---

(9) ذكر هذا الملخص ذ. عبد الحكيم بركاش في كتابه الشيخ أبو شعيب الدكالي أكاديمية علمية، ص 128، وقد أشار الكاتب المذكور أن هذا الخطاب بكامله منشور في جريدة النجاح التونسية عدد 516، 11 نونبر 1927.

(10) أشار إلى ذلك العالم التونسي الفاضل بن عاشور في وصف رحلة الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى تونس وهي ضمن هذا الكتاب.

12) ترجمة الشيخ بخط يده :

الحمد لله ! أيها الفاضل السائل عن نشأتي وتطوراتي أصلح الله حالي وحالك، وبرر قالي وقالك[11] : إن جدي سيدي عبد العزيز بن الصديقي كانت له ربيبة وكان يحبها كبناته الكثيرات، ورغب من أولاده وأولاد أخيه أن يتزوجوا بها، فأبو عليها، فعرضها على والدي أخيرا وقال له : تزوجها ولك أرض أريري وهي مزرعة لنا نحلة وقال : اخترت النحلة لأنها لا تحتاج إلى حوز، فقال : تزوجتها ونحلتي رضاك، فقال له : الأرض والرضى نحله لك، وستلد لك ما أذكر به أنا وأنت.

فتزوجها فولدت له أولادا قبلي، ثم حملت بي بعد موت الجد المذكور، فرغب أعمامي أبي أن يتزوج عليها فساعدهم، ولكن في ليلة دخوله رأى في منامه أحد أعمامي المسمى أبا شعيب، وكان علامة وأستاذا، أهداه صينية حمراء فيها كؤوس من الزجاج، وكأس من الذهب، وصينية أخرى من فضة، فقال له : ما هذا الرمز ؟ فأجابه : الصينية الحمراء هي الزوجة الأولى، والكؤوس أولادها، وكأس الذهب منها هو المولود الذي سيولد لك فَسَمِّه بإسمي، وأما الصينية الفضية، فهي بنت عمنا ولا تلد لك.

ولما استيقظ وجدني ولدت في تلك الليلة فسماني : أبا شعيب، والرؤيا تسر ولا تضر، وفرح بي كثيراً، وفعلا ولدت أمي عدد الكؤوس ولم تلد بنت عمه.

وكانت ولادتي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة عام خمسة وتسعين ومائتين وألف 1295 (20 أكتوبر سنة 1878م).

ولما وصلت إلى سن التعلم أخذ لي فقيها بخصوصي وكان يقول له : إنه دعوة والدي ومصداق رؤياي، فحفظت القرآن إلا خمسة أجزاء قبل أن يموت.

وتوفي رحمه الله عام (1300) (1883) فكفلني عمي سيدي محمد ثم حفظت القراءات السبع عن شيخي المذكور وهو السيد محمد بن المعاشي وهو معلم أولادي من بعدي، ومات ونحن بالرباط قبل ثلاثة أعوام، ثم أخذت العلم عن علماء جلة

---

(11) في نسخة أخرى مما جلبه الأستاذ عبد الله الجراري قبل الحمدلة قال الشيخ رحمة الله عليه : أصلي من أولاد عمرو الغربية، وهي قريبة من قبيلة دكالة، بدوار يسمى بالصديكَات قرب المدينة المعروفة (بمدينة مشترايه)، انظر المحدث الحافظ، ص 16 وما يليها.
والترجمة التي نقلت عنها مخطوطة بيد الشيخ.

منهم عمي سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي الذي كان كفلني بعد موت والدي، وعن ولد عم أبي سيدي عبد الرحمان ابن الفقيه الصديقي، وعن ولد عمي سيدي محمد بن عزوز، وعن ولد عمي سيدي الطاهر قاضي مراكش أخيرا، وكلهم كانوا من أهل العلم والخير والمروءة.

كما أخذت عن الفقيه السيد الطاهر بن قدور الغربي الدكالي، وان عائلتنا (أسرتنا) تأبى أن تدعى نسبا وربما ضربوا صغارهم على ادعائه، وجلهم يحفظ الحكم العطائية.

ولما كانت سنة ثمان وثلاثمائة وألف 1308 (1891م) دعا السلطان مولاي (الحسن الأول) من يحفظ مختصر خليل لأجل الاختبار فحضرت كغيري لمراكش، واختبر الجميع فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي، ثم قال لي : هل تحفظ القرآن ؟ فقلت نعم بالروايات السبع، فأحظر من يعرفها وأمرني بالقراءة فقرأت بسم الله الرحمان الرحيم علم القرآن بالقراءات، فظن الوزير المذكور أنني عينت ذلك، وبعد اطلاع علم السلطان مولاي الحسن على ذلك، أمر بإدخالي عليه، فدخلت فقال لي : اعرب (الرمان حلو حامض) فاعربت المثل، فقال لي : أنت فقيه ولست بنحوي، فقلت : أنا أعلم بالنحو مني بالفقه، ولكنه بمنزلة قول الشاعر :

يـــداك يـــد في الـــورى خيرهـــا   وأخـــرى لأعـــدائـــهـــا غـــائـــظـــة

فتعنت علي بعض الحاضرين وقال : زد إيضاحا لسيدنا فقلت وقصدته : هو منزلة ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾ فضحك السلطان كثيرا، وأمر لي بصلتين وكسوتين، ولا يزال توقيعه بهما عندنا ونصه : يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه، وكبر فنه، ثم بعد هذا كله رحلت إلى الريف في خبر طويل ثم إلى مصر عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف (1314) (1896م) فأخذت عن الشيخ البولاقي والشيخ علي الصالحي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ محمد الطيمومي، والشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، والشيخ دسوقي غربي، والشيخ محمد محمود الشنجيطي وآخرون كثيرين.

وأجازني الكثير كما جاورت بمكة شرفها الله من وفود أهل الله من اليمن، وأهل الشام، وأهل العراق، وأهل الهند.

13) وثيقة عدلية صادرة عن الشيخ بخطه[12] :

الحمد لله وحده.

الحمد لله بمحضر كاتبه والواضع شكله عقب تاريخه، والقائد مبارك الشرادي، والسيد محمد الحجي، والعربي بن صالح الشراد، والسيد عمر اليطفتي أن الذمي يوسف بن اشلوم الشمعوني التازي، صفته أبيض اللون، طويل القامة، ذو لحية متوسطة، أصفر النجدين الأعليين، طويل الأنف : تفاصل مع التاجر سيدي محمد جسوس الفاسي، وج محمد بوهلال التطواني القاطنين بمليلية، بما ذمته لهما من الدين وهو أربع مائة (دور) وثمانية دور، مائة وخمسون منها لجسوس المذكور، وما بقي لبوهلال المذكور، لكن دفع مائة وستين دور سلعة كما سنذكر بالطرة، ومائتان بغال ثلاثة : بغلة حمراء ثمنها ثمانون، وبغل خصي أزرق اللون ثمنه ثمانون أيضا، وبغل أحمر يميل إلى الصفرة ثمنه أربعون، مجموع ذلك مائتان، وبقي بذمة الذمي من العدة المذكورة ثمان وأربعون دور للحاج بوهلال المذكور مؤجلة إلى شهرين بعد أن يعطى له جميل بها، وكل هذا وقع بينهما من غير ضغط ولا إكراه بل بطيب نفس بعد أن أبرأ كل صاحبه من الدعوى للنصارى، وبعد أن سئل الذمي هل له حماية، فأجاب أن لا، ورضي بالفصال المذكور بشريعة الإسلام.

في 24 محرم 1314هـ.

عبد ربه

أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي

لطف الله به

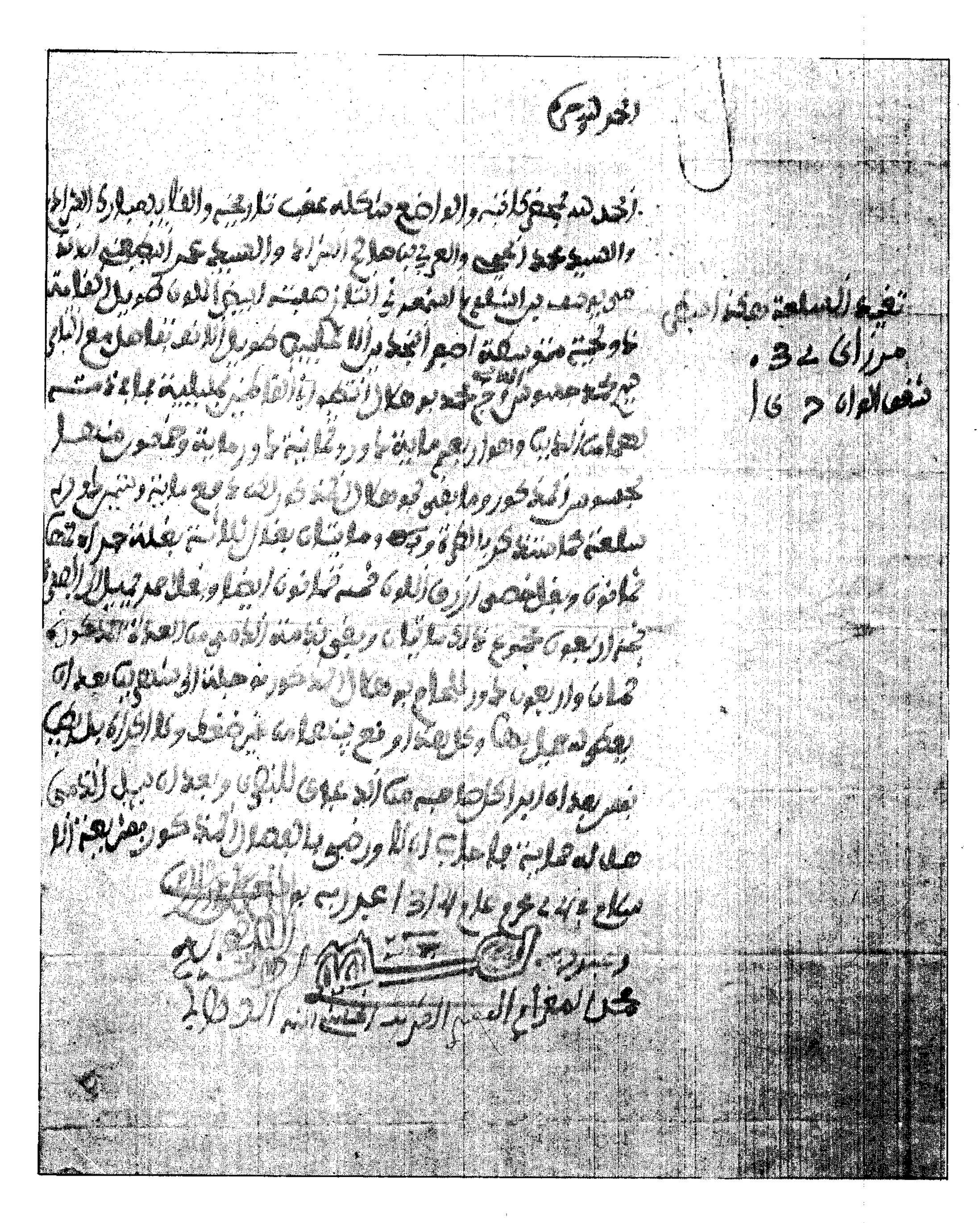
جاء في الطرة :

تقيد السلعة هكذا بسطر

مرزاي 032 شقق ألـوان

ح ي أ

(12) وذلك حين كان بتطوان وهو يستعد لمغادرة المغرب إلى مصر من أجل طلب العلم وذلك عام 1314 كما هو مثبت في الوثيقة.



وثيقة

ثانياً : نماذج من فتاوي الشيخ شعيب الدكالي :

1) فتوى في مسألة الصلاة في السيارة العمومية :

ذكر الأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله أنه قال :

وسألته (أي الشيخ) يوما عن حكم الصلاة في السيارات الكرائية العمومية إذا ضاق الوقت وكان الإنسان على طهارة فقال يصلي كيف تيسر مستقبلا أم لا قائما أم لا، وحكمه كحكم الأسير الذي ذكره الفقهاء كما أن حكم من ليس فيها على طهارة وقد ضاق الوقت وتذكر ولم يجد ما يصنع إلى أن خرج الوقت أن الصلاة تسقط عنه لتعذر الشرط وانتمائه وذلك هو قول مالك فقلت له أن بعض الفقهاء اليوم يقولون يقضي الصلاة بعد ذلك ولا يجوز له أن يصلي في السيارة وإن كان ما كان فقال أحكي لكم حكاية وقعت لي نفسي يعلم منها أن التشديد والخروج عن السنة يتعب به الإنسان غاية ويلقي به حرجا عظيما، ركبت على سيارة كرائية عمومية من فاس إلى الرباط وأنا بدون رفيق من أصحابي معي فعند الوقوف بمكناس خفت أن تطلع الشمس فنزلت لأصلي الصبح وكانت الأرض وحلة بمطر نزل الليلة فخالفت سنة الإيماء في ذلك ففرشت طيلسان ملف علي جديدا أصلي عليه وقبل أن أسلم نهضت السيارة فبقيت وحدي ولم يرني أحد لانعزالي في محل خارج مستودع السيارات الكرائية فنزل علي خوف شديد على حقيبة مملوءة حليا وجوهراً كثيراً مقوما بعشرين ألف ريال ناولنيه أحد أصحابي الفاسيين لأوصله إلى بعض أهله بالرباط والحقيبة صغيرة يمكن أن يضع عليها أحد الراكبين يده فينزل بها فصرت أدور مدهوشا حيران فصادفت بعض معاريفي وله سيارة صغيرة أركبنيها فوصلنا الخميسات قبل سيارتنا فوجدت الحقيبة في محلها، قال إنني ما أتت إلا من عدم اتباع السهل المنصوص عليه في السنة، فلوتت سلهامي الجديد وحصل لي روع عظيم ولو مشيت مع الأسهل لما وقعت في ذلك[13].

وجاء ذكر هذه الفتوى في غضون مذاكرات الأستاذ محمد المختار السوسي أيضاً مع بعض فقهاء عصره جلبها في كتابه «خلال جزولة»، مع التعليل الفقهي والأصولي من الشيخ لهذه الفتوى، قائلا :

---

(13) ترجمة الأستاذ محمد المختار السوسي لشيخه أبي شعيب الدكالي، ص 23، مرقونة على الآلة الكاتبة.

ثم رجعت المذاكرة حول موضوع مناقشة هؤلاء الأساتذة وهو الصلاة في السيارة فقال الأستاذ ابن عثمان : إنك كنت ذكرت لي في الحمراء ما كنت تؤيد به الأستاذ الكشطي في جواز الصلاة في السيارة، فقلت له : إنني ذكرت لكم ما عندي من أن الذي ركب السيارة التي ليست له، ولا يمكن أن تقف متى أراد أن يصلي، وقد كان على طهارة ترابية أو مائية، فإنه متى خاف خروج الوقت، وهو مستحضر للصلاة غير ناس لها، يصلها كيفما تيسر له، مستقبلا أم لا، قائما أم جالسا ساجدا أو مؤمنا ولا أظنكم ترتابون في الصورة التي على هذه الكيفية، ولا أنكم تتوقفون على إيراد أدلة فقهية عليها، وأما الذي كان على هذه الحالة نفسها ثم ليس على طهارة ترابية أو مائية، ثم انه لا يمكن له أن يقف ولا أن ينزل لأن السيارة ليست له وقد تذكر حتى خرج الوقت، أو ليست هذه المسألة هي التي اختار مالك فيها بعينها سقوط الصلاة، فقالوا بلى، ثم قلت : إنني إلى الآن لم أر كلام الكشطي، فإن كان يتكلم حول هذه الصورة فالحق معه بلا ريب، وإن أطلق فإن اطلاقه في غير محله، فقال الأستاذ ابن عثمان إنه أولا أطلق ثم رد عليه، فقيد بذلك بهذه القيود، فقلت إن معه حينئذ الحق، فقال، وما نقول في الاقدام على مثل هذا الركوب الذي يؤديه إلى الصلاة إيماء، أو ليس ان الحكم هنا كما قيل في الاقدام على الحج في السفن الضيقة التي يحمل ضيقها الركاب، حتى يصلوا إيماء، فإنهم نصوا على أن ذلك الحج يسقط عن الإنسان مادام يضيع ركنا من أركان الصلاة، فقلت الآن جاء منقطع الفعول ومصطدم الأفكار، ثم قلت، مهلا احك لكم ما قاله الشيخ شعيب الدكالي وقد سألته عن هذه المسألة بعينها، فإنه قال، لا أقول لك حتى أحكي لك حكاية وقعت لي، وذلك أنني خرجت سحر يوم من فاس، وأنا على الوضوء في سيارة شركة عامة، وقد أعطاني بعض أصحابي حقيبة صغيرة فيها حلي كثير إذ ذاك عشرين ألف ريال حسني، لأوصله إلى أحد أهله بالرباط، فوضعت الحقيبة إزائي، فحين وقفت السيارة في مكناس وقد أسفر الضوء، وأنا وحدي بلا رفيق، نزلت لأصلي، وقد ابتلت الأرض أول ذلك السحر بمطر نزل فيه فأول ما فعلته، أن فرشت سلهاما جديدا من الملف الغالي على الأرض فأصلي عليه، وفي وسط الصلاة أثيرت السيارة، فأسرعت في الإتمام، ولكن لم أسلم حتى ذهبت السيارة عني فحرت في أمري، وخفت أشد الخوف على الحقيبة، فساق القدر علي بعض معاريفي، فحكيت له، فركبنا سيارة صغيرة مسرعة، فسبقنا سيارة الشركة إلى الخميسات، فيسر الله

حفظ الحقيبة حيث وضعتها فجلست في مكاني وقد لاقيت مشقة عنيفة، وما ذلك إلا لمخالفتي للسنة التي راعت السفر فأتت فيه برخص كثيرة توسعة ودرًا للمشقة فإنني أولا أفسدت سلهامي الجيد مع أنه منصوص عند الفقهاء على جواز الصلاة إيماء في الطين، لمن خاف فساد ثوبه، وثانيا فارقت مجلسي ولم أؤد الصلاة كما تيسر لي للمحافظة على عدم فراق آلة السفر وحوائجي، مع أن المضطر يجوز له أن يؤدي الصلاة كما تيسر له، كمن كان هاربا على بهيمة من اللصوص أو من السباع فخاف إن وقف أو نزل، فإنه يصلي عليهما دائما ولا ينزل، وما الاضطرار الذي في السيارات مثل هذه التي تكون لشركات لا تعتبر ديننا، إلا مثل ذلك الاضطرار، ومن فرق بينهما، فلم يعرف بعد موقع القياس ولا إسناد جزئية قياسا، قال الشيخ ذلك، فأوردت عليه الشبهة التي يتوهمها كل متوهم في عدم جواز الاقدام على مثل هذا السفر الذي يضيع فيه ركن من أركان الصلاة، قياسا على ما ذكروه من عدم الاقدام على الحج إن كان يؤدي إلى ضياع ركن من أركان الصلاة بضيق السفن، فقال الأستاذ إنني أولا أسلم تسليما جدليا عدم الاقدام على ذلك الحج كما ذكروه، واحكم بالفرق بين ذلك السفر الذي لا يضيع فيه مواد حياة الإنسان وبين مطلق سفر التجار التي تضيع فيه مواد حياتهم، وللشارع اعتبار كبير لفتح باب عدم تضييع الأموال التي جعلها الله قيما للناس وقواما لحياتهم، وبعدما أقول هذا وعندي ما أرجحه به كثير، أعود فأقول أن المسألة تدور على قاعدة أصولية، وهي هل يجوز للإنسان أن يتسبب في مانع حكم من أحكام الشرع قبل أن يخاطب به خطابا تنجيزيا أولا، فهنا منبع الحكم في المسألة، فمن أتلف ما يستر به عورته، أو سكب ماء وضوئه قبل دخول الوقت الذي لا يخاطب خطابا تنجيزيا إلا بعده، أو أنفق ما يتم به نصاب الزكاة في ماله قبل أن يحول عليه حول بساعة، أو أنفق ما يستطيع به الحج قبل أن يبلغ بقليل، فهؤلاء كلهم تسببوا في مانع ضد شرط الحكم الذي سيخاطبون به بعد، فهل عليهم شيء في ذلك ؟ فلاشك أن المالكية حين قالوا: إن من صبوا ماء الوضوء بعد دخول الوقت، فإن صلاتهم بالتيمم صحيحة مع عصيانهم، أي أنه تسبب في ضد الشرط وهو المانع (كما يكون المانع أحيانا ضد الشرط أو نقيضه) ثم قالوا : إن صلاته صحيحة، ثم إذا كان كل هذا، فكيف لا نقول لهذا الذي ركب السيارة قبل دخول الوقت، ثم أداه ذلك بعد دخول الوقت إلى أن يبقى بلا صلاة إن لم يكن على طهارة إلى أن خرج الوقت (وتسقط صلاة

وقضاؤها بعدم ماء وصعيد) وهم يقولون لا يجب على الإنسان السعي في إيجاد الشرط قبل أن يخاطب بحكم، ثم قال بعد أن أطال رحمه الله، وأسهب بالأدلة الأصولية في الموضوع، مائلا إلى أن الاقدام على حج يسقط فيه ركن من الأركان يدخل تحت هذه الكلية، مباحثا الفقهاء فيما قالوه في هذه الجزئية، ثم إن عرفنا كل هذا نحكم بجواز ركوب هذه السيارات التي تكون على هذا الوصف المذكور، وإن أدى ذلك إلى الصلاة فيها كيفما تيسر من صلاة بإيماء أو سقوط صلاة على الشرط الذي ذكره الفقهاء، سواء ركبها راكب قبل دخول الوقت أو بعده، إلا أننا نقول لمن ركب بعده، وقد ظن أو تيقن عدم تيسر الوقت الذي ينزل فيه إلى الأرض لأداء الصلاة التامة عليها، كان يجب عليك أن تصلي الصلاة تامة قبل الركوب لأن الوقت قد ضاق بحسبك كالذي يظن أنه سيقتل في وسط الوقت أو في آخره، أو يأتيه شغل شاغل يحول بينه وبين الصلاة، أو بين اتمام أركانها، كما في المأسور إلى سارية، وكما في صورتنا هذه، ولكن إن وقع ونزل، ولم يصلها إلى آخر الوقت فأداها كما تيسر له، فإنه عصى وصحت، هذا ما كنت قلته بتفصيل للأساتذة أمامي ناقلا عن الأستاذ الدكالي، وربما زدت الآن أو نقصت، ولكن المدار واحد[14].

- ما حكاه عنه الشيخ الرحالي الفاروق[15] من أنه كان لا يرى :

- **عدم تحريك السبابة في التشهد**، منتقداً ما ورد في ذلك في كتب المذهب كمختصر خليل وغيره[16].

---

(14) انظر خلال جزولة، ج 1، ص 94 وما يليها، وانظر في الموضوع تحفة النبيل في الصلاة إيماء في الطاموبيل للحاج أحمد التنباني الكاشطي، طبع بالدارالبيضاء، عام 1994، والمؤلف هذا من تلاميذ الشيخ أبي شعيب الدكالي.

(15) في كلمته عن الشيخ مؤرخة في 25 رجب 1388هـ وهي منشورة في كتاب شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الحمراء ضمن منشورات المجلس العلمي بمراكش من تأليف المؤلف.

(16) جاء في مختصر خليل :

«وعقده يمناه في تشهديه الثلاث، ماداً السبابة والإبهام، وتحريكها دائماً»، انظر فصل فرائض الصلاة من المختصر.

وفي الدر الثمين على المرشد المعين عن ابن عرفة : وفي استحباب الإشارة بالأصبع في تشهده أو عند أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثالثها **لا يحركها**، ورابعها يخير، انظر ج 1، ص 474، تحقيق علي بن السيد عبد الرحمن الهاشم طبع بالإمارات المتحدة.

وانظر كتاب «البشارة في شذوذ تحريك الأصبع في التشهد وثبوت الإشارة» لأبي المنذر أحمد بن سعيد الأشهبي اليمني، نشر دار الحرمين، القاهرة، 1416 - 1995، وكله نقول تؤيد ما ذهب إليه الشيخ أبو شعيب الدكالي في هذه المسألة.

- وكان يقول بسجود الشكر والزلزلة، مخالفاً أيضاً عكس ما جاء في كتب المذهب[17].

- وكان يقول بالقبض في الصلاة ويرجحه بالأدلة القوية[18].

- ذكر الأستاذ محمد المختار السوسي قائلا :

لما وصلنا باب الغسل في المختصر، وذكر أن المغتسل يملأ راحتيه بالماء فيضع فيهما أذنيه.

قال الشيخ فعل هذا بالأذنين لم يرد في أية رواية من روايات زوجات النبي ﷺ في صفة الاغتسال.

ثم ذكر رواية عائشة، وميمونة، وأم سلمة، أظنه ذكر هذه الثلاث، ثم قال لا ذكر فيها كما ترى لهذا الفعل بالأذنين[19].

- حول تيمم الجنب :

- كتب الشيخ إلى أحد قضاة عصره ومصره السيد أبي شعيب الرافعي الملقب «بابن العبادية» ما يلي، وفيه فتوى عن تيمم الجنب :

الحمد لله وحده،وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

أخانا الفقيه العلامة سيدي أبا شعيب الرافعي وفقكم الله، وسلام عليكم ورحمة الله، عن خير سيدنا المنصور بالله.

---

(17) ورد في مختصر خليل : «وكره سجود شكر أو زلزلة» وعن أبي بكر رضي الله عنه أن «النبي ﷺ كان إذا جاءه أمر يسره خر ساجداً» رواه الخمسة إلا النسائي.

وبهذا الحديث وغيره أخذ الشافعية وسجود الشكر سنة كسجدة التلاوة وذلك عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة، وعند الحنابلة مستحب، وعند المالكية مكروه على المشهور وقال ابن حبيب وغيره بالجواز، وعند الحنفية مستحب، انظر فتح الوهاب شرح بلوغ المرام لابن حجر للشيخ محمد بن أحمد الملقب بالداه الشنقيطي، ج 1، ص 120، دار الفكر دون تاريخ.

(18) ترجمة محمد المختار السوسي، ص 22، ومما يحكى عن الشيخ أن السلطان مولاي عبد الحفيظ قال للشيخ يوماً إن العلماء طلبوا مني أن تكون صلاتك بالسدل لا بالقبض فقال الشيخ كان من حق العلماء أن يطلبوا من أمير المؤمنين أن تصلي العساكر، وإن كان من سدل لا ينكر عليه، ومن قبض فقد صادف السنة الثابتة، انظر المحدث الحافظ، ص 34.

(19) ترجمة محمد المختار السوسي، ص 24.

أما بعد :

فقد وصل كتابكم الأعز الأول، والثاني، أما قضاياكم فإنها جارية فلا تعجلوا وعليكم بالتأني والصبر، وأعينونا بهما.

وأما الحديث الذي سألتم عنه، فابن الطبري صاحب ابن وهب ليس أبوه إبراهيم، وإنما أبوه صالح، وكثيراً ما يروي عنه البخاري، ولكن الحديث ليس في البخاري لا عنه ولا عن غيره، بل الحديث في أبي داود وذكره البخاري تعليقاً مضعفاً له بلفظ ويذكر أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمم فأمّ، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف، وفي أبي داود أن عمرو بن العاص كان أميراً على غزوة ذات السلاسل فأجنب في ليلة باردة فتيمم وصلى بهم، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال يا عمرو أصليت بهم وأنت جنب، فقال : سمعت الله يقول : ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ فكرهت أن أقتل نفسي، ولم يعنفه.

هذا هو الحديث، والقول بالوضوء ضعيف فروعاً وأصولا، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال للجنب عليك بالصعيد فإنه وضوء المسلم، وعلى ذلك القول الضعيف فهو كالمتيمم والله أعلم، في 23 صفر الخير عام 1338هـ، أبو شعيب الدكالي وفقه الله.

وجاء في طرة هذا الكتاب ما يلي وهو من كلام الشيخ :

تنبيه ما تقدم من أن الجنب إذا عجز عن الغسل تيمم هو المعروف في المذهب، وذكر في الإكمال عن أحمد بن أبي المصري المعروف بابن الطبري من أصحاب ابن وهب أن من خاف على نفسه المشقة من الغسل أجزأه الوضوء لحديث عمرو بن العاص، ونقله ابن ناجي في شرحي المدونة والرسالة[20].

- مسألة هل الأفضل مكة أم المدينة ؟

كان الشيخ يرى التساوي في الأفضلية بناء على أحد قولي العارف بالله بن أبي جمرة رحمه الله.

راداً على ابن رشد الذي رجح أفضلية مكة لوجود الكعبة فيها وزمزم، والمشعر الحرام، ومقام إبراهيم، وأن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ومن دخله كان آمناً﴾، قال الشيخ شعيب مخاطباً ابن رشد :

(20) نقلا من رسالة خطية من الشيخ.

إن كان قصدك بالأمن في الدنيا، فليس الأمن خاصاً بمكة، فكما أن مكة لا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا يحل القتال فيها كذلك مدينة الرسول عليه السلام، لا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا يحل القتال فيها، وإن كان قصدك الأمن في الآخرة، فقد روينا أن الرسول ﷺ قال : (من مات بأحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمنين).

وزاد الشيخ قائلا :

والذي رأيته في هذه العصور المتأخرة أن الناس في كثير من الأقطار الشاسعة يجلسون بمكة كثيراً، وذلك للعبادة المفقودة في غيرها، فإذا رأوا ضعفاً ونحافة، وأن الأجل قد قرب، ذهبوا إلى مدينة الرسول ﷺ لأجل الموت فيها، اقتداء بقول من لا ينطق عن الهوى : «من أراد أن يموت بالمدينة فليمت، فإني أشهد لمن مات فيها»، وقوله عليه السلام : «من صبر على لأواء المدينة ضمنت له الجنة»[21].

- حول استعمال الحقنة نهاراً في رمضان :

سأله الحاج محمد بن الصديق بركَاش عن الحقنة للمعالجة في شهر رمضان نهاراً هل هي تفطر أم لا ؟

فقال له الشيخ : اسأل طبيبك، فقال السائل : الطبيب نصراني، فرد عليه الشيخ : أن العالم في شريعتنا مقبول ولو كان كافراً[22].

- جواز أكل لحم الخيل عند الشيخ :

نقل ذلك عنه الأستاذ محمد المختار السوسي بقوله :

وقد كان يميل إلى حلية الخيل وهو قول مذكور عن مالك[23]، وكان الشيخ يقول أن يستشهد له : إنني إن وجدت إنساناً يأكله فلا أعنفه ثم يرد كل ما قيل إنه حجة للمحرسين.

يقول (محمد المختار السوسي) : وأتذكر أنه قال في معرض الحجج لهم إن الخيل لا تؤكل لينمو نسلها لأنها لا تلد إلا وحدانا، فيقول إن هذه حجة واهية،

(21) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 24.

(22) الشيخ أبو شعيب الدكالي، أكاديمية علمية، ص 157، لعبد الحكيم بركَاش، المرجع السابق.

(23) وعن الشافعي، الجواز مطلقاً، وبه قال ابن عبد البر، وابن رشد الحفيد، وابن أبي جمرة من المالكية.

فنحن ننظر إلى الغنم، فإنها لا تلد إلا وحدانا أو توأمين، والكلاب تلد جماعات، ثم تنمو الغنم وتكثر مع ما يذبح منها دائما والكلاب لاتزال في قلة، ثم يرسل بعد ذلك تبسما يؤيد به إبطال هذه الحجة، كأن التبسم يومئ إلى أن بعض الحذاق قد يقول: إن نماء الغنم بسبب الاعتناء، والكلاب لا يعنى بها، ولكن لا يورد هذا الاعتراض على إبطاله، فاكتفى بتلك التبسمة الوضاءة التي تدل على أنها من قبيل ما يشم ولا يفرك[24].

- **جواز الأكل بالملعقة والشوكة ونحوهما :**

اجتمع الشيخ وتلميذه المدني بن الحسني على مائدة طعام «الكسكس»، فتناول المدني بن الحسني الطعام بيده، وانتظر الشيخ شعيب التناول بالملعقة.

فقال المدني بن الحسني للشيخ : إن تناول الطعام باليد من باب «ولقد كرمنا بني آدم». ليؤكد للشيخ بهذه الآية أن الأكل باليد خير من الإكل بالملعقة.

فأجابه الشيخ والملعقة بيده : التكريم بهذه الملعقة لا باليد حتى القرد يأكل بيده[25].

- **جواز استعمال العطر الإفرنجي (L'eau de cologne) :**

ذكر الحاج محمد بن الصديق بركَاش أنه كان حاضراً على مائدة الغذاء بمعية المجلس العلمي بفاس، ومعهم شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي رحمه الله، ومن بعد قدمت لهم قنينة عطر إفرنجي، فاعترض أحد العلماء على استعمالها لأن فيها مادة الكحول، والكحول نجس، وأيده في ذلك العلماء الآخرون.

وبعد الملاحظة أخذ الشيخ شعيب القنينة، وتطيب بها وقال : الكحول ينقسم إلى قسمين : قاتل، وغير قاتل.

غير القاتل مثل الموجود في الخمور حرام في شريعتنا.

والقاتل مثل هذا تعالج به الجروح في المستشفيات، والإسلام دين الإنسانية[26].

---

(24) الترجمة الخاصة للشيخ الأستاذ محمد المختار السوسي، ص 22.

(25) الشيخ أبو شعيب الدكالي أكاديمية علمية، ص 160، المرجع السابق.

(26) المرجع السابق، ص 153.

- عدم التمييز بين الأولاد في العطايا :

جاء في ترجمة الأستاذ محمد المختار السوسي للشيخ :

وكان يميل إلى أن الأب لا يجوز له أن يفرد أحد أولاده بعطية فضلا عن أن يمنحه كل المال، ويستدل لذلك زيادة على قضية النعمان بن بشير بآثار عن الصحابة في الموطأ وغيره، ويقول إن روح الإسلام ما جاءت إلا للمساواة[27].

- فتوى الشيخ في التصوير الفوتوغرافي :

جاء في رسالة للأستاذ عبد الكريم سكيرج حول الشيخ وبعض آثاره ما يلي :

سألته رضي الله عنه، عند أخذي صورته، عن رأيه في التصوير، فأجابني بأنه لا يعد التصوير الشمسي بالآلة الفوتوغرافية من قبيل التصوير المنهي عنه، لأنه في رأيه غير تصوير، وإنما هو رسم يستخرج بطبع الورق من آلة ماسكة لما انطبع فيها عند المقابلة بانعكاس الشعاع الظلي، على أن ذلك لو كان تصويراً فإنه يتخرج له الدليل من الاستثناء في الرقم في الثوب المذكور في الحديث، وسبب سؤالي هذا هو ما كان يحصل لي من المصاعب، ومن الرفض أحيانا من بعض العلماء الذين كنت ألتمس منهم أخذ صورتهم للترجمة لهم[28].

- فتوى الشيخ حول التوسل :

نقل عنه الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني أنه سأله هو والفقيه الحاج محمد غازي عن التوسل فأجاب الشيخ بأنه :

نظر في التوسل فرأى أن قوماً يعدونه كفراً وآخرين ينكرونه، وثالثين يعدونه أمراً لا بأس به، قال : فرأيت أن ترك ما هو كفر في رأي قوم، ومنكر في رأي آخرين أولى من فعل ما غايته أن يكون لابأس به عند من يقولون به[29].

---

(27) الترجمة الخاصة للأستاذ محمد المختار السوسي للشيخ، ص 22.

(28) رسالة عبد الكريم سكيرج عن الشيخ مؤرخة بـ 24 محرم عام 1388 - 23 أبريل 1968، ص 1، مرقونة على الآلة الكاتبة.

(29) ذكريات الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني مع الشيخ، ص 3 - 4.

وجاء عنه فيما ذكره الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله :

أن التوسل بجاه الرسول الأعظم عليه السلام يجوز حيا وميتا اتفاقا، لأن حُرْمته حياً كحُرمته ميتاً، خلافاً لأقوام فرطوا وقالوا : إن التوسل به عليه السلام مقيد بحياته، وأما التوسل به ميتاً فلا، واستدلوا عليه بقول عمر (رضي الله عنه) لما خرج يستسقي بعمه العباس وقال : اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك عليه السلام وكنت تسقينا، والآن قد مات فاسقنا بعمه العباس، قلنا لهم : ما ذكره عمر لا دلالة فيه علينا لأن عمر إنما أراد أن يظهر فضل العباس، أما نحن فدليلنا قاطع في التوسل به عليه السلام لقوله لعثمان بن حنيف : توسل بي، وأما قول الناس : قال عليه السلام : توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم، فليس بحديث بل هو كلام موضوع...

أما التوسل بالأولياء، فالتحقيق أن التوسل بهم جائز حالة الحياة، أما بعد الموت فلا، وهذا كله في التوسل بالذوات أما التوسل بالمعاني فجائز مطلقا[30].

جواب الشيخ عن بعض الأمراض النفسية :

سئل الشيخ عن علاج بعض الأمراض النفسية فأجاب السائل بقوله :

خذ سبع ثمرات وانزع من كل ثمرة النواة، وفي كل ثمرة اكتب بأصبعك ما أقوله لك :

في الثمرة الأولى : إليه، وفي الثمرة الثانية : يصعد، وفي الثمرة الثالثة : الكلم، وفي الثمرة الرابعة : الطيب، وفي الثمرة الخامسة : والعمل، وفي الثمرة السادسة : الصالح، وفي الثمرة السابعة : يرفعه.

ثم تؤكل الثمرات ويتم الشفاء إن شاء الله[31].

---

(30) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 28 وما يليها.

(31) انظر الشيخ أبو شعيب الدكالي، أكاديمية علمية، ص 158، ولا غرابة في ذلك فالقرآن شفاء للأرواح والأجسام لقوله تعالى : ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين﴾ وكلمة شفاء في الآية جاءت مطلقة، والمطلق يحمل على إطلاقه حتى يرد ما يقيده كما هو معلوم من علم الأصول، ومثله قوله سبحانه في العسل : ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ فكلمة شفاء لفظ مطلق أيضاً فهو يشفي كل الأمراض بإذن الله والمدار على مصداقية العسل بصونه من الغش والتخليط.

- جواب الشيخ شعيب عن حال الشيخ محمد عبده المصري :

قال الشيخ مخاطباً الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني وهو السائل له عن ذلك قائلا :

لا تظن أن الشيخ عبده كان عنده من العلم ما كان عند أبيك وجدك، ولكن الفرق بينه وبين علماء وقته في مصر أنهم يئسوا من إصلاح الأوضاع الفاسدة، فانكمشوا عن أنفسهم، واهتموا لمصالحهم الشخصية وقالوا : «ما ترك من الحمق شيئا من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه»، وانتظروا مجيء الإمام المهدي، أما الشيخ محمد عبده فذهب إلى المقاهي، وجمع حوله الشبان أصحاب الطرابيش، ووقف فيهم خطيبا قائلا : «لا يجتمع الإيمان والجبن في قلب واحد، فنجح وأخفقوا»[32].

- أجوبة مختلفة نقلها عنه الأستاذ حسن الزهراوي الرحماني رحمه الله[33] :

قال الأستاذ المذكور :

- سألته رضي الله عنه عن حديث المصراة وما عارضه به الحنفية وما أجاب به ابن القيم عن استشكال الحنفية فأجاب بأن جواب ابن القيم غير مقنع وأن المسألة داخلة في باب الاستحسان عندهم وهو استثناء جزءي من حكم الكلي لموجب اقتضى ذلك.

- وسألته عما يقوله الأصوليون من أن شرط العمل بالمصلحة ألا تخالف النص وأنه يظهر لي أن هذا القيد يقضي على العمل بالمصلحة من أساسه، فأجاب رحمه الله بأن نجم الدين الطوفي (وما كنت إذ ذاك أعرف نجم الدين هذا يقول بتقديم المصلحة عن النص ثم قال رحمه الله وإن كنت لا أوافق نجم الدين على هذا

(32) ذكريات الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني مع الشيخ، ص 3 - 4.

(33) ولد رحمة الله عليه بقبيلة الرحامنة قرب مدينة مراكش عام 1326 - 1908، بدأ دراسته بالقراءات القرآنية وتلقى على عدة شيوخ عصره ثم اشتغل أستاذا بكلية ابن يوسف وخليفة لرئيس المجلس العلمي في عهده القديم، ثم عضواً بالمجلس العلمي الإقليمي بمراكش إلى غير ذلك من الوظائف. توفي رحمه الله عام 1399هـ. انظر في ذلك المجلس العلمي بمراكش تاريخ وأعلام، ص 132 وما يليها ضمن منشورات المجلس، ط 1، عام 1422 - 2002.

الإطلاق لما فيه من إهدار النصوص والحق أن المصلحة وإن كانت تقدم على النص الخاص لكنها تستند إلى نص عام ويكون تحقق المصلحة مرجحا لتقديم العام على الخاص وفي هذا اعمال للدليلين).

- وسألته رحمه الله ورضي عنه عن نظره في مسألة الصدق والكذب وهل يرى رأي النظام في المسألة أو يرى رأي الأشاعرة، فأجاب بأن المسألة لا تأثير له في الاعتقاد سواء قلنا بهذا أو ذاك إلا أن رأي النظام هو الذي تشهد له الأدلة، وأن ما يورده البيانيون تأييدا لمذهب الأشاعرة يعد مصادرة في المطلوب بجعل الدعوى عين الدليل.

- وسألته رحمه الله عن نظرية النظام في كون الأجسام مركبة من أجزاء غير متناهية، وما لزمه من القول بالطفرة وقول الأشاعرة بالجزء الذي لا يتجزأ، فأجاب بأن نظرية النظام قام بها (هرقليدس) قبل الميلاد المسيحي، وقال بها ابن سينا في كتابه (الإشارات) في الجزء الثاني منه، وأيد ذلك بدليل عقلي غاية في القوة، وهو ما يذهب إليه علماء أوربا في الوقت الحاضر، غير أنه يلزم عليه محظور في العقيدة إذ كيف يتصور الإنسان أن الله خلق أشياء لا نهاية لها مع أنه من المقرر أن كل ما دخل الوجود من الحوادث هو متناه، كما يلزم عليه أن يكون الله غير عالم بعدد هذه الذرات، وهذا مخالف لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وأحصى كل شيء عددا﴾.

ثم أرشدني رحمه الله إلى كتب الرازي والبيضاوي والفارابي وابن سينا وابن رشد، ثم تبسم وقال بدعابته المعهودة: دونكها يا أبا علي الرحماني إن شئت أن تكون فيلسوفا.

فكان هذا التوجيه سببا في إقبالي على دراسة علم الكلام والمنطق والاشتغال بالاطلاع على الأفكار الفلسفية، فجزاه الله أحسن الجزاء[34].

- كان الشيخ لا يقول بقتل تارك الصلاة حداً:

حكى ذلك عنه تلميذه الأستاذ العدل عبد الرحمن الدكالي بقوله:

كان الشيخ يشرح المختصر (أي مختصر خليل) بالجامع اليوسفي بمراكش بالكتاب والسنة، ولما وصل إلى قول الشيخ خليل: «وقتل بالسيف حداً ولو قال أنا أفعل الخ» قال:

---

(34) انظر شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، ص 69 وما يليها للمؤلف.

لا أعلم مستنداً لهذا الفرع من الكتاب ولا من السنة، ولا أدري من أين أتى به الشيخ خليل رحمه الله[35].

ولخص الأستاذ محمد المختار السوسي رحمه الله تعليل هذه المسألة بما كان يسمعه من الشيخ أبي شعيب الدكالي وغيره من الشيوخ في مذاكرة في الموضوع بين الأستاذ المذكور وبين شيخه سيدي الطاهر بن محمد الإيفراني جاء فيها[36] :

إن الشافعية والمالكية ذهبوا إلى أن تارك الصلاة كسلا يقتل حداً، واستشكل بعض الحذاق من كلا الطائفتين : - المالكية والشافعية - الحكم بالقتل لأمرين :

أولهما : لم يرد دليل ناصع لهذا القتل، مادمنا نجعله قتل حد لا قتل كفر، بل لم يرد أنه وقع قتل لتارك الصلاة البتة في زمنه ﷺ، ولا في زمن الخلفاء الراشدين، مع توافر دواعي النقل لو وقع ذلك، ومع مظنة وجود من عسى يتهاون في أداء الصلاة في الوقت، ضرورة وجود ما هو أكثر من ذلك، من النفاق والارتداد الذين جرد الصحابة سيوفهم في مقاومتها، بمجرد ما انتقل النبي ﷺ للرفيق الأعلى، وقد ذكر كل هذا : المحدثون المطلعون على الشاذة والفاذة إذ ذاك، بل ورد ما ربما يكون في ضد هذا القتل حدا، مادام لم يكن قتل كفر، وهو الحصر الصريح في الحديث المتفق عليه من أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بالزنى بعد الاحصان، والنفس بالنفس، والردة من التارك لدينه، المفارق للجماعة، فأين يدخل القتل حدا هنا، كما يدخل فيه القتل كفرا، على ما ذهب إليه الحنابلة، وهناك أحاديث تشهد للحنابلة : تعلن أن تارك الصلاة كافر، فيكون دليلهم في الحديث صريحا، بخلاف من قال : يقتل حدا، فإن الحديث ضده كما ترى.

والأمر الثاني أن الشافعية والمالكية : جعلوا هذا القتل حدا، فأحدثوا حدا من الحدود، زيادة على ما هو معلوم في نصوص السنة والكتاب، فإن كانوا سموه حدا قياسا على الحدود الأخرى، فإن القياس لا يدخل الحدود، كما لا يدخل الأسباب والشروط، وإن لم يكن تسميتهم لهذا الحد من القياس فمن أين إذن فلا نص كتاب، ولا نص سنة، ولا إجماع ولا قياس، ومتى انتفت هذه، انتفت المآخذ، هكذا يورد بعض الحذاق من المالكية والشافعية على مذهبهم ما يوردون.

---

(35) اسعاف الاخوان الراغبين، ص 355، للأستاذ محمد بن الفاطمي السلمي، المرجع السابق.

(36) انظر الالغيات، ج 3، ص 51 وما يليها للأستاذ محمد المختار السوسي.

(أقول) أن عدم دخول القياس في الحدود والأسباب والشروط، لم يتفق عليه عند الأصوليين، بل إن القياس يدخل عند المالكية والشافعية الحدود، ولم ينفه عنها إلا أبو حنيفة، كما صرح به ابن السبكي، وينبغي أن ينظر هذا الأمر الثاني مع ذلك.

ثم إنه في بالي - وقد بعد العهد بالمزاولة - ان بعض المالكية النظار الكبار حاول أن يستنبط الدليل في الحديث : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلاه إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويوتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، وهو حديث صحيح متفق عليه، ووجه استنباطه الدليل منه : أن عصمة الدم منوطة بجميع فعل هذه الخمسة، وهذا منطوق الحديث، ومفهوم (حتى يشهدوا) أن الإنسان إذا ترك كل الخمسة، فمباح الدم، لا عصمة لدمه ولا لماله، واما ان فعل البعض وترك البعض، يعني أن فعل المعتبر الأصلي، وهو الشهادة، وترك غير الشهادة، فإنه لم يأت بالجميع الذي يعصم به دمه وماله فيدخل في هذا أنه ان ترك الصلاة فإنه حلال الدم فنوقش في أنه إن أخذ الحكم بالجميع من منطوق الحديث، فإن المنطوق يدل على إباحة قتاله لا قتله، وإن أخذه من المفهوم الثاني، أعني إذا أتى بالبعض وترك البعض، فإنه لابأس أن عطل المفهوم، والخلاف في المفاهيم معلوم، وان كان يرد أيضا لمن تأمل : إنه يقتل وإن لم يقاتل، إلا أنه مفهوم عورض بمنطوق الحديث الصحيح المتفق عليه أيضا من عدم حل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، وهذا ليس بالمحصن الزاني، ولا هو مأخوذ عن النفس بالنفس، ولا هو بالمرتد الذي يحكم عليه بترك دينه، وبمفارقة الجماعة مفارقة تامة، هذا ما في بالي حول الذي جرى بين ابن المنير المالكي - كما أحسب الآن - وابن دقيق العيد. ولا يخفى أن هذا الذي يقوله ابن دقيق العيد، هو من الوضوح بمكان، لأن الأمر هنا : إنما هو أمر بالقتال، لا أمر بالقتل، مطلقا، فضلا عن أن ينتج القتل حدا، الذي هو قتل خاص، لكونه عن سبب خاص، وهو موضوع البحث، وهذا بحث جيد للغاية.

فكما أن مانع الزكاة، يقاتل ان قاتل دون ماله، فلم يمكن أن تؤخذ منه الزكاة قهرا إلا بقتاله، فكذلك يقاتل تارك الصلاة تكاسلا ان قاتل دون تأديبه الذي ينويه به الإمام، كيفما كان التأديب، ولو كان ما نسميه نحن قتل حد، كما يقاتل من أبى الصيام، وقاتل دون تأديبه، ودافع عن نفسه، هذا كله دليل ظاهر من الحديث إن

سلكنا فيه طريقة ابن المنير، فتصح لنا من هذا كله المقاتلة لا القتل حدا، ولكن الذي نفتش عنه هو دليل القتل حدا، لا مطلق دليل، ولو كنا سلكنا طريقة الحنابلة في حكمهم بالقتل على تارك الصلاة تكاسلا بالكفر لربما تقارب الأمر، فإنهم يحكمون عليه بالقتل كفرا، ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة، ومن بين أدلتهم الكثيرة : هذا الحديث نفسه : (التارك لدينه المفارق للجماعة) فقالوا إنه ترك دينه حقا، فيقتل كفرا، ثم قالوا لا فرق بين تارك الصلاة، وتارك الصوم، فمن أقر بالصوم لسانا ولم ينفذه عملا، فإنه ضيع حق الشهادة.

فيلزمه القتل كفرا، ويتصور ذلك في الحج، بأن يقول : إن الحج فرض عليّ، ولكني لا أحج، فإن المرجح في الحج عند الحنابلة، قتله كفرا في رواية عن ابن حنبل، إلا أن الزكاة لا يكاد يتصور فيها هذا، لأنها تقبل النيابة، فإن أبى صاحبها أخذت منه كرها، والفرق بين القتل والمقاتلة، أعني ما بين من يحل لنا أن نقاتله، وبين من يحل لنا أن نقتله، يتبين لنا نحن المالكية في كوننا نقاتل من تركوا الآذان في قريتهم جماعة، ان قاتلوا الإمام، وأبوا من جبرهم على ذلك، وهل يحل للإمام الاقدام على قتلهم وان لم يقاتلوا، يتأمل في ذلك.

كما ذكروا أيضا أن من يتعاملون بالربا وقد أقروا بأنه حرام، ولكن يأبون أن ينكفوا عنه، يقاتلون إن قاتلوا دون تنفيذ الإمام فيهم حكم الشريعة فهل يجوز أيضا قتلهم ولو لم يقاتلوا.

وبهذا كله يظهر لنا سداد نظر ابن دقيق العيد، كما نعلم أنه لا يمكن أن نفهم من احتجاج الصديق رضي الله عنه مثل ما فهمه ابن المنير مطلقا.

فإنه وإن فهم من الحديث الحكم المسمط على اجتماع جميع الخمسة من الشهادة والصلاة والصوم والزكاة والحج، لا يعطى إلا الحكم بالقتال لا القتل، فأبو بكر نفسه لم يستنبط من الحديث إلا القتال للمانع، ولا مانع في النظر - إن لم نراع المذهب - ان يقاس على الزكاة غيرها إن بادأنا من لا يصلي تكاسلا أو من لا يصوم تكاسلا، فيقاتلون كلهم، وهكذا طرق القياس، والله أعلم.

نعم، عندنا آية يفهم منها القتل نفسه، لا المقاتلة وحدها، وتكاد تكون صريحة في الدليل، وهو قوله تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم

واحرصوهم واقعدوا لهم كل مرصد، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾.

فقد أمر الله بقتلهم حتى يتوبوا من شركهم، ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة، ومن قال بعدم قتل تارك الصلاة يقول أنه بمجرد ما يتوب من شركه سقط عنه القتل، وإن ترك الصلاة وآتى الزكاة، وهذا خلاف الآية، فالناظر يرى أن الاستدلال بالآية أسطع دليلا، وأقوم قيلا من الاستدلال بالحديث المتقدم وان لم ينصع دليل الآية للقتل حدا، وينبغي أن لا يوخذ كل شيء إلا من دليله الظاهر، وهناك أيضا أحاديث يستروح منها الدليل المتطلب، وإن لم يكن هذا الدليل متمكنا أمكن، وقد كان بعضها مر - يا أستاذنا - في تلك المذاكرة.

منها حديث : نهيت عن قتل المصلين، وحديث أن رجلا من الأنصار حدث أنه أتى النبي ﷺ، وهو في مجلس فساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ، فقال : أليس يشهد أن لا إلاه إلا الله ؟ فقال الأنصاري : بلى يا رسول الله، ولا شهادة له، قال : أليس يشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : بلى ولا شهادة له، قال : أليس يصلي الصلاة ؟ قال : بلى ولا صلاة له، قال : أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم، فدل الحديث على أنه ﷺ لم ينه عن قتل من لا يصلي.

منها حديث : يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضى وتابع، فقالوا يا رسول الله : ألا نقاتلهم ؟ فقال: لا ما صلوا.

وهناك أحاديث يستدل بها على مطلق القتل، ولكنها إلى حجج الحنابلة الحاكمين بالردة على تارك الصلاة أقرب. وهو مذهب غير مشكل الطريقة في هذا الفرع، فقد شاع عن الصحابة والتابعين الإعلان بكفر من ترك الصلاة تكاسلا، ولاريب ان قتل المرتد ناصع الأدلة، من الكتاب والسنة، فمتى سلكنا مذهب الحنابلة، وما ترجح عند ابن حبيب من المالكية، من أن تارك الصلاة تكاسلا يقتل كفرا لا حدا، فإننا نسير في المحجة البيضاء، ونجد الأدلة الواضحة الناصعة عن كثب، لكن مذهبنا - معشر المالكية - ومذهب الشافعية كما يرى كل من له بصر حاد، وطالع دواوين المتقدمين، قاصر الدليل في هذا الفرع، ولو كان عندنا عمل لأهل المدينة

مذكورا، لاستبنا الصبح بالعينين، لأنه في أمثال هذه الخفايا ينفع، فيكون النقل العملي أمتن وأفصح وأقوى من النقل القولي الذي تتطرق إليه الفهوم المختلفة، ما لم يكن نصا صريحا واضحا، ولعل عمل المدينة موجود في المسألة وإن لم استحضر ذكره الآن، غير أن مذهب إمامنا مالك رضي الله عنه حين كان لا يخالف العمل لا نكاد نرتاب في وجوده، فليفتش عنه الباحثون الذين لايزال في عصاهم سير، وكانت في متناول أيديهم المراجع العليا، وفي بالي أن إمام الحرمين تعرض لهذا الفرع، فحاول أن يستنبط الدليل لمذهب الإمام الشافعي في أن الصلاة رأس المأمورات، والزنى رأس المنهيات، فكما أن القتل جزاء من لم يمتثل في رأس المنهيات، يكون أيضا جزاء من لم يمتثل في رأس المأمورات، ومثل هذا الاستدلال عند النظار، إنما هو كالزهرة التي تشم ولا تفرك، على أن هذا قياس واه بادئ ذي بدء، ينظر فيه، لأن الزنى لا يقتل فيه إلا مع الاحصان، وأيضا يكون فيه الرجم، لا مطلق القتل، وترك الصلاة ليس فيه مثل تفصيل الزنى إلى قسمين، ما فيه الجلد وما فيه الرجم وأين مساواة القياس التي هي : حمل معلوم على معلوم لمساواته له في علة الحكم، وأيضا لعل علة حرمة الزنى اختلاط الانساب، وبهذا كله يظهر فساد هذا القياس.

ثم إن المشكل في مذهبنا هو أننا لم نحكم بكفر تارك الصلاة تكاسلا، مع حكمنا عليه بالقتل حدا، واما كون تارك الصلاة تكاسلا غير كافر، وأنه لا يزال في دائرة الإيمان، فلعمري إنه لا نضع دليلا ممن يقول بكفره، بحسب ما اطلعنا عليه من أدلة الفريقين، وذلك أنه روى القول بكفر تارك الصلاة تكاسلا، عن عمر بن الخطاب وعلى ابن عباس، ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وابن مسعود، وقال بذلك من الأئمة المجتهدين الحنابلة وعبد الله ابن مبارك وابن عيينة وابن راهويه وابن أبي شيبة في آخرين، إلا أننا إذا تأملنا الأدلة التي تؤيد ما ذهبوا إليه وفيها التصريح بالكفر مع أدلة الآخرين التي تتضمن كون الصلاة من فروع الإيمان لا من أصله الأصيل، وجذره الأول، يظهر لنا أنه لا يتأتى فهم أدلة كل فريق مع الأدلة الأخرى إلا بالجمع بينهما جمعا ينشرح له الصدر، ويبتهج به قلب المحدث الذي لا يتعصب عند التفهم للأدلة إلا للحق الناصع، لا لمذهب من المذاهب، فمثلا يستدل المكفرون بترك الصلاة بأدلة واضحة الدلالة كقوله تعالى : ﴿فخلف من بعدهم خلف

أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا﴾.

والغي فسروه بأنه واد في أسفل جهنم يسيل دما وقيحا، وأمكنة المسلمين الجهنميين في أعالي النار لا في أسافلها، وقال تعالى أيضا : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾.

فعلق أخوة الدين بإقامة الصلاة، ومفهومه أن الأخوة بعدم إقامتها، ونقيض الشيء غيره بلا ريب، وقال تعالى : ﴿إنما المومنون إخوة﴾ وفي حديث مسلم : «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة» وفي حديث آخر : «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» وهو حديث صحيح، وفي آخر صحيح أيضا : «بين العبد وبين الكفر والإيمان الصلاة، فإذا تركها فقد أشرك» وفي آخر : «من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله»، ولاشك أن من برئت منه ذمة الله، فلا عصمة له، وقد ألحق بالكافرين، وقال عمر صبيحة طعن : «لا إسلام لمن ترك الصلاة» قال ذلك بمحضر الصحابة القوالين للحق، فلم ينقل أن أحدا منهم رد عليه، إلى غير ذلك من أدلة كثيرة بعضها واضح الدلالة في الموضوع، وبعضها يتقوى بالبعض، ويستدل المالكية والشافعية ومن ذهب مذهبهم، من أن تارك الصلاة تكاسلا غير كافر بأدلة أخرى أوضح من غيرها، منها حديث الصحيحين:

«من شهد أن لا إلاه إلا الله، وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة، على ما كان منه من العمل».

وحديثهما أيضا : عن معاذ يروي عن النبي ﷺ وهو رديفه على الرحل :

«قال يا معاذ : قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال : ما من عبد يشهد أن لا إلاه إلا الله وأن محمدا رسول الله، إلا حرمه الله على النار، قال : يارسول الله : أفلا أخبر بها الناس فيستبشروا، قال : إذن يتكلوا، فأخبر بها معاذ عند موته تأثما».

وحديث مسند أحمد : أن النبي ﷺ قام بآية من القرآن يرددها حتى صلاة الغداة، وقال : دعوت لأمتي واجبة بالذي لو اطلع عليه كثير منهم لتركوا الصلاة،

فقال أبو ذر : أفلا أبشر الناس، قال لي فانطلق، فقال عمر : إنك إن تبعث إلى الناس بهذا ينكلوا عن العبادة، فناداه : ارجع فرجع».

والآية : ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك، وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾.

وحديث المسند أيضا : «الدواوين عند الله ثلاث : ديوان لا يعبأ به الله شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك، قال عز وجل : ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾، وأما الديوان الذي لا يعبأ به شيئا : فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز عنه إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضهم بعضا : القصاص لا محالة».

وهذا الحديث صريح واضح ناصح ساطع، وحديث المسند أيضا : «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من أقر بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن، فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

وهو أيضا الدليل الصارخ بالحجة القائمة للمالكية ومن معهم، وفي حديث الشفاعة : يقول الله عز وجل : ﴿وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إلاه إلا الله﴾ وفيه فيخرج من النار من لم يعمل خيرا قط، وهو أيضا دليل نَيّر، فإن الصلاة من الخير، وهذا لم يعمل خيرا قط، أي لم يقم صلاة ولا غيرها.

إلى غير هذه الأدلة وهي كثيرة، كقوله تعالى : ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، والاشراك غير ترك الصلاة لغة بلا ريب، ونحن مخاطبون بما تفهمه العرب في اللغة، ولا يفهم العربي القح من الآية إلا ذلك، فعلق الله كل غير الاشتراك بمشيئته في المغفرة، فدخل ترك الصلاة في عموم - ما - بلا توقف يعتريها.

هذه أدلة الفريقين، ولكن أيمكن أن يصدر عن الشريعة المطهرة المنزلة من عند الله ما يكون فيه مثل هذا الاختلاف الذي يظهر لنا بادئ ذي بدئ.

مع أن الله يقول : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.

فلم يبق حينئذ إلا أن نسلك المسالك التي يسلكها المحدث الذي لا يتعصب إلا للحق، فيتبع القواعد الأصولية المحررة، وقد قال الأصوليون أنه متى أمكن الجمع بين أدلة متضاربة لا يصار إلى النسخ ولا إلى الترجيح، وهذا ما يظهر في هذه الأدلة، فنرجع إلى لفظة الكفر في اصطلاح الشارع، فنجده يستعمله أحيانا كفر جحود، وهو الكفر المطلق الذي يقابل الإيمان، وتارة يستعمله كفر نعمة، أو يطلقه على الفعل المعتاد من الكفار المشركين، إن صدر من المسلم، قال الله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾، قال ابن عباس : كفرهم ليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقال طاووس : كفر لا ينقل عن الملة، وقال عليه السلام : «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وقال : «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» مع قوله في عمار : «تقتله الفئة الباغية» ولم يخرجها من الإيمان، وقال تعالى : ﴿وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾ فجعلهما معا من المومنين : الباغية والأخرى، وبهذا نعلم أن الشارع قد يطلق على مالا ينبغي أن يصدر إلا من الكفار عمل كفر، ويطلق على مرتكبه من المومنين كافرا، تنفيرا منه ارتكابه، فلهذا جمع المالكية والشافعية بين الأدلة المتقدمة فحملوا ما صرح فيه بالكفر من تلك الأحاديث على هذا الكفر الذي لا يخرج من الملة وهذا ظاهر بَيّن، فهذا الجمع أعمال لجميع الأدلة، ولم يطرح منها دليل واحد وهذه قاعدة مشهورة يسلكها المالكية دائما إزاء الأدلة التي يلمح منها الطرف تباينا ما.

وبعـــد :

فالآن نعلم أن تارك الصلاة تكاسلا تظهر لنا أدلة قتله كفرا متى سلكنا طريقة الحنابلة ومذهب ابن حبيب، ولا نجد دليلا واضحا يتكئ عليه المستدل للقتل حدا، لأن دليل المطلق - وهو مطلق القتل - لا ينتج دليل المقيد، وهو القتل المقيد بكونه حدا، ولكن مع كل هذا ينشرح الصدر لقول الحجازيين

الشافعية والمالكية الذين نشأت مذاهبهم في (مكة). و(المدينة) لأن مالكا وهو من تابعي التابعين، والشافعي وهو في الطبقة التي بعده، قد وجدا من العلماء الكثيرين ومن العمل العام المسترسل ما يكون متكئا صحيحا لما ذهبا إليه، فكما أننا رأينا عيانا رجحان مذهبهما في كونهما حكما بأن تارك الصلاة تكاسلا غير مرتد ولا جاحد، ولا خارج عن دائرة الاسلام بالكلية - وإن رددت بعض الأحاديث في ذلك كفرا فإنه كفر دون الكفر المطلق فتؤول بالزجر والتغليظ جمعا للأدلة - وكذلك نقتنع بأنهما لا يقولان بأنه يقتل حدا إلا بدليل ناصع لهما، وإن لم يكن بين أيدينا الآن، فقد قال الإمام مالك ذلك، ثم تابعه عليه الشافعي، مع أننا نرى الشافعي - وهو تلميذه - يخالفه فيما لا يضع له دليله، كالقبض في الصلاة، وخيار المجلس وعمل المدينة الذي ألف فيه رسالة ناقش فيها شيخه الإمام مالكا رضي الله عنهما وعن كل أئمة الدين قديما وحديثا.

وأخيرا فهذا ما سنح الآن - يا أستاذي - في المذاكرة حول هذا الموضوع فقد تذكرت بإجالة الفكر فيه وجمع أطراف بحوثه القيمة، ما كان يمر لنا في مجالس أشياخنا المحدثين شيخ الإسلام الدكالي، وسيدي المدني ابن الحسني، وسيدي محمد السائح، وسيدي محمد بن العربي العلوي، فإنهم كانوا يجشموننا نحن التلاميذ أن نطلق الأعنة للتفكير، وأن نرسل الأجنحة الخفاقة في جو التفهم على المسالك الأصولية، والقواعد المحررة عند المحدثين، ولم يزالوا بنا حتى أذاقونا حلاوة هذا النوع من البحث الطلي، والتفهم الشهي، وجزى الله تاج أشياخي اليوم، حين ذكرني ما نسيت، وانهلني ثم علني بما به في هذا الموضوع عني وعنيت، فإنك يا مولاي العلامة اللغوي الأديب الأصولي نجمهم الثاقب، وفاخرهم جميعا بشتى الأخلاق الدمثة وبأسنى المناقب، فإنهم إزاء الشيخ وإن كانوا متساوين معه في سماوات الرتب، قد فاقهم في التبحر في علم الأدب (وإن في الخمر معنى ليس في العنب).

جواب الشيخ عن حديث نبوي :

السؤال عن الحديث الشريف : وددت لو رأيت إخواني، فقالوا ألسنا إخوانك يا رسول الله، فقال : لا بل أنتم أصحابي، إخواني هم الذين يأتون بعدي، يود

أحدهم لو رآني بنفسه وماله، الواحد منهم كالخمسين، فقالوا الخمسون منا أو منهم يا رسول الله فقال : بل منكم أو كما قال عليه السلام.

الجـــواب :

في الموطأ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج إلى البقيع قبل أن يموت ومر على القبور، فقال : السلام عليكم دار قوم مومنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددنا أننا رأينا إخواننا فقالوا : ألسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم أصحابي، إخواني الذين لم يأتوا بعد، ومعنى بعد أي الآن، يود أحدهم أن لو رآني بنفسه وماله، قالوا كيف تعرفهم يا رسول الله ؟ فقال : أرأيت لو كان لك خيل غُرٌّ في وسط خيل دُهْم بُهْم ألا تعرف خيلك، قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : إنهم ياتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل اهـ. وأما عمل الواحد منهم بالخمسين الذي رقم في آخره فليس منه في شيء فقد جاء مفرداً وهو ضعيف جدّاً، ويرده قوله ﷺ : «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»، كما يرده قول النبي ﷺ وهو في الصحيح : «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي أقوام يشهدون ولا يُستشهدون ويؤتمنون فيخونون الحديث».

بل الصحابة متفاوتون في الفضل بحسب السبقية في الإسلام وتوابعه، قال الله تعالى : ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا الآية﴾.

ولا يعكر عليك أيها الفاضل قوله (لا) بل أنتم أصحابي، لأنها ليست لنفي الأخوة بدليل ما في صحيح مسلم أن عمر رضي الله عنه أراد أن يعتمر فقال له النبيّ ﷺ يا أخي أشركنا في دعائك، وإنما لفظ (لا) لنفي التمني فكأنه قال لا أتمنى أن أراكم لأنكم معي والتمني إنما يكون فيما لا طمع فيه أو ما فيه عسر فلا إشكال.

أبو شعيب الدكالي وليه الله

سؤال عن [illegible] الحديث [illegible]

وددت لو رأيت إخواني فقالوا أو لسنا إخوانك يا رسول الله فقال لا بل أنتم

أصحابي إخواني الذين يأتون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله

الواحد منهم له أجر خمسين فقالوا الخمسين منا أو منهم يا رسول الله فقال بل

منكم أو كما قال عليه السلام

الجواب

في الموطأ عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البقيع قبل أن يموت

ومر على القبور فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم

لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا فقالوا ألسنا إخوانك يا رسول الله قال

لا بل أنتم أصحابي وإخواني الذين لم يأتوا (بعد) ومعنى بعد أي الآن يود

أحدهم لو رآني بأهله وماله فقالوا كيف تعرف من يأتي بعدك يا رسول الله فقال

أرأيت لو كان لك خيل غر محجلة في وسط خيل دهم بهم ألا تعرف خيلك فقالوا

بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء

[illegible] منكم أن [illegible] ثم ثبت عليه [illegible]

وأما حديث الواحد منهم له أجر خمسين أنه في الترمذي [illegible] منه

في سنده مجهول وهو ضعيف جدا ويرده قوله صلى الله عليه وسلم لو

أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه كما يرده أيضا قوله

النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

يلونهم ثم يأتي أقوام يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن

بل الصحابة [illegible] في الفضل بسبب أسبقيتهم في الإسلام ونصرتهم قال الله تعالى

لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا

من بعد وقاتلوا - ولا يعكر عليك إثبات الفضل قوله (لا) بل أنتم أصحابي

[illegible] لنفي الأخوة [illegible] صحيح مثله أن [illegible] فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم يا أخي أشركنا في دعائك وإنما الحق (لا) لنفي

التمني [illegible] فقال لا تتمنى أن [illegible] معي والتمني إنما يكون فيما

لا [illegible] أبو شعيب الدكالي وفقه الله

وثيقة

ثالثاً : أسانيد الشيخ الحديثية :

تشتمل هذه الأسانيد على ما يلي :

أ) **ثبت الأمير** الذي كتبه الشيخ بيده وبواسطة هذا الثبت كان يروي الكتب الحديثية.

ب) **أحاديث مسلسلة** رواها الشيخ.

ج) **أسانيد الشيخ الحديثية.**

وفيما يلي إيراد هذه المسائل :

أ ـ ثبت الأمير ونصه كالتالي :

الحمد لله الأول الآخر النافع، المقدم المؤخر الجامع، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله، شهادة عبد ذليل خاضع، متمسك بالسيد السند الشافع، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه وكل من صحت نسبته إليه من متبوع وتابع.

أما بعد، فيقول الفقير أبو محمد محمد بن محمد الأمير، عامله الله بلطفه الخطير، هذه جمل من أسانيد أساتيذ الأنام مشايخ الإسلام، الذين اجتمعنا بهم ولذنا بجنابهم، لعل الله يكرمنا بهم وينيلنا منالهم، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

فمن أجلهم السيد الأستاذ، والسند الملاذ، فقيه العلماء العاملين، ومربي الجهابذة المحققين، ذو التأليف العديدة والأنفاس العالية السعيدة، شيخنا الإمام نور الدين أبو المحاسن علي بن أحمد الصعيدي العدوي المالكي، لازمته رحمه الله ما يفوق على عشرين سنة في كتب المعقول والمنقول إلى أن مات، ففي الحقيقة نسبتنا إليه، وجل انتفاعنا على يديه، رضي الله عنه وجزاه عنا خيرا، ولما طلبت منه رحمه الله الإجازة وقع إلي أوراقا متفرقة فيها إجازة مشايخه وأمرني بجمعها فجمعتها في ثبته المشهور وكتب في آخره ما نصه :

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد، فإنه لما من الله علينا بصحبة الشاب الأمجد اللوذعي الأحمد الغواص على المعاني والدقائق، والمبادر لفهم العلوم على وجهها، والحقائق المحصل في العلوم الوارد لها بطرقها المنطوق والمفهوم الشيخ

محمد الأمين والمشاركة في العلوم التمس مني إجازة لما سمعه مني وغيره مما أخذته عن الأشياخ بالسماع والإجازات ظنا منه أني أهل لذلك، ولست أهلا لما هنالك، إلا أني حسنت ظنه فأقول أجزته بما أخذه عني وما سمعه مما سمعته من الأشياخ وغيره من المجاز به من الأشياخ مما في هذه الكراسة وغيره - نفع الله به وأطال عمره في ذلك - وأرجو منه أن لا ينساني في خلواته وجلواته بالدعاء بحسن العاقبة على أكمل وجه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وكتب أفقر عباد الله وأحوجهم إلى ألطافه علي بن أحمد الصميدي خادم الفقراء بالأزهر المغمور بذكر الله تعالى، وقد أثبتت ما صدر منه ومن غيره من الأشياخ من الذكر بخير في حق الحقير المذنب مع علمي بأني لا أستحقه حرصا على حفظ تعابيرهم وتيمنا بحسن نضرهم وتبشيرهم جزاهم الله تعالى خيراً ومنهم شيخ الشيوخ ذو التآليف المفيدة في الفنون العديدة أستاذنا السيد محمد البليدي المالكي وهو من مشايخ شيخنا المتقدم بل ومن مشايخ مشايخه، أخذت عنه الأربعين النووية في مدرسة السلطان الأشرف بعد العصر في شهر رمضان، وحضرت أيضا عليه بتلك المدرسة في قصة مولده عليه السلام جميع الشيخ الخيطي وحضرت عليه في شرح السعد، على عقائد النسفي بالجامع الأزهر ومات ولم يكمله، وأجازني رحمه الله وكان ممن يحضر مجلسه السيد الشيخ الصالح المعتقد العابد مربي المريدين الشيخ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي، وكان السيد يتباشر بحضوره ويتبرك به نفعنا الله بالجميع

ومنهم هلال المغرب وبركته وحامل فتواه، وقدوته العالم العامل ذو التآليف المشتهرة في الفنون المعتبرة سيدي التاودي بن سودة المالكي، حضرت عليه الموطأ بالجامع الأزهر عام حجه وحضره فيه كثير من المدرسين مالكية وغيرهم وأجازني إجازة عامة.

ومنهم شيخنا العالم الفاضل الصالح الكامل ذو الأسانيد العالية نور الدين أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن علي العربي السقاط المالكي حضرت عليه الموطأ بتمامه بمدرسة السلطان القوري وسمعت منه في البخاري من باب الجنائز إلى آخر الكتاب وجملة كبيرة من أول مسلم وغير ذلك وكتب لي في الإجازة ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ بالمزيد، ويناني نعمته

ويجاه في العنيد، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أشرف المخلوقين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأكرمين، والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فيقول العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه العزيز القدير ومحو ما به من الذنوب أحاط والفوز عند المرور على الصراط علي بن محمد العربي علي السقاط، قد سمع مني الشاب النجيب الأصيل الحبيب الفقيه الجليل الذكي النبيه النبيل العالم العلامة المدرسي الفهامة ذو التآليف الجليلة العديدة، والتقاييد النفسية المفيدة، والعقل الصائب الحصين والفهم الثاقب الغزير أبو عبد الله الشيخ محمد ابن محمد بن أحمد بن عبد القادر الجامع الصحيح لإمام الأئمة في الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وموطأ الإمام الأعظم إمام دار الهجرة المعني بعالم المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس والحديث المسلسل بالأولية والمصافحة والمشابكة وغير ذلك من الأحاديث المسلسلة التي احتوت عليها فهْرستي والحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي ثم طلب مني لحسن ظنه الإجازة وما درى حفظه الله أني لست أهلا لذلك ولا ممن يخوض تلك المسالك، لكن رب وهم يتجاوز عنه ويغتفر لحسن الظن، فما وسعني إلا إجابته لمطلوبه جبراً لخاطره في مرغوبه، فقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه أجزت الطالب المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور بأن يروي ما سمع مني وما احتوت عليه فهرستي المكتوب هذا على أول ورقة منها بشرطه المعتبر عند أهل النظر وأسأل الله الكريم الرؤوف الرحيم أن يمن علينا بما من به على عباده الصالحين وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم بجاه سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى الصلاة وأزكى التسليم وقد قيل :

تعلم ما استطعت لقصد وجهي	فإن العلم من سبل النجاة
وليس العلم في الدنيا بفخر	إذا ما حل في غير الشقاة
ومن طلب العلوم لغير وجهي	بعيد أن تراه من الهداة

أوصيكم بما أوصي به نفسي من ملازمة التقوى في السر والنجوى فإنها السبب الأقوى وبالتخلق بما يقتضيه العلم من الأحوال في الأقوال والأفعال ولا تهملوني من صالح دعواتكم في خلواتكم وجلواتكم بحسن الختام ورؤية الملك

العلام والسلام، قال ذلك بفمه ونمقه بقلمه علي بن العربي المذكور غفر الله ذنبه وستر عيبه في أواسط رمضان المعظم قدره سنة خمس وسبعين ومائة وألف والسلام على من يقف عليه، ومنهم العلامة اللوذعي والفهامة السميذعي شيخنا الشيخ حسن ابن إبراهيم الجبرتي الحنفي حضرت عليه مجالس من فقه الحنفية وعنده رحمه الله كان اشتغالنا في العلوم الحكمية كالهندسة، والهيأة والميقات، والأوقات، وغير ذلك وكتب لي إجازة نصها : بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله المجيب من قصده وأم له، المستجيب من دعاه وأمّله، الذي جعل مزيد النعم على شكره إجازة، ومنح بفضله طالب العلم حقيقة السعادة وسهل إليها مجازه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشريعة المطهرة، والسنة الواضحة النيرة الواصلة إلينا بالاسناد على وجوه وأنواع من إجازة وكتابة وقراءة ومناولة وسماع، وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء والسنة في الاقتداء.

وبعد فقد أمرني من تجب له طاعتي فوق استطاعتي، حضرة الأوحد الأمجد المشمر لكل علم عن ساعد الجد العلامة الشهير سيدي محمد الأمير، أن أقتدي بمشايخي في أن أجيزه ولو بعبارة وجيزة فقلت قد استسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم، ولكن كمال المحبة يستلزم الإمارة ويوجب الامتثال بمجرد الإشارة، فضلا عن العبارة وبمقتضى ذلك قلت، قد أجزت حضرة عزيزنا المذكور بما يجاز لي وعني روايته، كما أجازه مشايخنا العظام أفاض الله بركتهم على كافة الأنام، سيما بالفنون التي يتوقف عليها الموقف من الهندسة والهيأة والحكمة، لكونه أهلا لذلك بل فوق ما هنالك، وأسأله أن لا ينساني من دعائه المستطاب، إذ دعاء المحبين في ظاهر الغيب مستجاب، قال ذلك بفمه وكتبه بقلمه الفقير إلى لطف ربه الخفي حسن بن إبراهيم الجبرتي الحنفي، حامداً مصليا سائلا من الله حسن الختام بجاه النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومنهم تاج النبلاء، ورأس الأدباء العلامة المحقق والفهامة المدقق ذو التآليف المشهورة في منضوم ومنثور شيخنا جمال الدين سيدي يوسف الحنفي رحمه الله، حضرته في شرح ملاحظتي على آداب البحث للعضد وفي قصيدة بانت سعاد وغير ذلك وأجازني رحمه الله.

ومنهم أخوه طراز عصابة العلماء المحققين وبقية السادات الهداة العارفين، بهجة الدنيا وزين الملة والدين موصل المالكين وممد الواصلين الأستاذ الأعظم شيخ الشيوخ أبو عبد الله بدر الدين سيدي محمد الحفني رضي الله عنه وأرضاه حضرته في مجالس من الجامع الصغير والنجم الغيظي في مولده ﷺ، ومن متن الشمائل للترمذي ومات رحمه الله أثناء قراءتها، وتلقيت عنه الذكر من طريق الخلوتية وأجازني إجازة عامة ونص ما كتب لي :

بسم الله الرحمن الرحيم نحمدك يا علي يا سند ونصلي ونسلم على أجل سند وعلى آله الأعلام وصحبه نجوم الإسلام، وبعد فقد أجزت الولي الفاضل المجمل بفرائد الفواضل والفضائل سيدي محمد الأمير، نفعنا الله به ونفع به، ونظمه في سلك أهل قربه بما تجوز لي روايته، وثبتت لدي درايته، من كتب الحديث الستة المشهورة وغيرها من كتب الستة المأتورة، وكتب المعقول، من معان وبيان وأصوله، موصيا له بتقوى الله التي من تمسك بها مولاه اجتباه، وأفضل الصلاة والسلام على أكمل رسل السلام، وعلى آله وصحبه وعترته وحزبه، كتبه محمد بن سالم الحفناوي الشافعي في حادي عشر رجب الفرد سنة ثمانية وسبعين ومائة وألف.

ومنهم شيخنا شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الجوهري الكبير، حضرته في الشيخ عبد السلام على الجوهرة، وسمعت منه الحديث المسلسل بالأولية وتلقيت عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف وأجازني رحمه الله.

ومنهم بركة الوقت وحجته، وشيخ شيوخه وعمدته ذو التآليف الكثيرة الشهيرة سيدنا ومولانا شهاب الملة والدين الشيخ أحمد العلوي أدركته بعد أن انقطع عن التدريس، فراجعته في مسائل شتى في مجالس عديدة، وكان إذ ذاك مقعداً، وكتب بإذنه مقرية العالم الفاضل الصالح الكامل الشيخ أحمد الكردي، وهو الذي كان يسمعه في آخر عمره ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فقد أجزت الشيخ الفاضل الشيخ محمد الأمير المالكي بجميع

ما يجوز لي وعني روايته بشرطه المعروف عند أهله وأسأله أن لا ينساني من صالح دعواته، قاله وكتب عنه بإذنه الفقير إلى الله تعالى أحمد الملوي الشافعي أماته الله على صريح الإيمان.

ومنهم ذو التآليف العديدة والتقارير المفيدة، العالم الفاضل المحقق الكامل شيخنا الشيخ عطية الأجهوري البصير بقلبه، حضرته في المختصر لسعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح وفي تفسير الجلالين وفي شرح شيخ الإسلام على الجزرية وفي شرح سيدي محمد الزرقاني على البيقونية في علم مصطلح الحديث.

ولنقتصر من ذكر الأشياخ على هؤلاء العشرة الكرام وإن كانت لنا غيرهم مشايخ عظام عمد فخام، لكن غالب أسانيدهم لا تخرج - عن الأخذ عمن أوردنا - عُلو الإسناد وتقريب المراد.

ثم نشرع بحول الله في تفصيل الأسانيد، القرآن العظيم كلام رب العالمين جل ذكره، نشأت في خدمته عزائمي قبل أن تناط عني تمائمي، ولله الحمد على ذلك، أماتنا الله عليه وأحيانا عليه من كرمه، تلقيته عمن لا يحصى كثرة منهم والدي رحمه الله فقد كان من أجلاء حملته الذين يتلونه حق تلاوته، وقرأته بالسبع من طريق الشاطبية على العلامة اللوذعي والفهامة السميدعي مقرء أهل الأزهر شيخنا السيد علي البدري إلى أثناء سورة آل عمران ثم انتقلت إلى الإمام العابد جامع فنون الفوائد ذو التآليف العديدة في هذا وغيره شيخنا الإمام أبو عبد الله محمد بن حسن المنير السمانوذي فقرأت عليه ثلاث ختمات من طرق الشاطبية والدرة والطيبية كما قرأهُ على شيخه نور الدين الشيخ محمد الرملي المالكي وهو أخذ عن الشيخ محمد البقري الكبير وأخذ عن الشيخ عبد الرحيم اليمني وهو أخذ عن والده الشيخ شحاذة اليمني وهو عن الشيخ أحمد الطبلاوي وهو أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وهو عن العلامة التويري وهو عن ابن الجزري، وأسانيده مشهورة إلى رسول الله ﷺ.

موطأ عالم المدينة الإمام مالك بن أنس :

قال في المنح البادية في الأسانيد العالية ما نصه، وقال أبو زرعة لو حلف رجل بالطلاق على أحاديث مالك التي في الموطأ إنها صحيحة كلما لم يحنث،

وكان الشافعي يقول ما على الأرض كتاب أقرب إلى القرآن من كتاب مالك بن أنس وإنما سمي الموطأ لأنه عرضه على بضعة عشر تابعيا وكلهم واطأه على صحته، وأن الحامل إلا أمسكته بيدها وضعت، أرويه سميعا بجميعه عن شيخنا السقاط وهو عن شارحه سيدي محمد الزرقاني عن والده الشيخ عبد الباقي عن الشيخ علي الإجهوري عن الشيخ محمد بن أحمد الرملي عن الشيخ زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني عن نجم الدين محمد بن علي بن عقيل البالسي عن محمد بن علي المكني عن محمد بن محمد الدلاسي عن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن إسماعيل عن جده إسماعيل بن الطاهر عن محمد بن الوليد الطرطوشي عن سليمان بن خلف الباجي عن يونس بن عبد الله بن مغيث عن أبي عيسى يحيى بن يحيى عن عم أبيه عبيد الله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى الأندلسي الليثي وقيل له ليثي لأن جده الأعلى رسلان أسلم على يد يزيد ابن عامر الليثي عن الإمام إلا ما فاته سماعه عن مالك أوشك فيه ثلاثة أبواب في ورقة من آخر الاعتكاف فرواها عن زياد بن عمران المعروف بشبطون بموحدة عن مالك، وكان يحيى سمع منه الموطأ قبل رحلته إلى مالك ويحيى الأندلسي هذا إلا روايته له في شيء من الكتب الستة وروى الموطأ أيضا عن مالك يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري شيخ الشيخين وغيرهما وهو المروي عنه في الكتب الستة.

ومن لا خبرة له يلتبس عليه هذا بذاك، وأروي رواية مطرف بن عبد الله بن سليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي ﷺ عن شيخنا السقاط عن شيخه الشيخ محمد بناني عن سيدي محمد بن عبد القادر عن عم والده أبي المكارم محمد بن أحمد بن يوسف عن القصار عن التسولي ابن مجاهد عن السراج عن خالد محمد ابن خير عن أبي علي الغساني عن أبي عبد الله بن عتاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن التجيبي عن أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التجيبي عن أبي عبد الله محمد بن لبابة عن يحيى بن إبراهيم بن مزين عن مطرف عن مالك، وارويه من رواية محمد بن الحسن الشيباني عن شيخنا الصعيدي عن شيخه الشيخ محمد ابن عقيلة المكي وهو يرويه مسلسلا بالفقهاء الحنفيين عن الشيخ حسن بن علي العجيمي الحنفي عن الشيخ خير الدين الرملي عن الشيخ أحمد بن أمين الدين

عن والده أمين الدين بن عبد العالي الجنباطي عن الشيخ سري الدين[37] بن عبد البر عن والده الشيخ محب الدين محمد بن الشحنة إجازة عن الإمام أكمل الدين محمد ابن محمد البابرتي عن العلامة محمد بن محمد السخاوي المعروف بقوام الدين عن العلامة حسام الدين الشقناقي، قال أخبرنا الإمام حافظ الدين محمد ابن محمد بن نصر البخاري النسفي عن شمس الأئمة بن عبد الستار الكردي عن برهان الدين أبي المكارم المطرزي قال أخبرنا الإمام خطيب موفق الدين المكي قال أخبرنا الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري بمكة عند باب بني شيبة، قال حدثنا الذكي الحافظ أبو عبد الله الحبشي بن محمد بن خسرو البلعني عن أبي الحسن علي بن الحسين بن أيوب قال أخبرنا أبو طاهر عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤذن قال أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن الصواف أخبرنا أبو علي بشر بن موسى بن صالح الأسدي قال أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم قال أخبرنا محمد بن الحسن الشيباني قال أخبرنا مالك بن أنس.

وأعلم أن لنا أسانيد كثيرة كما نرويه عن السقاط والجوهري كليهما عن عبد الله بن سالم البصري والشيخ أحمد النخلي عن البابلي وغير ذلك، لكن التطويل ممل والمقصود التبرك بالانتظام في سلك هذه المسالك وما نختاره في ذلك كاف إن شاء الله تعالى، وقد حررت الكتب والأسانيد في كتب الأصول التي كثرت وتلقيت بالقبول بحيث لا يخفى ذلك على من راجعه والغرض المهم تحصيل آلات الدراية واتقان الفهم لاحفظ المتن والسند خلافا لمن مال إلى العكس، وقد بلغني عن بعض علماء تونس أنه قيل له فلان يحفظ كتاب كذا بأسانيده فقال وماذا حصل غايته أنه زِيِّد في مدينة تونس نسخة من ذلك الكتاب.

صحيح البخاري :

حضرته مرة كاملة على شيخنا الصعيدي حال قراءته بالأزهر قراءة دراية وتحقيق وتدقيق، كما هو عادته ثم ابتدأه لنا مرة ثانية فمات في أثنائها رحمه الله رحمة واسعة، وهو يرويه عن مشايخ كثيرة منهم الشيخ محمد بن عقيلة المكي قال أرويه بأعلى سند يوجد في الدنيا عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن الشيخ

(37) جاء في الطرة : أو هو شرف الدين.

أحمد بن محمد بن العجل اليمني عن الشيخ يحيى بن مكرم بن محب الدين الطبري عن جده محب الدين الطبري قال أخبرنا البرهان إبراهيم ابن صدقة الدمشقي وغيره برواياتهم عن الشيخ عبد الرحمن ابن عبد الأول الفرغاني وكان عمره مائة وأربعين سنة وهو ممن اجتمع بالخاضر عليه السلام وقد قرأ البخاري على أبي عبد الرحمن محمد بن نصر بن شَاذَبَخْتَ بسماعه لجميعه على الشيخ أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان يحيى بن عمار بن شبر شاهان العتلاني وكان عمره ثلاثا وأربعين ومائة سنة وقد سمعه جميعه من محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن جامعه، وأعلى ما عند البخاري الثلاثيات جمعها ابن حجر وغيره وأطول أسانيده تسعة، وأرويه سماعا لجميعه عن شيخنا السقاط إلا من أوله إلى باب الجنائز فبالإجازة وهو يرويه من عدة طرق منها طريق ابن سعادة عن شيخه سيدي أحمد بن الحاج عن أبي البركات سيدي عبد القادر الفاسي عن والده سيدي علي بن والده الإمام العارف الكبير سيدي يوسف بن سيدي محمد الفاسي وعن شيخ الجماعة أحمد بن علي المنجور وعن الإمام محمد بن قاسم الغرناطي الشهير بالقصار وكلهم عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن اليسيتني بفتح المثناة التحتية وكسر السين المهملة المشددة نسبة إلى بني يسيتن قبيلة من البربر، عن سيدي زروق عن ابن غازي وهما عن أبي عبد الله القوري عن أبي عبد الله محمد النسناسي المكناسي عن القاضي أحمد بن محمد بن الغازي الخزرجي عن الرضى الطبري عن ابن خيرة بكسر الخاء المعجمة واسكان المثناة التحتية عن عبد العزيز سعادة عن أبي عبد الله بن سعادة عن أبي علي الصدفي عن الإمام الباجي عن أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاثة أبي محمد عبد الله بن حمويه الحموي بفتح الحاء المهملة والميم وكسر الواو وحمويه بفتح الحاء المهملة وضم الميم المشددة وفتح المثناة من أسفل وكسرها، زاد سيدي محمد الزرقاني بعدها أخرى ساكنة السرخسي نسبة إلى سرخس من مدن خراسان وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن داود البلحني المستملي وأبي الهيثم محمد بن المكي ابن زراع كغراب المروزي الكشيميهني بضم الكاف وكسر الميم وفتح الهاء ويقال الكشماهني بفتح الهاء وكسرها وكشماهي في خراسان وهي من عمل مرو، وأخذ الثلاثة عن الإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري وفربر بينها وبين بخارى ثلاث مراحل عن جامعه قال في المنح البادية في الأسانيد العالية لسيدي محمد الفاسي شيخ ابن

الحاج الذي هو شيخ شيوخنا السقاط فضلا عن جده أبي البركات : رواية ابن سعادة أفضل من الروايات التي عند ابن حجر وأن ابن حجر لو يعتبر عليها وهي المعتمدة عندنا بالمغرب وهي سلسلة المالكية، ويرويه شيخنا السقاط أيضا عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري أصلا المكي مولداً لما جاور شيخنا بالحرم، وهو يرويه من طرق كثيرة منها روايته عن الملا إبراهيم الكراني عن الشيخ القشاشي المدني إلى غير ذلك مما هو مفصل في السند الذي جمعه ولده سيدي سالم وسماه الأمداد بمعرفة علو الاسناد فكان اسمه تاريخيا لعام تآليفه من غير قصد سنة تسعة وعشرين ومائة وألف، ويرويه شيخنا المذكور عام مجاورته بالحرم أيضا سنة أربع وعشرة ومائة وألف، عن الشيخ أحمد النخلي المكي بأسانيده في ثبته المسمى بغية الطالبين، منها روايته عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، عن الشيخ سالم السنهوري المالكي عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام عن ابن حجر بأسانيده، قال النخلي : وقد روى لي بعض الثقاة أن الشيخ البابلي المصري أحضره والده مجلس شهاب الدين الرملي وأجازه بجميع مروياته وهو يروي عن شيخ الإسلام فيكون أعلى من الأول بدرجتين قال النخلي ووقع لنا سند عال عن الشيخ محمد بن علي ابن محمد بن علاء الدين الصديقي الشافعي المكي عن محدث الديار المصرية محمد بن حجازي الواعظ إجازة بمكة عام عشرين وألف عن شيخه المعمر بن حمد الساكن بغيط العدة[38]، بمصر عن ابن حجر وأعلى أسانيد ابن حجر أن يكون بينه وبين البخاري سبعة، وأعلى أسانيد السيوطي أن يكون بينه وبين البخاري ثمانية ويرويه شيخنا المذكور عن الشيخ محمد البديري الدمياطي المعروف بالبرهان الشامي الشهير بابن أبي الصيت بأسانيده في ثبته المسمى بالجواهر الغوالي في ذكر الأسانيد العوالي وهو الذي اختصر ثبت شيخنا الحفني المشهور ولنقتصر على هذا القدر.

صحيح مسلم :

سمعت جملة كبيرة من أوله عن شيخنا السقاط وأجازني في سائره كما أجازني غيره من مشايخي الذين مر ذكرهم به وبغيره، ويروي شيخنا السقاط صحيح مسلم عن الشيخ نور الدين علي العراقي عن الحافظ السيوطي عن

---

(38) جاء في الطرة أو العدوة.

البلقيني عن التنوخي عن سليمان بن حمزة عن أبي الحسن علي ابن نصر عن الحافظ عبد الرحمن بن مندة عن الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله عن مكي النيسابوري عن الإمام مسلم، وأرويه أيضا بالأسانيد السابقة عن ابن حجر عن أبي محمد النشادي عن أبي الفضل المقدسي عن أبي محمد الحسن بن علي الهاشمي عن عبد الرحمن بن محمد بن اسحاق عن أبي بكر محمد بن عبد الله الشيباني عن مكي بن عبد الله عن مؤلفه، وقرأه ابن حجر أيضا في أربعة مجالس سوى مجلس الختم على الشرف بن الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد الوكيل عن أبي الفرج عبد الرحمن ابن عبد الحميد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي سماعا عليه لجميعه عن أبي العباس أحمد بن عبد الدايم النابلسي سماعا لجميعه عن محمد بن علي بن صدقة الحراني سماعا لجميعه عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل سماعا لجميعه عن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي سماعا قال أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي بضم الجيم نسبة لسكة جلود بين نيسابور والدارسة وقيل بفتحها نسبة لجلودا قرية، سماعا قال أخبرنا إبراهيم بن محمد ابن سفيان الفقير الزاهد سماعا قال أخبرنا مؤلفه مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري سماعا إلاّ ثلاث أبواب معلومة فكان يقول فيها عن مسلم، قال ابن الصلاح فلا ندري أحملها عنه أجازة أو وجادة.

سنن الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي :

أرويها عن البدر الحفني إجازة عن العلامة البديري عن الإمام إبراهيم الكردي النقشبندي عن الشيخ صفي الدين القشاشي بإجازته عن الشمس الرملي عن زكريا عن مسند الديار المصرية عز الدين عبد الرحيم المعروف بابن الفرات عن أبي حفص عمر بن الحسن بن يزيد المراغي عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد عن أبي حفص عمر بن محمد ابن طبرزد البغدادي أخبرنا به الشيخ إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي وأبو المفتي مفلح بن أحمد الرومي سماعا عليهما ملفقا، قال أنبأنا به الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو علي محمد بن اللؤلؤ أخبرنا به أبو داود يعني المؤلف قال حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبد السلام بن أبي حازم وأبو طالوت قال شهدت أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد فحدثني فلان

سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه عبيد الله قال إن محمديكم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال ما كنت أحسب أني أبقى في قومه يعيرونني بصحبة محمد ﷺ هي زين غير شين قال إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئا فقال أبو برزة نعم لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثا ولا أربعا ولا خمسا فمن كذب به فلا سقاه الله منه ثم خرج مغضبا وهذا من الرباعيات التي في حكم الثلاثيات وهو أن يروي تابعي عن تابعي عن الصحابي أو صحابي وهو عن صحابي في آخر فيحسب التابعيان أو الصحابيان بدرجة واحدة فهما اثنان في حكم الواحد فإذا كان عندهم راو، أخذ عنه المؤلف يقال فيه رباعي في حكم الثلاثي وهذا أعلى ما عند أبي داود، وأرويه أيضا من طرق أخرى منها طريق شيخنا السقاط بسنده إلى أبي بكر محمد البصري التمَّار المعروف بابن داسة وهو آخر من حدث عن أبي داود وتوفي أبو داود بالبصرة سنة مائتين وخمسة وسبعين عن اثنتين وسبعين سنة أخذ عن أحمد وغيره، روى عنه الترمذي وغيره عرض كتابه السنن على أحمد بن حنبل فاستحسنه وقيل لين له الحديث كما لين الحديد لداود، قال ابن داسة سمعت أبا داود يقول كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث منها ما ضمنته كتاب السنن جمعت فيه أربعة آلاف حديث وثمانمائة حديث ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقارب فإن كان فيه وهن شديد بينته.

وقال ابن الأعرابي لو أن رجلا لم يكن عنده شيء في العلم إلا المصحف الذي فيه كلام الله ثم كتاب أبي داود لم يحتج معهما إلى شيء من العلم البتة، وقال أبو عمر بن عبد البر سمعت محمد بن إبراهيم ابن سعيد الحافظ يقول خير كتاب ألف في السنن كتاب أبي داود وهو أول من صنف في السنن، قال الخطابي لم يصنف في علم الحديث مثله وهو أحسن وضعا وأكثر فقها من الصحيحين، كان أبو إسماعيل الهروي يقول هو عندي أنفع منهما لأنه لا يقف على الفائدة إلا المتبحر العالم وهو يصل إلى الفائدة منه كل أحد من الناس.

وأما الجامع للحافظ أبي عيسى الترمذي فأرويه مسلسلا بالصوفية عن شيخنا الشيخ علي الصعيدي الصوفي عن شيخه الشيخ عقيلة المكي الصوفي عن الشيخ حسن العجيمي الصوفي عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي الصوفي عن الشيخ أحمد بن علي الشنواني الصوفي عن والده الشيخ علي بن عبد القدوس

الشنواني الصوفي عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني الصوفي عن الشيخ زكريا بن محمد الفقيه الصوفي عن العارف بالله تعالى زيد الدين المراغي الصوفي عن أستاذ الصوفية شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي العقيلي الصوفي عن المسند أبي الحسن علي بن عمر الوافي الصوفي عن أستاذ أهل التحقيق الشيخ محي الدين محمد بن علي بن عربي الطائي الحاتمي الصوفي عن شيخ الشيوخ عبد الوهاب بن علي بن سكينة البغدادي الصوفي عن أبي الفتح عن عبد الملك بن عبد الله الصوفي عن شيخه المحقق الحافظ أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي[39] شيخ الإسلام الصوفي عن عبد الجبار الجراحي عن أبي العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي عن مؤلفه الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الضرير البوغي بضم الباء الموحدة وبعد الواو غين معجمة نسبة إلى بوغ قرية من قرى ترمذ وترمذ مدينة قديمة على طرق نهر بلغ المسمى جيحون، قال في المنح البادية، والناس مختلفون في ضبط هذه النسبة فبعضهم يقول بفتح التاء والميم وبعضهم يكسرهما وبعضهم يضمهما، والمتداول على لسان أهل تلك البلد بفتح التاء وكسر الميم، قال السمعاني والذي كنا نعرفه قديما كسر التاء والميم جميعا، وجيحون بفتح الجيم وكسر المثناة أسفل وضم الحاء المهملة وسكون الواو بعدها نون وهو النهر العظيم الفاصل بين خوارزم وخراسان وبين بخاري وسمرقند وتلك البلاد كل ما كان من تلك الناحية فهو ما وراء النهر، والمراد بالنهر جيحون وهو من الأنهار الأربعة المذكورة في الحديث أنه يخرج من الجنة أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان، فالظاهران النيل والفرات، والباطنان سيحون وجيحون، وسيحون بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتية وضم الحاء المهملة وسكون الواو بعدها نون وهو وراء جيحون لما يلي بلاد الترك، وهاذان النهران مع عظمهما وسعة عرضهما مجمدان في زمن الشتاء وتسير القوافل عليهما بدوابها وأثقالها ويقيمان كذلك مقدار ثلاثة أشهر، وقال في الفتوحات : النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى يهبطان إلى الجنة ثم يخرجان منها إلى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما في غاية الحلاوة وإنما أثر فيهما مزاج الأرض فيتغير ماؤهما عما كانا عليه من الجنة، فإذا كانت القيامة عادا إلى الجنة وكذلك يعود سيحون، وجيحون.

---

(39) في الطرة : أو المروي.

توفي الترمذي بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين، ومولده سنة مائتين وتسعة، وقال : صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضو به وعرضته على علماء العراق فرضو به وعرضته على علماء خراسان فرضو به، قال ابن الأثير كتاب أبي عيسى أحسن الكتب ترتيبا وأكثرها فائدة وأقلها تكراراً فيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب، ولم يخلف البخاري مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين، وفي المنح أنه ولد أكمه ولم يقع له ثلاثي إلا حديث واحد بالسند إليه، قال حدثنا إسماعيل بن موسى قال حدثنا عمر ابن شاكر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال ياتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر.

وأما السنن الصغرى للنسائي المسماة بالمجتنى، فأرويه عن شيخنا الصعيدي عن الشيخ محمد عقيلة المكي عن الشيخ حسن عن الشيخ محمد بن أحمد بن العجل عن الإمام يحيى بن عبد العزيز بن فهد قال أخبرنا المسند أبو اليمان محمد بن محمد بن عبد الله الزفتاوي قال أخبرنا القاضي مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم الكناني الحنفي، قال أخبرنا الأصيل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن عبد العزيز الأيوبي المعروف بابن الملوك سماعا لجميعه إلا الجزء الأول فأجازه قال أخبرنا به شاكر الله بن غلام الله قال أخبرنا به الصفي أبو بكر عبد العزيز بن أحمد بن باقا البغدادي قال أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي قال أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الأوافي قال أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين الكسار قال أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد الشهير بابن السني الدليوري عن مؤلفه الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي ويقال النسوي نسبة إلى نساكورة من كور نيسابور، قال المسعودي نسا من أرض فارس وقال عبد الغني بن سعيد نسا موضع بخرسان، ولد سنة خمس عشرة ومائتين وتوفي سنة ثلاثمائة وثلاثة قال سعيد بن علي الزنجاجي أن شرط النسائي في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم، وبالجملة فكتابه أقل الكتب بعد الصحيحين ضعيفا ورجلا مجروحا، ويقاربه كتاب أبي داود وكتاب الترمذي ويقاربه من الطرق الأول كتاب ابن ماجة، ولما صنف السنن الكبرى أهداه إلى أمير

الرملة فقال له الأمير : أكل ما في هذا صحيح فجرو الصحيح في المنتخب المسمى بالمجتبى ويقال بالنون.

وأرويه أيضا عن شيخنا السقاط وغيره بأسانيدهم عن النخلي وغيره قال النخلي وبسنده قال حدثنا حميد قال حدثنا عبد الوارث عن شعيب عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ اكثرت عليكم في السواك.

وأما **سنن ابن ماجه** فأرويه أيضا عن شيخنا الصعيدي عن شيخه عقيلة عن الشيخ حسن عن الشيخ أحمد عن الإمام يحيى عن جده المحب عن عز الدين المراغي عن أبي العباس الحجار عن المسند عبد اللطيف بن محمد قال أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي قال أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين المقدسي قال أخبرنا أبو طلحة القاسم بن ابن المنذر الخطيب ما قال أخبرنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن القطان قال أخبرنا به مؤلفه الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن عبد الله بن ماجة الربعي بالراء والباء الموحدة المفتوحتين نسبة إلى ربيعة بالولاء القزويني نسبة إلى قزوين مدينة بعراق العجم، ولد سنة مائتين وتسعة ومات سنة ثلاث وستين ومائتين وقيل وسبعين بموحدة ومائتين، وماجه بسكون الهاء لقب أعجمي ليزيد والد أبي عبد الله وقيل ماجه أمه فلابد من كتابة الألف في ابن ليعلم أنه وصف لمحمد لا لما قبله، جملة ما في سننه أربعة آلاف حديث وفيه خمسة أحاديث ثلاثيات سندها واحد وهي قوله حدثنا جوارة بن المغلس قال حدثنا كثير بن مسلم قال سمعت أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع ذكره في الأطعمة، وبه قال قال رسول الله ﷺ ما مررت ليلة أسري بي بملأ إلا قالوا. ذكره في الطب وبه قال قال رسول الله ﷺ أن هذه أمة مرحومة عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة رفع إلي كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار، ذكره في وبه قال ما رفع بين يدي رسول الله ﷺ فضل شواء قط ولا حمل معه طبق ذكره في الأطعمة، وقد تمت الكتب الستة.

مسند الإمام أبي حنيفة، أرويه عن شيخنا الصعيدي عن الشيخ عقيلة بالسند السابق مسلسلا بالحنفية في رواية الموطأ عن طريق الإمام محمد بن الحسن، وبالسند إلى محمد بن الحسين عن الإمام أبي حنيفة عن حماد عن

إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : يجمع الله العلماء يوم القيامة فيقول أني لم أجعل حكمتي فيكم إلا وأنا أريد بكم خيراً اذهبو إلى الجنة فقد غفرت لكم ما كان منكم، وبالسند إلى أبي حنيفة عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : طلب العلم فريضة على كل مسلم.

مسند الإمام محمد بن إدريس الشافعي عن شيخنا الصعيدي عن شيخه عقيلة عن الشيخ حسن العجيمي عن العارف القشاشي بإجازته عن الشيخ محمد الرملي عن شيخ الإسلام زكريا عن الحافظ ابن حجر عن الصلاح بن أبي عمر عن الفخار بن النجار عن القاضي أبي المكارم أحمد بن محمد اللبان وأبي حفص محمد ابن أحمد الصيدلاني عن أبي الحسن بن أحمد الحداد عن الحافظ أبي نعيم أحمد ابن عبد الله الأصبهاني عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع ابن سليمان المراوي أنبأنا الشافعي رحمه الله والجامع لهذا المسند محمد بن جعفر ابن مطر النيسابوري لمحمد بن يعقوب الأصم حيث وقعت له الرواية عن الربيع وقيل جمعه الأصم لنفسه ولم يرتبه فلهذا وقع فيه التكرار، وبالسند إلى الشافعي وهو أعلى ما عنده، قال حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال بينما الناس بقبأ في صلاة الصبح إذ أتاهم آت فقال ان رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل إلى الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أرويه بهذا السند إلى الفخر ابن البخاري قال أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن المفرج المكثر أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين أخبرنا أبو علي الحسن ابن علي التميمي المذهب الواعظ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا به، وبه إليه قال حدثنا روح املاء علينا ببغداد حدثنا محمد بن أبي حميد عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ : من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله عز وجل ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله عز وجل ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله به عز وجل، وبه إليه قال حدثنا إسماعيل قال : حدثنا عبد العزيز قال : سأل

قتادة أنسا رضي الله عنه على دعوة كان أكثر ما يدعو النبي ﷺ بها قال : يقول : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.

فائدة : سلسلة الذهب المشهورة بين المحدثين أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر لا يعرف بها إلا أربعة أحاديث أوردها أحمد في مسنده وهي للشافعي في الأم، الأول قوله ﷺ : لا يبيع بعضكم على بيع بعض، الثاني نهي رسول الله ﷺ عن المزابنة، والثالث أن رسول لله ﷺ نهى عن النجش، الرابع أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع حبل الحبلة.

الشفا في التعريف ببعض حقوق المصطفى ﷺ للقاضي أبي الفضل عياض ابن موسى ابن عياض المالكي الأندلسي اليحصبي بفتح الياء المثناة وسكون المهملة وتحريك الصاد المهملة بالحركات الثلاث بعده موحدة نسبة إلى يحصب حي من اليمن من حمير، ولد سنة أربعمائة وستة وسبعين وتوفي بمراكش مسموما سمه يهودي سنة خمسمائة وأربعة وأربعين، أرويه عن شيخنا الصعيدي عن الشيخ عقيلة عن الشيخ حسن عن البابلي عن السنهوري عن الغيطي عن شيخ الإسلام عن الشمس محمد بن علي الغاياتي عن السراج عمر بن علي بن الملقن الأنصاري قال: أخبرنا أبو الفتوح يونس بن محمد الدلاصي قال : أخبرنا التقي أبو الحسن يحيى ابن أحمد بن محمد اللواتي قال أخبرنا أبو الحسين يحيى بن محمد الأنصاري عرف بالصائغ إجازة عن مؤلفه.

الشمائل : حضرتها من أولها لآخرها حضور تحقيق واتقان على شيخنا الصعيدي وجملة كبيرة من أوائلها على الأستاذ الحفني ومات قبل كمالها، وسندنا فيها من طرق منها سند السابق في الجامع لمؤلفها أعني الترمذي.

الجامع الكبير والصغير للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي وبقية مؤلفاته عن شيخنا الصعيدي بالسند السابق للسنهوري عن الشيخ العلقمي عن المؤلف، وبالسند إليه قال في حرف الهمزة عنه قال ﷺ آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من الطارق ؟ فأقول محمد فيقول بك أمرت ان لا أفتح لأحد قبلك، رواه أحمد ومسلم عن أنس رضي الله عنه، وهو أول الجامعين.

الأربعون النووية : حضرتها من أولها إلى آخرها على شيخنا السيد البليدي وأرويها كبقية مؤلفات النووي من طرق منها طريق شيخنا الصعيدي بالسند السابق لشيخ الإسلام قال قرأتها على ابن اسحاق الشروطي عن محمد بن أحمد المرفا عن أبي الربيع سليمان بن سالم القري عن أبي الحسن علي بن إبراهيم ابن داود العطار عن مؤلفها الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي.

المواهب اللدنية عن شيخنا السقاط، وقد ساق أسانيده فيها في أول شرحه وكذلك نورد ارشاد الساري شرح البخاري للقسطلاني أيضا.

شرح معاني الآثار للضحاوي، عن شيخنا سيدي أحمد الجوهري الكبير عن سيدي عبد الله بن سالم البصري عن البابلي بقراءة الشيخ عيسى المقربي قال قرأت عليه من أوله إلى قوله سبحان الله ان المومن لا ينجس، وأجازني بسائره عن الزين عبد الله بن محمد النحرير الحنفي عن الجمال يوسف بن زكريا عن أبيه عن الفضل بن حجر سماعا عليه لبعضه وإجازة لسائره، عن الشرف بن الظاهر بن الكويك بإجازته عن زينب بنت الكمال المقدسية بإجازتها عن محمد بن عبد الهادي، قال أخبرنا به الحافظ منصور التائي بالمثناة الفوقية قال أخبرنا الحافظ أبو بكر محمد بن إبراهيم المقري قال أخبرنا مؤلفه الإمام الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، وبالسند إليه قال حدثنا محمد بن خزيعة بن راشد البصري قال حدثنا حجاج بن المنهال قال أخبرنا حماد بن سلعة عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ من بئر قضاعة فقيل يا رسول الله إنه تلقى فيها الحيف والمحايض فقال إن الماء لا ينجس.

مسند الهداية للبرهان المرغيناني رحمه الله بالسند السابق للبابلي عن محمد بن الشبلي عن السيد يوسف بن عبد الله الابلوي عن الجمال إبراهيم بن أحمد القلقشندي عن أبي الفضل ابن حجر عن أبي عبد الله محمد بن علي المقري الحنفي قال أخبرنا حافظ الدين محمد بن محمد بن نصر النسفي البخاري عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي عن مؤلفها الإمام برهان الدين المرغيناني.

مسند الدارمي وهو للإمام محمد أبو عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي أرويه عن الأستاذ الحفني عن شيخه البديري عن الملا إبراهيم عن الصفى القشاشي عن الشمس الرملي عن شيخ الإسلام زكريا عن مسند الدنيا محمد بن مقبل الحلبي عن حورية بنت أحمد الكردي الهنكاري أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الكردي أخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمر الليثي حضوراً لجميعه أخبرنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندي أخبرنا الدارمي وبالسند إليه قال أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إن في الجنة لسوقا قال وما هي ؟ قال كثبان من مسك يخرجون إليها فيجتمعون فيها فيبعث الله إليهم ريحا فتدخلهم بيوتهم فيقول لهم أهلوهم لقد ازددتم بعدنا حسنا ويقولون لأهليهم مثل ذلك هـ. وهو من ثلاثياته وهو أعلى ما عنده.

الملخص للحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري المعروف بابن القاسمي لخص فيه أحاديث الموطأ برواية ابن القاسم عن الإمام مالك رضي الله عنه، أرويه بالسند إلى الحافظ ابن حجر عن عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان المكي شفاها عن إمام المقام أبي أحمد الطبري عن أبي بكر محمد بن يوسف قال كتب إلينا الخطيب محمد بن أحمد بن يحيى الحميري عن محمد بن علي المازري قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد اللخمي قال أخبرنا أبو القاسم عبد الخالق عن أبي عمران موسى ابن عيسى الفاسي عن مؤلفه أبي الحسن المعروف بابن القابسي قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدي سماعا عن أحمد بن أبي سليمان عن سحنون بن سعيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك ابن أنس، وبسند الإمام مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لا تباغضو ولا تحاسدو ولا تدابرو وكونو عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاث ليال.

مسند الطيالسي وهو الحافظ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، أرويه عن شيخنا الحفني عن شيخه البديري عن الملا إبراهيم عن صفي الدين القشاشي بسنده السابق في مسند الشافعي إلى أبي نعيم قال حدثنا عبد الله بن جعفر ابن أحمد بن فارس الأصبهاني حدثنا يوسف بن حبيب العجلي حدثنا أبو داود الطيالسي، وبالسند إليه قال حدثنا حماد بن سلمة عن يعلى بن

عطاء عن وكيع بن حدس عن أبي رزين وهو لقيط ابن عامر العقيلي أن رسول الله ﷺ كان يكره أن يسأل فإذا سأله أبو رزين أعجبه قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض قال كان في عماء ما فوق هواء وما تحته هواء ثم خلق العرش على الماء رواه الترمذي وابن ماجه.

الأدب المفرد للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري وهو كتاب ضخم نحو عشرة أجزاء بالسند السابق لابن حجر قال قرأته على أبي بكر ابن عبد العزيز الشهير بابن جماعة بسماعه على جده البدر محمد بن إبراهيم قال أخبرنا به مكي بن المسلم بن علان إجازة عن أبي طاهر أحمد السلفي حدثنا محمد بن حسن الباقلاني أخبرنا القاضي أبو العلا محمد بن علي الواسطي حدثنا أبو النصر أحمد بن محمد بن الحسن بن النيازطي حدثنا أبو الخير أحمد ابن محمد العبقسي حدثنا مؤلفه الإمام أبو عبد الله البخاري وبالسند إليه قال حدثنا سلمة ابن وردان قال سمعت أنسا ومالك بن أوس بن الحدثان يقول أن النبي ﷺ خرج يتبرز فلم يجد أحدا يتبعه فخرج عمر فاتبعه بفخارة أو مطهرة فوجده ساجداً في مترية فتنحى فجلس وراءه فرفع النبي ﷺ رأسه فقال رسول الله ﷺ أحسنت عمر حين وجدتني ساجداً فتنحيت عني، ان جبريل جاءني فقال من صلى عليك صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ورفع له عشرا ورفع له عشر درجات.

السيرة لابن اسحاق، تهذيب ابن هشام، عن شيخنا الجوهري عن البصري عن البابلي بقراءة الشيخ عيسى المغربي عن الشيخ محمد حجازي الواعظ وسالم ابن محمد عن النجم محمد بن أحمد الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا عن أبي النعيم رضوان بن محمد العقبي عن أبي الحسن علي بن عبد الكريم الغزي عن أبي العباس أحمد بن اسحاق الابرقوي عن أبي البركات عبد القوي بن عبد العزيز السعدي عن أبي الحسن علي بن الحسن اللخمي عن أبي محمد عبد الرحمن بن عمر النحاسي قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال أخبرنا عبد الملك بن هشام قال أخبرنا زياد بن عبد الله البكالي قال أخبرنا الإمام الحافظ محمد بن إسحاق المطلبي فذكره، وكان الشافعي يعظم ابن اسحاق.

سند الحافظ عبد ابن حميد بن نصر الكشي، عن الحفني عن البديري عن الملا إبراهيم عن القشاشي بسنده السابق إلى جويرية بنت أحمد الهنكاري أخبرنا أبو إسحاق الكردي أخبرنا أبو المنجا بن الليثي أخبرنا أبو الوقت الداودي أخبرنا السرحسني أخبرنا إبراهيم بن خريم الشاشي، أنبأنا عبد بن حميد، وبالسند إليه قال حدثنا محمد ابن فضيل هو الدوسي البصري حدثنا ديلم بن غزوان هو أبو البراء العبدي البصري عن ميمون الكردي وهو أبو بصير بفتح الموحدة بن جذبان ابن ميمون الكردي الصحابي وعن أبي عثمان النهدي هو عبد الرحمن بن مل (هكذا) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال إنما أخاف عليكم مكلم بالحكمة ويعمل بالجور.

المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، قال شيخنا الحفني أرويه إجازة بالسند إلى الفخر بن البخاري عن أبي جعفر الصيدلاني عن فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن ريزة الأصبهاني أخبرنا الطبراني، وبالسند إليه قال حدثنا الحسن بن إسحاق التستري حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب حدثنا عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي عن أبي هاني الخولاني عن أبي عبد الرحمن الميلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ أن الإيمان سيخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فأسألوا الله أن يحدد إيمانكم في قلوبكم، يشتمل المعجم الكبير على ستين ألف حديث تجزئة اثني عشر مجلداً، وفيه قال ابن وصية هو أكبر مسانيد الدنيا.

المعجم الوسيط له أيضا، أرويه بالسند المذكور إلى الصيدلاني أخبرنا أبو علي الحداد أخبرنا أبو نعيم عن الطبراني، وبالسند إليه، قال حدثنا محمد بن علي بن الصائغ حدثنا أحمد بن عمر العلائي الرازي حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم عن أبي خلدة، سمعت ميمونا الكردي وهو عند مالك ابن دينار فقال مالك ما للشيخ ما يحدث عن أبيه فإن أباك قد أدرك النبي ﷺ وسمع منه، فقال كان أبي لا يحدثنا بشيء مخافة أن يزيد أو ينقص، وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، قال الحافظ نور الدين الهيثمي بالمثلثة في مجمع الزوائد وإسناده حسن.

المعجم الصغير، له أيضا يذكر فيه عن كل شيخ حديثا، أرويه بالسند السابق إلى أبي نعيم عن الطبراني، وبه قال حدثنا أحمد بن قاسم البيدتي ببغداد وحدثنا محمد بن عباد المكي حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم عن أبي خالد عن ميمون الكردي عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أي رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤديها حقها خدعة فمات ولم يؤد إليها حقها لقي الله وهو زان وأيما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه خدعه حين أخذ ماله فمات ولم يؤد إليه دينه لقي الله وهو سارق.

مكارم الأخلاق له أيضا، وهو كتاب ضخم نحو جزأين بالسند إليه، قال حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي حدثنا سعيد بن منصور حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز عن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم، وأن الرجل ليكتب جباراً وما يملك إلا أهل بيته.

مسند الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي، أرويه بالسند المتقدم إلى الفخر ابن البخاري عن أبي روح عبد المعز بن محمد الهروي، وحدثنا تميم بن أبي سعيد الجرجاني حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن الكجزوري، حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، حدثنا أبو يعلى، وبه إليه قال حدثنا عمرو بن الضحاك عن مخلد أخبرنا جعفر بن يحيى بن ثوبان، أخبرنا عمارة بن ثوبان أن أبا الطفيل أخبره أن النبي ﷺ كان بالجعرانة يقيم بها وأنا غلام أحمل عضو البعير، فأقبلت امرأة بدوية فلما دنت من النبي ﷺ بسط رداءه فجلست عليه قالوا من هذه ؟ فقالوا أمه التي أرضعته، قال الحافظ زين الدين العراقي : هذا حديث حسن ورواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، قال ابن عبد البر في الاستيعاب المرأة حليمة يعني السعدية.

السنن لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني البصري قاضي اصبهان توفي سنة مائتين وسبع وثمانين، وجميع تآليفه أرويه إجازة بالسند إلى صفي الدين المتقدم في مسلم إلى الحافظ الدمياطي عن الحافظ يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي بسماعه عن أبي جعفر الصيدلاني أخبرنا منصور محمد بن مسعود بن محمد الصيرفي الأصبهاني

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن شداد الأعرج حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد فورك القباء حدثنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم وبه إليه قال حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا الفضل بن عثمان حدثنا محمد بن أبي بكر عن ربعي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أن الله خلق كل صانع وصنعه قال البخاري ولا بعضهم والله خلقكم وما تعملون فاخبر أن الصناعات مخلوقة لله تعالى.

صحيح الحافظ ابن حبان بكسر المهملة وبالموحدة محمد التميمي الدارسي البستي بالسند المتقدم إلى الحافظ الدمياطي عن أبي الحسن علي بن الحسين المعروف بابن الميز عن أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري عن أبي الحسن محمد بن علي المهتدى بالله عن الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عن ابن حبان بتصحيحه، وبجميع مصنفاته، قال في صحيحه أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اللهم إني أسألك علما نافعا وأعوذ بك من علم لا ينفع، توفي ابن حبان سنة ثلاثمائة وأربعة وخمسين سمع من النسائي وأبي خزيمة وأبي يعلى الموصلي كتب عن أكثر من ألفي شخص روى عنه الحاكم وغيره وكان ثقة نبيلا وربما غلط الغلط الفاحش، ولي قضاء سمرقند وكان من فقهاء الدين وحفاظ الأثار عالما بالطب والنجوم وفنون العلم صنف الصحيح والتاريخ والضعفاء وفقه الناس بسمرقند، وكان من أئمة العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ وعقلاء الرجال وكانت الرحلة في الأسانيد العالية إليه قاله في المنح البادية.

مسند الحافظ الدارقطني، أرويه بهذا السند إليه، وبه قال حدثنا محمد ابن القاسم بن زكريا حدثنا أبو كريب حدثنا حاتم بن إسماعيل عن أبي عجلان عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا غدا يوم الفطر ويوم الأضحى يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر حتى ياتي الإمام.

المستدرك للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، ويقال له ابن البيع بفتح الموحدة وكسر المثناة التحتية وتشديدها بعدها عين مهملة، ولد سنة ثلاثمائة وواحد وعشرين وتوفي سنة أربعمائة وخمسة، سمع بنيسابور

وحدها نحو من ألفي شيخ وبغيرها نحوا من ألفين أيضا وله خمسمائة تأليف وكان فيه تشيع وكان عالماً صالحا فاضلا وغلط في أحاديث ضعيفة أو موضوعة، قال أبو حاتم وغيره : قام الاجماع على ثقته، وقال الذهبي : ثبت، وقال السبكي : اتفق العلماء أنه من أعظم الأئمة الحفاظ الذين حفظ الله بهم الدين، استملى على أبي حيان وتفقه على ابن أبي هريرة وغيره روى عنه الأئمة الدارقطني والقفال والبيهقي وغيرهم، وأبو القاسم القشيري ورحل الناس إليه، وكتب المستدرك على الصحيحين قصد به ضبط الزوائد عليهما مما هو على شرطهما أو شرط أحدهما وهو صحيح، ففي ألفية العراقي، وكالمستدرك

على تساهل وقبل ما انفرد، به فذاك حسن ما لم يرد السخاوي أبي علي تساهل فيه بإدخاله فيه عدة موضوعات حمله على تصحيحها اما التعصب لما رمى به من التشيع واما غيره فضلا عن الضعيف وغيره بل يقال أن السر في ذلك أنه صنفه في آخر عمره وقد حصلت له غفلة وتغير قاله في المنح البادية، أرويه بالسند السابق إلى ابن القير عن أبي الفضل أحمد بن طاهر المهيني عن أبي بكر أحمد بن علي بن خلف اليشرازي، عن الحاكم إجازة بسائر كتبه وبه إليه قال في المتدرك حدثنا أبو بكر ابن اسحاق حدثنا إبراهيم بن يوسف الرازي حدثنا أبو كريب حدثنا أبو خالد الأحمر عن أبي عجلان عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول، قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه يعني الشيخين.

عمل اليوم والليلة لابن السني، من طريق السلفي عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني عن القاضي أبي نصر أحمد بن الحسين بن الكسار عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن اسباط الدينوري مولى جعفر ابن أبي طالب وهو صاحب ابن السني المتوفى سنة ثلاثمائة وأربعة وستين وقيل وأربع وخمسين.

سنن البزار الحافظ أبي بكر بن عمرو بن عبد الخالق البزار العكيكي بفتح العين والياء المخففة البصري المتوفى سنة مائتين واثنين وتسعين.

عند هذا توقف الأصل المنبني عنه هذا النقل.

ب - أحاديث مسلسلة رواها الشيخ أبو شعيب الدكالي :

روى هذه الأحاديث عن الشيخ العلامة المحدث عبد الحفيظ الفاسي في كتابه «الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات».

فمن ذلك :

1 - المسلسل بقراءة سورة الصف[40] :

قال عبد الحفيظ الفاسي :

حدثنا بها **الشيخ أبو شعيب الدكالي** عن عفيف الدين النابلسي عن أبي علي حسن بن عمر الشطي عن عبد الرحمان الكزبري عن والده محمد عن والده عبد الرحمان عن ابن عقيلة.

وقال محمد بن عبد الرحمان الفاسي أيضا وقرأها علينا شيخنا أبو سالم العياشي أيضا وابن عمه أبو سعيد محمد بن يوسف عن الشيخ عبد القادر المحلي عن والده الشيخ جمال الدين عن والده شمس الدين ابن الجزري عن أبي الحجاج الصيرفي عن أبي المعالي عيسى بن عبد الرحمان المطعم عن أبي النجا عبد الله اللثي السابق وهو عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي عن أبي الحسن عبد الرحمان بن محمد الداودي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عيسى عمر السرخسي انا أبو عمران عيسى بن عمر والسمرقندي انا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الدارمي ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيا بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمان بن عوف عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا وقلنا لو نعلم أي الأعمال أقرب إلى الله تعالى لعملناه فانزل الله عز وجل سبح لله ما في السموات والأرض والعزيز الحكيم يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عن الله ما لا تفعلون، حتى ختمها قال عبد الله فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها قال أبو سلمة فقرأها علينا عبد الله حتى ختمها وهكذا قال كل واحد من الرواة إلى أن وصلت إلى مشايخنا فقرؤوها علينا حتى ختموها قرأها علينا عمي أبو جيده

---

(40) الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات، ج 1، ص 17 وما يليها، لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية بالرباط.

بمحله من زاويتنا الفاسية في شهر ربيع النبوي عام 1324 حتى ختمها وقرأها علينا أبو الأنوار بن جعفر بداره بمدينة فاس يوم الأربعاء 16 صفر الخير عام 1324 حتى ختمها وقرأها علينا الشيخ أبو شعيب بداره برباط الفتح عام 43 حتى ختمها قال عبد الحفيظ الفاسي: هذا حديث صحيح متصل الاسناد والتسلسل ورجال اسناده ثقات بل قال جماعة من أهل الحديث أنه أصح مسلسل يروى في الدنيا رواه الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما والترمذي في جامعه والطبراني في المعجم الكبير والدارمي والحاكم في المستدرك وقال على شرط الشيخين ورواه غيرهم من طرق عدة.

2 - المسلسل بالسماع في يوم العيد[41] :

قال عبد الحفيظ الفاسي :

وحدثنا الشيخ أبو شعيب الدكالي حفظه الله تعالى بداره برباط الفتح في يوم عيد الفطر سنة 1324 قال حدثنا به الشيخ سليم البشري في يوم عيد عن أحمد منة الله الأزهري عن الأمير وهو يرويه عن أبي الحسن علي بن العربي السقاط الفاسي قال هو وجسوس السابق حدثنا أبو مهدي عيسى الثعالبي سماعا في يوم عيد الفطر.

وقال الجلال السيوطي وأخبرني عاليا بدرجتين أبو عبد الله محمد بن مقبل الحلبي عن محمد بن أحمد المقدسي انا الفخر بن البخاري انا أبو حفص ابن طبرزد انا أبو المواهب بن ملوك سماعا في يوم عيد قال كالابنوسي أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري في يوم عيد انا بشر بن عبد الله الأموي في يوم عيد انا وكيع بن الجراح في يوم عيد ثنا بن جريح في يوم عيد انا عطاء بن أبي رباح في يوم عيد ثنا بن عباس في يوم عيد قال شهدت مع رسول الله ﷺ وعلى آله يوم عيد الفطر أو أضحى فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال أيها الناس اقد صبتم خير احب ان ينصرف فلينصرف ومن شاء أن يقيم حتى يسمع الخطبة فليقم قال الحافظ جلال الدين السيوطي غريب بهذا السياق وفي إسناده مقال اهـ أي من جهة أن الأصوب عن عطاء ارساله حسبما ياتي وأما غرابة السياق

(41) الآيات البينات، ج 1، ص 81 وما يليها، المرجع السابق.

فاكثر المسلسلات كذلك وقد أخرجه أبو داوود والنسائي وابن ماجة من حديث الفضل ابن موسى الشيباني عن ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن السائب بدل ابن عباس ولفظ أبي داوود شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فلما قضى الصلاة قال انا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب ولفظ النسائي أن النبي ﷺ صلى العيد قال قضينا الصلاة فمن أحب أن يجلس للخطبة ليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب وقد صرح أبو داوود والنسائي في سننيهما بأنه مرسل ومدار طرقه على ابن جريج وهو مدلس وللحديث طريقة أخرى مسلسلة من حديث سعد بن أبي وقاص اغفلوها لشدة ضعفها.

3 - المسلسل بالسماع في يوم عاشوراء[42] :

قال عبد الحفيظ الفاسي :

وحدثنيه الشيخ أبو شعيب الدكالي في يوم عاشوراء برباط الفتح عام 1343 قال حدثنيه الشيخ البيلاوي بمصر في يوم عاشوراء قال حدثنا به منة الله المذكور في يوم عاشوراء وحدثني به أبو إسحاق إبراهيم الدباغ سماعا في غر يوم عاشوراء أخبرني به أبو المحاسن القاوقجي في غير يوم عاشوراء حدثنا ولي الله علي البخاري ومصطفى البولاقي سماعا منهما في يوم عاشوراء قالا ومنة الله حدثنا أبو عبد الله الامير في يوم عاشوراء أخبرنا أبو الحسن علي الصعيدي عن أبي عقيلة عن أبي الاسرار حسن بن علي العجيمي وحدثنيه عمي أبو جددة سماعا في يوم عاشوراء سنة 1319 حدثنا الشيخ عبد الغني الدهاوي في غير يوم عاشوراء حدثنا الشيخ عابد الأنصاري كذلك عن عمه محمد حسين في يوم عاشوراء عن والده محمد مراد عن محمد هاشم السندي عن الشيخ عبد القادر المفتي عن العجيمي كلم في يوم عاشوراء قال سمعت الشيخ إبراهيم الكوراني في يوم عاشوراء سمعت الشيخ سلطان المزاحي سمعت أحمد بن خليل السبكي كذلك وقال الأمير حدثنا أحمد الجوهري في يوم عاشوراء عن عبد الله بن سالم البصري كذلك قال هو

---

(42) الآيات البينات، ج 1، ص 87 وما يليها، المرجع السابق، ورواه عن الشيخ أبي شعيب الدكالي أيضا تلميذه العلامة القاضي محمد بن عبد السلام السائح في فهرسته المسماة بالاتصال بالرجال، ص 70، تحقيق د. محمد قرقزان، الرباط، 1416 - 1995.

والعجيمي أخبرنا محمد بن علاء الدين البابلي عن سالم السنهوري وسمعه الأمير عن علي السقاط الفاسي بمصر كما سمعه من عمر بن عبد السلام التطواني كذلك كما سمعه من محمد بن عبد الرحمان الفاسي عن أبي سالم العياشي عن إبراهيم الميموني وهو والسبكي والسنهوري سمعوه من نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي[43] قال سمعت أمين الدين محمد بن أبي الجود أحمد بن عيسى النجار أمام جامع الغمري في يوم عاشوراء عن الفخر محمد بن محمد السيوطي بقراءة عثمان الديمي عن أبي الفرج بن الشيخة عن أبي الحسن علي بن إسماعيل بن قريش عن عبد العظيم المنذري عن أبي حفص عمر بن محمد طبرزد البغدادي عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري أخبرنا أبو محمد الحسن ابن علي الجوهري انا أبو الحسن علي بن أحمد بن كيسان انا أبو يوسف يعقوب القاضي انا الربيع انا حماد بن زيد عن غيلان بن جرير عن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : صيام يوم عاشوراء اني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله حديث صحيح قال الشيخ عبد الحفيظ الفاسي : أما التسلسل فقال ابن الطيب فيه انقطاع ما، والحديث انفرد بروايته مسلم فرواه عن يحيى التميمي وقتيبة بن سعيد جميعا عن حماد به إلى أبي قتادة بلفظ احتسب باسقاط اني ورواه عن محمد بن المثني ومحمد بن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن غيلان به إلى أبي قتادة وفيه وسئل عن صوم يوم عاشوراء فقال يكفر السنة الماضية باسقاط احتسب واخرجه أبو داوود عن سليمان بن حرب ومسدد عن حماد به بلفظ المسلسل وأخرجه أبو عيسى الترمذي عن قتيبة بن سعيد وأحمد بن عبدة الضبي بلفظه وأخرجه باللفظ المذكور ابن حيان في صحيحه وأخرجه الطالسي بلفظ اني لاحتسب ومعنى احتسب أرجو من الله أن يجعل أجره ويبقى ثوابه ذخيرة عنده كفارة السنة الماضية واستشكل بعضهم هذا بأنه ورد في نفس الحديث ان صيام يوم عرفة يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده فما الذي يكفره صيام يوم عاشوراء وأجيب بأنه يعطى حسنات ويرفع درجات عوضا عن تكفير السيئات قوله يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من محرم كما هو ظاهر الأحاديث.

---

(43) هكذا جاء في الأصل.

4 - المسلسل بقول كل راو : إني أحبك فقل اللهم أعني على شكرك وذكرك الحديث.

قال عبد الحفيظ الفاسي :

وقال لي الشيخ أبو شعيب الدكالي إني أحبك فقل قال علي الصالحي قال لي منة الله الأزهري قال لي محمد الأمير قال لي علي السقاط قال عبد السلام التطواني قال محمد الفاسي قال لي أبو سالم العياشي قال لي يس المحلي قال هو والغيطي والعاقمي انا الحافظ جلال الدين السيوطي انا أبو الطيب أحمد بن محمد الحجازي الأديب سماعا انا قاضي القضاة مجد الدين اسماعيل بن إبراهيم الحنفي انا الحافظ أبو سعيد العلائي انا أحمد بن محمد الأزموي انا عبد الرحمان بن مكي وقال أبو سالم العياشي انا عبد القادر المحلي اني والدي جلال الدين اني والدي شمس الدين انا عبد الحق السنباطي انا ابن أسد انا شمس محمد ابن الجزري انا أبو بكر بن المحب وعيسى بن المطعم عن أبي الفضل الهمداني قال هو وابن مكي انا أبو طاهر السلفي انا محمد بن عبد الكريم انا أبو علي ابن شاذان وقال السلفي انا عبد السلام الأنصاري انا عبد الرحمان الحراني قال وابن شاذان انا أحمد بن سليمان النجاد انا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عمر بن مسلم حدثنا الحكم بن عبده حدثنا حيوة ابن شريح حدثنا عقبة ابن مسلم عن أبي عبد الرحمان الحبلي عن الصنانجي عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يا معاذ إني أحبك فقل اللهم أعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك قال الصنانجي قال لي معاذ وأنا أحبك فقل وهكذا قال كل واحد إلى أن وصل إلينا وهو صحيح متنا وتسلسلا كما صرح به السخاوي وغيره وقد رويناه بسند صحيح في سنن أبي داوود والنسائي بلفظ يا معاذ والله إني أحبك وأوصيك يامعاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فزادا فيه في دبر كل صلاة وزيادة الثقة مقبولة وقد أخرجه أيضا كذلك أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحهما وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وأخرجه ابن خزيمة وزاد على ما عندهم كما في الحصن الحصين لابن الجزري اللهم اغفر لي خطئي وعجزي اللهم اهدني لصالح الأعمال والأخلاق لا يهدني لصالحها إلا أنت ولا يصرف سيئها إلا أنت وفي رواية لابن خزيمة أيضا ذكرها ابن

الجزري في الحصن الكبير اللهم اغفر خطايا وذنوبي كلها اللهم انعشني واحيني وارزقني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت ونسبها لابن أبي شيبة والطبراني وابن السني قال شارح الحصن وذكره ابن القيم من رواية الحاكم عن أبي أيوب وقال صاحب التهذيب بعد ذكر رواية ابن السني ما نصه ورواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي أيوب ورواه الخوارزمي في دعوات النبي ﷺ وزاد فيه سمعت نبيكم يحلف ولا يستثني يقول لا يقول هذا الدعاء ليلا ولا نهارا إلا كان مومنا خالصا مغفورا له قال وفي معجم الطبراني هذا السياق انتهى كتاب شارح الحصن.

5 - المسلسل بالأمر بوضع اليد على الرأس عند آخر سورة الحشر :

قال عبد الحفيظ الفاسي :

وقرأت على **الشيخ أبي شعيب الدكالي** حفظه الله تعالى فلما وصلت إلى الآية المذكورة قال لي ضع يدك على رأسك فقد أخبرني أحمد بن عيسى النجدي عن محمد بن عبد الرحمان الأهدل عن والده عن الشيخ مرتضى عن محمد بن الطيب الشركي وهو محمد ابن عبد الله السجلماسي عن محمد بن عبد الرحمان الفاسي عن أبي سالم العياشي عن أبي مهدي عيسى الثعالبي عن عبد الكريم الفكرن الفلسطيني عن أبي زكرياء يحيى بن سليمان الأوراسي عن طاهر ابن زيان عن أحمد زروق الفاسي عن عبد الرحمان الثعالبي عن أبي القاسم البرزلي عن أبي الحسن البطريني عن محمد بن أبي القاسم اللبيري عن أحمد بن علي البلاطي عن أبي عمرو عثمان بن حسن بن علي بن دحية الكلبي عن أبي القاسم ابن بشكوال عن القاضي الشهير أبي علي الصوفي عن أبي منصور عبد الرحمان ابن محمد الفزاز وأبي الفضل أحمد الأصبهاني عن محمد بن علاء الدين البابلي عن علي الأجهوري عن عمر بن ألجاي عن الجلال السيوطي عن الحافظ ابن حجر عن عمر بن محمد بن أحمد بن سليمان عن العز محمد محمد بن إبراهيم بن أبي عمر عن الفخر علي بن البخاري عن أحمد بن طبرزد وعبد الرحمان بن علي البغدادي عن أبي منصور الفزاز عن أبي بكر أحمد ابن ثابت الخطيب البغدادي قال هو وأبو الفضل الحداد أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأنصاري الحافظ ثنا أبو الطيب محمد بن أحمد بن يوسف بن جعفر المقرئي

البغدادي يعرف بغلام ابن شنيبود ثنا ادريس بن عبد الكريم الحداد قال قرأت على خلف بن هشام قرأت على سليم بن عيسى قرأت على حمزة بن حبيب قرأت على الأعمش قرأت على يحيى بن وثاب قرأت على علقة والاسود قرأنا على عبد الله بن مسعود قال فإني قرأت على رسول الله ﷺ فلما بلغت هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإن جبريل لما نزل بها إلي قال لي ضع يدك على رأسك فإنها شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت حديث جليل أخرجه أبو نعيم والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد والديلمي في مسند الفردوس وابن الطيلسان في مسلسلات وابن حوط الله في مشيخته كلهم من طريق عبد الله بن مسعود وأخرجه الديلمي أيضا عن علي بن أبي طالب وقول الذهبي أنه حديث باطل وما في الاسناد منهم إلا شيخ أبي نعيم غلام بن شنبود فالآفة منه كما نقله عنه الحافظ السيوطي في ذيل الموضوعات حسبما في (ص 22) من المطبعة الهندية هو كلام مبني على غير أساس فقد تعقبه السيوطي في الذيل المذكور بإيراده من رواية الديلمي بسندين ياتي الأول منهما من طريق علي بن أبي طالب من غير طريق غلام ابن شنبود ونص الديلمي أنبأنا أبي أنبأنا الحسن بن محمد بن شادي الاسدبادي حدثنا أبي أبو عيسى شادي بن محمد ثنا أبو الحسين محمد بن أحمد الخطيب ثنا محمد بن جعفر الصائغ ببغداد ثنا الحسن بن جعفر القطان ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن يحيى بن مهران المقرئي ثنا أبو بكر أحمد بن الحسين ثنا محمد بن يحيى المقرئي قال قرأت القرآن على سليمان بن عيسى قرأت على حمزة بن حبيب فلما بلغت إلى قوله : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على يحيى بن وثاب فلما بلغت إلى هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على علقمة فلما بلغت إلى هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على ابن مسعود فلما بلغت إلى هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على رسول الله ﷺ فلما بلغت إلى هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على جبريل فقال لي ضع يدك على رأسك الديلمي قرأت القرآن بالسبع على والدي فلما بلغت إلى قوله : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ قال لي ضع يدك على رأسك فإنها دواء الصداع فإني قرأت على المطهر بن محمد بن جعفر فلما بلغت هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على علي بن شجاع الصقلي فلما بلغت إلى هذه الآية قال لي ضع يدك على

رأسك فإنها داء الصداع فإني قرأت على عبد الله بن محمد أحمد بن عبد الوهاب فلما بلغت هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإني قرأت على أبي الأشعث يعرب خيران ان قال قرأت على عبد الله بن يزيد الدقيقي قرأت على عبد الله بن سليمان الرقي قرأت على ابن زيد المقرئي قرأت على علي بن الفضل قرأت على حمزة بن حبيب قرأت على علي بن أبي طالب فلما بلغت إلى هذه الآية قال لي ضع يدك على رأسك فإنها دواء الصداع فإني قرأت على رسول الله ﷺ فقال : يا علي إذا صدع رأسك فضع يدك عليها واقرأ عليها آخر سورة الحشر، انتهى كلام الذيل، وسكوته عن رجال السندين يدل على سلامتهم من الطعن وبما نقلنا يتبين لك بطلان طعن الذهبي في الحديث المذكور بسبب الطعن في غلام ابن شنبود حيث روي الحديث بسندين من غير طريقه.

ج - أسانيد الشيخ الحديثية :

هذه الأسانيد مستخلصة من إجازة الشيخ لتلميذه العالم الأبر سيدي محمد المدني بن الحسني كما أوردها الأستاذ عبد الله الجراري رحمه الله في كتابه عن تلميذ الشيخ المذكور وهي كالتالي :

بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله العالي شأنه، العزيز سلطانه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرفوع الشأن، وعلى آله وأصحابه المبرزين العدول أهل الضبط والإتقان.

أما بعد :

فقد استجاز مني العصامي أدبا، العظامي نسبا، الفقيه الألمعي الشريف الذكي اللوذعي، سيدي ومولاي المدني ابن الحسني، وقد أجزته بكل ما يجوز عني روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول بشرطها عند أهلها، وبشرط أن يسهم لي من دعواته، في خلواته وجلواته، وأن يواظب على الإفادة والاستفادة وأن يحيي من سنة النبي ﷺ وعلى آله ما استطاع إحياءه، كما أجازني مشايخ جلة عدة : منهم الفاضل شيخ الإسلام سليم البشري، والفاضل الشيخ علي الصالحي، والأجل الشيخ عبد الله القدومي النابلسي، والفاضل الشيخ محمد الطيمومي، والشيخ الفاضل أحمد الرفاعي رحمهم الله ورضي عنهم.

سند الإمام البخاري :

وأروي صحيح البخاري عن المذكورين عدا النابلسي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير، عن الشيخ أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي، عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني، عن الشيخ يحيى بن مكرم ابن محب الدين الطبري، عن الشيخ محب الدين الطبري، عن محمد بن إبراهيم بن صدقة الدمشقي، عن الشيخ عبد الرحمان بن عبد الأول الفرعاني عن الشيخ محمد بن نصر بن شاذ بخت عن الشيخ يحيى بن عمار الختلاني، عن الشيخ محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

وأروي موطأ أبي عبد الله مالك ابن أنس إمام الأئمة، وإمام دار الهجرة عن الرفاعي والطمومي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن الشيخ محمد بن العربي السقاط، عن الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني، عن والده الشيخ عبد الباقي الزرقاني، عن الشيخ علي الجهوري، عن الشيخ محمد بن أحمد الرملي، عن الشيخ زكرياء الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن نجم الدين محمد ابن علي بن عقيل البالسي، عن محمد بن علي المكنى، عن محمد بن محمد الدلاصي، عن عبد العزيز بن عبد الوهاب بن اسماعيل، عن جده اسماعيل بن الطاهر، عن محمد ابن الوليد الطرطوشي، عن سليمان بن خلف الباجي، عن يونس بن عبد الله بن مغيث، عن أبي عيسى يحيى بن يحيى، عن عم أبيه عبيد الله ابن يحيى عن أبيه بن يحيى الليثمي.

سند صحيح الإمام مسلم :

وأروي صحيح الإمام مسلم عن الشيخ سليم والمذكورين في الموطأ عن الشيخ منة الله، عن العلامة الأمير، عن الشيخ محمد بن العربي السقاط عن الشيخ أحمد النخلي المالكي، عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي، عن الشيخ سالم السنهوري، عن نجم الدين الغيطي، عن الشيخ زكرياء الأنصاري، عن الحافظ أبي الفضل بن حجر، عن الشرف بن طاهر محمد بن محمد بن الوكيل عن أبي الفرج عبد الرحمان ابن عبد الحميد الحنبلي المقدسي، عن أبي العباس أحمد بن

عبد الدائم، عن محمد بن علي بن صدقة الحراني، عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل الفروي عن أبي الحسين عبد الظافر بن محمد الفاسي، عن أبي أحمد محمد بن عيسى الجلودي عن أبي اسحاق إبراهيم بن سفيان.

سند الجامع للترمذي والشمائل :

وأروي الجامع للترمذي والشمائل له عن الشيخ محمد الطمومي، والشيخ الصالحي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير، عن الشيخ أبي الحسن الصعيدي، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي، عن الشيخ صفي الدين القشاشي، عن الشيخ أحمد بن علي الشناوي، عن والده الشيخ علي، عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني، عن الشيخ زكرياء الأنصاري، عن زين الدين المراغي، عن اسماعيل بن إبراهيم الجبرتي، عن عمر بن علي، عن محيي الدين بن عربي، عن عبد الوهاب بن علي ابن سكينة البغدادي، عن أبي الفتح عبد الملك بن عبد الرحمان الكرخي، عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الله الأنصاري عن عبد الله الأنصاري، عن عبد الجبار الجراحي، عن محمد بن محبوب، عن الإمام الترمذي.

وأروي سنن أبي داوود عنهم جميعهم عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير، عن الشيخ الحنفي، عن العلامة البديري، عن الشيخ إبراهيم الكردي، عن صفي الدين القشاشي عن شيخ زكرياء الأنصاري، عن عز الدين بن الفرات، عن أبي حفص عمر بن الحسن المراغي، عن الفخر علي بن أحمد عن أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي، عن الشيخين إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي، وأبي الفتح مفلح بن أحمد الدومي كليهما عن الإمام أبي بكر الخطيب البغدادي، عن أبي عمر القاسم بن جعفر الهاشمي اللؤلؤي عن مؤلفها.

سند السنن الصغرى للنسائي :

وأما السنن الصغرى للنسائي فأرويها عن الشيخ سليم عن الشيخ منة الله عن الغلامة الأمير، عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي، عن الشيخ حسن بن علي العجيمي، عن الشيخ أحمد بن العجل اليمني، عن الشيخ يحيى بن مكرم الطبري عن عبد العزيز بن فهد، عن محمد بن محمد بن عبد الله الزفتاوي، عن اسماعيل ابن إبراهيم الكناني الحنفي، عن محمد بن اسماعيل الأيوبي، عن شاكر الله بن

غلام الله، عن الصفي عبد العزيز بن باقع، عن الحافظ أبي زرعة المقدسي، عن عبد الرحمان بن أحمد، عن أحمد ابن الحسن الكسار، عن أبي السنى عن مؤلفها.

سند سنن ابن ماجة :

وأما سنن ابن باجة فعن الشيخ سليم البشري، والرفاعي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير، عن أبي الحسن الصعيدي، عن أبي عقيلة، عن العجيمي عن ابن العجل اليمني، عن يحيى بن مكرم عن جده محب الدين الطبري، عن عزالدين المراغي، عن أبي العباس الحجار، عن عبد اللطيف بن محمد، عن الحافظ أبي زرعة المقدسي، عن أبي منصور المقدسي، عن القاسم بن أبي المنذر، عن أبي الحسن علي بن إبراهيم القطان، عن مؤلفها.

سند سائر المسلسلات :

وأروي سائر المسلسلات عن الشيخ أحمد الرفاعي، عن الشيخ منة الله، عن العلامة الأمير، عن شيوخه المذكورين في ثبته، وعن الشيخ عبد الله القدومي النابلسي، عن الشيخ حسن بن عمر الشطي، عن الشيخ عبد الرحمان الكزبري عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري، عن شيوخه المذكورين في ثبته.

وأوصي نفسي والمجاز المذكور بتقوى الله في السر والعلن وأن يخفض جناحه للمستفيد في كل وقت وعلى الله الاتكال.

وكتب لها أبو شعيب بن عبد الرحمان الصديقي الدكالي في سبعة من رجب عام ثمانية وثلاثين وثلاث مائة وألف. انتهى من خطه رضي الله عنه بواسطة.

اتصال سند المؤلف بأسانيد الشيخ أبي شعيب الدكالي :

أنا العبد الفقير إلى الله في علمه وفي جميع أحواله محمد بن شعيب رياض، كان قد أجازني كتابة الشيخ سيدي محمد المنوني المكناسي علامة المغرب المشارك رحمه الله بأسانيده الحديثية عن شيخه العالم الواعية الأديب الأريب الشيخ سيدي محمد المدني بن الحسني طيب الله ثراه عن شيخه شيخ الإسلام سيدي أبي شعيب الدكالي أكرم الله مثواه.

وبذلك يتصل سندي بأسانيد الشيخ أبي شعيب الدكالي بواسطتين.

وهذا نص إجازة سيدي محمد المنوني للمؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فإن العالم القاضي، ثم الأستاذ الجامعي : د. محمد بن شعيب (رياض) المعاشي، بعد أن أحرز على دكتوراة الدولة في العلوم الإسلامية من دار الحديث الحسنية، دفعته همته التواقة للمزيد، أن يضيف لشهاداته الجامعية، إجازة علمية أثرية، اقتداء بالشيوخ من أعلام المحدثين، وإحياء لسيرتهم في التهمم بالرواية بعد الدراية، وبذلك حفزه حسن ظنه وموفور تواضعه، أن يستجيزني على ضآلة ما تبقى من هذا الشأن، إلا على سبيل التيمن والتعلل بالرسوم بعد ذهاب الآثار.

وفي هذا المساق، ونزولا عند رغبة المستجيز الفاضل، أسمعته - أولا - حديث الرحمة المسلسل بالأولية : «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، بأسانيده - عن عدة مشايخ - المبسوطة في «سفر الإجازات»، المرفق بهذه العجالة، ثم قلت، وعلى الباري سبحانه توكلت :

قد أجزت (الشيخ محمد رياض) بما لي من المقروءات الموضحة في الكراسة المرفقة، مع ما لي من المرويات سماعاً في أقلها، وعن طريق الإجازة من أعلام المغرب، والمشرق، وتونس، والجزائر في أكثرها، حسب نصوصها في «سفر الاجازات» المشار إليه وشيكا :

إجازة عامة، مطلقة، تامة، بشرط ذلك المعتبر عند أهل الحديث والأثر، وناولته - مع ذلك - «سفر الإجازات»، وكراسة المقروءات، موصياً إياه أن تكون همته الكبرى هي الدراية، فهي مقصد الأواخر والأوائل، والأسانيد لها إنما هي وسائل. راغباً منه أن لا ينساني من دعواته، في خلواته وجلواته في محياي ومماتي، ودنياي وآخرتي.

والله - سبحانه - يبلغه من العلم والعمل به غاية مبتغاه، ويسلك بي وبه والمسلمين أحسن المسالك، ويختم لنا بالحسنى، ويجعلنا من أهل المقر الأسنى، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

قاله بفمه، ورقمه بقلمه : المستغفر لمولاه، وراجي عفوه وستره ورضاه، محمد بن عبد الهادي المنوني لطف الله به، بتاريخ ليلة الخميس 26 رجب 1415، الموافق 29 دجنبر 1994.

وجاء في إجازة سيدي محمد المدني بن الحسني لسيدي محمد المنوني، ديباجتها كالتالي :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أجازنا من نعمه بأكمل إجازة، وأبان لنا منهاج الهدى الواضح ومجازه، حمداً يستغرق صدور الثناء الجم وإعجازه، وحقيقة القول ومجازه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي رفع الله به سند الحق إلى الأوج الأعلى بل جازه، وفضله فكان ديباجة الكون وطرازه، أفضل مرسل وأجل من به يتوصل ويتوسل.

النبي الأمي أعلم من أسـ نـد عنه الرواة والحكماء

وعلى آله الذين نالوا بشرف الانتساب إليه القرب والمفازة، وحازوا بصحة الاتصال به كل سحيق من المعارج والمعارف وقطعوا كل مفازة، وعلى أصحابه الذين نقلوا لنا معجزه وإعجازه، واجتباه مولاه وإياه واعظامه واعزاره وعلى اتباعهم الاعلام الاعلام أئمة الاسلام خلاصة أسماء الرجال المتحلين بتذهيب تهذيب الكمال، فذلكة الحساب وميزان الاعتدال لأولي الألباب، المستمدين من فتح الباري، فيض فضله الجاري، الرحمة الغيثية، وأصحاب المواهب اللدنية، نخبة الفكر، وعيون الأثر، بما كان لهم من يد في تسديد القوس والاصابة، وتبصير المنتبه من أهل النجابة، وما نظموه من الدر المنثور، على الخلاصة والجمهور، وتعريف أهل التقديس، بما يوجد توالي التأنيس، مما كان عمدة ومعونة القاري. وهدايا وارشاد الساري، حتى فاز المسترشدون بهم مع المقاصد الحسنة بنيل الأوطار، من أسرار منتقى الأخبار، صلاة وسلاما يدومان على التأييد، ما اتصلت المرويات بالأسانيد، ورنحت عَذبات البان ريح صبا، وارتاح مومن موفق لأهل الحديث وصبا، فأذهب الله عنه حزنا وهما وغما ووضرا وصبا.

أهل الحديث هم أهل النبي وإن لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا

أما بعد، فإنك أيها الأخ الفاضل الأديب العلامة المؤرخ المطلع البحاثة الصابر في سبيل الله على المحنة، المتطلع للحديث النبوي والسنة، الفقيه المدرس بمعهد مكناس.

لـلّـه مـكناس في حسن وإحسـان يـرنـو لـهـا كل إنسـان بـإنسـان

إلى آخرها كما في تاريخها الزيداني مجلد 1، الشريف الغطريف سيدي محمد بن عبد الوهاب المنوني كنت بمنزلي، واقترحت إجازة تامة إلخ...

فأقول قد أجزتك أيها السيد في كل ما يصح لي وعني روايته أو ثبتت لي درايته من منقول ومعقول وأصول وفروع ومقروء ومسموع من الموطأ والصحيحين والسنن الأربع وغيرها إذنا تاماً مطلقاً عاما على أن عليه في ذلك أن يتثبت في النقل والفهم، وأن يخلص لله تعالى في العلم، وأن يقول فيما لا يدري لا أدري ! الخ...

وجاء في آخر هذه الإجازة وهي طويلة :

وكتبه عن ضعف عافاكم الله، وألم ألم مسلما عليكم وعلى كل مسلم مسلم علينا، ومجيزاً لكم بكل ما تقدم وبكل ما نتصل به مع طلب صالح دعائكم، وفي صباح الأحد 12 جمادى الثانية عام 1376هـ، محمد المدني بن الغازي ابن الحسني حسن الله عاقبته، ومنحه تقواه ومراقبته آمين.

كما يتصل سند المؤلف بواسطة سيدي محمد المنوني بأسانيد كل من الشيخ محمد عبد الحي الكتاني، والعالم المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان، والشيخ المبدع محمد السائح، والشيخ عبد الحفيظ الفاسي(44).

وبأسانيد كل من الشيخ الفاضل أبي أويس محمد بن الأمين أبي خبزة الحسني التطواني حفظه الله الذي أجازني كتابة :

وبأسانيد العالم الأجل سيدي رافع علي السباعي الذي أجزت منه كتابة.

وبأسانيد العالم الفاضل سيدي محمد عماد الدين المراكشي تولاه الله بلطفه وإحسانه الذي تفضل بالإجازة أيضا كتابة.

(44) انظر فهرسته المسماة «بالاسعاد بمهمات الإسناد»، المطبوعة عام 1357هـ / 1938م بالمطبعة الوطنية بالرباط.

وبأسانيد الشيخ القاضي رشيد المصلوت رحمه الله الذي أجازني مشافهة نظراً لكبر سنه وطول مرضه آنذاك.

وبأسانيد العالم الأود الحاج محمد الحبيب الناصري الشرقاوي رئيس المجلس العلمي لجهة الشاوية ورديغة - سطات الذي كتب لي إجازة علمية مطلقة حفظه الله وأكرمه في الدنيا والآخرة.

رابعاً : آثار أخرى مختلفة للشيخ :

تتضمن هذه الآثار ما يلي :

1 - **إجازة الشيخ أبي شعيب الدكالي** لسيدي أحمد بلخياط.

2 - **صورة من كتاب للشيخ** عن حياته بخطه.

3 - **صورة من إجازة الشيخ للأستاذ محمد داود التطواني** صاحب تاريخ تطوان وغيره من الكتب.

4 - **صورة من فتوى الشيخ** حول حديث نبوي.

1 - إجازة الشيخ أبي شعيب الدكالي لسيدي أحمد بلخياط[45] :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما بعد حمد الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، فقد طلب مني العلامة الفاضل ملحق الأواخر بالأوائل، محرر العقول والمنقول والفروع والأصول، الورع الناسك، البركة الملحوظ من الخاص والعام بالإجلال في السكون والحركة مولانا الشيخ سيدي أحمد بلخياط أن تجيزه بسندنا في الموطأ وفي الخطيب الشربيني وهو رضي الله عنه استسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، و انشدناه : (ما نسب المعلى إلى كرم) فما زاده ذلك إلا حثا لحسن الظن، شأن أمثاله، فأجزته مع أني بشهادة الله لا أستحق أن أجاز من تلامذتي فما بالك به :

فلست بأهل أن أجاز فكيف أن أجيز ولكن الحقائق قد تخفى

(45) شيخ الجماعة بفاس وآخر علماء السلف بها، جاء في اتحاف المطالع عنه : الشيخ الإمام، عِلم الأعلام، العلامة الهمام، الحجة النظار الخ، توفي عام 1343هـ، انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 2941 وما يليها.

وامتثالا لأمره فإني أروي الموطأ برواية يحيى عن شيخنا الشيخ سليم البشري عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن الشيخ السقاط عن شارحه محمد بن عبد الباقي الزرقاني عن والده عن الأجهري عن الشيخ محمد بن أحمد الرملي عن الشيخ زكريا الأنصاري عن الحافظ بن حجر العسقلاني عن محمد بن علي بن عقيل البالسي عن الشيخ محمد بن محمد المكني عن الشيخ محمد بن محمد الدلاصي عن الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم بن اسماعيل عن جده اسماعيل بن طاهر عن محمد بن الوليد الطرطوشي عن سليمان بن خلف الباجي عن يونس بن عبد الله بن مغيث عن أبي عيسى يحيى بن يحيى عن عم أبيه عبير الله قال : بسم الله الرحمن الرحيم كتاب وقوت الصلاة حدثنا يحيى قال حدثنا مالك الخ وبرواية محمد بن الحسن الشيباني عن عدة مشايخ منهم الشيخ أحمد الرفاعي عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن أبي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن حسن ابن علي العجيمي عن خير الدين الرملي عن أحمد بن أمين الدين عن والده أمين الدين بن عبد العال الجنلاطي عن سري الدين بن عبد البر عن محب الدين بن الشحنة عن أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي عن العلامة محمد بن محمد السخاوي المعروف بقوام الدين عن حسام الدين السقناقي عن محمد بن محمد بن نصر النسفي عن محمد بن عبد الستار الكردي عن برهان الدين المطرزي عن موفق الدين المكي عن الزمخشري عن الحسين بن محمد خسرو عن علي بن الحسين بن أيوب عن عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب عن محمد بن أحمد بن الحسن الصواف عن بشر بن موسى بن صالح الأسدي عن أحمد بن أحمد بن محمد بن مهران قال أخبرنا الإمام محمد بن الحسن الشيباني قال حدثنا إمام دار الهجرة مالك بن أنس الخ وأما تفسير الخطيب الشربيني فعن الشيخ علي الصالحي والشيخ أحمد الرفاعي عن الشيخ السقا عن شهاب الدين الجوهري عن عبد الله بن سالم البصري عن الشيخ صفي الدين القشاش عن أبي المواهب أحمد الشناوي عن الشهاب أحمد بن زين الدين الخطيب عن المؤلف وأني إلى الله أضرع وبنبيه أتشفع أن يسلك بنا مسلك النجاة وأن يلهمنا رشدنا ويصلحنا ويصلح بنا وينصر سلطاننا ويؤمن أوطاننا إنه على كل شيء قدير تحريراً في 15 ربيع الثاني عام 1327.

خطيب البلد الحرام

شعيب بن عبد الرحمن الدكالي المكي

م الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله اما بعد حمد الله والصلوة على رسول الله صلى الله
يه وعلى آله فقد طلب مني العلامة الفاضل ملحق الاواخر بالاوائل محرر المعقول والمنقول والفروع
والاصول الورع الناسك البركة المحفوظ من الخاص والعام بالاجلال في السكون والحركة مولينا الشيخ
د احمد بن الخياط ان نجيزه بسندنا في الموطا وفي الخطيب الشربيني وصدر رضي الله عنه [illegible] استسمن
ورم ونفخ في غير ضرم وانشد لنا ما نسب العلى الى كرم مما زاده ذلك الا حسنا فحسن الظن فان
الله فاجزته مع اني بشهادة الله استحق ان اجازه تلامذته فما بالك بمن هو شيخي فلست باهل ان اجاز فكيف
اجيز ولاكن الحقايق قد تختفي امتثالا للامر واني اروي الموطا برواية يحيى عن شيخنا الشيخ
ليم البشري عن الشيخ منة الله عن العلامة الامير عن الشيخ السقاط عن شارحه محمد بن عبد الباقي
زرقاني عن والده عن الاجهوري عن الشيخ محمد بن احمد الرملي عن الشيخ زكريا الانصاري عن
الحافظ بن حجر العسقلاني عن محمد بن علي بن عقيل البالسي عن الشيخ محمد بن محمد المكناسي عن
شيخ محمد بن احمد الدلاصي عن الشيخ عبد العزيز بن محمد ابي القسم بن اسمعيل عن جده اسمعيل بن طاهر
محمد بن الوليد الطرطوشي عن سليمان بن خلف الباجي عن يونس بن عبد الله بن مغيث عن ابي
يسى يحيى بن يحيى عن عم ابيه عبيد الله قال بسم الله الرحمن الرحيم كتاب وقوت الصلوة حدثنا يحيى
ل حدثنا مالك الخ وبرواية محمد بن الحسن الشيباني عن عدة مشايخ منهم الشيخ احمد الرفاعي عن
شيخ منة الله عن العلامة الامير عن ابي الحسن الصعيدي عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن [illegible]
بن علي العجيمي عن خير الدين الرملي عن احمد بن امين الدين عن والده امين الدين بن عبد العال الحنفي
سري الدين بن عبد البر عن محب الدين بن الشحنة عن اكمل الدين محمد بن محمد البابرتي عن العلامة محمد بن محمد
سغاوي المعروف بقوام الدين عن حسام الدين السغناقي عن محمد بن محمد بن نصر النسفي عن محمد بن عبد
ستار الكردي عن برهان الدين المرغيناني عن موفق الدين المكي عن الزمخشري عن الحسين بن محمد
علي بن الحسين بن ايوب عن عبد الغفار بن محمد بن جعفر المؤدب عن محمد بن احمد بن الحسن الصواف
بشر بن موسى بن صالح الاسدي عن احمد بن احمد بن محمد بن مهران قال اخبرنا الامام محمد بن
حسن الشيباني قال حدثنا امام دار الهجرة مالك بن انس الخ واما تفسير الخطيب الشربيني
عن الشيخ علي الصالحي والشيخ احمد الرفاعي عن الشيخ السقا عن شهاب الدين الجوهري عن
بن سالم البصري عن الشيخ صفي الدين القشاشي عن ابي المواهب احمد الشناوي عن
شهاب احمد بن زين الدين الخطيب عن المولف واني الى الله اضرع وبنبيه اتشفع ان يسلك بنا
سلك النجاة وان يلهمنا رشدنا ويصلحنا ويصلح بنا وينصر سلطاننا ويؤمن اوطاننا انه على
كل شيء قدير تحريرا في ١٥ ربيع الثاني عام ١٣٠٧

خطيب البلد الحرام
شعيب بن عبد الرحمن
الدكالي
المكي

وثيقة إجازة الشيخ سيدي أحمد بلخياط

الحمد لله

ايها العالم الفاضل السائل عن نفسه وتكراره
فاعلم اصلح الله حالي وحالك ومن ...
وفقك الله ان جدتي ... عبد العزيز بن الصديق
كانت له ربيبة وكان يحبها كثيرا ثم
الكثيرات ورغب من اولاده واولاد اخيه
ان يتزوجوها فأبوا عليه فعزم على
والد اخي وقال له تزوجها ولك اربع
اربع مزروعة لنا نخلة وقال الخيرة النخلة
للنفعة لا تحتاج الى حوز فقال لا تزوجها
وتحليني رضاك فقال له اذا رضيت والده فلا
نخلة ونستلد لكم ما ذكرته وانت تتزوجه
فولدت اولادا فهل نحن نحلة بعد موت
الجد فرغب اعمامي ان تتزوج عليها

وثيقة للتدليل على خط الشيخ

MOUSSA DOUKKALI
AVENUE DE TEMARA
RABAT

LE 193

جبل غدقن ولكنا في ليلة دخولنا الى الخلاء

ان احد اخواني يسمى ابا الشعيب وكان علامة

ورأيت اذ ذاك [illegible] كبيضة حمراء فيها كسوف

من الزحل [illegible] الذهب و بيضة

اخرى وضية فتأول الشيخ هذه الرؤيا فقال اما

البيضة الحمراء فهي زينب [illegible] والكسوف

اولادها والذهب [illegible] لك [illegible]

[illegible] واما البيضة الفضة وهي زينب

[illegible] لك واما [illegible]

[illegible] ابا شعيب [illegible]

في كبرها [illegible] ولدت زينب [illegible] الكبير ولم

تلد [illegible] ~~جبلا ووصلت الى [illegible] التعليم~~

وكانت ولادتي يوم الخامس والعشرين

من ذي القعدة عام 12 [illegible] جبلا ووصلت الى

سن التعلم اخذني [illegible] وكان

يقول له انها دعوة والده [illegible]

[illegible] الغزوان [illegible]

على الموت وتوفي رحمه الله [illegible]

وثيقة للتدليل على خط الشيخ

ثم صحبت الشيخ عن شيخي المذكور وفقيه سيدي
محمد بن المعاشي وهو معلم اولاد وقد ادركت عمري
فيه ذلك قبل ثلاثة اعوام ثم اخذت العلم
عن عمي سيدي محمد بن عبد الغني الصديقي وعن
ولد عمي له سيدي عبد الرحمان الفقيه الصديقي
وعن ولد عمي سيدي محمد بن عزوز وولد عمي سيدي
الطاهر فلا غنى من الكتب اخرا وللعلماء [illegible]
من اهل العلم والصلاح والمروءة كما اخذت
عن الفقيه السيد الطاهر بن فضول العربي الدكالي
وكان عمل [illegible] ان كثروا عن نسبل وربما
ضرب الصغار [illegible] على اوعليه وان جلهم تحفيظ
الحكم العدلي [illegible]
ولما كانت نشأة كمالية وعلى الصلحاء مولاي
المهدي من يحفظ مختصر الشيخ خليل [illegible]
لم [illegible] المناسب [illegible]

وثيقة للتدليل على خط الشيخ

MOUSSA DOUKKALI
AVENUE DE TEMARA
RABAT

LE 193

في يد الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي ثم
قال لي هل تحفظ القرآن فقلت نعم بالسبع
فاحضر من يعرفها وقال لي اقرأ فقرأت لبسم الله
الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن بالقراءات
وكان الوزير انما عنيت ذلك وان الرحمن علمني
مع الصغر ثم ادخلت على السلطان مولاي الحسن
فقال لي اعرب الرحمن علم فاعربتها فقال
لي انت فقيه ولست نحوي فقلت انا اعلم بالنحو
مني بالفقه ولكني بمنزلة قول الشاعر
يداك يد خيرها يرتجى واخرى لاعدائها غائظة
فتعجب بعض الحاضرين وقال اذا انت لعاجل
لسيرنا فقلت ومصدق هو يحتمل لذا والذي
لاجله اتيناهم ويتكلم في الكلمات فضحك
السلطان كثيرا وادام في مجلسي وكسوتي
والآن الترقيم بها عندنا ونصه يطلب عنه
لا في مغيب المغرب وكبيرهم ثم بعد هذا كله
رحلت الى الريف ثم الى مصر فاخذت عن
الشيخ علي الببلاوي والشيخ ... البجيرمي والشيخ

وثيقة للتدليل على خط الشيخ

أحمد الرفاعي والشيخ محمد الطموهي والشيخ سليم البشري
والشيخ محمد بخيت والشيخ يوسف عمرين في الأزهر وغيرهم
وإجازة الكثير لعلماء وقت بجملة منها وجد الله من أهل
اليمن وأهل الشام وأهل العراق وأهل الهند إلخ.

وثيقة للتدليل على خط الشيخ

الحمد لله الذي نضر وجوه أهل الحديث وحسن ذكرهم وصحح بفضله بدءهم ورفع
ضدهم ورفع قدرهم من القديم والحديث والصلاة والسلام على نبينا محمد
معنعن المجد ابلج عن جده وعلى آله وأصحابه ذوي المجد أما بعد فقد استجاز
مني الشاب اللامعي الشكعة الحيي سيدي محمد داوود التطواني فأجزته بكل
ما أرويه وأدريه وقد رويت البخاري عن عدة مشايخ منهم الشيخ ابن الحسن الزعيمي
البنا عن الشيخ منة الله عن العلامة الأمير عن الشيخ ابن
عن الشيخ محمد بن عقيلة المكي عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن الشيخ
أحمد بن العجل اليمني عن يحيى بن مكرم بن محب الدين الطبري عن الشيخ محمد
أبي إبراهيم بن صدقة الدمشقي عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد الأول البغدادي
عن الشيخ محمد بن نصر بن سلطان الحنفي عن الشيخ يحيى بن عمار الختلاني عن
الشيخ محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن أبي عبد الله البخاري كما أرويه غيره
من الكتب الستة وموطأ الإمام ومسند أحمد وغيره وإجازة عن الشيخ محمد
الكتاني والشيخ علي الصالحي والشيخ أحمد الدرقاوي عن الشيخ منة
الله عن العلامة الأمير إلى آخر ما ذكر في سنده وأرجو أن يقول
لا أدري فيما لا يدري وأن يسعى لي بصالح دعواته في خلواته وجلواته
والله الموفق وكتب أبو طاهر الشامي والعشرين من شوال سنة تسعة
وثلاثين وثلاثمائة وألف أبو شعيب الدكالي
وفقه الله

وثيقة كنموذج لإجازة الشيخ للأستاذ محمد داود التطواني

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

أخانا الفقيه العلامة سيدي أبا شعيب [illegible] وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله
عن خير سيدنا المنصور بالله أما بعد فقد وصل كتابكم الأعز الأول والثاني أما فضل
بالكم فإنها جارية فلا تعجلوا وعليكم بالتأني والصبر واعتنوا بها
وأما الحديث الذي سألتم عنه فابن الحجر صاحب البردة ليس أبوه إبراهيم
وإنما أبوه صالح وكنيته [illegible] هو وعنه البخاري والحديث ليس في البخاري
لا عنه ولا عن غيره بل الحديث في أبي داود وذكره البخاري تعليقا مضعفا له
بلفظ ويذكر أن عمرو بن العاص أجنب في ليلة باردة فتيمم [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنفه وفي أبي داود أن عمرو بن العاص كان أميرا
على غزوة ذات السلاسل فأجنب في ليلة باردة فتيمم وصلى بهم فلما رجعوا
ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عمرو أصليت بهم وأنت جنب
فقال سمعت الله يقول ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما اه فضحك ولم يعنفه
فعلى هذا الحديث والقول بالوضوء ضعيف [illegible] وفي البخاري أن النبي
قال للجنب عليك بالصعيد فإنه وضوء المسلم وعلى ذلك القول الضعيف
فهو كالمتيمم والله أعلم في 23 صفر الخير عام 1338

أبو شعيب الدكالي
وفقه الله

تنبيه ما نقله من أن الجنب
إذا عجز عن الغسل تيمم
هو المعروف في المذهب
وذكر في الإكمال عن أحمد بن
[illegible] المعروف [illegible]
[illegible] من أصحاب [illegible]
أن من خاف [illegible] تيمم [illegible]
من الغسل أجزأه [illegible]
[illegible] عمرو بن العاص [illegible]
[illegible] في شرحي المدونة والرسالة

وثيقة كنموذج على خط الشيخ

خامساً : نماذج من أحكام قضائية للشيخ :

اقتصرنا على بعض النماذج هنا من أحكام الشيخ القضائية، وإلا فقد جمع الأستاذ المحامي الفرنسي لوي ميو (Louis Milliot) جملة صالحة من أحكام الشيخ بالمجلس الاستينافي الشرعي الأعلى، وقام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية والتعليق عليها، وهي مطبوعة في ثلاثة أجزاء، طبعت بباريز عام 1920[46].

ونورد هذه النماذج القضائية كالتالي :

أ - حكم في قضية الكريمات ببلاد الشياظمة[47] :

كان الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله ورضى عنه قد أتاه الباشا الحاج التهامي الكلاوي والقايد خبان إلى محل سكناه بزنقة سيدي فاتح بالرباط عندما كان وزيرا للعدل والاستيناف، وأتيا بمال كثير من السكة الحسنية وقالا له هذه هدية للعلم الشريف فما كان من شيمه العالية رحمة الله عليه، إلا أنه ردها عليهما وقال لهما أما الآن فتعتبر رشوة وبعد الحكم تكون هدية، والقضية هي أنهما أدليا باستمرار عدله على أرض بالكريمات تقدر مساحتها بثمانية الاف هكتار وكان الاستعمار الفرنسي واعدهم بألفي هكتار لكل واحد منهما وأربعة آلاف هكتار الباقية يوزعها على المعمرين كعادته.

ووكلت القبيلة عليها رجلا يدعى الحاج قاسم الشيظمي وأتوا باستمرار لفيفي فرجح رحمه الله اجتهاداً منه الاستمرار اللفيفي على العدلي، فما كان من الفرنسيين إلا أن سارعوا قبل أن يمضي جلالة الملك الحكم وطلبوا منه أن يستقيل من الاستئناف، وتبقى له وزارة العدل فقط، وجاؤوا بالسيد أحمد بن المواز من فاس وأعطوا له للاستيناف، وأهدى له الباشا والقايد سيارة فخمة تدعى (المنيرفا).

وعند دخول الشيخ رحمه الله بباب دار المخزن وجد (المنيرفا) واقفة فأخبره بعض المخازنية بأنها للسيد أحمد بن المواز فقام السيد أحمد بن المواز ليسلم عليه فقال له يا أخي أحمد إن الله لم يذكر (منيرفا) في المرور على الصراط وإنما

---

(46) يسر الله لمن يعتني بها ويخرجها إلى الوجود وقد بلغني أنها توجد هذه الأجزاء بخزانة وزارة العدل بالرباط وبجامعة السوربون بباريز، والخزانة العامة الفرنسية، ومركز مالر بخزانة البحري الإفريقية.

(47) ورد ملخص هذه القضية في لفظ اللفيف من معلمة المغرب، ج 20، ص 6890.

المذكور هو مرور الخليقة على الصراط، ثم ذهب السيد أحمد بن المواز إلى فاس وكان الحكم إذ ذاك مكتوبا الذي قدم فيها الاستمرار اللفيفي على العدلي وقال رضوان الله عليه قدمت اللفيفي على العدلي لأن القواد لهم جاه ويستطيعون أن ياتوا بجميع العدول ليشهدوا لهم، وجعل في خاتمة الحكم والله يحاسب من بدل أو غير هـ.

فمات السيد أحمد بن المواز بفاس ولم يصدر منه حكم ثم تقلد بعد أن استقال الشيخ أبو شعيب وزارة العدل والاستيناف، وجاء عند الشيخ الإمام متسائلا باستغراب كيف آثر الاستمرار اللفيفي على الاستمرار العدلي، فأجابه الشيخ الإمام قائلا لقد اجتهدت لعلمي أن الاستمرار العدلي قد كتب تحت ضغط حاكمين متسلطين تسندهما سلطة الحماية لإفقار قبائل مسلمة وإني أخشى من عذاب الله وأن أكون من القاضيين الذين كتب لهما النار وكان الشيخ عبد الرحمن بن القرشي معروفا بصوفيته ونزاهته رحمه الله، فدخل عنه جلالة الملك المولى يوسف يقول مولاي لقد تبرأ إلى الله الشيخ أبو شعيب الدكالي وأراد أن يكون مفرد الثلاثة والله لا أستطيع أن أؤيد بالحكم لهما، ولذلك فأنا أضم صوتي إلى الشيخ أبي شعيب. وأمضى الملك الصالح المولى يوسف الحكم هـ[48].

ب - حكم الشيخ في قضية حبسية :

الحمد لله وحده مضمن القضية المرفوعة للمجلس الأعلى بالحضرة الشريفة بعدد 258 الصادر الحكم فيها من قاضي الصويرة ادعاء المرابط السيد الحاج محمد بن سيدي الحاج علي بن عبدان بن علال الاكراتي أصلا الآسفي مقاما، الحاضر وقت الادعاء بالثغر الصويري على ابن عمه الفقيه السيد محمد ابن سيدي عبد الله الطاهر بن عبدان المذكوران المدعى عليه ترامى للمدعي على ملكه الكائن بالشياظمة المسمى بالدالية المحدود قبلة ملك ورثة السيد عمر الاكراتي وجوفا طريق السبت وجنوبا دالية السيد عمر الأكراتي وشمالا الملك الذي خرج في حظ عمهم السيد أحمد من الملك المسمى بالدالية المذكور واستيلاؤه في أوائل جمادى الأخيرة المنصرم قبل شهر تاريخه، طالبا منه بيان وجه ترامیه مع أن المدعي كان ينصرف في ملكه المذكور بأنواع التصرفات الاطلاقية، بالحرث

(48) ورد ملخص هذا الحكم بخط ابن الشيخ سيدي أحمد رحمه الله.

والاستغلال وادخال الشركاء واخراجهم مدة من نحو سبعة أعوام على عين المدعي عليه، وحضوره وهو ساكت طوال المدة المذكورة إلى أن ترامى في الشهر المذكور وطالبا منه أيضا إحضار رسم تحبيس جدهم سيدي علي بن عبد الله الاكراتي جميع أملاكه على أعقابه الذكور دون الإناث الذي يزعم المدعى عليه أنه تحت يده في 11 رجب عام 1335 وفيه أيضا أجل القاضي المدعى عليه للجواب عن المقال ثلاثة أيام وفي 19 منه أجاب المدعى عليه بأن الملك المسمى بالدالية المدعى به ملك له وفي حوزته وتصرفه منذ ورثه من والده سيدي عبد الله المذكور ووالده هو الذي أحياه وطوعه وتصرف فيه مدة تزيد على أربعين عاما إلى أن خلفه ميراثا له وصار يتصرف فيه مثل تصرفه إلى أن تغلب عليه المدعي المذكور سنة 1329 وفي 16 شعبان عام 31 قام المدعى عليه على المدعي وحكما في ذلك السيد محمد بن محمد البوطرطيشي فامتنع المدعي من قبول الحكم إذ ذاك فرفعه لمجلس الشرع المطاع بالصويرة فتعصب فسكت عنه مدة ثم قام عليه ثالثا هذه مدة من عامين سلفت واتصلت بتاريخه فلاذ المدعي بالتاجر السيد العربي بن الطاهر المسكالي الصويري والفقيه ولد الدمناتي وخرج معه الثاني لدار القايد السيد العربي خبان وتشفع فيه لذا القاضي المذكور فأمر القائد المدعى عليه وقته بالسكوت فسكت إذ لم يجد بدأ من امتثال الأمر والملك الآن في حوزته وتصرفه ورسم التحبيس هو عنده وتحت يده وفي 29 ربيع الثاني عام 36 بمحضر المتداعيين أجل القاضي المدعى عليه 6 أيام لاحضار رسم تحبيس جدهما سيدي علي المذكور من أولاده دون الإناث املاكا بالبادية وفي 6 جمادى الأولى عام 36 أحضر المدعى عليه الرسم المذكور وفيه أيضا حكم على المدعى عليه باعطائه المدعى نسخة منه وفي 10 منه بعدما حضر المتداعيان لذا مجلس القاضي وذكر المدعي أنه بعدما أخذ من رسم الحبس المذكور النسخة والفي به ما نصه تحبيس أجداده في الملتزق أعلاه على الذكور دون الإناث وطلب من المدعى عليه احضار الرسم الذي أشير له فأجابه المدعى عليه أن الرسم الذي أشير له تحت يده فأمره القاضي باحضاره في الساعة 4 من يوم تاريخه فالتزم ذلك، وفي 16 منه حضر المتداعيان بمجلس القاضي وأحضر المدعى عليه الرسم المكلف باحضاره وسرد على المدعي وألفاه لفيفية بالسماع تضمنت تحبيس جدهما سيدي إبراهيم بن حميتي الاكراتي وطلب من المدعى عليه أن يعطيه نسخة منها لما له فيها من الحق وفيه أيضا أجاب المدعى عليه المذكور بعدم اعطائه النسخة للمدعي

لكونه لاحق له فيها، وفي 18 منه حكم القاضي على المدعى عليه باعطائه النسخة من الحبس المذكور للمدعي مستنداً في حكمه لما في شراح المختصر والتحفة من جريان العمل باعطاء النسخ كلها صغيرها وكبيرها ونقل كلام ابن الهندي وكلام المحققين من شراح التحفة أي قولها وكل ما افتقر للتأمل فالحكم نسخة وضرب للأجل يحمل على عمومه فيشمل المقال وغيره من كل ما للخصم فيه حق ومدفع وقد ذكروا أن أخذ النسخة يكون لوجوه منها أن يريد أخذ النسخة من الرسوم لتعلق حقه بها كشرائه املاكا وكتمسكه بها لحق له في عينها كما في نازلتنا نص على ذلك سيدي عمر الفاسي في شرح التحفة وغيره والحكم في نازلتنا مما اتفق عليه الأئمة الثلاثة أبو عبد الله بن سودة وسيدي عبد القادر الفاسي وأبو علي وفي 21 منه حاز المدعي النسخة المحكوم له بها مسجلة لذا القاضي وفي 23 منه أعذر القاضي للمدعى عليه بأبقيت لك حجة في الحبس المذكور فنفاها عدا ما أحضره من الرسمين اللذين أخذ المدعي منهما النسخة وفي 26 منه حكم القاضي على المدعى عليه أن يبين ما أجمله في جوابه وذلك فصول ثلاثة ما وجه التغلب الواقع سنة 1329 وما هو التعصب الذي تعصب به المدعي وما هو الحكم الذي امتنع من قبوله وهل نفذ ذلك الحكم أم لا وفي 28 منه أجاب المدعى عليه أن التغلب الواقع من المدعي سنة 1329 كان بعامل الوقت وقتئذ، ولما ولى غيره قام على حقه وترافع مع المدعي لذا الفقيه بن محمد البوطرطيشي بواسطة المتولي فامتنع المدعي من قبول الحق، ثم نادى بدعائه للصويرة، فأجابه بعدم الحضور متعصبا بحاكمه إذذاك، وفي 29 منه بمحضر المتداعيين حكم على المدعي ببيان وجه مدخله في الدالية المدعى بها المذكورة وفيه أيضا بين المدعي أن الدالية المذكورة دخلت بيده بموجب شرعي وكان يتصرف فيها وفي غيرها من الأملاك التي خرج بها بالموجب المذكور بينه وبين المدعى عليه ومن شاركهما في جدهما سيدي عبدان بن سيدي علي المذكور من عام 1329 إلى أن ترامى المدعى عليه وفي 2 جمادى 2 عام 36 حكم القاضي على المدعى عليه بل المدعي باحضار ما ينفعه شرعا في دعواه الدخول للدالية المتنازع فيها بموجب شرعي، وفيه أيضا أدلى بحجج لذا من يجب، وسلمها ومنها أن الدالية المتنازع فيها خرجت في قسمته من جملة الأملاك التي خرج بها في رسم المخارجة المشتملة على النواب الخمسة المؤرخة بفاتح محرم عام 1330، لكونها ثابتة مسلمة بحكم قاض وفي 4 منه سأل المدعي المدعى عليه، هل النزاع الناشئ بينهما في جميع

الأملاك المسطرة برسم القسمة أو في البعض دون البعض وأجاب المدعي بأن نزاعه معه إنما هو فيما طوعه والده لا في غيره، مما اشتملت عليه القسمة، التي أدلى بها المدعي وفي 5 منه طلب المتداعيان من القاضي تأجيلهما شهراً فأجلهما ذلك، التزماه، وفي 13 جمادى الأولى عام 37 طلب المدعي من المدعى عليه أن يبين له المواضع التي طوعها والده المذكور بزعمه وهل أدى والد المدعي والد المدعى عليه في طوع ما طوعه بزعمه أم لا وفي 17 منه أجاب المدعى عليه عن الفصل الأول بأن الدعوى كلها إنما هي فيما طوعه والده لا في غيره وعن الثاني بأنه لا حاجة لوالده بالإذن من والد المدعي عند تصرفه فيما ذكر لأن الملك ملكه وحوزه وتصرفه وفي 21 منه حكم القاضي على المدعى عليه ببيان الملك الذي بينه أعلاه، يليه هل ذلك ملك رقبة أو منفعة، وبين أن تملكه لذلك تملك منفعة لا غير، وفي 21 منه بمحضر المتداعيين حكم القاضي على المدعى عليه أن يأتي بما ينفعه فيما طوعه والده وبيان ما طوعه والده من الأملاك المتنازع عليها، وأدلى المدعي بحجج في صكوك سبعة عشر بإدراج مقال المرافعات بالصك الأول منها رسم تضمن اشهاد والد المدعي اشهاد استرعاءاً أنه غير ملتزم بسط يد أخيه السيد الطاهر على جميع متروك والدهما السيد عبدان وأنه متى وجد السبيل إلى حقه المتروك.

وخصوصا أن جميع الأرض الكائنة بجبل اثران المشتملة على زاوية سيدي ابراهيم المكتنفة من القبلة بمصب الماء وشرقا تتصل بحرم سيدي ابي ابراهيم المشهد بحراً مصب الماء ومطراً قنطرة سيدي أبي النور وجميع ما اشتملت عليه الحدود الأربعة فهو حبس للشيخ سيدي إبراهيم بن حمو من قديم الزمان بما له من المنافع والمرافق ومطافي وكهوف ما يعلمونه تبدل عن حاله ولا تغير عن سبيله ولا وقع فيه فوت ولا تفويت وأن مقدمي الزاوية المذكورة يتصرفون فيه واحداً بعد واحد بالحرث والازدراع وقلع الأشجار ونقل الأحجار مدى عمرهم على عين المرابطين أهل زاوية اكرات ما نازعوهم ولا عارضوهم من غير مانع يمنعهم من القيام عليهم تاريخ الأصل أوائل شوال 1279، وتاريخ النسخة 21 جمادى الأولى 1336، وتضمن الثاني نسخة من رسم به تحبيس سيدي علي ابن عبد الله على أولاده الخمسة الذكور دون الإناث وهم سيدي عبدان وسيدي اسماعيل وسيدي الهاشمي وسيدي مُحمد وسيدي مَحمد كتحبيس أجداده بالملزق أعلاه جميع ما

ملكه الله من الأرض بوراً ووادياً وما فيها من أشجار كالتين والزيتون والرمان والأرض البيضاء والمعصرة وما كان في البور كسبخة الملح وأشجار الهرجان وكذلك ما بيده من العروض من بهائم ووصفان والكتب لا يكون في ذلك فوت ولا تفويت من المحبس عليهم ليكون بينهم على التساوي بالسكنى بما يسكن واستغلال ما يستغل وشرط عليهم في ذلك أن يصرفوا غلة ما له غلة على الوارد لزاويتهم الكراتية غنيا كان أو فقيراً، على المقيم للقراءة عالما أو متعلما، كما شرط عليهم أيضا إن وجدوا ملكا له منفعة يبيعون من المحبس عليهم أو من غلته ويشترون الأنفع حبسا مؤبداً ووقفا مخلدا لا تدخل أنثى معهم ولا مع أولادهم، ولا مع أولاد أولادهم، ما تناسلوا وامتدت فروعهم وحازه من المحبس عليهم سيدي عبدان المذكور عيانا لنفسه ولغيره تاريخ الأصل 28 ربيع عام 1223، أو تاريخ النسخة 8 جمادى الأولى 1336 وتضمن الثالث حضور النفر الثلاث سيدي الحاج محمد بن الحاج علي بن سيدي عبدان وسيدي محمد بن سيدي علال بن عبدان المذكور وابن عمهما سيدي محمد بن عبد الله بن الطاهر بن عبدان وإشهادهم أن نسبهم يتصل بسيدي عبدان على الترتيب المذكور متقاررين على ذلك بتاريخ 7 جمادى الأولى عام 1336 وبالصك الثالث رسم تضمن الشهادة بموت سيدي الحاج على ابن سيدي عبدان المذكور وذكر ورثته، وهم أولاده سيدي الحاج محمد وسيدي الحسن وسيدي محمد وفاطمة بتاريخ 18 قعدة عام 1329، وبالصك الرابع رسم تضمن تسليم المدعى عليه الاراثة المتقدمة بتاريخ 8 جمادى الثانية عام 37، وبالصك الخامس رسم تضمن توكيل سيدي الحسن وسيدي مَحمد المذكورين أخاهم سيدي الحاج محمد المذكور بالتفويض العام، جاعلين له التوكيل تحت يده والدوام و الاستمرار بتاريخ 17 قعدة عام 1329، وبالصك السادس رسم تضمن الشهادة بأن سيدي عمر ابن محمد بن عبدان كانت له شوكة وسطوة مع المخزن ويخاف من إذايته وأنه لم يقع بينه وبين عمه سيدي الحاج على قسمته في متخلف سيدي عبدان ولم يتوصل بحقه بتاريخ 19 قعدة عام 1329 وبالصك السابع تسعة رسوم، والرفع على خطاب خمسة منها تضمن الأول منها طلب سيدي محمد بن علال الاكراتي من أبناء عمه الذين من جملتهم المدعى عليه واجبهم في متخلف جدهم سيدي عبدان من الأملاك وغيرها وإجابة المدعى عليه أن جميع ما خلفه الجد المذكور حبس من جدهم سيدي علي على ذكور أولاده دون الإناث، وطلبهم إياه إحضار الحبس

ليأخذوا منه نسخة والتزامه لهم بإحضاره بتاريخ 13 قعدة عام 1329 وتضمن الثاني ترافع السيد محمد بن علال الاكراتي والوارثون معه مع خصمائهم الذين من جملتهم المدعى عليه لذا القاضي بل قاضي الشياظمة طالبين منهم تمكينهم من واجبهم في جدهم، وحكم القاضي بتمكين المدعين من واجبهم الذي هو الخمس وأن يقسما معهم جميع ما تخلف من جدهم بتاريخ 14 قعدة عام 1329 والرسوم الباقية من هذا الصك فيها توكيل بعض ورثة سيدي عبدان بعضا آخر على قسم أملاكهم الموروثة لهم من جدهم سيدي عبدان ورهنها وبيعها وقسم الاملاك المشار لها وحضور المتداعيين المشار لهم وجملة من حضر معهم المتداعيان هنا سيدي الحاج محمد بن الحاج علي وسيدي محمد بن عبد الله ومقاسمتهم وخروج المدعي وأهل سهمه بالدالية المدعى بها وتسليم المدعى عليه ذلك له، وبصكوك ثمانية عقود شركات في الحرث بين المدعي والغير في قطع من الأرض الخارجة له بالمقاسمة واقرار بعض النازلين بأرضه بأن ذلك الملك لا شيء له فيه، وبالصك السادس عشر سؤال وجواب من أهل العلم تضمن السؤال أن رجلا قام على أبناء عم أبيه مدعيا عليهم أنه مكره على القسمة الواقعة بينه وبينهم في بعض أملاك جدهم وأن البعض من الأملاك التي خرجت لهم بالقسمة، أصلحه أبوه فيستبد به والحالة أن الاكراه الذي يدعي قد زال هده مدة من ثلاثة أعوام فأكثر فهل قيامه بعد هذه المدة يقبل شرعا وعلى قبوله هل له الاختصاص بما أصلحه أبوه شرعا كما زعم أولا، وتضمن الجواب في فتاوي ثلاث أن القيام بالاكراه شرطه الفور فإذا سكت بعد زوال سبب الاكراه السنة ونحوها فلا قيام له كما في ابن سهل وابن سلمون وقال في البهجة والذي يوجبه النظر أن الفور هو ما دون الشهر وعلى فرض أن له القيام ليس له الاختصاص بما أصلحه أبوه شرعا قط، وإنما له القيمة فإن أصلحه بإذنهم فقائمة وإلا فمنقوضة وأما الاختصاص به فلا يوجد نص يشهد له به والنصوص متفقة على القيمة لا غير، كما أدلى بمكاتيب تضمن واحد منها تشكي المدعي لجانب المخزن وكتابة المخزن لبعض العمال بشد عضده حتى يتوصل بحقه بموجبه وتضمن الباقي منها كتابة بعض العمال لأبناء عم المدعي بتمكينه من واجبه فيما ذكر وتمام القسم معه كما أدلى المدعى عليه بحجج في صكاك ثمانية بإدراج مقال المرافعات بالصك الأول رسمان وثلاث فتاوي، تضمن الرسم الأول رضى جماعة المرابطين آل اكرات وغيرهم واتفاقهم على تقديم سيدي عبد الله

والد المدعى عليه على مصالح الزاوية المذكورة ورضاهم بذلك بتاريخ 18 شوال عام 1281، وتضمن الرسم الثاني موجبا لفيفيا به الشهادة بأن المدعى عليه من أهل العلم والدين وممن يحب أهل الخير والعلم والدين وأنه أولى من يتقدم على زاويتهم المذكورة كما كان أبوه وجده قبله بتاريخ فاتح جمادى الثانية عام 1325، ومضمن الفتاوي أن مقدم الزاوية هو الذي ينظر فيما ياتي به الزائرون من الذبائح والفتوحات والنذور والصدقات فينفقه على أولاد الولي ومن فيها من الطلبة والفقراء والمساكين وضيافة الواردين حسبما أفتى به الأئمة كما في جواب لابن الحسن بن منظور أحد أئمة تلمسان وكل ما يكون للتبرك بزاوية الولي بقصد عمارتها والقيام بمصالحها فهو كالمال الموقوف على من فيها، فيقدمون رجلا منهم يتولى قسمته على مفاضلتهم بالدين والعلم والقيام بمصالح الزاوية، قسمة انتفاع لا قسمة تمليك وفي نظم أبي زيد الفاسي :

ولبنيهم صدقات الصالحين ثم لمحتاج بذلك يستعين

وبالصك الثاني رسوم أربعة تضمن الأول والثاني الموجب اللفيفي الشاهد بحبس سيدي ابراهيم بن حم المذكور والشهادة بتحبيس جد المتداعيين سيدي علي وهما أصل النسخة التي أدلى بها المدعي وتضمن الثالث والرابع موجبين أحدهما لفيفي والآخر عدلي وهما سماعيان شاهدان بأن الأرض المذكورة قبل التي هي من أحباس سيدي إبراهيم بن حم المتقدم حدودها، محبسة على الزاوية المذكورة تحترم بحرمة الأحباس وتحاز بما تحاز به الأحباس مدة تزيد على السبعين سنة وأن مقدمي الزاوية الذين من جملتهم المدعى عليه ووالده كانوا يتصرفون فيها من غير فوت ولا تفويت بتاريخ فاتح جمادى الأولى عام 26، وبالصك الثالث رسمان تضمن الأول استحفاظ واسترعاء المدعى عليه أن كل من ترامى له على أملاك الزاوية المعروف لها في الجبل والوطا وغيره من المياه والأشجار وغير ذلك أينما كانت وبانت وتعينت على وجه الأرض فيلزمه غرمه وأن حضوره لقسم أرضها بل بعضها إنما هو على وجه الضغط والاكراه لما يترقبه من الخوف على نفسه ولا قدرة له على رد ما وقع به، ولا على القيام لخوفه على نفسه الفتنة بتاريخ 5 حجة عام 1329، وتضمن الثاني شهادة عدلين بأنه قبل تاريخه تقدمت بين المرابطين وآل الزاوية الكراتية وبين القائد أحمد بن الطاهر الحاجي عداوة تامة وكراهة عامة

بسبب حرصه على التولية عليهم ولم يجد إليها سبيلا، فلما ولاه الله عليهم صار لا ينظر فيهم بعين الرضى وسوى فيهم بين الصالح والطالح ولا يسمع منهم شكاية ولا دعوى، وألزم المدعى عليه برفع يده عن ملك أبيه وجده وطلب منه الرفع للشرع فلم يقبل، وقبض عليه وسجنه وبات في السجن ليلتين وسرح وصار الرعاة يطلبون منه الظهائر والرسوم فلم ينفعه إلا الفرار والاحترام بالولي سيدي أحمد العمري إلى أن ولى الله غيره بعده بتاريخ فاتح ربيع الثاني عام 1331، وبالرسم الرابع رسم واحد تضمن رجوع عدل وشهادته أن كل ما كتبه على المدعى عليه من البيع بوكالة إنما هو ضغط خوف تلف مهجته من القائد أحمد الحاجي لأنه ألزمه الكتابة على الوقوف والطواف مع طالبه الطاهر بن أحمد الحميوشي وعونه الشيخ الخضر المنصوري ولم يحضر لشيء سوى حين كان يتطوف على القسمة كان حاضرا معنا إلى أن فر ولم تصدر منه وكالة قط ولا إجراء لأحد، وإنما كان يقيد الوكالة وفر قبل كتابتها عليه وأنه رجعَ عما كتب عليه بتاريخ فاتح رمضان عام 1331، وبالصك السادس والخامس فتاو تتضمن أن دعوى المدعي باطلة لا تقبل لتناقضها، حيث قال المدعي أولا أن المدعى به ملكه وكان يتصرف في ملكه ثم رجع وقال ومن شاركهما وقال أنه موروث عن جدهما ومنه قوله كتحبيس أجداده ومن المعلوم أن التناقض والتكاذب مسقط للدعوى كما في المعيار عن العبدوسي : من تناقض قوله فلا حجة له، وفي المواق عن ابن يونس عن أشهب فإن اختلف قول المدعي بأمر بين لم يكن له شيء والمدعي معترف بأنه لم يحز هذا الملك الحوز الذي يوجب له الملك، وأن الرسوم والحجج التي بيد المدعى عليه المتضمنة تحبيس أسلافه وصرفها على المنهج التي كانت عليه مصارف أحباسهم هي محكمة المبنى، واضحة المعنى، يجب على من تقلد الأمور أن لا يحدث فيها حدثا، وأنه لا سبيل للبيع فيها ولا للقسمة ولا لشيء من التفويت بأي وجه بل يجب أن تبقى على ما كانت عليه، وأنه لا يصح ما حكم به القاضي على المدعى عليه من إبراز الرسوم وإعطاء النسخ منها، ولو في غير الاحباس قبل اثبات القائم ما لابد منه من الموجبات المعلومة التي لا تسمع الدعوى قبل ثبوتها، ولا يستحق المدعي الجواب فضلا عن إبراز الرسوم وبعد إبرازها كيف وقع التعامي عما توجبه، وأن الحيازة تنفع في منفعة الوقف كالخلو كما للشيخ عليش في باب الحيازة ونصه : فإن قلت أن الحيازة لا تفيد في الوقت قلنا الحيازة هنا لم تعتبر في ذات الأرض الموقوفة بحيث

يحكم بملكها للحائز حتى ياتي ما ذكر بل في اصلاحها والانتفاع بها الذي تعلق به الحق نظير خلو الوقف الذي يستحقه المستأجر المصلح باذن ناظره، فإن كانت مواتا وأحييت فيملكها وتورث عنه هـ. وفي متم جمادى الأولى عام 1337 بمحضر المتداعيين أعذر القاضي لكل منهما بأبقيت لكل حجة في الدعوى فأشهد المدعي أنه لم تبق له حجة سوى ما أحضره من الحجج في 17 رسما بين المكاتيب والمرافعات والقسمة والفتاوي والنسخ، من الحبس كما أشهد الثاني أنه لا حجة له سوى ما أحضره من الحجج في ثمانية رسوم بين المرافعات والاسترعاءات والفتاوي ورجوع بعض الشهود، وفي 3 جمادى الثانية عام 1337 بمحضر المتداعيين حكم القاضي في الدعوى حكما نهائيا بصحة دعوى المدعي بالمقال وسقوط دعوى المدعى عليه، لأن قيام المدعى عليه وتراميه على ملك المدعي مدعيا لإكراه في القسمة الواقعة بين ورثة سيدي عبد الله الاكراتي التي سوغت للمدعي الانتفاع بتلك الأرض المدعى بها وطالبا نقضها لا يجاب إليه ولا سبيل إلى نقض تلك القسمة لأن ما ادعاه من الاكراه لا حجة له عليه ولا على الغبن فيها وما بيده من الاسترعاءات فشهادة عدو على عدوه ولأنه لابد في ثبوت الغبن من شهادة أهل المعرفة، وأن يقولوا في هذه القسمة تغابن كما في البهجة عن أبي الحسن ولاسيما وقد طال الأمر ولا قيام بالغبن بعد الطول، كما في كلام ابن عات وغيره، والاكراه قد زال سببه ومن شرطه القيام قبل السنة، كما في كلام الأئمة وما يدعيه من اختصاصه بما طوعه والده لا يسلم له لأن الغرس والبناء في الأرض المشتركة بين الباني والغارس وغيره له أخذ قيمته، قائما مع الإذن، ومنقوضا مع عدمه، وان قسمة الحبس تصح في البياض وتبطل فيما فيه الغرس وغايته أن هذه القسمة باطلة فيما خرج بيد من فوت منها شيئا بالبيع كما هي باطلة فيما فيه غرس صحيحة في غيره، وبمقتضاه يجب تمكين المدعي فيما خرج له بهذه القسمة فيما ليس فيه غرس كما يجب رد المتعدي غلة ذلك لإجرائه مجرى التعدي، كما حكم بأنّ جميع الصوائر التي صيرها المدعي يتحملها المدعى عليه لتحقق ظلمه، ولرده في ترامية وعدم حقانية ما يدعيه هذا محصل الدعوى والحكم الصادر من قاضيها، ثم طلب المحكوم عليه استيناف الحكم المسطور لذا وزارة العدلية بالحضرة الشريفة الرباطية، فاستحضر خصمه للحضور فحضر وأحضر كل منهما ما لديه من الحجج المتعلقة بالنازلة المذكورة وبعد امعان النظر في الحجج المشار لها والحكم المنبني عليها تبين لسعادة وزير

العدلية وخطيب الدائرة العلمية بالايالة الشريفة المغربية الشيخ سيدي شعيب الدكالي أبقاه الله تعالى رافلا في حلل المعالي أن حكم القاضي باطل، وذلك لأن القسمة التي عنده هي مبنى الحكم وصحتها أساسه باطلة ومنسوخة شرعا لكون الحبس المذكور ليس خاصا بالعقب، حتى يكون على محصور فتصح فيه قسمة الانتفاع مهيأة ويخرج كل فريق بناحية من الأرض أو بيت من الدار مثلا، لأنه على العقب وعلى الواردين للزاوية والمقيمين بها للقراءة من المعلمين والمتعلمين فلا تصح قسمته، وخروج البعض باستغلال جهة وبعض آخر باستغلال أخرى وإنما يقسم الناظر غلته على المستحقين كما في المختصر وشروحه وتآليف سيدي يحيى الحطاب قال سيدي يحيى الحطاب، في تأليفه المذكور، بعد ذكره صحة قسمة الحبس : إذا كان على المعين أو على المحصورين ما نصه : وأما المجهولون فالقسم عليهم باجتهاد المتولى يفضل أهل الحاجة والعيال والزمانة إلى أن قال : قال ابن عبد السلام عند قول ابن الحاجب ومن أوقف على من لا يحاط بهم فقد علم عمله على الاجتهاد يعني أن من حبس على الفقراء أو الغزاة وشبههما ممن لا يحاط بهم فبالضرورة أنه يقسم على من حضر القسمة لعدم القدرة على التعميم ويعطي من حضر بحسب اجتهاد متولى القسم لأن العادة دلت على أن مراد الواقف ارفاق المحبس عليهم وسد خلتهم، إلى أن قال وفي ابن عرفة وقسم ما على غير المحصر بالاجتهاد اتفاقا، اهـ. وإلى هذا أشار في المختصر بقوله وعلى من لا يحاط بهم فضل المتولى أهل الحاجة والعيال، اهـ. على أنه لو كان المقسوم عليهم غير مجهولين فالقسمة باطلة لعدم تعيين الزمن فيها لأنه إذا كان الحبس على غير المجهول فإنما تقسم منفعته مهيأة بشرط تعيين الزمن، قال ابن عرفة قسمة المهيأة بالنون والياء اختصاص كل شريك بمشترك فيه عن شريكه زمنا معينا بمتحد أو متعدد في نفس منفعته لا في غلته اهـ. فإذا علمت هذا وتبين لك أن قسمة هذا الحبس لا تصح ويجب فسخها ظهر لك أن الحكم المنبني عليها بل على صحتها ولزومها باطل، والمتعين في القضية هو الحكم بصحة الحبس، ولا إشكال لثبوته وتواطئ المتداعيين عليه في الدعوى والجواب والادلاء وببطلان قسمته المشار لها، وأن يبقى الحبس على شيوعه يتصرف فيه من استحق النظر عليه، ويقبض جميع غلته ويقسمها على أجزاء خمسة ويعطى خمسها لأولاد كل ولد من أولاد المحبس الخمسة، طبق شرط المحبس لأنه جعله أخماسا وإذا قبضوا ذلك ينتفعون به

لأنفسهم ويصرفونه في باقي مصرفه المبين المشترط عليهم في لفظة محبسه، وهم الواردون على الزاوية من الفقراء والأغنياء والمقيمون بها للقراءة من المعلمين والمتعلمين ومقتضى التجزئة ان كل فريق يتصرف في خمسه، لكن عارض لفظ المحبس الذي هو قوله كتحبيس أجداده بمقتضاه أن النظر في جميع الحبس يكون لواحد مرضي متفق عليه كما في الشهادة السماعية التي أدلى بها كل من المتداعيين وما اقتضاه لفظ المحبس هو المتعين، لأن الأصل في التشبيه أن يكون تاما وشرط المحبس أن يكون، بل يجب اتباعه لقول خليل : واتبع شرطه أن جاز كتخصيص مذهب أو ناظر، وجميع ما أسهب به وأطنب من النقول كلها في غير محلها هـ. وبقاء هذا الحبس على الشياع متعين لما ذكر، ولكون ذلك يحصل به الأمن من تملك المحبس عليهم له لاسيما وذلك هو اعتقاد غالبهم كما يقتضيه كلامهم في المرافعات وفي التوكيل على التصرف فيه، وفي نفس القسمة حيث لم يبينوا فيها الانتفاع ولا البت كما ذلك كله مضمن بل مبين فيما ضمن من حجج الفريقين، وكقول بعضهم أنه ملكه وأنه متخلف عن أبائه وأجداده ولاسيما وقد سمع البعض منهم في احيائه وتملكه بذلك وفي الاختصاص بما خرج له بالقسم وسماه ملكه حتى أن بعضهم باع الخارج له بالقسم كما أشار القاضي في حكمه، فيجب فسخ البيع الواقع فيه ورجوعه إلى الحبسية والشيوع، كما في كلام الأئمة ونظمه صاحب التحفة بقوله :

ومن يبيع ما عليه حبسا يرد مطلقا ومع علم أسا

فكيف مع هذا الواقع يؤذن في قسم هذا الحبس أو يضر على قسمه فإن ذلك ذريعة إلى انعدامه ومحبسه يقول فمن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله ومتولى الانتقام منه، وأما ورثة والد المدعى عليه فلا يختصون بشيء منه، وما ادعاه المدعى عليه من اختصاصه برقبة ما أحياه والده لا يجاب عليه طبق ما حكم به القاضي غير أن القاضي حكم له بقيمة ما أحياه مقلوعا، والحق أنه لاشيء له لأنه كان ناظراً وتصرفه فيه وإحياؤه كان لجانب الحبس نيابة عنه قطعا على أنه لو لم يكن ناظراً لم يكن له شيء لأنه من المحبس عليهم والمحبس عليه يشترط في رجوعه بقيمة الاحياء قائما مع الاذن ومقلوعا مع عدمه، أن يبين قبل موته أنه فعل ذلك ليرجع، وأما إذا لم يبين فلا لقول المختصر، فإن مات ولم يبين فهو وقف هـ. قال الزرقاني والغرس كالبناء هـ. وهذا المحيي لم يبين فلا شيء له لا في رقبته ولا

اشكال ولا في قيمة الاحياء، خلافا للحكم في الأخيرة، وأما حكمه بالزام المدعى عليه جميع ما صيره المدعى عليه بل المدعي فلا يسلم ولا يعمل أما أولا فلأن حقانية المدعي لم تصح كما علمته، وأما ثانيا فإن من قال به عنده مقيد بقيود لم يوجد منها واحد هنا، فتحصل أن الحكم باطل وأن النصوص المنقولة استدلالا له ليست في محالها وأن القسمة يجب فسخها كما يجب فسخ ما بيع من الحبس المشار له ورد جميع الحبس على شيوعه يتصرف فيه الناظر عليه، ويقبض جميع غلته ويقسمها على خمسة أجزاء ويمكن أولاد كل ولد من أولاد المحبس بالخمس لينتفعوا بذلك ويصرفونه في باقي مصرفه المشترط في لفظ محبسه، وهم الواردون للزاوية من غني وفقير والمقيمون بها للقراءة من معلم ومتعلم، وأن والد المدعى عليهم لا يختص ورثته بشيء مما أحياه، وليس لهم قيمة ما أحياه لا قائما ولا مقلوعا، وأنه لا يجب على المدعى عليه غرم شيء مما صيره المدعي.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية المذكور رعاه الله حكما تاما ما أنفذه وأمضاه وأوجب العمل بمقتضاه، عن إذن الحضرة المولوية اسماها الله بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجالا ولا لتعقب هذا الحكم الصادر النهائي مقال بحال. وحرر بوزارة العدلية من الحضرة الشريفة الرباطية بتاريخ 12 جمادى الأولى عام 1338 أبو شعيب الدكالي وفقه الله، انتهت النسخة من أصلها فماثلته ووافقته في 22 جمادى الأولى عام 1360 موافق 18 يونيه سنة 1941 شطب وبيان ما طوعه والده بالسطر 9 تدليا من الوجه والمشار لهم بالسطر تدليا من الوجه صح به النائب المدني بن الحسني لطف الله به.

ج - أحكام صادرة عن مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى برئاسة الشيخ أبي شعيب الدكالي :

الحكم عدد 1 بتاريخ 20 ذي الحجة 1338هـ[49]

في القضية رقم : 243

الحاكم فيها قاضي السماط بفاس.

الحكم بالمشهور : المسطر في كتب المذهب - لا مجال للقاضي في الاستنباط - دعوى الشفعة - سقوطها - تصرف الوكيل.

---

(49) هذا الحكم وما بعده من نماذج، منقول من كتاب الأحكام الصادرة عن مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى، المجلد الأول، انظر الصفحات 23 وما بعدها، طبعة عام 1420 - 1999، مطبعة فضالة.

- القضاة محجر عليهم الحكم إلا بالمشهور أو الراجح أو ما به العمل وبالمسطر في كتب المذهب.

- إذا كانت قضية الدعوى منصوصة، فإنه لا مجال للقاضي في الاستنباط المخالف لذلك النص.

- تسقط دعوى الشفيع إذا أنكر المستشفع منه الابتياع أو الهبة.

- كل من لا يؤاخذ بإقراره لا يلزمه يمين.

- لا يمضي مما فعله الوكيل عن موكله، إلا ما هو نظر، وفيه المصلحة الراجحة للموكل.

ادعى الغالي بن ج إدريس السقاط بواسطة نائبه الحسين بن سيدي محمد ابن وحود، على المدعى عليهما سيدي العربي بن سيدي الطاهر الخياط ووالده المذكور بمقال مؤرخ في 16 محرم 1337 أن أول المدعى عليهما اشترى من والده عليه الثاني جميع الربع من البلاد المذكورة بالمقال بالثمن المبين بعقدالتبايع بينهما طالبا منهما إحضار تقييد البيع ليأخذه بالشفعة الواجبة له شرعا، وأن أول المدعى عليهما تراضى مع والده بأن جعلا البيع في الواجب المذكور بخط والده وعرف به بعدلين لأجل إخفاء البيع عن الأشراك[50] ودلس أول المدعى عليهما حين عقد القسمة بين الأشراك قائلا فيها إنه نائب عن نفسه وعن والده مع أن الولد لا ملك له في المحل المذكور حتى ينوب عن نفسه وأجابه وكيل المدعى عليهما السيد عبد السلام بن بوبكر برادة بعد حصر الوكيل دعوى منوبه في المقال عن كون الولد اشترى من والده الحظ المذكور بالإنكار، وعن التراضي وجعل البيع بخط اليد بالإنكار، وعن التدليس على الأشراك حين القسمة بقوله إنه نائب عن نفسه وعن والده الخ بأن الولد لا ملك له في البلاد المذكورة حتى ينوب عن نفسه وإنما كان له على والده دين بخط اليد لم يحل أجله وهذه مدة قد حل أجله واستوفى دينه وحاز والده البلاد ومزق خط يده، وبعدما أجل القاضي المدعي ثلاثة وثلاثين يوما متفرقة داخلا فيها - أجل - التلوم وأحضره وسأله هل له حجة ؟ واستمهل للجواب وبعد حضوره أجاب شاهدا أنه لا حجة تحت يده.

---

(50) كثيرا ما يتم الإشهاد على الخط والتوقيع المذيل به العقد المحرر من غير العدول، لأسباب يجب ألا تكون مخالفة للشرع، ويعمل بمضمنه كما يعمل بسائر العقود.

وبعد حكايته ما جرى في القضية - حكم قاضي السماط بفاس 1 بأن المدعي لم تقم له حجة فيما ادعاه بعد انصرام الآجال والتلوم لقول ابن سهل : إذا انقضت الآجال والتلوم ولم يأت المؤجل له بشيء يوجب له نظرا، عجزه القاضي وأنفذ القضاء عليه طالبا أو مطلوبا. 2 باليمين طبق إنكاره بانيا حكمه على الحديث المشهور وهو قوله عليه الصلاة والسلام «شاهداك أو يمينه» 3 بأن والده لا يمين عليه لأنه لو أقر بالبيع لما كان لازما للمشتري وكل من لا يؤاخذ بإقراره لا يلزمه يمين، كما في تكميل المنهج وشرحه، ثم أعذر لمنوب المدعي في الحكم، وأدلى بفتوى تضمنت أن اليمين كما تتوجه على المدعى عليه بالشراء تتوجه على المدعى عليه بالبيع، مستدلا على ذلك بأن الحكم بذلك من أفراد قوله ﷺ «شاهداك أو يمينه» ثم طلب المحكوم عليه رفع القضية للاستئناف.

وإن المجلس الأعلى المركب من الفقهاء الأجلة السيد علال الشرايبي والسيد العباس بن إبراهيم والسيد الهاشمي ابن خضراء، بعد أن أمعن النظر في القضية ظهر له : **أن القضاة محجر عليهم الحكم إلا بالمشهور أو الراجح أو ما به العمل لقول خليل : «فحكم بقول مقلده»** قال الزرقاني : «**بالمشهور أو بالراجح من مذهبه**» قال الشيخ بناني لا خصوصية له، لأنه لا يحكم إلا بمشهور المذهب كما في الزرقاني ثم ذكر بعده ما يشهد للحكم بما جرى به العمل المشار له بقول أبي زيد في عملياته :

وما به العمل غير مشهور   مقدم في الأخذ غير مهجور

إذا علمت هذا ظهر لك أنه **لا معنى للحكم بغير المنصوص في المذهب**، قال في البهجة بعد نقله لما يشهد لما ذكر عن القرافي ما نصه : **فجعل حكم المقلد بغير المشهور وإن ترجح عنده بقيام دليل من صحة حديث ونحوه من اتباع الهوى وذلك يدل على وجوب نقضه**، ابن رشد : إن القاضي العارف بمذهب مالك ولم يبلغ درجة التحقيق بمعرفة قياس الفروع على الأصول فيما بين يديه من النوازل التي لا نص فيها لا يقضي فيها إلا بفتوى من يعرف وجه القياس. ومسألة قضيتنا منصوصة في كتب المذهب، وقال أبو صالح أيوب بن سليمان - في إحدى فتاويه - لا يمين على عبد الحميد ولا على أمينة لأن المدعى عليهما البيع قد تنافيا وتناكرا ما ادعي عليهما فهو أبعد في إيجاب اليمين وقاله ابن وليد وابن

لبابة أيضا وأحمد بن يحي وعبيد الله ابن يحي فإن كان صحيحا فهو رجوع عن جوابه الأول وكان جوابه الأول خطأ، والصواب ما قاله أبو صالح، **لأن المستشفع منه إذا أنكر الابتياع والهبة وانتفى عنه ملك الشقص**[51] المستشفع فيه سقط مطلب الشفيع، ولا قرينة توجب له حق لا في ذلك ولا في غيره، فالرأي أن حكم القاضي بوجوب اليمين على المدعى عليه بالشراء باطل، والحق أنه لا يمين على واحد من المدعى عليهما لا على المدعى عليه بالشراء ولا على المدعى عليه بالبيع، كما أن حكمه بإلزام ثاني المدعى عليهما سيدي طاهر بطبع رسمه باطل أيضا لما قد يرد على تسليم المدعي للحكم من أنه إسقاط لحق منوبه في الاستئناف مرفوع بأن تسليمه إنما هو بالنسبة للإعذار بدليل قوله : أنه لا غرض له في الإفتاء، وطلبه للاستئناف أخيرا في صلب ذلك الرسم، وأيضا على تقدير تسليمه وأنه إسقاط للحق في الاستئناف صراحة فإن ذلك لا يلزم المنوب المذكور لأن الوكيل معزول عن غير المصلحة لقول أبي عمر بن عبد البر : قال أهل المذهب : **إن كل من ناب عن غيره بوجه من وجوه النيابة لا يمضي من تصرفه إلا ما كان فيه مصلحة راجحة**. هذا ما يراه أهل المجلس ولسعادة وزير العدلية واسع النظر.

إن سعادة وزير العدلية الشيخ سيدي شعيب الدكالي بما له من التفويض من لدن الجلالة الشريفة بعد أن تحقق لديه أن المرافعة في القضية المقررة أعلاه جرت على منهجها وتمت سائر موجباتها، سواء لدى القاضي أو أثناء الاستئناف، وبعد اطلاعه على رأي مجلس العلماء الأعلى في شأنها أصدر حكمه الآتي :

حيث إن القضاة محجر عليهم في الحكم إلا بالمشهور أو الراجح أو ما به العمل وأن القاضي المقلد لا مجال له في استنباط وأن المتعين عليه هو الحكم بالمسطر في كتب مذهب إمامه.

وحيث إن الرسم المتناقض لا يقبل في الاحتجاج، **وأن الوكيل لا يمضي مما فعله عن موكله إلا ما هو نظر وفيه المصلحة**، وكانت قضية الدعوى منصوصة وأن الصواب فيها هو أن لا يمين على واحد من المدعى عليهما، وكان حكم القاضي على المدعى عليه بالشراء باطل وكذلك استنباطه الحكم من الحديث الشريف باطل، كما أن الحكم بطبع رسوم المدعى عليهما باطل وتسليم الوكيل الحكم غير

---

(51) الشقص : الحظ والنصيب في الملك. الجزء من الأرض. الطرف منها.

مضر[52]، للنصوص المجلوبة في رأي أهل المجلس على جميع ما ذكر، فبناء على ذلك حكمنا ببطلان الحكم القاضي باليمين على المدعى عليه بالشراء وأنه لا يمين على واحد من المدعى عليهما، وأن التسليم المشار له لا يضر، حكما نهائيا أنفذناه وأمضيناه، وألزمنا العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، وحرر في التاريخ صدره 20 ذي الحجة 1338 بدار المخزن السعيد بالرباط.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 2 بتاريخ 20 حجة 1338هـ
في القضية رقم : 249
الحاكم فيها قاضي الجديدة

التناقض بين الدعوى والحجة - الإعذار النهائي - الإدلاء بالحجة بعده.

- إذا تناقضت دعوى المدعي مع حجته كانت دعواه وحجته باطلتين وتبقى الأرض المدعى فيها بيد المقوم عليه.
- لا حاجة إلى الإعذار النهائي عند توجه الحكم على المدعي، لأن المدعي في هذه الحالة، إذا قيل له أبقيت لك حجة ؟ وقال نعم؛ وأدلى بها، فلا تقبل منه كيفما كانت، فما لا فائدة منه ولا نتيجة له، لا معنى لفعله.

ادعى الوعدودي بن بوشعيب الخرازي بمَقال مؤرخ في 5 محرم 1335، أن المدعى عليه مسعود ابن أبي النعائم حرث في العام قبل عام تاريخ المقال بلاده المحددة بالمقال، وأخذ غلتها، وفي عام المقال دفعها المدعي لبوشعيب بن لكبير، لكن المدعى عليه أخذ خبزتها - سهمتها - طالبا منه الجواب؛ وأجاب المدعى عليه بأن الأرض المذكورة حوزه وملكه وتصرفه ولاشيء فيها لبوشعيب المذكور ولا لغيره، وأدلى المدعي تأييدا لدعواه بحجة تشهد بأن البلاد المدعى بها هي شركة بين الأشقاء عبد الله وإخوته أولاد محمد بن عبد الله الخرازي على الشياع للذكر مثل حظ الأنثيين، ولا يعلمون أن القسمة وقعت بينهم فيها وأنهم كانوا يتصرفون فيها

(52) بهذا الشكل وردت العبارة في أصل هذا الحكم، ويظهر معناها مما يأتي بعده في قوله : وأن التسليم المشار له لا يضر.

تصرف المالك في ملكه وينسبونها والناس إليهم ملكا ولا أنها خرجت عن ملكهم وحوزهم وتصرفهم إلى أن مات من مات منهم، وخلف حظه لمن بعده من ورثته إلى الآن، وأنها «مال من مالهم الخاص بهم»، وبعد الإجراءات حكم قاضي أولاد فرج بإلغاء ما أدلى به المدعي من بينة اللفيف المشار لها، بانيا حكمه : - على اختلال البينة المذكورة بأمور ستة وهي : 1) عدم ذكر اليد. 2) عدم بيان مدة التصرف. 3) عدم ذكر نفي العلم بالمنازع. 4) عدم ذكر استمرار ملك ورثة من مات بعد موت الموروث. 5) عدم ذكر معرفة المتلقين للمتلقي منهم. 6) والمضادة الواقعة بين الدعوى والحجة حيث أضاف المدعي الأرض له في مقال، ثم أثبت أن له فيها البعض معتمدا في الثلاثة الأولى قول اللامية : يد الخ البيت، وفي الرابع على قول ابن هارون : فإن لم يذكروا أن المتوفى الثاني لم يفوت شيئا مما جرته الوراثة إليه في علم الشهود، لم تعمل الشهادة لورثته شيئا، وفي الخامس على قول اللامية أيضا، شهادة معروف الخ، وفي السادس على قول ابن الناظم : أو بمضادة قوله لنص ما شهد له به كما في البهجة؛ كما حكم ببقاء الأرض المشار لها تحت يد المدعى عليه المجيب عليها بالحوز والملك والتصرف، وعلى أنه غير مكلف بحجة لقول التحفة : من غير تكليف لمن تملكه الخ...

وبعد استئناف المدعي الحكم عند قاضي الجديدة، أصدر هذا الأخير حكمه بصحة الحكم المذكور، وإلغاء حجة القائم المشار لها، وبإبقاء الأرض المذكورة تحت يد المدعى عليه الحائز لها المدعي ملكيتها، إلى أن يثبت شرعا ما يوجب إخراجها من يده من البينة السالمة من القوادح والخلل، بانيا حكمه على اختلال حجة القائم ومناقضتها لدعواه الأرض لنفسه، ولنقصانها بعدم ذكر نفي المنازع وعدم ذكر استمرار ملك ورثة من مات إلى موته.

وبعد أن رفعت القضية لوزير العدل؛

قرر مجلس العلماء الأعلى المركب من الفقهاء الأجلة السادة : عباس ابن إبراهيم، والهاشمي ابن خضراء، وعلال الشرايبي، وبعد أن أمعن المجلس النظر في القضية أعلاه، ظهر له :

- أن المناقضة بين الدعوى والحجة مبطلة للدعوى لقول ابن الناظم الذي ساقه القاضيان في حكمهما، وكذا لقول أشهب : من اختلفت دعواه بأمر بين

فلاشيء له، قاله مالك، وبما أن الملكية غير عاملة للأسباب المذكورة في الحكمين ولغير ذلك من الأمور التي بينها القاضيان وللريبة التي بها، فالرأي أن حكم قاضي الجديدة المصحّح لحكم قاضي أولاد فرج الذي حكم بأن لا حق للمدعي وأن دعواه باطلة لتناقض كلامه وحجته، وأن المدعى فيه يبقى بيد حائزه المدعى عليه صحيح تام في مركزه، **ولا يحتاج هنا للإعذار النهائي عند توجه الحكم على المدعي، لأنه لا فائدة له ولا نتيجة، لأن المدعي إذا قيل له أبقيت لك حجة ؟ وقال نعم، وأدلى بها فلا تقبل منه كيفما كانت لتناقض دعواه وحجته وسقوط دعواه بذلك من أصلها، وما لا فائدة فيه ولا نتيجة له، لا معنى لفعله**، وبناء على ذلك لم تتوجه يمين على المدعى عليه، ولأجل ذلك لم يعذر واحد من القاضيين للمدعي الإعذار النهائي، ووقع التنبيه على هذا دفعا لما يقال، والله أعلم هذا ما يراه أهل المجلس في القضية ولسعادة وزير العدلية واسع النظر.

ثم إن سعادة وزير العدلية الشيخ سيدي شعيب الدكالي بعد أن تحقق لديه أن المرافعة في القضية أعلاه، جرت على منهجها وتمت سائر موجباتها سواء لدى القاضي أو أثناء الاستئناف، وبعد اطلاعه على رأي مجلس العلماء الأعلى في شأنها أصدر حكمه الآتي :

حيث إن دعوى المدعي إذا تناقضت مع حجته كانت دعواه وحجته باطلتين، وحيث إن شهادة الملك إذا لم تتوفر فيها شروط الملك المذكورة في خ واللامية وغيرهما كانت غير عاملة، وتبين أن دعوى القائم مناقضة لحجته، وبينته غير جامعة لشروط الملك كما بينه أهل المجلس.

فبناء على ذلك حكمنا بصحة حكم القاضيين وإلغاء حجة القائم وبقاء الأرض المذكورة تحت يد المقوم عليه حائزها المدعي ملكيتها إلى أن يثبت شرعا ما يوجب إخراجها من يده؛ حكما نهائيا أنفذناه وأمضيناه، وألزمنا العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر في التاريخ صدره 20 حجة 1338 بدار المخزن السعيد بالرباط.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 3 بتاريخ 23 حجة 1338هـ
في القضية رقم : 271
الحاكم فيها قاضي الصويرة

الإدعاء بحق على أحد - إعادته على آخر - سقوط الدعوى - رد الشهادة.

- الدعوى على أحد بحق، إبراء لغيره منه، وتسقط بذلك الدعوى من أصلها لأنه من المبطلات للدعوى.

- المذهب رد الشهادة بالإجمال والإرسال، سواء كان في لفظ الشاهد أو في مستند علمه.

- يشترط في الحجة، المطابقة للدعوى وإلا فلا تقبل؛ فالتناقض البين من مبطلات الرسوم.

- من أراد استحقاق شيء فعليه أن يخاصم من هو بيده.

ادعى محمد الزيراري نيابة عن الشريف مولاي علي بن إبراهيم الأوريري أزلال، على الشيخ أحمد بن الحسن النكنافي بومزوغ طالبا منه أن يمكنه من نصف الروض الكائن عنوانه بالمقال بالصويرة، لأن موكله كان فيما قبل مثقفا عند محمد بن أحمد انفلوس ثم جاء وأخذ منه رسوم نصف الروض المذكور قهرا وظلما وزور عليه رسم بيعه مع أن موكله لم يعقد فيه بيعا قط إلى الآن، وحصر دعواه في ذلك في متم رجب 1335. أجاب وكيل المدعى عليه بالإنكار الكلي المتمادي وأن نصف الروض المذكور ليس في ملكه ولا في حوزه ولا تحت يده ولا ترامى عليه، فأدلى المدعي ببينة لفيف 12 وعدلين تضمنت شهادة الكل بأن منوب المدعي كان فيما قبل تاريخه ساكنا بثغر الصويرة وخرج يوما لعزيبه خارجها لينظر بعض أموره به، فأرسل له القائد محمد انفلوس صاحبه، فذهب به من عزيبه المذكور لدار القائد المذكور فثقفه اثني عشر يوما، فسمعوا أن صاحب انفلوس المدعى عليه قبض منه رسوم نصف رياضه وكتب عليه بيعه ولم يقبض من ثمنه شيئا، وفعل به ذلك على وجه الظلم والتعدي والضغط والإكراه، كل ذلك في علمهم بالمخالطة والاطلاع على الأحوال بتاريخ 7 جمادى الأولى 1333، وبفتوى أسفل اللفيف تضمنت أن

المغصوب منه ماله والمضغوط على بيع شيئه، ملكه باق له لا يزول ولو تداولت ذلك الأملاك ويأخذه من يد من وجده بيده سواء كان هو الغاصب أو من انتقل إليه منه ببيع أو غيره، وبعد الإعذار في ذلك للمدعى عليه، أدلى بفتاوى ثلاثة مبطلة لذلك بالتناقض الذي في بينة اللفيف، حيث جعلوا أولا مستند العلم السماع ثم أخيرا غيره، وبأن شروط شهادة السماع لم تتوفر هنا.

فرد المدعي بفتويين مضمنهما أن الشهادة المشار لها لا تناقض فيها، مستند علم شهودها السماع المفيد للعلم وذلك غير قادح كما في كلام القرافي وغيره، كما أدلى المدعي بمقال تضمن دعوى المدعي المذكور على المدعى عليه المذكور أنه استولى له على نصف الروض المذكور بتاريخ 9 صفر 1333 وجواب المدعى عليه بمثل جوابه هنا، وبمقال آخر تضمن دعوى المدعي على الحسين النكنافي بمثل الدعوى الأخيرة بتاريخ 12 صفر 1333 ولم يقع عنه جواب.

وبعد الإجراءات المسطرية : حكم القاضي بعد حكاية ما جرى في القضية والإعذار، بسقوط دعوى المدعي لما احتف بها من القرائن الدالة على سقوطها :

1 - فإن المدعي قيد مقالا بالدعوى نفسها على المدعى عليه بتاريخ 9 صفر 1333 ثم على غيره وهو الحسن النكنافي بتاريخ 12 صفر سنته ثم انتقل أيضا وقيد على المدعى عليه، ومن المعلوم أن من ادعى حقا على أحد سقطت بدعواه تباعته على غيره، كما في التوضيح ونقله الورزازي وصاحب البهجة لذا قول التحفة : «ولانحصار ناشئ الخصام».

وعلته أنه من الاضطراب الذي عدوه من مبطلات الدعاوي.

2 - فإن تلك الشهادة سماعية وهي لا ينتزع بها من يد حائز على أنها ليست سماعية لعدم توفر الشروط فيها قطعا. والحق أنها ليست سماعية ولا نقلية ولا قطعية بل هي شهادة مختلة المبنى، ساقطة المعنى، لا يقتطع بها حق، ومما يوجب طرحها ونبذها قول شهودها أولا كان فيما قبل تاريخه يعني المدعي مع قولهم : فسمعوا، مع قولهم : كل ذلك في علمهم بالمخالطة والاطلاع على الأحوال، فلا يخفى ما في ذلك من التناقض البين الذي هو من مبطلات الرسوم كما في المعيار والبهجة وسيدي ميارة.

فاستأنف المحكوم عليه الحكم لدى وزارة العدلية بالحضرة الشريفة، فأحضر كل من الفريقين ما لديه من الحجج، وبعد إمعان النظر فيها والحكم المنبني عليها تبين أن ما سلكه القاضي في مرافعات الدعوى من تكليفه المدعي بالحجة وعرضها على المدعى عليه بعد جوابه بأنه لا ملك له ولا حوز بيده كله فاسد مختل، كما تبين أن الدعوى باطلة من أصلها لا تقبل، كما أن حجته باطلة أيضا، أما بطلان دعوى المدعي فلأنه كان ادعى بها قبل على غير المدعى عليه - 12صفر 1333 - ثم ادعى بها أيضا على هذا المدعى عليه - متم رجب 1335 - وكل الدعاوي الثلاثة بمعنى واحد، وقد علمت أن الدعوى على أحد بحق إبراء لغيره منه، وتسقط الدعوى بذلك من أصلها لأنه من التناقض البين وهذا واضح وأدلته مقررة أشار لبعضها القاضي في حكمه، وأما بطلان حجته فلما فيها من الإجمال[53] في متنها وفي مستند علمها، وفي نوازل المعيار عن اليزناسني قاضي فاس: المذهب رد الشهادة بالإجمال والارسال[54] سواء كان في لفظ الشاهد أو في مستند علمه، كما أن مستند العلم فيها متدافع بين السماع والعلم وهذا إجمال أيضا، ولو سلمنا تسليما جدليا أنها علمية وقطعنا النظر عن الاحتمال الآخر فليس فيها ما يشترط في مستند علم شهود مثلها من التفصيل كحضور الشهود للقضية أو سماعهم من المشهود عليهما، لأن مثل هذه الشهادة لا يكفي في مستند علم شهودها إلا التفصيل كما في ابن سهل والمتيطية، كما أننا لو سلمنا أنها سماعية كذلك فإنها لم تتوفر فيها شروط شهادة السماع من عدم حصر المسموع منهم وغيره مما أشار له الغرناطي في تحفته بقوله :

وشرطها استفاضة بحيث لا　　　يحصر من عنه السماع نقلا

(53) الاجمال والإرسال في الشهادة : الإرسال يقصد به في باب الشهادة عدم ذكر المستند المشروط في علم الشاهد، والمستند كما هو معروف إما عام أو خاص، فالعام لا يشترط فيه ذكر من نقلت عنه الواقعة المشهود بها، والخاص يشترط فيه بيان طريقة حصول العلم، كأن يقول الشاهد سمعت من فلان كذا، أو رأيته يفعل كذا، وأصل الإرسال مأخوذ مما كان يشترطه المحدثون ورواة الحديث، فالمرسل عندهم هو الذي لم يذكر سنده ولكن يقول الراوي قال رسول الله ﷺ من غير أن يقول حدثنا فلان عن رسول الله ﷺ (راجع كتاب التعريفات للشريف الجرجاني، ص 7).

(54) أما الإجمال فهو الشهادة الخالية من التفصيل المشترط في صحة الشهادة الموصل إلى غالب الظن، قال ابن عاصم : «وغالب الظن به الشهادة».

وأيضا فإن هذا الموضوع ليس من المحلات التي تعمل فيها شهادة السماع المشار لبعضها بقول التحفة أيضا : «واعملت شهادة السماع إلخ». كما أن الحجة المشار لها أعم من الدعوى لأن الدعوى فيها أن المدعى عليه زور البيع، والحجة ليس فيها إلا كتب البيع، ولا يخفى أن الحجة يشترط فيها المطابقة للدعوى، وإلا فلا تقبل، وأما فساد ما سلكه القاضي في المرافعات من تكليفه المدعي بالحجة إلخ، بعدما أجاب المدعى عليه بالجواب المذكور، فلأنه حيث اعترف المدعى عليه أنه لا ملك له في المدعى به ولا حوز له عليه فكان من حقه أن يسجل حكمه بعد الجواب المذكور بأنه لا مطالبة على المدعى عليه وأن المدعي وإن كان له غرض في التداعي في نصف الروض المذكور وإجراء المسطرة فيه فيدعي به على من هو لقول ابن ناجي في شرح المدونة من كتاب الرهون : «وإذا باع السلطان الرهن ودفع ثمنه إلى المرتهن ثم استحق الرهن، إلى قوله : فلمستحقه إجازة البيع وأخذ الثمن من المرتهن، ما نصه : أقام شيخنا حفظه الله من قولها وأخذ الثمن من المرتهن أن من أراد استحقاق شيء أن يخاصم من هو بيده، وهو كذلك، ونقله السجلماسي في جواب له كما في نوازله.

والحاصل أن دعوى المدعي باطلة وحجته كذلك، وأنه لا حق له على المدعى عليه فيما يدعى به، وأن تكليف القاضي المدعي بالحجة وإجراء الدعوى على ما سلكه في المرافعات بعد جواب المدعي عليه بأنه لا ملك له في نصف الروض ولا حوز له عليه، كله فاسد وهو غلط[55]، والله أعلم بالصواب.

---

(55) يتبين من حكم القاضي الأول، والحكم الاستئنافي أنهما متطابقان من حيث النتيجة، ذلك أن :

- حكم القاضي صرح بسقوط الدعوى، لما احتف بها من القرائن الدالة على سقوطها.

- حكم وزير العدلية صرح بأن دعوى المدعي باطلة وحجته كذلك، وأنه لا حق له على المدعى عليه، وعلى كل فهما متفقان على براءة المطلوب في الدعوى مما طالبه به المدعي، إلا أن المسطرة التي سلكها القاضي الأول هي غير مسطرة حكم وزير العدلية؛ فالقاضي الأول سلك مسطرة تكليف المدعي بالحجة وعرضها على المدعى عليه بعد جوابه بأنه لا ملك له ولا حوز بيده، ولما تبين لوزير العدلية من أن الدعوى باطلة من أصلها ورأى أن في حكم القاضي ما يعتبر زائدا عن الحاجة للوصول إلى تلك النتيجة، لفساد الدعوى فحكم بذلك وهو ما يمكن اعتباره في الاصطلاح الحالي قريبا مما يعرف باستبدال القاضي الاستئنافي علة الحكم الابتدائي بعلة أخرى للوصول إلى نفس النتيجة التي انتهى إليها الحكمان معا مع التحرز قليلا في الأمر، وأحسن ما في الحكم الاستئنافي، خاتمته : (والله أعلم بالصواب) وبذلك أختم هذا التعليق.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية المذكور رعاه الله حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بالرباط في 23 حجة الحرام متم عام 1338.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 4 بتاريخ 1 محرم 1339هـ
في القضية رقم : 213
الحاكم فيها قاضي سطات

الشهادة بالإكراه - إعمالها - وقت الاشهاد بها.

- شهادة الإكراه لا تكون عاملة إلا إذا حضر الشهود وعاينوا التهديد والتسليم وأدوا شهادتهم بذلك في وقته وتاريخه.

- كما لا تكون شهادة الإكراه عاملة كذلك إلا إذا قام المكره يطالب بحقه فور زوال سبب الإكراه.

- إذا تصادق المدعي والمدعى عليه على وقوع الصلح؛ فلا يضر المدعي ادعاء خصمه الإكراه دون إثباته.

ادعى السيد أحمد بن الماحي بن محمد العبوبي السليماني على خصمائه السادة الهاشمي بن عبد الله الركراكي والمعاشي بن عبد الله والمكي بن عبد الله والسيد عمرو، بمقال مؤرخ في 5 ربيع الأول 1335 بأنه كان قام عليهم في سالفه على الأرض المسماة بالزنيدة والبسباسة المحدودة بالمقال، واصطلحوا معه بثلث واحد، ثم منعوه من حرثه مدة من أربع سنين من غير موجب، يريد منهم الجواب عن ذلك بما شاءوا إقرارا أو ضده. وأجابوا بأنه قام عليهم في زمن الفتن وما عملوه معه قهر وغلبة، ولما حلت الدولة تحاكموا عند قاضي الوقت فحكم لهم بالبلد، وأدلى المدعى عليه الهاشمي بن عبد الله برسم الحكم الذي اعترف به في الجواب وحجة الصلح المذكورة في المقال تتضمن شهادة : «بأنه لما قام الماحي ابن محمد العبوبي السليماني على السيد الهاشمي بن محمد البومحمدي وأشقائه في الفدان المسمى بالزنيدة والبسباسة، وحد فيه بمثل الحدود المذكورة في المقال، يزعم أنها بلده،

وطلب منهم النزاع والخصام لدى مجالس القضاة، حضر من ندبهم للصلح فاصطلحوا على أن دفعوا له ثلثا واحدا في الفدان المذكور، صلحا عن الدعوى المذكورة ورفع يد الاعتراض عن الفدان، ولم تبق له فيه دعوى ولا مطلب حق، بوجه من الوجوه كلها، وأسقط عنهم بينة السر والإعلان، وكل حجة يقوم بها لا عمل عليها، وأبرأهم من الدعوى المذكورة وحضر المقوم عليهم وقبلوا الإبراء المذكور».

وبتاريخ 23 جمادى الأولى 1336 حكم قاضي قبيلة أولاد سعيد بعد حكاية ماراج في القضية، للقائم المذكور بالثلث المصطلح به، لصحة الصلح المذكور ووقوعه على وجه جائز، معتمدا في ذلك على ما ساقه من نصوص الأئمة وأقوال العلماء لقول التحفة :

ولا يجوز نقض صلح أبرما   وإن تراضيا وجبرا ألزما

وفي 26 شوال عامه لما نظر قاضي سطات في الحكم للقائم السيد أحمد بن الماحي على المقوم عليهم المذكورين بالثلث المصطلح به بينهم لاعترافهم بالصلح مدعين أنه كان عليهم قهرا وغلبة، وأن القاضي كان بعد ذلك نقضه عنهم وحكم لهم بجميع البلد وكلفوا بإثبات ما يحقق دعواهم ولم يأتوا بشيء بعد الآجالات، أشهد أنه حكم بصحة الحكم المذكور ونفوذه، كما قال في الزقاقية :

نعم، إن تم ما قد تأجلا   به الشخص مع عجز عن النفع عجزن

أي أحكم عليه وعجزه ثم بعد ذلك طلب المحكوم عليه استئناف الحكم لدى وزارة العدلية الشريفة، فأحضر كل من الفريقين ما لديه من الحجج، وأدلى المستأنفون برسم مثبت مؤرخ بصبيحة يوم الاثنين 20 رمضان 1325 تضمن إشهاد من ذكر برسم الصلح المذكور مصالحا للماحي بن محمد أنهم إذا تصالحوا بشيء مع الماحي من أرض أو دراهم فإنهم غير ملتزمين لذلك وإنما وقع منهم على وجه الإكراه لتعذر الأحكام وقت تاريخه، وأن حجتهم لا تسقط ولو مضت سنة أو سنون، شهادة استرعاء واستحفاظ.

وبعد إمعان النظر في الحجج المشار إليها والحكم المنبني عليها، تبين أن ما حكم به قاضي قبيلة أولا سعيد وصححه قاضي سطات من كون الثلث المصطلح به للمدعي لصحة الصلح المذكور ووقوعه على وجه جائز إلخ باطل وعن طريق الصواب عاطل لاختلاله من وجوه :

- إن القاضي المذكور لم يتمش ابتداء على ما تقتضيه مسطرة التداعي، فإن المدعى عليهم لما أجابوا عن دعوى الصلح بأن المدعي المذكور قام عليهم في زمن الفتنة وما عملوه معه قهر وغلبة، كان من حق القاضي أن يكلفهم إثبات ذلك، فإن أثبتوه ورآه خادشا فيما أقيم لأجله، حكم بعرضه على المدعي فإن سلمه فواضح، وإلا أعذر له فيه، والحكم عليهم بلزوم الصلح المذكور وهم يزعمون أنه وقع منهم على وجه الإكراه فباطل بالضرورة.

- إنه استند في حكمه إلى رسم الصلح الذي استظهر به المدعي مع أنه لا ذكر فيه للمدعي القائم الآن، وإنما المذكور فيه قائما ومصالحا هو الماحي بن محمد، ولم يدل هذا المحكوم له بما يوصله للماحي المذكور، فكان من حقه أيضا أن يستند في حكمه إلى ما بالمقال من كون المدعي هو المصالح وإلى اعتراف المدعى عليهم في جوابهم على المقال بأن الذي قام عليهم وصالحوه عن كره هو المدعي المذكور.

- **خلو ذلك الحكم من الإعذار المطلوب بأبقيت لك حجة ؟ وهو أمر لابد منه والحكم بدونه باطل عند أهل المذهب، وينقض لأنه شرط صحة فيه** كما قاله أبو الحسن في أجوبته، والحاصل أن الحكم المذكور يتعين نقضه ويكتب للقاضي أن يكلف المدعى عليهم بإثبات ما زعموه من الإكراه على الصلح المذكور ويعذر فيه للمدعي ويجري المسطرة في ذلك بين الفريقين ثم يعذر لهما أخيرا بأبقيت لكما حجة ؟ ويوجه ذلك تام الشروط ليقرر فيه الحكم النهائي والله تعالى أعلم.

ثم كتب للقاضي بما ذكر، وبعد أن وجه القاضي ما يفيد تنفيذ الإجراءات المطلوبة منه أعلاه، تبين أن الثلث المدعى به هو للمدعي، وأنه يجب على المدعى عليهم التخلي عنه، وتمكينهم إياه له، لأنه تحقق ملكه له عن صلح، حيث ادعي بذلك ووافقه المدعى عليهم على الصلح، وادعوا الإكراه فيه ولم يثبتوه على وجهه، **لأن شهادة الإكراه لا تكون عاملة إلا إذا حضرها الشهود وحضروا التسليم وأدوا شهادتهم بذلك**، فمن جواب لابن لب، كما في المعيار، ونص المراد منه قد وقفت على استرعاء بالقدح في التسليم لجهة التخويف والتهديد، ولم أره كافيا، لأن المطلوب في ذلك أن يؤدي **الشهود على حضورهم في تاريخه، وأنهم سمعوا التخويف إذ ذاك حتى وقع التسليم في موضعه**، ولا يكفي تقدم

الخوف على التسليم في غير مجلسه، ولا يعلمون ما اتفق عليه في وقته وتاريخه، ونقله شارح العمل قبيل بحث القافة في التنبيه السابع،وذكر أن المراد بالاسترعاء في كلام ابن لب هو المقابل للأصل يعني لشهادة الاستحفاظ، وأيضا لم يقم المدعى عليهم بفور زوال سبب الإكراه وهو ظاهر.

بقي أن يقال أن دعوى المدعي مناقضة لحجته لأن الدعوى فيها أن المصالح هو نفسه والحجة فيها أن المصالح والده الماحي، والجواب عن ذلك، أن ذلك ارتفع بإقرار المدعى عليهم بوقوع الصلح، فالمدعي والمدعى عليهم متصادقون على وقوع الصلح، ولم يبق النزاع بينهم إلا في الإكراه، وقد علمت أنه لم يثبت، **فالعبرة حينئذ بإقرار المدعى عليهم بوقوع الصلح، لا بالحجة التي أدلى بها المدعي**، وقد تحقق أن الصلح واقع، وأن الذي أوقعه والده، وأن المحيط بإرثه ابنه المدعي فقط، حسبما بالرسوم المضمنة قبل.

الحاصل أن دعوى المدعي صحيحة، وأن له الثلث في البلاد المذكورة المسلم لوالده المحيط هو بإرثه، وأنه يجب على المدعى عليهم تمكين المدعي منه والتخلي له عنه والله أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية المذكور رعاه الله حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بالرباط في فاتح محرم فاتح عام 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 5 بتاريخ 25 محرم 1339هـ
في القضية رقم : 263
الحاكم فيها قاضي سطات

التناقض - سقوط الحجة والدعوى.

- إذا ادعى المدعي أن المتنازع فيه له، وأدلى بحجة تقتضي أن لجده فيه الجزء الأقل، سقطت دعواه وحجته لأن ذلك يعتبر تناقضا.
- التناقض هو مضادة قوله لنص ما شهد به، وهو مكذب للبينة.

- من أدلى برسم فهو قائل به، فكأنه قال بما في المقال وما في الشهادة، وهذا يقتضي أمران : اضطراب المقال، وتكذيب الشهادة، وكل ذلك مسقط للدعوى، ومبطل للحجة.

- إذا اختلف قول المدعي بأمر بين لم يكن له شيء، ومن أوجب سماع بينة مناقضة للمقال فقد فتح بابا للشغب والتعنيت وأعان عليه.

- المقر الذي يزعم أنه لم يرد مقتضى اللفظ، يرد عليه، إنما يؤاخذ المتكلم فيما بينه وبين المخلوقين بظاهر اللفظ.

ادعى الغازي بن أحمد بن بوعبيد السعيدي بمقال مؤرخ في 20 رجب عام 1336 أن المدعى عليه الجيلاني بن إدريس المزابي ترامى له لع بلدتين تسمى أولاهما بسهب الأكحل والثانية بحفرة التميم ولبسيبسة حدودهما بالمقال، ويطلبه أن يتخلى له عنهما؛ أجاب المدعى عليه بأنهما حوزه وملكه، وأدلى المدعى تأييدا لدعواه بلفيف مستفسر مؤرخ في 23 شعبان 1336 مضمنه معرفة شهوده للكبير بن الغازي وإخوته محمد الملقب باغزيل وعبد القادر والحاج عمرو وبوعبيد، وأن لهم جميع الفدانين المذكورين متفقين في الحدود المذكورة بالمقال عدا بعضها، بشروط الملك الخمسة، مدة تزيد على عشرة أعوام سلفت عن تاريخه إلى أن رجع الحاج عمرو من غيبته وفوتهما لمن هما بيده الآن، ولا يعلمون غيره رجع من غيبته إلى الآن، ثم أدلى بلفيف آخر غير مستفسر مضمنه معرفة شهوده الإخوة الخمسة المذكورين وأنهم كانوا مستوطنين بآيت علي والحسن بزمور مدة مديدة إلى أن مات منهم من مات؛ فعارض المدعى عليه البينتين المذكورتين بفتاوى أربعة طاعنا في ما أدلى به المدعي ثم عارض المدعي ذلك بفتاوى، ثم أعذر قاضي البادية المدعي بقوله: أبقيت لك حجة غير التي بيدك ؟ فاعترف أن لا حجة له غيرها، فحكم بإلغاء بينة المدعى وبإبقاء البلدتين بيد المدعى عليه بانيا حكمه على التناقض : فدعواه أن البلدتين له مع كون البينة تشهد أنها لأناس كثيرين يشاركونه. لما في المعيار عن ابن العجوز : **لا يسمع الحاكم الدعوى إلا محكمة ولا إحكام مع التناقض.**

فاستؤنف الحكم عند قاضي حاضرة سطات الذي حكم بصحة حكم قاضي البادية بانيا حكمه على وجوده مستوفيا لشروط صحته من إعذار وغيره.

ثم رفعت القضية لوزارة العدل، وبعد استشارة مجلس العلماء الأعلى المركب من الفقهاء الأجلة السيد عباس بن إبراهيم والسيد الهاشمي بن خضراء والسيد علال الشرايبي.

وبعد أن أمعن النظر في القضية أعلاه ظهر له : أن المدعي تناقضت دعواه بأن البلدتين له مع بينته التي تشهد أن لجده بوعبيد خمسهما وثلث الخمس وربعه وبما أن التناقض مبطل للدعوى والحجة، ففي المواق عن ابن يونس عن أشهد : **فإن اختلف قول المدعي بأمر بين لم يكن له شيء، قال أصبغ : (هذا قول مالك وأصحابه)** وقال ابن الهندي : (من أوجب سماع بينته - المدعي - بعد تكذيبه - المدعي - **إياها فقد فتح بابا من الشغب والتعنيت وأعان عليه)**. وقال في المعيار عن سيدي مصباح : **الذي ضاد قوله نص ما شهدوا له به هو مكذب للبينة ومن أدلى برسم فهو قائل به** فكأنه قال ما في المقال وما في الشهادة، فقد اجتمع فيه أمران مسقطان للدعوى أحدهما اضطراب المقال، والثاني تكذيب الشهادة، وقال شارح العمل السجلماسي في فتوى له ما نصه : وتلك الأمور تناقض دعوى القائم وذلك أنه في رسم بيده تضمن إقرار المقوم عليه بشراء الأرض وهو المشار إليه في وثيقة الحكم ادعى فيه أن الأرض المسماة بحفرة الجدري ملكه قائلا : هو ملكي، ولاشك أن هذا اللفظ يقتضي أنها له وحده، وفي رسم آخر مقيد على ظهره قال : إن الأرض المحدودة بمحوله هي لجده واستظهر برسم الملكية المقتضي اشتراكه مع أخيه وأخته وغيرهما وذلك تناقض، **وإذا كانت الدعوى متناقضة وجب أن لا تسمع فكيف يصح الحكم إذ ذاك بها**، ففي المعيار : استظهار القائم برسم الشراء لا يوجب له ملك ما تضمنه فالواجب قطع دعواه على الحائز، فإن قال القائم في النازلة لم أقصد بقولي «هي ملكي» الاختصاص بها، وإنما أردت ملكي مع من شاركني، قلنا لا تقبل منك دعوى الإرادة، لأن ذلك خلاف ظاهر اللفظ وفي بعض أجوبة أبي الحسن الصغير : **أنه يقال للمقر الزاعم إنه لم يرد مقتضى اللفظ، إنما يؤاخذ المتكلم فيما بينه وبين المخلوقين بظاهر اللفظ**، نقلا عن المعيار، وبما أن هاتين البينتين غير تامتين من وجوه أخرى غير محتاج إلى بيانها اكتفاء بما تقدم، فالرأي أن حكمي القاضيين صحيحان.

إن سعادة وزير العدلية بالإيالة الشريفة المغربية الشيخ سيدي شعيب الدكالي، بعد أن تحقق لديه أن المرافعة في القضية أعلاه جرت على منهجها وتمت سائر موجباتها سواء لدى القاضي أو أثناء الاستئناف، وبعد اطلاعه على رأي مجلس العلماء الأعلى في شأنها أصدر حكمه الآتي :

حيث أن دعوى المدعي إذا تناقضت مع حجته كانت حجته ودعواه باطلتين، لما ساقه أهل المجلس من النصوص، وقد علمت أن المدعي ادعى أن المدعى به له وأدلى بالحجة التي تقتضي أن لجده فيها الجزء الأقل، فبناء على ذلك حكمنا بصحة حكم قاضي حاضرة سطات بتصحيح حكم قاضي البادية بإلغاء حجة المدعي لما بين وإبقاء البلدتين بيد المدعى عليه.

حكما نهائيا أنفذناه وأمضيناه وألزمنا العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بدار المخزن بالرباط بتاريخ 25 محرم 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 6 بتاريخ 6 صفر 1339هـ
في القضية رقم : 255
الحاكم فيها قاضي الدارالبيضاء
البيع - الشهادة به - العرف - شرط الإفتاء به.

- يحرم الإقدام على الفتوى في الأمور التي يكون مرجعها العرف إلا بعد معرفة عرف أهل بلد النازلة.
- الشهادة بالبيع وما في معناه لا تقبل ولا يعمل بها إلا إذا ضمن شاهداها الإشهاد على المتعاقدين.
- إذا لم يذكر الإشهاد لا في صلب الوثيقة ولا في آخرها، فإن الوثيقة أو الشهادة لا تفيد.

ادعى بتاريخ ربيع الأول 1330 نائب المدعية مريم بنت بوطيب العبوبي أن موكلته التي هي زوجته أكرت للمدعى عليه الحاج المهدي بن محمد الصفريوي

بيتين من الدار الكائنة بالدار البيضاء بوجيبة قدرها لكل شهر ثلاثة ريال وربع ريال هذه مدة من أربعة أعوام سلفت عن تاريخه طالبا منه المحاسبة في كراء المدة المذكورة وأداء جميعه وإفراغ البيتين المذكورين، وأجاب المدعى عليه عن الكراء بالإنكار، والبيتان حوزه وملكه ورثهما من والدته عائشة بنت الحاج محمد الحمراوي وأدلى برسم تضمن إراثة خالته رقية أم المدعية وأنها توفيت فورثها بنتاها مريم المدعية وفاطمة الهجامية وشقيقتها عائشة ثم توفيت عائشة المذكورة فأحاط بإرثها ابنها المدعى عليه المذكور.

وبعدما جرت الدعوى أولا على غير المسطرة الشرعية وردت إلى أصلها وجرت على ما يطلب شرعا في مرافعاتها وأدلى المدعي بما يؤيد دعواه بنسخة بيضاء من رسمين (لغير العدول) وأدلى المدعى عليه تأييدا لجوابه بثلاث فتاوى مبطلة لحجة المدعية، حكم القاضي بأن الفتاوى لم تصادف المفصل، بانيا حكمه على أن المفتين توهموا أن التسليم عبارة عن تبرع بهبة أو صدقة فبنوا على ذلك اشتراط الحوز في الصحة، والحال أن التسليم في عرف البلد هو البيع مع قبض الثمن وتسليم المثمن، قال الإمام القرافي : **يحرم الإقدام على الفتوى في الأمور التي مرجعها العرف إلا بعد معرفة عرف أهل بلد النازلة**، وعليه فالمسألة من باب البيع لا من باب التبرع، كما حكم بأن التسليم المذكور لم يثبت به ملك إلا الآن، بانيا حكمه على أن التسليم المحكي من كناش المخزن لم يشهد به شاهدان ولا شاهد واحد كما يعلم من مراجعته لأن شهادة العدلين على الاعتراف والالتزام فقط، وأما المرفوع على خطه فإنما ذلك من حيث كونه أمين الأملاك المخزنية وقته وحيث وصف بالعدالة في الرفع على خطه توهم أنه العدل الشاهد بالتسليم وهو ليس كذلك إذ التسليم فارغ من الشهادة فلا حجة في النسخة المذكورة.

وبعد استئناف النازلة لمجلس العلماء الأعلى المركب من الفقهاء الأجلة السيد عباس بن إبراهيم والسيد الهاشمي ابن خضراء والسيد علال الشرايي، وبعد أن أمعن النظر في القضية ظهر له :

- أن الخصم إذا أدلى بما لا يجدي مما ليس بشهادة لا ينفعه ولا يكون له حجة على دعواه، لقول التحفة :

ثانية توجب حقا مع قسم   في المال أو ما آل للمال تؤم

شهادة العدل لمن أقامه.

وقد علمت أن التسليم الذي أدلى به المدعي ليس بشهادة ولا جار على نسقها؛ **وبما أن الشهادة بالبيع وما في معناه كالتسليم، لا تقبل ولا يعمل بها إلا إذا ضمن شاهداها الإشهاد على المتعاقدين لقول** صاحب البهجة : «**فإن لم تذكر إشهادا لا في صلب الوثيقة ولا في آخرها فإن الشهادة لا تفيد**»، فعلم من هذا بطلان التسليم، ولم يبق إلا اعتراف البنت المنوب عنها بأن الملك لأمها حيث أقرت ضمنا بالتزامها نيابة عن أمها وهذا وحده كاف في الاحتجاج عليها بأن الملك لأمها، **فالرأي أن حكم القاضي بأن التسليم المدلى به لا يفيد ولا يثبت به ملك لمنوبة المدعى صحيح في مركزه**، وعليه فدعوى المدعية باختصاصها بالمدعى به ساقطة.

لكن حيث كان في جواب المدعى عليه أن المدعى به ورثه عن والدته عائشة من قبل شقيقتها الحاجة رقية وأدلى بإراثتها، وتبين منها أن المحيط بإرثها بنتاها المدعية وفاطمة الهجامية وشقيقتها عائشة أم المدعى عليه، ثم توفيت عائشة فأحاط بإرثها ابنها المدعى عليه المذكور، وفي ضمن ذلك تسليم الملك لرقية، وكان قوله في الجواب أن المدعى به حوزه وملكه، يقتضي الاختصاص، وكان ذلك فيه شبه إجمال فتعين الكتب للقاضي أن يوقف المدعى عليه ويسأله أن يبين ذلك، فإن رجع عن دعواه وسلم الملك لجميع ورثة رقية وأنه ليس له إلا الإرث على مقتضى الإراثة، فالأمر واضح، ويعجز القاضي حينئذ المدعية في دعواها الاختصاص، ويكون المدعى به لجميع ورثة رقية على فريضة الله تعالى، وإن بقي على دعواه وصرح بانتقال ملك من عداه من الورثة له، فيكلف بإثبات ذلك، فإن أثبته أعذر فيه للمدعية وتجري بينهما الدعوى إلى وقوفها، ويعذر لمن توجه عليه الحكم بأبقيت لك حجة؟ بالإشهاد به ويوجه ما ثبت لديه فورا للمجلس ليتمم تقرير الحكم النهائي والله أعلم.

ثم كتب للقاضي بذلك فتمم المرافعات طبق ما بين له، وأشهد المدعى عليه أن ما أجاب به من الحوز والملك إنما مقصوده ما نابه إرثا في أمه والباقي لاشيء له فيه وهو للمدعيةوأختها للأم فاطمة بنت العرجون.

وتبين حينئذ أن **زينة البيتين المذكورين هي للمدعية مريم بنت بوطيب وأختها للأم فاطمة والمدعى عليه** حيث إن المدعى فيه سلم من المتداعيين للموروثة عائشة أم المدعية وكان المحيط بإرثها بنتاها وشقيقتها وتوفيت الشقيقة وأحاط بإرثها المدعى عليه، كما تبين أن لكل واحد الثلث بمقتضى الإراثة المذكورة، هذا ما يراه أهل المجلس في القضية ولسعادة وزير العدلية واسع النظر.

إن سعادة وزير العدلية سيدي شعيب الدكالي بعد اطلاعه على رأي أهل المجلس في شأن القضية أصدر حكمه الآتي :

- حيث إن الخصم إذا أدلى بما لا يجدي مما ليس بشهادة، لا ينفعه ولا يكون حجة له على دعواه.

- **وحيث إن الشهادة بالبيع وما في معناه كالتسليم لا تقبل ولا يعمل بها إلا إذا ضمن شاهداها الإشهاد على المتعاقدين**، لما بينه أهل المجلس.

- وحيث إنه لم يبق إلا اعتراف البنت المنوب عنها بأن الملك لأمها حيث أقرت وهو كاف في الاحتجاج عليها.

- وحيث اعترف المدعى عليه بأن المتنازع فيه متخلف عن خالته وليس له إلا إرثه في أمه.

فبناء على ذلك حكمنا بأن زينة البيتين المذكورين هي للمدعية مريم وأختها للأم فاطمة والمدعى عليه، وأن لكل واحد منهم الثلث بمقتضى الإرث المبين قبل.

حكما نهائيا أنفذناه وأمضيناه، وألزمنا العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة اسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بدار المخزن بالرباط بتاريخ 6 صفر عام 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 7 بتاريخ 22 ربيع الثاني 1339هـ
في القضية رقم : 207
الحاكم فيها قاضي الجديدة

الشفعة - العلم بالبيع - تصديق المنكر له - إثبات الشراء - اليمين على الثمن - شروطه.

- **يحكم لطالب الشفعة ولو بعد مضي العام، وإن أنكر العلم بالبيع يصدق، قال خليل : وصدق إن أنكر علمه.**
- **لا يحكم لطالب الشفعة حتى يثبت البيع والشركة، ولا تجب الشفعة إلا بالبيع التام، ولا تستحق وتمتلك إلا بعد أداء الثمن.**
- **إذا قام الحاضر بعد مضي السنة وأنكر علمه بالبيع، فإنه يصدق بيمينه ولو قام بعد مضي خمس عشرة سنة أو أكثر، لأن الأصل عدم العلم.**
- **يلزم طالب الشفعة، أن يثبت ملكيته للحصة التي يريد أخذها ويثبت شراء المبتاع من شريك القائم بالشفعة.**
- **لا يحكم بحلف المشفوع منه بأن الثمن ظاهره كباطنه إلا إذا طلب ذلك في مقاله من ينازع في قدره.**

ادعى الفلالي بن الطاهر الوجدي بمقال مؤرخ في 7 رمضان 1336 وكيلا عن فاطمة بنت العابد النجادي الملحاوي وأختها للأم آمنة بنت عبد القادر الحساني الناصري، على قدور بن علي اليزناسني الخالدي بأن للمنوب عنهما حظا شائعا في بلد أحمد ولد الشواف النجادي بمزرعة بني حسان المنجر لهما بالإرث من والدتهما الزهراء بنت أحمد ولد الشواف يريد المدعي حوز واجب منوبتيه من البلدة المذكورة وأخذ الباقي بالشفعة، وبعد ما كلفه القاضي بإثبات موت موروث منوبتيه وعدة ورثته وتناسخ الوراثات، حضر المدعى عليه وأجاب بأن البلدة بيعت في دين على محمد ولد أحمد الشواف بعد سمسرتها ثلاثة أشهر، واشتراها بموجب شرعي. وبعدما كلف القاضي المدعي بإثبات ما ادعى به من ملكية موروث المنوب عنهما للبلدة وأجله 15 يوما لذلك، أتى ببينة لفيف مطابقة لدعواه من كون البلدة ملكا لأحمد الشواف فقرأها على المدعى عليه وأجله فلم يأت بشيء، ثم أعذر

إليه بأبقيت لك حجة ؟ فادعاها، فعجزه وحكم عليه بأن لا حق له في البلدة المتنازع فيها لعجزه عن الإتيان بما ينفعه، خليل، **وأعذر بأبقيت لك حجة وأنظره لها باجتهاده، ثم حكم عليه ويعجزه**، قال شارحه الخرشي الضمير في يعجزه راجع للمحكوم عليه كان مدعيا أو مدعى عليه، إذا قال المحكوم عليه له حجة، وانظره الحاكم لأجل الإتيان بها باجتهاده ولم يأت، فإن القاضي يعجزه ويكتب التعجيز في سجله، وفي شرح الزقاقية **وإذا انقضت الآجال والتلوم ولم يأت بشيء يوجب له نظرا عجزه القاضي وانفذ القضاء عليه وسجل وقطع بذلك شغبه على خصمه** في ذلك المطلوب، ويختص المنوب عنهما بواجبهما فيها والباقي يأخذانه بالشفعة الواجبة لهما شرعا بعد يمينهما على نفي العلم بالبيع المذكور، خليل، **وصدق إن أنكر علمه، أي أنكر علمه بالبيع أو بأن الشقص ملكه قال الدسوقي : لأن الأصل عدم العلم**، وفي التحفة : «وكذا، ذو العذر لم يجد إليها منفذا». قال التسولي، **إذ أقام الحاضر بعد مضي السنة وأنكر علمه بالبيع فإنه يصدق بيمينه ولو قام بعد مضي خمس عشرة سنة أو أكثر**. وضمن عدلا الحكم الإشهاد على القاضي بذلك دون المداعيين.

ثم بعد ذلك طلب المحكوم عليه المذكور استئناف الحكم لدى وزارة العدلية وبعد إمعان النظر في القضية تبين أن الحكم المذكور مختل فاسد النظام ومبني على غير أساس :

- **أولا** : كان من حقه أن يكلف المدعيتين ببيان حظهما وبيان حدود البلاد المذكورة؛ وببيان الحظ الذي أريد استشفاعه، ومن باعه، وتاريخ البيع.

- **ثانيا** : كان من حقه أن يكلف المجيب بتتميم جوابه بأن ينفي ملك أحمد ولد الشواف لما ذكر، أو يقربه، وأن يكلفه بإثبات الشراء حيث أقر بمدخله متبرعا به.

- **ثالثا** : فتاريخ المقال، والجواب، والحكم، واحد ويتبادر إلى الذهن بسبب ذلك أن ذكر الآجال المذكورة غير صحيح؛ على أن الآجال المذكورة، لم تحضر[56]

---

(56) هكذا في الأصل، ولعل في العبارة نقصا، والظن أنه إذا زيدت كلمة (فيها) بعد عبارة (لم تحضر) اتضح المعنى، وهذا مما يؤكد سقوط كلمة أو عدة كلمات في الأصل.

كلها إنما حضر منها اثنان فقط، وليس فيها التنبيه على أن المدعى عليه حاز نسخة من الملكية المذكورة، وإنما فيها أنه أجله للإتيان بما ينفعه في الدعوى.

- **رابعا** : كان من حقه أن يسأل المدعى عليه هل يقدر على إثبات علم المدعيتين بالبيع حتى مضى أجل الشفعة لا أن يحكم باليمين على المدعيتين قبل ذلك على ما ذهب إليه من وجوب اليمين.

- **خامسا** : كان من حقه أن يعذر للمدعى عليه أخيرا بأبقيت لك حجة ؟ بمحضر عدلين، ولكن حيث تبين من عدة الإراثة ما ينوب كل واحدة من المدعيتين، وحدود الملك عرفت من الملكية، توقف الحال على الكتب للقاضي بالتنبيه على ما ذكر وأن يكلف المدعى عليه بتوجيه رسم الشراء المذكور وأن يسأله هل يقدر على إثبات علم المدعيتين بالبيع المذكور ويؤجله لإثبات ذلك إن زعمه، وأن يعذر فيه للمدعيتين وبعد إجراء ما يجب في ذلك يعذر لكل واحد من المتداعيين بأبقيت لك حجة ؟ بمحضر عدلين، وإن عجز المدعى عليه عن إثبات علمهما بما ذكر، يحلف المدعيتين على نفي العلم به قبل الاطلاع على ما في الملكية اللفيفية ويوجه ذلك لإتمام الحكم النهائي هنا؛ ثم بعد ذلك كله وجه القاضي رسما مؤرخا في 2 جمادى الأولى عامه، تضمن حكمه بعد حكاية ما راج في القضية : وأنه كان البيع إلى الآن لم يتم أمره بتصفية مواجبه وكانت الشفعة واجبة للشريك بعد تصفية المواجب ولا يطالب بالشفعة أو إسقاطها إلا بعد ذلك ليكون البيع مسلما لخلوص المبيع لبائعه كما قاله المتيطي وابن فتحون من أن **القاضي لا يحكم لطالب الشفعة حتى يثبت عنده البيع والشركة** إلخ، ومعلوم أن ابتداء السنة التي يسقط بها حق الطالب بعد علمه من يوم ثبوت الملك وتمامه واستقراره لا من يوم البيع، لأن الإنسان قد يبيع ما ليس له، ففي الحطاب عن الكافي ما نصه : **الشفعة تجب بالبيع التام وتستحق وتملك بأداء الثمن**، حكم بالضم للمدعي وعلى المشتري باليمين الواجبة عليه شرعا لقول المطلق :

إذا الشـفـيـع اتـهـم المبـتـاع أن	يكون في الإعلان زاد في الثمن
فـبـوجـوب حـلـفـه قـد افـتـيـا	ولو رأى الدفع العدول الأتقيا

وبعد إمعان النظر في ذلك كله تبين أن ما حكم به القاضي من أن للمدعيتين الشفعة ولو طال الزمان حيث إن البيع إلى الآن لازال لم يتم أمره بتصفية مواجبه

صحيح؛ قال في التبصرة الفرحونية ما نصه : قال ابن رشد : **إذا قام الشفيع يطلب الأخذ بالشفعة ورفع ذلك إلى حاكم حكم له بالأخذ من المستشفع منه بعد ثبوت ملكهما وثبوت الشراء وثبوت غيبة المبتاع إن كان غائبا وترجى له الحجة**، وقوله بعد ثبوت ملكهما يعني أن الشفيع يلزمه أن يثبت ملكيته للحصة التي يريد الأخذ بالشفعة - بسببها - ويثبت شراء المبتاع من شريك القائم بالشفعة على أن هناك وجها آخر في **وجوب الشفعة لهما ولو طال الزمان إذا كان لهما عذر عن القيام بعد العلم بالبيع بالاشتغال بالموجبات مثلا**، حيث كان القيام قبل عام بعد تمام موجبات المدعيتين، كما نص عليه أبو الحسن الصغير في جواب له مذكور في الدر النثير في مسائل الدعاوي والحيازات.

وحيث كانت من باب الاستحقاق، والشفعة لما تبين أن البائع محمد ولد الشواف باع جميع البلدة المذكورة عن نفسه وحده وحاز جل ثمنها لنفسه والتزم له المشتري بباقيه، فيجب للقائمتين منابهما فيها على حسب فريضة عدة الإراثة المذكورة واستشفاع الباقي من يد المشتري إن لم يرد غيرهما من الشركاء الدخول معهما فيها وهما فاطمة بنت أحمد الشواف وابن سليمان بن محمد الحساني ولا عمل على ما ادعاه نائب المدعيتين في أن لهما الثلث الواحد فيها بذلك مخالف لما في عدة الإراثة المفيدة أن لوالدتهما الربع فيها فقط موروثا عنها لورثتها الذين من جملتهم المدعيتان كما تقدم.

الحاصل أن المدعيتين يجب لهما منابهما المذكور في عدة الإراثة من البلدة المذكورة واستشفاع باقيها إن لم يرد الشريكان اللذان لم يبيعا الدخول معها فيها.

وأما ما حكم به القاضي من أن اليمين تجب على المدعى عليه على أن الثمن ظاهره كباطنه فلا محل له إذا لم تدع المدعيتان بذلك ولا طلبتاه في مقالهما والله تعالى أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية المذكور، حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الحضرة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بفاس في 22 ربيع الثاني 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 8 بتاريخ 27 ربيع الثاني 1339هـ
في القضية رقم : 267
الحاكم فيها قاضي القنيطرة

الخدش في الحجة - الأداء روح الشهادة.

- إذا أدلى المدعي بحجة على دعواه، وأعذر فيها للمدعى عليه ولم يأت فيها بمطعن كلف ببيان وجه مدخله.

- إذا أدلى المدعي بحجة مخدوش فيها ألغيت دعواه وبقي الشيء بيد حائزه بعد يمينه.

- الشهادة غير المؤداة عند القاضي تعتبر والعدم سواء، إذ إن روح الشهادة أداؤها وعدم ذلك خدش فيها.

- رسوم الأشرية لا تفيد المستظهر بها في باب الاستحقاق إذا كانت من غير المقوم عليه، ومثل الشراء، سائر التبرعات والأصدقة والسياقات.

ادعى بمقال مؤرخ في 23 صفر 1337 الجلالي بن محمد السحيمي الرباطي قائلا إن له بلدا رملية تعرف بكدية سيدي محمد ابن منصور، حدودها بالمقال، وهي في حوزه وملكه يتصرف فيها بالحرث والانتفاع والمنع والعطاء هذه مدة، تملكها بالشراء الصحيح إلى أن ترامى عليها بلعباس محمد المنصوري بن التهامي ومن معه زاعمين أن لهم الثلث في البلدة المذكورة ويطلب رفع اليد عنها أو يبينوا سبب ترامیهم عليها وأجاب بلعباس المدعى عليه بأن البلدة المذكورة حوزهم وملكهم وهم يتصرفون فيها بما ذكر، وأدلى المدعي بشرائه للبلدة المذكورة من سيدي العسال بن يحي المنصوري العسالي وشراء العسال المذكور مبني على تملك المرأة زهراء بنت مولاي أحمد بن الفقيه السيد الجيلالي المنصوري للأرض المذكورة، صيرها لها في صداقها سيدي محمد بن جا في المنصوري والزوج المذكور شهد له - بتملكه لها مدة من أربعين عاما - لفيف 12 مستفسر، غير أن الشهود بالملكية لم يؤدوا شهادتهم، لا عند القاضي في وقته، ولا عند نائبه، وتاريخه 12 صفر عام 1284، أعذر للمدعى عليهم في الملكية المذكورة وما انبنى عليها من التصيير والأشرية، فأدلوا بفتويين بالخدش في الملكية من حيث عدم أداء شهودها وعدم الإشهاد في

التصيير للمصير الخ وأنه حيث كان شراء المدعي مبنيا على شراء العسال المبني على ملك المرأة زهراء للأرض من زوجها وملكية زوجها ألغيت لما ذكر، كان الكل فاسدا فلم يبق إلا مجرد الدعوى على الحائز وهو المدعى عليه الخ وأدلى المدعي بفتوى تعارضهما. ثم في 29 شوال عام 1337 حكم القاضي بعد حكاية ما راج في القضية وحضور كل من المتداعيين بمجلسه، وإحضار رسوم المرافعات للنظر فيما عسى أن يكون أتى به المدعي مما قد أجل لأجله، فامتنع من ذلك كل الامتناع وأنكر كونه أعطى سابقا لخصمه نسخة من ملكية الأرض المذكورة، وأنه لا يقبل الحكم عليه بإعطاء نسخة منها ولا من بقية الحجج لأجل الاعذار فيها لخصمه، فأمهله بمقدار ساعة لعله يرجع فلم يرجع، وأمهله ثانيا فأبى وصمم على الامتناع، فعند ذلك أشهد أنه حكم على المدعي المذكور بعدم استحقاقه للقطعة المشار إليها وعدُّ انتزاعها من يد حائزها لبطلان حجته التي أدلى بها على ذلك، وعلى المدعى عليهم باليمين أن البلدة المدعى فيها ملكهم، وأنهم لا يعلمون للمدعي حقا فيها أو في جزء منها، إذ ببطلان حجته لم يبق إلا مجرد الدعوى عملا بقول المتحف : (ثانية توجب حقا مع قسم[57]...) إلى قوله : (واليد مع مجرد الدعوى) كما أشهد أنه عجز المدعي المذكور قطعا للشغب وحسما لمادة النزاع وتبين لدده :

ومـن ألـد في الخصـام وانتـهـج	نـهـج الـفـرار بعد إتمام الحجج
يـنـفـذ الحكـم عـلـيـه الحكـم	قـطـعـا لـكـل مـا بـه يـخـتـصـم

ثم بعد ذلك طلب المحكوم عليه استئناف الحكم لدى وزارة العدلية، فأحضر كل من الفريقين ما لديه من الحجج المتعلقة بالنازلة، بعد إمعان النظر فيها

(57) ثانية «أي الشهادة الثانية من أنواع الشهادات التي جمعها صاحب التحفة في منظومته وذلك باعتبار ما تتضمنه أو يترتب عليها من الحقوق إثباتا أو نفيا؛ حيث قال في : «فصل في أنواع الشهادات»

ثـم الشـهـادة لـدى الأداء	جـمـلـتـهـا خـمس بـالاسـتـقـراء
تـخـتـص أولاهـا عـلـى الـتـعـيين	أن تـوجب الحق بـلا يمين
ثـانـيـة تـوجب حـقـا مـع قسـم	في المال أو مـا آل لـلـمـال تـؤم
ثـالـثـة لا تـوجب الحق نـعـم	تـوجب تـوقـيـفـا بـه حـكـم الحكم
رابـعـة مـا يـلـزم الـيـمـيـنـا	لا الحق لـكـن لـلـمـطـالـبـيـنـا
خـامسـة لـيـس عـلـيـهـا عـمـل	وهـي الشـهـادة الـتـي لا تـقـبـل

وللمزيد من البيان يراجع كتاب البهجة وغيره من شروح التحفة عند كلامهم وشرحهم لهذه الأبيات بكاملها في الفصل المذكور.

والحكم المبني عليها تبين لسعادة وزير العدلية، أن حكم القاضي على المدعي بعدم استحقاقه للأرض المدعى فيها وعدم انتزاعها من يد حائزيها لبطلان الحجة التي أدلى بها وعلي المدعى عليهم باليمين، صحيح لجريانه على دعوى الاستحقاق إذ قاعدة الاستحقاق أن المدعي إذا ادعى أن الشيء الفلاني ملكه فإن المطلوب يوقف على الإقرار أو الإنكار خاصة، فإن قال حوزي وملكي فلا يكلف بأكثر من ذلك، ويكلف المدعي بإثبات دعواه أعني الملك بفصوله المعلومة، لقول التحفة :

المدعي استحقاق شيء يلزم بينة مثبتة ما يزعم
من غير تكليف لمن تملكه من قبل ذا بأي وجه ملكه

فإن أتى المدعي بحجة لا مطعن فيها، وأعذر فيها للمدعى عليه ولم يأت بمطعن كلف حينئذ ببيان وجه مدخله وإن أتى المدعي بحجة مخدوش فيها ألغيت دعواه وبقي المدعى فيه بيد حائزه بعد يمينه.

وحيث كانت الملكية التي أدلى بها المدعي في هذه القضية المبني عليها شراء من اشترى من عنده مخدوشا فيها بعدم أداء شهودها لشهادتهم **ومعلوم أن روح الشهادة هو أداؤها، ومتى لم تؤد فهي كالعدم** كما لشراح التحفة عند قول ناظمها : وزمن الأداء لا التحمل الخ ولطول المدة لا يمكن تدارك ذلك الآن، وبقي بيده الشراء مجردا، ومن المقرر المعلوم أن رسوم الأشرية لا تفيد المستظهر بها في باب الاستحقاق إذا كان الشراء من غير المقوم عليه، ففي نوازل الهبات من المعيار عن ابن لب ما نصه : وعقود الأصول في البيوع والهبات لا توجب استحقاقا من يد من الشيء بيده، إذ ليست حجة إلا على جهة البائع أو الواهب إن قامت بدعوى استراقة الملك وقال المحقق السجلماسي ما نصه : إن رسوم الأشرية لا تفيد المستظهر بها في باب الاستحقاق بحيث أنه لو قام شخص يدعي في شيء بيد غيره أنه له واستظهر على دعواه برسم تضمن اشتراءه لذلك من غير المقوم عليه، لم ينتفع بذلك ولم يقض له به، ومثل رسوم الأشرية في هذا رسوم الهبات والصدقات والأصدقة والسياقات.

تعين إلغاء دعوى المدعي وإبقاء المدعى فيه بيد حائزيه بعد يمينهم أنهم لا يعلمون في الأرض المقوم عليهم فيها حقا للقائم والله تعالى أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بفاس في 27 ربيع الثاني عام 1339هـ.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 9 بتاريخ 28 ربيع الثاني 1339هـ
في القضية رقم : 269
الحاكم فيها قاضي سلا

الشهادة : باللفيف - بالعدول - لا تعارض بينهما.

- العمل على أن كل من طلب حقا بسبب ميت أن يكلف بإثبات موته وعدة ورثته وإن كان مشهورا عند الحاكم وغيره، كما لابن سهل.

- لا تعارض بين شهادة لفيف وشهادة عدول، إذ الشهادة العدلية أرجح.

ادعى العربي بن عبد الرحمان بن الغازي الحسنوي بمقال مؤرخ في 4 رمضان 1334 أن له أرضا بسهب القائد خارج باب فاس أحد أبواب سلا والمحدودة بالمقال انجرت له بالإرث في عمه السيد محمد بن العربي بالغازي وأنه كان يتصرف فيها بالحرث والإكراء مدة طويلة وهو يحوزها لنفسه منذ تملكها بالإرث إلى أن أكراها عام تاريخه لأحمد بن الحاج عبد الله الحصيني السلوي فجاء السيد محمد بن أحمد البزاز وصار ينازعه فيها، لذا يطلب منه أن يبين وجه منازعته، فأجابه البزاز المذكور بأنها حوز وملك موكلته صفية بنت الحاج محمد بن سعيد وورثة أختها طاهرة، وأدلى المدعى عليه تأييدا لجوابه بشهادة موجهين عن إذن القاضي مؤرخة في 6 رجب عام 1331 تضمنت وقوفهما على عين الأرض المذكورة المشتركة بين الشقيقتين المذكورتين وقاساها بالمتر، وبشهادة عدلين مؤرخة أوائل رجب عام 1331 مضمن شهادتهما معرفتهما لصفية وأختها المذكورتين وأن لهما جميع الأرض المذكورة بشروط الملك والحوز والتصرف والإكراء وغيره مدة تزيد على عشرة أعوام سلفت، قيد حياة طاهرة مع النسبة وعلم عدم التفويت والمنازع إلى الآن في حق صفية وإلى أن ماتت طاهرة وتركت حظها لأهل الإحاطة بإرثها تم بين الشاهدان

المذكوران في أواخر الشهر المذكور أن الأرض المذكورة هي مناصفة بين الشقيقتين، ثم في 8 ربيع الثاني 1335 بينا أن مستند علمهما المعاينة للتصرف والسماع في النسبة.

وبعد الإجراءات حكم القاضي على المدعي بإثبات موت عمه وعدة ورثته وملكيته للأرض واختصاصه بها بعد وفاته، وأجله لذلك فامتنع من الإثبات بمحضر شهيدي الحكم.

فحكم بالأرض المذكورة للمدعى عليه بانيا حكمه على ثبوت الملك لهم بالعدلية المستجمعة للشروط مع قطع النظر عن أسباب الترجيح بينها وبين الملكية اللفيفية وعلى كون امتناع المدعي من اثبات ما ذكر من الموت وما معه، يوجب عدم سماع دعواه، وأنه لا تكفيه البينة اللفيفية عن ذلك، لكونه هو المدعي وليس بحائز للأرض، ولا تنفعه اليد الثابتة باللفيفيةلسقوطها، قال ابن سهل : طريقة الحكم التي مضى بها العمل أن على كل من طلب حقا بسبب ميت أن يكلف إثبات موته وعدة ورثته وإن كان مشهورا عند الحاكم وغيره ونحوه في وثائق الفشتالي ونوازل الشيخ التاودي وغيرهما، وعلى فرض ثبوت ذلك كله بهذه اللفيفية فترجح الملكية العدلية بالعدالة وبقدم تاريخها كما تفيده بينة موت الطاهرة في 26 ربيع الثاني 1324 وقد قال في المختصر : وبتاريخ أو تقدمه، على أنه لا ينظر في اللفيف بمرجح إذ لا تعارض بين لفيف وعدول كما لسيدي عبد القادر الفاسي وعمه سيدي العربي والشيخ ميارة وشرح العمل الفاسي، بعد أن أعذر للمحكوم عليه بقوله أبقيت لك حجة ؟ فنفاها بمحضر شهديه.

ثم طلب المحكوم عليه استئناف الحكم لدى وزارة العدلية فاستدعى خصمه للحضور، وبعد إمعان النظر في الحجج والحكم المنبني عليها تبين أن حكم القاضي بالأرض المذكورة لموكلي المدعى عليه وعدم سماع دعوى المدعي، وترجيح بينة المدعى عليهم، على بينة المدعي، لكون الأولى عدلية وتقدم تاريخها بخلاف بينةالمدعي؛ صحيح؛ لأن ملكية المدعى عليهم استجمعت شروط الملك من الحوز، والتصرف، والنسبة، وطول المدة، وعلم عدم تفويت الهالكة، وعدم المنازع،واستدراك بيان المناصفة في الشركة، ومستند العلم، وتاريخ موت الهالكة، وثبوت الموت، وعدة الورثة، وذكر عدم تفويت من مات من ورثة الهالكة، وبيان المعرفة.

أما ذكر عدم تفويت الأحياء إنما هو شرط كمال، لقول اللامية :

وهل عدم التفويت في علمهم كمال   أم صحة للحي للميت ذا اجعلا

فلا يضر عدم ذكره في حق الأحياء من المالكين، حين تأخر القيام بالبينة، ولأن الورثة يكفي في ثبوت الملك لهم ثبوته لموروثهم مستمرا إلى وفاته ولو لم يكن منهم تصرف، فأحرى مع ثبوت التصرف لهم إلى التاريخ المذكور، وقد نص على ذلك السجلماسي في جواب له مؤيدا له بكلام ابن رشد في البيان وأبي إسحاق الشاطبي فيما نقل عنه ابن الناظم في شرح تحفة والده، والونشريسي في معياره، وكلام ابن سهل قائلا بعده ما نصه : فتحصل أن إحدى البينتين شهدت بالملك والتصرف للموروث، ولم تشهد للورثة بشيء، والبينة الأخرى شهدت بعدة الورثة فقط، ولم تشهد بملك ولا بتصرف لا للموروث ولا للورثة، ومع ذلك يقضى للورثة باستحقاق الشيء المشهود به.

الحاصل أن حكم القاضي بالأرض المذكورة للمدعى عليهم صحيح، والله تعالى أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بفاس في 28 ربيع الثاني عام 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 10 بتاريخ متم ربيع الثاني 1339هـ
في القضية رقم : 291
الحاكم فيها قاضي آسفي

شهادة السماع - سقوط الدعوى - التناقض.

- شهادة السماع لا ينتزع بها من يد حائز.
- من اختلف قوله واضطرب مقاله، سقطت دعواه وبينته، للتناقض الحاصل بينهما.
- من أدلى بحجة فهو قائل بها، ومن تناقض كلامه فلا حجة له.

ادعى بتاريخ 13 رمضان 1336 العربي بن عزيزي المسناوي على أولاد عمه الأربعة الحسين، وعلي، ومحمد، وامحمد، أبناء الجلاني المسناوي بأنهم تراموا له على واجبه في ملك جده السيد محمد بن الجلاني المسناوي من ذلك دار جده المذكور المحدودة بالمقال، وفدادين من الأرض، تعرف ببوطويل، وأرض الحاج محمد، وطريق الجمعة، والمطهرات والترس، وجنان مغروس، الكل بمزارع مسناوة ومنعوه مما ذكر من غير موجب، فيطلبهم برفع يد الترامي على واجبه مما ذكر أو الجواب بما شاءوا، ثم بين المدعي أن الترامي تم منذ سبع سنين سلفت عن تاريخه، وأجاب وكيل المدعى عليهم بأن المدعى فيه كله ملك لموكليه، وفي حوزهم وتصرفهم، ولا يعلمون فيه للمدعي حقا، وأدلى المدعي ببينة عدلية تشهد بالسماع بتملك السيد محمد بن الجيلاني المسناوي للأملاك المذكورة.

ثم في 19 محرم عام 1338 حكم القاضي، بعد حكاية مضمن ما راج في القضية، بسقوط دعوى المدعي، وبقاء المدعى فيه بيد من كان حائزا له، وهم المدعى عليهم للتناقض الواقع بين شهادة السماع بالملك وبين المقال، إذ في المقال مدة الترامي سبع سنين وفي البينة خمسة أشهر، ولأن شهادة السماع لا ينتزع بها من يد حائز.

ثم بعد ذلك طلب المحكوم عليه استئناف الحكم لدى وزارة العدلية.

وبعد إمعان النظر في الحجج المشار إليها والحكم المنبني عليها تبين أن الحكم بسقوط الدعوى وبقاء المدعى فيه بيد حائزه صحيح؛ للتناقض الواقع بين المقال والحجة، وقد ذكر ابن ناظم التحفة أن من جملة ما تحل به الرسوم مضادة قول المشهود له لنص ما شهد به الشهود، وذكر الفقهاء أن من أدلى برسم فهو قائل بما فيه وأن من اختلف قوله واضطرب مقاله سقطت دعواه وبينته، ونقل في المعيار عن العبدوسي أن من تناقض كلامه فلا حجة له والله تعالى أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية رعاه الله حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بفاس في متم ربيع الثاني 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 11 بتاريخ 11 صفر 1339هـ
في القضية رقم : 295
الحاكم فيها قاضي الصويرة

الإشهاد على الحاكم - وثيقة الحكم - معنى الصائر.

- الإشهاد على القاضي بالحكم من طرف من يجب، أمر لابد منه، سواء كان مسجلا أو منفردا.
- الحكم بدون إعذار باطل، لأن الإعذار شرط في صحة الحكم، على المذهب.
- إذا كان الحق جليا، والمطالب به مليا، والحاكم عدلا، فالصواب تغريم المطلوب الذي لا عذر له في التخلف عن حضور مجلس القضاء.
- الأصل عصمة مال المسلم، فلا يباح بالاحتمال والشك، إذ لا يرتفع اليقين إلا باليقين.
- الحكم بأي شيء بدون نص لا عمل به، والمدعي بالباطل عليه الإثم، ويؤدب.
- المقصود بأداء الصائر هو أن القاضي عند حكمه يبين من يتحمل الصوائر من الخصمين أو ما هو القسط الذي يتحمله كل واحد منهما.

ادعى بتاريخ 10 رمضان 1337 السيد محمد بن البشير بلهاض الصويري الوكيل عن عمر بن زيدان وحمان بن المحجوب ومبارك بن سعيد الحراثيين، على السيد محمد بن إبراهيم بأنه يقوم على موكليه في كل سنة أو سنتين يدعى عليهم فيما بيدهم من أملاكهم ويشارعهم عليها إلى أن يصيروا على ذلك دراهم عديدة، ويتجه الحكم عليه ثم يتغيب، وهذا دأبه معهم، إلى أن قام عليهم هذه مدة من نحو ستة أشهر سلفت عن تاريخه واتصلت به وشارعوه بالبادية إلى أن صيروا على ذلك مائتي ريال تثنية وعشرين ريالا مخزنية وذلك على وجه الظلم منه والتعدي عليهم، فيطلب أن يمكنهم مما صيروا أو الجواب على ذلك بما شاء. وأجاب المدعى عليه بأنه قام على المدعين وشارعهم كما ذكر بالمقال وليس قيامه على وجه الظلم والتعدي وإنما قام يشارعهم على ما بيدهم من ملكه، ولازال يشارعهم على ذلك إلى الآن وبعد الآن إلى أن يقع بينهم الفصل على وجه شرعي، وأما الصائر فلا علم له بقدره، وقد صير هو أكثر من ذلك في طلب حقه، والنظر فيه للشرع.

ثم حكم القاضي على وكيل المدعين بالإتيان ببيان الصوائر وبالحجج التي كان موكلوه يتنازعون بها بالبادية ليتبين له هل حكم لهم أو عليهم، فأدلى بحكم نائب قاضي إيالة النكنافي، مصححا فيه حكم القاضي المذكور على محمد بن إبراهيم ومن معه برفع اليد على الملك الذي عليه نزاعهما مع الوكيل عمر بن زريد ومن معه المسمى «بغدير الكرشة» وبنزول الفريق المحكوم له به، بتاريخ 6 شعبان 1337، كما أدلى بزمام ما صيروه على الدعوى، تلقاه من المصيرين عدلان حتى اجتمع فيه 217 ريالا.

فحكم قاضي الصويرة بتاريخ 7 شوال 1337 بتسليم الشهادة بالحكم على المدعى عليهم بالصائر المدعى به بالمقال على وفق الضابط المخزني وذلك على لسان أحد أعوانه، ثم خاطب عليه.

وطلب المحكوم عليه استئناف الحكم لدى وزارة العدلية بالحضرة الشريفة، وبعد إمعان النظر في القضية، تبين أن **حكم قاضي الصويرة باطل** :

- **أولا** : فلأن حكم نائب قاضي البادية الذي بنى عليه قاضي الصويرة حكمه بأداء الصائر غير صحيح، حيث أن المدعي أكذبه، لأنه بالمقال ادعى أن المدعى عليه حين يتوجه الحكم عليه، والفرض أنه حكم عليه قبل المقال بما يزيد على الشهر حسبما يعلم من تاريخ المقال وتاريخ الحكم المدلى به، ولخلوه من معرفة المحكوم له والمحكوم عليه أو التعريف بهما مع أن ذلك لابد منه كما هو معلوم.

- **ثانيا** : فإنه لم يعذر فيه للمحكوم عليه حين وقع الإدلاء به كما في شروح الزقاقية عند قول ناظمها «واحكمن لخصم برسم لانتساخ ليسئلا» إلخ وكذلك لم يعذر له في زمام الصائر.

- **ثالثا : فإنه حكم عليه بدون إعذار مع أن الإعذار شرط صحة في الحكم، والحكم بدونه باطل**، قال أبو علي بن رحال عند قول التحفة : «وقبل حكم يثبت الإعذار» الخ، ما نصه مستفاد منه أن الحكم بدون تقدم إعذار باطل، وهو كذلك لأنه شرط صحة فيه، على المذهب، لحق الله تعالى.

- **رابعا** : فإنه لم يقع عليه - أي القاضي - إشهاد في الحكم وإنما تلقى الحكم شاهداه من أحد أعوانه **مع أن الإشهاد على القاضي بالحكم لابد منه كما هو**

منصوص، وقد خالف في ذلك وثيقة حكم القاضي إذا كان مسجلا أو منفردا : لأنه إذا كان مسجلا لابد أن يقول شاهداه في آخره شهد على إشهاد من يجب أعزه الله بما فيه عنه وهو بمحل حكمه ومجلس قضائه وعلى إشهاد الخصمين بما فيه عنهما الخ، وإذا كان الحكم منفردا، صدره شاهداه بقولهما أشهد الفقيه قاضي كذا أنه قام عنده فلان وادعى على فلان الخ.

- خامسا : فإنه حكم بأداء الصائر بدون نص مع أن القاضي لا يحكم بالحدس والتخمين بل بمقتضى ما نص عليه الأئمة، قال ابن عرفة : «وكثيرا ما رأيت بعضهم يحكم في النازلة وهو لا يستند في حكمه لنقل بحال لما استقرئ من حاله أنه إذا روجع في بعض أحكامه لم يذكر مستندا من نص رواية، ولا قول بعض أهل المذهب، ولا قياس عليه». على أن الحكم بأداء الصائر لا معنى له لأن الخصم كان يصير على مصالح نفسه وهذه هي القاعدة المقررة المعروفة وغاية ما ذكروه في المدعي بالباطل أن عليه الإثم والأدب كما في الزرقاني، وقول الفقهاء الأجرة على المطلوب إن ألد موضوعه فيما إذا دعاه للقاضي فأبى أو منعه حقا يقربه ويماطله به كما في الوثائق المجموعة وغيرها، وقد فصل ابن الشماع في ذلك فقال : «إن كان الحق جليا والمطلوب به مليا والحاكم المدعو إليه من حكام العدل، فالصواب إغرامه حيث لا عذر له في التخلف» وإن لم تعزف حقيقة الأمر في ذلك فالأصل عصمة مال المسلم فلا يباح بالاحتمال والشك إذ لا يرتفع اليقين إلا باليقين» هـ ويؤيده ما في أقضية المعيار عن العقباني، فمن سجن في تهمة دم أو سرقة ولم يثبت عليه ما يوجب غرما ولا قودا[58] أن أجرة السجان على مدعي الدم والسرقة، وعليه فلا تجب الأجرة على المطلوب حتى يثبت لدده بثبوت ما يدعيه الطالب، وانظر آخر أقضية المعيار، فقد ذكر فيها نظائر، منها أجرة الأمينة، وأجرة المقوم في البيع الفاسد، قال هي على الطالب وليست على البائع في الفاسد فأنت ترى الفقهاء قالوا بالأجرة على المطلوب إذا كان ملدا، وثبت ذلك عليه، وقيدوا ذلك بقيود لم يتوفر منها واحد منا، وهذا القاضي حكم بأداء الصائر من غير ثبوت،

---

(58) القود : القصاص - خليل : «فالقود عينا ولو قال : «إن قتلتني أبرأتك». قال شراحه : يقتل القاتل، وإنما يجب العفو لأوليائه، ويبقى الولي على حقه من القصاص، إن امتنع القاتل من أداء الدية.

وما أدلى به المدعي محض زمام، وما أحال به في حكمه بأداء الصائر على الضابط المخزني فلم يفهمه على وجهه، لأن مراده به ما في الفصل العاشر من الظهير الشريف، وهو فيه أن القاضي عند حكمه يبين من يتحمل الصوائر من الخصمين أو ما هو القسط الذي يتحمله كل واحد منهما كما هو لفظه، لا ما فهمه من أن الصائر يكون على المحكوم عليه وحده فإن هذا مخالف للشرع وللضابط.

الحاصل أن الحكم على المدعى عليه بأداء الصائر للمدعي باطل لما قرر والله تعالى أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية رعاه الله حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بفاس في 16 جمادى الأولى 1339.

أبو شعيب الدكالي

الحكم عدد 12 بتاريخ 18 صفر 1339هـ
في القضية رقم : 297
الحاكم فيها قاضي الدارالبيضاء

إدعاء الملك - التراجع - ظاهر اللفظ - البينة - سقوطها - الشغب - الإعانة عليه.

- من أكذب بينته، فلا ينتفع بها، لأنه أسقطها، ومن أوجب له سماعها، بعد تكذيبه إياها، فقد فتح بابا من الشغب وأعان عليه.

- إذا تراجع المدعي وقال لم أقصد في مقالي المدعى فيه، ملكي، الاختصاص به، وإنما أردت ملكي مع من شاركني، فإنه لا يقبل منه، لأن ذلك خلاف ظاهر اللفظ.

- لا تقبل دعوى الإرادة، لأن ذلك خلاف ظاهر اللفظ،ولا يؤاخذ المتكلم فيما بينه وبين المخلوقين إلا بظاهر اللفظ.

ادعى بتاريخ 27 ربيع الأول 1337 السيد حمو بن الحاج الفايدي، على ورثة الحاج العربي بن حجاج، بأنهم تراموا له على طرف من الأرض المسماة بـ«اخربقة» ذكر بالمقال، مع أن لهم فيها السبع الواحد فقط من موروثهم المذكور، يطلب منهم التخلي عما تراموا عليه في البقعة المذكورة وقسمتها على مقتضى الشركة التي بينهم فيها، وبعد أن أثبت المدعي موت الحاج العربي المذكور وعدة ورثته، حضر من المدعى عليهم سليمان مقدما على سائر إخوته ووكيلا عن زوجات أبيه، فأجاب بالإنكار الكلي، لكل ما ادعى به المدعي حمو، وأن الطرف المذكور المدعى فيه حوزهم وملكهم؛ وأدلى المدعي ببينة لفيف 12 مستفسرة تثبت تملكه للمدعى فيه على أن له ولولدي أخيه المعطي وابن المكي ستة أجزائه، ولموروث المدعى عليهم الحاج العربي الجزء السابع، وأنهم يتصرفون فيه على تلك النسبة مدة تزيد على أمد الحيازة شرعا، مستجمعة لشروط الملك عدا النسبة؛ فعارضها المدعى عليهم بعدة مبطلات؛ منها تناقض المقال مع الحجة، وبالإرسال الواقع في مدة الحيازة؛ وأنه لابد من التنصيص على القدر المعتبر في الحيازة صراحة لأن أمد الحيازة يختلف بين عشرة أشهر، وعشرة أعوام، وأربعين سنة، وأمد الحيازة بحسب موضوع كل نازلة.

وبعد إجراءات، ألزم القاضي المدعى عليه بيان وجه مدخله للمدعى فيه فذكر أن وجه المدخل هو برسم الشراء للمدعى فيه وأنه بيد المدعي حمو، وله ولمن إلى نظره فيه حقوق ونفع يتعلق بالأرض المذكورة، وليس بيدهم نسخة منه، وبعد الإعذار له بأبقيت لك حجة ؟ ذكر أنه لم تبق له حجة غير ما ذكر بيد سي حمو من رسم الشراء، فسأل القاضي المدعي على غير وجه الإلزام إحضار الرسم المذكور، فأجاب بالإنكار الكلي، وأن ليس بيده رسم شراء للمدعى فيه يتضمن حقوقا للمدعى عليه، فطلب منه المدعى عليه اليمين على صحة ما تضمنه إنكاره، وعلى أنهم لا يملكون معه في المدعى فيه إلا السبع - بالباء - الواحد على مقتضى بينته اللفيفية، وبعد اقتضاء اليمين يقاسمه المدعى فيه على مقتضاها.

ثم في 26 شوال عام 1337 حكم القاضي على المدعي سي حمو باليمين المطلوبة منه من خصمه سليمان، وألزمه في ذلك يمين الاستحقاق في الأصول، وإن كان

القول فيها ضعيفا، لما ظهر له في ذلك من المصلحة الشرعية، خصوصا مع الاستحقاق باللفيف الذي لا يخفى أمره، كما حكم على سليمان أنه بعد اقتضائه اليمين يلزمه أن يقاسمه المدعى فيه على مقتضى اللفيفية، فيجوز السبع الواحد والمدعي ستة أسباع.

ثم استؤنف الحكم أعلاه لدى قاضي الدارالبيضاء، ولما أمعن النظر في القضية ألفى ذلك خاليا من أمور لابد منها؛ منها : عدم الإعذار لسليمان المدعى عليه في إراثة والده وإراثة ابن المكي، ومنها عدم الاكتفاء بحضور المعطي وإشهاده بأنه لازال إلى نظر عمه، فلا يكفي ذلك بمجرد قوله ولابد من موجب التقديم عليه أو التوكيل، ومنها أنه لابد من ثبوت نيابة المدعى عن ورثة ابن المكي، فسردت الإراثتان على المدعى عليه فأشهد أنه سلمهما ولا مطعن له فيهما، وحكم على المدعي بإحضار موجب نظره على المعطي مع ثبوت نيابته عن ورثة ابن المكي وأجله لذلك.

وبعد إجراءات لدى قاضي البيضاء حكم بسقوط يمين الاستحقاق المحكوم بها إذ المشهور والراجح والمعمول به من أقوال ثلاثة هو القول بالتفصيل بين الأصول فلا تجب فيها، وفي غيرها تجب، قال في التحفة :

ولا يمين في أصول ما استحق　　　وفي سواها قبل الإعذار يحق

فطلب المحكوم عليه استئناف الحكم لدى وزارة العدلية بالحضرة الشريفة، وبعد إمعان النظر في القضية، تبين لسعادة وزير العدلية، أن دعوى المدعي ساقطة في حظه وحده دون حظي شريكيه ولدي أخيه **للتناقض الواقع بين مقاله وبين الملكية التي أدلى بها**، لأنه في المقال ادعى وكيله أن المدعى عليهم ترامو لموكله على طرف من الأرض على أن لهم فيها السبع الواحد بالباء فقط، وذلك يقتضي أن الستة أسباع الباقية لموكله وحده، وشهود الكلية التي أدلى بها شهدوا بأن المدعي يملك الستة أسباع هو وولد أخيه المعطي وابن المكي : والمدعى عليهم يملكون السبع الباقي، فقد قال في **مقاله بحسب ظاهر لفظه ما يضاد نص ما شهد له به وذلك من مبطلات الرسوم** ففي أول

الشهادات في شرح ولد الناظم أن من جملة ما تحل به الرسوم مضادة قول الشهود له لنص ما شهد له به الشهود، وفي نوازل المعاوضات من المعيار عن سيدي مصباح فيمن اشترى أرضا فسئل عن ثمنها فقال كذا، فلما أقام البينة بابتياعه شهدت بأقل من الثمن الذي ذكر أو أكثر، قال هي شهادة باطلة لا عمل عليها، لأنه مكذب لها في الابتياع المذكور، حيث ذكر ضد ما ذكرت، على المشهور المعمول به، قال أبو حفص الفاسي ومن أكذب بينته فلا ينتفع بها وقال الشيخ التاودي من كذب بينته فقد أسقطها ومن أوجب له سماعها بعد تكذيبه إياها فقد فتح بابا من الشغب وأعان عليه قاله ابن الهندي. ولعل القاضيين مشيا على ما قاله بعض المفتين في هذه القضية من أنه لا مناقضة بين المقال والبينة وهو مردود بما أورده المحقق السجلماسي كما في نوازله ونصه بعد أن قرر التناقض في مثل هذه القضية : فإن قال القائم في النازلة لم أقصد بقولي هي ملكي، الاختصاص بها، وإنما أردت ملكي مع من شاركني، قلنا له لا تقبل منك دعوى الإرادة لأن ذلك خلاف ظاهر اللفظ، وفي بعض أجوبة أبي الحسن الصغير، أنه يقال للمقر الزاعم أنه لا يرد مقتضى اللفظ، إنما يؤاخذ المتكلم فيما بينه وبين المخلوقين بظاهر اللفظ.

وحيث بطلت الدعوى بالتناقض فلا يمين على المدعى عليهم لأن التناقض مسقط حتى اليمين كما في تكميل التقييد لابن غازي ونوازل الصلح من المعيار، والله تعالى أعلم.

وبذلك حكم سعادة وزير العدلية رعاه الله، حكما تاما أنفذه وأمضاه، وألزم العمل بمقتضاه، عن إذن الجلالة الشريفة أسماها الله، بحيث لم يبق لإعادة النظر في القضية مجال، ولا لتعقب هذا الحكم النهائي الصادر مقال بحال، وحرر بوزارة العدلية بفاس في 18 جمادى الأولى 1339.

أبو شعيب الدكالي

سادساً : تقاريظ صادرة عن الشيخ أبي شعيب الدكالي لبعض الكتب

صدرت عن الشيخ مجموعة من التقاريظ لبعض الكتب التي قام بتأليفها علماء وأدباء مغاربة، تشجيعاً منه، وتنويها، واعترافاً بفضل أولئك العلماء والأدباء مما ينم عن أريحية علمية، وروح أدبية عالية، إذ لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا أهله.

1 - فمن ذلك تنويهه بالأديب أحمد الصبيحي :

حيث اشتهر العالم المشارك الأديب أحمد بن محمد الصبيحي بتوجيه ونقد بعض إنتاج الشاعر عبد الله القباج، وبيان سرقاته الأدبية بكيفية موضوعية، وموثقة.

ونظراً لما كان يقوم به الأديب المذكور من تقويم وإصلاح لمعاني الأدب ومبانيه سماه الشيخ أبو شعيب الدكالي بـ«محتسب العلماء»، ونورد هنا كلمة الشيخ أبي شعيب في هذا المجال.

- قال رحمه الله :

الحمد لله. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أخانا الفاضل العلامة الأديب الأصيل المحتسب سيدي أحمد الصبيحي، رعاكم الله ووالاكم، وكان لكم بمنه وتولاكم.

وبعد ما تستحقه تلكم السيادة الممنوحة بالحسنى وزيادة من السلام الذي طابت نفحاته، وطالت غدواته وروحاته، فشكراً لكم شكراً، وجزيتم عن المغاربة عموماً، والعلماء خصوصاً، والأدباء أخص، خيراً، فيجلس كل عند ما حد له أو رسم، ويؤاخذ من بالسرقة وسم، ومن تصدى قبل أوانه فقد تعرض لهوانه.

وعلى أخوتكم، والسلام في 28 صفر عام 1334.

أبو شعيب الدكالي وفقه الله[59]

---

(59) انظر معجم إرجاع الدارج في المغرب إلى حظيرة أصله العربي ص 15 لأحمد بن محمد الصبيحي السلاوي، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، المغرب، 1990.

2 - تقريظ الشيخ لكتاب التراتيب الإدارية للمحدث عبد الحي الكتاني :

كتب الشيخ رحمه الله ما يلي :

الحمد لله الذي نضر وجوه أهل الحديث، وحسن آراءهم ورفع ذكرهم في القديم والحديث، مستحق الحمد وملهمِه، ومنشئ الخلق ومُعدمِه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأكرمِه، الذي نظم الدنيا والدين، علمه ربه ما لم يعلم، وكان فضله لديه عظيما، وخيره عنده جسيما، فهو المنعوت بأحسن الخلق وأعظمه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأحزابه، وأحبابه.

أما بعد :

فقد اطلعت على ما حرره الفاضل المحدث الحافظ اللافظ، العصامي أدباً، العظامي نسباً، المباهي بجدوده، وموجوده، سليل الرسول، ونجل البتول، المولى عبد الحي الكتاني، وقاه الله كل حاسد وشاني.

فوجدته يسحر الألباب، إذ أخذ من عيون الأثر لباب اللباب، ولا يستغرب ذلك من مثل فضيلته.

فالله أسأل، وبحرمة نبيه أتوسل، أن يديم النفع بالمؤلَف والمؤلِّف، حتى يكرع من حياضه من له نظم وعليه وقف.

وأصلي وأسلم على السيد المجتبى والسلام.

خادم السنة :

أبو شعيب الدكالي وفقه الله[60]

3 - تقريظ الشيخ لكتاب تحقيق الأمنية للعلامة محمد بن عبد السلام السائح :

جاء فيه ما يلي :

الحمد لله الذي جعل في السماء بروجاً، لنتعظ، ونتدبر، ونفهم، وأنار فيها النيرات، وقدر المنازل للسنين والحساب لنعلم. والصلاة والسلام على بدر الدنيا والآخرة، وعلى آله وأصحابه البررة.

---

(60) ورد هذا التقريظ آخر كتاب التراتيب الإدارية في طبعته الأولى.

أما بعد، فما كتبه أخونا العلامة المتفنن سيدي محمد السائح جيد في بابه، جزاه الله خيراً ونفع المسلمين به، وهو ولي ذلك.

أبو شعيب الدكالي وفقه الله[61]

4 - تقريظ الشيخ لكتاب ذوي الخصاصة والاملاك للعلامة سيدي محمد الراضي السناني :

ونصه :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وأصحابه، ما أدى مؤد زكاته من نصابه، أما بعد، فما كتبه الفقيه المؤلف حسن في بابه، وكل فن يفزع فيه إلى أربابه، وعليه يوافق عبد ربه.

أبو شعيب الدكالي وفقه الله[62]

ومن الكتب التي قرظها الشيخ كذلك ما يلي :

أ - كتاب ارتشاف السلاف، من أسباب الخلاف، يقع في سبعة كراريس للعالم المحدث الأشهر محمد المدني ابن الحسني وهو أحد تلامذته البررة الذي لازمه مدة عشرين سنة[63].

ب - كتاب الدروس الأولية للمدارس الثانوية في المبادئ والاصطلاحات الجغرافية، للأستاذ المؤرخ محمد بن مصطفى بوجندار.

قال الأستاذ مفخرة المغرب والرباط عبد الله الجراري في هذا الكتاب عند ترجمته :

الكتاب يشتمل على فاتحة ومقدمة في فوائد علم الجغرافية وتاريخه في الإسلام.

---

(61) انظر آخر كتاب تحقيق الأمنية مما لاح لي من حديث أنا أمة أمية، وهو كتاب فيه أبحاث علمية متعلقة بالتلغراف ورؤية الشهر، ودوران الأرض الخ... والكتاب طبع عام 1351 - 1932 بالرباط.

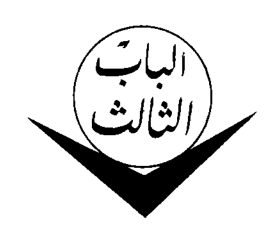
(62) انظر آخر كتاب إعانة ذوي الخصاصة والاملاق باخراج واجب زكاة الأوراق، وقد طبع الكتاب بفاس عام 1341هـ.

(63) من أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 205.

وجعل الكتاب يحتوي سبعاً وعشرين درساً يعقب كل درس بتمرين هو عبارة عن أسئلة تدفع الطالب للتفكير والتحصيل، فكان المترجم يهتم في ذلك الوقت بهذه الناحية الثقافية أشد الاهتمام. على أن ولوعه الخاص بالتاريخ حفزه للكتب في هذا الموضوع الذي لا يكاد ينفك عن التاريخ - ولا عجب فإن البحث في الكرة (الأرضية) وأجزائها وما تحتويه من حيوان ونبات ومعادن - ليرمي بأوشج الصلات إلى التاريخ بل يعتبر تاريخاً للأرض.

وكتب عليه المحدث الكبير الحافظ المرحوم أبو شعيب الدكالي تقريظاً كله ثناء على همة المؤلف وجهاده العلمي مؤرخاً بـ 8 نونبر سنة 1917م[64].

(64) المرجع السابق، ص 213.



القصائد التي قيلت في الشيخ أبي شعيب الدكالي

تنقسم هذه القصائد إلى قسمين :

أولا - قصائد قيلت في حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي.

ثانيا - قصائد قيلت بعد وفاته رحمه الله (المراثي).

أولا : القصائد التي قيلت في حياة الشيخ أبي شعيب الدكالي :

1 - قصيدة لمحمد بن اليمني الناصري في ختم الشيخ أبي شعيب الدكالي لصحيح الإمام البخاري بالمسجد الأعظم بالرباط (انظر ديوان الشاعر المذكور، تحقيق ذ. عبد الحق بنطوجة، ج 2، ص 120 وما يليها، السنة الجامعية 1990 - 1991، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب بالرباط) :

[حب الحنيفية السمحاء من شيمي[1]..]

[البسيط]

1) حُبُّ الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ مِنْ شِيَمِي ... وَحُبُّهَا نِعْمَةٌ جَلَّتْ عَنِ القِيَمِ[2]

2) حَسْنَاءُ لَكِنَّهَا تُهْدِيكَ طَلْعَتُهَا ... إِلَى مَنَارِ الهُدَى المُنْجِي مِنَ الظُّلَمِ

3) لَوْلاَ شَمَائِلُهَا وَحُسْنُ مَنْظَرِهَا ... مَا ذُقْتُ طَعْمَ الهَوَى يَوْماً وَلَمْ أَهِمِ

4) حَدِيثُ وَجْدِي بِهَا صَحَّتْ رِوَايَتُهُ ... عَنْ وَاقِدٍ قَدْ رَامَ النَّفْخَ فِي طُرَمِ[3]

5) لِذَا مُسَلْسَلُ شَوْقِي جَاءَ مُتَّصِلاً ... وَمَدْمَعِي مُرْسَلٌ يَنْهَلُّ كَالدِّيَمِ[4]

6) وَمَا اعْتَرَى القَلْبَ ضُعْفٌ فِي مَحَبَّتِهَا ... وَلاَ اضْطِرَابٌ وَلَوْ فِي مُدْرَجِ الحُلُمِ

7) وَكَيْفَ وَالقَلْبُ مَوْقُوفٌ تُنَافِسُهُ ... عَلَى الْتِزَامِ هَوَاهَا أَيَّ مُلْتَزِمِ

---

(1) العنوان مقترح، والقصيدة نشرت بجريدة السعادة، العدد (19)، فبراير 1920، كما وردت في مسودات (م). وقد قيلت هذه القصيدة بمناسبة ختم الشيخ أبي شعيب الدكالي لصحيح البخاري، وذلك بالمسجد الأعظم برباط الفتح. انظر : ذكريات من ربيع الحياة لمحمد الجزولي : ص 38. وانظر أيضا : المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي للمرحوم عبد الله الجراري، ص 85 وما بعدها. والملاحظ أن القصيدة نسجها الشاعر على غرار بردة الإمام البوصيري الشهيرة وزنا وقافية.

(2) الحنيفية السمحاء : يقصد بها الشريعة الإسلامية، أي ليس فيها ضيق ولا شدة.

(3) في السعادة : تحري النفخ في ضرم.

الطرم، بتسكين الراء : الكانون. (اللسان، مادة : طرم). وقد سبق للشاعر أن أتى بنفس المعنى في قصيدته الدالية السابقة.

(4) الديم : ج ديمة : السحاب المطر. (اللسان، مادة : ديم).

8) لاَ يَبْتَغِي بَدَلاً عَنْهَا وَلاَ عِوَضاً وَلاَ يُشَبِّبُ بِالزَّوْرَاءِ أَوْ إِضَمِ[5]

9) تَاللَّهِ لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ الوَلُوعُ بِهَا لَكَفَّ مُعْضِلَ خَطْبٍ عَنْهُ مُقْتَتِمِ[6]

10) وَمَا رَمَاهُ بِأَقْوَامٍ ذَوِي بِدَعٍ كَانُوا الوَبَالَ عَلَى مِنْهَاجِهَا القَيِّمِ

11) قَدْ أَنْزَلُوهَا لَعَمْرِي شَرَّ مَنْزِلَةٍ وَلَطَّخُوا عِرْضَهَا مِنْ جَهْلِهِمْ بِدَمِ

12) سَاقُوا لَهَا كُلَّ مَجْهُولٍ وَمُنْقَطِعٍ مِنَ البَدَائِعِ سَوْقَ سَائِقٍ حُطَمِ

13) كَأَنَّهَا أَصْبَحَتْ مِنْ بَيْنِهِمْ غَرَضاً يَرْمُونَهَا بِاخْتِلاَقِ الزُّورِ وَالتُّهَمِ

14) فَظَنَّ ذَلِكَ مِنْهَا غَيْرُهُمْ فَغَدَتْ مَغْزَى التَّهَكُّمِ لِلْمُسْتَهْزِئِ الهَكِمِ

15) أَضْحَوْا طَوَائِفَ كُلٌّ حَامِلٌ عَلَماً أَوْ خَائِضٌ ظُلْماً يَحْنُو عَلَى صَنَمِ

16) مَا بَيْنَ مُفْتَرِسٍ ذَبْحاً وَمُلْتَمِسٍ شَطْحاً وَمُرْتَكِبٍ شَدْخَ الرُّؤُوسِ عَمِ[7]

17) فَذِي تُوهِّنُ ذِي، وَذِي تُنَزِّلُ ذِي عَنْ شَهْوَةٍ وَهَوىً فِي حَيِّزِ العَدَمِ

18) تَسْعَى لِتَفْرِقَةِ الإِسْلاَمِ طَاقَتُهَا «مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِ أَنَّ السَّمَّ فِي الدَّسَمِ»[8]

19) حَاشَا الشُّيُوخَ فَقَدْ شَادُوا طَرَائِقَهُمْ عَلَى الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ فَاسْتَقِمِ

20) وَلَيْسَ مِنْهَا افْتِرَاسُ اللَّحْمِ نَيِّئِهِ وَلَيْسَ مِنْهَا لَعَمْرِي الشَّدْخُ لِلقِمَمِ

21) وَكَمْ وَكَمْ بِدَعٍ بِهَا قَدِ الْتَصَقَتْ مِنْ جَهْلِ قَوْمٍ بِمَرْعَى العِلْمِ لَمْ تُسِمِ

22) لَوْ قُمْتُ مُعْتَزِماً أَبْغِي تَتَبُّعَهَا لَضَاقَ نَظْمِي بَلْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَلَمِي

23) يَا لَيْتَ شِعْرِي يُذَكِّرُكُمْ تَذْكِيرَ حُرٍّ غَيُورٍ صَادِقِ الكَلِمِ[10]

---

(5) الزوراء : في عدة مواضع، فهي موضع عند سوق المدينة قرب المسجد.. وهي مدينة الزوراء ببغداد.. وهي أرض كانت لاحيحة بن الحلاج وفيها يقول :

إني أقيم على الزوراء أعمرها إن الحبيب إلى الاخوان ذو المال

وسميت ببئر كانت فيها، وهي المقصودة في البيت. (المعجم : 412/4).

إضم : بالكسر ثم بالفتح : واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر. وأعلا إضم القناة التي تمر دوين المدينة. (المعجم : 281/1).

(6) في الأصل : المولوع.

(7) الإشارة هنا إلى ما كانت ترتكبه بعض الطوائف الدينية من بدع ضالة لا تمت بصلة إلى حقيقة الدين الإسلامي وصفاء عقيدته.

انظر : ضرب نطاق الحصار، ص 2.

(8) الشطر الثاني من هذا البيت تضمين لبيت البوصيري من بدرته : المجموعة النبهانية : 4/4 :

كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم

(9) تضمين لقول البوصيري : (المرجع السابق : 3/4).

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

(10) الكلم : ج الكلمة.

24) يَوَدُّ أَنْ لَوْ شَعَرْتُمْ بِانْحِطَاطِكُمُ فِي هُوَّةِ الجَهْلِ بِالأَحْكَامِ وَالحِكَمِ

25) يَوَدُّ أَنْ لَوْ حَيِيتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمُ بِرُوحِ سُنَّةِ خَيْرِ العُرْبِ وَالْعَجَمِ[11]

26) يَوَدُّ أَنْ تُرْجِعُوا مَجْدَ الأُلَى سَلَفُوا مِنْ أُمَّةٍ لَمْ تَزَلْ تَعْلُو عَلَى الأُمَمِ

27) وَمَنْ يُضِعْ مَجْدَ أَسْلاَفٍ لَهُ شَرُفُوا فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلأَخْطَارِ وَالقُحَمِ[12]

28) أَمَا اتَّعَظْتُمْ وَشَيْخُ العَصْرِ حَافِظُهُ رَبُّ الوِزَارَةِ حَامِي الدِّينِ مِنْ وَصَمِ[13]

29) يَجْلُو حَقِيقَتَهَا فِي اللَّهِ نَاصِعَةً عَلَى مِنَصَّةِ تِبْيَانٍ بِلاَ سَأَمِ

30) وَلَمْ يَزَلْ بِسُيُوفِ الحَقِّ يَنْصُرُهَا نَصْراً بِهِ غَيْرُهُ فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

31) حَتَّى اهْتَدَى كُلُّ سَارٍ فِي الضَّلاَلِ إِلَى سَنَا هُدَاهَا اهْتِدَاءَ الرَّكْبِ بِالعَلَمِ[14]

32) وَكَيْفَ لاَ وَهْوَ فِي سِحْرِ البَيَانِ لَدَى شَرْحِ الحَقَائِقِ عَيْنُ المُفْرَدِ العَلَمِ[15]

33) وَكَيْفَ لاَ وَهْوَ شَمْسُ الدِّينِ نَاصِرُهُ وَرُكْنُ بَيْتِ العُلَى وَالمَجْدِ وَالهِمَمِ[16]

34) سَمِيرُ عِلْمٍ وَأَسْرَارٍ مُقَدَّسَةٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ تَسْتَوْلِي عَلَى الفَهِمِ

35) لاَحَتْ عَلَى وَجْهِهِ آثَارُ خِدْمَتِهِ لِسُنَّةِ المُصْطَفَى فِي الحِلِّ وَالحُرُمِ[17]

36) فَالنُّورُ مُقْتَبَسٌ مِنْ نُورِ طَلْعَتِهِ وَالعِلْمُ مُلْتَمَسٌ مِنْ نُطْقِهِ الشَّبِمِ[18]

37) شَيْخٌ إِذَا سَابَقَ النُّظَّارَ لَمْ يَصِلُوا لِشَأْوِهِ فِي الذَّكَا وَالحِفْظِ وَالفَهَمِ[19]

38) شَيْخٌ تَسَامَى إِلَى الإِمْلاَءِ وَهْوَ فَتًى فَنَالَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَوْفَرَ القِسَمِ

39) شَيْخٌ يَفِيضُ نَدَاهُ قَالَ قَاصِدُهُ: أَكْرِمْ بِأَكْرَمِ مَطْبُوعٍ عَلَى الكَرَمِ

40) سَعَى لِنَيْلِ العُلَى وَالفَضْلِ مُجْتَهِداً حَتَّى غَدَا فِي الأَعَالِي حَامِلَ العَلَمِ[20]

41) سَلْ عَنْ نَفَائِسِهِ دَرْسَ الصَّحِيحِ تَجِدْ لَطَائِفاً زَانَهَا التَّحْرِيرُ لَمْ تَرُمِ

---

(11) الشطر الثاني ينظر إلى قول البوصيري : م. النبهانية : 5/4 :

محمد سيد الكونين والثقليـ ـن والفريقين من عرب ومن عجم

(12) القحم : من الاقتحام وهو الوقوع في الشدة. (اللسان، مادة : قحم).

(13) الوصم : مصدر وصم : العيب. (اللسان، مادة : وصم).

(14) العلم : جبل بالمدينة، يقال له أبان فيه عيون ونخيل ومياه. (المعجم : 210/6).

(15) العلم : م أعلام وهو سيد القوم. (اللسان، مادة : علم).

(16) في السعادة : بين.

(17) الحرم، بالضم : الإحرام بالحج، ويقابله الحل. يقال : أنت حل وأنت حِرْم. (اللسان، مادة : حرم).

(18) الشبم : البارد. (اللسان، مادة : شبم).

(19) النظار : القوم ينظرون إلى الشيء. (اللسان، مادة : نظر).

(20) العلم : م. أعلام : الراية واللواء. (اللسان، مادة : علم).

42) دَرْسٌ غَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي مَحَاسِنَ قَدْ   قَادَتْ لَهُ زُمَرَ الأَعْلاَمِ بِالخُطُمِ[21]

43) وَأَصْبَحَتْ سَائِرُ الطُّلاَّبِ سَائِرَةً   بِهِ لِصَوْبِ صَوَابٍ وَاضِحِ اللَّقَمِ[22]

44) وَكَيْفَ يَخْشَى ضَلاَلاً مَنْ يُقَلِّدُهُ   وَهْوَ الَّذِي حَوْلَهُ الأَهْوَاءُ لَمْ تَحُمِ

45) لاَ غَرْوَ أَنْ قَامَ ثَغْرُ الفَتْحِ مُبْتَسِماً   يَجُرُّ ذَيْلَ فَخَارٍ غَيْرَ مُنْخَرِمِ[23]

46) وَذَا الإِمَامُ شُعَيْبٌ قَدْ تَخَيَّرَهُ   مَأْوىً بِهِ يَفْتَحُ الأَسْمَاعَ مِنْ صَمَمِ[24]

47) أَقْرَا الصَّحِيحَ بِهِ بَدْءاً لِمُخْتَتَمٍ   «يَا طِيبَ مُبْتَدَإٍ مِنْهُ وَمُخْتَتَمِ»[25]

48) ذَاكَ الصَّحِيحُ الَّذِي فَاقَ الصِّحَاحَ عَلَىَ   وَلَمْ يُعِبْهُ بِعَيْبٍ قَوْلُ مُتَّهَمِ

49) حَدِّثْ بِهِ يَا أَخَا العَلْيَاءِ إِنَّ بِهِ   تُزَاحُ عَنَّا غُيُومُ الجَهْلِ وَالغَمَمِ

50) فَلْيُهْنِ سَيِّدُنَا اخْتِتَامُهُ فَلَقَدْ   وافَى بِسَعْدٍ وَيُمْنٍ غَيْرَ مُنْصَرِمِ

51) وَأَقْبَلَتْ مَعَهُ الأَفْرَاحُ سَافِرَةً   مِنْ بَعْدِ إِدْبَارِهَا عَنْ وَجْهِ مُلْتَثِمِ

52) وَصَافَحَتْ مُسْلِمِي الدُّنْيَا يَداً لِيَدٍ   وَعَاهَدَتْهُمْ فَيَا سَعْدَى فَماً لِفَمِ[26]

53) فَخُذْ بِأَيْدِيهِمُ يَا رَبُّ قَاطِبَةً   لِشَامِخِ العِزِّ وَالتَّمْكِينِ وَالعِظَمِ

54) وَاحْفَظْهُمُ فِي شُعَيْبٍ فَهْوَ مُنْقِذُهُمْ   بِحُسْنِ إِرْشَادِهِ مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ

55) مَا قَالَ ذُو شَغَفٍ بِالحَقِّ مُفْتَخِراً:   حُبُّ الحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ مِنْ شِيَمِي

2 - قصيدة لمحمد بن اليمني الناصري في ختم سنن ابن ماجة بالزاوية الناصرية بالرباط (انظر ديوان الشاعر المذكور، تحقيق ذ. عبد الحق بنطوجة، ج 2، ص 113 وما يليها، المرجع المذكور آنفاً).

---

(21) الخطم، بالضم : مفرد خِطام : الحبل. والإشارة هنا إلى ما كانت تطبع دروس الشيخ الدكالي من توعية وإيقاظ مستخلصين من هدي القرآن وأحاديث الرسول، حيث كان متلقيها يجد فيها تغذية للنفس وتصفية للروح، وتوجيه للنافع المفيد، وكشف عن مواقف التضليل والزلق، مع النكتة البارعة، والتشنيع على المبتدعين في قالب سخرية لطيف. انظر : ذكريات من ربيع الحياة، ص 27.

(22) اللقم، بالتحريك : وسط الطريق. (اللسان، مادة : لقم).

(23) ثغر الفتح : يقصد به رباط الفتح. المنخرم : المختل. (اللسان، مادة : خرم).

(24) الصمم : عدم السمع.

(25) الشطر الثاني تضمين لقول البوصيري : م. النبهانية : 7/4 :

أبان مولده عن طيب عنصره   يا طيب مبتدإ منه ومختتم

(26) في الأصل : وعاهدتم.

[في ختم سنن ابن ماجه[27]]

[الخفيف]

1) أَسْفَرَ الحَقُّ عَنْ صَفَاءِ الزُّجَاجَهْ ... مِنْ مَعَانِي الحَقِيقَةِ الوَهَّاجَه[28]

2) فَغَدَتْ أَلْسُنُ الهُدَاةِ بِإِظْهَا ... رِ سَنَاهَا وَحُسْنِهَا لَهَّاجَهْ

3) وَتَجَارَتْ أَقْلاَمُهُمْ بِمَيَادِيـ ... ـنْ، طُرُوسُ الهُدَى تَوَدُّ انْتِهَاجَهْ

4) وَتَجَلَّتْ فَوْقَ المَنَابِرِ تَجْلُو ... بِمُجَلِّي بَيَانِهَا مِنْهَاجَهْ

5) فَبَدَا مُشْرِقَ الجَبِينِ لِمَرْءٍ ... قَدْ رَأَى حُسْنَهُ البَدِيعَ فَهَاجَه[29]

6) فَغَدَا يَنْشُرُ المَحَاسِنَ مِنْهُ ... لِيُرَى فِي سِلْكِ الأَعَالِي انْدِمَاجَهْ[30]

7) فَأَبُو مَدْيَنَ الإِمَامُ الَّذِي ذَا ... نَ بِنَشْرِ الهُدَى وَنَفْيِ السَّمَاجَهْ[31]

8) لَمْ يَزَلْ يُقْرِئُ الحَدِيثَ كِتَاباً ... فَكِتَاباً إِلَى تَمَامِ ابْنِ مَاجَهْ[32]

9) وَتَوَلَّى مَرْضَى النُّفُوسِ بِطِبٍّ ... يَسْلُكُ المُرْشِدُ النَّصُوحُ فِجَاجَه[33]

---

(27) العنوان مقترح، والقصيدة وردت في الجزء الأول من مؤلف المرحوم عبد الله الجراري : «من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين»، ص 249، وما بعدها. وهو نسخة مرقونة في 286 صفحة. كما أورد بعض الأبيات منها في الحلقة الأولى من سلسلة شخصيات مغربية الخاصة بالمحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 88. وقد قدم لها بقوله : «وقال بمناسبة ختم الشيخ المرحوم أبي شعيب الدكالي، سنن ابن ماجه بالزاوية الناصرية بالرباط بين العشاءين في حفل مهيب ضم مئات الطلبة والعلماء وجمهرة من المستمعين وذلك بتاريخ تاسع رجب عام 1344هـ / 1925»، كما وردت في مسودات (م).

(28) لعل الشاعر استعار كلمة الزجاجة هنا من قوله تعالى في سورة النور : الآية : 35 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ..﴾.

(29) نفس المعنى نجده في البيت (63) من قصيدته اللامية المولدية.

(30) في نسخة الجراري : في سلك المحاسن.

(31) أبي مدين : هو الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمان الدكالي الصديقي، السماجة : القبح. (اللسان، مادة : سمج).

(32) في نسخة الجراري : إلى كتاب ابن ماجه.

ابن ماجه : هو محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله ابن ماجه (824 - 887م) أحد الأئمة في علم الحديث من أهل قزوين، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز في طلب الحديث، وصنف كتابه «سنن ابن ماجه»، وهو أحد الكتب الستة المعتمدة، وله «تفسير القرآن»، وكتاب في «تاريخ قزوين». وفيات الأعيان : 484/1.

(33) في نسخة الجراري : ورد الشطر الأول من هذا البيت هكذا :

وتولى أمر النفوس بطب ...

الفجاج : ج فج. يقال : من كل فج وصوب أي من كل الجهات. (اللسان، مادة : فجج).

(10) فَشَفَاهَا مِنَ الضَّلاَلِ بِشَهْدٍ مِنْ بَيَانٍ تَهْوَى النُّفُوسُ مُجَاجَهْ[34]

(11) وَرَمَى خَصْمَهُ فَخَرَّ صَرِيعاً بِبَرَاهِينَ لاَ تُقِرُّ لَجَاجَهْ[35]

(12) وَإِذَا مَا أَتَاهُ مُعْوَجُّ فِكْرٍ قَامَ تَوّاً حَتَّى أَقَامَ اعْوِجَاجَهْ

(13) مَنْ بَنَى مِنْ شَرْحِ الحَقِيقَةِ صَرْحاً كَيْفَ يَخْشَى تَقْوِيضَهُ وَارْتِجَاجَهْ[36]

(14) كَيْفَ يَخْشَى فِي اللَّهِ لَوْمَ لَئِيمٍ بِهَوَاءِ الهَوَى يُثِيرُ عُجَاجَهْ

(15) يَا بَنِي جِلْدَتِي وَدِينِي أَفِيقُوا وَاحْضُرُوا دَرْسَهُ وَحُوطُوا سِيَاجَهْ

(16) وَتَلَقَّوْا إِصْلاَحَهُ بِارْتِيَاحٍ لِتَرُدُّوا مِنَ الفَسَادِ هِيَاجَهْ

(17) وَاقْتَفُوا أَثْرَهُ لِتَحْيَوْا حَيَاةً حُرَّةً تَسْلُبُ السَّلِيبَ احْتِيَاجَهْ

(18) وَأَقِيمُوا مَجْدَ الجُدُودِ بِجِدٍّ فَوْقَ حِصْنٍ، بَنَى «شُعَيْبٌ» رِتَاجَهْ[37]

(19) كُلُّ مَنْ يَقْتَفِي سَبِيلَ رِضَاهُ رَصَّعَ اللَّهُ بِالكَرَائِمِ تَاجَهْ

(20) ثَرْوَةُ العِلْمِ بِالشَّجَاعَةِ تُغْنِي أَنْفُساً لَمْ تَزَلْ لَهَا مُحْتَاجَهْ

(21) نَسَجَ الفَضْلُ حُلَّةً يَرْتَدِيهَا وَكَمَالاً تُسْدِي العُلَى مِنْسَاجَهْ[38]

(22) نَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَحَبَاهُ مَنْظَراً تُطْرِزُ المَنَاقِبُ سَاجَهْ

(23) مَلَكَ الحِسَّ وَالمَشَاعِرَ مِنَّا بِتَقَارِيرَ لِلسَّنَا نَسَّاجَهْ

(24) مَنْ يَكُنْ فِي رِضَى الإِلَهِ مُنَاهُ يُسْرِجُ اللَّهُ بِالكَمَالِ سِرَاجَهْ

(25) قُوَّةُ اللَّهِ لاَ تَزَالُ تُوَالِيـ ـهِ وَتُرْقِي رَغْمَ العِدَا مِعْرَاجَهْ

(26) لَمْ يَزَلْ حَامِيَ الشَّرِيعَةِ حَتَّى نَالَ فِي خِيرَةِ الحُمَاةِ انْدِرَاجَهْ

(27) بِاعْتِنَاءٍ يَسْتَخْرِجُ الدُّرَّ مِنْ بَحْـ ـرِ المَعَانِي وَيُحْسِنُ اسْتِخْرَاجَهْ

(28) إِنْ تَصَدَّى يَوْماً لِتَحْرِيرِ فَنٍّ لَمْ يَدَعْ فِي النُّفُوسِ وَاللَّهِ حَاجَهْ

(29) شَأْنُ كُلِّ امْرِئٍ نَصُوحٍ تَحَرَّى نُصْحَ مَنْ أَمَّهُ يَؤُمُّ عِلاَجَهْ

(30) رَايَةُ العِلْمِ صَفَّقَتْ عِنْدَ ذَا الخَتْـ ـمِ فَجَلَّتْ عَنِ الضَّمِيرِ اخْتِلاَجَهْ

---

(34) المُجاج : مجاج المزن : المطر. ومجاج النحل : العسل وهو المراد هنا. (اللسان، مادة : مجج).

(35) لجاجه : التمادي في العناد إلى الفعل المزجور عنه. (اللسان، مادة : لجج).

(36) الارتجاج : التصدع.

(37) الرتاج : الباب العظيم. (اللسان، مادة : رتج).

(38) المنساج : الخشبة والأداة المستعملة في النساجة التي يمد عليها الثوب للنسج. (اللسان، مادة : نسج).

(39) الاختلاج : مصدر اختلج بمعنى انتفض.(اللسان، مادة : خلج).

31) هَــا أنَــا ذَا أرَى المَلاَئِــكَ فِـيـــهِ خُضَّراً وَالسَّنَا يَفِيضُ انْبِلاَجَهْ[40]

32) وَالْـهُـدَى بَـيْـنَـنَا تَـجَـلَّـى مُـزِيـحاً مِـنْ هَـوَى الـنَّـفْـسِ مَـاجِـيـاً إِدْلاَجَهْ

33) كَـمَّـلَ الـلَّـهُ قَـصْـدَنَا حَـيْـثُـمَـا قَـدْ أسْفَرَ الحَقُّ عَنْ صَفَاءِ الزُّجَاجَهْ

3 - تليت هذه القصيدة في ختم شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي لسنن ابن ماجة، وهي من نظم العلامة الشيخ المكي الناصري :

الـلّـه لا يـرضـى لأمـة أحـمـد إلا طـرائـق لـلـعـلـى والسـؤدد

هـذا كـتـاب الـلّـه يـدعـونـا إلى سـبـل الـرشـاد ونصـح كـل مـوحـد

هـذا كـتـاب الـلّـه يـغـريـنـا عـلـى جـمـع الخلائـق مـثـل جسـم مـفـرد

هـذا كـتـاب الـلّـه فـيـه شـفـاؤنـا مـن كـل أدواء عـلـيـنـا تـعـتـدى

هـذا كـتـاب الـلّـه مـنـه رواؤنـا في كـل عصـر فـهـو عـذب الـورد

هـذا كـتـاب الـلّـه فـيـه محاسـن لـيست بـخـافـيـة عـن المسترشـد

هـذا كـتـاب الـلّـه فـيـه محجـة بـيضـاء سـالـكـهـا يـقـيـنـا يـهـتـدى

هـذا كـتـاب الـلّـه بـاد وجـهـه لم يـخـف إلا عـن لحاظ الملـحـد

هـذا كـتـاب الـلّـه مـنـه قـد اسـتـقـت أسـلافـنـا مـاء الحيـاة الأحـمـدي

هـذا كـتـاب الـلّـه مـنـه تـعـلـمـت خـلـق الـعـلـى حـتـى عـلـوا في الـيـد

هـذا كـتـاب الـلّـه لـولا نـوره مـا كـان صـرح فـخـارهـم بمشـيـد

هـذا كـتـاب الـلّـه لـولا قـفـوه مـا كـان ذكـر عـلائـهـم بمخـلـد

هـذا كـتـاب الـلّـه فـيـه غـنـى الـورى عـن كـل بـدع بـيـنـهـم مـتـجـدد

هـذا كـتـاب الـلّـه قـانـون الـعـدا لـة والمسـاواة الـتـي لم تجحـد

هـذا كـتـاب الـلّـه مصـبـاح الـهـدى لا نسـتـضـيء بـه إذا لم يـوقـد

كـم مـن زمـان مـر لا ضـوء بـه مـن نـور فـرقـان كـنـور الـفـرقـد

سـادت بـه ظـلـم الجـهـالـة حـقـبـة فـاسـود مـنـهـا كـالـغـراب الأسـود

فـانـظـر لمغـربـنـا الضـيـف فـاعـلـه نـار الجـهـالـة بـيـنـهـم لم تـخـمـد

لـكـنـهـا ضـعـفـت بما أبـديـتـه يـا خير شـيـخ بـيـنـنـا ومجدد

إذ قـمـت تـنـسـر بـيـنـنـا أنـواره وبـغـير سـيـف الحق لم تـتـقـلـد

---

(40) في نسخة الجراري : (ذا) ساقطة.

الانبلاج : الاشراق (اللسان، مادة : بلج).

فقرأت تفسير الكتاب موشحا بحديث خير المرسلين محمد

وبدأت ذلك في صحيح محمد وختمته بابن اليزيد محمد

قررته تقرير حبر حافظ سنن النبي بلى وأكبر مسند

أبرزت فيه بلاغة ما نالها قس ولا سحبان يوم المشهد

أدركت في الميدان تبريزا به فخرجت أفضل سيد ومسود

ناديت بالناس اسلكوا سبل الصلا ح فخف نحو نداك منهم مهتد

أسست للصلاح أسا ثابتا وفتحت منهم كل باب موصد

أظهرت للناس الحقيقة جهرة لم تخش في دعواك قول مفند

قارعت عيدان الهوى ومللت من غمد الحقيقة مصلتا لم يغمد

حاجتنا بالحجج القواطع من أبو من ذى عمى أو ذى عشى أو أرمد

بينت مغزى دعوة الجهال حـ ـتى صار كلهم بعيش أنكد

وغدت ديارهم بلا قع بعدما كانت متاحف لؤلؤ وزبرجد

عيرت بالبدع التي جاءوا بها وعليهم صوبت كل مسدد

فأنرت منا كل قلب مظلم وكشفت عنا كل ستر أسود

وبسطت سلطانا على أهل النهى فملكتهم من غير جند مجند

وحللت في وسط القلوب تمدها بالعلم والأثر الصحيح المسند

فلقد أقامك ربنا والا هنا في مقعد ما فوقه من مقعد

فلتحي فينا يا شعيب مجددا دين الإلاه وفيه جاهد واجهد

واغلظ على أهل البدائع جملة واصبر على ايذائهم وتجلد

فالله قد أعطاك ما لو شئت أن أقف الحياة لوصفه لم ينفد

أبقاك ربي للأنام بجاه من لولاه لم يك عالم أو يوجد

صلى عليه الله ما صرح الهوى حق فأقبره بقبر ملحد

قصيدة أخرى بقلم الشيخ محمد المكي الناصري بتاريخ 15 رجب سنة 1343هـ عند ختم الشيخ لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة :

بشرى لنا ببشائر الأفراح فالدهر عاد لبهجة وسماح

بشرى لنا قد أشرقت من بيننا شمس المعارف راحة الأرواح

بشرى فقد هطلت على أفناننا سحب العلوم بوبلها السماح

بشرى فكم من طيبات نبتها ... في صدرنا كالشهد في الأجباح
بشرى فقد عاد الزمان مسالما ... من بعد طول اغارة وكفاح
بشرى فقد أغضى علينا عينه ... وغدت إذا تلتأم كل جراح

❖ ❖ ❖

أعظم بدهر فيه بلغنا المنى ... يهدى لنا متوافر الأرباح
يصبو إلينا خاضعا لجلالنا ... يرنو إلينا خافضا لجناح
يسعى لما نجد السرور بنيله ... ويزيل عنا سائر الأتراح
لا يرتضي إلا ارادتنا، فما ... نرضى به ياتيه دون براح
فالدهر سخره الالاه لسعدنا ... فغدا يلخصه لنا كفراح

❖ ❖ ❖

عجبا لما هذا التقلب واقع ... فطبيعة الدهر ارتكاب جماح
أيكون رضوان بلا أسبابه ... والسعد هل يأتي بلا مفتاح
كلا فـ' سباب الرضى علقت بنا ... ومفاتح الاسعاد طوع الراح

❖ ❖ ❖

واجل مفتاح له ذاك الذي ... ملأت جلالته جميع الساح
شيخ الشيوخ وحافظ العصر الذي ... لولاه لم نظفر بحسن نجاح
هادى الأنام إلى الامام وقائد الـ ... ـدهماء بالارشاد نحو فلاح
حصن الشريعة ملجأ الحسنات مظـ ... ـهرها الجلي مؤسس الاصلاح
حرب البدائع ناصر السنن الذي استـ ... ـولى على الأرواح والأشباح
من في سبيل الحق ليس يخاف لو ... مة لائم أو سورة لسلاح

❖ ❖ ❖

كم مشهد قد قام فيه بنصرة ... وأطال فيه بغاية الافصاح
واستعمل الأسباب كيما تنمحى ... اضداده من كل فكر صاح
وإنني عليه بسائر الحجج التي ... تبديه منجليا جلا الأوضاح

❖ ❖ ❖

اللّه يعلم كم نفوس احييت ... بلسانه الشافي من الأرزاح
اللّه يعلم كم عقائد ثبتت ... آلت عقيب فسادها لصلاح
ما ذاك إلا من كمال السعد في ... دين النبي الخاتم المفتاح
صلى عليه اللّه ما وكيف الحيا ... وكفى ضياء الصبح عن مصباح

4 - جاء في ديوان الشاعر محمد الجزولي[41] :

وبعد حضوري بضعة مجالس أمام ذلك الشيخ الجليل، وتأثري بما يمليه وتغلغله في شغاف القلب، وجهت لجنابه هذه القصيدة التي املاها الاعجاب والتقدير.

عظيم لا يماثله عظيم	وفرد في الجلالة قد تناها
مشى نحو المعارف وهو طفل	وشب وشاب ليس له سواها
تمطى في الشباب فصار فرداً	وأضحى في الكهولة لا يضاها
تقدم في طريق العلم شأواً	يعز على السوى رؤيا ثراها
تيقن أنه سيكون شمساً	وان بمصر مشرقه أتاها
أتاها فارتوى من فيض نيل	أفاض على العوالم ما رواها
فأروى في الحجاز صدى نفوس	وأذهب عن قلوبهم صداها
غدت أم القرى حقا تباهى	وحق لها بكم فرداً تباها
وحلق في العوالم منك صيت	أبان لغربنا في الشرق جاها
وعدت لنا ونحن كما عهدنا	وأنت من الجلالة في ذراها
وأشرقتم كشمس أذار نوراً	فغابت أنجم كنا نراها
فغص بريقه من كان شمسا	ومثل النجم أصبح ان تلاها
فصرتم في عيونهم قذاها	وصرتم في حلوقهم شذاها
بهرتهم باملاء وحفظ	اطارا عن عيونهم كراها
تصرصر بينهم كالباز فرداً	وهم مثل البغاث تزم فاها
فاذعن كلهم للحق حيناً	وبان لكل ذي عين هداها
أمطت عن العقول سجوف جهل	وكحلت العيون بما جلاها
وفجرت العيون بكل ناد	بملء يديه يغرف عن اتاها
فبعد تقهقر في العلم صرنا	على حال يسرك ان تراها
وكنت بامة ترعى حماكم	فجئت لامة ترعى حماها
فصرت سدى للحمتها وروحا	لهيكلها ونورا في دجاها
بقيت لها بقاء الروح فيها	تذود ظبي الجهالة عن طلاها

(41) المسمى ذكريات من ربيع الحياة، الصفحات 30 - 49، مطبعة الأمنية بالرباط، دون تاريخ.

أيى والله أنتم كذلك وفوق ذلك، فلقد أنعشتم الأمل بعدما عبثت به يد اليأس، واستخرجتم من خبايا زواياه ما دل على الهيكل والرأس. بارك الله فيكم وأطال عمركم والسلام عليكم ورحمة الله.

محمد الجزولي

ولما ختم الشيخ رحمه الله التفسير في صلب دراسة البخاري هنأته على ذلك الختم بقصيدة تغزلت في أولها بمدينة الرباط بلد الحبيب، وبشارع علوه الذي كان إذذاك مهوى الأفئدة ومطمح الأنفس، ومحط الأنظار، ومجال الذاهبين والآيبين عندما تميل الشمس للغروب. إذ لم يكن إذذاك بالرباط شارع يماثله طولا وعرضا وغرسا وتشجيرا وأناقة.

الرباط وختمة شيخ الإسلام

رباط الفتح مأوى الفاتحينا   بكعبته يطوف الناس حينا
هو البلد الأمين ومن بناه   عظيم من ملوك المسلمينا
إلى المنصور نسبته وأعظم   به نسباً يزكي الناسبينا
بناه آية كبرى بوضع   يدل على اقتدار الواضعينا
وخلد ذكره فيها بصرح   وساباط على مر السنينا
منار قام في الدنيا خطيباً   إلى الآتين ينعى الذاهبينا
إذا ذكرت بلاد الغرب أضحى الـ   ـرباط مدار ذكر الذاكرينا
ولو نصبت مثالا كان منها   مكان الرأس حين سما وصينا
بلاد لم تكن وطنا لهم   وما برح السرور لها خدينا
تفيض ربوعها لبناً وشهدا   وتوتي أكلها عنباً وتينا
وجو في الصفاء كجام خمر   فقاقعه تحيي الجالسينا
هواه لكل من أشفى شفاء   وماء لذة للشاربينا
شوارعها تميس بها غصون   كسكرى الغيد ممن متى سقينا

❖ ❖ ❖

وذاك علوها الأذكى أريجا   يضوع شداه للمستنشقينا
حفافه أكؤس ملئت دهاقاً   بها نسقي المسرة ان ظمينا
وتنعشنا الصبا فيه بروض   عشاباه تثبت الروح فينا

إذا أضنى الهوى قلبين طافا ... بكعبته طواف القادمينا
وعند الروض يحلو العتب ليلا ... إذا ما الحب أضنى العاشقينا
وطيب العيش في عتبى حبيب ... فيا ليل العتاب متى تجينا
به ملقى الأعنة من قلوب ... باعين من بأسهمها رمينا
تغيب الشمس حسرى حين تبدو ... شموس فيه تعشي الناظرينا
ترى الأرام تطفر فيه شتى ... وتلقى العاشقين به عزينا
به يسلو الكئيب شقاء هجر ... وينسى الحزن من أمسى حزينا

❖ ❖ ❖

إذا برد النسيم ترى بنيه ... به ملئوا الشمائل واليمينا
وجوه كالبدور تضيء ليلا ... وأخلاق تكاد تسيل لينا
وفي وجه الزمان بدو عيونا ... إلى هام المعالي طامحينا
أباة الضيم عند الخطب أسد ... إذا جاش العدو لنا عربنا
فنحن القاصمون إذا غضبنا ... ونحن القاسمون إذا رضينا
فديتك، هل يقاس بنا سوانا ... ونحن من التجلة حيث شينا
فشمس الملك تطلع من ذرانا ... نضيء بها الغياهب والدجونا

وقال في شأن الشيخ :

ونور العلم ينشره لدينا ... إمام ذوي المعارف أجمعينا
عماد الدين بحر العلم قطب الـ ... ـحديث منار هدي المهتدينا
جليل القدر ليس له مثيل ... يجاريه ولو قطع الوتينا
ترعرع في فضاء العلم غصنا ... واثمر طلعه دنيا ودينا
دءوب بدأ مثل من تعاطى ... وفض مشاكل أعيت ذوينا
فلا واللّه قبله ما رأينا ... ولا واللّه بعده ما لقينا
تبارك من حباه بما حباه ... وألبسه رداء العلم زينا
لقد كنا كفلك فوق بحر ... يكاد اليم يجعله دفينا
وصرعى قد سقطنا دون خمر ... واغفينا ولسنا طافحينا
فلولا لطف ربك ما خرجنا ... على رجل السلامة واقفينا
ولا شمنا وميض العلم ممن ... تفجر من جوانبه عيونا
فخار الغرب حين بدا رفعنا ... به رأساً وأظهرنا الجبينا

تخاله إن تسنم متن كرسي خطيباً من بني عدنان فينا

إذا ما قاله أما بعد يوما تخر له جباه السامعينا

يصرصر فوق منبره كباز على حين البغاث ملا الوكونا

ويقرع بالحديث السمع قرعا كصك الصنج يكسبه طنينا

كذلك ينبغي وجلال ربي لمن يبغي الفصاحة أن تكونا

هلم معي ترى أمراً عجيباً تحار له عقول العالمينا

هلم ترى العالم ضمن شخص أتاه اللّه تبيانا مبينا

ترى صبباً ولكن ليس ماء يسيل إلى قلوب المنصتينا

يحل بها فيملؤها ضياء يمزق سجف جهل الجاهلينا

ويالّله منه حين يملي شروح كتاب رب العالمينا

بتفسير يكاد يكون وحيا لعمرك من كرام كاتبينا

يفسر جله آيا بآي ويظهر بالحديث الصعب لينا

ويوضح مشكلات الآي حتى تهم بلمسها حيناً فحينا

يرى التفويض إلا لاضطرار يرى التاويل خوف الحائرينا

ويوكل ما تشابه منه مما يجل على عقول الراسخينا

ويوقفنا على المقصود منه وأن به صلاح العالمينا

وان السر في التشريع هدي يساس به عقول القاصرينا

وانه في القصاص لنا حياة وان النار عقبى المجرمينا

وان البغي مصرعه وخيم وان الظلم يخلي الدور حينا

وان المرء مجزي بفعل وان بما يدين الناس دينا

وان الرزق مقرون بسعي وأحلى الخبز ما أندى الجبينا

وان ذوي البطالة هم كسالى واخزى الناس من أكدى وشينا

وان الدين عند الله قول وفعل لا كرقص الراقصينا

ولا نهش اللحوم ولا بشدخ الر رؤوس ولا بشرب الما سخينا

وان الذكر ليس بقرع طبل ومزمار علا ذقناً لعينا

وان الدين من هذا براء وان اللّه يخزي المدعينا

متى يبري الإلاه الدين منهم ويشفي صدور قوم مومنينا

لبسنا الدين مقلوبا لبطن وصيرنا الأعالي سافلينا

أمور تضحك الجهلاء منها ... وتبكي من عواقبها الفطينا
وان ذوي التصوف من تخلو ... وكانوا بالتحلي عاملينا
وان ولاية الصلحاء حق ... متى لله كانوا عابدينا
وان ذوي الخوارق هم كرام ... إذا صلحو وإلا فاسقونا
وان طارو وان غاصو وان خا ... طبوك على البعاد مسمعينا
وان سؤالك المخلوق شرك ... وقد لعن النبي الفاعلينا
فلا تسئل إذا أحببت سولا ... سوى رب يجيب السائلينا
وان العبد مهما كان عبد ... وان الرب رب العالمينا
بذاك وذا وأمثاله أتانا ... يفسر قول ربك من سنينا
بلفظ كالدراري واللئالي ... نثيرا يزدري العقد الثمينا
رياضاً كم هصرت بها غصونا ... وكم غصنا قطفت به فنونا
وتعنا في خمائلها ومنها ... تفيأنا ظلالا آمنينا
وكنا حيثما سرنا لقينا ... وجوها كالبدور علت غصونا
وسرنا نقطع الآيات فهما ... وينعشنا النسيم إذا عيينا
وأدلجنا السرى حتى رأينا ... بشائر فجر ختمته تلينا
لك البشرى فؤادي ان يومي ... يساوي ما مضى كمي كئينا
رشفت رضاب ذاك الختم رشفاً ... ومن فرح اسلت الدمع سينا
هنيئاً للرباط وساكنيه ... لقد فزتم به فوزاً مبينا
أنالكم زمانكم مناكم ... وجادلكم وكان به ضنينا

* * *

إليك أبا المكارم من محب ... شذوراً صاغها تاجاً ثمينا
يقدمها كورد غب قطر ... ونسرين يعانق ياسمينا
جلاها كالدمى خداً وقداً ... وألبسها الخلاخل والبرينا
يعين جمالها من كل شخص ... بعين السخط يلحظها مهينا
فيا شيخ العلوم ويا فتاها ... واعلم من قرا هنداً وصينا
لقد ناديت فينا واصباحاه ... وصحت بنا ولكن لات حينا
وكنت لنا النصوح بكل ناد ... رشيدا في نصيحتكم أمينا
جزاك الله عنا كل خير ... يكون به جزاء المحسنينا

الرباط في 20 شعبان 1337

وحين قدمتها للشيخ صدرتها بهذه الجملة :

إليك يا عظيم الإسلام. أقدمها نفثات صادرة من أعماق الفؤاد. جذوة الوح بها إلى مالكهم بين حنايا الصدور من المكانة التي حللتموها بما تحليتم به من المواهب والخصائص العلمية التي هي أعظم حلية تحلى بها بعد النبوة إنسان. حبكتها على قدر منوالي لا على قدر ما يجب لكم. إذ أنتم أعظم من ذلك وأجل، والشمس أبعد من أن يصفها من في الأرض. ويعلم الله وكفى به عليما. إنه لم يحملني على ابدائها إلا ما أرجوه من رضاكم ودعاكم. واعترافاً بما طوقتم به أجيادنا من قلائد المنن فتقبلوها بقبول حسن. وأمهروها بكلمة ثناء. علها تبلغ السقي قبل أن يصدر الرعاء.

ذكرى البخاري

وحينما ختم الشيخ رحمه الله دراسة الصحيح قرر أن تكون خاتمة الدروس بالمسجد الأعظم وقد حضره جمع غفير من الرباط وسلا ومن أقطار المغرب وارتقى الشيخ المنبر بإزاء المحراب. وجلست والأخ ابن اليمني الناصري أمام المنبر. وبعد انتهاء الدرس تقدم الأخ الناصري بإلقاء قصيدته ومطلعها :

حب الحنيفية السمحاء من شيمي ... وحبها نعمة جلت عن القيم

ثم تلوته بتلاوة قصيدتي ذكرى البخارى وهي :

إن لم تكن لي يد في العلم ابديها ... فإن لي ذمة منه ارجيها

حسبي بها ذمة أني أمت بها ... لحافظ السنة الغرا وحاميها

نظمت سيرته ذكرى اقدمها ... وللشباب شباب الغرب اهديها

لعل نابتة في الغرب واعية ... يثير فيها كمين المجد تاليها

تعيد ما قد مضى من مجد أمتها ... أو تقتدى بجدود نام تاليها

فالمجد يدركه بالسعي نائله ... وليس بالكسل العليا يواتيها

فإن دون اللمى رشق السهام ومن ... يبغي العلا بنفيس العمر يشريها

البخاري في صباه

إيه بخارى وهل في الأرض من بلد   بمثل ما أنجبت كانت توازيها

جاءت باحفظ أهل الأرض قاطبة   واعلم الناس تجريحا وتنزيها

حاطته من رب ايدي عنايته   حتى ترعرع سامي النفس راقيها

نشأ يتيما فكان اليتم زينته   كالدر يزداد عند اليتم ترفيها

بذ الاماثل في شرخ الشباب ولم   يستنكفوا منه عند الحق تنبيها

فاضت معارفه كالبحر حين طما   والسحب حين هما بالوبل هاميها

رَوَى ورؤى وما في وجهه شعر   وخط في صحف الإسناد عاليها

البخاري في رحلته

ضاقت خراسان عنه وهي في سعة   لكن همه في العلم تزويها

فلم ام القرى يطفي بكوثرها الـ   ـفياض غلة صادي النفس ظاميها

حتى إذا ما ارتوى من ماء زمزمها   وهم بالسير جاء الام يرضيها

يقول مستطلعاً في وجه والدة   بالنفس تفديه في البلوى ويفديها

هذا أوان الرجوع فارجعي واخي   ولتسئل اللّه لي نجحا وتنويها

إني أريد منالا دون مبلغه   شم الجبال يشق السحب دانيها

لابد لي منه أو أمضي الحياة به   وتلك حاجة نفس سوف اقضيها

ودون ذاك شعاب سوف أسلكها   ودون ذاك صعاب سوف اقصها

فأرسلت قولة صارت بها مثلا   للأمهات وان جرت مئاقيها

إني أريد الذي تبغيه فاسع له   ولو صلى بعدك الاحشاء صاليها

فاعزم وسر والزم التقوى تنله بها   وكن أخا همة كالنجم عاليها

وأرسلت دمعة في المؤق حائرة   بعد المسير وكانت قبل تخفيها

للّه در النساء الصابرات على   خوض الخطوب وإن طالت لياليها

فطار يسعى إلى العليا بأجنحة   ريشت قوادفها ريشت خوافيها

أتى الحجاز وارض الشام ثم نحا   نحو العراق بعير العلم يزجيها

جاء العواصم يستقصي مناهلها   حتى ارتوى من عيون النبع صافيها

يختار من صفوة الاعلام صفوتهم   كالنحل يشتار حلو الزهر زاهيها

حتى امتلا وطبه علماً ومعرفة   واقتاد غر المعالي من نواصيها

البخاري وحفظه

سبعون ألف حديث كان يحفظها ... لدى صباه وسرداً كان يمليها
وألف ألف حديث قال أحفظها ... متنا واسندها غيبا لراويها
غير الصحيح الذي استخلصت زبدته ... من مخض آلاف متن كنت انقيها
وكم له اية في الحفظ باهرة ... له التواريخ بعد النقد تعزيها
رجوه يوماً يلخ أن يحدثهم ... وفي رجاهم معان كان يدريها
عن كل شيخ روى عنه فحدثهم ... ألفاً لألف وكان الكل يحصيها

البخاري ومسلم بن الحجاج

وليس يقدر أهل الفضل قدرهم ... غير السرى سرى النفس ساميها
وهل يجل السهام غير عاجمها ... وهل يجل القسي غير راميها
هذا البخاري أتاه مسلم ورجا ... تقبيل رجليه أو أدنى مواطيها
وقال في ملإ والله ليس لكم ... في الأرض من مثل نسمو به فيها
أنت الإمام الذي تعنو الوجوه له ... ومن غدا علما للناس يهديها
تشفى الأحاديث من أدواء علتها ... فمن عسى بعدكم من ذاك يشفيها
أنا الفداء لفرد ليس يشناه ... الا حسود بغيض الروح شانيها
هذي شهادته تبدو صراحته ... فيها وما كان بين الناس يخفيها
والنفس مهما تكن للحق خاضعة ... فالعجب عن جهرها بالحق يقصيها
لكن تلك نفوس قلما ولدت ... بعد النساء لها نداً يضاهيها

البخاري والحافظ رجاء

رجا رجاء له فوزا عليه وقد ... يخيب في صفقة الأمال راجيها
أتى إلى البحر يبغي خوض لجته ... وكم يغر قليل العقل ساجيها
فلم يسر خطوة ان عض من ندم ... كفيه لما ترامته أواذيها
إذ قال للشيخ هل أعددت من نظر ... لمقدمي في علوم كنت تلقيها
فقال يا شيخ ما أعددت من نظر ... وإن تكن حاجة في النفس سلنيها
فقال نعم الذي قد قلت هات وخذ ... لكن أقدامه زلت مراقيها
فخام عند اللقا وانسل ملتفتا ... والنفس قد بلغت منه تراقيها

البخاري وأهل بغداد

للّه يوم ببغداد به ظهرت ... آي البخاري في أبهى مجاليها
أتى إليه دعاة العلم فيها وقد ... بغوا له سقطة يذروه سافيها
فأجمعوا أمرهم في عصبة قلبت ... بعض الأحاديث كيف اختار مغريها
وقام من قدموا في الجمع يسئله ... فقال عنها مجيبا لست أدريها
حتى إذا نثروا ما في كنانتهم ... صك الصدور بزج الرمح يلقيها
وقال ليس كذاك النوق يوردها ... من كان ذا نظر أو كان يرعيها
وانقض ينقض ما حاكو وينسجه ... حتى غدت بردة رقت حواشيها
فاعجب الجمع ثم ارتد معترفاً ... بكونه آية سبحان مسديها
وخط شاعرهم في بعض ما كتبوا ... إليه بعد فصول لست أرويها
(المسلمون بخير ما بقيت لهم) ... هاذى شهادتهم يكفيه ما فيها

البخاري والنيسابوريون وشيخهم الذهلي

ولم يكد ملة الإسلام حاضرها ... غير الذي كادها في نفس ماضيها
من الشقاق ومن دعوى الخلاف ومن ... جهل الدخيل بها مرمى معانيها
بدت لهم أولا كالشمس طالعة ... يهدي سنا ضوئها أنظار راءيها
يكاد يدركها من كان يجهلها ... على البديهة من سيما مباديها
جاءت على قدر تمشي على مهل ... والعقل رائدها والوحي راعيها
حتى أتتها الموالي وهي حانقة ... من أخذها ملكهم قهرا بأيديها
جاءوا وجاءوا بما قد كان عندهم ... من كل داهية جم دواهيها
فألغمو صرحها من كل ناحية ... فاندك سافلها وانهار عاليها
وشوهوها بما قد ألصقوه بها ... وسمموها بما ألقوه في فيها
فصار يقذفها من ليس يعرفها ... بكل وهم كرشق النبل يصميها
واللّه يعلم والدنيا براءتها ... مما رموها به بهتاً وتمويها

❖ ❖ ❖

من ذاك قولتهم في خلق فعل الورى ... اف لها قولة جلت مساويها
تلك التي فتقتها كف مبدعها ... وأنكأت جرحها آراء آسيها
تلك التي امتحن الاعلام جهراً بها ... ولم يراع بخارى سيب واديها

أتى البخاري نيسابور في سفر ... فقام يدعو إلى لقياه داعيها
وسار سائرهم يسعى لرؤيته ... حتى العذارى تجلت من مخابيها
فحل فيهم حلول الشمس في شرف ... وأشرقت بالسنا منه روابيها
وغار نجم سماء القوم وهل ... تبدو متى طلعت شمس دراريها
فغار منه رئيس القوم حين رءا ... له لدى القوم إجلالا وتنويها
فدس يسئله والشيخ في ملإٍ ... مقالة الخلق للأفعال يرويها
أجاب يا قوم هذا القول مزلقة ... ومحنة فغرت فيكم مهاويها
أما صفات الإلاه مثله قدماً ... وفعلنا حادث أنى يوازيها
فحرفوا قوله عمدا وقد نقلوا ... نقلا يشوه وجه الحق تشويها
واشتط شيخهم في نشر ما اقترفوا ... وزاد في نغمة الطنبور تنبيها
والشيخ أعظم مما قد رموه به ... والله نزهه عن ذاك تنزيها
فسار عنهم ولم تغضبه فعلتهم ... إلى بخارى سليم النفس هاديها
ولم يغظه كبير القوم حين أتى ... من حقده فعلة تزرى بآتيها
ولم يمط[42] ذكره من بعد ذاك ألا ... فاعجب لها همة شطت مراميها
واعجب لها بدعة جرت مساوئها ... على البلاد كلفح الشوم يشويها
جاء البخاري وكل الناس ترمقه ... بعين عذراء في أوفى محبيها
فصيرته في لمح الطرف في بلد ... بعد المحبة من أعدى أعاديها
واعجب لضعف عقول عن محجتها ... يردها واحد ختلا وتمويها
وان تسل ما الذي أجدت مقالتهم ... ترى انحطاطا وتفريقاً وتسفيها
قول هراء وآراء ملفقة ... وليس من سمن منها ولا فيها

البخاري والذهلي أمير بخارى

تباً وتعسا للاستبداد كم قصفت ... رياحه من غصون العلم ناميها
فلا أضر علي الاسلام منه فكم ... من دولة منه قد تلت مبانيها
وكم رمى سهمه المسموح في دول الـ ... إسلام حتى نعاها منه ناعيها
رمى فاصماها في أحشائها فهوت ... من أوج عليائها تشكو لباريها
لو قلمت قبل بالشورى أظافره ... لما رمى أمم الإسلام راميها

---

(42) أبى لم يسقط ذكره في الصحيح.

لكن قضى اللّه فينا بالذي سبقت   بـه مشيئته واللّه ممضيها

❖ ❖ ❖

جاء البخاري بخارى كي يبل ببر   د الوصل من لوعة الاشواق واريها
أتاه آت من الذهلي يامره   إليه يسعى بكتب العلم يرويها
فقال لا. لا أذل العلم أوقفه   باب الولاة فلا واللّه آتيها
فإن يكن راغبا في العلم يات له   كالراغبين ونار الكبر يطفيها
فاغتر في نفسه ذاك العتى ولم   يتل الرشيد خضوعاً وانتنى تيها
وليس كل أمير كالرشيد على   ما فيه من عظم للعلم توجيها
وقال عني اخرجوه لا يساكنني   ولاية كنت واليها وجابيها
فسار أعظم شيخ في حواضرها   يجوب مغتربا أقصى بواديها
باللّه فانظر للستبدادكم فتقت   يداه من قرحة أعيت مداويها
واللّه لم يمهل الدهلي فعلته   وحط رتبته بكف معليها
فشهرته على عير يطاف به   ولاية منذ يوم كان واليها
وألبست جسمه بعد النعي ثيا   ب الذل والخزي تبليه ويبليها

وفاة البخاري

كانت حياة البخاري كلها عبرا   تكبر أصغرها العليا وتربيها
حتى ذوت ذاته من عظم همته   والنفس إن عظمت في الذات تذويها
للّه نفس وما كانت تكابده   في اللّه من محن كانت تقاسيها
في اللّه يستعذب الألم مصطبرا   فرداً يقاسي من الأهوال قاسيها
قد فارق الأهل والأوطان مكتئباً   ولا الدنية عند الحق يعطيها
وسار أشوق ما قد كان عن بلد   تبكيه دمع الدما حزنا بواكيها
حتى أتى قرية تعلو جوانبها   آثار ماض يكاد الدهر يسفيها
هناك حيث بقايا الفرس جاثمة   تقص آثارها أخيار ماضيها
هناك حيث يسود الصمت حيث يجو   ل الرعب في القلب من مرءى مراءيها
هناك مل حياة طالما ازدهرت   بها الشريعة وابيضت دياجيها
هناك حيث تمنى الموت مغتربا   وا رحمة لغريب الدار ناءيها
هناك لبى دعا الرحمن مبتسما   ورفرفت روحه شوقا لباريها

قضى هناك نقي الذيل ذا شمم مستسلما مطمئن النفس هاديها
مضى وخلف في كل القلوب أسى وحسرة تحرق الأحشا وتنكيها
آه على الجهل ما أنكى جرائره أيدي العفاة صفيق الوجه يدميها

الخاتمة

هذا ملخص سيرة الإمام كما رواه في صحف الأثار راويها
نظمتها سير ذكرى لصاحبها وعبرة لسراة القوم أرويها
باسم البخاري قد توجت أولها وباسمه آخرا حليت تاليها
عساي أشدو بها رناء تعشقها الـ أذان من سبكها نظما وتطريها
ربي وهبها قبولا بالذي شرفت به لديك وشرف ذكر منشيها

اهداء الذكرى

وقال في شأن الشيخ :

إليك يا عالم الدنيا وحافظها ذكرى البخاري كغض الورد أهديها
وهل سواكم بها منكم احق وقد قلدت أعناقنا أبهى لئاليها
صيرت عاطلها من كنز علمكم بكل لؤلؤة كالشمس حاليها
هصرت فينا غصون العلم زاهرة تدني أزاهرها من كف جانيها
بكل أنف شذا من عطر نفحتها بكل ثغر رضاب من دواليها
درست فينا علوماً درس مقتدر تجلوا غوامضها جهرا وتفريها
تفري كلاها بمثل السيف منصلتا ماض يقد الصفا طولا ويبريها
جلوتها كالدمى قد طالما احتجبت منها المحاسن عن عيني محبيها
شيدت آثارها من بعد ما اندثرت وصحت في وجه من يبغي تلاشيها
هذا البخاري فمن قد خاض لجته من قبل أو كان يمشي حذو شاطيها
حتى أتيت كما تاتي الولاة إلى ولاية طالما اشتاقت لواليها
فصرت تنشر آيات الحديث على اسماع طائعها جهراً وعاصيها
تصيح فيهم بآيات الزواجر من آي البخاري كقصف الرعد تلقها
طوراً وطوراً بآيات الرجاء كما ياتي الحيا بعد ياس الجذب تحييها
تجري بها خبباً كالسيل منحدراً كما تشا وقعها في النفس تلقيها

بكل لفظ يحاكي الدر منتثراً من جيد غيداء نطت في ملاهيها

أو روضة بللتها السحب واتشحت أغصانها من سجوف النور ضافيها

قد وشع النهر باللجين سافلها ورصع الطل بالالماس عاليها

نظمت من زهرها ذكرى اقدمها للشيخ في الختم إعظاما وتنويها

عسى أقوم ببعض الواجبات له هيهات من ذا الذي بالقول يوفيها

أبا شعيب وهل في الغرب من أحد يجزي أياديك الحسنى ويرضيها

الله يجزيك عنها وهو مانحها وليس يجزيك عنها غير مؤتيها

حسب الجزولي إذاً منك القبول بها عذراء تغضي حياءمن محبيها

فاقبل بكل الرضى منه هديته ان الهدايا على مقدار مهديها

نفثة مصدور

يا أمة رقدت في كهف غفلتها متى يهب من الاحداق غافيها

طال المنام بكم حتى تقدمكم من كان قبل قصير الخطو واهيها

قوموا اسلكوا الأرض وامشو في مناكبها ثم انظروا كيف صارت حال من فيها

قوموا انظروا القوم في أسمى تقدمهم قد مهدوا الأرض قاصيها ودانيها

وشاركوا الطير في أعلا مسابحها واقلقوا الحوت في أقصى مجاريها

جرى البخار بهم كالبرق مؤتلقاً بأمرهم ينشر البيدا ويطويها

وأوجدوا من عجيب الكهرباء سنى وقوة خفيت عنكم مآتيها

في كل يوم تروا منهم عجائب لا ينفك حاضرها يزرى بماضيها

أليس هم بشر في الأرض مثلكم وأنتم قبلهم كنتم مواليها

بل من بزوركم كانت مزارعهم ومن حياضكم رووا صحاريها

فما الذي نجحت منه تجارتهم حتى حوى قصبات السبق ساعيها

وما الذي عاقكم عن مثل سيرهم فسرتم ككسيح الرجل حافيها

العلم قدمهم والجهل أخركم حتى نأوا شقة شعشع فيافيها

تروا مدارسهم مثل المعامل في سبك العقول وفي تثقيف آتيها

صاروا بها قادة الأفكار وامتلكو بها العروش التي اغترت بماضيها

كذاك كنا وكان الدهر يخدمنا أيامنا غرر بيض لياليها

حتى دهتنا من الأيام داهية سود عقاربها رقط أفاعيها

فيا رعى الله أياماً لنا سلفت ... تبكي معاهدها حزنا ونبكيها
كانت دمشق وبغداد وقرطبة ... من كل فج وفود العلم تاتيها
فلم نحافظ على ذاك الثرات ولا ... على مآثر شادتها بأيديها
لما فشت بدع لم تروها كتب ... فيتا ولا سنن تروي دعاويها
ما أنزل الله سلطانا بها أبداً ... ولا نبي بمأثور يزكيها
قد سودت من جبين الدين غرته ... وسربلته رداء من مخازيها
يا قوم إن طريق العلم واحدة ... ولن يضل الذي يمشي بواديها
سيروا على نهجها نهج الصحاب ومن ... بنوا بعلمهم أسمى مباديها
ولتجعلوا في طريق العلم سيركم ... صفو مناهلها خصب مراعيها
هذي نصيحة من يبغي سلامتكم ... والله يعلم من نفسي أمانيها

4 جمادى الأولى عام 1338

هذا ما أسهمت به في الاعتراف بما أسداه هذا الشيخ الجليل لهذه الأمة من تعليم وتهذيب وإيقاظ ودفع بها إلى الأمام وتطهيرها من البدع والخرافات.

ولاشك أن ذلك الشعر الصادر من أعماق الفؤاد يعرب عما تلقيته من هاتيك الدروس من نشوة الروح وشفوف العقل ولذة الفكر.

فرحم الله أبا شعيب وجزاه عنا أحسن الجزاء.

5 - وجاء في ديوان الأستاذ الشاعر عبد الرحمن حجي من سلا أحد تلامذة الشيخ قصيدة عنوانها :

مسك الختام وبدر التمام

ورد في مقدمتها :

وقلت في «ختمة التلخيص»[43] على شيخنا العمدة المحدث العلامة سيدي أبي شعيب الدكالي :

(43) حين ختم شيخ الإسلام دراسة تلخيص المفتاح في علوم البلاغة لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى عام 739هـ.

أيها الشيخ الإمام،

أستمنحكم بكل إجلال واحترام أن تأذنوا لي بأن ألقي على مسامعكم مع مزيد الخجل كلمة بمناسبة اختتام هذه السلسلة الذهبية والعقود الجمانية التي طوقتم بها أفكارنا إعترافا لكم بالجميل؛ فإن عثرتم على حسنة فمنكم وإليكم، إذ من بحاركم استقيت، ومن أسواقكم اقتنيت، ومن أريجكم استنشقت، ومن ضيائكم اقتبست. فإذا لقيتم خطيئة فاستروها وتجاوزوا عنها تفضلا منكم؛ فإن ذلك الشأن فيمن يقدم على الوغى وهو أعزل، ويطمع في الحسناء وهو ليس لها بكفء، ويطمح في العلياء بغير زاد، فأقول والله الموفق للصواب :

كَوْكَبُ السَّعْدِ قَدْ تَلاَلاَ ضِيَاهُ ... عِنْدَمَا تَمَّ بِالْخِتَامِ سَنَاهُ
أَنْهَارُ الْعِلْمِ فَجَّرَتْ بِمَعَانٍ ... خَضِلَتْ لِلْقَرِيضِ مِنْهَا رُبَاهُ
وَأَتَتْ رَوْضَةُ الْبَيَانِ بِزَهْرٍ ... يَزْدَرِي بِالجُمَانِ حُسْنُ بَهَاهُ
رَوْضَةٌ رُصِّعَتْ بِوَشْيٍ بَدِيعٍ ... لَوْ رَآهُ الرَّبِيعُ مَا حَاكَاهُ
ثُمَّ نَادَى فِيهَا الْهَزَارُ بِصَوْتٍ ... رَدَّدَ الخَافِقَانِ رَجْعَ صَدَاهُ
يَا مُرِيداً شَمْسَ النُّهَى، ذَا «شُعَيْبٌ» ... فَلَكٌ بِالْعُلُومِ ضَاءَتْ دُجَاهُ
ذُو مَقَامٍ فِي العِلْمِ تَعْجِزُ عَنْهُ ... هِمَّةُ الْبَالِغِينَ أَعْلاَ عُلاَهُ
نَاصِرُ الدِّينِ بِالْبَرَاهِينِ عِلْماً ... خَاذِلٌ كُلَّ شُبْهَةٍ بِحِجَاهُ
لاَ أَقُولُ «الْوَزِيرَ» كَلاَّ وَلَكِنْ ... وَزَراً لِلطُّلاَّبِ أَمْسَى فِنَاهُ
حَسْبُهُ الْعِلْمُ رِفْعَةً وَجَلاَلاً ... أَوْ هَلْ يُرْتَضَى مَقَامٌ وَرَاهُ ؟
بَلَغَ السُّؤْدَدَ الأَثِيلَ بِعَزْمٍ ... عَجَزَ الدَّهْرُ أَنْ يَنَالَ مَضَاهُ
مَا لَهُ رِئًى أَوْ يُرَى أَيُّ مِثْلٍ ... قَدْ حَبَاهُ خَلاَّقُهُ مَا حَبَاهُ
هَمُّهُ تَرْتَقِي الْبِلاَدُ بِعِلْمٍ ... وَاجْتِهَادٍ وَذَاكَ أَدْنَى مُنَاهُ
أَيْقَظَ النَّاسَ مِنْ سُبَاتٍ عَمِيقٍ ... أَنْقَذَ الدِّينَ مِنْ ضَلاَلٍ دَهَاهُ
قَالَ : لَنْ تُفْلِحُوا بِغَيْرِ اعْتِصَامٍ ... بِكِتَابٍ وَفَهْمِهِ واقْتِفَاهُ
يَا هُمَاماً لَهُ الْمَعَالِي رِدَاءٌ ... وَمَنَاراً فَوْقَ السِّمَاكِ ذُرَاهُ
قَدْ أَقَمْتُمْ نُفُوسَكُمْ لِجِهَادٍ ... كَلَّلَ اللَّهُ سَعْيَكُمْ بِرِضَاهُ
فَضَرَبْتُمْ جَيْشَ الخُمُولِ بِسَيْفٍ ... لَيْسَ يَنْبُو يَوْمَ الْوَغَى طَرَفَاهُ
وَاصِلُوا الدَّرْسَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ... كَيْ تُزِيلُوا عَنْ كُلِّ فِكْرٍ غِشَاهُ

عَلَّمُونَا الْكِتَابَ دَرْساً وَفَهْماً / وَابْذُرُوا فِي ذُرَى الْقُلُوبِ هُدَاهُ
عَلَّنَا لِلنُّهُوضِ نَسْعَى بَتَحْيَا / وَحَيَاةُ الإِنْسَانِ فِي مَسْعَاهُ
مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ أُمُّوا « شُعَيْباً» / فَهُوَ مَنْ يُسْتَغْنَى بِهِ عَنْ سِوَاهُ
كَانَ مِنْ قَبْلُ جَهْلُنَا ظُلُمَاتٍ / تَتَغَشَّى عُقُولَنَا بِدُجَاهُ
وَلَدَى الْجَهْلِ ذِلَّةٌ وَصَغَارٌ / قَدْ يَقُودَانِ الْمَرْءَ نَحْوَ رَدَاهُ
فَيُصِيبَانِهِ بِذُلِّ حَيَاةٍ / وَشَقَاءٍ يُصْمِي الْقُلُوبَ عَمَاهُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ كَانَ غِرّاً جَهُولاً / مَا يُلاقِي مِنَ الأَذَى بِخُطَاهُ
غَايَةُ الْفَجْرِ عِنْدَهُ فِي اخْتِيَالٍ / وَامْتِطَاءٍ لِصَافِنَاتٍ هَوَاهُ
وَالذَّكِيُّ الْخَبِيرُ مَنْ يَتَرَدَّى / بِسَدَادٍ فِي صُبْحِهِ وَمَسَاهُ
يَجْعَلُ الْعِلْمَ مُنْيَةً وَشِعَاراً / وَفِي نَادِي الدُّرُوسِ يُلْقِي عَصَاهُ
إِنَّمَا مَأْرَبُ الأَرِيبِ كِتَابٌ / وَاعْتِكَافٌ عَلَى ارْتِشَافِ طِلاَهُ
هَكَذَا لَذَّةُ الْعُلُومِ مُدَامٌ / إِنْ يَذُقْهَا ذُو الحَزْمِ يَرْوَ صَدَاهُ
هَذِي فِكْرَتِي إِلَى الرُّشْدِ تَسْعَى / لاَ أُبَالِي وَلَوْ يُقَالُ سَفَاهُ
رُبَّ مَنْ يَبْتَغِي الْحَقِيقَةَ حَظّاً / قَالَتِ النَّاسُ : شَطَّ فِي مُبْتَغَاهُ
كَيْفَ لاَ وَهْوَ لِلضَّلاَلِ خَصِيمٌ / وَهُمُ مِنْ سُكْرِ الْغَوَايَةِ تَاهُوا ؟
وَأُوَالِي عَلَى الإِمَامِ ثَنَائِي / كُلَّمَا زَانَ شَاعِرٌ مُنْتَهَاهُ

6 - وورد أيضاً في ديوان الأستاذ المذكور (عبد الرحمن حجي) قصيدة بعنوان:

«على لسان الشيخ أبي شعيب الدكالي»

وهي على طرافتها تتضمن جانباً عطراً من شمائل الشيخ.

جاء في ديباجة هذه القصيدة على لسان الشاعر المذكور :

قلت مجيبا على لسان الشيخ المحدث عمدة العلماء الأعلام أبي المعالي سيدي شعيب الدكالي عن قصيدة رفعها إليه الشاعر المطبوع الشيخ عبد الله القباج يمدحه فيها ويسأله عن حق تبغ له كان تنوسي عنده في مأدبة :

قَوَافٍ بِآيَاتِ الْبَيَانِ لَهَا نُطْقُ / وَنَغْمَةُ سَجْعٍ قَصَّرَتْ دُونَهَا الْوُرْقُ
عَلَيْهَا مِنَ الْفُصْحَى بَهَاءٌ وَرَوْنَقٌ / تَلُوحُ مَعَانِيهَا كَمَا لَمَعَ الْبَرْقُ
وَقَدْ رُصِّعَتْ أَلْفَاظُهَا مِثْلَ أَنْجُمٍ / وَأَحْكَمَهَا رَأْيٌ حَصِيفٌ لَهُ حِذْقُ

تَوَدُّ الْعَذَارَي أَنْ تُزَّانَ بِحَلْيِهَا ... وَأَنْ لَوْ تَكُونُ التَّاجَ يَحْمِلُهُ الْفَرْقُ

إِذَا تُلِيَتْ بَيْنَ الْفَطَاحِلِ صَادَفَتْ ... قَبُولاً وَفِى الْمِضْمَارِ كانَ لَهَا السَّبْقُ

تَكَادُ بِسِحْرٍ تَسْلُبُ الْمَرْءَ لُبَّهُ ... فَيَغْدُو كَأَنْ لَمْ يَسْتَقِرَّ لَهُ ذَوْقُ

مُسَلْسَلَةُ الأَلْفَاظِ تَجْرِي عُذُوبَةً ... كَمَاءٍ مَعِينٍ مِثْلَمَا قَدْ جَرَى الْوَدْقُ

مِنَ الشَّاعِرِ الْمَطْبُوعِ بِالشِّعْرِ فِكْرُهُ ... وَمَنْ شِعْرُهُ مِنْ مَصْدَرِ الظَّرْفِ مُشْتَقُّ

أَتَتْ لِـ«شُعَيْبٍ» تَرْتَجِي مِنْ مَقَامِهِ ... قَبُولاً لِوُدٍّ لَنْ يُخَالِطَهُ رَنْقُ

وَتُهْدِي سَلاَماً فَاحَ نَدّاً وَعَنْبَراً ... تَأَرَّجَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ والأُفْقُ

وَتَسْأَلُ عَنْ ضَيْفٍ أَتَاهُ يَزُورُهُ ... مَسُوقاً لِمَثْوَاهُ وَسَائِقُهُ الشَّوْقُ

وَتَبْحَثُهُ عَنْ سِرِّ بُطْءِ إِيَابِهِ ... وَمَا عَلِمَتْ أَنْ قَدْ يُثَبِّطُهُ الْعِشْقُ

وَمَنْ حَلَّ فِي سِمْكِ الْمَعَالِي مُحَلِّقاً ... بِفَخْرٍ فَأَنَّى يُسْتَطَابُ لَهُ الْعُمْقُ

فَقَابَلَهَا بِالْمَكْرُمَاتِ مَعَ النَّدَى ... وَأَنْزَلَهَا رَبْعاً يَطُوفُ بِهِ الخَلْقُ

وَأَسْكَنَهَا صَدْراً رَحِيباً بِحِلْمِهِ ... وَحُقَّ لَهَا مِنْهُ الْمَبَرَّةُ والرِّفْقُ

وَأَنْبَأَهَا خُبْراً بِبَعْثِ نَزِيلِهِ[44] ... عَلَى يَدِ تِلْمِيذٍ أَمِينٍ لَهُ صِدْقٌ[45]

سَفِيرٌ لأَسْرَارِ الرِّسَالَةِ حَافِظٌ ... وَلَكِنْ قَدِ انْسَدَّتْ بِوِجْهَتِهِ الطُّرْقُ

بِأَمْرِ رَئِيسٍ وهُوَ لاَبُدَّ نَافِذٌ[46] ... فَفِي يَدِهِ الأَحْكَامُ وَالْفَتْقُ والرَّتْقُ

فَأَوْقَفَ تَسْيَارَ الأَمَانَةِ رَيْثَمَا ... تَزُولُ أُمُورٌ تَمَّ مِنْ أَجْلِهَا الْوَفْقُ

وَلَمَّا انْجَلَتْ تِلْكَ الْعَوَائِقُ وانْقَضَتْ ... مَضَى لِلَّتِي فِيهَا الْجَهَابِذَةُ الشُّدْقُ

وأَلْقَى عَصَا التَّسْيَارِ فِيهَا بِمَنْزِلٍ ... فَسِيحٍ بِهِ بَحْرُ الْبَيَانِ لَهُ دَفْقُ

إِذَا لَفَظَ الدُّرَّ الثَّمِينَ بِمَنْطِقٍ ... تَرَاءَى بِهِ الْيَاقُوتُ وَالْجَوْهَرُ الْعِلْقُ

وَأَحْيَا مَوَاتَ الشِّعْرِ بَعْدَ انْدِثَارِهِ ... فَصَارَ الْوَرَى كُلٌّ لَهُ مَنْطِقٌ طَلْقُ

فَإِنْ كَانَ قَبْلَ ذَا قَدِ انْتَابَهُ الْهَوَى ... وَدُقَّ بِهِ حَتَّى أَضَرَّ بِهِ الدَّقُّ

فَهَذَا أَعَدْنَاهُ كَمَا كَانَ سَالِماً ... وَحَازَ ثَنَاهُ، صِيغَ مِنْهُ لَهُ طَوْقُ

وَفَارَقَ جَيْبَ الشَّيْخِ مَمْلُوءَ حَسْرَةٍ ... وَلَكِنْ رَبَّ الشَّيْءِ حُقَّ لَهُ الحَقُّ

فَهَذَا جَوَابِي عَنْ إِمَامِي وَعُمْدَتِي ... وَمَنْ رَأْيُهُ فَصْلٌ يُؤَيِّدُهُ الْحَقُّ

وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِفَايَةً ... بِتَوْضِيحِ سِرٍّ دُونَ غَايَتِهِ النُّطْقُ

---

(44) نزيله : هو الحق.

(45) التلميذ : هو المجيب عن السؤال.

(46) رئيس : هو الأديب العلامة سيدي أحمد البلغيثي، وإنما أمرني بعدم تبليغ الحق حتى يرفع الشيخ عبد الله القباج القصيدة المجاب عنها بهذه.

7 - وأنشد الأستاذ عبد القادر حسن العاصمي المراكشي حين زار الشيخ أبو شعيب الدكالي مراكش في عيد الفطر عام 1354هـ وهذه القصيدة مدرجة في ديوانه المسمى «أحلام الفجر» تحت عنوان :

العلم والعالم[47]

سدت يا علم في جميع البلاد ... في أوربا وفي شعوب الضاد
أيها العلم - جلّ شأنك - حتى ... بك العجب دائما في ازدياد
لا ترى الكون غير شيء حقير ... أنت فيه كل المنى والمراد
وأرى الناس أعبدا لك يا علـ ... ـم ! ودوما يرون في اجتهاد
فإذا جيل انقضى جاء جيل ... يقتضيه من غير ميعاد
وترى أنت نفسك اليوم والأمـ ... ـس لها الخلق جد في إسعاد
وجدير بالتيه والعجب من كا ... ن ومازال كعبة القصاد
كل شيء له نفاذ وهذا الـ ... ـعلم ما أن يُري له من نفاذ
أيها العلم أنت سر عجيب ... أعجب الخلق حاضرا أو بادي
قد أراد الأنام فحصه لكن ... ضاع عمر الأنام في التسهاد
داب الناس حوله يملأون !! ... كتب في نيل ذاك من غير عاد
قد شادوا مدارساً وأقاموا ... جامعاته وكم لهم من نادي
ويظلون في معاهدهم ما ... بين ملق ورائح أو غادي
بيد أنهم وإن أقاموا قرونا ... لم يزيدوا منه سوى الإبعاد !
أيها العلم أنت حقاً ممد الـ ... ـكون والكون دائما في انقياد
أأمير متوج أنت ؟، لا، بل ... إنما أنت فارس في طراد
كل يوم تجرع الجهل كأسا ... بسيوف مهندات حداد
كل يوم يرى لجيشك فتح ... ينبئ الناس أنك ذو استعداد
نكص الجهل في الطراد وإنما كا ... ن خميساً وكنت في إفراد
وجدير بالنصر في الحرب شهم ... نازل الحرب دولة الأوغاد

❖ ❖ ❖

أيها العلم كل شيء عجيب ... منك، حتى تنازل الأمجاد

---

(47) كتبت يوم الاحتفال بالشيخ أبي شعيب الدكالي لما زار مراكش في عيد الفطر سنة 1354.

وعـجـيـبـا، أرى جـلالك يـكسـو بـالصـفـا خير هـيـكـل الـقصـاد
تمنـح الخادمين شـخصك جـزءاً مـن مـعـالي جـلت عـن الـتـعـداد
فـيـظـلـون تـائـهين عـلـى الـنـا س كـغـصـن بـروة مـيـاد
وأراهـم يمثـلـونك مـثـل الـ ـطير يـحـكـي فـخـامـة المنـطـاد
شـكـلـهـم مـعـجب، وقـدرهـم عـا ل، ومـازال أمـرهـم في ازديـاد
والـورى يـكبرونـهـم ويـرون الـ ـعـلـم ثـوبـاً يـحـيـط بـالأجسـاد
وأري ذاك مـن فـخـارك أيضـا وهـو عـدوي تصـيب جسـم الـعـبـاد
وإذا مـا عـلاك انـكسـر الخلـ ـق فـقـد ضـل عـن سـبـيـل الـرشـاد
مـا أقـمـنـا احـتـفـالـنـا هـذا إلا لمثـال مـن مـظـهـر مـنـك بـادي
يسـحـر الـنـاس بـالـفصـاحـة والفطـ ـنـة والمجد والـعـلا والسـداد
ويـرى الـعـالمون فـيـه مـثـالا صـادقـا مـن مـفـاخـر الأجـداد
ويـرى الـعـالمون فـيـه رسـولا بـعـثـتـه لـهـم بـنـو إيـاد
قـد أقـروا لـه وقـد أيـدتـه بـيـنـات وسـاد رغـم الأعـادي
قـبـلـوا مـا يسـدى لـهـم مـن أيـادي وقـبـول الأيـادي شـكـر الأيـادي
فتراهـم قـد أحـدقـوا بـه طـرا كـاجـتـمـاع الأنـام يـوم المعـاد
كـلـهـم محدق ومصـغ لما يـلـ ـقـيـه مـن حـكـمـة ومـن إرشـاد
حسـبـهـم ذاك شـاغـلا وإذا مـا خـرجـوا فـالجلال مـلـحـة الـفـؤاد
هـذا يـا عـلـم بـعـض مـا أنت مسـد كـم لـعـلـيـاك غير ذا مـن أيـادي

مراكش: 10 - 10 - 1354

8 - قصيدة شاعر مكناس عبد القادر أحمد العرائشي بمناسبة زيارة الشيخ أبي شعيب الدكالي لمدينة مكناس عام 1339هـ.

أمـلـيـحـة قـد أنـعـمت بـوصـال نـهضت تجر ذيـولـهـا بـدلال
تمشـي بـحسـن تـأدب إن شـمـتـهـا نـزهت طـلـعـتـهـا عـن الأمـثـال
جـاءت تـبشـرنـا بـطـلـعـة عـالم قـد أقـبـلت بـالـبشـر والإقـبـال
ذاك الـوزيـر المرتضـى عـلـم الـدنـا يم الـعـلـوم أجـل نـاس كـمـال
قـاضـي قضـاة الـعـدل ذو جـاه رقـى رتب الـعـلا بـالـعـز والإجـلال
المعـلـم الـعـلامـة الـنـحـريـر مـن خضـعـت إلـيـه أمـاثـل الأفضـال

شرقا وغربا واقتدت بعلومه ... وبها اقتدى من كان في اخلال

شيخ الشيوخ شعيب ذو علم علا ... فهما يزيل غوامض الاشكال

في كل فن حازمه جليله ... فتراه فيه كوابل هطال

لاسيما علم الحديث فإنه ... قد خصه به ربنا المتعالي

كم من غوامض حلها ودعا بها ... أقوام مجلسه بصوت عالي

بهر العقول ذكاؤه فكأنه ... بحر محيط جاد بالآمال

فاعكف على أعتابه يا قارئا ... تنل المنا حقا بلا امهال

هيهات يبلغ مد حكم شعري ولو ... أثنى بكل قصائد الكمال

سعدت بكم مكناسة وتمايلت ... طربا وقالت مرحبا بجمال

فالكل يهجر قائلا ومرددا ... أهلا بهذا العالم المفضال

اللّه أعطاك العلوم تفضلا ... وأمدكم بنواله المتوالي

واقرا عيننا بطول حياتكم ... وبطول عمر السادة الأنجال

فاهنأ وطب نفسا فأنت مومن ... من أعين الحساد والعذال

ما ثم إلا عطفة قد نلتها ... من سيد الكرماء والإرسال

طه البشير محمد بحر الوفا ... صلى عليه الأهنا والآل

وصحا به ما سبحت طير وما ... قد لاح بدر في سماء معالي

وكذاك ما قد قلل حب مادح ... أمليحة قد انعمت بوصال

حسن الختام بحسن تاريخ له ... شمس كست قمر العلا بجمال

واطرح أخي من عد شمس واحدا ... واقصدت سعادة كعبة الآمال

9 - لكاتبه عباس بن إبراهيم المراكشي بتاريخ قعدة عام 1329.

قصيدة مشجرة نظمت أوائل أبياتها (يا أبا شعيب الدكالي).

يا عالم الدنيا على الاطلاق ... يا واحد الحفاظ بالاطباق

أنت الذي ملأ الحواضر ذكره ... وتحدث الركبان في الآفاق

أنت الذي إن للرهان تجمعوا ... فإليك دون سواك حوز سباق

بك فتحت أقفال كل ممنع ... عن دركه الحذاق دون شقاق

أنت الذي في كل علم آية ... بَهَرْت وفزت بأنفس الأعلاق

شهد الموافق والمخالف بالذي ... شهدت به الأعلام في الأوراق

أعـليت لـكـم رتب الـعـلا في مجمع تُـمـلـى بـه مـارق في الأوفـاق
يـفـتـي جـنـابـكـم لـكـل أئـمـة أراؤهـم كـالـسـاطـع البراق
بـكـم المغاربـة استـحـق جـمـيـعـهـم أن يمنـحـوا بـتـطـاول الأعـنـاق
اللـه يـحـفـظ فضلـكـم ويـحـوطـه ويُـديمه يـا طـيـب الأعـراق
لك في الحديث وحـفـظـكـم لـرجـالـه بـحـر عـريض بـاعـد الأعـمـاق
مـه يـا عـذولي في محبـة مـاجـد عـرف الحقـائـق رائـق الأخـلاق
كَـرُمت سـجـيـتـه وبـان كـمـالـه لازال يـكـمـل دائـم الاشـراق
يـوفـى المنـى ومشـفـع لحوائـج لـلـنـاس دام مُـجـلـى الأغسـاق

10 - تحية إلى أبي شعيب الدكالي للشاعر مولاي أحمد المراكشي

ألقيت هذه القصيدة في الحفل الذي أقامه طلبة ابن يوسف يوم 26 ذي الحجة الموافق 1934 للشيخ أبي شعيب الدكالي بمناسبة زيارته لمدينة مراكش، والقاء بعض الدروس الحديثية بين العشائين بمسجد المواسين.

أخضـعـتَ طـوع جـهـودك الأيـامـا وبـرزت تحمـي الـعـلـم والاسـلامـا
تُنحي عـلـى جيش الأضـالـيـل الـتي كـادت يـلازم شـرهـا الأقـوامـا
وتـكُـرُّ في الشـبـهـات كـرة بـاسـل فـتـبـدد الشـبـهـات والأوهـامـا
استـحـوذت حـيـنـا عـلـى أجيـالـنـا واستـحـكـمت في قـطـرهـا استحكاما
وانـحـاز مـنـحـرفـاً فـريـق سـادرٌ في تـيـهـه لا يسـتـفـيـق هـيـامـا
فـإذا أريـد إلى الحقـيـقـة رَدُّهُ اغـتـاط حـتـى لا يُـحير كـلامـا
آه عـلـيـنـا مَـا بِـنَـا لِـمْ لا نـرى حكم الكتاب الكتاب لِخُلْفِنا الحَسَّامَا[48]
لِـمْ نَـسْـتـظِـلُ بـغير آيـات الحديـ ـث وانـهـا مـنشـورةٌ أعـلامـا[49]
يـا حضـرة الأسـتـاذ يـا فـخـر الـبلا دِ وَبَـانِـيـاً لـرقـيـهـا الآطـامـا
يـكـفـيـك أنك أول في صَـفَّ مَـنْ هـم لم يضـيـعـوا لـلـحـديث ذِمـامَـا
قَـدْ رَمت تحيـي المغـرب الأقصـى بـه فـفـعـلـت ذاك وجـلَّ ذاك مَـرَامَـا
ووقـفـت في إحـيـائـه مـتـقـلـدا بـعـزيمة لا تـعـرف الإحـجـامـا
تـدري صـنـيـعـتك المنـابـر مصـلـحـا ومـفـسـراً ومحدثـاً وهـمـامـا

---

(48) الحسّاما : بفتح وتشديد السين، صيغة مبالغة من حسم الأمر يحسمه إذا قطعه وأمضاه.

(49) لِم : هي ما الاستفهامية، حذفت ألِفُها لانجرارها باللام.

كم نرتجي هَدِي الزيارةَ لو تطو | لُ ولا تحاكي الطيف زَارَ لِمَاما
تصبو لها الأرواحُ إلاَّ أنها | مثل الربيع تجيء عاما عاما
كل من الاخوان يضمر منية | في نفسه هي أن تقيم دواما
والكل منهم شاكر في غبطة | من حضرة الأستاذ ذا الإنعاما
والشكر فيما يبعث الفرح الكثيـ | ـر يكون أمراً واجبا ولزاما

11 - قصيدة للحاج أحمد بن شقرون في مدح الشيخ أبي شعيب الدكالي:

لمع الزمان بلامع متوقد | ومفيض علم غارس متعهد
كالغيث كالبحر الخضم كذائب | من فضة للراغب المتفقد
علاّمة الدنيا وحافظ مغرب | وامام فقه بالحديث مؤيد
لم يعرف التاريخ مثل فقيدنا | في الفهم والحفظ الذي لم يعهد
قد كان يبدع في الفنون جميعها | إبداع فيّاض القريحة مفرد
إن رمت مذهب مالك من حفظه | قطفت يداك وروده من مهتدى
أو رُمْتَ تحرير العلوم بأسرها | غرس الامام خمائلا في فرقد
فأبو شعيب حاز فطنة عالم | بزَّ الفحول بقوة لم تشهد
فكأنما كل السموت تركزت | قواتها وتجمعت في سيد
سلْ عنه مصرا والأفارقة الأولى | وذوي المكانة في الحجاز الأمجد
إن جئت اندلسا وطفت بمغرب | ونزلتَ دورا بالفطاحل تقتدي
عبقت عليك من البلاد جميعها | هبات طيب من حكيم أوحد
وأخو الأريج إذا مضى لسبيله | بقي الأريج كزائر متردد
في الدرس آراء وفيه وثائق | بجمال امداد النبوة ترتدي
والعلم نور ليس يدرك سره | غير المقيم على الصلاة بمعبد
من حفه بعناية رب حبا | بالعلم آدم واصطفاه للسجد
وأبو شعيب فخر كل مفاخر | بالعلم مشغوف بعقل مسود
دكالة شرفت به بل كلنا | أعظم به من واحد متعدد
في الجامع القروي كان مُبرّزاً | قطب المعارف والمقام المفرد
من عد منتهيا، بدا في درسه | متسائلا مستفهما كالمبتدي
لغزارة في علمه مامثلها | زخرت به وبها سما في سؤدد

معقوله معقول صيد ذوي النهى | منقوله صاف صفاء العسجد
إن سال نب من معين بيانه | ظفرت عقول ذوي المنى بالمقصد
أو لاح في بيت الملوك ففرقد | أنعم به في أفقهم من فرقد
تفسيره وحديثه في فينة | اتحاف فحل مستطاب المورد
قال الرسول « وقال راو» هاذه | لسواه، ليست بالكلام الجيد
فإذا تصدر للحديث فلذ به | تجد اللباب المحض من متفرد
ما شئت من حكم يلذُّ قطافه | ما شئت من نفحات حالٍ أغيد
قبس أنار وومضة وضاءة | من نور مشكاة النبي محمد
«وكم استفدنا» : من مقول لازم | في درسه متكرر متجدد
فكأنها جمعت علوم ذوي النهى | وتدفقت في دفعة من مصعد
والله أعلم حيث يجعل دينه | متدفقا للجاهل المتصيد
فالعلم أثقل والعليم مزود | عونا على الحمل الثقيل السرمدي
حتى يقوم بفرض بث رسالة | ويفوز في العقبى بختم أسعد
وأبو شعيب ثار في وجه الخنا | وأطاح بالجهل المقيت الأنكد
وأهاب بالجيل المريد معارفاً | نل قطفها من عالم متزود
ومضى بعز شامخ نحو العلا | وبطيب ذكر في الحياة مُخَلَّدِ

12 - وقال القاضي محمد سيكرج مخاطباً الشيخ في قضاء مصلحة إبان توليته وزارة العدل :

شذ العطية للإمام الأوحد | وببابه احطط ثقل حملك تسعد
لا تعد عنه فإنه يكفي العنا | وبه تعلق فهو ياخذ باليد
ما شئتَ من خير فمنه تناله | فإذا اهتديتَ له فانت المهتدِ
ما البحر يشبهه، لأن علومه | تزداد فيضا وهو أحلى مورد
ما الشمس تشبهه لأن سناءه | ينفي ظلام الجهل والظلم الردى
ما البدر يشبهه لأن له ارتقت | أوج القلوب منازل بتعدد
ما الليث يشبهه لأن الليث في | آجامه يخشاه دون تفند
اكرم به فأبو شعيب مفرد | متفرّد في عصره بالسؤدد
ضربت به الأمثال بين الناس في | حفظ وفهم في كمال توقد

لـلّـه مـن شـيـخ عـظـيـم قـدره أضـحـى عـديم المثل عـنـد الـقصّد
يـا أيـهـا الـوزر الـوزيـر المرتضـى المرتـدى بـرداء عـز أحـمـدي
أني إلـيـك شـددت رحـلـة طـالب يـرجـو تـخـلّصـه لـنـيـل المطـلب
إن الـقضـاء قضـى عـلـيّ بـوجـدة يـا لـيت وجـدة أو أنـا لم تـوجـد
إني بـهـا قـد ضـقت ذرعـا والـفضـا قـد ضـاق بـي فـيـهـا لـفـقـد المسعد
فـلـقـد عدمت مساعدي فيها فلم أر مستـفـيـدا أو مـفـيـدا يـجـتـدى
قـد ضـاع عـلـمـي إن أطـلت إقـامـتـي مـن بـيـنـهـم فتلاف ذا التلف الرّدى
فـالـلّـه زادك بـسـطـة في الـعـلـم والجسم الجمـيـل مـع الـكـمـال المفـرد
ولـقـد جـمـعـت مـن المكـارم مـا بـه تـزداد مـرتـقـيـا بـرغـم الحسّد
تـزداد حسـن تـواضـع بـتـأدّب وسـواك يـبـطـره ارتـفـاع المصـعـد
وإذا ابت رتب الـعـلا أن يـرتـقـى أحـد بـهـا يـومـا تـقـول لك أصـعـد
شـيـدت في الـعـلـيـا قصـور محامـد عـن دركـهـا بـأن الـقصـور لمن هـدى
ومحاول في ذا المجال لحاقـهـا قـعـد المحال بـه مـقـاعـد مـقـعـد
وأميرنـا والـلّـه يـرعـى قـدره بسـط الـيـديـن بـنـعـمـه لم تـنـفـد
ولأنت خير وسـاطـة في الخير لا تـخشـى انـتـقـاص الـورد منك بـوارد
فـلـتـنـه لـلـعـلـم الشـريـف بـأنـنـي مـن أصـدق الخدام دون تـردد
فـعـسـاه يـرضـى أن أكـون خـديمه فـخـديمه عـن فضـلـه لم يـبـعـد
واقـبـل بـفضـلك بـكـر فـكـر قد أتت تـبـغـي الـقـبـول وفيه غاية مقصدي
لازلت مـن بين الـعـوالم نـاشـرا علـم الـعلـوم وفي الـهـدى بك نقتدي

13 - وقال القاضي محمد سكيرج أيضاً يمدح الشيخ :

قضـيت بـنـفسـي مـنـي الـعجب بما حـلّ بـي في الـهـوى مـن نصب
ولم أقض نـحـبـي مـن فـرط مـا ألاقـي وفي الـكـرب قـلـبـي انـقـلب
فـأصـبـحـت مشـغـوف قـلب ولم يـكـن قـبـل قـلـبـي مـنـي اضطراب
وأمسـيـت مشـغـول قـلب ولم أكـن قـبـل شـغـلـي أدري الـتـعب
لمن أشـتـكـي بـزمـاني بما رمـاني زمـاني بـه مـن كـرب
لمن أشـتـكـي فـيـمـا مـلـنـي كـمـن قـد أطّـبّ لمن قـد أحبّ
لمن أشـتـكـي لـيـخـفـف مـا دهـاني وأحـرز مـنـه الـطـلـب

لمن أشتكي فيمدّ يدا ... إليّ فينقذني من عطب

فما لي سوى السّند المرتجى ... لكل ملمّ وكل أرب

محل الأمان منيل الأماني ... وحيد الزمان رفع الرتب

إذا ذكرت في الزمان الشيوخ ترى منه في الكل أمّا وأب

له منّة منه تشملهم ... بما لهم من هبات وهب

فكم جاهد إن خلق نفسه ... يقر له بالذي قد وجب

وكم حاسد رام يطفئ ما ... رآني من سناء له فانسلب

فمن في الزمان يجاري أبا ... شعيب وكل مجار غلب

فمن في العلوم يسابقه ... ومن غاية السّبق حاز القصب

ومن في الوزارة يشبهه ... وفي كل أمر بها ينتدب

ومن في السيادة ماثله ... وكل المناصب فيها انتصب

وزاد تواضعه كلما ... تَرقّى وزاد ارتقا في الرتب

فلولا تنزّله لم يطق ... بنطق يشافهه ذو نشب

فلو صوّر الفضل ذاتا غدا ... له هامة والسّوى كالذنب

ولو شخّص اللطف جسما غدا ... يرى ذلك الشخص بين العرب

فيملي الذي لا يملّ وكم ... ملا في الملا باللآلي القرب

فكم من فنون وكم من عيون ... وكم من غيوب جلا وجلب

وكم من هموم وكم من غموم ... ترى في العموم بها قد ذهب

وكم من محال وكم من معان ... أبان وسائرها منتخب

وكم من أمان وكم من أماني ... لطالبها دون منّ جذب

وكم من غيوب يبين وَمِنْ ... عيوب يغطّي بدون نصب

فأكرم به فهو مسدى المنى ... ومبدي الجميل لمن قد طلب

فجرّب مقالي وائت له ... تجد فوق ما ترتجي من طلب

وفي غير ناديه ناده بل ... وفيه تنل منه كلّ الأرب

لقد فاز والله من ينتمي ... إليه ولا يخشى من عطب

وما خاب قصد الذي أمّه ... لجلب رضى أو لدفع غضب

وإني أرى مدحه واجبا ... خلافا لمن عدّه مستحب

فيا حافظ العصر وهو الذي … عليه تنزل هذا اللقب
جمعت شتات المزايا ولم … تزل في العلا ترتقي في الرّتب
وأنت الذي ان مدحت علاه علاني السرور وكل طرب
سلا بحضور مجالسك الذي عن أعز الأهالي اغترب
تمنيت لو كان ساعدني … زماني فاحضرها بأدب
ولما حللت الرباط ولم … ألاقكم لم أفز بالرّغب
سكنت سلا وبها ما سلا … قلبي عن درسك المنتخب
ويكفي الرباط فخارا بأن … حللت به مبديا للعجب
حللت بجسمي بها وقلبي رهين الرباط إليك انجذب
لدرسك فيه الملا ينسلون من كل نهج وكل حدب
فقوّمت فيه اعوجاج النهى … بتبيان حق أزاح الرّيب
فلو كنت أحضر مجلسكم … لهان عليّ جميع التعب
فدرسكم جامع للمنى … ودرسكم كاشف للكرب
ودرسكم منهج للغنى … ودرسكم ملجأ في النوب
ودرسكم فيه نيل المنى … وحضرته من أجلّ القرب
ودرسكم مذهب للعنا … ودرسكم فيه تمّ الرّغب
ودرسكم فيه سبل الهدى … ودرسكم منه كسب الأدب
فكل إمام تقدّم في … أمام يرى لك القى السّلب
لك اللّه من سيد سند … له اللّه كلّ كمال وهب
إليك أبا الفضل أهدي الثنا … وإن لم أؤدّ به ما وجب
بفضلك قابل بوجه القبول … ثناء محبّ إليك اكتسب
فأنت تحبّ المحبّ وهل … جزاء المحب سوى ان يحب
يحبّ فيكرم بين الورى … وإن كان أدلى بأدنى سبب
وحبّك أوثق حبل به … تمسّك من نال ما قد طلب
ولم أنسى أخذك لي بيدي … زمان ابتلائي بذاك العطب
فكنت مجيري مجيزي بها … طلبت بلا تعب وعتب
فلازلت محفوظ شمل وفي … يديك المنى وكمال الطلب

14 - وقال القاضي محمد سيكرج أيضا يمدح الشيخ :

أمن المحب من الحبيب جفاءه لما أتاه ولم يخف رقباءه
وافاه يرفل في رداء جماله ولطالما بالتيه جر رداءه
قد جاءه من غير ميعاد له فأتى السرور إليه لما جاءه
إن الحبيب له فنون ملاحة وأجل ما نهواه منه لقاءه
لو كان بالمال اللقاء يبيعه لاختار كل العالمين شراءه
لكنه بين الورى يحظى به من في هواه أباح فيه دماءه
ما الموت فيه سوى الحياة لأنّه من بالهوى ماتوا غدوا شهداءه
يا من يلوم على الهوى أصحابه وجميعهم قد ودّ فيه فناءه
اللوم يغري العاشقين على الهوى ونصوحهم يتخوفون دهاءه
لا يقبلون من العذول نصيحة وأخو الهوى يجفو به نصحائه
دعني ومن أهوى فإني في الهوى فإن بحب فتى أحبّ رضاءه
أصبحت مملوكا له لما غدا فينا إماما والملوك وراءه
شمس الهدى المولى شعيب من علا قدرا بما قد ناله نظراءه
بالفضل قد شهدت له أحبابه والفضل لم نعدم له شهداءه
وعداته شهدت له بكماله والكل ودّ بأن يكون فداءه
أعظم به مولى تبرز في العلى وذوو العلا لا يدركون علاءه
ذو همّة تأبى الدناءة عفّة وعليه قد نشر الجمال رداءه
أضحى بمغربنا الرجال عبيده وبه غدت كل النساء إماءه
والشرق أضحى بعده متشوقا لربوعه فعساه يبرء رداءه
فليهنا الغرب الذي لم يحتوي أمثاله يوما ولا أكفاءه
ولتفخر فاس به لمّا بها أضحت ترى كل العيون بهاءه
ماذا أقول إذا قصدت جنابه وأردت بين المادحين ثناءه
إن قلت بحر فهو بحر زاخر ورد الأنام من المعارف ماءه
أو قلت غيث فهو غيث صيّب يعطي الفقير إذا أتاه غناءه
أو قلت ليث فهو ليث فتك تخشى الضّراغم في الورى هيجاه
أو قلت بدر في الكمال فحاش أن تصل البدور الطالعات سماءه

أو قلت شمس في البهاء فإنه ... منها أجل بأن تنال سناءه

أنى لمن يبغي الوفاء بمدحه ... أن يبلغنّ مدا الزمان وفاءه

ما ذاك إلا أنه في عصره ... فرد يمدّ الكون منه ضياءه

قد نال بين العالمين مراده ... وينيل من وافاه ما قد شاءه

ما فيه من عيب سوى ما فيه من ... فضل به في الخلق فاق سواءه

لازال محترما على رغم العدى ... والحفظ يلغى شرفه وغطاءه

لازال في أولى الهدى حرما له ... تعنو الورى لتنال منه رضاءه

ومقامه لازال بين ذوي العلا ... بكمال اجلال يطاف وراءه

15 - وقال القاضي محمد سيكرج يهنئ الشيخ بقدوم سعيد :

قدوم سرور في كمال حبور ... به عن صدور الناس كشف الشرور

وقد ابتهجت فاس به وتنورت ... وطابت نفوس بانشراح صدور

ومدّ الأمان فوق فاس رواقه ... وخيّم فيها اليمن تحت القصور

وقد حلّ فيها السعد عند حلول من تحلّى بإجلال بها في الصدور

مؤيّد نهج الحق حتى غدت به ... مذاهبه في الخلق مظهر نور

مجدّد دين الحقّ في العصر من به كمال المعالي في خفي وظهور

أبو الفيض مولانا شعيب إمامنا ... وعلاّمة الدنيا وبدر البدور

به رتب العرفان ثمّ نظامها ... وبرز منها في العلا عين حور

فلا رتبة في الفضل إلاّ ونالها ... وقلّد فيها عقد سرّ النحور

إذا افتخرت أولوا العلا بمناصب ... فإن العلا تزهو به في الدهور

وقد علم الأقوام أن مقامه ... عظيم كبير الشأن دون تكبر

له طأطأوا في العلم دون مكابر ... بكل كبير منهم وصغير

فنشكر دهرا كان فيه وجوده ... ونشكر في علياه أولى الأمور

لقد حلّ في فاس وأعلامنا به ... لأفراحهم أعلامهم في نشور

وكل العيون ناظرات قدومه ... بكل اشتياق في كمال سرور

فأهلا به يا مرحبا بوفوده ... فإن به الجهل قصم الظهور

فلو لم نكن نعتاد منه تواضعا ... فرشنا إليه وجهنا للمرور

فلا زال مرفوع الجناب مؤيدا ... بتأييد حقّ ظافرا بالأجور

ولازال يحيى بالعلوم وبثّها ... جميع القلوب في كمال حبور

16 - وقال الأستاذ عبد الله بن العباس القباج في شأن حُق[50] للشيخ :

سلام على الانصاف والعدل والحق ... وشيخ فنون العلم في الغرب والشرق
سلام على الأستاذ والجهبذ الذي ... به الله قد حل العقول من الربق
سلام على حبر الزمان وبحره ... ومن أنقد الألباب فيه من الغرق
ومن أنقد الإيمان والدين والهدى ... من الوهم والتضليل والجهل والحمق
سلام على المولى شعيب وآله ... وصحبه أهل الجزم والعزم والسبق
وبعد... فيا عين العيون ونورها ... ويا حجة الإسلام يا صارم الحق
ويا حافظ العصر الذي بحديثه ... تتيه العلى فخرا على سائر الخلق
فإني على العهد القديم محافظا ... وحاشا لعهد أن يمزق كالمرق
وأنت عليم يا إمام بحالتي ... وبالليل الغراء أيضا، وبالحق
وكنت كما تدري أعرته خفية ... لشيخ ذوي الآداب والعلم والحذق
وكنت وإياه كبدرين أشرقا ... هنالك، ما بين الكواكب في الأفق
وكانت يدا كل امرئ منكما له ... تمد كمد البحر للودق بالرزق
ولما سألت الشيخ مولاي أحمدا ... وطالبته بالحق باللين والرفق
تبرأ من أمساكه وأحالني ... عليك، وقال الحق سار مع الحق
وأنه لما أن أتى لك زائرا ... مقامك عن وجد عراه وعن شرق
تنشق عرف الحق عندك عنوة ... وأبصره كالتبر يسطع والبرق
وواعدته أن سوف ترسله وقد ... مضت مدة الارسال والبعث والوسق
فهل يأبى موسى نسيته أم قضى ... من البعد، أم قد مات بالطرق في الطرق
فإن كان موجودا فعجل به وان ... قضى بالأسى والوجد والبين والعشق
فكم قبله حق قد انسابه الهوى ... ودق به حتى تلاشى من الدق
وإن شاء أن يبقى اختيارا بروضكم ... يشم شذا العليا ويصغى إلى النطق
فلا لوم في هذا عليه، وما أرى ... وقد صار حرا أن يعود إلى الرق
ومني على علياك في روضة العلى ... سلام به يصبو الهزار إلى الورق
ويضحك منه الزهر بشرا ويزدهي ... به الحق فوق الصدر والصدر بالحق

(50) وعاء يوضع فيه السعوط، وتسميه العامة «العطوس».

17 - وقال العلامة الأديب داود الرسموكي يستجيز الشيخ أبا شعيب الدكالي : (ديوانه الذي حققه وجمعه الدكتور الراضي اليزيد حفظه الله، انظر ص 567 - 568، منشورات جمعية إيليغ عام 1991 - 1992)[51] :

1) على أيكها غنت مطوقة الحمى فهاجت خليا والشجي المتيما
2) إذا كررت تغريدها هملت جفو ن صب شجاه ما تذكر بالحمى
3) أربع الحمى لازلت مغنى صبابة ومجرى نسيم كان للصب مرهما[52]
4) فما بالحمى والرقمتين شغفت بل بندب حوى مجدا وصيتا منمنما
5) إمام حوى ما شئت من محض سؤدد وأحيا الندى والجود من كفه همى
6) وأحرز كل المكرمات بأسرها ومجدا وإفضالا وفخرا مصمما[53]
7) وأحيا علوما منسيات وبثها لأهل النهى يبغي الثواب المجسما[54]
8) هو الشيخ تاج الدين محيي رميمه شعيب حوى عزا وقدرا معظما[55]
9) هو البحر في جنس العلوم فمن أتى لساحله أرواه لا يختشي الظما[56]
10) إذا ما بمشرق المنابر أشرقت أسرته أنستك شمسا وأنجما
11) إذا برقت من فيه أنوار لفظه أقر بمحض الحق من قد توهما[57]
12) تضلع في كل الفنون فحدثن بما شئته فهو العباب الذي طما[58]

---

(51) وردت هذه القصيدة في ك ش 5، ومعها إجازة الشيخ أبي شعيب الدكالي للشاعر.

(52) مرهما : دواء، طلاء لينا يطلى به الجرح ليبرأ.

(53) مصمما : صميما خالصا.

(54) المجسما : أي الجسيم، العظيم.

(55) رميمه : باليه، يقال رم العظم يرم رمة ورما ورميما وأرم أي بلي، فهو رميم. شعيب : هو المحدث المغربي الذائع الصيت، الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمان الصديقي الدكالي، ولد في بيت علم وصلاح في رجب عام 1295هـ / 1878م. وتلقى معارفه عن علماء المغرب والمشرق، وجاور بمكة مدة طويلة، اشتغل فيها بالتدريس في المسجد الحرام. وتولى بالمغرب وزارة العدل، ووافاه أجله ليلة السبت 8 جمادى الأولى عام 1356هـ / 17 يوليوز 1937م. ودفن بضريح مولاي المكي بالرباط (انظر ترجمته في أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، ج 2، ص 269 - 274، والمحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي لعبد الله الجراري، ص 8 فما بعد، والمفهرس العلمي لرشيد المصلوت، ص 216 - 217).

(56) جنس العلوم : أي كل العلوم. أرواه : سقاه حتى أزال عطشه.

(57) برق : لمعت وتلألأت. توهم : شك.

(58) تضلع : تبحر ومهر، وأصل تضلع امتلأ شبعا أوريا حتى بلغ الطعام أو الماء أضلاعه. العباب : معظم السيل وارتفاعه وكثرته أو موجه.

13) من الفقه والحديث والنحو والمعا ... ن ثم بيان والبديع الذي سما[59]

14) وتفسير قرآن ومنطقهم مع الـ ... ـأصول كدر في القلادة نظما

15) وعلم الكلام مع قراءة عشرة ... وتحرير ما يبنى على ما تقدما[60]

16) إلى غير هذا من مآثر جمة ... ومن كرم غض به الله أنعما[61]

17) فكيف يطيق المرء إحصاء فضله ... وهل مطر بعد أو أنجم السما

18) فدونكها مولاي تحفة عاشق ... يقدمها فاقبل وأغض تكرما[62]

19) وبغيتها من الإمام إجازة ... معممة تعميم علمك كيفما[63]

20) وإن لم أكن أهلا فكم لك منة ... وفضل على من للجناب قد انتمى

21) أدامك رب العرش شمسا لدينه ... ودمت بما تهواه ما عشت منعما

22) بخاتم رسل الله صلى إلهنا ... عليه مع الأصحاب طرا وسلما

23) وأزواجه والآل مع كل مقتد ... مدى الدهر ما غنت مطوقة الحمى

18 - هذه المقامة أنشأها الأديب المؤرخ محمد بوجندار بمناسبة ختم الشيخ لصحيح الإمام البخاري[64] :

مقامة ذكرى ختم البخاري[65]

(سريع)

حَدَّثَنِي نَفْحُ عَبِيرِ الخَزام ... عَنْ وجَنَاتِ الوَرْد ذاتِ الكِمَام[66]

عَن عذَبَاتِ الرَّنْدِ مسْدُولة ... عَنْ قامَةِ الغُصْنِ رَشِيقِ القَوَام[67]

عَنْ نَاظِرِ الأعْيُن مِنْ نرْجِس ... عنْ ضاحِك الزَّهْرِ بِدَمْعِ الغَمَامْ

---

(59) المعان : المعاني، وهو أحد علوم البلاغة - مثل البيان والبديع - حذفت ياؤه للضرورة.

(60) قراءة عشرة : القراءات العشر. تحرير : تقويم وتحقيق.

(61) مآثر جمة : مكارم كثيرة.

(62) أغض : أصفح عن عيوبها.

(63) إجازة معممة : مطلقة شاملة. كيفما : أي كيفما كان علمك.

(64) نقلا عن كتاب فن المقامة بالمغرب في العصر العلوي للدكتور محمد السولامي، ص 353 وما يليها، منشورات عكاظ، عام 1992.

(65) نشرت في جريدة السعادة، ع 2042 و2044، س 1920م.

(66) الخزام : نبت زكي الرائحة يستعمل للعطور. الكمام : مفردها : كم وهي الغلاف الذي يحيط بالزهر فيستره ثم ينشق عنه.

(67) الرند : شجر صغير طيب الرائحة أزهاره بيضاء.

عَــنْ سَــائِـلِ الجَدْوَلِ فِــي رَوْضَــةٍ بِـدَوْحِـهَـا الأمْـلُـدِ غَـنَّـى الحَمَـامْ[68]
عَـنْ فَـتَـيَـاتٍ لَـحَّـنَ وَقْـتَ الضُّـحَـى فَـنَـادَتِ الشَّـمْـسُ هَـبُّـوا لِـي لِـثَـامْ
عَــنْ نُـعْـسِ الأعْـيُـنِ مَـكْـحُـولَـةً عَـنْ لَـعَـسٍ فَـوْقَ حَـبَـابِ الـغَـمَـامْ[69]

قَــــال :

حَدَّثَنَا بَشَّارٌ، بِسَنَدِهِ إِلَى حَدَائِقِ الأَزْهَارِ، قَالَ : جَاءَ فِي مَشَارِقِ الأَنْوَارِ، عَنْ بِشْرِ بْنِ زَهْرٍ، عَنْ رَبِيعِ الأَنْوَارِ، قَالَ : نَمَّ[70] مِسْكُ الخِتَامِ، عَنْ عَبِيرِ ابْنُ زَهْرٍ، عَنِ ابْنِ بَسَّامٍ، قَالَ : لَمَّا حَلَلْتُ يَوْماً مَدِينَةَ الرِّبَاطِ، وَأَنَا فِي شَوْقٍ وَاغْتِبَاطٍ. وَكَانَ اليَوْمُ فِضِّيَ الأَدِيمِ، نَدِيَّ النَّسِيمِ. وَسَحَابُ الأُفُقِ بَيْنَ قَاتِمٍ وَسَاجِمٍ[71]، وَجَيْشُ الغَيْمِ بَيْنَ مَهْجُومٍ وَهَاجِمٍ. وَالجَوُّ عَابِسُ الوَجْهِ غُدَافِيُّ الأَهَابِ[72]، وَالشَّمْسُ كَأَنَّهَا خَجِلَتْ فَتَوَارَتْ بِالحِجَابِ. فَرَأَيْتُ لِذَلِكَ أَنْ أُلْقِيَ عَصَا التَّسْيَارِ، وَأَجُولَ وَأَجُوسَ خِلاَلَ الدِّيَارِ. وَأَتَفَسَّحَ بَيْنَ مَنَازِلِ وَمَنَازِهِ المَدِينَةِ. وَكَانَتْ يَوْمَئِذٍ مُحَلاَّةً بِحِلْيَةٍ ثَمِينَةٍ، مُتَحَلِّيَةٍ بِأَشْرَفِ حُلَّةٍ وَزِينَةٍ. قَدْ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَازَّيَنَتْ وَخَفَقَتْ عَلَيْهَا رَايَاتُ الابْتِهَاجِ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَتْ[73] وَقَامَتْ تَنْثَنِي دَلاَلاً وَمَرَحاً، وَتَرْقُصُ طَرَباً وَفَرَحاً. كَأَنَّ الدَّهْرَ عَاطَاهَا مِنْ نَشْوَةِ الأَفْرَاحِ قَدَحاً فَقَدَحاً :

(بسيط)

وأَصْـبَـحَـتْ بِـضُـرُوبِ الأُنْـسِ آهِـلَـةً تُـلْـهِـي الـنَّـدِيمَ عَـنِ المُدَامِ وَالـوَتَـرِ
تَــقُـولُ وَهْــيَ مِـنَ الادْلاَلِ فِــي مَـرَحٍ اليَوْمَ أَحْرَزْتُ قَصَبَ السَّبْقِ فِي الفَخَرِ

قَالَ ابْـنُ بَـسَّـامٍ : فَـعَـلِـمْـتُ أَنَّـهَا الـيَوْمَ فِـي صُعُودٍ وَسُعُودٍ، أَوْ فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ مَشْهُودٍ[74]، وَقُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنَّهَا لَفُرْصَةٍ أَيُّ فُرْصَةٍ، تَجْلُو عَنِ القَلْبِ الغُصَّةَ. ثُمَّ

---

(68) الدوح : الشجر العظيم. الأملد : الناعم من الغصون.

(69) اللعس : سواد مستحسن يكون في الشفة. وقد ورد النص بالجريدة على هذه الصورة، وواضح أن البيتين الأولين منه مكسوران.

(70) نم : وشى وزين الحديث بالكذب.

(71) ساجم : ممطر.

(72) غدا في الاهاب : مظلم. والغدا في ما كان بلون الغداف (شعر أو جناح أسود أو غراب).

(73) ينظر في قوله تعالى : ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾، سورة فصلت : 38.

(74) ينظر في قوله تعالي : ﴿إن في ذلك آية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾، سورة هود : 103.

انْطَلَقْتُ أَسْبُرُ غَوْرَ الحَادِثِ، سَبْرَ المُجِدِّ البَاحِثِ، حَتَّى أَدْنَتْنِي خَاتِمَةُ مِشْيَتِي، إِلَى الحُصُولِ عَلَى ضَالَّةِ مُنْيَتِي، وَالوُصُولِ إِلَى حَيْثُ بُغْيَتِي. وَذَلِكَ بِوُصُولِي لِلْبَيْتِ المُعَظَّمِ، وَالمَسْجِدِ الجَامِعِ الأَعْظَمِ، حَيْثُ سَمِعْتُ رَجَّةً لَهَا جَلَبَةٌ وَضَوْضَاءُ، وَضَجَّةً تَسُدُّ مَنَافِذَ الفَضَاءِ. وَالنَّاسُ يَتَهَافَتُونَ عَلَى أَعْتَابِ الجَامِعِ. تَهَافُتَ النَّحْلِ عَلَى أَزْهَارِ الرَّوْضِ اليَانِعِ. وَفِي مُقَدِّمَةِ القَوْمِ عُلَمَاءُ العُدْوَتَيْنِ، وَفُضَلاَءُ الأُمَّتَيْنِ، مَعَ السَّادَةِ الوُزَرَاءِ الفِخَامِ، وَبَقِيَّةِ رِجَالِ المَخْزَنِ[75] الكِرَامِ. فَلَمْ أَتَمَالَكْ أَنِ الْتَفَتُّ نَحْوَ شَخْصٍ كَانَ عَنْ يَسَارِي، وَسَأَلْتُهُ عَنْ هَذَا المِهْرَجَانِ السَّارِي، فَقَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اليَوْمَ مَوْعِدُ خَتْمِ صَحِيحِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ[76] ؟ فَقُلْتُ : بَلَى. وَلِمَنِ الخِتَامُ ؟ فَقَالَ : لِشَيْخِنَا شَيْخِ الإِسْلاَمِ، وَوَزِيرِ مَوْلاَنَا الإِمَامِ[77].

(بسيط)

مَـنْ لاَ أُسَـمِّـيـهِ إِجْـلاَلاً وَتَـكْـرِمَـةً	فَـقَـدْرُهُ المُـعْـتَـلَـى عَـنْ ذَاكَ يُـغْـنِـيـنَـا[78]

قَالَ ابْنُ بَسَّام : فَهِمْتُ لِمَا فَهِمْتُ، وَكَبَّرْتُ اسْتِعْظَاماً لِمَا عَلِمْتُ، وَالْتَحَقْتُ بِتِلْكَ المَجَامِعِ، بِالدُّخُولِ لِلْمَسْجِدِ الجَامِعِ. حَيْثُ تُقَرَّطُ الآذَانُ وَتُشَنَّفُ المَسَامِعُ. عَسَى أَنْ

---

(75) أي رجال الحكومة. وكانت لفظة المخزن تطلق في القديم على خزينة الدولة، ثم صارت تطلق على الحكومة. وهذه اللفظة معروفة بهذه الدلالة منذ أيام المرابطين. وقد بدأ استعمالها يقل منذ عام 1375هـ.
عبد الرحمن زيدان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، الرباط، 1961، 1 : 409.

(76) هو كتاب محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري (ت 256هـ) المسمى «الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه»، ويعرف لشهرته وقيمته بـ «صحيح البخاري». وقد قدس العلماء المغاربة قراءة هذا الكتاب وختمه في دورات يحضرها علية القوم والعلماء وطلاب العلم من كل مكان. يُنظر في ذلك :
- نظام الاحتفال بصحيح البخاري، العز والصولة 1 : 177، 183.
- ملحق خاص بمهرجان البخاري، مجلة «دعوة الحق»، س 17، ع 1، 1975م.

(77) يقصد الشيخ أبا شعيب بن عبد الرحمن الدكالي (ت 1355هـ)، وهو محدث وحافظ ومصلح،درس بالمغرب والمشرق، واشتهر بغزارة علمه وقوة حفظه وبلاغته، وقد عمل وزيراً للعدل في الفترة بين 1330هـ و1342هـ، يُنظر في ترجمته : رياض الجنة 2 : 141 - 142.
- من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، 2 : 269 - 274.
- عبد الله الجراري، المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي (شخصيات مغربية)، دار الثقافة، 1979م.

(78) تضمين لما جاء في بيت الشاعر الأندلسي ابن زيدون (ت 463هـ) من قصيدته الشهيرة «أضحى التنائي» حيث يقول فيها :

لسـنـا نسـيـمك إجـلالا وتـكـرمـة	وقـدرك المعـتـلـي عـن ذاك يـغـنـيـنـا

ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1975م، ص 12.

أَلْتَقِطَ مِنَ الشَّيْخِ بَعْضَ المَنْثُورِ مِنْ فَرَائِدِ فَوَائِدِهِ، وَأَتَقَلَّدَ مِنْ عَرَائِسِ أَفْكَارِهِ بِمَا يُزْرِي بِالدُّرِّ وَقَلاَئِدِهِ، فَإِذَا بِالشَّيْخِ رَاقٍ عَلَى مِنَصَّةِ مِنْبَرِهِ، يَنْثُرُ عَلَى الأَسْمَاعِ مَا يَنْظِمُهُ مِنْ دُرَرِ الحَدِيثِ وَغُرَرِهِ. وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ - كَمَا قَالَ الحَرِيرِيُّ - أَخْلاَطُ الزُّمَرِ، إِحَاطَةَ الهَالَةِ بِالقَمَرِ، والأَكْمَامِ بِالثَّمَرِ[79]. والكُلُّ مُعْجَبٌ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الفَصَاحَةِ وَالبَرَاعَةِ، وَغَزَارَةِ المَادَّةِ وَوُفُورِ البِضَاعَةِ، مَعَ الإِجَادَةِ فِي السَّبْكِ وَالإِبْدَاعِ فِي الصِّنَاعَةِ. وَكَانَ إِذَا حَدَّثَ نَفَثَ بِالحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، وَإِذَا أَغْرَبَ أَغْرَبَ بِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِمِ وَفَصْلِ الخِطَابِ. وَإِذَا عَبَّرَ حَبَّرَ، وَإِذَا أَوْجَزَ أَعْجَزَ. وَإِذَا أَطَالَ أَطَابَ[80]، وَأَرَانَا العَجَبَ العُجَابَ، كُلَّمَا أَجَابَ. هَذَا إِلَى اخْتِيَارِ أُسْلُوبٍ يَخْلُبُ القُلُوبَ، وَأَلْفَاظٍ تَفْعَلُ فِعْلَ الأَلْحَاظِ، وَمَعَانٍ كَقَلْبِ عَانٍ[81]، وَكَلاَمٍ كَأَنَّهُ مُدَامٌ.

(وافـــر)

كَـــلاَمٌ، بَـــلْ مُـــدَامٌ، بَـــلْ نِـــظَـــامٌ   مِـــنَ الـيَـاقُـوتِ، بَـلْ حَـبَـبُ الـغَـمَـامِ

وَلَـمْ يَـزَلْ هَـكَـذَا إِلَـى أَنْ شَـابَ قَـرْنُ الصَّـبَـاحِ، وَكَـادَ يَـصِـلُ الاغْـتِـبَـاقَ بِالاصْطِبَاحِ[82]. وَمَا هِيَ إِلاَّ هُنَيْهَةٌ مِنَ الزَّمَانِ، أَوْ دُونَ قَبْسَةِ العَجْلاَنِ[83]، إِذْ أَشْرَفَ عَلَى الإِتْمَامِ، وَأَشْرَقَ فِي أُفُقِ مَجْلِسِهِ بَدْرُ التَّمَامِ. فَارْتَفَعَتْ عِنْدَ ذَاكَ بِالثَّنَاءِ الأَصْوَاتُ، يَقْطَعُهَا هُتَافُ الحَاضِرِينَ بِصَالِحِ الدَّعَوَاتِ، وَيُرَدِّدُ صَدَاهَا تَرْدِيدَ كَلِمَةِ التَّسْبِيحِ[84]، مَعَ إِنْشَادِ قَصَائِدَ مِنَ الشِّعْرِ الفَصِيحِ فِي غَرَضِ المَدِيحِ، وَتَهْنِئَةِ الشَّيْخِ بِخَتْمِ الصَّحِيحِ :

(كامــــل)

خَـتْـمٌ عـلـى كَـبِـدِي فَـمَـا أَشْـهَـاهُ   وَبَـهَـاؤُهُ لِـلْـعَـيْـنِ مَـا أَبْـهَـاهُ
طَـابَـتْ بِـهِ أَرْجَـاؤُنَـا أَرْجـاً فَـيَـا   طُـوبَـاهُ مَـا أَزْكَـاهُ مَـا أَذْكَـاهُ[85]

---

(79) ينظر المقامة الصنعائية للحريري، شرح مقامات الحريري 1 : 17.

(80) أطاب : أتى بالطيب من كلام وغيره

(81) عني بالأمر : اشتغل واهتم به وأصابته مشقة بسببه فهو عان.

(82) اغتبق : شرب الغبوق، والغبوق : ما يشرب في العشي خلاف الصبوح.

(83) القبسة : المرة من قبس وقبسة العجلان مثل في الاستعجال تشبيها بالمقتبس الذي يدخل الدار ولا يمكث فيها إلا ريثما يقتبس.

(84) هي «سبحان الله».

(85) ذكا المسك ذكاء : سطت رائحته.

ثُمَّ حُلَّتِ الحُبَى[86] لِلْقِيَامِ، وَقَامَ الكُلُّ لِلسَّلَامِ عَلَى شَيْخِ الإِسْلَامِ، وَتَهْنِئَتِهِ بِالاخْتِتَامِ. وَلَمَّا قُضِيَ هَذَا الفَرْضُ، وَكَادَ الجَمْعُ يَنْفَضُّ، انْبَرَى رَجُلٌ مِنْ وَسَطِ ذَلِكَ الاجْتِمَاعِ، وَقَالَ : إِنَّ الشَّيْخَ يَدْعُوكُمْ لِلتَّشْرِيفِ فَأَجِيبُوا الدَّاعِ [ي] [87]. فَانْعَطَفَ الجَمِيعُ، لِإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ بِالذَّهَابِ إِلَى نَدْوَتِهِ، وَالتَّشَرُّفِ بِزِيَارَةِ خَلْوَتِهِ وَجَلْوَتِهِ، حَيْثُ أُفِيضَتْ عَلَيْهِمْ سِجَالُ[88] الإِنْعَامِ، وَقُدِّمَتْ إِلَيْهِمْ صِحَافُ الأَلْوَانِ مَا بَيْنَ شَرَابٍ وَطَعَامٍ. فَأَكَلُوا هَنِيئاً، وَشَرِبُوا مَرِيئاً[89]، وَشَاهَدُوا مِنْ ضُرُوبِ الحَفَاوَةِ وَالإِكْرَامِ، وَفْقَ بَلْ فَوْقَ مَا عُهِدَ مِنْ كِرَامِ السَّجَايَا وَسَجَايَا الكِرَامِ.

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ، رَاوِيُ هَذِهِ القِصَّةِ، وَمُغْتَنِمُ هَذِهِ الفُرْصَةِ : وَهُنَا وَقَفَ جَوَادُ اليَرَاعَةِ مِنَ الجَرْيِ فِي مِضْمَارِ وَصْفِ ذَلِكَ الخَتْمِ الحَفِيلِ البَالِغِ مُنْتَهَاهُ مِنَ البَرَاعَةِ:

(كامـــل)

وَلَوَ انَّنِي أَنْفَقْتُ عُمْرِيَ فِي الثَّنَا [ءِ] عَلَيْهِ [ما] وَفَّيْتُ بَعْضَ حُقُوقِهِ[90]

فَالْوَاجِبُ إِذَنْ أَنْ أَنْثَنِيَ كُلَّ الانْثِنَاءِ، وَأَنْتَقِلَ مِنَ الخَبَرِ وَالثَّنَاءِ إِلَى بَابِ الدُّعَاءِ، سَائِلاً مِنَ المَوْلَى تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَتْماً مُبَارَكاً سَعِيداً عَلَى العِبَادِ، وَفَاتِحَ خَيْرٍ وَإِسْعَادٍ عَلَى كُلِّ البِلَادِ. وَأَنْ يَخْتِمَ لَنَا جَمِيعاً بِالحُسْنَى، وَيُكْرِمَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الكَرِيمِ الأَسْنَى.

(بسيط)

آمِينَ آمِينَ لاَ أَرْضَى بِوَاحِدَةً حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا

قَالَ ابْنُ بَسَّامٍ : وَقَدْ تَسَابَقَتْ أَقْلاَمُ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ، فِي مَيْدَانِ الثَّنَاءِ عَلَى هَذَا الخَتْمِ. إِلاَّ أَنَّ الشِّعْرَ الَّذِي سَارَتْ بِذِكْرِهِ الرُّكْبَانُ، وَسَرَتْ بِعَبِيرِهِ مَهَابُّ الأَنْسَامِ عَاطِرَةَ الأَرْدَانِ، بَعْدَمَا رَوَتْ صَحِيحَ مَتْنِهِ عَنْ نَسَمَاتِ الأَسْحَارِ، وَسَنَدِهِ العَالِي عَنْ نَفَثَاتِ

---

(86) الحُبوة والحَبوة ج حُبى حِبَى ما يُحتبى به أي يشتمل به من ثوب أو عمامة. ويقال : حل حبوته أي قام، وعقد حبوته أي قعد.

(87) الياء ساقطة في الجريدة.

(88) ج سجل وهي الدلو العظيمة فيها ماء.

(89) يقتبس من قوله تعالى : ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ سورة النساء : 4.

(90) أضفنا الهمزة وغيرنا «لما» بـ«ما» ليستقيم الوزن. ولعلها من الأخطاء المطبعية.

الأسْحَار[91]، هُوَ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ المَنْقُولَةِ - وَمَعْلُومٌ أَنَّ زِيَارَةَ الثِّقَاةِ مَقْبُولَةٌ. مِنْ أَنَّ قَصِيدَتَيْنِ مِنْ عَالِي الشِّعْرِ، الغَالِي السِّحْرِ، هُمَا اللَّتَانِ وَقَعَ عَلَى إِنْشَادِهِمَا الاخْتِيَارُ - عِنْدَمَا عُرِضَتَا عَلَى مِحَكِّ النَّقْدِ وَالاخْتِبَارِ[92] - فَأَصْبَحَ لِذَلِكَ حَدِيثُهُمَا الحَسَنُ[93] مَوْصُولَ الإِسْنَادِ[94] مَرْفُوعاً[95] لاَ مَقْطُوعاً[96] وَلاَ مَوْضُوعاً. وَاعْتَرَفَ الكُلُّ بِأَنَّهُمَا مِنْ عَرَائِسِ الأَبْكَارِ. وَنَفَائِسِ الأَفْكَارِ، وَبَدَائِعِ الابْتِكَارِ، وَرَوَائِعِ الافْتِكَارِ. وَلاَ بِدْعَ، فَقَدْ ضَرَبَتَا فِي بَابِ الإِجَادَةِ بِسَهْمٍ، وَجَرَّتَا ذَيْلَ التِّيهِ وَالإِعْجَابِ عَلَى أَبِي عُبَادَةَ[98] وَابْنِ الجَهْمِ[99].

---

(91) الاسحار الأولى جمع سَحَر وهو آخر الليل. والاسحار الثانية جمع سِحر وهو ما لطف مأخذه ودق. وهو من الجناس التام.

(92) يشير إلى قصيدتي الشاعر محمد بن اليمني الناصري (ت 1971م) وقد ذيل بها هذه المقامة، وقصيدة الشاعر محمد الجزولي (ت 1973م) وعنوانها ذكرى البخاري، ومنها قوله :

إليك يا عالم الدنيا وحافظها ذكرى البخاري كغض الورد أهديها

يُنْظر : المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 85 - 86.

(93) الحديث الحسن : هو الحديث المسند من قرب من درجة الثقة، والسالم من الشذوذ والعلة. يُنْظر : جمال الدين القاسمي. قواعد (لتحديث من فنون مصطلح الحديث. مكتبة النشر العربي، دمشق 1935م، ص 81.

(94) الحديث الموصول أو المتصل، هو ما اتصل سنده سواء كان مرفوعا إليه ﷺ أو موقوفا. المرجع السابق، ص 104.

(95) الحديث المرفوع وهو ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة من قول أو فعل أو تقرير سواء كان متصلا، أو منقطعا، المرجع السابق، ص 104.

(96) الحديث المقطوع هو ما جاء عن التابعين أو من دونهم من أقوالهم وأفعالهم موقوفا عليهم، وهو ليس بحجة، المرجع السابق، ص 111.

(97) الحديث الموضوع هو ما رُوي كذبا عن النبي ﷺ بأن يروي الراوي عنه ﷺ ما لم يقله متعمدا في ذلك، المرجع السابق، ص 132.

(98) هو الوليد بن عبيد البحتري (ت 285هـ) من شعراء القرن الثالث الهجري، مدح المتوكل وغيره وكان يمثل في شعره الطبع في مقابل شعر الصنعة عند أبي تمام. ترجمته في :
- الأغاني : 21 : 38 - 57.
- معجم الأدباء : 19 : 248 - 258.
- وفيات الأعيان : 6 : 21 - 31.

(99) هو علي بن الجهم (ت 249هـ) شاعر من أهل بغداد، كان من جلساء الخليفة المتوكل إلا أنه أبغض لكثرة ذكره ندماء الخليفة بسوء، ترجمته في :
- الأغاني : 10 : 215 - 246.
- وفيات الأعيان : 3 : 355 - 358.

ثانياً : القصائد التي قيلت بعد ممات الشيخ (المراثي) :

1 - قصيدة العالم المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان في رثاء شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي جاء فيها بعد الحمد لله.

الحمد لله وحده الحي الباقي بعد فناء خلقه :

رزء الأفاضل جالب الأوصاب	ومصاب أهل العلم أي مصاب
لولا ذوو العلم الشريف لآذنت	أركان شرع نبينا بخراب
فهم المصابيح التي تهدي الذي اســ	ــتهدى بها لسعادة وصواب
إن أطفأت ريح المنية بعضها	يتجرع الباقي كؤس الصاب
مثل المصاب بعالم العصر الذي	له من زكاء النفس خير نصاب
رجل نشا في عفة وصيانة	عربية وحماسة الأعراب
حفظ الكتاب فكان أمهر حافظ	بالسبع عارف أوجه الإعراب
وعلى خليل كان أي مثابر[100]	حفظاً أناف به على الأتراب
ووعى المتون متون مذهب مالك	وملا من التحقيق أي وطاب
وتطلب التحصيل والتحرير بالـ	ـجد الأثير مناوى الألعاب
والعلم ليس بخائب من رامه	بالعزم والتشمير والإكباب
وأتى لعاصمة العلوم فنال من	بعض الأكابر منة الطّلاب
إن المعالي لا تسوغ قربها	من كان بين الأهل ذا إرباب
ما ذاق حلو الفوز من لم يطْعِم	مُرّ النوى وتكبد الأتعاب
ونعى إلى مصر بهمة طالب	نيل الكمال ففاز بالآراب
فاستكمل التبريز في المنقول والمعـ	ـقول والتاريخ والآداب
حتى إذا نال الشهادة من شيو	خه جاء في اقرائه بعجاب
وأتى الحجاز فنال من سلطانه	عز الجليس وحظوة الأصحاب
وأصاب من ذاك الأمير عواطفا	صرفت لجاهه أوجه الرغاب
متبوءاً صدر المجالس كاشفا	للجالسين إليه كل حجاب
متجرداً للنفع ليس له عن التـ	ـدريس والتفهيم من إغباب

(100) يقصد بخليل مختصر خليل في الفقه، حيث كان الشيخ مثابرا على تدريسه وشرحه.

ثم انثنى للمغرب الأقصى فحـ ـل من الملوك به رفيع جناب
واستأنف الاجلال في أعتابهم مستقبلا بالبشر والترحاب
أسموه إذ سموه شيخ دروسهم فغدا لديهم أكرم الأحباب
موضوع إقبال وإعزاز من الـ ـوزراء والعلماء والكتاب
واستنهض الهمم التي قعدت بها عاداتها وتقية الإرهاب
واستنقذ الأفكار من أوهامها فنأت عن الإيغال في الإغراب
وتدارك الأذهان بالإصلاح إذ كانت بحالة مخطئ مرتاب
بث الحقيقة في النفوس بعيد ما كانت أسيرة جهلها المحداب
وحبوه تولية القضاء فسار في أحكامه سير الفتى الأواب
ثم ارتقى لرئاسة استيناف أحـ ـكام القضاة وذاك خير مثاب
ووزارةٍ عدليةٍ أبدى بها تدبير شهم لا يسام بعاب[101]
ثم انزوى عنها على وجه الرضا متوجها لعبادة الوهاب
وإلى الفلاحة وهي أفضل مكسب والحر لا يخلو عن استكساب
جمع الديانة للدُّنى شأن الأُلى نالوا عناية مانح الأسباب
متصدراً للدرس ليس بباذل أوقاته إلا لفهم كتاب
ولكم تخرج عنه ندب فاضل[102] ياتي لكل عويصة بجواب
يملي الدروس ممثلا اقراءه من غير ما طيش ولا إعجاب
والفرع يشبه أصله بعلاقة التـ ـعليم مثل علاقة الأنساب
لِمَ لا تؤدُّه كل نفس حرة طفرت بعيد الجدب بالاخصاب
لِمَ لا وعلمه لا تزال سماؤه تَهْمِي بغيث دائم التسكاب
حتى إذا بلغ المدى لبى دُعا من لم يك المدعوّ عنه بئاب
فأثار نار الحزن في مهج الأُلى أخذوا برشده أوثق الأهداب
أجرى عيون أفاضل أسقاهمُ من أعينٍ للمكرمات عذاب
آه ويا أسفي لفقد مُحَبَّب جمّ المناقب للثنا مِكسَاب
بحرُ العلوم حديثِها وأصولِها مستحسن الإيجاز والإطناب

(101) العاب : العيب.

(102) الندب : النجيب الظريف.

نقادُ أقوال الرجال مُمَيِّزٌ | في العلم ما بين قِشره ولُباب
لم يبق في شرق وغرب مسجدٌ | لم يأت فيه بأرحب الأبواب
أبوابِ علمٍ صار من قرائها | مستوجبَ الأمداح بالإسهاب
كم قام في الحرم المعظم خاطباً | بأجل تبيانٍ وفصل خطاب
رجل السياسة للرئاسة زينة | قطب المحافل نجعة المنتاب
إن جد لم يخرج عن الإيجاب أو | وافى بهزل كان ذا استحباب
يروي جبينه كلما تلقاه عن | بشر وفكرتُه عن ابن شهاب
تالله لا ينسى تذكر فضله | وسموه بتداول الأحقاب
وله نفائسُ لا تزال مقيمةً | ولكم نفيسٍ ءآئل لذهاب
والعلم لا تبلى محاسنه كما | يُبلي الزمان أحاسن الأثواب
أشعيبُ إن أحزنتني فلطالما | أطربت قلبي أيما إطراب
أدركت منك مجالساً ملئت بما | يهوى الأريب وينتقيه جِرابي
من كل فائدة يروق جمالُها | ونوادرٍ تُسلّي ذوي الألباب
ولئن حجبت ففي علومك مظهر | كالشمس تظهر من رقيق سحاب
لم يمض عمرك يا شعيب مضيّعاً | بل رابحاً في كِبْرةٍ وشباب
أمضيته في نشر علم شريعة | ونصيحة للناس غير محَابي
وبك العزاء لمغرب ولمشرق | ومنابر ولسائر الكتاب
ولكل من كنت المهذب فكره | ولوارثيك السادة الأنجاب
وعليك رحمة مالك الأملاك ما | جرت النواسم في ربى وهضاب[103]

---

(103) وتعد هذه المرثية بحق خلاصة حياة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، صادرة عن مشاعر صادقة بالفضل والنبل ناطقة.

وعبد الرحمن بن زيدان هذا هو صاحب «اتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مدينة مكناس» وقد توفي رحمه الله عام 1365 - 1946، وانظر ترجمته الأعلام، ج 3، ص 335 لخير الدين الزركلي.

2 - **مرثية محمد بن اليمني الناصري** (انظر ديوانه، ج 2، ص 405، جمع وتحقيق د. عبد الحق بنطوجة).

وكيف يموت الحر والموت دونه[104]

(الطويـل)

1) لأَمْثَالِ هَذَا اليَوْمِ يُرْتَجَعُ العُمْرُ — وَيُدْرِكُ سِرَّ المَوْتِ فِي مِثْلِهِ الغَمْرُ[105]

2) وَلِلْمَوْتِ فِينَا شَوْكَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا — بِإِحْيَاءِ هَذِي الذِّكْرَيَاتِ لَهَا كَسْرُ

3) وَكَيْفَ يَمُوتُ الحُرُّ وَالمَوْتُ دُونَهُ — وَقَدْ مُدَّ لِلتَّارِيخِ مِنْ نَفْسِهِ جِسْرُ

4) إِذَا زَلْزَلَ الأَلْبَابَ زِلْزَالُ وَقْعِهِ — وَطَارَ بِنَفْسٍ قَدْ تَهَيَّبَهَا الذُّعْرُ

5) فَإِنَّ لَنَا جُنْداً مِنَ الصَّبْرِ قَدْ جَرَى — إِلَى غَايَةٍ مِنْ دُونِهَا المَرْكَبُ الوَعْرُ

6) نَرَى أَنَّ هَذَا المَوْتَ خَيْرُ مَطِيَّةٍ — عَلَى مَتْنِهَا يَسْتَسْهِلُ السَّفَرَ السَّفْرُ[106]

7) وَمَا هَمُّهُمْ إِلاَّ اكْتِشَافُ عَوَالِمٍ — هِيَ الكُلُّ وَالدُّنْيَا بِجَانِبِهَا ظُفْرُ

8) وَلَيْلُ أَسىً مِنْ لَوْنِهِ حَاكَ لِلْعُلَى — ثِيَابَ حِدَادٍ حِينَ قِيلَ : قَضَى الحَبْرُ[107]

9) فَقُلْتُ أَمَاتَ اليَوْمَ حَافِظُ عَصْرِهِ — وَمَنْ بِهُدَاهُ ابْيَضَّتِ الأَوْجُهُ الغُرُّ

10) أَمَاتَ الَّذِي بَذَّ الرِّجَالَ نُبُوغُهُ — وَقَدْ كَانَ طِفْلاً لَمْ تَمُرَّ بِهِ العَشْرُ[108]

11) أَمَاتَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي الدِّينِ حُجَّةً — وَبِالحَرَمِ المَكِّيِّ طَابَ لَهُ النَّشْرُ

12) أَمَاتَ الَّذِي قَدْ هَزَّ مِصْرَ بِحِفْظِهِ — فَدَانَتْ لَهُ وَهْوَ الفَتَى فِي الذَّكَا مِصْرُ[109]

13) أَمَاتَ الَّذِي بِالشَّرْقِ وَالغَرْبِ كَمْ لَهُ — مُنَاظَرَةٍ فِيهَا لَهُ كُتِبَ النَّصْرُ

---

(104) تحت هذا العنوان وردت هذه القصيدة بكتاب «المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي» للمرحوم عبد الله الجراري (ص 138). كما نشرت تحت نفس العنوان بجريدة «الوحدة المغربية» (ع 38) السنة الأولى، يوم الجمعة 24 شتنبر 1937م، مع الديباجة التالية : «قصيدة ألقيت في حفلة تأبين شيخ الإسلام الإمام أبي مدين رحمه الله برباط الفتح».

وقد توفي الشيخ أبو شعيب الدكالي في 17 يوليو 1937م. انظر : من أعلام الفكر المعاصر : 69/2 وما بعدها».

(105) يرتجع : يرتد.- الغمرة : حيرة الكافر. وغمرة الموت : شدة همومه.

وفي التنزيل العزيز : ﴿وذَرْهُم فِي غمْرَتِهم حَتَّى حين﴾، أي في جهلهم. (اللسان، مادة : غمر).

(106) السَّفْر : المسافرون، يقال : رجل سَفْرٌ وقوم سَفْرٌ وسُفَّار. (اللسان، مادة : سفر)

(107) الحبر، بالفتح : م أحبار وحبور وهو العالم الصالح. (اللسان، مادة : حبر).

(108) بذ، يقال : بذ القوم يبذهم بذا : سبقهم وغلبهم. وكل غالب باذ. (اللسان، مادة : بذذ).

(109) الذكا : أصلها الذكاء، حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

الحمد لله وحده الحي الباقي بعد فناء خلقه

وثيقة

ثم ارتقوا بها اسنى اسنا صاعد ... كأنما القضاة ... بالطلاب

وزارة عمر لمتقلين بعضها ... ترتيب شيم للتيسير بتصانيفها

ثم ازورى عضلها وجملها ضخم ... متوجها للعلاء وزالة الوصف بها

والى الطالحة ومن اجمل الكتب ... ولم لا يخلو لهم استكمال كتاب

جمع الريانة لسوقنا عالم الاتي ... مالو العناية ملبغ الاصحاب

متصور الدرس وليس بيما داخل ... امو انسلاك لهم مكتسبا ب

ولكم تخرج منه نرب طاعيل ... بالحد للعلوم صحة يتسموا ب

يلي الدروس جملة افسعواله ... من غير ما كبير ولا اعجاب

والعلم يشبه اهله جملا فكالنـ ـخلـ ـيم مثلها الفتى لا نسا به

ثم لا توجد لكل نعيم حصول ... كغيرت حميد الحرب بالاخطاب

ثم للمعلمه لا ضغى انعم اوله ... تمضي بغيث خرابها للتشكاب

حتوا كما ابلغ السر البرء وما ... من ثم يبدأ امر قومه بتاب

بانا رما رأى بجمعهم الآلي ... لم نزل بنعمو لولا الاعراب

اجري عمير ابا ظل ابنا هجيم ... مراجع للمكي طلعا عزاب

الدويا اسعى لنصيب ... جم الحناب الشطا وكتابه

حي العلوم من يشملوا صولها ... مستحسن الحجاز والاكتاب

نفاذ امول الذي جال مميز ... والعلم بيرفخرا ولباب

لم ببين بعثى وزعى بعمر ... لربما فقيد بلا جملة الاجواب

ابوات علم ها رمى فوابعها ... ممدوحة الاصواح بلا اسهاب

كم ظام فالحي والنسك منها كبط ... باليمل قبيلي وحول خطاب

رجل السياسة للموالحة رنة ... فحب الجمال النعمة المنتاب

ان جوي تخرج من الا ييطلب او ... وامر بهول كلاسد الاجتناب

يوم جيشه كل التلفاء ممي ... بعلم وفهم تدعى ابن سحاب

تالله لا ينسى تركم وفضلة ... وبمعو بقراءة للاكمام عجب

وله نعيلجس لا تهلا صنعة ... ولكم نعبير وابل السنة هطاب

والعلم لا تبلى صاعنه كبعط ... تبلى الموطى احاصر الاعراب

أشعيت ان الحي نشو بلطه الحسا ... لهم بحضلهم وايا الحكم بسبل

أدركت منه بما اتنا فليت بها ... يمون الرباب وينعقيه جرابي

من كل ما يرة يروه جملة هما ... وخواطر تسلي ونالا البساب

ولبس حبيبة بجده علومه منظم ... كالشمس تطلع من رفيع سحاب

وثيقة

لم يمض عمرك يا شعيب مضيعا	بل راح في كبر له وشباب
أمضيته في نشر علم نافع	ونصيحة للناس غير محابي
وبك التقى للغرب والمشرق	ومناقب ولسان سر الكتاب
ولكل من كشف المغرب فيكم	ولو ارثيك السادة الأنجاب
وعليك رحمة مالك الأملاك ما	جرت النواسم في ربى وهضاب

قاله وقام بكتبه ابن زيدان عبد الرحمن 24 جمادى 2 1356

وثيقة

14) أمَـاتَ الإمَـامُ المُسْـتَـقِـلُّ بِـرَأيِـهِ وَمَنْ رَأيُهُ فِي المُشْكِلاَتِ هُوَ الفَجْرُ

15) أمَاتَ الَّذِي بِالعِلْمِ كَانَ مُدَافِعاً عَنِ الدِّينِ لَكِنْ عِلْمُهُ الجَحْفَلُ المَجْرُ(110)

16) أمَاتَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِينَا سَحَابَةً صَوَاعِقُهَا يُدْرَى بِهَا العَرْفُ وَالنُّكْرُ(111)

17) أمَاتَ الَّذِي مِنْ قَلْبِهِ وَبَيَانِهِ بَدَتْ شُعْلَةٌ فِينَا اسْتَنَارَ بِهَا الفِكْرُ

18) أمَاتَ الَّذِي بِالنُّصْحِ صَارَحَ شَعْبَهُ وَلَمْ يُلْهِهِ عَنْ رَأبِ شَعْبٍ هَوَى أمْرُ

19) أمَاتَ الَّذِي كَانَتْ لِقُوَّةِ رُوحِهِ مَطَاعِنُ لاَ تَقْوَى عَلَيْهَا القَنَا السُّمْرُ

20) أمَاتَ الَّذِي قَدْ أسْمَعَ الصُّمَّ بَعْدَمَا تَلَثَّمَ بِالكِتْمَانِ أعْلاَمُنَا الغُرُّ(112)

21) أمَاتَ الَّذِي قَدْ أنْطَقَ البُكْمَ بَعْدَمَا تَوَانَى نِطَاقُ النُّطْقِ وَانْثَغَرَ الثَّغْرُ

22) أمَاتَ الَّذِي كَانَ ابْنَ رُوحٍ قَوِيَّةٍ تَفَتَّقَ فِي الأكْوَانِ رَيْحَانُهَا النَّضْرُ

23) أمَاتَ الَّذِي مَا كَانَ قَطُّ ابْنَ كُتْبِهِ وَلَمْ يُلْهِهِ عَنْ دَرْسِهِ البَدْوُ وَالحَضْرُ

24) أمَاتَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِي الدَّرْسِ آيَةً مُبَيِّنَةً مِنْ دُونِ تَأثِيرِهَا السِّحْرُ

25) إذَا جَالَ فِي كُلِّ العُلُومِ أوِ اعْتَلَى عَلَى مِنْبَرِ التَّحْدِيثِ فَلْيَهْدَإِ البَحْرُ

26) أمَاتَ الَّذِي أخْلاَقُهُ فِي صَفَائِهَا وَرِفْعَتِهَا مِثْلُ السَّمَا زَانَهَا الزُّهْرُ(113)

27) وَمَنْ كَانَ لِلتِّلْمِيذِ يَنْبُوعَ رَحْمَةٍ عَوَاطِفُهُ مِنْ نَفْحِهَا يَنْفَحُ الزَّهْرُ(114)

28) وَلَسْتُ بِنَاسٍ بَذْلَهُ المَالَ إذْ بَدَتْ «بِمَدْرَسَةِ البَيْضَاءِ» نَهْضَتُنَا البِكْرُ(115)

29) وَتَحْبِيذَهُ لِي خُطَّةً قَدْ رَسَمْتُهَا لِتَرْبِيَةِ الأبْنَاءِ طَارَ لَهَا الذِّكْرُ

---

(110) الجحفل المجر : الجيش العظيم المجتمع. وقد شبه الشاعر غزارة علم المرثي له بكثرة أعداد هذا الجيش وعظمته. (اللسان، مادة : مجر).

(111) يوري في الشطر الثاني من هذا البيت بالمعرفة والنكرة كمصطلحين نحويين معروفين.

(112) في نسخة «الجراري» : عالمنا.

الشطر الأول من هذا البيت تضمين لمعنى بيت المتنبي الشهير :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

(الديوان : 332).

(113) الزهر : ثلاث ليالٍ من أول الشهر. والزُّهَرة، بفتح الهاء : هذا الكوكب الأبيض. (اللسان، مادة : زهر).

(114) الزَّهر : ج الزهرة : نور كل نبات، وخص بعضهم به الأبيض. (اللسان، مادة : زهر).

(115) مدرسة البيضاء : هي مدرسة وطنية حرة، كان الشاعر قد افتتحها بمدينة الدارالبيضاء، وهي أول مدرسة من هذا النوع، حيث وقع عليها إقبال عظيم نشأت عنه عراقيل اضطرته إلى الخروج منها والرجوع إلى مسقط رأسه الرباط. (الأدب العربي في المغرب الأقصى : ج 102/1).

30) وَقَـدْ عَـدَّهَـا أُولَـى المَدَارِس رُتْـبَـةً — وَرَتَّـبَ فِـيـهَـا مَـا يَـحِقُّ بِـهِ الأَجْـرُ

31) وَلَـوْلاَ عَـوَادٍ مِـنْ أَعَـادٍ تَـأَلَّـبُـوا — لَمَا كَانَ بَعْدَ الفَجْرِ فِي جَوِّهَا فَجْرُ

32) فَهَلْ مِثْلُهُ فِي العِلْمِ وَالفَضْلِ وَالْعُلَى — يُـعَـدُّ مِـنَ المَوْتَـى وَإِنْ ضَـمَّـهُ الـقَـبْـرُ

33) فَـقِـيـلَ لَـنَـا: كَـلاَّ وَلَـكِـنَّ رُوحَـهُ — مِنَ العَالَمِ العُلْوِيِّ حَنَّ لَهَا الصَّدْرُ

34) فَطَارَتْ إِلَى حَيْثُ السَّعَادَةُ وَالْهَنَا — إِلَى حَيْثُ لاَ يُسْتَحْسَنُ الخَتْلُ والغَدْرُ[116]

35) وَلاَ يُعْرَفُ الإِرْهَابُ والظُّلْمُ وَالخَنَا — وَلاَ خُلْقُ سُوءٍ بِهِ يُخْلَقُ الوِزْرُ[117]

36) ولا ظَـالِـمٌ بِـالـظُّـلْـمِ يَـبْـسِـطُ كَـفَّـهُ — وَحُظُّ الهُدَى مِنْ لَحْظِهِ النَّظَرُ الشَّزْرُ[118]

37) أَبَـا مَـدْيَـنٍ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ فِرَاقَنَا — وَخَـلَّـفـتَـنَـا فِـي مَـوْقِـفٍ دُونَـهُ الحَشْـرُ

38) وَوُدُّكَ مَـحْـفُـوظٌ وَعِـلْـمُـكَ بَـاهِـرٌ — وَفَضْلُكَ شَفْعٌ أَنْتَ مَظْهَرُهُ الوِتْرُ[119]

39) بِـكَـتْـبِـكَ أَحَـادِيثُ الـنَّـبِـيِّ وَفِـقْـهُـهَـا — وَإِصْلاَحُهَا وَالنَّحْوُ وَالصَّرْفُ وَالشِّعْرُ[120]

40) وَكُـلُّ عُـلُـومِ الـدِّيـنِ وَالأَدَبِ الَّـذِي — تَكَيَّفَ مِنْ أُسْلُوبِهِ النَّشْءُ وَالعَصْرُ

41) لَقَدْ كُنْتَ فِي دَسْتِ الوِزَارَةِ وَالقَضَا — عَظِيماً لَهُ تَعْنُو السِّمَاكَانِ وَالنَّسْرُ[121]

42) وَإِنْ تَنْسَ لاَ نَنْسَى مَوَاقِفَكَ الَّتِي — تَهَابُكَ فِيهَا البِيضُ والسُّمْرُ وَالْحُمْرُ

43) فَـمَـا نَـازَلَـتْـكَ الـنَّـازِلاَتُ بِـبَـاتِـرٍ — يَـؤُمُّـكَ إِلاَّ كَـانَ مِـنْـكَ لَـهَـا بَـتْـرُ[122]

44) وَمَا فَلَّ مِنْكَ العَزْمَ عَزْلٌ وَلاَ أَذىً — وَلاَ مَـرَضٌ مِـنْ مِـثْـلِـهِ ثَـقُـلَ الأَصْـرُ

45) لَـقَـدْ كُـنْـتَ لِلـدُّنْـيَـا وَلِلـدِّيـنِ جَـامِـعاً — وَمَا أَحْسَنَ الدِّينَ الَّذِي حَاطَهُ الوَفْرُ

46) وَقَـدْ كُـنْـتَ بِـالْـبَـيْـتِ المحَرَّمِ كَـعْـبَـةً — يَـطُـوفُ بِـهَـا رُكْـنُ المَعَارِفِ وَالحَجْـرُ

---

(116) الهنا : أصلها الهناء، حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(117) في نسخة «الوحدة المغربية» : الارهاق.

الخنا : الفحش في القول، ويجوز أن يكون من أخنى عليه الدهر إذا مال عليه وأهلكه. (اللسان، مادة : خنا).

(118) اللحظ : م لحاظ وألحاظ : باطن العين. (اللسان، مادة : لحظ).

الشزر : النظر بمؤخر العين، وأكثر ما يكون في حال الغضب. (اللسان، مادة : شزر).

(119) يوري الشاعر هنا بمصطلحين صوفيين، فالشفع والوتر اصطلاحان قرآنيان، استعارهما الصوفية للتعدد والوحدة، كقول الششتري :

ومـال لـلـصـحـو بـعـد المحو واتحدت — أخـبـاره وغـدا لـلـشـفـع مـطـرحـا

انظر : شعر ابن الخطيب، تحقيق وتقديم الدكتور محمد مفتاح، هامش ص 559، المجلد الثاني.

(120) واصلاحها : لعل المقصود اصطلاحها.

(121) الدست : م دسوت : صدر الشيء. يقال : دست الحكم أي كرسي الرئاسة.

القضا : أصلها القضاء، حذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(122) الباتر : م. بواتر : السيف القاطع. (اللسان، مادة : بتر).

47) قَضَيْتَ شهِيداً وَارْتَحَلْتَ عَنِ الدُّنَا   إِلَى الخُلْدِ حَيْثُ الرُّوحُ وَالنِّعَمُ الخُضْرُ
48) فَمَازِلْتَ جَارَ اللَّهِ حَيّاً وَمَيِّتاً   وَذِكْرُكَ فِي الأَحْيَاءِ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ
49) رَثَيْتُكَ بِالشِّعْرِ الرَّصِينِ وَحُرْقَتِي   تَزِيدُ وَلَوْلاَ الصَّبْرُ لاَنْدَلَعَ الجَمْرُ
50) عَلَيْكَ سَلاَمُ اللَّهِ مَا قَامَ وَاعِظٌ   يَقُولُ لِمَنْ يَغْتَرُّ قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ

3 - قصيدة القاضي أحمد الأزموري :

نعي الإمام أبي شعيب روعا   قلبي فيا ليت المخبر ما نعى
ساءلت نفسي هل صحيح قوله   ورجوت في غلط المقالة مطمعا
وشككت حتى جاء ما استيقنته   والشك يتركه اليقين مقطعا
هيهات يكذب من يبلغ محزنا   أو يغلط الناعي بما قد أسمعا
عام مضى والشيخ في آلامه   والنفس في مرض وفي جزع معا
زعم الأساة لنا نجاح علاجه   هذا يري حقنا وهذا مبضعا
والموت إن ما جاء ليس بناجح   فيه الطبيب فطبه لن ينفعا
يوم به صم القضاء ولا مر   د لما به يقضي الإله إذا دعا
رجعى إلى المولى فموت إما   منا الحفاظة النحرير ما أوقعا
رُمْتُ المقالةَ في الرثاء فلم أجد   من شدة الأكدار لفظا مقنعا
والهول أفقدني الكلام وكنت لا   أبقيه إلا جاء نحوي مسرعا
فلعل في الألفاظ حزنا هالها   فتشتتت وأبت على المرمعا
يا خير من لاث المحامة عالما   وأسد من حفظ الحديث ومن وعى
أبكيك بالدمع السخي ولو سعى   دمعي دما ما كان أكثر إذ سعى
إن يفقد الأقوام فيك أبا الهدى   وأبا العلوم الحافظ المتوسعا
فلقد فقدت زيادة من كان لي   في كل شان والندا متبرعا
إن ينسى غيري لست أنسى بره   أو ينسى غيري لست أنسى الأنفعا
بحر به ساروا وقبرا أودعوا   يا قبر كيف جعلت بحرا مودعا
يا تالي القرآن بالسبع التي   كرم العليم بها وطابت مهيعا
يا نافع القراء وابن كثيرهم   فيها إذا سألوا الجواب المشبعا

يا مشبه البصري في إعرابه ... ومذكر الشامي لفظا أروعا

أتقنت حمزة والكسائي عاصما ... إن ما تلوت رسومهم والمنزعا

لهفي على التفسير يفقد كاشف ... الاسرار فيه البارع المتطلعا

أحيا له الآثار بعد مماتها ... في غربنا بشهادة لا مدعى

هز القلوب إلى الكتاب بيانه ... فغدت غيوث الذكر فيها صمعا

كم ختمة ماشئت من أسرارها ... ختم الامام وكم شموسا اطلعا

لهفي على علم الحديث وراحل ... نشر الحديث ولم يغادر موضعا

في كل أرض شاع ذكر دروسه ... إذ ما يحل الأرض إلا مسمعا

سل عنه مكة والوفود ومن بها ... وسل الشروق وسل هناك الأربعا

يدروك عنه النادرات فكم سما ... فيهم قديما علمه واستمتعا

نشر الصحاح وكم أفاد متونها ... ورواتها القوم السجود الركعا

ينبيك عنه الفتح فهو رفيقه ... إن ما أطال أو إن أحال الموضعا

والفقه كان خليله فنصوصه ... في الصدر منه فروعه قد أودعا

يرضيك منه النص عند سؤاله ... والنص سيق إن أردت المقطعا

والنحو في أحواله نصبت به ... وآياته فهما وحفظا أوسعا

وإذا البيان احتاج لِلَّسن الذي ... يوفيه كان أبو شعيب مصقعا

وإذا النوادر والأمالي حاضرت ... بلسانه ذكر الطريق إلا نصعا

لهفي على كل العلوم فما لها ... من جانب فيها غريب ضيعا

وازداد زينا بالتواضع والحجى ... وتراه في نصح وخير مسرعا

ما ضل رأيا في العقيدة أو دعى ... لسوى الطريق السالكين التبعا

أخلاقه غر فما ينبو بمن ... ينتابه كنف الإجابة والدعا

زين البشاشة والخطاب فيما د ... رى عنه المخاطب في الكلام المقذعا

قد كان يذكر ربه ويخافه ... ويرى له الليل الطويل تطوعا

مني الشهادة خذ ما أدري له ... في رجعه القرآن شبها رجعا

فالله يجعل في الجنان منآبه ... وينيله فيها المكان الأرفعا

4 - قصيدة العلامة الأديب محمد البيضاوي الشنقيطي (انظر ديوانه، ص 190 وما يليها، جمع وتحقيق د. محمد الظريف، طبع بسلا عام 2000).

وله في رثاء[123] الشيخ أبي شعيب الدكالي[124]

[الخفيف]

حَسْبُنَا اللَّهُ إِذْ فَقَدنَا الإِمَامَا ... وَحَبَاهُ تَحِيَّةً وَسَلاَمَا

مَا ظَنَنَّا عَلَماً يَذُوقُ حِمَاما ... وَبِدَفْنِ الإِمَامِ ذَاقَ الحِمَامَا

مَاتَ مَنْ يَحْمِلِ الحنيفيةَ البيْـ ... ـضَاءَ فالمُسْلِمُونَ صَارُوا يَتَامَى[125]

إِنَّ مَوْتَ الإِمَامِ رُزْءٌ جَسِيمٌ ... وَكُسُوفٌ كَسَا البِلاَدَ ظَلاَمَا

يَا سَقَى اللَّهُ قَبْرَهُ مِنْ إِمَامٍ ... كَانَ لِلْمُتَّقِينَ طُراً إِمَامَا

يَا لَهُ وَاحِداً وَلَكِنَّ نَاعِيـ ... ـهِ نَعَى مِلَّةً بِهِ وَأَنَامَا

رَوَّعَ المَغْرِبَيْنِ حِينَ نَعَاهُ ... رَوَّعَ النِّيلَ وَيْحَهُ والشَّآمَا

رَوَّعَ القُدْسَ وَالمدينةَ والزَّوْ ... رَاءَ والمَسْجِدَ الشَّرِيفَ الحَرَامَا

أَحْزَنَ البَانِيَ القُصُورَ وَأَشْجَى ... عرباً فِي العَرَاءِ تَبْنِي الخِيَامَا

قَامَ يَنْعَى لَهَا القراءَةَ والتَّفْـ ... ـسِير والعِلْمَ بالكِتَابِ تَمَامَا

قَامَ يَنْعَى لَهَا الحَدِيثَ وأصْلَ الْـ ... ـفِقْهِ والفِقْهَ كلَّهُ والكَلاَمَا

لَمْ نَقُلْ يَا شُعَيْبُ مَا قَالَ قَوْمٌ ... لِشُعَيْبٍ جَهَالَةً وَأَثَامَا[126]

بَلْ فَقِهْنَا مِمَّا تَقُولُ كَثِيراً ... وشَرِبْنَا من سلْسَبِيلِكَ جَاماً[127]

---

(123) مجموع ذ. جميلة بنت أحمد، حفيدة الشاعر وأخيها محمد، مجموع السيد أمانة الله المختار. المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي عبد الله الجراري، ص 136 - 137.

(134) توفي الشيخ أبو شعيب الدكالي سنة 1937، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، عبد الله الجراري، ج 2، ص 269.

(135) هذا البيت ساقط من كل المصادر ما عدا كتاب «المحدث الحافظ، أبو شعيب الدكالي».

(136) في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى على لسان شعيب : ﴿قالوا يا شُعَيْب ما نفقَهُ كثيراً مِمَّا تَقُولُ وإِنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضَعِيفاً﴾ سورة هود، الآية 91.

(127) جاما : الجام، إناء من فضة.

كُنتَ فِينَا القويَّ بالعِلْمِ والدِّيـ ـنِ كَـفَى ذانِ قُوَّةً ودعامَا

كَمْ تَعالَى علَى المنابرِ صَوْتٌ مِنكَ فانْهلَّ في القُلُوبِ رُكَامَا[128]

فهَدَيْتَ العُميانَ للمنْهَجِ المُنْـ ـجِي وعَلَّمْتَ لِلْعيِيِّ الكَلاَمَا

ببيانٍ كأنَّهُ مِنْ نَبيٍّ جِينَ يُتْلَى هِدايَةً وَقَوَامَا

كانَ في الغَرْبِ كالعِهادِ فروَّى مِنْ نَميرِ صحراءه والأكَامَا[129]

مَنْ لقولِ الرَّسُولِ يا شيْخُ مَنْ بعْـ ـدك يحْمِي ذِمارَهُ والذِّمَامَا

بَادَ عِلْمُ الرِّجَالِ مِنْهُ فأضْحَت مُحْصَنَاتُ المُتُونِ فِيهِ أيَامَى

ستصيرُ الصِّحَاحُ منْهُ سُقاماً وتعُودُ الجبالُ منْهُ رِمَامَا

وتقُومُ الدُّهاةُ فِي حفظِهِ تَمْـ ـزجُ جَهْلاً حَلالَهُ والحَرَامَا

ضَاقَ صدري أسىً وليسَ أمَامِي غَايَةٌ للعزاءِ إلاَّ النِّظَامَا

فخُذُوا مِنْ صَمِيمِ شِعْري دُمُوعاً ثَائِراتٍ مِثْلَ الغمامِ انْسِجاما

فَتِهِ مُهْجَتِي تَذُوبُ عَلَى مَصْـ ـرَعِ شيخٍ كانَ الهُمامَ الحُسَامَا[130]

أنْدُبُ اليَوْمَ فِي الشَّرِيعَةِ جُرْحاً ليْسَ يَرْجُو بعدَ الإمامِ الْتِئامَا[131]

فعزاءً بَنِي شُعَيْبٍ عَزاءً تَرَكَ الشَّيخُ ذِي الحَيَاةِ وَسَامَا

بثَّ عِلْماً جَمّاً وأصْلَحَ جِيلاً فتبوَّى مِنَ النَّعِيمِ المَقَامَا

وَنَمَى خلْفَهُ بَنِينَ كِراماً ما قَضَى مَنْ نَمَى البَنِينَ الكِرَامَا

5 - قصيدة الشاعر الأديب العباس الشرفي الكاتب بوزارة الأحباس :

أرى قلم الرثاء ينوح نوحا ويصدح فوق أيك الحزن صدحاً

غداة نعى لنا الناعون شيخاً جليلا فاق أهل العلم نصحا

وذاك أبو شعيب ذو المعالي الـ ـذي كبح العمى والجهل كبحا

روى الكتب الصحاح الست حفظا وفهما عن ذوي الاتقان صحا

وبلغ ما بها للناس حتى تضاءل صوته العالي وبحا

---

(128) على المنابر، فوق المنابر، في كتاب «المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي».

(129) العهاد : ج. عهد وعهدة. كل مطر بعد مطر، وقيل المطر الأول.

(130) فته : وخدوا، في كتاب «المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي».

(131) هذا البيت ساقط من كتاب «المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي».

وكان إذا علا الكرسي أبدى — من التحقيق والتحرير فتحا

يحاكي البحر في التدريس لاكنـ — ـه عذب وكان البحر ملحا

ذهبت إلى النعيم ونحن سكرى — نعالج من أليم الحزن رزحا

بمذهب سائد قد كنت فذا — مسحت بسيطه بالعلم مسحا

تركت صحيفة بيضاء تتلى — بما استوجبته شكراً ومدحا

وحدتنا بروحك في منام — فإنك لم تمت جسما وروحا

شرحت صدورنا وشفيت منها — مع الأيام بالارشاد جرحا

رأينا البحر يحمل في سرير — وماء العلم يسح منه سحا

فأما القبر فهو طريق ممشا — ك للفردوس تسرح فيه سرحا

به غربت شموس العلم ظهرا — وقد وجبت لتغرب فيه صبحا

وزج به من التوحيد نور — فألهمك الإلاه به وأوحى

يبكيك الحديث وكل فن — مع اللغين دارجة وفصحا

وتبكيك المنابر والكراسي — ودين اللّه ما أمسى وأضحى

فما هذا البكاء وأنت حي — سعيد نلت رضوانا وصفحا

وقد أثنى عليك الناس طرا — ومن أثنوا عليه ينال روحا

خطبت بمسجد المختار طه — وكنت رئيس الوزارة فيه منحا

مصابك طعنة نجلاء كانت — على أحشائنا سيفا ورمحا

فنم في راحة لا تخش باسا — وعن أوزارنا الحبي تَنْحَا

وللسلطان والأبناء أنهى — عزاء مستمرا ليس يمحا

أبا عمران صبرا إن هذا — مثال الحي يكدح فيه كدحا

ومن يترك نظيرك فهو حي — فمثل خلقه تستوف ربحا

وللعلماء تعزيتي أراها — صوابا لا آلام بها وألحا

6 - وللعباس الشرفي الأديب السابق مرثية أخرى :

أيها الراحل عنا للرموسى — هكذا تقضى على هذه النفوس

لو رأيت الناس والنعش غدا — يتهادى بينهم فوق الرؤوس

ودموع القوم تجري عندما — ومحيا العلم مسود عبوس

لم نزل نبكي وهذا أثر — من بكانا سودت منه الطروس

أي صبر يتأتى بعدما … عملت في الأرض للحفر الفؤوس
ليس موت الشيخ كالموت الذي … قد عهدنا له بإزهاق النفوس
لا ولكن شمس علم كسفت … ومصاب نتجت عنه بؤوس
فلكم واسى بعلم وهدى … ولكم كان يواسي بالفلوس
حبذا علم وبذل جمعا … وغدا روضهما أزهى الغروس
حاور الأحبار في العلم كما … حاور الأقباط أيضا والمجوس
كان نجما يهتدي الناس به … كلما ألقى على الناس الدروس
أينا ينكر للشيخ هدىً … توج اللّه به أذكى الرؤوس
ساس قوم باللّها وهو على … بذله بالعلم قد كان يسوس
إن يمت فالذكر يبقى خالدا … وجميل الذكر حي في الرموس
قد هدانا بدروس كلها … حكم فلنبك هاتيك الدروس
وسقانا من هدى إرشاده … خمرة في النطق ليست في الكؤوس
إن تصدى لعويص خلته … قد أراك الشمس لا ضوء الفنوس
جاء للمغرب والعلم به … في جمود كان أدعى للطموس
خلقا ثوب سواه في التقى … وله من نسجه خير لبوس
كان في النعش عظيما مثلما … كان في الدرس عظيما في النفوس
جاهد النفس جهادا صادقا … ومضى للخلد في زي عروس
كان بالسنة يعتز وهل … بسوى السنة ينقاد السكوس
عمر المغرب بالعلم وقد … كان مما قبل كالربع الدروس
ذاك فضل اللّه لا حد له … ليس بالقسمة أو ضرب الأسوس
قام في منبر طه واعظا … وبنو طيبة في الأرض جلوس
حارب البدعة حتى رحلت … من ربوع المغرب الأقصى وسوس
نور الأزهر بالعلم ومن … هدى أحرز تهذيب النفوس
موته في الدين ثلم ولنا … خلق في المدني شمس الشموس
نم أبا موسى ودم في راحة … نومة تحكي بها نوم العروس
وتمتع برضى اللّه كما … كنت تُمليه علينا في الدروس
فهنيئا بجوار المصطفى … في سعده لم تُكدِّرْها نحوس
رحمات اللّه تغشاك إذا … لمع الكوكب أو لاحت شموس
أبّنته في السما الاملاك فليكف لا عطر إذا بعد عروس

7 - قصيدة الشاعر الأديب محمد الصبيحي :

ما للفؤاد وقد شبت به حرق ... وما لدمعي قد سحت به الحدق

أمن لواعج حب شفني سقم ... أم من فواجع دهر مسني قلق

قل لي بربك أي الحادثين جرى ... فالفكر من فرط ما دهاه منغلق

قالوا كلانا سوا فالخطب عمّ فما ... من امرئ ليس في فؤاده حرق

أليس شيخ الحديث مات وانفرطت ... يتيمة العقد بل واحلو لك الأفق

من للحنيفة إذ كان الحفى بها ... يهديك من هديها ما نشره عبق

يقفو محجتها البيضاء ليس يرى ... عنها المحيد إذا ما تلتوي الطرق

من ذا يفسر آي الذكر متشحاً ... علومه وهو في تبيانه الشرق

كم من دروس زهت به محافلها ... كانت لها زمر الطلاب تستبق

من للحديث إذا علا منصته ... أبدى البدائع لا عي ولا رنق

يعي الرواة فلا يلوى على أحد ... إلا وفيه له ركض ومستبق

أما الدراية فهو الشمس في فلك ... والبدر في حلك والصبح منفلق

من للعلوم على شتى تنوعها ... أصلا وفرعاً لديه الكل متسق

من للعروبة إذ يملي جواهرها ... حفظاً ودرساً يبين القول ينغلق

من للمجالس بالقصر السعيد وهل ... يرضي الجلالة إلا حاذق لبق

من كان مثل أبي شعيب في فصاحته ... يزينه الحفظ والاتقان والخلق

أبو شعيب وما أبو شعيب إذا ... عد الاماثل فهو المفرد اللبق

بحر خضم إذا ما جئت ساحله ... من أي ناحية تراه يندفق

من في البسيطة لا يدري مكانته ... فالغرب والشرق من رياه منتشق

يبكيك كلهم أبا شعيب وما ... يبكيه الا مزايا فيك تأتلق

لو كان يفدى امرؤ كنت الجديد بأن ... تفديك أنفسنا ونحن نستبق

لكنما قد قضى رب البرية أن ... نعيش ما قد أراد ثم ننطلق

وان كل امرئ يذوق موتته ... حكم على كل نفس جاء ينطبق

اما وقد ذقت ما قد ذاقه سلف ... فاهنأ فإنك بالابرار تلتحق

حيث الجنان وحيث الحور في سرر ... حيث النعيم نعيم الخلد يتسق

وعود رب كريم لم يضع أبدا ... بر لديه ولا لعفوه غلق

رحمـاك ربي فأنت البر ذو كرم   يسقي ضريحه منها الوابل الغدق

واولنا وبنيه الغر حسن عزا   لعل سحباً من الرضوان تنغدق

واحفظ بقية من ابقيت من عمد   وصنهم حرساً للدين ينبسق

في ظل سيدنا تاج الملوك ومن   هام الورى في معال فيه تنتسق

حباً لطلعته دامت رعايتها   ولم يزل في كمال ملكها الأنق

8 - قصيدة العالم الأديب أحمد الشبيهي :

ماذا نحب من الحياة في نصب   إن الحياة مجال الرزء والعطب

تدلي إليك بخطب بعد فاجعة   سهما فسهما يصيب أشرف الرتب

دنياك بلواك لا يصفو بها نهل   إلاً وعلل ذاك الصفو بالنوب

إن سالمتك فلم تطل مسالمه   أو عاهدتك فذاك عهد مضطرب

لهو وزينة فخر في مكاثرة   تلهي الغفول بمحض الهزل واللعب

ترى الفتى ذا يقين من منيته   لكنه بفعاله على ريب

كأنما سلب الحمام صولته   أو نال منه عهود الود والرغب

ألا اتعاض بمن مضوا وقد ملكوا   وشيدوا واستفادوا غاية الأرب

فما استطاعوا له ردا ولا جلدا   ولا وقتهم ذروع النصر والغلب

ألا ارعواء وداعي الموت يطلبنا   ولم نعد له نزرا من الدرب

في كل يوم له بربعنا خطب   لم نعتبرها لدى الإرشاد الخطب

يختار منا أخا علم وذا ثقة   أو ذا إسناد يزود الجهل بالغضب

كأن ثأرا بأهل الفضل يرصده   لم ينتهز من سواهم فرصة الطلب

حتى تضعضع ركن العلم وانتشرت   للجهل راياته بالنهب والسلب

لكنه القدر المحتوم صدمته   قد أقفرت ربع أهل المجب والحسب

سهم أصاب به يوما عواطفنا   يد المنون لم تخطئ ولم تخب

فأفقدتنا أبا شعيب أفضل من   مصابه عم صرح الدين بالكرب

يتيمة العقد آثارا ومكرمة   ودرة الفضل بين العجم والعرب

أربى على كل ذي فكر محاضرة   توليك أبلغ إرشاد من الكتب

سمت له في ضروب الهدي منزلة   على السماكين إقرارا بلا عجب

دانت إليه فنون العلم خاضعة   تضفوا خواطره عدوا على جنب

نظام سيرة بالقول متسق ... في كل مرتبة جاءت بلا سبب
أنفاسه في سبيل الهدي صاعدة ... بفكره منتصر لله محتسب
لم تقترن بسوى العلياء همته ... فمطمح الرأي منها غير مقترب
لله موقفه في الذب عن سنن ... وفي طراد ابتداع غير منتدب
أمضى الليالي في علم وفي عمل ... وفي دروس ترى أحلى من الضرب
أجرى العيون دمائم القلوب أسى ... ألم منساج غير محتجب
بكت عليه سماء الفضل فائدة ... بدرا لها وعيون العلم والأدب
ومجلس الدرس والتحديث عن سنن ... تزري اتساقا بعقد الدر والذهب
وكل مقتطف تمار دوحته ... فكل تري إثر ذاك غير منتحب
إليكم يا بنيه من ذوي أسف ... رثا فقيد فقيد الند والترب
فإن يكن أدرجوه في لحد وفي كفن ... فإن اثاره في الفضل لم تغب
من لم يهله مصاب العلم بالعلما ... فالمين في غيه ضرب من اللعب
هم هداه الورى وهم حياتهم ... فالعيش دونهم يوما سوى نصب
لو أنهم عملوا يحل ما علموا ... لانقاد كل جموع دون ما سبب
يا ليت باقيهم سبيل سالفهم ... حتى يرى الدين ذا عز وذا نشب
وينجلي القطر في مجد وفي شرف ... محررا من قيود الدعر والشغب
ممتعا بهناء غير ذي رنق ... موحد الدين والأخلاق والأرب
في ظل من ظلل العلياء موكبه ... وبايعته صنوف العز عن رغب
سلطان مغربنا وخطب طاعتنا ... وسر إقبالنا سعيا على الركب

9 - قصيدة الأستاذ أحمد القاسم (من واد زم) :

قم والجبال الشم كيف تسير ... وانظر إلى الأقمار كيف تدور
والشهب أي شهب السماء تناثرت ... والأرض دكت والجبال تمور
عم الأسى واشتد من عظم النبا ... قتم الدجى فنهارنا ديجور
ودهى البريئة والبريئة جمة ... نعي مثير قد رواه أثير
فالغرب باك والشام حزينة ... والنيل من ترح يكاد يغور
وصل الجزيرة والجزيرة داره ... حظ المصاب وقرحة تبور
فبكاه في أم القرى أبناؤها ... وجوارها بل بيتنا المعمور

وبكاه في دار الرسول نزيلها — والأوس ثم وخزرج وجرير

والروض أي روض الحبيب وقبة — حزنا عليه ومنبر وسرير

ثكل الحديث وقوضت أعلامه — وتيتم التأويل والتفسير

وتايم القراء وهي عجيبة — هل في الأيامى كان قط ذكور

يا خادم الإسلام منذ نبوغه — ولقد بدا لك في النبوغ ظهور

الذكر في عهد الحديث حفظته — ولك الحديث مؤنس وسمير

ولقد ملكت أزمة لفصاحة — وصراحة قد زانها التعبير

فإذا علوت منصة لخطابة — والقوم خفوا والرجال تدور

أبدعت في حكم وآية حكمة — واسترسل التطبيق والمأثور

في نبرة عربية وبلاغة — مضرية يوحيهما التطهير

والنور من شفة يلوح كجوهر — منظومه المسبوك والمنثور

والقوم حولك خاشعين وأنتم — علم الهداة مبجل ووقور

تلقى الملا طلق الجبين تهللا — والوجه من فضل الحديث نضير

تهتز نشوان العلوم طروبها — وتكاد من زهو العلوم تطير

وإذا درست فأنت أكبر حافظ — والصدر أنت إذا تكون صدور

والبحر عذب في الندى وسماحة — وتفيض إن غاض الوفا وبحور

ولقد أتيت الغرب أكبر مصلح — والغرب في عمياء كاد يسير

ظهرت مبادئ ضلة وخوارق — وفشا به التدجيل والتزوير

فحملت ألوية الصلاح مغامرا — وأريته الإصلاح وهو خطير

وأنرت سبل الحق وهي حوالك — وأتاه من أعلى سمائك نور

البعض من حسد عليك تالبوا — وأتتك من أهل الشرور شرور

افكوا فقالوا زائغ متنطع — والأفك من حسد القلوب يثور

وعموا عن الحق المبين صراحة — وأتى بذاء منهم والزور

كالشمس في ردء الضحى لاكن عيو — ن الشائنين عن الغزالة عور

ودفعت بالإحسان غير معاند — والصبر عون والسماح وزير

وعفوت عفو المستطيع ولم يزل — العفو خير للرجال وخير

يا راحلا ماذا تركت لأمة — ولمن عهدتم فالزمان عسير

قد كنت ردء الطالبين وناصرا — للعلم في وقت يعز نصير

أنـقـذت مــن شــرك المتـالــف أمــة ... مــنــهــم ولم تــقــنــع وأنت قــديــر
حتـى مـنـحت مـنـا صـبـا ومـراتـبـا ... وتــكــون الــتــشــريــع والــدســتــور
وخـلـقت أنـظـمـة وأنت رئـيـسـهـا ... وكــبـيرهــا ومــديــرهــا ووزيــر
فتربــع الــطــلاب كــل أريــكــة ... وحــوتــهــم بــعــد الخمــول قصــور
نـبـغـوا بـفـضـلـك في الـعـلـوم أهـلـة ... وسـمـا يـجـودك في الـفـنـون بـدور
واهـبت بـالـقـوم الـنـيام بصـرخـة ... كــالــنــاذر الــعــريــان أنت نــذيــر
حــتــى إذا هــبــوا وطـار كـراهـم ... ودحــى الـدجـى أنـواركـم والـنـور
ألـقيت بـالحمل الـثـقـيل عـلـيهـم ... تـبـلـوهـم هـل في الـرجـال جـديـر
وأرحت نـفسك واتــخــذت محابـرا ... ومــنــابــر الخلان فــهــي ســمير
لاكــنــهــا الأيــام غير مــريــحــة ... أحـداً وتـغـدر والـزمـان عـثـور
قـلـبت لـكـم ظـهـر المجن فـراعـنـا ... يـوم عـبـوس قـمـطـريـر شـريـر
قـد كـان بـدء الشـر يـوم شـكـاتـكـم ... والــداء صــعب والــزمــان عسير
طـاشت بـه الألـبـاب فـهـي مـريـبـة ... وتحيرت لما عــــراك فـــتـــــور
مـثـل الـلـسـان وكـان أفصـح نـاطـق ... كـالـبـلـبـل الصداح كـان يـثـور
فـرح الحسـود فـقـام يـخـلـق قـولـة ... الــلّــه يشــهــد أن ذاك لــزور
قـالـوا أصـاب المعـلـم الأسـمـى الأمـا ... م «درابــز» وضــوائــح وقــبــور
عـجـبـا فـهـل لـلصـالحين طـريـقـة ... إلا الــهــدى وشــريــعــة ومــنير
الصـالحون ومصـلـحـون مصـابـح ... هـدي الـنـبـي مشـكـاتـهـم والـنـور
وأنــا أقــول إذا أصــيب فــإنــهــا ... في ضـمـنـهـا الـتـمـحـيص والـتـكفير
بـل ذاك عـنـوان الـقـبـول حـقـيـقـة ... وهـدايـة في طـيـهـا الـتـطـهير
وطـريـقـة لـلأنـبـيـاء قـديمة ... والأمــثــلين بــذاك جــاء أثــور
وعــلاوة قــل إن فــيــه لــعبرة ... الــلّــه حسب مــنــزه وقــديــر
يـا أيـهـا المـاضـي الـعـزيـز تحيـة ... يـنـدى الثرى مـن طـلـهـا وقـبـور
كـانت لـكـم بين الـوثـائـر ضـجـة ... فـغـدا لـكـم بـدل الـوثير حـفير
دفــنــوك بين ضــرائــح وجــنــادل ... وحـوتك يـا عـالي الجنـاب صـخـور
ولـو أنصـفـوا دفـنـوك بين قـلـوبـهـم ... وحـنت عـلـيك صـدورهـم ونـحـور
يـا راحـلا المسـلـمـون جـمـيـعـهـم ... في مـأتم نـائـيـهـم وحضـور
لما نـعـى الـنـاعـي الإمـام عشـيـة ... حشـد الجمـيـع وأسـرع الجمـهـور

نسلوا شبين ومهطعين وحلقوا | يتنافرون كبيرهم وصغير
فشبابهم وكهولهم وشيوخهم | يتململون وكلهم موتور
عظة الزمان وعبرة الدهر الاما | م أبو شعيب الراحل المقبور

10 - **قصيدة مؤرخة في جمادى الثانية عام 1356 للشاعر الأديب (محمد الطاهر القصار التونسي المرسي)** أولها : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه، عنوانها :

دمعة تونس على إمام المغرب

مصاب فجر المقل العصية | وصرف زلزل الرتب العليه
وخطب فادح جلل ورزء | عظيم لا تعادله رزيه
وسهم نافذ للموت أودى | بخدن العلم صنو العبقريه
إمام المغرب الأقصى إذا ما | تفاخر بالحجا أهل الرويه
فقيه المسلمين إذا استطالت | على النبهاء أسباب القضيه
ملاذ السائلين إذا تعاصت | على الأفهام مشكلة خفيه
فريد زمانه علما وحفظا | لسنة سيد البشر السنيه
يموج محدثا بحرا خصنا | فيؤتي كل عصاء نقيه
ويجلو خرد العرفان يتما | تنير مناهج الفكر الدجيه
ويقتطف المعاني من علاها | فينشرها نواسم عنبريه
قنوص كل وجناء شرود | بأنجاد المعارف يعربيه
ولوع بالمفاخر والمعالي | لغير العلم لم يسلك ثنيه
شغوف بالنهى يحمي حماها | ويرعاها بفكرته الذكيه
لعوب بالعقول إذا تصدى | لحل معاقد العلم العتيه
ركوب رواحل إن جاز أرضا | هفت نسمات نفحتها الشذيه
ولاقته المسامع مصغيات | لما يلقيه من درر سنيه
لقد عرفته تونس إذ تجلى | من المحراب منبلج الرويه
يطول بفيضه علما وفهما | لمعنى (إنما الأعمال بنيه)
فأروى غلة وشفى أوارا | وأطرب أنفسا كرمت سجيه
فبات الجامع المعمور يشدو | ومنبره يزف له التحيه

وقد شهدته مؤتمرا بحفل ... يضم فطاحل اللغة البهيه

يحرد من فصيح القول عضبا ... يقد مناطق النقد البذيه

تهب له السراة وهم شداة ... يرعي أواصر الدين القويه

لِتبْك أبا شعيب كل نفس ... تتوق لصالح الفئة الزكيه

لِيبْكِ أبا شعيب كل ناد ... يجمع عترة العلم السريه

رويدك يا حمام أسلت أنفسا ... تبذ عزائم الأمم الفتيه

تشع هداية وتفور علما ... وتحيي للحجا والعبقريه

فلو فدي الكريم بمن سواه ... لما عظمت على أحد رزيه

ولو أن المنية لم تنازل ... أخا فضل لحببت المنيه

ولو كتب البقاء لذي صلاح ... لما نزلت بأمته بليه

عقول المصلحين أجل شيء ... لأنشأ الشعوب العالميه

وخط معاقل النهضات حتى ... تكون عظيمة النعمي هنيه

ولكن كل ما في الكون فان ... ولا يبقى سوى رب البريه

فمن يرجو الخلود بغير ذكر ... يردد في الصباح في العشيه

ومن يرجو النجاة بغير زاد ... من الحسنات والسير الرضيه

لئن فات الدكالي فهو باق ... تمجده مآثره الزكيه

وتذكره الكرام بخير ذكر ... مدى الأزمان شاكره حفيه

ومن ذا يجمل السلوان وقعا ... لما نال البلاد المغربيه

بفقد أبي شعيب ذي المعالي ... أصيل الرأي محمود الطويه

سفته سحائب الرحمات وبلاً ... وأنزل جنة الخلد العليه

11 - وللشاعر الأديب محمد البلغيثي قصيدة تحت عنوان[132] :

مات شيخ العلماء

1) مت والأرض لم تمل ثواكا ... ليتني كنت يا شعيب فداكا

2) مت يا حافظ الشريعة فالديـ ... ـن يبكي ويندبن حجاكا

3) مت حاشاك ما قضيت ولكن ... مات من لم يجد لديه عزاكا

4) يا زعيم الإصلاح في الدين والأخـ ... ـلاق قد حبذ الورى مسعاكا

(132) وردت في أعلام الفكر المعاصر، ج 2، ص 273 وما يليها، للمؤرخ العالم عبد الله الجراري، رحمه الله.

5) عشت في مصر طالبا للمعالي ثم لما بلغت أقصى مناكا
6) جئتنا حاملا من العلم بحرا فسبحنا وقد نهجنا خطاكا
7) جئت والبعض معرضون عن الـ ـله فناديتهم فخافوا نداكا
8) كنت شيخ الحديث بالصدق والتفـ ـسير فينا والفقه حل فناكا
9) كنت في كل ما يقال له العـ ـلم إماما قرت بذاك عداك
10) من نباهي به إذا ذكر الحفـ ـظ وهل يا ترى لدينا سواكا
11) من يضاهي إمامنا إن علا المنـ ـبر يوما وصار يملي دراكا
12) طبت حيا وميتا لم يزل في مسمعي حافزا رنين صداكا
13) لست أنساك ما حييت ولا زلـ ـت مدى العمر تحت ظل لواكا
14) لا يرد البكا عن الميت شيئا فالبس الصبر واتركن فكاكا
15) واسأل اللّه للفقيد ثوابا على ربي أن يستجيب دعاكا
16) نجل طه سلطان مغربنا المحـ ـبوب صبرا فأنت أولى بذاكا
17) موته ثلمة ولكن قضاه من دواما بحفظه يرعاكا
18) ولموسى أزف دمعة قلبي ولاخوانه جميعا كذاكا
19) وذو العلم أين حلو أعزيـ ـهم وخير الأحباب في عزاكا

12 - رثاء فقيد العلم أبي شعيب الدكالي لمحمد الشيخ (زومي) :

1) فقد الرجال رزية الأوطان إن الرجال ذخائر الأزمان
2) كم واحد إن مات هد بخطبه أفق البلاد وراع كل جنان
3) طود إذا ما حز ريع لوقعه شم الجبال قصيها والداني
4) غلب الحياة بجده وبعقله لاكن بباب الموت ألقى الجاني
5) فكرت في أمر الحياة وشطها عمري فكان الحظ في الحرمان
6) حرب بلا عدد وجيش مائج متتابع الخطوات للميدان
7) باللّه يا شيخ البلاد ونجمها اشرح لنا هذا الكفاح القاني
8) فلأنت أعرف بالنفوس وسرها ووسائل الادراك والتبيان
9) ناجيت فيك الليل مكلوم الحشا أتنفس الصعداء بالأحزان
10) حتى بدا الاصباح قمت منكسا حزنا وقلت الأمر للرحمان
11) قد هد نعيك في النفوس قويها وأتى على العلياء والأركان
12) خسرت بك الأوطان أفضل ساعد قامت عليه شواهق البنيان

13) أنت الفتى العربي من بعثت به لغة البلاد من البلى بالشان
14) أحصيت جل شذورها وزرعتها زرعا أتى بالزهر والأفنان
15) غرفت يداك من المعين فلم ترد الا زلالا مروي الظمآن
16) أتقنت تاريخ الحديث وسره حتى عددت به من الشجعان
17) تلك العلوم فأهلها في رفعة تسمو لنور مقامها العينان
18) ضارعت «قسا» في الفصاحة واعظا أكرم بوعظ جاء في اطمئنان
19) إن قلت فيك على البديهة فارس أو رئبل في العلم والعرفان
20) قد كنت فوق الوصف مقصود الفنا للعلم لا لمقاصد الشيطان
21) لك في شريعة «أحمد» المختار وقـ فة صالح في حبه متفاني
22) يبني ويهدم ما بنت أيدي العدا ويشيد صرح العز للعربان
23) أفنيت عمرك في الجهاد مناضلا بالعلم لا بوسائل الهذيان
24) تروي من الكتب الصحاح صحائفاً فتحت بصرك شعلة الإيمان
25) قد قمت في أرض الكنانة شاهراً سيفا تطول به على الطغيان
26) وتركت في أرض الحجاز محامداً نتجت بكل الخير في البلدان
27) في «المغرب الأقصى» وضعت المرتجى وسقيته كالوابل الهتان
28) مازلت تسعد بالمعالي عاملا حتى لبست بها حلى التيجان
29) تلك الوزارة زنتها بمحامد ومن الحميد إنارة الأذهان
30) لك في المكارم صولة عربية ما شابها شيء من الخذلان
31) حزت الرياسة في البلاد بأسرها علما وأخلاقا على الأقران
32) طوبى لأرض أنجبتك من الأولى قدحوا زناد الفضل بالإحسان
33) «دكالة» أرض الكرام رجالها أشبال كل ملمة وعوان
34) شيخ الحديث وحافظ الإسلام قد فقدت بك الأوطان خير بنان
35) المغرب الأقصى يئن بأسره حزنا ويذرف كل دمع قان
36) مشت الخلائق خلف نعشك خشعا كخشوعهم لحديثك الرنان
37) من يبتغي للشعب تعزية وقد فقدت يمينه أفضل الفتيان
38) لله ما في النعش من علو ومن خلق يضوع به شوك الريحان
39) جاورت ظل القبر حيث المنتهى فأنيسك الأبهى ضيا القرآن
40) سر في أمان الله محمود الخطى يسمو لك الغفران للرضوان

13 - رثاء فقيد المغرب الأقصى الشيخ أبي شعيب الدكالي للشاعر صلاح أبي رزق :

1) ذهاب كل يوم وارتحال ... وتوديع الأحبة وانتقال

2) لأن الناس في الدنيا ضيوف ... لأوقات محددة تنال

3) متى حان الأوان فكل نفس ... تسارع للرحيل ولا سؤال

4) ولا شيء يؤخر عن رحيل ... ولا ولد وأصحاب ومال

5) فمن كانت فعاله صالحات ... تزينها المآثر والخصال

6) ينال الأجر في الأخرى ويمضي ... إلى دار النعيم ولا يحال

7) ومن نفع الأنام بنشر علم ... وإرشاد يطيب له المنال

8) فينزله الإله على قصور ... تزينها الجلالة والكمال

9) كهذا الراحل المشهور فينا ... بنشر العلم لم يقصده حال

10) قضى العمر الطويل بلا انقطاع ... على التدريس يسعفه المقال

11) خطيب ناصح لسن قدير ... فلا يعيي إذا طال المجال

12) كأنه فارس البيداء يجري ... يطارده المهند والنبال

13) سلوا عنه المنابر كيف كانت ... تجللها المهابة والجلال

14) فلا قس يضاهيه بقول ... ولا البلغاء إن صالوا وجالوا

15) فريداً وحيداً في الغرب طرا ... وفي الشرق الشقيق له اتصال

16) بكت كل البلاد عليه حزنا ... نساء والشبيبة والرجال

17) وفي أرض الكنانة قد بكوه ... وكل الشام سهله والجبال

18) وفي أرض الحجاز وكل أرض ... بها للضاد منظوم يقال

19) فمن للدرس بعد أبي شعيب ... صبور لا يرافقه ملال

20) ومن يروي الحديث بلا انقطاع ... إذا كثر التحدث والسؤال

21) مضى من كان مقوالا فصيحاً ... إلى الأخرى يناديه ارتحال

22) وغابت شمسه عنا وأمست ... محجبة كما غاب الهلال

23) أحقاق هوى طود المعالي ... وبحر العلم للغبرا يحال

24) بربك هل سمعت بمثل هذا ... بحور العلم تحجبها الرمال

25) قضاء اللّه ليس له مرد ... إذا نادى مؤذنه بلال

26) عـزيـز ان يـفـارقـنـا ويمضـي ... ونحـن الـيـوم يـحـوجـنـا الـنـضـال

27) عـن الـديـن الـعـزيـز فـقـد غـزاه ... مـلاحـدة يـجـرئـهـم ضـلال

28) فـمـن مـن بـعـده فـيـنـا قـديـرا ... لـيـحـمـي الـديـن إن جادوا ومالوا

29) فـنـوحـي يـا بـلاد الـغـرب نـوحـي ... قـفـارك والمفـاوز والـتـلال

30) وصبراً يـا بـنـيـه الـيـوم صبراً ... لأن الصبر في الموتـى حـلال

31) فـإن نـزحـوا عـن الـدنـيـا اضـطراراً ... وأبـعـدهـم عـن الأهـل انـفـصـال

32) فـهـم في حضـرة الخلاق دومـا ... ومـنـزلـهـم يـحـف بـه الجمـال

33) فـلا شـيء يـدوم عـلـى بـقـاء ... وحـتـى الأرض يـعـقـبـهـا انحـلال

14 - قصيدة العالم الأديب عبد المجيد الفاسي (ضمن ديوانه المطبوع ص 387، بإشراف ابنه البار الأستاذ عباس الفاسي) بعنوان :

أبـا شـعـيـب(133)

(بسيط)

مـاذا دهـاكَ عـمـيـدَ الـعِـلْـم والأدبِ ... ومـا اعـتـراكَ فـلـمْ تـنـطِـقْ ولم تُـجِـبِ

ومـا أصـابَـكَ، شـيْـخَ الـديـنِ فـانْـقَـلَـبَـتْ ... آيـاتُ قـولـكَ صـمْـتـاً غـيـرَ مُـنْـقَـلِـبِ

بـالأمْـسِ آنَـسَ مـنـكَ الـقـومُ مـوْعِـظَـةً ... وآنـسـوا مـنـك نُـصـحـاً غـيـرَ مُـنْـقَـضِـبِ

والـيَـومَ أصْـبَـحْـتَ جـسـمـاً لا حـرَاكَ بـه ... فـيـا لـه مـوقـفـاً يـدعـو إلى الـرَّهَـبِ

سَـكَـتَّ لـلـمـوتِ لا كِـبْـراً ولا وهَـنـاً ... والموتُ مُـسْـكِـتُ كـلِّ الـنـاسِ بـالـغَـلَـبِ

لـقـد قـضـيـتَ فـقـالَ الـنـاسُ كُـلُّـهُـمُ ... مـاتَ الـعـظـيـمُ فـتـى الإسلامِ والـعَـربِ

مَاتَ العظيمُ فتى الفُصحَى وحارسُها ... وحُـجَّـةُ الـفِـقْـهِ والـتـفـسِـيرِ والأَدَبِ

وواحِـدُ الـعـصـرِ إدْراكـاً وذاكِـرَةً ... وحـافِـظُ الـسُّـنَّـةِ الـغَـرَّاءِ والـكُـتُـبِ

والمُخلِصُ السَّلَفِيُّ النَّاصِرُ السُّنَّة الـ ... ـمِـقـدامُ شـخـصـيةُ التفكيرِ والدَّأبِ

مـا كَـانَ أكْـثَـرَهُ عِـلْـمـاً وَأكـبَـرَهُ ... يُـمـلِـى الحديثَ كـبَـحْـرٍ زاخِـرِ الـعُـبَـبِ

مَـا شِـئـتَ مِـنْ دُرَرٍ فِـي الـعِـلْـمِ بـاهِـرَةٍ ... ومـن جـواهـرَ في الآدابِ لم تُـشَـبِ

وَمـن حـقـائـقَ في الإسْـلاَمِ ثـابـتـةٍ ... ومـن مشـاكـلَ أجـلاهـا ومـن عَـجَـبِ

ومـن بـيـانٍ تـهـزُّ الـقـلْـبَ رَوْعَـتُـهُ ... قد بَذَّ فيه رجالَ القولِ والخُطَبِ(134)

---

(133) رثاء العالم السلفي أبي شعيب الدكالي، توفي 8 جمادى الأولى 1356 موافق 17 يوليوز 1937 : من أعلام الفكر المعاصر : 269 - 274، المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي : عبد الله الجراري.

(134) بَذَّ : فاق وغلب : لسان العرب : بذذ.

الأرضُ مُظلمَةٌ تهتزُّ منْ جَزَعٍ	والعينُ دامعةٌ والقلبُ في لَهَبِ
والكلُّ راحَ لِهَوْلِ الخطْبِ مُنزعِجاً	حيرانَ مُكتئِباً في منْظَرٍ شَجِبِ
علَى فتى العلمِ والإبداعِ لوْعَتُهُمْ	على فقيدِ العُلا والمَجْدِ والحَسَبِ
علَى شُعَيْبٍ وما أدراك ما رَجُلٌ	يحِقُّ حُزْنٌ مدَى الأيَّامِ والحِقَبِ
فالعيشُ بعد رؤوسِ العلمِ ذو كَدَرٍ	والعَيْشُ بعدَ رجالِ الدينِ لم يَطِبِ

❖ ❖ ❖

تبْكِيكَ يا عَلَمَ الأعلامِ جَمْهَرَةٌ	قَدْ كنتَ مُرْشِدَهَا في الدَّرسِ والطَّلَبِ
تبكي عليك دروسٌ كنتَ زينتَها	وكنتَ فيها تقول الحقَّ لم تَهَبِ
تبكي عليكَ عُلومٌ كُنتَ ضيْغَمَها	وكنتَ مُظْهِرَهَا فِي مظْهَرٍ قَشِبِ
تبكي عليك رجالُ العلمِ قاطبةً	يبكون فيكَ نُبوغاً غيرَ مُكْتسبِ
نبكي محاسنك الجُلَّى محامدَك الـ	ـكبرى دُعاءَك إن تسْكُتْ وإن تُجِبِ
نبكيكَ أن كُنتَ حُرَّ الفكرِ مُعتصِماً	بالدِّينِ أُنهضَ بين المَعْشرِ النُجُبِ
قضيتَ عُمْرَكَ في الاصلاحِ رائِدُك الـ	إخلاصُ وهْو سبيلُ النُّجْحِ في الأَدَبِ
حاربتَ بالعلمِ أهواءً وكنتَ لَدَى	نشْرِ الحقيقَةِ جلداً غيرَ مُضْطَربِ
لمْ تكْترِثْ بِأُنَاسٍ كان موقِفُهُمْ	فِي مبدإِ الأمرِ تعييباً ولم تَعِبِ
هَيْهَاتَ أن يُدركوا ما أمَّلوهُ وَلَو	سَعَوْا وجَدُّوا فإن الحقَّ لم يُصبِ

❖ ❖ ❖

صَبراً وسيروا نحو منهَجِهِ	هذَا العزاءُ وكونوا أشرَفَ العَقِبِ
صبراً بني الضَّادِ والإسْلامِ إنَّ لنَا	بمن مضوا إسوةٌ في كُلِّ مُنتخَبِ
لو كان يُجدِي الفِدَا نَفْديكَ لكنَّ أمْـ	ـرَ اللهِ ما له منْ مرَدِّ مُنْتخَبِ
في ذِمَّةِ اللَّهِ يا شيخَ الحديثِ وَفِي	جِوارِ رَبِّكَ نَمْ واهْنَأْ بلا تَعَبِ
وسوفَ تبقَى مدى الأجيالِ تُذْكَرُ بالـ	أعْمَالِ مُشْتهِراً بالفضْلِ لم تَغِبِ

15 - قصيدة الشاعر الأديب محمد المهدي الحجوي (من الرباط) :

1) مصابك هال الشرق في الأرض والغربا	وقل من الإسلام في وقعه عضبا
2) مصابك للاسلام طرا رزية	نهيت بها من بين أحضانه نهبا
3) وفقدك للدين الحنيف مرارة	تجرع فيها من رزيتك الكربا
4) وخطبك قد عم النفوس وكيف لا	وفضلك في تعميمه سبق الخطبا

5) وفي كل بيت من مصابك مأتم ... وفي كل صدر لوعة تحرق القلبا
6) فمثلك من تفديه أنفسنا فدا ... ومثلك من تبكيه أعيننا سكبا
7) أطاحت بتلك المكرمات طوائح ... فهدت من الإسلام في وقعها جنبا
8) عزائي لهذا الدين فيك وأهله ... فقد كنت في تأييده أبدا صلبا
9) عزائي للإسلام طرا فكله ... لفقدك مأجور وقد واصل الندبا
10) عزائي للإسلام في شيخه الندي ... قضى عمرا في الندب عن عزه ذبا
11) فيا قبر شمس هذه فيك غيبت ... فأضحت للشمس التي أقلت غزبا
12) ويا قبر بحر العلم فيك قد اختفى ... وهل قبله أبصرت بحراً ثوى التربا
13) وفيك هوى قلب عقول ومنطق ... قؤول وفكر ثاقب يسبق الشهبا
14) فيا غربة العرفان بعد إمامها ... ويا ضيعة الآثار في سند جبا
15) ويا غربة الاقراء بعدك يا أبا ... شعيب فقد كانت حدائقه غلبا
16) فما نحن بالباكين شخصك وحده ... ولكننا نبكي علوما غدت نهبا
17) فقد ضعف الحامون للشرع بيننا ... وقد نضب العلم الصحيح فلا نضبا
18) وقد قصرت آمال كل محصل ... فعادت ربوع العلم في أرضنا جربا
19) وقد كنت غيثا للعلوم بأرضنا ... تفيض عليها من معارفك الخصبا
20) دؤوبا على نشر المعارف قائما ... على البدع الشنعا تمزقها إربا
21) رنوت إلى العلياء طفلا فأقبلت ... وأقبلت الآمال في إثرها وثبا
22) وسرت على عزم إلى ما تريده ... بهمتك القعساء لا تتقي صعبا
23) ولم تك في نيل المفاخر لاهيا ... ولا أدرك العليا من تبع اللعبا
24) فسرت إلى شرق البلاد بحكمة ... وعدت بأخرى قد أضأت بها الغربا
25) وأحييت في عرض الأقاليم سنة ... لا محد ترويها فتروي بها الجدبا
26) وتنشر من آثارها كل مسند ... توثق في عليائه يقطع الشغبا

❖ ❖ ❖

27) فصح لك الفتح المبين موطئا ... إصابة ما يشفي بتهذيبه اللبا
28) وفسرت تنزيل الإله فأصبحت ... هدايته تحيي من البلد الجربا
29) كشفت به روح البيان فأشرقت ... معانيه في إعجازها تخرق الحجبا
30) وخضت به بحر الجواهر لم تخف ... به دركا في الغوص كلا ولا رسبا
31) تخرج منه السبع والعشر ناقداً ... لا وجهها تنفي بترتيلها الريبا

32) فنافعها قد كنت لابن كثيرها ويحسبك البصري عاصمها الندبا
33) وفي الفقه كم هَذَّبْتَ مذهب مالك تجرد من مشكاته قبساً شبا
34) إمام إذا عد الأئمة حجة وإن ذكر الاعلام كنت لهم قطبا
35) وأكثر من تلك المعارف رتبة مظاهر أخلاق تخيرتها دابا
36) فمن همة لا تعرف الصعب في العلى دعتك إلى العرفان تخترق الهضبا
37) إلى خلق في نشر علمك طاهر رقيق الحواشي كالنسيم إذا هبا
38) تقابل بالحسنى وتعفو عن الأذى يخفض جناح منك لا يعرف العجبا
39) وكنت فتى في الحق لم يخش لائما ومهما دعاه الحق في معضل لبى
40) وإنا إلى الأخلاق في علمائنا لأحوج من علم به نملا الكتبا
41) وأحسن ما في الناس خلق مهذب وأعظم ما في النفس عزم بها نسبا
42) وأكبر ما يحيى به الشعب نشأة تكاملت الأخلاق فيها فلا عيبا
43) فيا أيها النشء المجد إلى العلى ومن شاء أن يحيي بعرفانه الشعبا
44) فهذه أخلاق الفقيد نهاية تريك فتى تصبو له القلوب حبا
45) تمثل بهذا الشهم في طلب المنى إذا كنت تبغي في مراتبك الرتبا
46) وسر هكذا في بغية العلم عابثا موطأة أخطار التغرب لا تعبا
47) وعد هكذا بالعلم تحمله لنا وتنشره نشراً تهب به هبا
48) فتلك لعمر الله سيرة من غدا فقيداً ولكن ذكره قد غدا نصبا
49) فاخر به ان تستعاد خصاله على سمع من يهوى من الخلق العذبا
50) ساند به مهما ذكرت خصاله وفي مثله تحلو إطالتي الندبا
51) أخلد ذكراه العظيمة في الورى بقافية أرسلتها تخرق الحقبا
52) تمد لها الأعناق من كل جانب وتحملها الأيام في جيدها عجبا
53) تنبئ عنا أننا في ربوعنا نجل من أختار المعالي له صحبا
54) فصبراً أيا من كان في العلم صنوه وكان على الأيام يصفى له الحبا
55) وكأنا بهذا القطر قطبي «معارف» يديران إصلاحاً حمدنا له غبا
56) وصبراً جميلا يا بنيه فرزؤه على غصص الدنيا بأجمعها أربى
57) ولكن يوفى الصابرون أجورهم على كربهم أضعاف حملهم الكربا
58) ويا قبر جادتك السواكب رحمة على من ثوى في القبر تشمله دابا
59) ويا راحلا يا ليت أنفسنا فدا له صلوات الله تتبعه صوبا

16 - قصيدة الشاعر الأديب محمد حركات (من سلا) :

اللّــه أكبر كـل حـي فـان	فانقل إلى حكم القضا بتفان
واملا حياتك بالمحامد والمثا	ثِ إنها محدودة بثواني
وتوخ فعل البر واسع ببذله	للمعوزين من بني الإنسان
واعمل على إحيا العلوم وبثها	فهي الأساس لعزة الأوطان
فبصالح الأعمال يبقى المرء حيـ	ـياً وهو تحت اللحد والأكفان
يبقى له الذكر الجميل مخلدا	باسم الكريم مشرع الاحسان
كأبي شعيب شيخنا العلامة النـ	ـفاعة الدراكة الفنان
عزيت فضيلة لخير قبيلة	محبوبة في سائر البلدان
دكالة ذات الفطاحلة الألى	بلغوا العلا في السر والإعلان
قد كان بحراً موجه متلاطم	لاكنه بجواهر العرفان
قد كان في التدريس أكبر جهبذ	أسدى معارفه إلى الأذهان
قد كان في تحريرها فهامة	يجلو مشاكلها بكل بيان
قد كان مختصا بمعلوماته	نفع العموم بكامل الاتقان
في كل قطر مشرق أو مغرب	بالعلم شنف مسمع الآذان
شهم ولوع بالمذاكرة التي	تجدي وتذكي الفكر عن إمعان
لم تلهه كلف المناصب قط عن	تهذيبه العلمي كل أوان
ناهيك أستاذا فقدناه أجل	فيه فقدنا العالم الرباني
كان المفيد وكان في إملائه	فتح مبين باهر البرهان
فلتبك حضرته السنية مقلة الـ	ـأشياخ والكهلان والشبان
ولتبكه عين المساجد إنه	كان المنير لها مدى الأزمان
ولتبكه فيها الكراسي التي	كانت بها تزداد رفعة شان
ولتبكه فيها المعارف إنه	حبر لها في نشرها متفاني
وليبكه علم الحديث فهو حا	فظه وحجته بكل معاني
وليبكه التفسير فهو إمامه	وكفاه فخراً خدمة القرآن
وليعتبر علماؤنا بوفاته	فهو الوحيد وما له من ثان
وليقتدوا بنهوضه علما وتعـ	ـليما وذاك أكمل الإيمان

يـا راحـلا خـلـفت أي فـجـيـعـة | عـظـم المصـاب بـهـا بـكـل مـكـان
نم في أمـان الـلّـه يـا عـطـر الثرى | مـتـنـعـمـا في اهـنـا واطـمـئـنـان
مـا مـات في تـرك الـعـبـاد بـأسـرهـا | تـهـدي الـثـنـاء لـه بـكـل لسـان
وأحـق فـيك بـخـالـص الـتـعـزيـة الـ | ـفلك الـهـمـام جـلالـة السـلـطـان
فـإلـيـه أيـده الإلـه مـؤيـداً | أنـهـي الـتـعـازي مـن صـمـيـم جـنـاني
وإلى بـنـيـه الأكـرمين وكـل تـلـ | ـمـيـذ لـه مـن شـاسـع أو دان
مستـعـطـفـا رب البريـة أن يـقـا | بـلـه بمحض الـعـفـو والـرضـوان
ويـديمه في مـنـتـهـى رحـمـاتـه | أبـداً ويسـكـنـه فسـيـح جـنـان
مـا قـل شـاد في الـرثـا مـؤرخـا | بصـريـح وعـظ كـل حـي فـان

17 - **مرثية الأستاذ محمد بن عبد الله الروداني للشيخ أبي شعيب الدكالي:**

مـيـدي جـبـال الأطـلـس الـفـيـنـان | جـلـت مصـيـبـة هـذه الأوطـان[135]
والى الـقـضـاء لـهـا مـن الصـدمات ما | مـنـه تـداعـى شـامـخ الأركـان
لـو قـيـل يـومـاً لـلـخـطـوب تـأخـري | عـنـهـا لـقـالـت لـيس في إمـكـاني
أو تسـأل الـنـكـبـات أيـن مـقـرهـا | قـالـت بـلاد المغـرب الـعـاني
وتـهـون كـل مصـيـبـة إلا إذا | كـانت عـلـى الأخـلاق والـعـرفـان
هـاتـيك تحـفـظ لـلشـعـوب كـيـانـهـا | والـعـلـم يـأسـو شـقـوة الإنسـان[136]
إن يـنـتشـر في أمـة فـاقت بـه | أفـرادهـا عـزا ذوي الـتـيـجـان[137]
لـكـن وا أسـفـا لشـعـبٍ كـلـمـا | رام الـتـقـدم عـيـق بـالحـدثـان[138]
فـالمغـرب الأقصـى عـلـى مـا نـابـه | في الـعـلـم مـن ضـعـف ومـن نُقصـان
مُـدت لـه كـف المنـيـة فـانـتـقـت | أمـنـيـة في قـلـبـه الحيران
أمـنـيـة تـفـدى لـو أن فـداءهـا | في مسـتـوى الأرواح والأبـدان

❖ ❖ ❖

يـا عـالـم الشـرق الـعـظـيـم وشيـخـه | كُـنـت الـفـخـار لأشـرف الأديـان[139]

(135) ميدي : اهتزي ؛ الفينان : الجميل ذو الطبيعة الخلابة.

(136) يأسو : يداري.

(137) ذووا التيجان : الملوك.

(138) الحدثان : الليل والنهار لما يقع بينهما من أحداث.

(139) أشرف الأديان : الإسلام.

أنفقت عمرك في دراسته وما | أوتيت من صبر لها وتفان
لله ما قاسيت من ألم النوى | وضربت في الآفاق والبلدان
حتى اقتنيت من العلوم نفيسها | من بعد بذلك أنفس الأثمان
وجمعت حفظ الشافعي وأحمد | ودراية المدني والنعمان(140)
وتفقُّه الثوري والليث الذي | قد ضيعته جماعة الإخوان(141)
وقراءة الغرّ البذور ومثلهم | من كل من يحمي حمى القرآن(142)
ومكانة الطَّبري في التفسير والـ | ـرّازي والشافي أبي حيان(143)
وبذذت في الأدب المبرد وهو من | ندري وشيخ معرّة النعمان(144)
وأحطت علما بالفريض كأنك الـ | ـظبي فيه أو أبو عثمان(145)
أما الفصاحة فهي آيتك التي | أعجزت فيها سائر الأقران
وصبوت للتجديد شأن ذوي النص | فذهبت فيه مذهب الأفغاني(146)
أخذ اللباب مِنَ الحضارة خالصاً | والجد نحو ثقافة الولدان
والسير في سنن الجدود إلى العلى | وإزالة الأحقاد والأضغان
خضعت لعزتك المناصب دفعة | وأتت إليك تخرّ للأذقان
فقد اصطفيت إمام بيت الله في | خير البقاع ومنبع الإيمان(147)

(140) المدني : مالك بن أنس (انظر الترغيب والترهيب، الجزء الأول، ص 14).
النعمان : الإمام أبو حنيفة (انظر الترغيب والترهيب، الجزء الأول، ص 13).
(141) الثوري : انظر الاعلام، الجزء 3، ص 104.
الليث : الموسوعة العربية الميسرة، ص 1592.
(142) الغر البدور : المراد به القراءات السبعة.
(143) الطبري : أنظر ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة، ص 1153.
الرازي : أنظر ترجمته في الموسوعة العربية، ص 852.
أبو حيان : التوحيدي، أنظر ترجمته الموسوعة العربية الميسرة، ص 32.
(144) المبرد : أنظر ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة، ص 1640.
شيخ معرة النعمان : أبو العلاء المعري، أنظر ترجمته بكتاب أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، الصفحة 389 إلى 405.
(145) الضبي : أنظر ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة، ص 1141.
أبو عثمان : وهو الجاحظ أنظر ترجمته في الموسوعة العربية الميسرة، ص 591.
(146) الأفغاني : وهو جمال الدين الأفغاني، أنظر ترجمته في الأدب الحديث، تأليف عمر الدسوقي، المجلد الأول، ابتداء من الصفحة 328 وما يليها.
(147) خير البقاع ومنبع اليمان : وهي مكة المكرمة ويقصد الشاعر حين كان الشيخ أبو شعيب إماما بها.

وحُبيت في الوطن العزيز وزارة لولاك لم تظفر برفعة شان

من غير تدريج طفرت فلم تضع قدميك إلا في أعز مكان

لو كان موتك ذا نظير لم نُرع لكنه ما إن له من شان

❖ ❖ ❖

فإلى جوار الله يا خير امرئ تبكيه قبلي سنة العدناني[148]

أبا شعيب لم تمت رغما عن أن سجيت بين لفائف الأكفان[149]

مات امرؤ لم يبق من آثاره ما عنه يدفع آفة النسيان

أما الذي ملأ البلاد معارفا فلتلك ذكراه مدى الأزمان

18 - وقال القاضي محمد سيكرج يرثي الشيخ :

الدهر قاض نافذ الأحكام حتى على الحكماء والحكام

من ذا الذي في الحكم عانده ولم يقضى عليه بعاجل الإعدام

الخلق في يده يقلبهم كما قد شاءهُ في صحّة وسقام

والخنق في يده يشد به على كل الرقاب يسوقها لحِمَام

إن الحياة وان تطل في نعمة لاشك أضغاث من الأحلام

كتب الفناء على الخلائق كلهم فوجودهم عدم بلا إبهام

لا تغترر بوجود عافية فأحرى أن تكون ملازم الأسقام

الله يا مغرور مثلي فاتعظ ما هذه الدنيا بدار مقام

من لم يكن ذا عبرة سيكون عبرة غيره يوما من الأيام

والعلم ليس يموت صاحبه ولو قد قيل فيه مات من أعوام

فاضرب به مثل الأجل أبي شعيب فهو حيّ قد مضى بسلام

ولان مضى والله يرحمه ففي كل القلوب له أعزّ مقام

وله على الركب العلي خرّت وقد قامت بخدمته على الأقدام

لله ما قد كان يبديه وما يخفيه في الأحجام والأقدام

فقد كان في الأعلام طودا شامخا في كل علم ناشر الأعلام

(148) العدنان : وهو النبي ﷺ، ولقبه بالعدنان نسبة إلى جده عدنان.

(149) أبا شعيب : شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي المرثي. أنظر ترجمته في كتاب «الشيخ أبو شعيب الدكالي (أكاديمية علمية تسير على رجليها وتغير معها مجرى التاريخ)»، لعبد الكريم بركاش.

شمس بدت في أفق مغربنا بها المولى أضاء فضاء كل ظلام
ذو لهجة مزجت بكل حلاوة في منطق يحيى ذوي الأفهام
يا حسنه من منطق يسري بسر اللطف كالأرواح في الأجسام
تتعشق الأسماع منه بأن يطول حديثه دون اختصار كلام

بفصاحة سجدت لها الهمم التي عرفت معاني الوحي والالهام
ومجال سر في مجالس درسه متنوع ما فيه من إبهام
ما السحر ان يك ثمَّ من سحر حلا ل غير ما يبديه للأفهام
اللّه أكبر كل شيء هالك إلا المهيمن جلّ ذو الإكرام
فيه الرجوع إليه باستسلامنا والصبر أجمل في ذوي الإسلام
فلنا العزاء به وجل عزاؤنا فيه لأهل الفضل والأعلام
فاللّه يرحمه ويعظم أجرنا فيه جميعا في كمال مرام

19 - كلمة وشعر الأستاذ محمد غريط بن الصدر المفضل غريط، في تأبين شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي :

أشدد به من نبأ مرهب بحادث مستعظم مكرب
وأعجب لهذا الموت في نهبه هدية المشرق للمغرب
فبث روح الحزن في مهج من لاحن في القول والمعرب

أي بحر ضمه لحد، وأي كنز شده الموت ولما ينفد، وأي تحفة سلبها، وأي آية أذهبها، وأي ريحانة أذبلها، وأي نفس عالية، ذات نعوت غالية، استحثها للرحيل وما أهملها. أيها السيد الأريحي، والفقيد الذي سر الميت وأحزن الحي.

نناديك يا علامة الأبد ومحدث الدهر، ولو كنا نظن أن مددك الذي كرعت منه الأفهام، وارتفعت به الأوهام، ينزحه مرور الليالي والأيام، لَنا ديناك، يا علامة الزمان، ومحدث العصر.

ولئن قلنا مَنْ للمعارف والفنون، والمفروض والمسنون، والأسانيد والمتون، والفصاحة، والبلاغة، وجميل الإلقاء وبديع الصناعة والصياغة، والمنابر، والمحافل، والنصائح وتنبيه الغافل، فإنما هي سنة في التأبين تتبع، وكلمة تقال فيما انقضى وانقطع. وإلا فأنت الذي أبقى بعد احتجاب العين أثراً لا يحجب، وذكراً

يرويه أنجبُ عن أنجب، وأنت الذي لم يتأث عن الجثو بين يديه لاستزادة علمه، من هو على ثقة من فهمه.

يا أبا مدين الذي سلك من العلوم شعابها، وذلّل صعابها، وكلف بحفظها فلم يشك أتعابها، وبارح في تحصيلها الوطن، ونزح عن الأهل والسكن، ثم آب مليء الجراب، جميل المآب، فنال من تنويه الأملاك، ما يناسب علاه، ويوافق حلاه، فاستعظموا علمه، واستغزروه، واستقضوه، ورأسوه، واستوزروه، فقام بتلك الخطط، قيام متحرس من التفريط والشطط، كالدر أينما حل تبوّأ أشرف محل، والتبر حيثما انتقل ابتهجت به القلوب والمقل، لو أسهب المسهبون، وبالغ الصرحاء والمستعربون في عد مفاخرك الجليلة، ومآثرك الجميلة، لما بلغوا منها معشاراً، وكيف وهي كالشمس سموا وانتشاراً يا أبا مدين ! الذي كل منصف بحبه تَدَيَّن.

لقد عشت أكمل إنسان، بالتحقيق مليء الجنان، وبالحديث رطب اللسان.

فأي حياة كحياتك السعيدة، وأي أياد كأياديك العديدة، أفدت المستفيد، وأغنيت المستزيد.

فأيم الله لو كان محبوب يُفْدى لفديت بالأرواح، أرواح ترنمت عليك بالثناء ترنم البلابل على الأدواح.

بالمال والنفس لو يستطيع يفديكا	من ليس يقبل في الوداد تشكيكا
ولو فداك لما كان الفداء بما	يستوجب الفضل والعرفان يوفيكا
كيف الفداء وهذا الأمر حسم على	من ليس يملك تسكينا وتحريكا
أم يرى نفسه من كان ممتلك الـ	ـأموال فيه حليف الفقر مملوكا
وكل جسم إلى التركيب منتسب	فما عجيب إذا أصاب تفكيكا
آه على ثلمة في الدين صار لها	من حكيه عاطف للدين يبكيكا
من للعلوم التي أبكيت مقلتها	وطالما كنت ترضيها وترضيكا
تبكيك أو يبخل العد النمير متى	روى الرواة حديثا عن معالكا
كنت الغياث وكنت المبلغ السوءل ذا	قصد لكشف حجاب الوهم يرجوكا
كنت الوحيد بتوطين النفوس على	ان لا تكن بما للّه تشريكا
وكنت بالعلم والتحقيق إذا شغف	ولم تكن شهوات النفس تسليكا

وكيف تسليك عنه وهو في كل أو قات الزمان بما ترضي يوافيكا
أنفقت عمرك في علم وفي عمل وذاك لو لم يكن سواه يكفيكا
جهدت في صغر فسدت في كبر وكان نجحك يبدو من مباديكا
حفظت ما لم يكن طوعا لمجتهد فلم تكن حركات العمر تنسيكا
وصلت مطلبا وعدت محقبا علما تضاءل عنه من يباريكا
ظهرت بالشرق نبراسا على شرف فلم تكن غمرات الدهر تطغيكا
وعدت للمغرب الأقصى فعاد له كنز ناثل منه من يدانيكا
ونلت جاها فما كانت علائقه عما يقرب للرحمن تلهيكا
وما اصطفاك الملوك الصيد عن عبث بلى ليلتقطوا الألماس من فيكا
وما اصطفوك وزيرا غير مختبر بلى رأوا كل ما يرضونه فيكا
نصبت للعدل ميزانا حميت به حقوق من كان للانصاف يدعوكا
بنيت مجدا فكان العلم ضامنه فلا تطول يد إلى مبانيكا
أعطيت حظك من علم ومن نشب فلم تكن عن مريد الفضل مسيكا
بل جدت والجود انشأ الود والحمد في قلوب من شكروا إحسان معطيكا
ملكت بالفضل كل اللائذين فما يمين من قال لام بواديكا
ملأت أفئدة الطلاب قبل كما ملاتها در علم من أماليكا
أفدتنا فاستفدنا منك معرفة وإن تطاولت الأعناق تزهيكا
أجنيتنا ثمرات العلم يانعة والله من ثمرات الفتح يجنيكا
أدنيتنا لتنال النفع عن ثقه ورغبة لرضى الالاه تدنيكا
أديتنا ثمرات للعلوم وقد جددت ما كان بين الناس متروكا
أريتنا أدب الإيراد والحل للـ ـأشكال في الدرس كالابريز مسبوكا
رددت بيت حقوق العلم للأصل إذ ألقيته باطراح الرعى منهوكا
وكنت إن ضلت الأفكار عن حل ما يشف تلفي ضياء الفكر يهديكا
وكان فيك من الأسرار جاذبة لمن يريد إلى الآداب تسليكا
يرى دنوك رهنا غنية وحبا ولا يرى الصفو إلا في مغانيكا
رويت عن سادة جمت معارفهم ما لم يزل من معين العلم يرويكا
ونلت حسن الثنا من العموم فلم يكن إلى الكبر والاعجاب يثنيكا
من للدروس وللالقاء يحسنه حتى تراه عجيب الصنع محبوكا

من للحقائق يبديها فيبصرها | من كان في مذهب التحقيق يغفوكا
(شعيب) لولا التذاذ السمع باسمك في الـ | ـتكرار والسرد ما كنا نسميكا
وهل نزيدك تشهيرا وأنت بما | يرتد بالعجز عنه من يباهيكا
كالشمس أنت وماتثنيه غايته | إنا ببعض الذي تهدي نهاديكا
لئن ترحلت عنا (يا شعيب) فقد | تركت (موسى) على أسنى تمنيكا
كما تركت أبا زيد الفتى وأبا | محمد من سما إلى مراقيكا
كل له منك حظ في العلوم وذا | به حباك إلاه العرش باريكا
هذبت أنفسهم تهذيب مقتدر | وذاك عندهم أزكى أياديكا
ومن سعودك ان سار الفروع على | نهج تأخر عنه من يجاريكا
وأنت أجدر بالصفح الجميل إذا | تقاصر اللفظ منا عن معانيكا
عليك رحمة من أولاك معرفة | علتك حيا وفي الفردوس تعليكا

أيها السيد الأشم معطسه، الكريم مغرسه.

حقيق أن يسهب في ترجمة حياتك الطيبة، من أفكاره ببديع المنشآت صبية، على أنه مع الاطلالة مقصر، ولو حظي سعد المستنصر، ملق دلوه في الدلاء، معترف بعد عتق فكره من رق فكره لجنابك الرفيع بالولاء، يثني عليك ولا يزيد بك تشهيراً، ويرثيك فيرى من صفاتك الجميلة على القول معينا وظهيراً، ولو سكت لأغنت مناقبك المشهودة بين الفضلاء، ولو كتمت لوثبت بك الآلاء.

وحقيق أ ن نجدد ذكراك، ونقول بشراك بحسن المآب بشراك، ونهدي إلى روحك الكريمة في كل إصباح وإعتام، تحية يغيظ نشرها مسك الختام.

الامضاء مُحمد غريط وفقه الله
وفي 7 جمادى الثانية 1356 (15 غشت 1937)

20 - «في احياء» ذكرى تابين الإمام الأكبر العلامة المحدث حافظ المغرب الشيخ **أبي شعيب الدكالي رحمه الله للأستاذ الشاعر الحاج أحمد ابن شقرون :**

لَمَعَ الزَّمَانُ بِلاَمَعٍ مُتَوَقِّدِ | وَمُفِيضِ عِلْمٍ غَارِسٍ مُتَعَهِّدِ
كَالغَيْثِ كَالْبَحْرِ الْخِضَمِّ كَذَائِبٍ | مِنْ فِضَّةٍ لِلرَّاغِبِ الْمُتَفَقِّدِ
عَلاَّمَةُ الدُّنْيَا وَحَافِظُ مَغْرِبٍ | وَإِمَامُ فِقْهٍ بِالْحَدِيثِ مُؤَيَّدِ
لَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ مِثْلَ فَقِيدِنَا | فِي الفَهْمِ وَالْحِفْظِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ

قَدْ كَانَ يُبْدِعُ فِي الفُنُونِ جَمِيعِهَا … إِبْدَاعَ فَيَّاضِ الْقَرِيحَةِ مُفْرَدِ
إِنْ رُمْتَ مَذْهَبَ مَالِكٍ مِنْ حِفْظِهِ … قَطَفَتْ يَدَاكَ وُرُودَهُ مِنْ مُهْتَدِي
أَوْ رُمْتَ تَحْرِيرَ الْعُلُومِ بِأَسْرِهَا … غَرَسَ الإِمَامُ خَمَائِلاً فِي فَدْفَدِ
فَأَبُو شُعَيْبٍ حَازَ فِطْنَةَ عَالِمٍ … بَزَّ الْفُحُولَ بِقُوَّةٍ لَمْ تُشْهَدِ
فَكَأَنَّمَا كُلُّ السُّمُوتِ تَرَكَّزَتْ … قُوَّاتُهَا، وَتَجَمَّعَتْ فِي سَيِّدِ
سَلْ عَنْهُ مِصْراً وَالأَفَارِقَةَ الأُلَى … وَذَوِي الْمَكَانَةِ فِي الْحِجَازِ الأَمْجَدِ
إِنْ جِئْتَ أَنْدَلُساً وَطُفْتَ بِمَغْرِبٍ … وَنَزَلْتَ دُوراً بِالْفَطَاحِلِ تَقْتَدِي
عَبِقَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْبِلاَدِ جَمِيعِهَا … هَبَّاتُ طِيبٍ مِنْ حَكِيمٍ أَوْحَدِ
وَأَخُو الأَرِيجِ إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ … بَقِيَ الأَرِيجُ كَزَائِرٍ مُتَرَدِّدِ
فِي الدَّرْسِ آرَاءٌ وَفِيهِ وَثَائِقٌ … بِجَمَالِ إِمْدَادِ النُّبُوَّةِ تَرْتَدِي
وَالْعِلْمُ نُورٌ لَيْسَ يُدْرِكُ سِرَّهُ … غَيْرُ الْمُقِيمِ عَلَى الصَّلاَةِ بِمَعْبَدِ
مَنْ حَفَّهُ بِعِنَايَةٍ رَبٌّ حَبَا … بِالْعِلْمِ آدَمَ وَاصْطَفَاهُ لِسُجَّدِ
وَأَبُو شُعَيْبٍ فَخْرُ كُلِّ مُفَاخِرٍ … بِالْعِلْمِ، مَشْغُوفٍ بِعَقْلٍ مُسَوَّدِ
دُكَّالَةُ شَرُفَتْ بِهِ بَلْ كُلُّنَا … أَعْظِمْ بِهِ مِنْ وَاحِدٍ مُتَعَدِّدِ
فِي الْجَامِعِ الْقَرَوِيِّ كَانَ مُبَرِّزاً … قُطْبَ الْمَعَارِفِ وَالْمَقَامِ الْمُفْرَدِ
مَنْ عُدَّ مُنْتَهِياً، بَدَا فِي دَرْسِهِ … مُتَسَائِلاً، مُسْتَفْهِماً، كَالْمُبْتَدِي
لِغَزَارَةٍ فِي عِلْمِهِ مَا مِثْلُهَا … زَخَرَتْ بِهِ وَبِهَا سَمَا فِي سُؤْدَدِ
مَعْقُولُهُ مَعْقُولُ صِيدِ ذَوِي النُّهَى … مَنْقُولُهُ صَافٍ صَفَاءَ الْعَسْجَدِ
إِنْ سَالَ نَبْعٌ مِنْ مَعِينِ بَيَانِهِ … ظَفِرَتْ عُقُولُ ذَوِي الْمُنَى بِالْمَقْصَدِ
أَوْ لاَحَ فِي بَيْتِ الْمُلُوكِ فَفَرْقَدٌ … أَنْعِمْ بِهِ فِي أُفْقِهِمْ مِنْ فَرْقَدِ
تَفْسِيرُهُ وَحَدِيثُهُ فِي فَيْنَةٍ … إِتْحَافُ فَحْلٍ مُسْتَطَابِ الْمَوْرِدِ
قَالَ الرَّسُولُ «وَقَالَ رَاوٍ» هَذِهِ … لِسِوَاهُ، لَيْسَتْ بِالْكَلاَمِ الْجَيِّدِ
فَإِذَا تَصَدَّرَ لِلْحَدِيثِ فَلُذْ بِهِ … تَجِدِ اللُّبَابَ الْمَحْضَ مِنْ مُتَفَرِّدِ
مَا شِئْتَ مِنْ حُكْمٍ يَلَذُّ قِطَافُهُ … مَا شِئْتَ مِنْ نَفَحَاتِ حَالٍ أَغْيَدِ
قَبَسٌ أَنَارَ وَوَمْضَةٌ وَضَّاءَةٌ … مِنْ نُورِ مِشْكَاةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
«وَكَمِ اسْتَفَدْنَا»: مِنْ مَقُولٍ لاَزِمٍ … فِي دَرْسِهِ مُتَكَرِّرٍ مُتَجَدِّدِ
فَكَأَنَّمَا جُمِعَتْ عُلُومُ ذَوِي النُّهَى … وَتَدَفَّقَتْ فِي دَفْعَةٍ مِنْ مَصْعَدِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ دِينَهُ … مُتَدَفِّقاً لِلْجَاهِلِ الْمُتَصَيِّدِ

فَالْعِلْمُ أَثْقَلُ وَالْعَلِيمُ مُزَوَّدٌ عَوْناً عَلَى الْحِمْلِ الثَّقِيلِ السَّرْمَدِي
حَتَّى يَقُومَ بِفَرْضِ بَثِّ رِسَالَةٍ وَيَفُوزَ فِي الْعُقْبَى بِخَتْمٍ أَسْعَدِ
وَأَبُو شُعَيْبٍ ثَارَ فِي وَجْهِ الْخَنَا وَأَطَاحَ بِالْجَهْلِ الْمَقِيتِ الأَنْكَدِ
وَأَهَابَ بِالْجِيلِ الْمُرِيدِ مَعَارِفاً: نَلْ قَطْفَهَا مِنْ عَالِمٍ مُتَزَوِّدِ
وَمَضَى بِعِزٍّ شَامِخٍ نَحْوَ الْعُلاَ وَبِطِيبِ ذِكْرٍ فِي الْحَيَاةِ مُخَلَّدِ
تَحَصَّنَ مَجْداً شَادَهُ الْعِزُّ فَانْبَرَتْ تَطُوفُ بِمَغْنَاهُ أَمَانِي الْوَرَى شَوْطَا

وقول القائل :

تَفَرَّدَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَةِ رَبِّهِ فَأَوْرَثَهُ عِلْمَ الْكِتَابِ بِلاَ رَيْبِ
وَأَثَرَ حُبَّ اللَّهِ فَانْكَشَفَتْ لَهُ عَجَائِبُ أَسْرَارٍ ثَوَاباً عَلَى الْحُبِّ

وقول القائل :

وَمَا الْعُمْرُ إِلاَّ زِينَةٌ مُسْتَعَارَةٌ تُرَدُّ وَلَكِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْعُمْرُ
وَمَنْ بَاعَ مَا يَفْنَى بِبَاقٍ مُخَلَّدٍ فَقَدْ أَنْجَحَ الْمَسْعَى وَقَدْ رَبِحَ التَّجْرُ

وقول الحاج أحمد ابن شقرون :

إِذَا رُمْتَ الْعُلُومَ فَلُذْ بِبَحْرٍ خِضَمٍّ زَاخِرٍ بِالْمَكْرُمَاتِ
وَسَابِقْ لِلثِّمَارِ وَذُقْ جَنَاهَا لَذِيذاً مِنْ مُفِيضِ الطَّيِّبَاتِ
وَفُزْ بِمُحَرَّرَاتٍ بَاطِنَاتٍ لَدَيْهِ مِنَ الْفُتُوحِ وَمُظْهَرَاتِ
وَعِشْ بِأَرِيضِ رَوْضٍ رَاقَ زَهْراً وَدُرّاً فَاقَ دُرَّ الْمُشْرِقَاتِ
رَحَلْتَ أَبَا شُعَيْبٍ عَنْ حِمَانَا فَأَصْبَحَتِ الْمَنَابِرُ مُقْفِرَاتِ
وَكُنْتَ تَغُوصُ فِي بَحْرِ الْمَعَانِي وَتَصْدَعُ مُفْصِحاً بِاللُّؤْلُؤَاتِ
بِهَا حَلَّيْتَ طُلاَّبَ الْمَعَالِي فَخَلَّدْتَ الْعَظَائِمَ مُثْنِيَاتِ
تَوَالَتْ غَادِيَاتٌ وَاكِفَاتٌ عَلَى جَدَثٍ تَشَرَّفَ بِالرُّفَاتِ

21 - مرثية الشاعر ميشال خياط :

يا سائراً نحو البقاء العالي ومُزَوَّداً بأطاييب الأعمال
ومشيعاً بقلوبنا وعيوننا ومكفناً بستائر الإجلال
لما نعيت تساءل الأنام عن سبب الوفاة ودائك العضال

ورأو عليك الدمع طوفاناً فقالوا ... الفقد من غرق بلا إشكال

لكنه الأجل الذي في منتهاه ... يَجِدُ كل الناس في الترحال

والمرء يجهل يومه وعليه أن ... يبقى مراقبه بدون هلال

وكذاك كنت أبا شعيب لتستعد ... إلى تلاقي ربك المتعالي

حتى إذا الأجل انقضى والسعي ثم ... حملت مغتبطا إلى الأظلال

فدوى نعيك مضرماً نار الأسى ... والحزن في الأحشا وفي الأوصال

رَوَّعتَ كل العرب في أوطانهم ... إذ كنت للغُرب العزيز الغالي

لاسيما ذا المغرب الأقصى الذي ... فيه هلالك نال كل كمال

وتراه في الأفراد والمجموع مشتركا ... بخطبك مثل باقي الآل

وعليك ناح وجوهه وعيونه ... والقابضون عن نواحي الحال

وشعوبه طرّا وكنت لهم مثال ... أب عليك بكوا بُكا الأطفال

وعموم لبنان وكل مهاجر ... منه أقام هنا وكل جوالي

فالكل كانوا في الشعور كواحد ... في ذا المصاب بحيرنا المنضال

حَبْرٌ له في كل مكرمة يد ... بيضاء أحييت ميت الأمال

لم تنقبض يوماًولم تشك الملال ... على دوام البذل بالأحمال

فقد كنت للإسلام خير مُحَدِّثٍ ... عما احتوى من حكمة وجلال

ومنارةً تهدي الدين تخبطوا ... بدجى الحياة ومرجع السؤال

وشهرت سيف الحق في وجه الأولى ... قاموا بأنكر بدعة وضلال

قارعت حجتهم بأقوى حجة ... فظفرت لكن بعد طول نصال

واعدت كل حقيقة لنصابها ... من بعد شق النفس والأهوال

واللّه خولك الهنى وقضى على ... بدع أرادوها بالإضمحلال

وضللت قواما على نظم الشريعة ... في غذو العمر والآصال

وعبدت ربك مكثرا أذكاره ... علنا وسرا دون ما إغفال

ووقفت نفسك واليقين على فعال ... البر والاصلاح دون كلال

والناس كانوا يهتفون الا انظروا ... أسدا هصورا حُفَّ بالأشبال

نسجوا على منوالك المعروف وامتازوا ... بغر شمائل وخلال

وإليهم نقلت كرامتك التي ... أحيوا بها ذكراك للأجيال

سِرْ نحو ربك آمنا ولك الهنا ... بجواره يا أيها الدكالي

وسقت ثراك على التوالي مزنةُ ... هتانة من أفقه المثلالي

وظللت مغمورا برحمته وآلك ... بالسلامة والهنا المتتالي

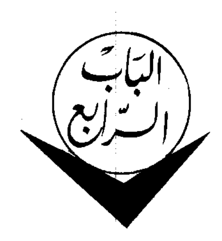
وأنا أظل على عهودك والوفا ... حتى التقانا في البقاء العالي

الدار البيضاء 25 - 8 - 1937

شارع الجلال دريد رقم 71

كاتبه الأسيف ميشال خياط





ثلة من تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي حسب المدن المغربية

(1) اعتمدنا في جرد هؤلاء التلاميذ الكتب التالية :

- اتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ لمحمد بن الفاطمي السلمي، دار الطباعة الحديثة بالدارالبيضاء، عام 1398 - 1978.
- إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين لنفس المؤلف السابق، ط 1، عام 1124 - 1992، مطبعة النجاح الجديدة.
- موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق الدكتور محمد حجي، الأجزاء 8 و 9.
- من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، للعلامة المؤرخ عبد الله الجراري.
- معلمة المغرب.
- رسائل شخصية وروايات شفوية أشير إليها في مظانها.

ثلة من تلامذة
الشيخ أبي شعيب
الدكالي حسب المدن المغربية

هناك تلاميذ كثيرون للشيخ أبي شعيب الدكالي، تلقوا عنه في كثير من مدن المغرب، ولاسيما المدن الكبرى كفاس، والرباط، ومراكش وتطوان، وطنجة، وغيرها من المدن.

وقد سرنا في هذا البرنامج بناء على ما ثبت لدينا من كون أن هؤلاء التلاميذ أخذوا عن الشيخ إما بسند كتابي، أو سند شفوي من أفواه الثقاة، ولاسيما ممن أدركوا الشيخ رحمه الله.

وقد يكون هناك تلاميذ آخرون وما أكثرهم، منتشرون في أنحاء المغرب لم نتمكن من معرفتهم، لأن الشيخ شعيباً رحمه الله كان يبث العلم في كل مكان، وكان الناس يأوون إليه في العواصم الكبرى طلباً للمعرفة، وحباً في الاطلاع، فهذا هو السبب الذي جعل الشيخ يمتاز بكثرة التلاميذ فضلا عن سمو أخلاق الشيخ وسعة معلوماته، ولين جانبه وتواضعه مما جعل الاقبال عليه كبيراً.

وقد بدأنا بتلامذة فاس، لأن مدينة فاس أول مدينة في التأسيس، وفي نشر العلم في المغرب، حتى اكتسبت وصف العاصمة العلمية للمغرب، ولذلك امتازت هذه المدينة بكثرة تلاميذة الشيخ كما سوف نلاحظه من جرد هؤلاء.

وسرنا في هذا الجرد على حروف المعجم في كل مدينة أو بلدة ينتمي إليها الأخذ عن الشيخ مع إثبات المرجع الذي يشير إلى تلمذته أمامه.

أولا : مدينة فاس

1 - **أبو بكر كنسوس الفاسي** : (اسعاف الإخوان، ص 18).

2 - **أبو الشتاء أبو الحسن الصنهاجي الفاسي** : (اتحاف ذوي العلم والرسوخ، ص 43).

3 - **أبو الشتاء الجامعي الفاسي** : (الاسعاف، ص 492، الاتحاف، ص 43).

4 - **أحمد بن اليزيدي البدراوي** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3405).

5 - **أحمد بن محمد الشامي** : (الذي أجازه الشيخ إجازة عامة مؤرخة في حادي وعشري شوال عام سبعة وعشرين وثلاثمائة وألف، انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3196).

6 - **أحمد بن الطاهر المنجرة** : (قائمة الشرف، تراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال، ص 29، وأنه تلميذ الشيخ على لسان المجاهد عثمان جوريو).

7 - **أحمد الشبيهي الفاسي** : له إجازة من الشيخ (الاتحاف، ص 190).

8 - **أحمد العمراوي الفاسي** : (الإسعاف، ص 42).

9 - **أحمد النميشي الفاسي** : له إجازة من الشيخ وله في الشيخ قصائد (الإسعاف، ص 29).

10 - **أحمد الحجامي الفاسي** : درس على الشيخ بفاس كما أخبرتني بذلك ابنته الفاضلة الدكتورة عائشة الحجامي الأستاذة بكلية الحقوق بجامعة القاضي عياش بمراكش.

11 - **الحسين بن محمد المهاجي الفاسي** : (الاتحاف، ص 61).

12 - **الحسن بن العربي بوعياد الفاسي** : (معلمة المغرب، الجزء 6، ص 1815).

13 - **الحسن بن الشيخ التاودي ابن سودة** : له إجازة من الشيخ (موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3033).

14 - **الحسين بن البشير الفاسي** : أحد التلاميذ الذين رووا عن الشيخ قصيدة المقنّع الكندي التي مطلعها :

يعاتبني في الدَّيْن قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمداً

انظر (الاتحاف، ص 20).

ونظراً لقيمة هذه القصيدة نثبتها من ديوان الحماسة لأبي تمام كالتالي :

يعاتبني في الدين قومي وإنما ديوني في أشياء تكسبهم حمداً
أسُدّ به ما قد أخلّوا وضيعوا ثغور حقوق ما أطاقوا لها سدّا
وفي جفنة ما يغلق الباب دونها مكللة لحما مدفقة ثردا
وفي فرس نهر عتيق جعلته حجاباً لبيتي ثم أخدمته عبدا
وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جداً
فإن أكلوا لحمي وفّرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيّي هَوِيت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمد الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا
وإن لعبد الضيف مادام نازلا وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا[2]

15 - **رشيد الدرقاوي الفاسي** : (الاسعاف، ص 118).

16 - **الشبيهي الإدريسي الطاهر بن التاقي** : (انظر ترجمته : معجم المطبوعات المغربية، ص 17، لإدريس بن الماحي الإدريسي).

17 - **الصديق بن أحمد بن الطاهر الفاسي** : (الاسعاف، ص 337) (وانظر قبيلة زعير، ج 2، ص 301 وما يليها).

18 - **الطايع بن الحاج السلامي الفاسي** : (الاسعاف، ص 124).

(2) ديوان الحماسة، ج 2، ص 54 وما يليها، طبع مصر، عام 1374 - 1955.

19 - **العابد بن عبد الله الفاسي** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3462، وانظر الاسعاف، ص 340).

20 - **العباس بن عبد الرحمان الشريف الفاسي** : (تاريخ العدوتين، لعبد الله الجراري، ج 2، ص 363، وانظر موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3075).

21 - **العباس بن أبي بكر بن العربي الفاسي** : (الاسعاف، ص 340).

22 - **عبد الكريم الغمري الفاسي** : (الاتحاف، ص 76).

23 - **عبد العزيز بن سيدي أحمد بن الخياط الفاسي** : (الاتحاف، ص 86).

24 - **عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي** : ذكر تلمذته للشيخ وما درس عليه في كتابه معجم الشيوخ (انظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3376).

25 - **عبد الرحمان بن عبد الهادي الشفشاوني** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3399).

26 - **عبد العزيز بن محمد الغساسي** : أصله من تازة، (انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 314).

27 - **عبد العزيز بن إدريس الوطني** : الذي توفي بتاحناوت شهيدا (قائمة الشرف بتراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال، ص 56)، ووردت تلمذته للشيخ على لسان المجاهد عثمان جوريو.

28 - **القاضي عبد الله ابن سودة** : (انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 290).

29 - **العربي بن إدريس الشامي الفاسي** : (الاسعاف، ص 456).

30 - **العربي بن الطالب بن سودة** : (موسوعة اعلام المغرب، ج 9، ص 3343).

31 - **العربي السعودي الفاسي** : (الاتحاف، ص 39).

32 - **علال الفاسي** : له إجازة من الشيخ، ومن التلاميذ المعتزين بالشيخ المعترفين بعلمه وفضله ووطنيته قال رحمه الله في رثائه :

فجيء المغرب بفقد علم من أعلامه، وفذ من أفذاذه، علامة العصر، ومحدثه، ومسند الدهر، شيخنا أبي شعيب الدكالي، فكان المصاب به عظيما على البلاد المنكوبة بقلة العلماء العاملين، والسلفيين المستقلين، بل كان المصاب به عظيما على بلاد المشرق الإسلامي كله، لأنه انهد بوفاته ركن من أركان السنة عظيم، وتضعضع بفقده بناء شامخ من المعرفة الإسلامية والثقافة العربية مكين.

كان شيخنا روح الله روحه في طليعة علماء الإسلام الذين تذوقوا روح الإسلام، وطمحوا للتقمص بها، والدعوة إليها، والرغبة في العمل بمقتضاها.

ولم يكن من أولئك العلماء الجامدين الذين يضيق فكرهم من المعرفة، ويقصر عن الإدراك، فيرضون بالدون، ثم يصرفون الناس عن الكتاب والسنة والتملي بهما؛ والتحلي بخصالهما، ويحرفون في ذلك الكلم عن مواضعه، حتى إذا استيأسوا من الفوز، وأيسوا من النصر، عمدوا إلى الوقيعة في العاملين، والسب في المخلصين.

بل كان رحمه الله من الذين درسوا العلم الصحيح، وتزودوا من الكتاب والسنة ما كون بهما رجالا عارفين معنى الإسلام، مقتنعين بالغاية السامية التي بعث بها الرسول عليه السلام، حتى أصبح ذلك عقيدة في أنفسهم يدعون إليها ويستميتون في سبيلها.

وهكذا كان الفقيد في الرعيل الأول من أشياخنا الذين نعوا على التقليد، وحاربوا الجمود، ودعوا إلى التحرر من قيود العصور الأخيرة المنحطة، والسمو بالفكر إلى مستوى السلفية الأولى التي تعبد الله خالصاً له الدين، تؤمن بالعقل في الفهم والتفهيم، وترجع إلى القرآن والسنة في البرهنة والتدليل، فكان لهم الفضل في السبق لهذه الدعوة، والتميز في تنوير أفكار الكثير من التلاميذ والمريدين، حتى ارتكزت هذه الروح السلفية المؤمنة، وهذه النهضة الإصلاحية الثابتة.

وكان شيخنا فوق ذلك من العلماء الذين يناصرون الوطنية، ويدعون إليها، ويشايعون القائمين بها بتأييدهم الروحي، وإخلاصهم القلبي.

وتارة يدفعهم الشعور الوطني الخالص، لأن يقولوا كلمتهم ويعلنوا معاضدتهم، كما فعل الشيخ في قضية الظهير البربري.

فقد كان أول من وقع العريضة المقدمة من طرف الأعيان، والعلماء الرباطيين في تأييد القائمين باستنكار السياسة البربرية، والاستبسال في مقاومتها.

فزاد بعمله هذا الحركة قوة وتأييداً، لذلك كان المصاب به عظيماً، والرزء فيه جسيماً.

ولذلك حق للأمة المغربية أن تبكيه، وتندب فيه العالم العامل، والسلفي المخلص، وحق لرجال الحركة الوطنية أن يقدروا مكانته، ويعتبروا منزلته، ويقيموا له من الذكرى ما يليق برجل خدم الاصلاح، ونور الأذهان.

رحم الله الشيخ وأجمل العزاء فيه لتلامذته، وبنيه، وللأمة الإسلامية جمعاء».

علال الفاسي

(انظر كلمته هذه تحت عنوان شيخنا أبو شعيب المنشورة بجريدة الأطلس، السنة الأولى، عدد 24، يوم الخميس 20 جمادى الأولى 1356موافق 8 - 7 - 1937).

33 - **الحاج عمر بن عبد الجليل** : (ترجمته واردة في قائمة الشرف، ص 64، وتلمذته للشيخ وردت على لسان المجاهد عثمان جوريو).

34 - **محمد بن إبراهيم الدكالي الأصل الفاسي الموطن** : (الاتحاف، ص 116).

35 - **محمد إبراهيم الكتاني الفاسي** : أحد التلاميذ الذين تأثروا بالشيخ، وكتبوا عنه مظهرين إعجابه به وبعلمه وله فيه كلمة بعنوان «الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته» (من ذكريات محمد إبراهيم الكتاني).

36 - **محمد بو طالب الفاسي** : (الاتحاف، ص 36).

37 - **محمد حدو بن عبد الله العراقي** : (موسوعة اعلام المغرب، ج 9، ص 3278).

38 - **محمد بن الحسن بنونة الفاسي** : (الاتحاف، ص 22).

39 - **محمد بن الحسن بن سودة الفاسي** : (الاسعاف، ص 180).

40 - **محمد بن أحمد بن الحاج السُلاَمي الفاسي** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3186).

41 - **محمد الجواد الصقلي** : (الاتحاف، ص 102)، وهو من الشيوخ المحققين له دراية بعلم الفقه والأصول والفتوى، تولى عمادة كلية الشريعة بفاس.

42 - **محمد بن سودة الشيخ التاودي الفاسي** : (الاتحاف، ص 28).

43 - **محمد بن سودة المري الفاسي** : (الاسعاف، ص 185).

44 - **محمد السكيرج الفاسي** : له إجازة من الشيخ وقصائد فيه (الاسعاف، ص 272).

45 - **محمد الصنهاجي الفاسي** : (الاسعاف، ص 78).

46 - **محمد بن الطالب بن سودة** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3466).

47 - **محمد بن عثمان الشامي** : (الاتحاف، ص 171).

48 - **محمد بن عبد الرحمان العراقي الفاسي** : (الاتحاف، ض 145). (وانظر كذلك، موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3471).

49 - **محمد بن عبد السلام بن المهدي بن سودة** : له إجازة من الشيخ، (انظر موسوعة اعلام المغرب، ج 8، ص 2984).

50 - **محمد بن عبد السلام بناني الفاسي** : (الاتحاف، ص 166).

51 - **محمد بن عبد الكبير بن الحاج السُلامي** : (الاتحاف، ص 158، وموسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3336، ومعلمة المغرب، ج 10، ص 3248).

52 - **محمد بن عبد الله زويتن** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3256).

53 - **محمد الفاسي الوزير** : واحد الموقعين على وثيقة الاستقلال (انظر قائمة الشرف، ص 100، وتلمذته للشيخ على لسان المجاهد عثمان جوريو).

54 - **محمد بن عبد المجيد أقصبي** : يقول عبد السلام بن سودة صاحب اتحاف المطالع أنه كان يحضر معه عند الشيخ في درسه وكان يكتب عن الشيخ فوائد في كناشة خاصة (انظر موسوعة اعلام المغرب، ج 9، ص 3193).

55 - **مولاي محمد العلوي الفاسي** : (الاتحاف، ص 141).

56 - **محمد بن محمد الحجوجي** الفاسي الدمناتي وفاةً، ترجم للشيخ ترجمة وافية في فهرسته المخطوطة المسماة : نيل المراد في معرفة رجال الاسناد، وانظر موسوعة اعلام المغرب، ج 9، ص 3258).

57 - **محمد بن محمد البكاري** الفاسي العالم المطلع الكاتب الشاعر خليفة الشيخ أبي شعيب الدكالي حين كان وزيرا للعدلية، (انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3304).

58 - **محمد بن محمد العبادي** : (الاسعاف، ص 230، وتاريخ العدوتين لعبد الله الجراري، ص 196).

59 - **محمد بن محمد الطاهري الفاسي** : (الاتحاف، ص 198).

60 - **محمد المهدي الكتاني** : (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3344).

61 - **الهاشمي الفيلالي** الوطني المجاهد : (قائمة الشرف، ص 108، تلمذته للشيخ على لسان المجاهد عثمان جوريو).

ثانياً : مدينة الرباط

62 - **أبو بكر بن أحمد بناني الرباطي** : (معلمة المغرب، ج 5، ص 1476).

نقل عنه في كناشته المحفوظة بالخزانة الصبيحية، ص 201 ما يلي :

فائـــدة جليـلــة :

ذكر شيخنا في مجلس درسه لسنن سيدنا الإمام النسائي أنه لا يوجد في الصحابة رضي الله عنهم من اسمه ضمام إلا سيدنا ضمام بن ثعلبة السعدي رضي الله عنه، كما أنه لا يوجد في صحابة رسول الله من اسمه ضماد إلا ضماد الأزدي من أزد شنوءة. اهـ من شيخنا سيدي أبي شعيب الدكالي نفعنا الله به آمين.

63 - **الحاج أبو بكر بلكورة** : الوطني الغيور أحد الملازمين لدروس الشيخ وغيره من الشيوخ بالرباط (انظر قبيلة زعير، ج 2، ص 236 وص 338).

64 - **أحمد بلافريج** : أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، تلمذته للشيخ على لسان الأستاذ المجاهد عثمان جوريو (وانظر قائمة الشرف، ص 18).

65 - **أحمد بن عمر بن جلون الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 33).

66 - **أحمد بن عبد الله التهامي الوزاني** : (معلمة المغرب، ج 8، ص 2603).

67 - **أحمد بن فقيرة المكناسي الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 34).

68 - **أحمد بن عبد الرحمان بركَاش** : (معلمة المغرب، ج 2، ص 1063).

69 - **أحمد بن محمد الزبدي الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 58).

70 - **الحاج أحمد الشرقاوي** : (قائمة الشرف، ص 27، وردت تلمذته للشيخ على لسان المجاهد الوطني عثمان جوريو).

71 - **عباس المعروفي الرباطي**، من الساردين على الشيخ، (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 446).

72 - **عبد العزيز بن أبي بكر حكم الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 453).

73 - **عبد العزيز بن عبد الله** : حيث أشار في تاريخه للرباط أنه كان يحضر دروس الشيخ مع أبيه.

74 - **عبد الله الجراري الرباطي** : أحد التلاميذ الملازمين للشيخ ومن الذين أجازهم الشيخ وهو أحد التلاميذ البررة الذي أحيى ذكر الشيخ بالكتابة عنه

في كتابه : المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، وممن استفدنا منه في ترجمة الشيخ (انظر ترجمته : الاسعاف، ص 398 وما يليها).

75 - **عبد الواحد بن عبد الله الرباطي** : (الاسعاف، ص 444).

76 - **الحاج عثمان جوريو** : المجاهد الوطني الغيور، تلقى عن الشيخ مباشرة علوما كثيرة لاسيما علم القراءات ولازمه على صغر سنه، وقد استفدنا منه في ترجمة الشيخ والتعرف على تلامذته، وهو أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، ومن الأدباء والشعراء الموهوبين (قائمة الشرف، ص 62).

أنشدني بمنزله العامر من إملاء الشيخ أبي شعيب الدكالي ما يلي :

دثر ثيابك في الخريف فإنه فصل الردى ونسيمه خطاف
يسري مع الأنفاس في أجسامها كصديقها ومن الصديق يُخاف

ولسيدي عثمان جوريو حفظه الله إجازة من الشيخ.

77 - **الغازي بن محمد سباطة الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 375).

78 - **محمد الخامس ابن يوسف** : السلطان الأمجد، أب الوطنية الأسعد، تلقى عن الشيخ في أول الطلب، كما تلقى عن غيره من أمثال سيدي محمد بن العربي العلوي (انظر جلاء الظلام الدامس، ص 173، للمؤرخ إسماعيل بن محمد الرشيد العلوي، مطبعة فضالة، عام 1957) كما كان الشيخ يترأس الدروس السلطانية في عهده، ويقوم بمذاكرات ومسامرات علمية عالية بين علماء عصره وبمحضر السلطان نفسه قدس الله روحه في الجنان.

79 - **الحاج محمد بن العباس الرفاعي** : من تلامذة الشيخ وأحد الموقعين على وثيقة الاستقلال (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 125، وانظر قائمة الشرف، ص 92).

80 - **محمد بن أحمد الزعيمي الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 411).

81 - **محمد بن أحمد بن عبد الله الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 92 وما بعدها).

82 - **محمد بن عيسى بن مسعود** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 413).

83 - **محمد الباقر الكتاني** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 101 وما يليها).

84 - **الحاج محمد البحراوي الرباطي** : الرجل المومن الوطني، كان ملازما لدروس الشيخ (معلمة المغرب، ج 4، ص 1075).

85 - **محمد بن الجيلالي العبدي الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 114).

86 - **محمد الجزولي** : أحد التلاميذ الملازمين للشيخ الذين استفادوا منه في الاصلاح والوطنية ومن الملازمين لدروسه، أشاد بالشيخ وبهذه الدروس في كتابه «ذكريات من ربيع حياتي» وأنشد في الشيخ قصائد صادقة تنم عن المحبة والتقدير والوفاء، وهو أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، (انظر وثيقة الشرف، ص 89).

87 - **محمد بن العباس الجراري** : أخ عبد الله الجراري (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 423).

89 - **محمد بن عبد السلام السايح** : أحد تلامذة الشيخ الجهابذة ذكر بأنه تلقى على الشيخ علوما كثيرة في فهرسة شيوخه (انظر تاريخ العدوتين، ج 2، ص 140، وانظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3235).

90 - **محمد عبد القادر فرج** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 424).

91 - **محمد بن عبد الواحد بنونة الرباطي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 420).

92 - **محمد المدني بالحسني الرباطي** : أحد تلامذة الشيخ الأعلام، لازم الشيخ في دروسه عشرين سنة، واستفاذ منه كثيرا حتى كان حجة ثبتا يشار إليه بالبنان، وله من الشيخ إجازات (انظر ترجمته الخاصة لعبد الله الجراري وانظر تاريخ العدوتين، ج 2، ص 201، والاسعاف، ص 319).

سألت عنه أستاذي سيدي محمد المنوني رحمه الله وابن الحسني أحد أشياخه عن مكانته العلمية من الشيخ فقال لي : محمد المدني بن الحسن نقطة من بحر الشيخ.

93 - **محمد بن عبد الله الرباطي** : (الاسعاف، ص 155).

94 - **محمد بن مصطفى بوجندار** : له مقامة في الشيخ عند ختم صحيح الإمام البخاري، (أنظر ترجمته في أدب المغرب الأقصى لعبد الله القباج، وانظر تاريخ العدوتين، ج 2، ص 207.

95 - **المكي بن أحمد بربيش الرباطي** : أحد الذين تلقوا عن الشيخ علم القراءات واستفادوا منه في ذلك وأحد الساردين عليه بالزاوية الناصرية بالرباط، (انظر تاريخ العدوتين، ج 2، ص 463).

96 - **الشيخ المكي محمد الناصري الرباطي** : أحد التلاميذ الذين استفادوا من الشيخ في دعوته الاصلاحية حتى ألف باكورة تأليفه في هذا المجال المسمى باظهار الحقيقة وعلاج الخليقة، وهو أحد أساتذتي الأفاضل في كلية الحقوق بالرباط وفي دار الحديث الحسنية، له في الشيخ قصائد أثبتنا بعضها ضمن القصائد التي قيلت في الشيخ، وبلغني أنه كتب عن الشيخ ولكن لم ينشر ذلك.

97 - **مصطفى الغربي** : الكاتب الأديب، المطلع العصامي أحد تلاميذة الشيخ الآخذين عليه.

98 - **محمد بن اليمني الناصري** : أخ الشيخ محمد المكي الناصري من الذين استفادوا من الشيخ كأخيه في الدعوة إلى الاصلاح (انظر تاريخ العدوتين، ج 2، ص 234، وانظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3430).

99 - **محمد اليزيدي** : أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، وردت تلمذته على لسان المجاهد عثمان جوريو (انظر قائمة الشرف، ص 102).

ثالثا : مدينة سلا

100 - **أبو بكر بوشنتوف** : من الذين كانوا يحضرون دروس الشيخ ويسجلون عنه الفوائد التي كان يلقيها رحمه الله، وقد ضمن ذلك في كناشته المحفوظة بالخزانة الصبيحية.

قال رحمه الله فيها :

هذا وقبل التاريخ بأيام ختم سعادة أخينا ومفيدنا وخلاصة ودنا، الفقيه العلامة ذي التجلة والفخامة، شيخ الحديث في الأمصار ونخبة النظار الحافظ الحجة الرواية، الرحالة الممضي لأوقاته في بث العلوم على أكمل حالة، علامة الدنيا واللج الذي لا ينتهي، ولكل لج ساحل، ذي الابهتين والوزارتين، والمصلي في مفاخرة إلى القبلتين، جامع أشتات المجد المقدم والكالي، السيد الحاج شعيب الدكالي.

ختم صحيح الإمام البخاري في مجلس حافل، أملى فيه من محفوظاته أربع ساعات كانت في غنائم الاعمار وأعظم الآثار وقد اسمع من تحقيقاته ما ترك العقول بسببه حائرة وصير القلوب إليه متجهة والعيون إليه ناضرة.

فسبحان من أطال في التحقيق باعه، وجمل بباهر العلم رباعه، وتعالى من أفصحه وأنصره وعلى التبليغ أقدره ولا أدري بماذا أمدح هذا الطود الذي بهر بيانه وسال بالعذب الزلال لسانه، أبمحفوظاته التي انهمرت كمنحدر السيل ؟ أم بتحقيقاته التي أوقفت العويص موقف الشمس رأد الضحى ؟

بعدما كانت في ظلمة الليل أم بتمييز الصحيح من السقيم، والولود من العقيم، أم بالتبريز في ميدان الأحوال والوفيات والموالد، أم بتبيين الحقائق وطرح فاسد التقاليد أم بكذا أم بكذا ؟ حتى يكل القلم ويجف، وأعلام هذا الأوحد في ميادين الاعجاب تخفق وتدف، فأحمد الله الذي امتع به وأفاد، وجعله رئيس العلماء النقاد.

101 - **أبو بكر بن الطاهر بن حجي زنيبر السلاوي** : (تاريخ العدوتين، ج 2، ص 266، اسعاف الإخوان، ص 15 وما بعدها).

102 - **أبو بكر القادري** : الوطني المجاهد، أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، من الذين كانوا يحضرون دروس الشيخ بمدينة سلا والرباط (انظر قائمة الشرف، ص 13).

103 - **إدريس بن خضراء السلاوي** : له إجازة من الشيخ (الاسعاف، ص 67).

104 - **أحمد بن عبد النبي السلاوي** : (الاسعاف، ص 21، موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3441).

105 - **الحاج أحمد معنينو السلاوي** : لازم الشيخ في دروسه وكتب عن دروسه واصلاحه في مذكراته.

106 - **جعفر الناصري** : الذي كان كاتبا لدى الشيخ بوزارة العدل وأحد الملازمين له وكتب عنه ترجمة صالحة (معلمة المغرب، ج 12، ص 4063).

107 - **حجي بن محمد زنيبر السلاوي** : له إجازة من الشيخ (إسعاف الإخوان، ص 80 وما يليها).

108 - **عبد الرحمان بن أحمد حجي السلاوي** : الأديب الشاعر ممن لازموا دروس الشيخ واستفادوا منه وأشادوا بعلمه في قصائد متعددة، أثبتنا بعضها ضمن القصائد التي قيلت في الشيخ (انظر تاريخ العدوتين، ج 2، ص 331).

109 - **العربي بن الطالب معنينو** : (انظر ترجمة عائلة آل معنينو السلاوية، ص 60 للحاج أحمد معنينو، مطبعة الأنباء، 1416 - 1996).

110 - **عبد الرحمان بن موسى السلاوي** : من المقرئين المجودين أحد تلامذة الشيخ (رواية شفوية).

111 - **محمد التطواني السلاوي** : العالم الكاتب عاشر الشيخ وحضر دروسه وسافر معه في رحلاته إلى الجزائر وتونس، أدركناه كان آية في التواضع وفي الفوائد التاريخية والأدبية والاطلاع على المخطوطات العربية والمغربية بالخصوص (الاسعاف، ص 164).

وكان بيته بيت علم وإكرام يلقاك من داخل البيت بالترحيب والبشر وطلاقة الوجه رحمة الله عليه، وكان ملازماً للشيخ سافر معه مراراً إلى الجزائر وتونس.

112 - **محمد الناصري** : وهو أخ جعفر الناصري وكان الأخوان ملازمين معا للشيخ درسا عليه في الدروس العامة كما درس عليه في دروس خاصة (انظر معلمة المغرب، ج 12، ص 1063).

113 - **محمد البقالي** : الوطني المجاهد، أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال، من الذين كانوا يلازمون دروس الشيخ (انظر قائمة الشرف، ص 75).

114 - **محمد الطالب معنينو** : (انظر ترجمة عائلة آل معنينو السلاوية، ص 58، المرجع السابق).

115 - **محمد الغربي** : أحد تلامذة الشيخ كما ورد على لسان الأستاذ عثمان جوريو حفظة الله.

116 - **المهدي بن محمد الكتاني** : أحد تلاميذ الشيخ النابهين، كتب عنه ترجمة موجزة كلها إشادة بعلم الشيخ ودروسه المختلفة في شتى العلوم (ترجمته في موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3344).

رابعا : مدينة مراكش حاضرة الجنوب

117 - **مولاي إبراهيم السليطن** : (انظر ترجمته موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3373).

118 - **أبو بكر المسفيوي** ابن عم محمد بن عثمان المسفيوي : (انظر شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، ص 34 للمؤلف).

مولاي أحمد بن المعطي السرغيني : تتلمذ على الشيخ بروايات شفوية.

119 - **أحمد بن محمد البشير السباعي الشهير بالرجراجي** : (انظر منار السالك إلى مذهب الإمام مالك المقدمة، ص ج، ط فاس، عام 1359 - 1940).

120 - **أحمد أكَرام** : أحد التلاميذ المتأثرين بالشيخ في علمه وإصلاحه (موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3322 وما يليها) (انظر المعسول، ج 16، ص 100 - 101).

121 - **أحمد بن الفضيل** : (معلمة المغرب، ج 5، ص 1451).

122 - **مولاي أحمد العدلوني** : كتب عن الشيخ ترجمة موجزة عن طريق ما كان يلاحظه ويشاهده منه، تلمذته للشيخ مشافهة منه في جلسات معه متعددة تذاكرنا فيها عن الشيخ وأحواله وطريقة تدريسه وبعض نوادره رحمة الله عليه.

123 - **أحمد الكنسوسي** : (الاسعاف، ص 55)، وانظر معلمة المغرب، ج 20، ص 6828.

124 - **الجيلالي بن بوشعيب سراج الدين بن الطاهر الدكالي** : (المجلس العلمي لمراكش تاريخ وأعلام، ص 153).

125 - **الحسن الزهراوي الرحماني** : أحد تلامذة الشيخ الذين وجههم وجهة عقلية وفلسفية منذ مرحلة الطلب، وكتب عنه كلمة تعرف بأحوال الشيخ وسلفيته وبعض الأسئلة والأجوبة عنها أدرجناها في قسم الفتاوي من هذا الكتاب (وانظر ترجمته المجلس العلمي لمراكش تاريخ وأعلام، ص 132، وما يليها).

126 - **الحسين بن محمد المسفيوي** : انظر كلمته عن الشيخ «كتاب المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي»، ص 130 وما يليها.

127 - **خليل الورزازي** : له إجازة من الشيخ (انظر الإسعاف، ص 104 وص 106).

128 - **الرحالي الفاروق** : أحد التلاميذ الذين أجازهم الشيخ ولازموه فاستفادوا من علمه وسمته (أنظر الإسعاف، ص 114)، وانظر كذلك المعلمة، ج 13، ص 4291 وما يليها.

129 - **الطيب بن محمد اكحل العيون المراكشي** : أحد تلامذة الشيخ، كان يسرد له الحديث بدار المخزن بفاس أيام السلطان المرحوم المولى عبد الحفيظ طيب الله ثراه (انظر المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، ص 83، وترجمة خاصة من ولده حفظه الله).

130 - **مبارك الغراس** : أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال (انظر قائمة الشرف، ص 73).

131 - **محمد بن إبراهيم شاعر الحمراء** : أحد تلامذة الشيخ الذين أجازهم (انظر «شاعر الحمراء في الغربال» لأحمد الشرقاوي إقبال).

132 - **محمد بالحاج مبارك الدكالي** : (شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، ص 34).

133 - **محمد بلقزيز** : أحد التلاميذ الذين حدثوني عن الشيخ كثيرا بمنزله العامر عن دروسه وعن علمه الوافر وهو أحد قضاة مراكش.

سألته ذات يوم عن الفرق بين الشيخ أبي شعيب الدكالي، والشيخ عبد الحي الكتاني فقال : عبد الحي الكتاني صنبور علم يعطيك بمقدار عند فتحه وإغلاقه، وأما الشيخ شعيب فبحر خضم لا يجارى.

134 - **محمد بن حسن المراكشي** (الجبرائيلي) (انظر معلمة المغرب، ج 9، ص 2917).

135 - **محمد بن عثمان المسفيوي** : أحد تلامذة الشيخ النجباء مما دفعه نهمه العلمي بمواصلة دراسته بمصر، صاحب كتاب الجامعة اليوسفية، ووالده صديق الشيخ إذ كان ينزل عنده بمنزله العامر بمراكش، (وانظر التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، ص 169 لعبد الله الجراري).

136 - **محمد بن عبد القادر مسو** : أحد تلامذة الشيخ الذين كان لهم صدى علمي في مدينة مراكش ولاسيما في علم التفسير.

137 - **محمد عماد الدين** : من صغار التلاميذ الذين أدركوا الشيخ وسمعوا له بمسجد المواسين، مازال حفظه الله حيا يرزق أمد الله في عمره.

138 - **المهدي حاتم السرغيني** : (انظر المجلس العلمي لمراكش تاريخ وأعلام، ص 147).

139 - **عبد الجليل بن القزيز** : (انظر معلمة المغرب، ج 4، ص 1357).

140 - **عبد الكبير الزمراني** : (انظر كلمته عن الشيخ في حفل التأبين الذي أقيم له بالرباط بتاريخ 28 جمادى 2 عام 1356 موافق 26 - 8 - 1937، وهذه الكلمة مدرجة في كتاب شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش، ص 57).

141 - **عبد الرحمان الدكالي المفتي** : أحد أعلام مراكش تلقى عن الشيخ بالمساجد الكبرى بمراكش كجامع ابن يوسف، ومسجد المواسين، (انظر اسعاف الاخوان، ص 354).

142 - **عبد السلام السرغيني** : أحد تلامذة الشيخ الذين تأثروا بالشيخ بعلمه واصلاحه، له كتاب «مسامرة في الانتصار للسنة وقمع البدعة» (انظر معجم المطبوعات المغربية لادريس بن الماحي القيطوني، ص 155)، وكذلك (موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3039).

143 - **عبد القادر بن الحسين المسفيوي** : الفقيه العلامة المشارك رئيس المجلس العلمي بالكلية اليوسفية بمراكش (انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3334).

144 - **عبد القادر حسن العاصمي** : (الشاعر أحد تلامذة الشيخ المعجبين به، المقدرين لعلمه وفضله، له قصائد في الشيخ في ديوانه «أنوار الفجر».

145 - **عبد الوهاب الصحراوي** : (انظر كتاب المجلس العلمي لمراكش، تاريخ وأعلام، ص 126).

146 - **علي رافع السباعي** : تلمذته للشيخ مشافهة منه إلي رحمه الله، سألته يوماً عن الشيخ فقال لي لا مثيل له في المغرب.

147 - **عمر الجراري** : أحد التلاميذ الذين استفادوا من الشيخ في علمه ومن توجيهاته ومساعدته حتى ذهب إلى مصر لاكمال دراسته، وله من الشيخ إجازة (انظر معلمة المغرب، ج 9، ص 2958).

148 - **الحاج عمر بنعباد** : (انظر كتاب المجلس العلمي بمراكش، تاريخ وأعلام، ص 140).

149 - **الهاشمي السرغيني بنميرة** : (انظر كتاب المجلس العلمي بمراكش، تاريخ وأعلام، ص 121).

150 - **محمد الهواري** : (والد الأستاذ الشاعر الهاشمي الهواري حفظه الله).

خامساً : مدينة مكناس

151 - **الحاج أحمد بن عبد السلام بنشقرون** : أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال (قائمة الشرف، ص 23).

152 - **القاضي أحمد بن قاسم المنصوري الزياني** : درس على الشيخ بفاس الكتب الست والتفسير (قبيلة زعير، ج 2، ص 296).

153 - **مولاي العباس الأمراني المكناسي** : شيخنا أحد التلاميذ النجباء للشيخ، حدثني ذات يوم عن الشيخ قائلا : يكون معنا الشيخ كفرد منا يتكلم ويمزح معنا، ولكن حين يصعد المنبر ويشرع في إلقاء الدرس يصبح رجلا آخر كأننا لا نعرفه.

مولاي العباس هذا هو الذي شجعني وساعدني رحمة الله عليه في إلتحاقي بدار الحديث الحسنية وإتمام دراستي بها بمعاونة مديرها آنذاك مولاي مصطفى العلوي (انظر ترجمته الاتحاف، ص 65).

154 - **عبد القادر بن أحمد العرائشي المكناسي** : أحد تلامذة الشيخ المنوهين بعلمه وفضله في شعره (انظر موسوعة أعلام الغرب، ج 8، ص 3011).

155 - **محمد بن سعيد المكناسي** (الدكالي الأصل) : انظر أعلام العدوتين، ج 2، ص 118، والاسعاف، ص 228).

156 - **الفقيه محمد بن محمد ج علال غازي** : أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال (انظر قائمة الشرف، ص 23).

سادسا : بلاد سوس العالمة

157 - **إبراهيم التازيلالتي الرسموكي** : (انظر المعسول، ج 11، ص 190).

158 - **إبراهيم الإلغي السوسي** : أخ محمد المختار السوسي اعتنى به أخوه منذ صغره، وكان يصحبه من أجل الأخذ على الشيوخ الكبار ومنهم شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي، ولاسيما بمدينة الرباط مقر الشيخ (وانظر معلمة المغرب، ج 2، ص 644) (والمعسول، ج 2، ص 282 وفيه رضا الله إبراهيم الإلغي).

159 - **مولاي الحسن البنسعيدي** : (انظر المعسول، ج 16، ص 152 - 157 - 158).

160 - **الحسن الساحلي** : أحد تلامذة الشيخ، جاء ذكره في «مشيخة الإلغيين» لمحمد المختار السوسي (وانظر المعسول، ج 11، ص 126).

161 - **أحمد البولوقتني** : (انظر المعسول، ج 13، ص 249).

162 - **أحمد بن مبارك المصلوت** : تلميذ الشيخ بالإجازة (المعسول، ج 18، ص 42).

163 - **أحمد الكاشطي النتاني** : أحد تلامذة الشيخ من العلماء العاملين، ومن المؤلفين، وهو صاحب كتاب تحفة النبيل بالصلاة إيماء في طاموبيل، ولا غرابة في ذلك فالشيخ أبو شعيب الدكالي سبق أن أفتى في المسألة بما يتوافق مع ما ذهب إليه الشيخ أحمد الكاشطي، وقد جلبنا ذلك ضمن فتاوي الشيخ في هذا الكتاب، والرجوع إلى الأصل أصل.

وانظر جريدة العلم، عدد 19431، بتاريخ 2 جمادى الثانية 1424 موافق 1 - 8 - 2003.

164 - **رشيد المصلوت** : ذكر تلمذته للشيخ في فهرسة شيوخه المطبوعة مع دليلها العملي (وانظر المعسول، ج 18، ص 66).

165 - **داود الرسموكي** : أخذ عن الشيخ مختصر ابن أبي جمرة بمسجد المواسين (انظر شعر داود الرسموكي، جمع وتحقيق ودراسة للدكتور الراضي اليزيد حفظه الله، ص 97، منشورات جمعية ايليغ)، وقد استجاز الشيخ أبا شعيب الدكالي بالقصيدة التالية :

على أيكها غنت مطوقة الحمى ... فهاجت خليا والشجي المتيما

إذا كررت تغريدها هملت جفو ... ن صب شجاه ما تذكر الحمى

أربع الحمى لازالت مغنى صبابة ... ومجرى نسيم كان للصب مرهما

فما بالحمى والرقمتين شغفت بل ... بندب حوى مجدا وصيتا منمنما

إمام حوى ما شئت من محض سؤدد ... وأحيا الندى والجود من كفه همى

واحرز كل المكرمات بأسرها ... ومجدا وإفضالا وفخرا مصمما

وأحيا علوما منسيات وبثها ... لأهل النهى يبغي الثواب المجسما

هو الشيخ تاج الدين محيي رميمه ... شعيب حوى عزا وقدرا معظما

هو البحر في جنس العلوم فمن أتى ... لساحله أرواه لا يختشي الظما

إذا ما بمشرق المنابر أشرقت ... أسرته أنستك شمسا وأنجما

إذا برقت من فيه أنوار لفظه ... أقر بمحض الحق من قد توهما

تضلع في كل الفنون فحدثن ... بما شئته فهو العباب الذي طما

من الفقه والحديث والنحو والمعا ... ن ثم بيان والبديع الذي سما

وتفسير قرآن ومنطقهم مع الـ ... ـأصول كدر في القلادة نظما

وعلم الكلام مع قراءة عشرة ... وتحرير ما يبنى على ما تقدما

إلى غير هذا من مآثر جمة ... ومن كرم غضى به اللّه أنعما

فكيف يطيق المرء إحصاء فضله ... وهل مطر يعد أو أنجم سما

فدونكها مولاي تحفة عاشق ... يقدمها فاقبل وأغض تكرما

وبغيتها من الامام إجازة ... معممة تعميم علمك كيفما

وإن لم أكن أهلا فكم لك منة ... وفضل على من للجناب قد انتمى

أدامك رب العرش شمسا لدينه ... ودمت بما تهواه ما عشت منعما

بخاتم رسل الله صلى إلهنا ... عليه مع الاصحاب طرا وسلما

وأزواجه والآل مع كل مقتد ... مدى الدهر ما غنت مطوقة الحمى[3]

وفعلا فقد استجاب الشيخ أبو شعيب الدكالي لتلميذه داود الرسموكي ونص إجازته هذه :

«الحمد لله رافع قدر أهل الحديث، المحسن وجوههم المنضرها في القديم والحديث، والصلاة والسلام على سيدنا محمد على الشان، وأصحابه المعنعن عنهم بالفضل في كل زمان، أما بعد :

فقد استجاز مني أخونا الفقيه العلامة السيد داود الرسموكي، فيما يجوز عني روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول، لحسن ظنه بي، فأسعفته وأجزته بكل ذلك، بشرط أن يقول لا أدري فيما لا يدري، وأن يسهم لي من دعواته، في خلواته وجلواته، والله أسأل أن يوفقني وإياه، والسلام، خادم أهل الله أبو شعيب خطيب الحرم الشريف وفقه الله، (انظر شعر داود الرسموكي، ص 115، المرجع السابق) (وانظر المعسول، ج 18، ص 339 - 343).

---

(3) ديوان شعر داود الرسموكي، ص ص 567، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور الراضي اليزيد، منشورات جمعية إيليغ.

166 - **سعيد التناني** : أحد تلامذة الشيخ الذين كانوا يحضرون دروسه جاء ذكره في شأن ذلك في «مشيخة الإلغيين» (وانظر المعسول، ج 15، ص 39).

167 - **صبار محمد بن سلام الاخصاصي** : كتب لي حفظه الله بواسطة صهره الأستاذ المحترم محي الدين عبد الحميد العضو معنا بالمجلس العلمي بمراكش بتاريخ 17 ربيع الأول 1424 موافق 19 - 5 - 2003؛ أنه حضر دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي ما بين سنوات 1926 - 1930 وهو آنذاك وزير العدل.

وأنه حضر درسه للحديث بكتاب بلوغ المرام لابن حجر بمسجد مولاي سليمان بالرباط، وكان السارد له ابنه العلامة عبد الرحمان الدكالي، كما كان يحضر دروسه تارة أخرى بالزاوية الناصرية بشارع بوقرون بالرباط.

168 - **محمد بن أحمد الخنبوبي** : ينتمي إلى دوار الفيض بزاوية الخنانيب نواحي تزنيت، درس على الشيخ شعيب، وكان هو أيضا يدرس القرآن لأولاد الشيخ، وفي بيت الشيخ تعرف على شبان كانوا متحمسين للحركة الوطنية، ولاسيما بعد حرب الريف (انظر معلمة المغرب، ج 11، ص 3828).

169 - **محمد المختار السوسي** : علامة سوس، وأديبها، وحامل لواء المعارف بها، العصامي ابن العصامي، الوزير، الشاعر، الناشر، المؤرخ، الكاتب البارع، ذو الوصف الدقيق، والكلام البليغ، أحد تلامذة الشيخ المرموقين، الموهوبين، الذين رزقهم الله سبحانه الصبر والجلد على مواصلة الدراسة، والأخذ عن الشيوخ، والعكوف على القراءة والسهر على الغوص على النوادر والدقائق، ثم التفرغ لنشر العلم بين طالبيه، وتأليف الكتب النافعة، بالرغم مما عاناه من أجل الوطن من كفاح، ونفي، وشظف عيش، فضرب للناس المثال الأعلى في التحمل، والوطنية وحب البلاد.

وأحيا بأدبه، وما جادت به قريحته، ما اندثر من مجد القدامى النابهين من أجدادنا الأدباء والشعراء الملهمين، من أمثال عبد الحميد الكاتب، وابن المقفع، وابن عبدون، وابن زيدون، وصاحب نفح الطيب، وآخرين. ونورد هنا للذكرى وما له علاقة بشيخه أبي شعيب الدكالي تحت عنوان : «الصلة الروحية بين الأستاذ محمد المختار السوسي وشيخه شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي».

وقدمت ذلك لندوة علمية حول أعلام الفكر والثقافة بمراكش بتاريخ 13 فبراير 1998 في رحاب كلية اللغة بمراكش، وذلك بحكم أن للأستاذ محمد المختار السوسي روابط ووشائج بمدينة مراكش لا تنكر ولا تنسى.

وذلك كالتالي :

بسم الله الرحمن الرحيم :

إن اختياري لهذا الموضوع في رحاب التعريف بأعلام الفكر والثقافة بمراكش، نابع من كون أن الأستاذ سيدي محمد المختار السوسي رحمه الله كانت مرحلته التعليمية الثانية بمراكش بعد بلده الكريم، وكان اللقاء الأول له مع شيخه أبي شعيب الدكالي في مراكش عام 1342هـ فرأى من شيخه ما رأى من تبحر في العلوم والاستيلاء على ناصية البيان ما كان حافزا له على السير قُدُما في طلب العلم والارتواء من معينه الأصفى مما نشير إليه بعد قليل.

ثم كان اللقاء الثاني بشيخه في الرباط عام 1347هـ، ثم كان لا يفارقه حين كان يزور مراكش بين الفينة والأخرى.

والشيخ شعيب رحمة الله عليه كما هو معلوم في مرحلته الأولى بعد عودته من المشرق في عهد المولى عبد الحفيظ رحمه الله تولى القضاء في مراكش، ثم تولى التدريس مرارا في هذا البلد المبارك.

إن الكلام يحلو ويطول عن هذين الرجلين الكريمين العظيمين، وعلاقتهما الروحية العلمية وما تركاه في مجال العلم والتعلم والتفاني في ذلك واستنهاض الهمم والأفكار والتربية بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة ما جعل علمهما تنتفع به الأجيال مما يند عن الحصر ويضيق بإيراده الذكر. وأما الحديث عن الشيخ الأكبر شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي رحمة الله عليه والإحاطة باخباره وآثاره في المجتمع المغربي، وفي تلاميذه فذاك أمر يستدعي مؤلفا جامعا يليق بالمقام، إذ ما تركه في النفوس من أثر طيب محمود لا ينكر ولا ينسى مهما مرت العهود والأيام.

فقد اجتمع حول الشيخ شعيب رحمه الله من كثرة التلاميذ والاتباع بشهادة الجمع الغفير من الناس ومنهم شهادة خزيمة تلميذه الورع الوفي الأبر سيدي

محمد المختار السوسي ما لم يجتمع لغيره من شيوخ العلم والمعرفة إلا ما كان من أمثال سيدي عبد القادر الفاسي، والشيخ التاودي بن سودة، وقد ساعدهما على تلك الكثرة من الاتباع والتلاميذ طول عمرهما، والرجوع إليهما لكبر سنهما وتفردهما بالرئاسة العلمية.

أما الشيخ شعيب فقد صار له ذلك وهو مازال في العقد الثالث من عمره، وكان يحضر في دروسه من هو أكبر منه سنا كابن إبراهيم السباعي وأمثاله حين حضر مراكش عام 1323هـ وحين كان يذهب إلى فاس فيحضر لديه أمثال سيدي المهدي الوزاني وسيدي أحمد بن الخياط وغيرهما.

والكلام عن تلامذة الشيخ طويل الذيل، اقتصر على بعضهم من أمثال سيدي محمد بن العربي العلوي الذي تلقى عنه العلم وأخذ السلفية وكان لا يفارق مجلسه، وقام مقامه بعد موته في نشر العلم والدعوة السلفية، وسيدي المدني بن الحسني، الذي لازمه عشرين سنة[4]. واستفاد منه أتم استفادة وسيدي محمد بن عبد السلام السائح الذي حلى شيخه في فهرسته بالطود الراسخ أبي شعيب الدكالي ذاكرا أنه قد هيأت له الاقدار درس كتب جليلة قبل أن يدرسها غيره في هذا العصر كالكتب الستة، والشفاء، وتفسير الجلالين، والنسفي وحرز الأماني للشاطبي، ومختصر خليل وتلخيص المفتاح، وأساس البلاغة، وأمالي القالي، وألفية ابن مالك بالاشموني، وغيرهما، ثم ذكر أنه لازمه سنين عديدة تلقى عليه فيها علوما جمة بل بحارا زاخرة من علوم الحديث والتفسير وغيرها[5].

وسيدي محمد بن إبراهيم الكتاني الذي ألف في شيخه ترجمة وافية، وسيدي عبد الله كَنون الذي كتب عن شيخه الكثير ورفع مرتبته العلمية فوق ما نال الشيخ محمد عبده كما ذكر ذلك في كتابه التعاشيب[6] إلا أن المشارقة يعرفون فضل علمائهم فيقدرونهم ويجلونهم فوق ما يستحقون بخلاف المغاربة وسيدي علال الفاسي فيما أشار إليه في الحركات الاستقلالية، وكتاب حديث المغرب في المشرق، وكتابه التاريخي حول المغرب العربي والشيخ محمد المكي الناصري في

---

(4) ترجمة سيدي المدني بن الحسن لعبد الله الجراري.

(5) لمحة البصر، ص 69 - 70.

(6) انظر الفصل الذي عقده في ذلك الكتاب تحت عنوان : محمد عبده، المغرب.

ترجمته الخاصة للشيخ عجل الله بخروجها وأخيه سيدي محمد بن اليمني الناصري، وسيدي محمد داود عالم تطوان، والشيخ محمد المرير التطواني أيضا، وسيدي محمد التطواني السلوي وسيدي العابد الفاسي ومولاي العباس الأمراني وسيدي الجواد الصقلي ومولاي عبد الواحد العلوي، وسيدي عبد الرحمن الغريسي، وسيدي محمد بن عثمان المسفيوي، وسيدي محمد بن عبد الرزاق، وسيدي خليل الورزازي، والشيخ الرحالي الفاروق، وسيدي عبد الرحمن الدكالي المفتي المراكشي موطنا، وسيدي عبد الله الجراري، وسيدي إبراهيم بن علي الالغي أخ سيدي محمد المختار السوسي، والقاضي الأستاذ رشيد المصلوت حفظه الله في فهرسه العلمي الذي نعته بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر رحمة الله على الجميع ممن مات منهم وغيرهم كثير في آفاق المغرب حواضره وبواديه.

وممن كان له بروز وشفوف خاص، ومقام محمود وسط عقد ذلك الرعيل الأصيل، العالم الأديب الألمعي اللوذغي الأريب سيدي محمد المختار السوسي، الذي أحب العلم والمعرفة منذ صغره، وبقي متفانيا في تلك المحبة الخالصة الصادقة إلى كبره، إذ يحكي عنه أنه لا يرى إلا والكتاب رهن يده، وأوراق يحملها قصد التقييد والإفادة في حضره وسفره، في جلوسه ومشيه ولا ينام إلا والكتاب على صدره، أو إزاء جنبه رحمة الله عليه، ومن عرف ما قصد هان عليه ما وجد، وكما قال الشاعر :

لا يعلم الشوق إلا من يكابده   ولا الصبابة إلا من يعانيها

تحدث سيدي محمد المختار السوسي رحمه الله عن شيخه أبي شعيب كثيرا، وذكره في مناسبات متعددة في حياته وبعد مماته، مدافعا عنه باللسان والبيان ما يروجه الحسدة حوله من كلام، وخاصة لأمثاله الذين بلغوا في العلم والجاه أعلى مقام.

وسأقتصر على بعض الجوانب من حديثه منه مما يدل على الصلة الروحية والعلاقة القلبية الطيبة بين شيخ أستاذ وزير وبين تلميذ شيخ وزير أيضا مما يدل على الوفاء والتقدير، والعنصر الطيب الأصيل النابع من فرع كريم ومجد أثيل جبل عليه أستاذنا العلامة سيدي محمد المختار السوسي رحمة الله عليه.

ونظرا لضيق الوقت سأجعل كلامي عن هذه الجوانب عبر اللمحات الآتية :

1 - إعجاب سيدي محمد المختار السوسي بشيخه الدكالي الكبير :

فمن ذلك ما قاله فيه من كونه آية من آيات هذا العصر، في قطرنا هذا بل وفي المغرب كله من قطرنا إلى قطر تونس.

وذلك في سائر العلوم المتداولة في ذلك العصر، تفسيرا وقراءات وفقها وحديثا ونحوا وبلاغة وأصولا الخ مع التوسع الذي لا يوجد عنه غيره.

إذ كل من رأى الشيخ وسمعه يخوض في بحار تلك العلوم يرجو أن ينال مرتبته فكان الشيخ شعيب مثلا أعلى لتلاميذته ومنهم النبيه الملاحظ الدقيق سيدي محمد المختار السوسي في ذلك الوقت، مما جعله يزحف نحو العلم والمعرفة من أبوابها الواسعة ولا يقنع بالنزر اليسير.

كما أعانه على التلقي والاغتراف من شيخه ما لاحظه فيه زيادة على السعة العلمية من الخصال الحميدة والأخلاق الطيبة الكريمة ما جعله يدلي بشهادته فيه قائلا :

نرى له من أجل هذه الخلال التي لا نرى بعضها فضلا عن كلها في أقرانه... ما ملك به عواطفنا وأسَرَ به أفئدتنا، فآثرنا باكبارنا ونصرتنا وولائنا، وهو أحق بها وأهلها، إن الشيخ شعيبا حي الضمير وريف الظل، عذب المورد سهل الكنف قريب الجنى يرتبط بالقلوب بسرعة فيألف ويؤلف ويكاد صدر كل من رءاه ولو مرة يتفتح عن صورته الوضاءة التي هي رمز لكل كمال كأن طينته جمعت من كل القلوب، فتمثل بها بشرا سويا، فهكذا نعرف الشيخ وبذلك استولى على أرسنتنا في حياته، وعلى أقلامنا الآن بعد وفاته وسيعرفه الغد أكثر مما يعرفه اليوم يوم ينصب الميزان وتوزن الرجال بأعمالها فحينئذ يظهر الراجح من المرجوح. انتهى كلام سيدي محمد المختار السوسي[7].

---

(7) انظر فهرست شيوخه.

2 - أثر الشيخ شعيب في نفس سيدي محمد المختار السوسي :

ويتجلى ذلك في أمرين : الناحية العلمية والناحية الخلقية.

أ - الناحية العلمية :

ساهمت رؤية سيدي محمد المختار السوسي للشيخ شعيب الدكالي في تنمية ملكته العلمية وطموحه العلمي الوثاب بمواصلة السير وعدم الاكتفاء بما يروج من حفظ المتون وترديد كلام الشيوخ عليها دون نقده ومقابلته وموازنته ومعرفة الراجح من الأقوال فيقول رحمه الله في هذا المجال وهو مقيم في مراكش يتلقى العلم ويتعرف على ما يجري حوله من أحداث العالم الخارجي.

وبينما أنا أسبح فيما أنا فيه، إذ جاء الشيخ أبو شعيب الدكالي عام 1342هـ إلى مراكش، مع السلطان مولاي يوسف، فتجددت آراء في مجالسه واستحدثت أفكار، وانتسفت معتقدات، فدبت تلك الحياة المذكورة في أجلى مظاهرها، فصار كل شيء مر يستحلى في طلب المعارف، فقلت إما المعارف وإما القبر[8]. ويقول أيضا في هذا المقام :

في سنة 1342هـ : طلع علينا السعد بطلوع الشيخ أبي شعيب الدكالي، فكان ذلك في حياتي إجافة لباب وفتحا لباب آخر، وهذا الدور ذكرته بالتفصيل في تراجم أشياخنا الحضريين في مؤلف مستقل فانقشعت الغشاوة، وتنبهت للتفريط العظيم الذي مر بي في العلوم المختلفة، فكان ذلك من أعظم الأسباب التي حفزتني إلى التتبع فأقبلت اقبالا كليا[9].

ويقول عنه في الرباط :

كذلك كانت حياة الرباط كلها جنة في سنة 1347هـ، فهذه دروس شيخنا سيدي المدني بن الحسني متعة من متع الفكر، وتلك مجالس الدكالي الشيخ الأكبر، فيها ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين.

---

(8) الإلغيات، ج 2، ص 113.

(9) الإلغيات، ج 2، ص 225.

ثم قال رحمه الله يصف درسا من دروس شيخه من صحيح البخاري في مسجد المواسين في مراكش من شهر ربيع الثاني عام 1342هـ وقد دخل إلى المسجد :

كان أول ما طرق أذني في تلك الساعة أنني سمعته يقرر في حديث الهدي حين ساق البدنة المشعرة سائق فقال له رسول الله لله اركبها فقال إنها هدي، فكرر عليه فقال له ثالثا اركبها ويحك، فأفاض الشيخ في ذلك الحديث وهو يتدفق ويطفح أدلة وحججا، فكان مما قال إن الهدي عند المالكية منهي عن ركوبه، وهذا الحديث وارد عليهم وقد مال إليه فخر المالكية ابن العربي المعافري قال إن ركوبه وإن كرهه مالك فلسنا له بممالك، ونقول به متبعين محمد بن عبد الله، وإن لم يقل به أبو عبد الله يعني مالكا، كل ذلك بعبارة عربية مبينة حلوة تسيل من فيه سيلانا مطردا بلا تكلف، فأخذت والله على قلبي حتى أحسست إذذاك بأنني أقع على كنز ثمين لم أقع له على نظير في كل ما مضى من حياتي.

ثم لما استرسل في الدرس وهو يخب ويضع وينص بتقرير يموج موج البحر الخضم وصل لفظة أشهد، فقال : إن هذه الكلمة تأتي في لسان العرب بمعنى حضر قال الله تعالى : ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾، وبمعنى أقر ومنه قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله يقول ذلك والمؤذن يؤذن للعشاء، فكانت خير مصادفة، ومر هكذا في الدرس فما شئت من لغويات ونحويات وبيانات وأصوليات، وفقهيات وتواريخ وآداب وتراجم الرجال المذكورين في الدرس، وهو يتلو من الألفية والمتون الصغرى النحوية، ومن المختصر والتحفة والزقاقية ومن التلخيص ومن جمع الجوامع ومن أشعار العرب ما يحتاج إليه للاستشهاد فقلت أهذا هو الشيخ شعيب الذي نسمع بذكره ؟ وهل هذا هو الذي يحمل عارفيه حتى يجمعوا على أنه فريد العصر ومفخرة الدهر والضالة المنشودة، ثم استمر الدرس أكثر من ساعة، ولم يقم المختار منه حتى وضع الشيخ شعيب في صدره بيده المباركة بذرة صالحة يعهدها بعد ذلك بالسقي حتى أتت بعض أكلها[10].

---

(10) ترجمته الخاصة ضمن فهرسة شيوخه.

ب - الناحية الخلقية :

لاحظ سيدي محمد المختار السوسي من شيخه شعيب سعة الصدر في درسه العلمي، ومجادلته في ذلك بالتي هي أحسن ولطفه مع تلامذته في الخطاب، وتواضعه الجم مع الكل، مما أكسبه المحبة العامة والتقدير من الجميع.

يقول الأستاذ سيدي محمد المختار في هذا المجال :

«غير أننا نرى له من أجل علمه وشمائله ولطافة جانبه، ومن إلقائه التعجرف والتكبر، بما وقر الله في صدره ومن مخالفته لكل أحد حتى خالطت بشاشة محبته وإجلاله لكل أحد، ومن أنه أحيا الله به أمما موتى، وفتح به أعينا عميا، وقلوباً غلفا وآذانا صما»، هذا كلام الأستاذ[11]، فلا غرابة أن يزداد سيدي محمد المختار من الأخلاق الذاتية والعلمية ما هو أهل له، فضلا على فضل وشرفا على شرف.

3 - الأثر السلفي في نفس الأستاذ محمد المختار السوسي :

في هذا الاتجاه يلتقي مع شيخه أبي شعيب ويسجل هذا في مقدمة كتابه الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي السوسي الدرقاوي قائلا :

«وبعد فإنني أنا مؤلف هذا الكتاب مبدئي هو مبدأ السلفية، وأنا أعلن ذلك وأوقن أن الدين الخالص هو ما كان عليه السلف الصالح، وما لم يكن ذلك اليوم دينا فلا يكون اليوم دينا، وأعرف أن التصوف الذي مدلوله الاخلاص في العمل بالعلم الصحيح هو الحق الذي لا غبار عليه، الخ»[12].

فهو بذلك رحمه الله يمزج التصوف الصحيح الخالص من البدع بروح السلفية الحق ولا غرابة في ذلك فقد كان يسمع من شيخه أبي شعيب أن أوراد الطائفة الدرقاوية جارية على السنة، وأن كل تصوف فيه ما يؤخذ ويرد وليس كل تصوف غير مقبول. إن العبرة بالميزان وهو الكتاب والسنة، وقد قال الإمام الجنيد

---

(11) الترجمة الخاصة.

(12) الترياق المداوي، تمهيد، ص . ج.

رحمه الله من قبل : أمرنا هذا[13] مبني على الكتاب والسنة، وإن طار صاحبه في الهواء ومشى على الماء وفي هذا المعنى قال الشيخ عبد الرحمن الأخضري :

إذا رأيت أحدا يطير | وفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع | فإنه مستدرج وبدعي

4 - زيارته لشيخه أثناء مرضه :

مرض الشيخ شعيب قبل وفاته بسنة فكان الأستاذ سيدي محمد المختار السوسي يزور شيخه ويستحضر ذكرياته معه، ومحاوراته العلمية ويتأسف على ما آل إليه أمر الشيخ، وهذا يدل على مكانة الشيخ في نفسه رحمه الله.

5 - زيارته لبلد الشيخ شعيب :

من باب المحبة الخاصة للشيخ قرر سيدي محمد المختار السوسي زيارة بلد الشيخ شعيب بدوار الصديقات قرب مدينة الغربية بدكالة، واقفا على آثار شيخه ومحل دراسته وتلقيه في مراحله الأولى من تعليمه، وإحياء لذكراه وكانت هذه الزيارة قبل وفاة الشيخ بسنة أي عام 1355هـ إذ توفي الشيخ عام 1356هـ.

6 - استحضار سيدي محمد المختار حياة الشيخ باستمرار بعد موته في أي مناسبة متأسيا ومتسليا :

وهذا ما ورد في كتابه خلال جزولة قوله :

فأديرت الكؤوس، وقد انشرحت النفوس والأمواج من البحر المزبد بين أيدينا تتلاطم، كأن بينها حرب البسوس، فقلت للأديب يوسف مل بنا إلى أن نستتم البهجة في النفوس بمراجعة ما عندنا من الطروس، فظللت أتلو عليه ترجمة شيخ الإسلام والعلامة أبي شعيب الدكالي من كتابه الكبير الذي سميته مشيخة الإلغين من الحواضر فافتتحت الترجمة كما افتتحت هناك :

بأي لسان يا شعيب تُترجَمُ | فعمرو بن بحر عند وصفك يَبْكَمُ
فما مُسهب إلا يقول برغمه | أخيرا وإن طال المدى : اللّه أعلمُ

---

(13) يقصد التصوف.

فاندلقت في التلاوة جهرا وقد خلونا وللصوت في جوانب القبة صدى رنان ولزئير البحر العالي اليوم طنين يصك الآذان، فاذهب قُدُما، حتى تلوت نصف الترجمة في أكثر من كراس فأعييت، فقلت لصاحبي وقد تعجب من إطالة الترجمة :

أطال ذيل مديحي طول لابسه	إن المديح على التنبال تنبال

ثم قلت له إن الشيخ شعيبا بحر من العلوم وهذا بحر من الماء، فما أولانا أن ننشد إزاءهما ما قال أبو نواس الحكمي :

هذا الخصيب وهذه مصر	فتدفقا فكلاكما بحر[14]

7 - حضور ذكر الشيخ شعيب في كثير من مؤلفاته :

من ذلك كتاب الالغيات وقد سبق ذكره فيها من قبل في مراحل تعلمه، ومن ذلك كتاب المعسول فقد ذكره عرضا في مناسبات كثيرة في الجزء (8) منه ص 266، وفي الجزء (13) منه ص 444.

وفي الجزء (15) ص 39 يقول عن شيخه أبي شعيب ناقلا عن شيخه سيدي سعيد التناني :

وكان مما يحدثني به كثيرا مشاهدته لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، فيذكر عن حفظه وذلاقة لسانه واستحضاره، وخوضه في كل فن أعاجيب، ومن فيه وهو يحدث عما رآه منه في ذلك الطور سمعت أول مرة باسم شيخنا هذا وسبقت إلى محبته بطريق الأذن قبل العين، (والأذن تعشق قبل العين أحيانا)، ثم لما رأيته سنة 1342هـ على المنبر في مسجد المواسين، وجدته كجعفر بن فلاح الذي قال فيه ابن هانئ الأندلسي، وهذا مما حفظناه من دروس هذا الأستاذ بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا	عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذني	بأحسن مما قد رأى بصري

(14) خلال جزولة، ج 1، ص 80.

ثم ذكره في ترجمة الحاج مبارك بن المصلوت رحمه الله بقوله : وممن أجازه شيخ الشيوخ ذو الثبات والرسوخ الكبريت الأحمر أبو شعيب الدكالي رحمة الله عليه.

وفي ترجمة سيدي رشيد بن الحاج المبارك المصلوت إجازة مشافهة للعلامة المحدث الحجة فخر المغرب وزينة المشرق المغفور له أبو شعيب الدكالي، على ضريحه سحابة رحمة المتعال، المعسول، ج 18، ص 66.

إلى غير مما ذكر في كتابه المعسول غير ما مرة ونستفيد مما سبق من لمحات أن :

1 - شخصية سيدي المختار ذات همة عالية وتطلع علمي رفيع.

2 - دقة الملاحظة والتأسي بالعلماء الكرام الأفاضل.

3 - حسن الأدب والتقدير والاحترام لشيوخه.

4 - الوفاء والاخلاص لشيوخه وللعلم الذي طبع حياته من أولها إلى آخرها رحمة الله عليه.

170 - **القاضي عبد الرحمن بن علي الدرقاوي الإلغي** : أخ العلامة محمد المختار السوسي، له إجازة من الشيخ، وذكر أن الشيخ كان يجيز دائما على هذا السند في البخاري عن شيخه علي الصالحي عن منة الله عن الأمير عن علي الصعيدي عن محمد بن عقيلة المكي عن حسين العجيمي عن أحمد بن العجل اليمني عن يحي بن مكرم عن محب الدين الطبري عن جده محب الدين عن محمد بن إبراهيم بن صدقة الدمشقي عن محمد بن نصر بن شاذ بخت عن يحي ابن عمار الختلاني عن محمد بن يوسف بن مطير الفربري عن البخاري.

انظر جريدة العلم، عدد 19545، بتاريخ 28 رمضان 1424 / 28 - 11 - 2003.

171 - **الحاج عبد الله بن محمد الايغشاني** : درس على الشيخ بجامع ابن يوسف بمراكش، (جريدة العلم، عدد 19448 بتاريخ 19 جمادى الثانية 1424 / 18 - 8 - 2003.

172 - **الحاج محمد آيت القائد** : أحد تلامذة الشيخ الذين أخذوا عنه بالمشرق فوق أرض الحجاز بمكة المكرمة، وقد ذكرناه مع جملة من تلقى عن الشيخ هناك، وقد أجازه الشيخ.

173 - **الحاج مسعود الوفقاوي** : وهو كسابقه من الآخذين عن الشيخ بالمشرق بمكة المكرمة، وقد ذكرناه مع الذين أخذوا عن الشيخ هناك (وانظر المعسول، ج 3، ص 59).

174 - **محمد عبد الله الشنقيطي** : أحد تلامذة الشيخ من العلماء والشعراء، له قصيدة رثاء في الشيخ أثبتناه ضمن قصائد رثاء الشيخ (انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3205).

سابعا : بلاد تافيلالت

175 - **مولاي التقي العلوي المدغري** : (انظر الاتحاف، ص 56).

176 - **عبد الرحمان بن الصديق الغريسي الفيلالي** : أحد تلاميذ الشيخ المحققين المدققين في فهم النصوص وعبارتها ما يدخل فيها وما يخرج منها، كان ذا سمت حسن، نور الصلاح لائح على محياه، أدركناه ودرسنا عليه بدار الحديث الحسنية كتاب أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي فكانت دروسه أمتع الدروس وأفيدها ياليتها لو طالت وعلى كبر سنه رحمة الله عليه.

ذكرت لي ابنته زينب رحمها الله أن أباها كان لا ينام إلا والكتاب بجانبه لا يمل من القراءة، وحاله يشبه حال علامة سوس سيدي محمد المختار السوسي، وكان أعز كتاب عنده لا يشبع من تتبعه ومواصلة درسه كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية.

وحدثني رحمه الله أن شيخه أبا شعيب الدكالي رحمة الله عليه أوصى قبل وفاته أن تحمل جنازته للدفن سراً دون جهر بذكر أو غيره، وذكر لي أنه حضر جنازته، وأن وصيته نفذت بناء على ما أراد، (وانظر الاسعاف، ص 360).

177 - **مولاي عبد الواحد بن محمد العلوي المدغري** : العالم الأديب الأريحي الأريب القاضي المدرس أدركناه ودرسنا عليه علم الفرائض بكلية الحقوق بالرباط وعلم التوثيق بالمدرسة الإدارية بنفس المدينة.

تولى في آخر حياته منصب عميد كلية الشريعة بفاس، وكان رحمه الله يحدثني عن شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي رحمة الله عليه، وكان يثني عليه الثناء العاطر، وأثر الشيخ ظاهر عليه في دروسه، وتوجيهاته النيرة (وانظر الاسعاف، ص 90).

178 - **سيدي محمد بن العربي العلوي المدغري** : الملقب بشيخ الإسلام الذي أخذ عن شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي علوماً كثيرة واستفاد منه الاستفادة التامة، ولازمه ملازمة مستمرة أثناء دروسه في فاس، والرباط، فكان عمدته في علمه وتوجيهاته، درس عليه صحيح الإمام البخاري بشرح القسطلاني، وموطأ الإمام مالك، وجامع الترمذي، والنخبة لابن حجر، وتفسير النسفي، ومقامات الحريري، (انظر اتحاف ذوي العلم والرسوخ، ص 211) (وموسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3383).

ذكر الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني عنه قائلا :

كان شيخنا الفقيه محمد بن العربي العلوي رحمه الله، دائم الثناء على شيخه الشيخ أبي شعيب، وكان يذكر أنه هو الذي عرفه السلفية، وغير مجرى حياته الفكرية، ويعترف له بالفضل الجزيل عليه من جراء ذلك.

وقد قال لي مرة : أن من أعظم مآثر الشيخ أبي شعيب أن المغاربة كانوا قد انقطعوا مدة عن دراسة تفسير القرآن، متعللين بقول بعض الصادين عن كتاب الله: صوابه خطأ، وخطأه كفر، وكان بعضهم يتوهم أنه إذا قرئ التفسير مات السلطان، فلو وجد من يريد قراءة التفسير لامتنع خشية أن يتهم بأنه يسعى بذلك في موت السلطان.

فلما جاء الشيخ لفاس استغل مكانته عند السلطان لمقاومة هذه الضلالة، فدرس التفسير بعد أن انقطعت دراسته بفاس عدة سنين، (انظر من ذكريات محمد إبراهيم الكتاني، الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته).

179 - **مولاي مصطفى العلوي** : مازال حياً حفظه الله المدير السابق لدار الحديث الحسنية، سألته عن الشيخ فأكد لي تلمذته له، وهذا الرجل الكريم هو

الذي أسعفني حتى أكملت دراستي بدار الحديث الحسنية حين كان مديراً لها مع مساعدة شيخي مولاي العباس الأمراني رحمه الله، كما يعد مولاي مصطفى أحد أساتذتي في رحاب دار الحديث الحسنية أيضاً، وكان يقدم يد المساعدة لجميع طلاب الدار في تواضع وأخلاق عالية مازال الخريجون يلهجون بذكر تلك الأيام الفاضلة، والذكريات الخالدة.

ثامناً : مدينة تطوان وضواحيها

180 - **التهامي بن عبد الله الوزاني التطواني** : العالم الصوفي المؤرخ كتب عن الشيخ واصفاً رحلته إلى تطوان أدرجناها ضمن رحلات الشيخ الداخلية بالمغرب، (انظر ترجمته موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3444) (ومعجم المطبوعات المغربية، ص 361).

181 - **الحسن بن عبد الوهاب التطواني** : (انظر الاسعاف، ص 83).

182 - **الحاج عبد السلام بن العربي بنونة** : الوطني العصامي المشارك في العلوم أخذاً وعطاء، تلميذ الشيخ رواية عن الأستاذ المجاهد عثمان جوربو حفظه الله، (وانظر ترجمته معلمة المغرب، ج 5، ص 1492).

183 - **علي بن أحمد الذهبي التطواني** : (الاسعاف، ص 486).

184 - **محمد أفيلال التطواني** : له إجازة من الشيخ (الاسعاف، ص 169).

185 - **محمد داود التطواني** : العالم المؤرخ له إجازة من الشيخ، درس عليه بفاس، وذكره في كتابه (على رأس الأربعين) بما يقتضي التبجيل والتكريم والتقدير، وقد جلبنا شهادته فيه ضمن ذكر الشهادات المتعلقة بالشيخ، (وانظر الاسعاف، ص 149).

186 - **محمد الصباغ التطواني** : ذكره التهامي الوزاني في ترجمته عن رحلة الشيخ إلى تطوان، وأن الشيخ من شيوخه.

187 - **محمد العربي الخطيب التطواني** : (انظر الاسعاف، ص 452) (وانظر معلمة المغرب، ج 11، ص 3780).

188 - **محمد المرير** : الفقيه القاضي صاحب «الأبحاث السامية في المحاكم الإسلامية»، انظر (الاسعاف، ص 215).

189 - **الحاج محمد التوزاني** : من ميضار الأعلى، نواحي مدينة الناظور، درس على الشيخ بمدينة فاس، (انظر صفحات من ماضي رجل فريد «سيدي الحاج محمد التوزاني» في الذكرى الخمسين لوفاته، ص 17، للدكتور عبد الله عاصم، دون تاريخ، وانظر معلمة المغرب، ج 8، ص 2631).

تاسعاً : مدينة طنجة وضواحيها

190 - **أحمد بن عبد السلام بوحسين الطنجي** : (الاسعاف، ص 39).

191 - **عبد الله كَنون** : العالم الأديب الباحث ذو التآليف العديدة، وأحد تلاميذة الشيخ المعتزين بشخصه وعلمه، كتب عنه كثيراً في كتابه التعاشيب تحت عنوان «محمد عبده المغرب»، وفي كتابه أحاديث عن أدب المغرب الحديث، حيث أشار إلى أثر الشيخ في نهضة المغرب وتوعيته وإصلاحه، وكتب عدة مقالات عن الشيخ نشرت في مجلة دعوة الحق وغيرها، وانظر (الاسعاف، ص 402 وما يليها).

192 - **عبد الله بن الصديق** : ذكر في كتابه «الحجة المبينة لصحة فهم عبارة المدونة» أن الشيخ أبا شعيب الدكالي شيخه بالإجازة، انظر الكتاب المذكور، ص 39.

193 - **العربي بن محمد التمسماني الطنجي** : درس على الشيخ بطنجة والرباط.

أنشد الأبيات التالية في حفلة تكريمية للشيخ أقامها على شرفه بعض العلماء والعدول بطنجة حين تشريفها بزيارته لما كان على رأس وزارة العدل جاء فيها :

عجبت لرؤية وجهك الأبصار ... وبدا محيا كله أنوار
ما البدر عند تمامه ما نوره ... ما إن له في ذا العلا مقدار
صحب التغير والخسوف فشانه ... وبهاء وجهك ما له أطوار
قد زانه العلم الشريف فصانه ... عن أن تمس جنابه الأغيار
فلتهننا منك إجابة دعوة ... غنت بها الأطيار والأوتار

انظر (الاسعاف، ص 465).

194 - **محمد بن القُري** : الوطني الشهيد من بني قرة من الجبل ناحية مستارة، درس على الشيخ بفاس (انظر موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3056).

195 - **محمد المهدي الطود** : (انظر معلمة المغرب، ج 17، ص 5797).

عاشراً : مدن أخرى (آسفي - الجديدة - الدارالبيضاء)

1) مدينـــة آسفـــي :

196 - **الحسن بن محمد (فائز)** : من قبيلة أحمر العالمة المجاهدة ناحية الشماعية العدل الفاضل درس على الشيخ بجامع ابن يوسف بمراكش.

197 - **الفقيه عبد السلام المستاري** : العالم الوطني الغيور المدرس تولى القضاء بمدينة آسفي ومراكش، وهو أحد الموقعين على وثيقة الاستقلال (انظر قائمة الشرف، ص 48)، وتلمذته للشيخ بإخبار من سيدي عثمان جوريو حفظه الله.

198 - **محمد بن أحمد العبدي الكانوني** : العالم المدرس المؤرخ أحد تلامذة الشيخ الذين استفادوا من علمه وإصلاحه، فكتب وألف ما شاء الله أن يكتب في حياة قصيرة ملأها دراسة وعلماً.

درس على الشيخ بجامع القرويين، وكانت له من الشيخ إجازة، وقد زار الشيخ مدينة آسفي وألقى بالمسجد الأعظم دروساً حافلة.

(انظر في ذلك كتاب الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني، ص 42 وص 160 للأستاذ محمد السعدي الرجراجي، منشورات جمعية آسفي للبحث والتوثيق عام 1421 - 2000)، وانظر : (موسوعة أعلام المغرب، ج 8، ص 3060).

2) الجديدة حاضرة دكالة :

199 - الشريف الأصيل، والسيد النبيل **مولاي أحمد بن محمد البويحياوي**: مسقط رأسه بدوار الصديقات بلد الشيخ. وهو من السلالة الطاهرة من آل البيت كما ذكره الفقيه العبدي الكانوني في جواهر الكمال، والبعقيلي في تبين الأشراف. ومن تلاميذ الشيخ الذين كانوا يلازمون دروسه

ولاسيما في رحاب مدينة مراكش، وهو معدود من العلماء الأجلاء لحاضرة دكالة.

وهذا الرجل الكريم هو أب السيد الفاضل سيدي الحاج محمد حفيد الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي تقلب في وظائف إدارية سامية بالجديدة وغيرها، وكانت له مساهمة مباركة وفعالة في ترجمة جده أبي شعيب الدكالي مع السيدة الجليلة زوجة خاله العالم الأديب سيدي عبد الرحمان الدكالي الفاضلة الحاجة فاطنة لغزايل حفظ الله الجميع، وجعل بركة هذه الترجمة الزاهرة سارية على الأهل والأحفاد إلى يوم التناد.

(ترجمة الشريف مولاي أحمد بواسطة ابنه الأستاذ سيدي محمد رعاه الله). ومولاي أحمد هذا رحمه الله كان عضواً برابطة علماء المغرب، ومن الذين قدموا البيعة لجلالة الملك الحسن الثاني حين بويع بالملك رحم الله الجميع.

200 - **أحمد التباري** : ذكره العلامة عبد الله الجراري في رحلته المراكشية أنه من تلاميذ الشيخ كان يتلقى عنه بالرباط.

201 - **أحمد بن محمد بن عبد الله** : بمدرسة زاوية أولاد ابن الشاوي دائرة الزمامرة بدكالة، تلقى على الشيخ الحديث والتفسير ما بين عام 1332هـ و1335هـ بمدينة فاس، (رسالة بعث بها إلى ابن الشيخ الأستاذ عبد الرحمن الدكالي بتاريخ 8 - 5 - 1968).

202 - **عبد الرحمان بن شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي** : العالم الأديب الشاعر الحافظ الواعية نشأ في حجر والده المكرم، حيث حفظ القرآن بالقراءات السبع في سن مبكرة، كما لازم دروس أبيه الحافلة بالعلم، ثم رحل إلى مصر منتسباً إلى دار العلوم حيث أخذ عن شيوخها وأساتذها الأجلاء، وكان أول من ناهض الظهير البربري وهو في مصر، وحين رجع إلى المغرب عام 1931، انضم إلى الحركة الوطنية، وكان بيت والده رحمه الله بيت الوطنية وموئل الوطنيين.

وفي هذه الأثناء عينه جلالة الملك محمد الخامس أكرم الله مثواه نائب عضو في مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى، ثم بعد ذلك قاضياً بمنطقة الغرب.

وفي ظل الاستقلال عينه الملك المنعم محمد الخامس مرشداً عاماً للقوات المسلحة الملكية، ثم عين كاتباً عاماً لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حيث ساهم

بإحياء بعض المدارس القرآنية كمدرسة الشماعية المختصة بالقراءات، ومدرسة المعاشات بناحية الصويرة.

وتقديرا لعلمه وفضله عينه جلالة الحسن الثاني طيب الله ثراه عضواً بأكاديمية المملكة المغربية، ثم كان رئيساً للمجلس العلمي بالجديدة، وشارك رحمه الله في الدروس الحسنية بإلقاء محاضرات قيمة.

واعترافاً بما كان يقوم به رحمه الله من نشاط علمي ووطني نال الأوسمة الآتية :

- وسام العرش من درجة ضابط.
- وسام الملك عبد العزيز من رتبة ضابط.
- قلادة الجمهورية التونسية من الصنف الأول.
- وسام الاستقلال للمملكة الليبية من الدرجة الأولى، وغيرها من الأوسمة.

وفي آخر حياته رحمه الله قام بتحبيس خزانته الخاصة وكتب والده على طلاب العلم والمعرفة باقليم الجديدة وجعلها تابعة للمجس العلمي بها، وتضم هذه الخزانة على ما يربو على 3000 كتاب في مختلف العلوم، وكان المحافظ على هذه الخزانة المسماة بالخزانة المحمدية الأستاذ المقاوم الحاج بوشعيب بن عبد الله بن الشيخ العربي دحمان وهو صهر للعائلة.

ومما يذكر هنا أيضا إشراف المشمول بعفو الله على طبع المصحف الحسني وطائفة من كتب العلم النافعة كالتمهيد لابن عبد البر، وترتيب المدارك للقاضي عياض، وصدر بعد وفاته ديوانه الشعري الرائع جمع وتحقيق أخينا الأستاذ أحمد متفكر حفظه الله.

وكان ينوي رحمه الله إخراج ترجمة والده الهمام شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي لولا الأجل المحتوم.

وهو ما تيسر للعبد الضعيف الدكتور محمد رياض أن يقوم به نيابة عنه وهو في عالم البرزخ قرير العين مبتهج الروح بما عملناه إن شاء الله.

وقد توفي رحمه الله بالمدينة المنورة، محققاً له سبحانه رجاءه في ذلك في 30 مارس عام 1983 ودفن بالبقيع.

203 - **الحاج عبد الرحمان بن عبد الله الزواوي الإدريسي** : أحد تلامذة الشيخ الذي قام بتدريس العلم ومساعدة طالبيه في بلده فأنشأ من أجل ذلك مدرسة على نفقته الخاصة بدوار الشخاشخة جماعة أولاد سي بويحي بدائرة سيدي بنور، (ترجمة خاصة من أحد أبنائه حفظه الله)، وقد أشرنا إلى ذلك في الباب التمهيدي ضمن أعلام دكالة.

204 - **الحاج عزوز بن محمد بن الطاهر البويحياوي** : أخ العالم الفاضل مولاي أحمد المتقدم الذكر، ومن أصهار الشيخ ورفيقه في كل رحلاته ومن الذين تلقوا عنه، (ترجمته بواسطة الأستاذ سيدي محمد الصديقي).

205 - **محمد بن أحمد بن المعطي الحطاب الجديدي** : تلقى عن الشيخ علم الحديث بالمسجد الأعظم بالجديدة وبزاوية سيدي قاسم بالرباط أثناء الزيارات الكثيرة التي كان يقوم بها للرباط، (انظر من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر لأبي هريرة عبد الرحمان بن محمد الباقر الكتاني، ص 204 وما يليها)، ط 1، عام 1421 - 2001.

ومحمد الحطاب هذا من سلالة سيدي أحمد بن صالح الحطاب المدعو مول النخل المدفون قرب مستشفى محمد الخامس بالجديدة ترجم له الفقيه الكانوني في جواهر الكمال، (وانظر المعلمة، ج 10، ص 3460).

206 - **محمد بن بوشعيب ابن العبادية الرافعي** : أخذ عن الشيخ بمدينة مراكش وكان رفيقاً في الطلب للعدل الفاضل محمد بن عبد الله بن الشيخ العربي الآتي بعد.

207 - **محمد بن عبد الله بن الشيخ العربي الدحماني** : درس على الشيخ بمسجد المواسين حيث سمع منه من صحيح البخاري ما ورد في غزوة الفتح.

ويحكى عن الشيخ أنه كان ذات يوم خارجاً مع السلطان مولاي عبد الحفيظ بضواحي مراكش وهما على متن جوادين، فإذا بالشيخ يرى شجرة الادخر التي لا تنبت إلا في المشرق، فطلب من السلطان الوقوف ونزل فقلع تلك الشجرة وأتى بها إلى السلطان قائلا هذه هي شجرة الإدخر التي تنبت بالمشرق.

فطلب منه السلطان أن يسرد له عشرين حديثاً متعلقاً بالادخر (بهدية عشرين فصاً من ذهب)، فسردها الشيخ ووفى السلطان بوعده، (ترجمة لنفسه أملاها علي مع الحكاية المذكورة).

208 - **محمد الرافعي الأزموري** : ليس من تلاميذ الشيخ، وإنما ذكرناه هنا لما قدمه من شهادة في حق الشيخ وهو العالم المشارك الفيلسوف جاء في تاريخ العدوتين أن الشيخ الرافعي كان يسمع بالشيخ أبي شعيب الدكالي - وهو من بلده - في الأوساط العلمية بيد أنه لم يطمئن لما سمع، إلى أن قدر له أن زار الرباط سنة 1340هـ - 1341هـ / 1922 م - 1923م، وحضر بعض دروسه الحديثية بالزاوية الناصرية بين العشائين، وإثر لحظات من نفس الليلة اجتمع معه في مأدبة أقيمت على شرف الرافعي.

وعندما أقبل الشيخ أبو شعيب قام إليه، وعانقه، وقبله بين عينيه قائلا : الآن آمنت، وزال ما كان يخامرني من شكوك في علمكم واطلاعكم الواسع حفظكم الله وأبقاكم، (من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين، ج 2، ص 274).

وكتب رسالة تعزية كلها إشادة واعتراف بعلم الشيخ وفضله أدرجناها عند الكلام على وفاة الشيخ.

209 - **المختار بن محمد بن العروسي الدومي الهلالي** : قاضي سيدي بنور، رواية شفوية.

210 - **القاضي عمرو بن الجيلالي الكميتي الأزموري** (رواية شفوية) وانظر ترجمته موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3166.

211 - **الفقيه السيد بوشعيب الملقب بالفاسي الأزموري** أصله من أولاد فرج وهو من أعيان الطريقة الدرقاوية (رواية شفوية من الحاج عبد الكريم مسرور حفظه الله).

212 - **سيدي محمد بن عكيدة الأزموري** المدفون بضريح أبي شعيب السارية (رواية شفوية عن الحاج عبد الكريم مسرور أيضاً).

أبناء الشيخ الذين درسوا عليه :

للشيخ أبناء أكبرهم سنا سيدي موسى، وأصغرهم سيدي عبد اللطيف وأما الذين درسوا منهم على الشيخ فهم كالتالي :

213 - **سيدي موسى**.

214 - **سيدي عبد الرحمن** وقد سبق ذكره ممن تلقوا عن الشيخ.

215 - **سيدي عبد الله**.

216 - **سيدي حماد**.

217 - **سيدي عبد العزيز**.

وهؤلاء الأربعة بعد سيدي موسى درسوا على الشيخ ثم درسوا في رحاب الأزهر بمصر وغيرها من المعاهد العليا هناك.

218 - وأما **سيدي أحمد** فقد كان صغير السن حيث تكفل بدراسته أخوه سيدي عبد الرحمن الدكالي.

وقد كان رحمه الله قاضياً بالمجلس الأعلى، كما شغل نائب مدير دار الحديث الحسنية في عهد مولاي مصطفى العلوي.

3) الدار البيضاء :

219 - **أحمد الزموري البيضاوي** : من القضاة أحد تلامذة الشيخ أنشد في الشيخ حين كان وزيراً للعدل ما يلي :

جمعوا على إحسانك الأهواء	وتفيأوا من علمك الأفياء
يا سيدي المولى شعيب من أجا	د الدرس والإقراء والاملاء
كلٌ تقلد من علومك منة	يأتي بها الانشاد والانشاء
فالبحر أنت ولست كالبحر الذي	في حده نستدرك الأغياء

(انظر مسامرة أدبية ص 26 لعبد الله بن عباس القباج طبعت بالرباط عام 1341هـ) (وانظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3288).

220 - **الحاج أبو زيد عبد الرحمن النتيفي** : تلميذ الشيخ بالإجازة وكان الشيخ يثني عليه ويصفه بالعلم والفضل، انظر مختصر ترجمة شيخ الإسلام أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي، ص 9 من تأليف ابنه الحاج حسن النتيفي، ط 1، عام 1400 - 1978).

221 - **محمد بن بوشعيب البوزيري الشاوي** : أحد تلاميذ الشيخ الأذكياء النجباء، أدركناه في آخر حياته، وكان يحفظ كثيراً من النصوص الأدبية والمتون العلمية، وجمع خزانة كتب مختلفة العلوم لكن مع الأسف وكما يحصل لثلة من العلماء شرع في بيعها لما أقعده المرض من أجل شراء الأدوية وغيرها؛ (وانظر موسوعة أعلام المغرب، ج 9، ص 3483).

خاتمة

بعد هذه الترجمة المباركة الحافلة بجلائل الأعمال، وبعد التصور العام لحياة شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي.

ونظراً لمكانة هذا الشيخ الجليل والعالم الذي خدم أمته بالعلم والاصلاح والتقويم، والوطنية.

- لذلك تقرر إطلاق اسمه الكريم على الجامعة العلمية بمدينة الجديدة حيث أصبحت تسمى جامعة أبي شعيب الدكالي وذلك بإشارة من جلالة الملك الحسن الثاني أكرم الله مثواه.

- كما تقرر إطلاق اسمه المبارك على عدة شوارع تخليداً لذكراه، بأهم مدن المملكة منها :

- ❖ بفاس ساحة أبي الجنود التي أصبحت تسمى ساحة أبي شعيب الدكالي.
- ❖ وبالجديدة هناك شوارع ومدارس باسمه.
- ❖ وبالرباط وغيرها من مدن المغرب.

وتتميماً لما سبق نقترح ما يلي :

- إقامة ندوات علمية تعرف بالشيخ وبعلومه، وجهاده العلمي ومثابرته على نشر العلم حتى تستفيد الأجيال من الاقتداء به واتخاذه مثلا أعلى في طلب العلم والصبر على تلقيه ونشره.

- إحياء الذكرى بعد وفاته ولاسيما بعد مرور سبعين (70) سنة على ذلك، وذلك في المدن الكبرى التي ترك بها الشيخ آثاراً علمية جليلة لا من حيث التدريس بها، ولا من حيث التلاميذ كمدينة فاس، ومدينة الرباط، ومدينة مراكش، وباقي المدن الأخرى، كمدينة الجديدة، ومدينة تطوان، ومدينة طنجة، ومدينة آسفي الخ.



ملاحق متعلقة بشيخ الإسلام

أبي شعيب الدكالي

نص المحاضرة التي ألقاها الأستاذ العلامة عبد الرحمن الدكالي حول ترجمة والده في المهرجان الأول للتعريف بدكالة وأعلامها

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

إنه ليشرفني ويسعدني أن أُكَلَّفَ من لدن اللجنة المحترمة بالتكلم عن شخصية والدي في عجالة قصيرة، وإنه من الواجب حَقّاً على ولد نشأ وتربى في أحضان والده نيفا وعشرين سنة يغرف من بحار علمه، ويلتقط من درر كلمه ويعيش في حنانه وعلمه، ويتلقى أنواع المعارف من فمه، أن يكتب عن حياة هذا الوالد الذي بذل أقصى الجهود، في رفع مستوى ولده في الوجود، والذي كان آية من آيات الله الباهرة، ونفساً من أنفاس النبي العاطرة، عاش طول حياته في نشر العلم وتلقينه ورفع راية السلفية بين أبناء وطنه ودينه، رافعا للحق والعدل في كل مكان، داعيا إلى التمسك بالكتاب والسنة في كل ميدان، محاربا للبدع والضلالة بما أوتي من بلاغة وبيان، جديرا بما قيل فيه من مدح وتنويه. أدرك سنام المجد وهامته ووقاره، وقُلِّدَ مناصب رئاسة العلماء والقضاء والوزارة، وكان الشهم الذي لا تأخذه لومة لائم، في نصرة المظلوم والضرب على يد الظالم.

تلقته مكة المكرمة في هجرته إليها بكل تقدير واحترام، وأسندت إليه الإمامة والخطابة في بيت الله الحرام، وأخذ عنه العلماء الأَجِلَّةُ الأعلام وذاع صيته في العالم الإسلامي الواسع الأرجاء واشتهر علمه وحفظه في كثير من الأنحاء.

لذلك كان جديرا بأن أقدم بين يدي إخواني العلماء رجلاً صنعته قدرة الله، وجمعت فيه ما تفرق في غيره، أجل ! إنه لَدَيْنٌ يجب الوفاء به، وبُرُورٌ يتعين التمسك به وصلة رحم، أرجو من الله المنعم الكريم أن تكون سببا في صلتي به سبحانه.

قد أَلَحَّ عليَّ كثير من الإخوان من علماء المشرق والمغرب أن أبرز هذه الترجمة للعيان، وأقدمها للجيل الحاضر وللأجيال المقبلة، وكان لزاما عليّ أن أستجيب لهذا الإلحاح، وها أنا بعون الله وتوفيقه قد أشرفت على التمام بما أنجزت في هذا المقام، فعما قريب سَيُطْبَع مُؤَلَّفي : «عقد الجواهر واللآلي في ترجمة الشيخ الإمام أبي شعيب الدكالي»(1).

وقبل أن ألج في الموضوع أرى من الواجب علي أن أنوه بالعلماء الكبار الذين سبقوني إلى هذا الميدان فألفوا في والدي، فهنا بينكم علامة كبير، ورجل عرف الدروس وعرفته منذ السنين الطويلة، وهو أخي فضيلة العلامة سيدي عبد الله بن العباس الجراري، فقد كتب قبلي عن والدي، وإني لمن الشاكرين له، ومن العاجزين عن إعطائه ما يستحق من المدح والثناء.

وإن - ما ألقيه عليكم - سطور من كتابي، وفصول من أبوابه وإني وأيم الحق لا أطلق لقلمي في ميدان القول عنانه لأني أومن وأعرف للعدل فيما أسطره وزنه ومكانه، قال الله تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾، وهنا أوثر أن أقدم لكم أيها الإخوان ترجمته بما خطه بقلمه وكتبه بيده.

الحمد لله، أيها الفاضل السائل عن نشأتي وتطوراتي أصلح الله حالي وحالك، وبرر قالي وقالك :

إن جدي سيدي عبد العزيز بن الصديقي كانت له ربيبة وكان يحبها كبناته الكثيرات، ورغب من أولاده وأولاد أخيه أن يتزوجوا بها، فأبو عليه، فعرضها على والدي أخيرا وقال له : تزوجها ولك أرض أريري وهي مزرعة لنا نحلة وقال :

اخترت النحلة لأنها لا تحتاج إلى حوز، فقال : تزوجتها ونحلتي رضاك، فقال له : الأرض والرضى نحلة لك، وستلد لك ما أُذْكَرُ به أنا وأنت.

فتزوجها فولدت له أولادا قبلي، ثم حملت بي بعد موت الجد المذكور، فرغب أعمامي أبي أن يتزوج عليها فساعدهم، ولكن في ليلة دخوله رأى في منامه أحد أعمامي المسمى أبا شعيب، وكان علامة وأستاذا، أهداه صينية حمراء فيها كؤوس

(1) لم يقدر لابن الشيخ الأستاذ الأديب عبد الرحمن الدكالي رحمه الله أن يخرج هذه الترجمة في حياته نظرا للأجل المحتوم.

من الزجاج، وكأس من الذهب، وصينية أخرى من فضة، فقال له : ما هذا الرمز ؟ فأجابه : الصينية الحمراء هي الزوجة الأولى، والكؤوس أولادها، وكأس الذهب منها هو المولود الذي سيولد لك فسمه باسمي، وأما الصينية الفضية، فهي بنت عمنا ولا تلد لك.

ولما استيقظ وجدني ولدت في تلك الليلة فسماني : أبا شعيب. والرؤيا تسر ولا تضر، وفرح بي كثيرا، وفعلا ولدت أمي عدد الكؤوس ولم تلد بنت عمه.

وكانت ولادتي يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة عام خمسة وتسعين ومائتين وألف 1295هـ (20 أكتوبر سنة 1878م).

ولما وصلت إلى سن التعلم أخذ لي فقيها بخصوصي وكان يقول له : إنه دعوة والدي ومصداق رؤياي، فحفظت القرآن إلا خمسة أجزاء قبل أن يموت.

وتوفي رحمه الله عام المائة (1300) (1883) فكفلني عمي سيدي محمد ثم حفظت القراءات السبع عن شيخي المذكور وهو السيد محمد بن المعاشي وهو معلم أولادي من بعدي، ومات ونحن بالرباط قبل ثلاثة أعوام، ثم أخذت العلم عن علماء جلة منهم عمي سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي الذي كان كفلني بعد موت والدي، وعن ولد عم أبي سيدي عبد الرحمان ابن الفقيه الصديقي، وعن ولد عمي سيدي محمد بن عزوز، وعن ولد عمي سيدي الطاهر قاضي مراكش أخيرا، وكلهم كانوا من أهل العلم والخير والمروءة.

كما أخذت عن الفقيه السيد الطاهر بن قدور الغربي الدكالي، وإن عائلتنا (أسرتنا) تأبى أن تدعى نسبا ربما ضربوا صغارهم على ادعائه، وجلهم يحفظ الحكم العطائية.

ولما كانت سنة ثمان وثلاثمائة وألف 1308 (1891م) دعا السلطان مولاي (الحسن الأول) من يحفظ مختصر خليل لأجل الاختبار فحضرت كغيري لمراكش، واختبر الجميع فوجدت أحفظهم بين يدي الفقيه الوزير المرحوم السيد علي المسفيوي، ثم قال لي :

هل تحفظ القرآن ؟ فقلت نعم بالروايات السبع، فأحضر من يعرفها وأمروني بالقراءة فقرأت بسم الله الرحمان الرحيم الرحمن علم القرآن بالقراءات،

فظن الوزير المذكور أنني عينت ذلك، وبعد اطلاع علم السلطان مولاي الحسن على ذلك، أمر بإدخالي عليه، فدخلت فقال لي : أعرب (الرمان حلو حامض) فأعربت المثل، فقال لي : أنت فقيه ولست بنحوي، فقلت أنا أعلم بالنحو مني بالفقه، ولكنه بمنزلة قول الشاعر :

يـــداك يـــد في الـــورى خيرهـــا وأخـــرى لأعـــدائـــهـــا غـــائـــظـــة

فتعنت علي بعض الحاضرين وقال : زد إيضاحا لسيدنا فقلت وقصدته : هو منزلة ﴿والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات﴾ فضحك السلطان كثيرا، وأمر لي بصلتين وكسوتين، ولايزال توقيعه بهما عندنا ونصه : يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه، وكبر فنه، ثم بعد هذا كله رحلت إلى الريف في خبر طويل، ثم إلى مصر عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف (1314) (1896م) فأخذت عن الشيخ البولاقي والشيخ علي الصالحي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ محمد الطيمومي، والشيخ سليم البشري، والشيخ محمد بخيت، والشيخ دسوقي عربي، والشيخ محمد محمود الشنجيطي وآخرين كثيرين.

وأجازني الكثير لما جاورت بمكة شرفها الله من وفود أهل الله من اليمن، وأهل الشام، وأهل العراق، وأهل الهند.

وما جاء من ذكر الربيبة التي كانت لجده هي جدتي أم والدي أبي شعيب، واسمها حليمة بنت المأمون الهلالية، كانت يتيمة وكفلها جدُ والده عبد العزيز رحم الله الجميع.

ولازلت أذكر والدي كتب إلي رسالة وأنا مهاجر في مصر لطلب العلم يعزيني فيها.

وأما الكؤوس من الزجاج فهم أعمامي إخوة والدي، وأما «أريري» فهي مزرعة من أخصب الأراضي، ولاتزال معروفة بهذا الاسم، وأما شيخه ومعلمه في حفظ القرآن والقراءات، فهو الفقيه الأستاذ الصالح الناسك السيد محمد بن المعاشي الذي أمد الله في عمره حتى قرأنا عليه جميعاً، أما عمه الذي ذكره في طليعة الذين أخذ عنهم العلم فهو الفقيه العلامة المشارك المدرس سيدي محمد بن عبد العزيز الذي حدثني عنه والدي فقال : إنه كان من أعلم زمانه، وهو الذي كفل والدي بعد

موت جدي الفقيه المقرئ سيدي عبد الرحمن[2]، ولدي وثائق مهمة عدلية ولفيفية تثبت ما كان لجدي الفقيه سيدي عبد الرحمن، وأخيه العلامة سيدي محمد من إطعام الطعام، وتعليم القراءات، والعلم لجميع من كانوا يقصدون مدرستهم التي اشتهرت بزاوية الفقيه ابن الصديقي.

وأما العائلة أي الأسرة كانت تأبى أن تدعي النسب، فذلك لأن الجد الأعلى الذي نزح من تافيلالت، وهو من أسرة الولي الصالح الشريف سيدي عبد الصادق، قد قال : «تشرفوا يا أولادي بتعلم العلم، ونشره بين الناس، فإن رسول الله ﷺ قال: «العلماء ورثة الأنبياء، لم يورثوا ديناراً ولا درهما، إنما ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر»[3].

وفي انتقال والدي إلى مراكش قاعدة المملكة المغربية إذ ذاك للمثول بين يدي صاحب الجلالة الملك المجاهد «الحسن الأول» يتجلى عطاء الله، وفضله على هذا اليتيم الذي ستكون ترجمته بحول الله من أعظم ما تستفيد منه الأجيال الحاضرة ومن بعدها.

إذ من المعلوم أن فضيلة علم التاريخ والإنسان، ومعرفة الرجال مما يرفع من قدر الكاتب والكتاب، فقد قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في استدراك معرفة أعمار العلماء، والوقوف على وفياتهم، من علم خاصة أهل العلم، وأنه لا ينبغي لمن وسم نفسه بالعلم جهل ذلك، وأنه مما يلزمه من العلم العناية به والقيام بحفظه هـ، نقله المواق في سُنن المهتدين.

وقال الحافظ أبو شامة : قال أبو مصعب الزبير : ما رأيت أحداً أعلم بأيام الناس من الإمام الشافعي، ويروى عنه أنه أقام على تعلم أيام الناس والأدب عشرين سنة، وقال : ما أردت بذلك إلا الاستعانة على القلب، وقال الشافعي أيضا : اعلم أن التاريخ يزيد في العقل، وقال ا لقاضي ابن عطية في تفسيره هو من نبل الملكة.

(2) وهو والد الشيخ أبي شعيب رحمهما الله.

(3) رواه أبو داود والترمذي.

وما أحسن قول الشاعر :

إذا عــرف المرء أخــبــار مــن مضــى	تــوهــمــتــه قــد عــاش مــن أول الــدهــر
فــتــحــســبــه قــد عــاش آخــر دهــره	إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر
فكن عالما أخبار من مات وانقضى	وعش ذا نوال واغتنم أطول العمر

وقال الولي العراقي في شرح سنن أبي داود : قد وقع الاستدلال بالتاريخ في كتاب الله عز وجل؛ قال تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعلمون﴾، وهذا من لطائف الاستدلال ونفائسها.

وقال بعض الأئمة : من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء مع اليهود الذين أظهروا كتاباً فيه أن رسول الله ﷺ أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر لمكان السيدة صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها، وفيه شهادة الصحابة رضي الله عنهم : سيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا معاوية، وسيدنا سعد بن معاذ، ووقع الناس في حيرة عظيمة فحُمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء ببغداد الإمام الحافظ الخطيب أبي بكر البغدادي - وهو حافظ المشرق في وقته كما أن أبا عمر بن عبد البر حافظ المغرب في وقته - وكانا متعارضين، ومن غريب الاتفاق موتهما في سنة واحدة.

فلما عرض عليه وتأمله، قال : هذا مزور، فقيل من أين لك ذلك، فقال : فيه شهادة معاوية، وهو إنما أسلم عام الفتح، وفتح خيبر كان سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وسعد مات يوم بني قريضة قبل فتح خيبر، ففرج بذلك عن الناس ما هم فيه من الحيرة، فجزاه الله خيرا.

ولأجل كشف الغطاء عن حياة العلماء والمصلحين، ودحض أباطيل المبطلين، عني بهذا العلم حتى نفى الشاعر الإنسانية عمن جهله فقال :

لــيــس بــإنــســان ولا عــالــم	مــن لم يــع الــتــاريــخ في صدره
ومــن درى أخــبــار مــن قــبــلــه	أضــاف أعــمــاراً إلى عــمــره

هذه سطور قليلة جنح بها القلم لبيان فضل علم التاريخ والتراجم.

والآن ما هي دكالة ؟

دكـــالـــــــة :

قـال صـاحب الـقـامـوس المجد الـفـيـروزابـادي : دكـالـة كـرمـانـة بـلـد بـالمـغـرب للبربر، هـ.

والحقيقة أنها مجموعة قبائل العرب فيها أكثر من البربر.

وقد وقفت في كتاب «سلسلة الذهب المنقود، في ذكر الأعلام من الأسلاف والجدود» على ما كتبه مؤلفه عن دكالة قال : وهم كما قال الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن الشيخ العلامة البركة سيدي عبد القادر الفاسي في كتابه «ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن، وشيخه المجدوب» هم بطن من هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، إحدى القبيلتين الراحلتين للمغرب على عهد العبيديين وهما هلال وسليم على ما ذكره ابن خلدون.

وذكر صاحب سلسلة الذهب المنقود : أنه مما تقدم يبدو أن عرب دكالة في مضر رفع لهم الاجتماع والاتصال بسيد الأنبياء الذي استمد منه كل شرف في الوجود، هـ.

ولا أريد الإطالة في هذا الموضوع فربما يتفرغ له غيري من الباحثين.

والمقصود من هذا النقل الذي اختصرته، هو أن أعرف بأن قبائل دكالة فيهم العرب، وأنهم ليسوا كلهم بربر.

وإني بعد طول البحث والتقصي لم أجد ما يشفي الغليل في تاريخ دكالة.

والآن تعين أن نرجع إلى دوار الصديقات الذي هو مقر أسرة مترجمنا إنه بالغربية غير بعيدعن مدينة «مشترائية» التي كانت مزدهرة في أول نشأتها وتخرج منها كثير من العلماء والصلحاء ويقال إنها كانت تشبه مدينة الرسول ﷺ ولم يبق منها الآن إلا الآثار ورسوم الديار بالغربية، وقد اندثرت عمارتها في المائة السابعة من أوائل دولة بني مرين.

ولقد نقل كثير من العلماء أن هذه المدينة كانت زاخرة بالعلم، وأنهم قالوا كان يورث فيها الصلاح كما يورث بها العلم.

في دوار الصديقات، أي في مكان لا يتجاوز سكانه 200 دار، بقبيلة الغربية من أولاد عمرو، نشأ أبو شعيب طفلا يتيما تحت كفالة عمه العلامة سيدي محمد بن عبد العزيز الصديقي، الذي كان عميد أسرة أولاد الفقيه بن الصديقي والذي كان مقصد طلبة العلم من كل قبائل دكالة ورئيس مدرسة مشهورة بتعليم العلم والقراءات وإطعام الطعام وإيواء المغتربين في طلب العلم.

وكان رحمه الله شديدا في تربيته لابن أخيه الذي أنشأه نشأة دينية علمية ولم يترك له فرصة من عمره تضيع، ولذلك كان يخصص له وقتا لسماع ما حفظه في يومه من القرآن الكريم وكانت الحافظة التي وهبها الله لأبي شعيب تساعده على حفظ نصف حزب من القرآن الكريم بسهولة، فما كان يصل العاشرة من عمره حتى استحضر كتاب الله بالقراءات السبع وتفرغ لحفظ مختصر خليل «وغيره من المتون».

وقد حكى لي والدي رحمه الله أنه فر ذات يوم من أستاذه الذي ضربه بلوح من خشب وكانت آثار ذلك اللوح لاتزال تحت حاجبه الأيسر حتى فارق الحياة وأن عمه قال له في قسوة كبيرة إذا قتله فإني لا أؤاخذه، ولكنه ذهب إلى دوار بجانب دوار الصديقات، يقال له دوار «الزرك» فوجد نسخة من الألفية، ألفية ابن مالك فحفظها في مدة غيابه التي كانت عشرة أيام، ولما رجع إلى مقره وتسلل حتى اتصل بوالدته رحمها الله وأعطاها نسخة الألفية وقال لها اذهبي بها إلى عمي وقولي له إذا أنا أمليتها عليه من حفظي هل تكون لي شفيعا عنده حتى لا يضربني، وذهبت أمه عند العم الذي كان مهابا، وقالت له بعد أن قبلت يده : إن ولدي جاء ليعرض عليك هذا الكتاب الذي حفظه فهل تسامحه ؟ فقال نعم، مائة بيت من ألفية ابن مالك في اليوم شفاعة مقبولة.

وحضر أمامه وأملى عليه ألفية ابن مالك ولم يتلعثم في بيت واحد منها، فقال : لابأس إن عدت مرة أخرى إلى الهرب زجرتك.

ومن هنا ابتدأ العم يأمر تلميذه ابن أخيه أن يكتب في اليوم في اللوح الألفية ليشققها له، ويشرح معانيها بين السطور، والتشقيق لفظة عربية لأنه يقال كما بالقاموس شقق الكلام أخرجه أحسن مخرج، ومن عادة التلميذ أن يحفظ المتن وما

شقق له به، وفعلا كان التلميذ يحفظ اللوحة المكتوبة بكل ما فيها، وهذه عادة كان والدي يفعلها معنا في طفولتنا ونحن في الكتاب، وهنا على إثر التشقيق في الألفية أقرر لكم أنه لما ذهب عند المولى الحسن إلى مراكش وهو في سن 13 حتى أتقن اللغة العربية اتقانا كبيرا، ولقد بلغ في آخر حياته وكان يدرس معنا الأشموني أنه كان يقول : أنا أجتهد في النحو كما أجتهد في الفقه.

في يوم من الأيام أيها الإخوان، أذكر وأنا أسرد الأشموني عليه أني قلت تنبيه على الأشموني ونحن نقرأ الابدال في ألفية ابن مالك، قال : ومما نقل عن العرب أن الياء تبدل جيما، وأنشد قول الشاعر :

خالي عويف وأبو علج ... المطعمان اللحم بالعشج

ففعل بيده هكذا وقال : امسكوا واكتبوا على نسخكم، ليست بلغة وليست بلغية والابدال لا يكون إلا من مخرج واحد هذا إنما هو عربي لكن أراد أن يقلب الياء جيما فلا تتبعوه فيما فعل.

وما كاد يتم الثانية عشرة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع وحفظ مختصر خليل وألفية ابن مالك وتحفة ابن عاصم واستحضر كثيرا من الشعر الجاهلي، وحصل على نصيب وافر من علم النحو والصرف وغيرها من علوم الآلة.

في مستهل الثالثة عشرة من عمر أبي شعيب الذي وثق في نفسه، ولاسيما بعد أن تشرف بالمثول بين يدي المشجع الأعظم للعلم والفقيه العالم النحوي سيدنا ومولانا الحسن الأول، تشجع هذا الطالب فاستقر بمدينة مراكش ولازم دروس كبار علمائها كالفقيه السباعي وغيره، وكلما سمع عن مدرسة بنواحي مراكش إلا وقصدها.

نعم ذهب إلى مدرسة سيدي علي امعاشو التي كانت معروفة بنواحي الصويرة ولازالت حتى الآن - مما قدر لي وأنا كاتب عام في الأوقاف والشؤون الإسلامية أنني بنيت بها كثيرا وأحييت فيها علم القراءات وأضفت إليها كذلك دراسات العلم، ولازالت حتى الآن يدرس بها علم الفقه - وهناك أتقن أبو شعيب المهاجر القراءات ومنها انتقل إلى مدرسة الشماعية بالشياظمة، وهي المدرسة

العلمية التي أسسها جلالة الملك المقدس المولى الحسن الأول ليدرس بها سادتنا الأمراء أولاد جلالته.

وكان بها علماء من أولاد ابن السبع، هذه المدرسة لما جاء الاستعمار جعلها «أروى» لخيل المراقبة، ولما استقل المغرب ودعاني سيدي ومولاي وولي نعمتي جلالة الملك الحسن أيده الله وأعز أمره، وحكى لي رؤيا أنه دعاه محمد الخامس رضوان الله عليه بطل التاريخ وأعجوبة الدهر وقال له : حافظ على الكتاب الأول، فقلت الكتاب الأول هو القرآن، قال لي : من الآن آمرك أن تبحث في المدارس القرآنية وأن تعنى بها كثيرا.

جئت إلى الشماعية وأرجعت تلك المدرسة إلى عمارتها وبنيتها وأصلحتها ووظفت بها عددا من العلماء وهي لازالت إلى الآن تقرأ القراءات وتعلم العلم.

ولما مكث في الشماعية مدة ارتحل منها إلى مدرسة سيد الزوين، ومدرسة سيد الزوين شهدت في أيام جلالة الملك العالم المصلح مولاي الحسن الثاني كل خير، بنيت بها أقسام وبنيت فيها مدرسة بنحو خمسين مليونا وأدخل إليها الضوء ووضف بها العلماء وأعطيت فيها منح للطلبة وهي لاتزال حتى الآن منذ خمسة أيام ذكرها لي سيدي ومولاي صاحب الجلالة في التيليفون وقال لي : إني سأبعث إليها رسولا خاصا لأجل تلاوة القرآن.

ذهب التلميذ أبو شعيب الدكالي إلى مدرسة سيدي الزوين وهناك وجد تلامذة ولده وعمه بمدرسة سيدي الزوين، فعرفوه، لأنهم كانوا قد تلقوا القراءة من والده وعمه بدوار الصديقات، وعلموا اتقانه لعلم القراءات وغيرها، وطلبوا منه مساعدتهم فتعاطى التدريس مع صغر سنه مدة سنة كاملة، ولكنه وهو الطموح الذي يريد أن يزود نفسه بشتى العلوم، قرر أن ينتقل إلى مدينة فاس، لشهرتها العلمية.

وشاءت قدرة الله أن يتعرف أبو شعيب على شاب يدعى قاسم القرقوري الدكالي وبقدر ما كان طموح أبي شعيب بأن يكون عالما كبيرا، كان طموح صديقه أن يكون تاجرا واسع الغنى.

ففي مدينة مراكش يشترك الصديقان في شراء حمار يضعان علية رحلهما ويتناوبان الركوب عليه من مدينة مراكش الحمراء إلى فاس الفيحاء، وفي هذه

الرحلة الطويلة الشاقة يتعرض الصديقان إلى كثيرا من المحن والأهوال ستجدونها معروضة عرضا جيدا في الترجمة ولما حلا بفاس قصدا القرويين عمرها الله، وكان أول درس حضره أبو شعيب في النحو لعالم كان يدرس التوضيح، وكان الدرس في أسماء الإشارة وحصل نقاش بين التلاميذ وبين شيخهم ورفع الخلاف أبو شعيب الدكالي حيث أملى على الشيخ الباب كله من حفظه للتوضيح، فقال الأستاذ : أنت تحفظ التوضيح ؟ فقال : نعم قال : تبارك الله وبسم الله الرحمان واستمر أبو شعيب في تلقي العلم مدة ستة أشهر وربما ثمانية، ثم رأى بعدها أنه يجب أن يرحل إلى الأزهر الشريف بالقاهرة ولكن يعوزه الزاد فارتحل إلى الريف حيث وجد وظيفا في العدالة، فتعاطى هذه المهنة مدة سنة كاملة ولدي رسم عدلي - سترونه مصورا بشكله وخط أبي شعيب - يشهد فيه معاملة بين مسلم ويهودي في ذلك التاريخ.

وكل ما اقتناه من وظيف العدالة كان يدفعه إلى صديقه السيد قاسم ويضعه في التجارة على الأسواق في أوقات اشتغاله هو بالأوراق، ويعرب له عن رغبته الملحة في الهجرة إلى الديار المصرية.

وهنا في هذه السنة أو سنة ونصف حفظ أبي شعيب الدكالي واستظهر عن ظهر قلب موطأ الإمام مالك بأساليبه، وحين جمع الصديقان قدرا لا بأس به من المال اشتريا سلعة (البلغة المغربية) وركبا باخرة وذهبا إلى مصر.

وهنا نسجل أن أبا شعيب قد حفظ موطأ مالك في الريف كما ذكرت وهنا تشاء قدرة الله أن يظهر فضل الله وكرمه على عبده أبي شعيب، فيلتحق بالأزهر، فيأخذ مقره هو وصديقه في رواق المغاربة.

ماذا يدرس أبو شعيب ؟ إنه على جانب كبير من الحفظ ومعرفة علوم الآلة واستحضار أمهات الفكر المالكي، لقد فكر أن يدرس علم الفلسفة، وقد درس علم المنطق وأتقنه جيدا، نعم رأى في قائمة الدروس التي تفرض على عموم الطلبة : إن فضيلة العلامة الشيخ محمد بخيت سيفتتح صبيحة الغد درسه، فرغب في الحضور بمجلسه، ولكنه بعد أن صلى صلاة العشاء والشفع والوتر ونام مبكرا ليستيقظ لصلاة الصبح رأى عمه الذي يخافه ويهابه يقول له (كان يهابه ويخافه في الهجرة ويكون الإنسان خائفا من أبيه إذا كان أبوه قاسيا أو شديدا في تربيته)،

أقسم بالله العلي العظيم أنني كنت بالقاهرة في مدرسة دار العلوم العليا وكانت تصلني رسالة والدي وكنت لا أستطيع أن أفتحها أمام الطلبة حتى لا أضطرب إلى أن أذهب إلى الدار وأقفل علي الباب لأقرأها ولا أجد إلا لهجة واحدة : الولد البار عبد الرحمان أصلحك الله سلام عليك ورحمة الله وبركاته، إن أمك وإخوتك بخير وإن الكل يسلم عليك، اعلم أنك ذهبت لمصر لتقرأ العلم ومصر مكتوب على بابها : «يا داخل مصر مثلك كثير» واعلم أن ورائك أبا عالما وأنه إذا جئت فإنه يمتحنك، وعند الامتحان يعز المرء أو يهان وفقك الله وهداك أبو شعيب الدكالي والسلام».

رأى عمه في المنام يقول له أبو شعيب أحضر غدا عند فضيلة الشيخ سليم البشري شيخ الديار المصرية.

فلما صلى الصبح وجد الطلبة يتهامسون بينهم ان شيخ جامع الأزهر سيفتتح الآن صحيح الإمام البخاري، فذهب إلى درس الشيخ المذكور، ومن هذا الدرس اتجه أبو شعيب إلى دراسة الكتاب والسنة، عكف أبو شعيب على حفظ صحيح الإمام البخاري وغيره، من كتب الحديث حتى استطاع أن يستحضر بعد عشرة أعوام مئة ألف حديث من كلام رسول الله ﷺ، كانت مدة إقامته بمصر مدة ست سنوات، حصل فيها على شهادة الأزهر وصار مدرسا مساعدا يعلم العربية والفقه والمنطق وعلوم القراءات ومصطلح الحديث والبلاغة، واشتهر بين شيوخه ورفاقه من العلماء المتخرجين بحفظه النادر ووطابه العامر وفصاحته وحسن أسلوبه حتى كان بعض شيوخه يلد لهم أن يحضروا بعض دروسه ومحاضراته وكان يلقى كامل العناية والعطف من لدن الجميع وقد استطاع أن يكون نصيبا من المال لأنه كان يشارك في كل جائزة للمتفوقين، وكان الطلبة يسمونه الصاعقة، وما أرى جائزة في علم من العلوم إلا وتسابق إليها وأخذها وكان صديقه السيد قاسم الدكالي القرقوري يتجر بباب الأزهر بما تيسر له من مال صديقه يبيع الكسكس، يبيع الحليب والخبز لطلبة الأزهر ويجمع من ذلك دراهم لا بأس بها.

وفي مذاكرة بين جلالة الملك عباس الخديوي وبين فضيلة شيخ جامع الأزهر حول رغبة وردت على الخديوي من أخيه ملك الحجاز الشيخ «عون الرفيق بأنه يرغب في أن يجد عالما للكتاب والسنة، يأتي مجاورا إلى مكة المكرمة، لينتفع منه سكان مكة والوافدون عليها من ضيوف الرحمان قال شيخ الأزهر للملك عباس

الخديوي إن لدينا بالأزهر الشريف شابا مغربيا نابغة وحافظا للقرآن بالقراءات كلها وواعيا للسنة النبوية، أعرفه ويعرفه الشيخ محمد عبده لأنه كان رحمه الله أحد الممتحنين لوالدي، ويعرفه الشيخ التركزي شارح القاموس ويحبونه جميعا سأخاطبه في هذا الشأن، فإن قبل فهو أهل لذلك».

ودعا الشيخ سليم البشري أبا شعيب وذكر له ما سمع، فلم يتردد الشيخ الشاب أبو شعيب في أن يعيد رغبته الأكيدة لمجاورته لبيت الله الحرام.

وقبل أن نذكر الرحلة الحجازية، يجب أن نقول أن أبا شعيب الدكالي اعتنق السلفية من منبعها لأنه وجد الدعوة السلفية قد انتشرت من بؤبئها ابن مجدتها المضلع الكبير الشيخ جمال الدين الأفغاني وأما الشيوخ الذين أخذ عنهم السنة والكتاب فكانوا كلهم يسيرون في طريق واحد وليس لهم هدف إلا إحياء السلفية مع كثرة الطرق التي كانت موجودة في مصر، فكان لزاما على المصلحين الذين أرادوا أن يجددوا لهذا الدين وجهه، أن لا يتهاونوا في السلفية وكان الشيخ محمد عبده داعية السلفية على صلة بوالدي وكان من جملة العلماء الممتحنين للشيخ أبي شعيب الدكالي.

أبو شعيب الدكالي في البقاع المقدسة :

ها هو الملك الشريف عون الرفيق يستقبل ضيفه أبا شعيب بقصره بمكة ويقول له : لقد قيل لي الكثير عن علمك وحفظك رغم ما أنت عليه من صغر سنك، وتبتدئ المجالس العلمية بحضرة الشريف عون الرفيق، وتقع المناقشة في شتى العلوم والفنون، ويستقر الأمر أخيرا على اعتراف علماء مكة بضيفهم بالتضلع في العلم والمعرفة ويحيط الشريف عون الرفيق ضيفه بالاكرام والعناية والتقدير وترتبط وثائق الصلة بين أبي شعيب الدكالي وكبار رجال مكة، وتجتمع أفواج من الناس في حلقات متعددة لتستمع إلى الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى تفسير القرآن ودراسة الكتب الستة في الحديث ودروس النحو والبلاغة والبيان والتبيين «للجاحظ»، والأمالي لأبي علي القالي و«المقامات الحريرية».

ويرى الشريف عون الرفيق أنه قد فعل خيرا كثيرا حينما تسبب في جلب هذا العلم الغزير إلى الديار المقدسة، ولكن هذا العالم الشاب العازب يجب أن يتزوج

فبيته أصبح مقصودا من طلاب العلم، فيخاطبه الملك عون الرفيق قائلا : لقد عرفك وزرائي كلهم واستضافوك ببيوتهم وكلهم يتساءلون متى سيتزوج الشيخ ؟ فاجعلني واسطة بينك وبينهم فكلهم لهم بنات ؟ فيجيب الشيخ أبو شعيب الدكالي: إنني راغب في الزواج غير أني كنت أتحرى وأريد أن يختار الله بيتا صالحا أتصاهر معه.

وهنا قصة لطيفة وهي كما حكى لي والدي عن زواجه بأمي : قال له الشريف، ألم تر بنات محمد بو الوزير الأول ؟ قال : رأيتهم وهم يناولونني الطعام وكثيرا ما ينادي واحدة بجميلة وحقيقة لا أكره أن تكون زوجتي، والشريف ماذا فعل، أتى بثلاثة أوراق وثلاثة وزراء وكتب في الأوراق الثلاثة جميلة بنت محمد وطواها وقال لمحمد بوخذ واحدة منهم أنت أكبر الوزراء ومن خرجت زوجته فهي زوجة الشيخ.

فجاء الوزير وأخذ الورقة وقال : إنها بنتي فقال مبارك مسعود وعقد عليها الوالد وهي أمي التي ولدت ولدها موسى وولدها عبد العزيز وبنتها خديجة وولدها عبد الرحمان كلهم في البقاع المقدسة في مكة.

وفي سنة 27 انتقلت إلى هنا مع الوالد وهي دفينة في المغرب.

هذه القصة الأولى مع الشريف عون الرفيق وهذه قصة زواج أبي شعيب الدكالي ودعا أكبر وزرائه كما قلنا ودفع الصداق واستمر الشيخ أبو شعيب يعلم العلم في الحرم المكي ويحضر مجالس علمية يعقدها الشريف عون الرفيق برحاب الكعبة، وأخذ عنه علماء كثيرون من سائر أنحاء الإسلام نعم يوجد هنا رفيق لي سافر معي إلى روسيا، وهناك في روسيا كان الشيخ ضياء الدين بابا خانوف ذكره الله بالخير، إذا وصلنا إلى قرية يقدم ضيوفه إلى المسلمين بروسيا وفي أثناء تقديمه لي بعد أن قدم الوزير السيد أحمد بركَاش، قدمني بعده، فجعل رجل إمام كبير يتجاوز المائة سنة يقترب حين سمع اسم الوالد، ودخل إلى داره وأخرج ورقة في قصبة فيها إجازة والدي له، يقول فيها : «حضرت علي وتعلمت علي القراءات وها أنا أجيزك بأنك تتقنها ولكن لا أغني لك من الله شيئا عما أعطاك الله من لكنة».

وجدنا تلامذة الوالد بكثرة في «بخارى» في مدن كثيرة وكلهم كان يقول ضياء الدين بابا خانوف ولده أخذ عن والدي هو نفسه، الشيخ سعيد مخنوف والده عن

والدي وجدنا تلامذة الشيخ أبي شعيب الدكالي منبثين في أقطار الدنيا وأخذ هو كذلك عن بعض العلماء الذين جاؤوا لأداء فريضة الحج.

منهجيته في تفسير القرآن :

هنا اسمحوا لي أن أتكلم عن منهجية أبي شعيب في تفسير القرآن الكريم ودراسة كتب الحديث، أما في تفسير كتاب الله تعالى فقد كانت تسرد عليه الآيات القرآنية فيتكلم قبل كل شيء عن أسباب نزول الآية ويقرر المعنى اللغوي لمفردات الآية ويوثر أن يفسر كلام الله جل جلاله بكلام رسول الله ﷺ فيأتي بالأحاديث النبوية التي لها علاقة بمعاني القرآن ويفيض فيها ويقول حينما تعجبه ويطرب لها زبد بعسل، ثم يتكلم عن القراءات ويعلل كل قراءة بما تدل عليه فإن كانت الآية في الأحكام فإنه يفيض في شروح المذاهب الأربعة ومذهب داوود الظاهري ومذهب الأوزاعي ويرجح بين مذهب وآخر بما لديه من اطلاع واسع على أصول المذاهب ويتعرض في تقرير إلى ما في الآية من بلاغة وبيان ومحسنات بديعية، وإذا قلت هذا فإنني أقوله بين إخوة كانوا من أجل تلامذه الذين يحضرون عليه، الشيخ المكي الناصري الأستاذ سيدي عبد الله بن العباس الجراري يعرفون هذا معرفة ثم إنه يتكلم عن الناسخ والمنسوخ، ثم إنه في دروس التفسير يربط بين سابق القرآن ولاحقه ويحاول ما أمكنه أن تكون المعاني متراصة في كتاب الله تعالى.

هذا الشيء قليل عن منهجيته في دراسة القرآن وأما في دراسة السنة فإنه يقرر السند ويترجم لكل راو من الرواة بالأول إلى الصحابي الذي روى الحديث، فيذكر لكل ميلاده ووفاته وشيوخه الذين أخذ عنهم ومن أخرج له من أصحاب كتب السنن ثم إذا فرغ من ذلك ينبري إلى تقرير الحديث وإلى سنده، الحديث له سبب كما أن القرآن له سبب مثل حديث : إنما الأعمال سببه فيما رووا وقالوا :

مهاجر لام قيس كي نكح   مثل امرأة فيه صلح

ثم يستقصي بعلمه الواسع جميع من أخرج الحديث واختلاف الروايات وإن كان الحديث قد أدرج في عدة كتب، وقد عرف بفصاحته المعهودة من نص الحديث وربما بلغت استفادته إلى ما ينيف من 50 أو 100 فائدة من حديث واحد، وكان يمزج هذه العلوم كلها في تفسير القرآن والسنة بملح أدبية تطرب لها النفس ويستمليها

طلاب العلم الذين يعيشون معه في هذا الاتساع العلمي متمتعين من فصاحته وصوته الجوهري الرنان «إلا بغيتوا شحكاية صغيرة» كان يقرئ كرامة الأولياء جاءت في القرآن في المواسين مراكش ويقول : يقولون أن أبا شعيب ينكر كرامة الأولياء، وأبو شعيب لا ينكر كرامة الأولياء وإليكم ما استحضره من كرامة الأولياء.

ويذكر أن كرامة الولي وصلت إلى إحياء الميت، قضية القاضي الذي جاءه الخصم وقال : إن هذا الذي مات هو الشاهد الدليل عندي، فقال : أدفنوه أم لا ؟

قال : لم يدفنوه قال : إيتوني به فقال : اللهم إنني عبد من عبيدك وهذان عبدان من عبيدك وحق هذا لا يثبت إلا بحياة هذا، فاحيا الميت حتى يؤدي الشهادة فقام الميت حتى أدّى الشهادة.

كان يقرئ كرامة الأولياء، فإذا برجل ذي سن كبيرة درقاوي «بل حتى نحن بالصديقات درقاوة أجدادي كانوا درقاوة» وقف بالمواسين فقال يا سيدي أريد أن أحكي لك كرامة فقال : إذا كانت لك «فبلاش».

قال : لابد أن أحكيها، فقال له قلها : لقد كنت بالصحراء ومعلوم أنه إذا لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا، فقال حتى هنا أنا متفق معك قال نزلت لصلاة العصر وضربت على الأرض بيدي ففعلت وفعلت وقلت ... وكبرت وقلت الله أكبر فجعلت الأرض تمشي أمامي.

فقال : «هذا والله لغير فكرون كان ناعسا وفيقته بيدك»

لقد أسندت إليه إمامة الحرم المكي وخطبة يوم الجمعة وقد كان معروفا بالمجاهرة بالحق ومحاربة البدع والضلال وفي عام 1321 هجرية حن إلى وطنه واشتاق إلى أمه وأقاربه واتصل بالخليفة السلطان العالم مولاي عبد الحفيظ الذي بلغه عن الحجاج مكانته بمكة.

فاستدعاه وكانت الصداقة بينهما متينة فأرغمه بالرجوع إلى المغرب، فوعده بذلك ورجع إلى مكة حيث وجد ولده الأول الذي سماه الشريف عون الرفيق موسى قال له إني سميته موسى رجاء أن يربى في حجرك تفاؤلا بموسى عليه السلام الذي ربي في حجر شعيب عليه السلام.

وواصل دروسه بالحرم المكي حيث ختم القرآن بتفسيره موطأ الإمام مالك والكتب الستة خلال المدة التي قضاها بالحجاز.

وفي عام 1327 هجرية أنا ولدت في 15 جمادى الثانية عام 1327 موافق 4 يوليوز 1909م وهو خرج من مكة في ذي القعدة من نفس السنة فحل ضيفا مكرما محترما على جلالة الملك العالم المحسن الكبير إلينا المولى عبد الحفيظ بمدينة فاس.

وهنا اسمحوا لي أن أقول لكم لقد وجهت إلى والدي سؤالا في يوم من الأيام قلت له : يقول بعض الناس أن علماء شنقيط الذين كانوا مع مولاي عبد الحفيظ هم الذين ألفوا له الكتب وهو لم يؤلف شيئا، فقال : اسكت كل تآليفه له وهو عالم متضلع.

فقلده رئاسة مجالسه العلمية التي كانت تعقد في شهور رجب، شعبان، رمضان وكان يحضرها كبار العلماء الذين كان والدي يجلهم ويحترمهم، شيخ الجماعة سيدي أحمد بلخياط رحمه الله ورضي عنه وغيره، سيدي أحمد بن الجيلالي، سيدي الفاطمي الشرادي، وكبار علماء القرويين بفاس.

ولقد حكى لي والدي قصة وسمعتها من فم مولاي عبد الحفيظ بفرنسا قال لي في يوم من الأيام : الوالد أبدع وأعاد في صحيح الإمام البخاري، فالتفت مولاي عبد الحفيظ إلى سيدي أحمد بلخياط فوجده يبكي، فقال مولاي عبد الحفيظ : ما لك يا سيدي أحمد ؟ فقال : يا سيدي ليتني كنت فيها جدعا ان هذا الشاب يملأ الدنيا علما، وإني أخاف من قصر عمري أنا أبكي لأنه لم يأت قبل اليوم لنستطيع أن نأخذ عنه كثيرا.

ولكن قدر الله أن يعيش سيدي أحمد بلخياط، وسوف ترون في مؤلفي رسالة من سيدي أحمد يجيب فيها والدي، حينما عينه رئيسا في المجلس التحسيني، هذه الرسالة يا إخواني تقولون كتبها مصطفى صادق الرافعي أو أحد من كتاب الشرق العربي، شيء عظيم في البلاغة والبيان وعظمة سيدي أحمد بلخياط، علم سيدي أحمد شيء كبير جدا للغاية، وإن كنت أنا لم أستمتع بعلمه، فإني من هذه الرسائل التي كانت بينه وبين والدي عرفت مكانة الرجل وعظمته العلمية.

في يوم من الأيام والوالد يترأس مجالس مولاي حفيظ قال مولاي حفيظ من يفيدني عن بيت من الشعر يوجد في الإمام البخاري وهو :

يـذكـرني حـبـيـبـة والـرمـح شـاهـر فـهـل لا كـان حـبـيـبـة قـبـل الـتـقـدم

وجه السؤال مولاي حفيظ للحاضرين، فقال من يعرف قائل هذا البيت ؟

فأجاب الوالد رحمه الله غير متسرع : إني أعرف قائله وأحفظ القصيدة التي فيها وأعرف من استدل به من غير البخاري وجعل يملي نحو الساعة في قضية هذا البيت، فلما تم الدرس دعا مولاي حفيظ حاجبه (الكرزي دلا يالو) وقال له إيتني ببغلتي الحمراء التي تعجبني وإيتني بالطباخة التي أعزها وأحبها (طباخته) وإيت بـ 200 لوزير وإيت بقاض وعدلين.

فلما حضر القاضي والعدلان قال أشهدكم أني أقطعت الشيخ أبا شعيب الدكالي بلاد أم اللياس بدكالة، وإني أعطيته كذا وكذا من أجل ما يفيدنا به من علم.

لا أستطيع أن أسطر في هذه العجالة ما فعله مولاي حفيظ معنا، ويكفيني أن أقول لكم بأن والدي رحمه الله قال لي في آخر عمره إياكم أن تنسوا إحسان المولى عبد الحفيظ لأبيكم.

واجتمع حول والدي علماء القرويين الكبار في جامعة القرويين العامرة، التي كانت تمتلئ بالعلماء والطلبة والأعيان وجميع طبقات الشعب لكي يستفيدوا من علمه الواسع.

وكان يجاهر بالدعوة إلى السلفية وينتقد بعض الشيوخ الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة وكان كلما سمع عن شجرة أو حجرة يتبرك بها إلا وسارع في القضاء عليها «لالة خضراء بمراكش شجرة سيدي علي بوغالب بفاس» واحد السدرة في الشاوية في الموسم ديالها والقبائل مجموعة وانزل وقال : «للشفور ديالو أرا ليا لصانص وصب عليها وشعل النار فيها، وجاء الناس يتسارعون فوجدوا أمامهم أبا شعيب الدكالي.

ولقد استطاع في أيام مولاي يوسف رحمه الله ورضي عنه الملك الصالح الذي ظلمه التاريخ ولم ينصفه ولدي الكثير في مؤلفي عن ترجمة الوالد عن سيدنا

مولانا يوسف وعن صلاحه وتشبته بدينه ووقوفه في وجه الاستعمار في قضية جامع السنة وفي غيرها من القضايا ولقد حكى لي المرحوم الفقيه العلامة المترجم للقرآن السيد أحمد التيجاني الشيء الكثير عن مولاي يوسف وسجلته عليه.

قد ساعده مولاي يوسف وساعده سيدنا بطل التاريخ وأعجوبة الدهر سيدي محمد الخامس على ما كان يريد، فحارب شدخ الرؤوس وحارب أكل اللحوم ومنع هذه الأشياء منعا باتا ولكن ويا للأسف ابتدأت هذه الأشياء تحيى.

لم يستطع أهل فاس أن يفارقوا أبا شعيب الدكالي ولكن شاءت الظروف السياسية أن يسند إليه مولاي حفيظ خطة القضاء بمراكش فتولى خطة القضاء وذهب إلى مراكش ولكنه أناب عنه عمي الأستاذ الفقيه السي الطاهر الصديقي أب السي الطيب بالرباط المعروف.

وهو لم يحكم بل تفرغ إلى العلم تفرغ بكلية ابن يوسف وجامع المواسين ونزح إليه كثير من طلاب العلم من زائري أنحاء الجنوب فأخذوا عنه ما شاء الله أن يأخذوا.

اسمحوا لي هنا قضية تاريخية مهمة في حياة أبي شعيب الدكالي تدل على تشبت أبي شعيب وعلى قوة إرادته وعلى جرأته بالحق وعلى أنه لا يهاب ولا يخاف وأنه المخلص الأول للعرش العلوي المجيد، محنة مراكش بل محنة المغرب كله وحلت بالمغرب نكبة الحماية وحلت بمراكش فتنة المتربصين فقد جمع الشيخ أحمد الهبة ابن الشيخ ماء العينين بعض أعراب الصحراء وبعض أهل سوس والحوز فزحف على مدينة مراكش فاحتلها ونصب نفسه سلطانا بها وألزم ولايتها وأعيناها مبايعته وقاضيها إذ ذاك أبو شعيب الدكالي الذي لا يخاف في الله لومة لائمة ولا يخشى قوة أي ظالم فجاهر باللعنة على من خرج عن السلطان وأباح الفساد في الأوطان وألزم أهل مراكش ما لا يطاق وردد على الملأ استنكاره للأعمال والتصرفات الهمجية حيث ضاق الشيخ الهبة درعا بهذه المجاهرة فاستدعى أبا شعيب للقصر ليجادله ويحاوره فأدخل عليه ليلة 18 رمضان 1330 هجرية وجلس خلف حجاب يستمع إلى الحوار الذي بين أخيه وخليفته الشيخ مربيه ربه وكان إلى جانب مربيه ربه القاضي ابن عبد العزيز فلما دخل عليهم قال مربيه ربه لابن عبد العزيز هل عرفته ؟ يعني أبا شعيب فأجاب ابن عبد العزيز إنه شيخ الإسلام مشرقا ومغربا ولكنه ارتد.

فانبرى له الشيخ أبو شعيب موجها إليه الخطاب قائلا : إن النبي ﷺ قال : «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فلقد لعن واحدهما ولاشك ولاشك أن واحدا منا مرتد وإني متيقن أني لست وأنك أقررتني بأني شيخ الإسلام وعلومي هي الحديث والتصوف والفقه ولا أستدل بالحديث لئلا يعتقد بي أني من أهل الاستدلال ولا أدعي هذا القدر.

أما التصوف فإني وإن كنت عرفته أوراقا فلم أكن أجيد فيه أذواقا فلم يبق إلا الفقه أيها الرجل فهل تحفظ باب الردة من المختصر ؟

فقال ابن عبد العزيز : لا أعرفه فأملاه الشيخ أبو شعيب عليه وقال له في أي قسم منها تجعلني، فقال ابن عبد العزيز يا أخي لا أدري فقال له الشيخ أبو شعيب، هل هذه الأخوة أخوة أم الأخوة إسلام ؟ من باب قوله تعالى : ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾ الأخوة البشرية من باب قوله تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ فقال ابن عبد العزيز إنك تلعن المجاهدين على رؤوس المنار فقال الشيخ أبو شعيب لم أفعل وهذا لا يوجب الردة لأنه ليس فيه تعييب وعلى أنه لوعيب لم يكن فيه كفر ولعله من باب قوله تعالى : ﴿ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ فذكروا لك أني أقف على ويل المصلين ولا أزيد أو ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ فنقلوا لك أني أقرأ ﴿ولا تقربوا الصلاة واقف﴾ وإلا فإني أذم المجاهدين الذين يكونون سببا في أخذ بلاد الإسلام فحذفوا لك التقييد كأبي عبادة وأبي حمارة وزعماء الشاوية وبني مطير واضرابهم ممن لا أحصيهم كثرة في شرق هذه الأرض وغربها الذين خرجوا على ساسة الملوك العلويين. فكشف الشيخ أحمد الهبة الستار وقال «إنه فكراش» أي رجل شجاع ثم قال إنك تضعف المسلمين وتقول ان أوربا 19 دولة وأما المسلمين فقد ضعفتهم، فقال له الهبة إنه سيحاربها جميعا فأكد قائد المشوران والد سيدنا «يعني الشيخ ماء العينين وعدنا بذلك وأنه ليس بكذاب «بل يحاربهم بحبة واحدة» فانقطع عن الكلام في المحاورة ثم طلب منه الشيخ أحمد الهبة أن يرسل إلى دكالة وإلى عبدة وقائدها عيسى بن عمران يأتوا إليه فأفهمه الشيخ أبو شعيب الدكالي أنه لن يفعل ذلك فتلا أحمد الهبة : «إذن لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم» ثم قال : إن هؤلاء الولاة لم يعطونا ذهبا ولا فضة، فقال الشيخ أبو شعيب إن الأولى بك أن تعاملهم بالرحمة.

قال الأستاذ الأخ العلامة مؤرخ المملكة سيدي عبد الوهاب بن منصور هذه القصة تدل على ثبات الشيخ أبي شعيب وتنبئ عن جلاله واستمساكه بالحق وإبائه مداهنة المتسلطين اسمحوا لي أيها الإخوة إن كنت أطلت عليكم.

أبـو شعـيــب الـوزيـــر :

بعدما بويع جلالة الملك الصالح الرباني مولاي يوسف رحمه الله - هنا تصحيح بعض الأخطاء - استدعى مترجمنا أبا شعيب الدكالي وقابله بالقصر الملكي بالرباط وعرض عليه وزارة العدل وقال جلالته باللفظ : إنه يتعين عليك قبول هذا المنصب لأنك ستنقد محاكمنا الشرعية مما لحق بها في جارتنا الجزائر فلم يسع أبا شعيب إلا أن يقبل هذه الوزارة التي تشرف على محاكم القضاء الشرعي ومعاهد التعليم الديني في وقت واحد وينضم إليها مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى.

وقد بقي في هذه الوزارة 12 عاما وكان استعفاؤه منها لا لسبب واحد بل لأسباب متعددة، منها أنه كان في الوقت نفسه رئيسا لمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى وقد عرضت على هذا المجلس قضية خطيرة جدا ملخصها : أن رجلا كانت له سلطة كبيرة في عهد الحماية أراد أن ينزع ملكية أراضي واسعة في الشياظمة لعدة قبائل ليمتلكها هو وربما معه بعد المستعمرين، وجاءت قضيته إلى هذا المجلس وأدلت تلك القبائل بعدة شهادات لفيفة تثبت تملكها وتصرفها في تلك البلاد فحكم رئيس المجلس أبو شعيب الدكالي باعتبار اللفيفات وإلغاء الشهادة «العدلية التي في صالح رجال الحماية وقال رحمه الله ودموعه تتقاطر على خده «لأن ألقى الله عز وجل والأرض في يد ملاكها خير لي من أن أعلن شهادة عدلية جائرة وأ همل اللفيف».

وكان من الأسباب الكبيرة أنه بعد استعفائه جاء الشيخ الوقور العلامة الصالح النزيه عبد الرحمان بن القرشي رحمه الله إلى وزارة العدل وفي يوم من الأيام حمل الملف وجاء عند والدي فقال له : (كيف أخويا أعملت حتى عملت اللفيفات وأهملت العدلية وهذا مخالف لنصوص الفقه ؟).

فقال له مولاي عبد الرحمان الشريف العزيز قال رسول الله ﷺ : «قاضيان في النار وقاض في الجنة، أنا لا أريد أن أكون قاضيا في النار فاخترت ما ألقى الله به»

فذهب سيدي عبد الرحمان بن القرشي عند سيدي مولاي يوسف ودخل يبكي وقال: والله ما يكون الشك هو غادي للجنة وأنا غادي للنار.

ثم بعد ذلك عرضت هذه القضية على العلامة المرحوم السيد أحمد بلمواز رحمه الله وبلغ والدي أنه أعطيت له سيارة «منيرفا» كان لها بال آنذاك مثل «بونك» فجاء والدي بكسائه وسبحته ودخل عند مولاي يوسف لأنه كانت قضية العلوم وكانت صلة كبيرة بينهما وذهب إلى «البنيقة» ديال بلمواز فوقف بلمواز ليسلم عليه فقال له : أسي أحمد بلمواز والله لا تمر بك «المنيرفا» على الصخيرات فاتق الله فإن 25000 مغربي تنتزع منهم أراضيهم.

هذه إحدى القضايا التي هزت الإقامة العامة وهزت المارشال «الليوطي» وكان من الأسباب أن المارشال ضاق درعا بما يصله عن الشيخ أبو شعيب الدكالي من انتقاد تصرف رجال الحماية، وهنا قصة صغيرة جرت : جمعت المترجم والمارشال مائدة غذاء عند الوزير الحاج عمر التازي رحمه الله وضعت على مائدة الطعام الأكلة المعروفة بالبصطيلة فقال اليوطي بعربيته المتلكئة «منين جات الشيخ بوشعيب هذه البصطيلة لهنا المغرب» فقال له والدي : هي مأكلة تركية جاءتنا من الجزائر فقال «الليوطي» مستغربا : الجزائر أنا كنت في الجزائر مدة طويلة عمري ماشفتها قال له : الا بقيت لا قدر الله في المغرب بحال كيف بقيت في الجزائر عمركم ما تشوفها في المغرب.

إخواني وطنية والدي لم أتكلم عنها، بل يكفيني أن أقول بأني سمعت من أخي المرحوم الزعيم سيدي علال الفاسي رحمه الله - وهنا اسمحوا لي لحظة قصيرة، سيدي علال رحمه الله كانت عندي معه صلات كثيرة ومتينة وأنا الذي قلت فيه :

علال لا تنس جهادك أمة	حفت بها الأهوال والالام
مازلت تحمد في جهادك غربة	لم تثن عزمك تسعة أعوام
أرض الكنانة والزعامة موطن	فعليك فيها يا زعيم سلام

وأنا الذي قلت في سي علال :

لئن كان في منفاه علال مفردا	فعلال في كل المزايا فريد

ليس المقام مقام الوطنيات، ولكن وطنية أبي شعيب الدكالي، أعلم - والله على ما أقول شهيد - أن إخواني إذا لم يخرجوا للمظاهرات مع إخوانهم فإنه يهددهم ويقول : إياكم أن تغضبوني فأقول الكلمة القبيحة، أخرجوا مع إخوانكم للمظاهرات ضد الاستعمار.

واعلم أني كنت في مصر لما جاءت قضية الظهير البربري كتب نداء إلى العالم الإسلامي «صوت صارخ من مراكش» وصحبه محب الدين الخطيب صاحب جريدة «الفتح» رحمه الله وصادرني رئيس الدبلوماسية الأجنبية في القاهرة «المسيو كايار» سفير فرنسا واستطاع أن يحصل على إذن من إسماعيل صدقي باشا ليرجعني إلى المغرب، وأخرجت من القاهرة رغم أنفي، وكان لي بها أصدقاء كبار مثل الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي كان يزورني في منزلي، صبري فريد، عبد الرحمان الشهبندر، الحسين العسكري إلى غيرهم... ولما رجعت إلى المغرب سلمت إلى السلطة الفرنسية في عرباوة، وأخذت كتبي وأدخلت في الإقامة الاجبارية في بيت والدي.

وذهب بي والدي إلى بطل الدهر وأعجوبة التاريخ سيدي محمد الخامس الذي أقول فيه :

جمعوا القبائل صادرت	ماذا يراد بجمعها المتتالي
وتألموا والغاب فيه هزبر	شلت يد مدت إلى الرئبال
ما زلزل الملك العزيز بقوة	أو نيل بالذهب بأي منال
إنا لنخضع تحت عرشك والوفاء	للعرش دين الواحد المتعالي

أخذني إليه، وقدمني إليه وقال هذا الذي عذبني واتعبني في الإقامة العامة ها هو قد دخل، فقال أنت راض عنه ؟ لأنه ما حاد عن الطريق التي أريدها وهي في سبيل وطنه وفي سبيل بلاده.

وطنية أبي شعيب الدكالي :

لما جاءه الإخوان من الرباط وعرضوا عليه أنهم يريدون أن يؤسسوا حفلة عيد العرش قال : نعم وأخذ الورقة وكان أول من وقع فيها وكان عيد العرش بالنسبة إلينا بمثابة يوم تفخر فيه النفوس.

فعيد عرشك مهرجان قائم   بل عيد عرشك أمة بك تبشر

كنا نجد ما نقول في عيد العرش، وطنية أبي شعيب الدكالي طويلة وعريضة ولا أريد أن أثقلكم بها.

كان من الأسباب كذلك أن الحاجب التهامي عبابو يتضايق كثيرا من اتصال أبي بجلالة السلطان مولاي يوسف، فلما أعطاه مولاي يوسف ومنحه ظهير وزير شرفي تفرغ لتدريس العلم، فكانت له خمسة دروس في اليوم والليلة : الشاطبية في علوم القراءات بعد صلاة الصبح، التلخيص في البلاغة في العاشرة صباحا أساس البلاغة في زاوية الشريف في الظهيرة الأشموني على ألفية ابن مالك بعد صلاة العصر، التفسير بين العشائين.

إخواني اسمحوا لي بقيت عندي - علاقته بطلبته - حياته في أسرته - طلبه للكتب - آثاره العلمية فيها كلمة واحدة، هذا الشيء كله حذفته لأني أطلت.

آثـــاره العـلـمـيـــة :

قال الأستاذ الحبيب العزيز، العلامة، المؤرخ سيدي عبد الوهاب بن منصور لا كتب مقالا ولا ألف تأليفا، لا لا، توجد بين أيدينا أكثر من عشر محاضرات ألقاها ارتجالا في المدارس وألقاها في جمعية الحرمين وتكلم فيها عن الأوقاف الإسلامية.

وعند عائلة السيد البكاري رحمه الله من تلامذته أمالي أبي شعيب الدكالي على أمالي أبي علي البقالي «وكان يقول ضاع تأليفي، ضاعت خزانتي كان تركها عند آل عون بمكة فباعوها لرجل من الهند وأخذها ومن جملة ما فيها شرح مختصر الخليل.

لا نقول بأنه ما كتب، بل كتب ويكفي أنني سأبرز مع «الترجمة 388 حكما أمضاها هو بنفسه من أحكامه بالاستئناف الشرعي الأعلى وهذا مرجع الآن بالمجلس الأعلى في القضاء من أكبر المراجع.

الشيخ أبو شعيب الدكالي كتب وألف رحمه الله وسيظهر هذا مع ترجمته إن شاء الله.

مرض رحمه الله وأراد الله أن يموت، وعانى من محنة المرض سنة وثمانية أشهر، وما عاش إلا 59 سنة وأنا الآن في 71 من عمري وهو رحمه الله مات على رأس

الستين منها عامين لم يتكلم، وكان رحمه الله في مرضه دائما يتلعثم، فقلت له مرة ما تقول يا والدي ؟ فقال لي لازال بحمد الله أختم سلك ثلث اليوم من القرآن.

هنا الموقف المؤثر جدا للغاية، اشتد الحال واشتد المرض على شيخ الإسلام وعلامة الدنيا ومحدثها أبي شعيب الدكالي، فواصلنا البكاء ليلا ونهارا وجاءنا يوما من الأيام مولانا جلالة الملك العظيم سيدي محمد الخامس ومعه صاحب السمو الملكي ولي العهد سيدي مولاي الحسن - فاندهشنا - فدخل على والدي وجلس بجانبه فجعل والدي يشير إليه كثيرا ونحن لا نفهم شيئا، ولما خرج سيدنا وعيونه فيها الدمع قال له سيدي محمد الحاج الربيعي الحاجب ماذا كان يقول لك يا سيدي الشيخ أبو شعيب الدكالي ؟ إننا جميعا مع أولاده لم نفهم شيئا.

فقال سيدي محمد الخامس، الشيخ الإمام السياق، كان يوصيني بأولاده وصعد إلى السيارة.

فلم تضع محبة أبي شعيب، وإخلاص أبي شعيب ووفاء أبي شعيب واعترافه بالفضل للحسن الأول أو الحسن الثاني عاش بين الحسنين وشهد رضى الحسنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة أبي بكر بن الطاهر زنيبر السلاوي[1] في تأبين شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي

(تحت عنوان أبو شعيب المدرس)

الحمد لله على إفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

أيها السادة الكرام، الأماجد، الأفاضل، الأعلام، قمت لأحدثكم بدوري في هذا المحفل الحفيل، بعض أحاديث عن شيخ الإسلام الراحل إلى جوار ربه الكريم، أبي شعيب الدكالي رحمه الله، فاسمحوا لي بالإصغاء.

شيخ الإسلام وما أدراك ما شيخ الإسلام، عبقرية نادرة في المغرب وشخصية بارزة في تاريخه، ويتيمة عصماء ما أقلت أرضه ولا سماؤه مثله منذ أزمان، فهو أحرى بقول المتنبي في ممدوحه :

«هو البحر غص فيه إذا كان ساكنا ... على الدر واحذره إذا كان مزبداً»

ويقول أبي تمام في ممدوحه أيضا :

«هو البحر من أي النواحي أتيته ... فلجته المعروف والبذل ساحله»

قمت لأحدثكم عن هذا الشيخ الجليل وقلبي يخفق، وكبدي تضطرب، وفرائسي ترتعد، إذ مقام الرجل يجل أن يحدثكم عنه عاجز مثلي لأني ما سعيت أن أدرس أمامكم من حياته وحياته كلها عظائم وأعمال جميلة، ولها نواح شتى،

---

(1) هو أحد تلامذة الشيخ.

ومناهل عذبة متنوعة تستغرق سفرا أو أسفاراً. «ولكن البلاد إذا اقشعرت... وصوح نبتها رعي الهشيم» وحيث تنوعت مناحي حياة المرحوم، فقد إخترت أن أحدثكم عنه من الناحية التي قام بها وحده في المغرب، وما شاركه فيها غيره من العلماء، وهي ناحيـة الإصلاح القضائي، ولأجل أن نتناول ذلك ينبغي لنا دراسة حال العلم والقضاء قبل قيامه فيهما لما قام به، فنقول :

من الضروري الذي لا يحتاج إلى بيان أن حبل العلم كان قد اضطرب بهذه الديار قبل أوبات المرحوم من المشرق تبعا لاضطراب حالتها السياسية والاجتماعية، وعم الركود سائر المجالس والمدارس العلمية، بحواضر المغرب وبواديه، ومدنه وقراه.

فكنت لا ترى المجالس إلا معطلة من الدروس، ولا المدارس إلا خاوية بمن يعمرها، ولا الطلبة إلا مشغولين بغير ما خصصوا أنفسهم له، ولا العلماء إلا متأففين متضجرين من هذه الحالة، من غير أن يمتدوا إلى درسها درساً يحل مشكلها، ويكشف النقاب عن وجه علاجها، والدواء النافع فيها.

وبالجملة فقد كاد حبل العلم أن ينقطع إذّاك، وسراجه أن ينطفئ بالكلية، لولا دروس ضئيلة كانت تقام بالقرويين وبعض مدن المغرب كالعدوتين ومراكش، على ما فيها من اختلال النظام، وكثرة البطالة لسبب ولغير سبب، حتى إني أحدثكم ها هنا وأنا المتخرج من مدرسة سلا، أنه لم يتفق لي قط أن ختمت متن الأجرومية على شيخ من شيوخنا بقراءة منظمة غير منقطعة، بل لو حدثتكم أنه لم يتفق لي ختمها على شيخ واحد ما كنت مبالغاً، وقل مثل ذلك عن ابن عاشر وغيره من المتون المعدة لصغار الطلبة، أما الألفية والمختصر وهما المتنان المعدان للطبقة الناهضة من الطلبة، فقد كانا تمر عليهما السنون الطوال مثل العشرين بالنسبة للأول، والعشرين بالنسبة للثاني ولا يختمان، وتحضر افتتاحهما طبقة من الطلبة ولا يحضر اختتامهما إلا طلبة رابعة أو خامسة بعد ذلك.

وكانت تحشر في دراستهما شروح وحواش متعددة، وكل ذلك يسرد بالمجلس الواحد، حتى إذا نهض الطالب من المجلس، نهض وفكره خال من تحصيل ما حضر لأجله، وهو تصور كليات الفن، والاستعداد لتطبيقها على جزءياتها، فحشروا كثرة الأبحاث والإيرادات والأجوبة الفارغة التي لا طائل تحتها في الغالب، والتي

تؤدي إلى إيقاف الأفكار، وحصرها في دائرة ضيقها من الإدراك، إذ قد اعتاد الشراح المتأخرون أن يتتبعوا المتون ويشرحوها من سائر وجوهها، منطوقاً ومفهوماً، ونصاً وظاهراً، وحقيقة وتأويلا، فإذا حشاه محش تتبع ما بقي من ذلك، وزاد عليه إن صار يشرح بعض تراكب ذلك الشرح، ويحل ضمائرها وأسماء الإشارات فيه وما شاكل ذلك، حتى لا يبقى شيئ من الفن للطالب يستخدم دهنه فيه بما أوتي من حرية مطلقة، بل الشارح والمحشي بسبب تتبعهما لسائر مواد المتن يقيدان حريته ويلزمانه أن يتبع فهمهما، ويقولان له بلسان الحال، قد خدمنا لك المتن والفن فما عليك إلا أن تستريح، فصار مثله بالنسبة إليهما، كمثل من رام تعلم الطهي من طباخ ماهر، فطبخ له ذلك الطباخ طعاما لذيذا وقدمه له، وقال : كن هكذا تطبخ، فأكله ذلك المسكين واستلذه من غير أن يدري كيفية تركيبه التي هي المقصودة له، فهذا دور الشارح والمحشي بالنسبة للطالب، أما دور الأستاذ بالنسبة إليه، فإنه لا يقنعه في الدرس شرح وحاشية، بل يحشر لذلك ما شاء من الشروح والحواشي، ويصير يسرد الجميع إلى أن يقع الطالب في المهواة التي أشرنا إليها.

وأذكر أني كنت أحضر دروس الشيخ خليل على بعض أشياخنا رحمهم الله، فكان يستحضر في ذلك الدرس الزرقاني، وبناني، والرهوني واختصاره، وربما استحضر الخرشي والعدوي، وكنت أحضر الألفية على بعض أشياخنا، فكان يتتبع في ذلك المكودي، والتوضيح والتصريح وربما سرد حاشية ياسين على التصريح.

وأذكر أننا كنا نسرد البخاري في شهر رمضان على بعض أشياخنا بداره، فكنا نستغرق النهار كله في مراجعة شروحه وغيرها، وكان يحصل للناس من الضجر من جراء ذلك ما الله أعلم به، حتى إنه اتفق لي يوما معه، أنا كنا نفطر لديه بعد الغروب، فجرت مذاكرة متعلقة بدرس النهار، فأمرني بمراجعتها بعد الفطور فأجبته أنني مللت من السماع فضلا عن المراجعة.

وكانت لبعض المدرسين طريقة أخرى في الدرس، قليلة التحصيل والجدوى أيضا وهي أن يعتمد المدرس على حفظه، فيراجع ما شاء من شروح وحواش فإذا حضر الدرس سار يلقي ذلك عليهم بنص ما حفظ، والويل كل الويل لمن أراد أن يراجعه في شيء مما يلقيه، استهداءا أو بحثا أو غير ذلك، لأن ذلك يشوش على الشيخ الأستاذ، ويقطع عليه حفظه، ولأن الغالب على الحفاظ أن لا يعتنوا بالمعاني

وإنما همهم الحفظ وأداء الأنقال بنصها، وقد شاهدنا عدم التحصيل في كثير ممن كان يحضر هذه الدروس وضعف الملكة فيهم، لأن أفكارهم وقفت وعودها المؤلفون والمدرسون الراحة وعدم الإنتقاء والإختيار.

فهذه حالة العلم عندنا قبل أوبة شيخ الإسلام رحمه الله الذي اجتمعنا للعبرة بمماته وحياته، ولعمري أن كلا من حياته وموته لعبرة لمن يعتبر.

فلما آب الشيخ من الديار المشرقية، آب بجراثيم النهضة والحياة الجديدة المتبعة في الأقطار الناهضة، وعمل على بثهما عمليا لا فكريا أو قانونيا، لأن الحالة إذّاك لم تكن تقبل الإصلاح فكريا أو قانونيا، فأخنى بعمله هذا على ما اعتاده التلاميذ والأساتيذ من الخمول والكسل والبطالة لسبب ولغير سبب، فكان رحمه الله على ما طوقه من الوظيف والمقابلات الرسمية وغيرها وذلك يستغرق جل أوقاته، دئوبا على الدرس أينما حل ورحل، دءوباً على المذاكرة في العلم، دءوباً على التشويق إليه، وكان ربما رحل من بلد إلى بلد لا لشيء يقصده سوى بث العلم ونشره بين كافة الطبقات، وكلكم أيها الحضور، كنتم تعرفون هذا من الشيخ وتشاهدونه فيه.

وقد اخترع رحمه الله ضرباً من التدريس، هو نفس الإصلاح الفعلي الذي أدخله على طرق التعليم بالقطر، فإنه كان يراجع ما شاء من شروح وحواش بمنزله، ويلخص ذلك في ذهنه، فإذا أتى الدرس تصرف فيما حفظ، وأتى به معنى لا لفظاً، فكنت لا تراه يقول قال فلان وقال فلان، ويسرد أقوالها بلفظها، بل إنما يأتي بها معنى ويلقنها للطالب تلقينا يفهمه به إياها، وبطريقة التلخيص هذه تسنى له أن يقرأ في علم واحد ما كان غيره يقرؤه في عشر، وكان يقبل بالمجلس سائر ما يلقى عليه من المراجعات والأسئلة بصدر رحب.

ثم أقبل رحمه الله على دراسة ما لم يعتد المغاربة دراسته منذ أزمان من الكتب مثل تفسير القرآن العظيم، وكتب الحديث الست وغيرها، وفتح للناس بدروسه هذه المحتوية على مراعاة كثير من القواعد العامة في تفسير القرآن والحديث والمشتملة على كثير من الاستنباطات الفقهية والنحوية والصرفية والبيانية وغير ذلك، فتح للناس بذلك باب الفهم في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما لم يفتحه عالم غيره وأطلقت ألسنتا الناس من عقال الجهل بذلك،

وكثر خوض الناس وكلامهم في سائر ما أمكنهم من الفنون التي كان يقرئها، واتسع نطاق العلم بتلك الدروس ولاسيما بالعدوتين، حتى سار غالب من يحضر مجالسه علماء في الجملة، وحقق بدراسة التفسير، قول الله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾، فأزاح بذلك ما كان يوحي به شيطان الجهل إلى القلوب أو ما كان يتسرب بين العامة من أقوال الفقهاء العاجزين، التفسير شيء عظيم لا ينبغي الدنو منه، والقرب من ساحته حتى إني سمعت بعض الناس يقولون : التفسير صوابه خطأ وخطؤه كفر.

بقي شيء آخر لابد من التنبيه عليه في هذا المقام وهو أن هذا العالم الجليل، المحدث الواعية النبيل على رسوخ قدمه في العلم وتفوقه في أنواع فنونه لم نعثر على تأليف في فن منها، وقد كنت سألت أخانا في الله الفقيه العلامة اللوذعي سيدي العربي الناصري رئيس المحكمة العليا (أطال الله بقاءه) وذلك قديما لشدة إطلاعه على أحواله فأخبرني أن له تقييدا على ألفية ابن مالك في النحو ثم أخبرني الغير أن له تقييدا في القراءات ثم أخبرني آخر أن له شرحا على المختصر بلغ فيه نحو الربع يستشهد على كل مسألة من مسائله بآية أو حديثا.

ولعل السبب في قلة تآليفه رحمه الله أن الأمم في دور الإنتقال، وطرح تبدل الأحوال، تصد أقلام كتابها وأفكار أعلامها عن التأليف والنشر لتجاذب أحوال القديم والحديث إياهم، وتطلب كلا منهما الانحياش إليه منهم، فيشكل الأمر على أولائك الكتاب الأعلام، ولا يدرون أي الطريقين يتبعون، ويصير لسان حالهم يردد ما كان قاله بعض رواة الشعر وأهل الخبرة به لما سؤل لماذا لا تقول الشعر وأنت أدرى الناس به، قال : (ما يعجبني لا يأتيني، وما لا يعجبني يأتيني) حتى إذا ما تمحض الأمر للجديد، اندفع تيار الفكر يعمل عمل السيل المنحط من علٍ، وكثر في الأمة التآليف والنشر، ولله في خلقه شؤون، لا يجليها لوقتها إلا هو.

أما ناحيته الإصلاحية في القضاء فقد ولي رحمه الله وزارة العدلية وخطة القضاء بالمغرب، وقد أصابته أيد الفوضى وعمها الخلل، وغشيها من ضروب التهاون والتلاعب ما لا يطاق، فهجر القضاة المحاكم وصاروا يحكمون بباب دورهم، استثقالا منهم أن يراهم الناس يغدون ويروحون للمحاكم، وقبلوا الشفاعات في الحقوق، وصارت النوازل كلها تفصل بمن أيديهم عن طريق الصلح ولا تكادوا

تسمعوا بحكم شرعي صدر إلا نادرا ونصبوا للشهادات بين الناس من يستحق النصب ومن لا يستحقه، وأقاموا على اليتامى والقاصرين من لا يستحق ذلك. إلى غير ذلك مما يندى له الجبين عرقا.

فلما ولي المترجم وزارة العدلية تم بهذا المنصب الخطير غاية الإهتمام، واستصْدَر ظهير العدلية الأساس سنة 1332هـ وفيه من الإشعار للقضاة ما فيه من عزة منصبهم وعلو مركزهم، إذ قرر علاقاتهم مع الأمة، ثم علاقاتهم مع المفتين والعدول والوكلاء وأرباب البصر والأعوان والمراقبة الحالية، وقرر لهم أجورا تكفل معاييشهم في الجملة، وعمم القضاة في سائر ما أمكنه من الحواضر والبوادي.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فتح عليهم به باب البحث والتنقيب عن أحوالهم حتى لا يركنوا للإستبداد وتضييع الحقوق، ثم فتح بمكتبه باباً لقبول شكايات المتظلمين منه ومن العدول وغيرهم من أعوان المحكمة، وأقام به مفتشين يوجههم للبحث والتنقيب في المحاكم كلما دعت الحال.

فهذا أيها الحضور الكرام أنموذج مما قام به هذا الرجل العظيم الخالد الذكر، وقل من كثر من أعماله المجيدة، فحق على كل فرد منا أن يقدر قدره ويرفع ذكره، ويمجد آثاره ويكرمه بإكرام أنجاله من بعده، وأن يمد يد الضراعة والإبتهال إلى الله الكريم، أن يجعله في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

ربنا حقق رجائنا فيك بإكرام هذا السيد الجليل، فأنت أحق بإكرام من كان لسانه رطبا بذكرك، وقلبه مملوءاً بحبك وحب نبيّك، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة.

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقوننا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم). ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

في 11 جمادى الثانية عام 1356.

أبو بكر بن الطاهر زنيبر السلاوي

وفقه الله.

رجل مات والرجال قليل[1]

يموت الناس كثيراً وكل الناس يموتون ولكن موت العظماء أعظم نكبة وأفدح رزية وأكبر خطورة وأشد موقفا، وهيهات أن تتساوى حياة الرجل العادي وحياة الرجل العظيم فتتساوى موتهما وشتان بين الرجل لنفسه والرجل لأمته فيكون الخطب بفقدهما واحدا والمصيبة متشابهة، حياة العظماء حياة عمل وإصلاح وسعي وراء ما ينهض الأفكار ويقوي العزائم ويهذب الأخلاق فهي إذن حياة حقيقية إذا خلت من أمة كانت خلواً من كل معان الحياة وإذا فقدت الأمة أبناءها الأحياء ضاعت أماني وذهبت أحلام فهل لموت الناس ما لموت العظماء من تأثير.

لعمرك ما الرزية فقد شخص	ولا ولـــد يموت ولا بـــعير
ولكن الرزية فقد شخص	يموت لموته خلـق كثير

لا غرابة في الموت، ولكن الغريب موت القريب، إن المغرب كشعب عربي صحيح له عظماؤه ونوابغه وفي كل الأطوار التي اجتازها كان المثل الأعلى في النبوغ والطموح وكم أنجب من شخصيات كان لها الأثر الكبير في النهوض الفكري وازدهار المعارف وهذه آثارهم ماثلة بين أيدينا تنطق بمبلغ ما وصلوا إليه من عظمة ومجد.

هذه آثارنا تدل علينا	فانظروا بعدنا إلى الآثار

ولسنا الآن في معالجة هذا الموضوع فنطنب في القول ونأتي بالمثل الصادقة التي تطأطئ أمامها الرؤوس، نحن في تأبين الشيخ أبي شعيب وذكرى أربعينيه فلتكن هذه الشخصية وهي معروفة لدى أكثر الناس صورة جلية للنبوغ المغربي.

أبو شعيب الدكالي شخصية فذة ومعجزة من معجزات العروبة، وآية من آيات الإسلام وعظمته لا يستغنى عنها لدى المسلمين في عصر من العصور فليست من

(1) نص الكلمة التي أبن بها الأستاذ الأديب عبد المجيد الفاسي شيخ الإسلام أبا شعيب الدكالي.

أشكال العظمة التي تهجر حسب التطورات الجديدة والاعتبارات الطارئة فهي عظمة دينية بحتة وهذا قدر لا يمكن للمسلمين تحويل النظر عنه واعتباره شيئا لا يهم كثيراً في عصر كهذا، فإذا بكينا اليوم أبا شعيب فإننا نبكي فيه العظمة الدينية والشهامة العربية والفصحى وآدابها والحديث وأسانيده والتفسير وغرائبه والقراءات ووجوهها، نبكي فيه الرشاقة الكلامية والخطابة المقنعة والفكر المنتج والعقلية القوية ونبكي فيه رجل البحث والاستنباط والتفكير والاصلاح والدعوة إلى الجديد النافع والشمم العالي اللائق بكرامة العلم والشيم الفاضلة والخلق الكريم الفطري.

نبكي فقده في وقت أحوج ما نكون لأمثاله وفي وقت لا تجد فيه بين ظهراني الشمال الافريقي بل والعالم العربي أجمع من يماثل الشيخ روح الله روحه في قوة حافظته وغزارة معلوماته واطلاعه الشامل فلو كان هناك أمثاله لخف وقع المصيبة إذ الموت مثال كل حي ولكن الذي روعنا وتركنا مشدوهين هو انفراد الشيخ أبي شعيب وقد مات فينا لجلال الموقف ويا للمصيبة.

مصاب لو أن الأرض نال أديمها ... لما انبعت نهرا ولا انبتت زهراً
ولو أن آفاق السماء أصابها ... لما اطلعت شمسا ولا أنزلت قطراً

رحم الله شيخ الإسلام ومرشد الأمة رشيد الدين رضا أشار في كلمة رثى بها الشيخ بدر الدين محدث الشام إلى أن يموت هذا المحدث الكبير ضاعت للأمة الإسلامية شخصية عظمى في علم الحديث ولا يعلم وجود من يخلفها في العالم العربي عدا بقية لاتزال في بلاد المغرب وأظن قال وفي بلاد الهند وأراه رحمه الله يعني الشيخ أبا شعيب والحقيقة ما قال، فإن أبا شعيب حافظ بما يحمله اللقب من معاني حافظ على نهج حفاظ القرون الأولى يحفظ عشرات الآلاف من الحديث ويعرف الرجال وطبقاتهم ودرجاتهم ومواليدهم ووفياتهم كأنه حضر كل واحد وكثير ممن حضر ليس في مقدورهم ضبط تلك التراجم ضبطا متقنناً ليس فيه شيء من الزيادة والنقصان اللهم إلا أفراداً وهبهم الله رجاحة الذاكرة كأبي شعيب، ولئن أشاد رضا بهذه المنقبة فالمشارقة والمغاربة أجمعون يشيدون بذكرها ويعرفون مكانة أبي شعيب بين أهل العلم وليس في استطاعة أحد أن يكابر في هذه الظاهرة وَهَبْهُ كَابَرَ.

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة ... ان لا يرى ضوأها من ليس ذا بصر

وقد حضر أكثر العلماء والطلبة دروسه واستفادوا منها سواء في الحجاز والشام أو مصر وتونس وبالأحرى المغرب الأقصى في كل مدنه وبعض من قراه.

جاء في مجلة الجامعة التونسية جمادى الأولى 1356، عند إنبائها بوفاة الشيخ أبي شعيب : وقد امتاز هذا الفقيد الكبير بقوة الحافظة وسعة الاطلاع وقد عرفته تونس حين زار البلاد التونسية واقرا درسا في الحديث بجامع الزيتونة، قدمه فيه فضيلة المنعم المبرور شيخ الإسلام الحنفي السابق وحضرت شيوخ المجلس الشرعي ووزراء الدولة وعلماء الزيتونة، ثم قدم تونس مرة أخرى في المؤتمر الأول الذي هيأته الحكومة الفرنسية للغة العربية وحاضر في المؤتمر وبفقده وفقد عالم الشام الكبير الشيخ بدر الدين الحسيني فقد العالم الإسلامي أكبر محدثين عرفهما في العصر الحاضر.

ولئن كان أبو شعيب حافظ السنة فهو حافظ اللغة وكلام العرب نثراً وشعراً وأمثالهِ أيضا وحافظ المختصرات والمطولات وهو العالم بأقوال المجتهدين ومداركهم يلقي دروسه بداهة ويستحضر الشاهد من القرآن والسنة وكتب الفقه واللغة كلما احتاج إليه ومختصر الشيخ خليل ما أبلغه وأعذبه في لسانه رحمه الله وفوق هذا فهو مُلم بما وراء العشرة وخاتمة العلماء المقرئين والمتولى الإملاء في الدروس الحديثية السلطانية على عهد مولاي عبد الحفيظ ومولاي يوسف قدس الله روحهما وسلطاننا المحبوب سيدي محمد أدام الله ملكه وأجرى في بحر السعادة فلكه.

لا أزال أستحضرك يا أبا شعيب كما يستحضرك تلامذتك جميعا وأنت جالس على كرسي الإقراء تسْحَر الألباب بروعة بيانك وبلاغة منطقك وأسلوبك الجميل وفكاهاتك اللطيفة ولا تقول إلا حقا وكم تأخذ بمجامع القلوب وقد بدأت درسك بأن خير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وقد غدوت تستنبط وتستخرج وتسمع الناس وهم كأنما على رؤوسهم الطير، استفدنا من الحديث كما استفدنا منه يرعاكم الله.

لانزال نستحضرك وقد جمعتنا الظروف بك في منزلك مع زمرة من المثقفين الاعلام تصديت للاملاء والإفادة لا فرق بينك مسجداً أو داراً إلا أنك في الدار

تطرق شتى الموضوعات وكلها لا تخرج عن دائرة العلم وتعطي مثال التربية الصحيحة التي جاء بها الإسلام وكيف يجب أن يربي الأباء أبناءهم فتحادث أبناءك وكلنا أبناؤك من غير أنفة واستكبار وتغرز في قلوبهم حب الفضيلة والتعلق بأهداب العلم بما جبلت عليه من أخلاق وإخلاص للعلم والدين لا أنسى هذه الساعة وهي من ساعة السعادة وقد ذهب بك الحديث إلى ذلك بدر الدين تثني عليه وتأسف على فتور الهمم نحو الكتاب والسنة حتى غدت جماعة هذا الشان تعد على الأصابع ها بدر الدين قضى وها أنت قضيت فلا حول ولا قوة إلا بالله.

الموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

لا أزال أستحضرك وكم عساني أن أذكر ما شاهدته فيك وكم عسى أن يذكر كل واحد ما رآه في شخصك أو سمعه عنك، لست أبا شعيب شخصا واحداً بل أنت أمة اجتمعت فيك خصال حميدة تفرقت في غيرك وأنت السلفي المخلص وأنت باعث نهضة الحديث بهذه الديار في القرن الرابع عشر فأنّى للقلم أن يعد كل مآثرك وكيف يصغر الرزء فيك أيها الراحل الكريم.

فما كان سعد هلكه هلكَ واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

أبا شعيب لست من أولائك الذين لا تظهر عظمتهم إلا بعد موتهم ولا يعترف بها إلا عقب فقدهم فننشد :

والمرء ما دام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

قد عرفناك حيا وميتا وعشت عزيزاً ومت عزيزاً وها أنت الآن في جوار ربك مع المنعم عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، فهنيئا لك منزلتك الجديدة وحياتك الحقيقية وسعادتك الأبدية جاور ربك وتمتع بعرصات الجنة وإلى الملتقى في جنات الفردوس، عزاءً لأبناءك البررة والأمة الإسلامية جمعاء والله الذي أوجدك قادر أن يوجد غيرك من أساطين العلم وحملة الشريعة وإن للبيت ربا يحميه.

عبد المجيد (الفاسي)

كلمة الشيخ الرحالي الفاروق

مراكش في 25 رجب 1388 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم.

شيخنا وسندنا الحافظ أبو شعيب الدكالي :

هو أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي، الإمام الحافظ المبرز - والصديقات من أولاد عمرو قبيلة من قبائل دكالة - موطنهم قرب مدينة الغربية - وبيتهم مشهور بالعلم والصلاح تعدد فيه العلماء والصلحاء وهذا البيت الكريم ينتسب في الأغلب إلى الطريقة الدرقاوية.

ولد رحمه الله بالصديقات في 25 من قعدة الحرام عام 1295 وقرأ أول ما قرأ ببادية دكالة - فقرأ القرآن العظيم على الأستاذ الفاضل أبي العباس محمد بن المعاشي وقرأ العلم على جماعة من أقاربه كعمه أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز - وأولاد عمه أبي زيد عبد الرحمان بن الفقيه - وأبي عبد الله محمد بن عزوز ثم رحل إلى مصر سنة 1314هـ وأخذ من مشايخها الأجلاء كالشيخ مصطفى البولاقي - والشهاب أحمد الرفاعي - وشيخ الإسلام سليم البشري - والشيخ محمد بخيت، والشيخ محمود الشنكيطي وغيرهم رحمهم الله تعالى.

ثم انتقل إلى مكة المكرمة فحظي عند أميرها وأقبل عليه وقدمه فحاز بذلك شهرة عظيمة، وجاها عريضا - وفي عام 1325هـ قدم على السلطان مولاي عبد الحفيظ بفاس فأقبل عليه، ونوه بقدره، وبقي في ضيافته إلى أن عاد إلى مكة ليأتي بأهله ولما رجع منها ولاه خطة القضاء بمراكش وذلك عام 1320 - وفي عام 30 ولي وزارة العدل، وبعد ؛

فقد كان هذا الشيخ رحمه الله علما من أعلام المغرب الشاهقة وفذا من الأفذاذ الذين يفتخر بهم في ميادين المعرفة والإصلاح وفي خدمة الكتاب والسنة ورفع رايتهما، ونشر معانيهما، وإقامة أحكامهما بل كان يعتبر من الرعيل الأول في المغرب الذين أخذوا على أنفسهم إحياء العقيدة السلفية، وبعث الروح الإسلامية الصحيحة في النفوس باعتماد وحي الكتاب العزيز ووحي السنة الذي لا ينطق عن الهوى - ونبذ ما سوى ذلك من الأقوال الموهومة، والعقائد المشبوهة والخرافات المدسوسة التي أخرت سير المسلمين وشوهت سمعة الإسلام وجعلته محل انتقاد واعتراض من لدن الأجانب الذين يتربّصون به الدوائر ويوجهون إليه التهم الملفقة، والشبه المختلفة من قريب ومن بعيد - وكان رحمه الله يختلف إلى المدن الكبرى كفاس ومراكش وإلى غيرهما صيفا وشتاء وليلا ونهارا - لتبليغ رسالة نشر العلم، وأداء واجب النصح للمسلمين كما قال ﷺ : «الدين النصيحة» قلنا لمن قال لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وكان ينادي في كثير من دروسه باعتبار المعرفة الصحيحة أساسا للحضارة الإسلامية واعتبار العقيدة السلفية التي جاء بها الكتاب والسنة حصنا من الأمراض الوثنية - وكان رحمه الله حرباً على البدعة لا تأخذه في ذلك لومة لائم ويحمل حملات عنيفة ضد العقيدة المخلوطة بالشك والشرك - ويوصي بترك الزيارة التي تفضي إلى إفساد العقيدة وإبطال الركن الأول من أركان الإسلام كما كان رحمه الله يوحي إلى العامة بقراءة توحيد ابن أبي زيد القيرواني وأما الخاصة الذين حصنوا أنفسهم وبرعوا في الأصول والفروع فلهم أن يتوغلوا في كتب الفلسفة والطبيعة ليتمكنوا من الدفاع عن العقيدة الإسلامية ودفع خصومها الألداء.

وأما اللغة العربية فكان له رحمه الله غيرة خاصة رءي مرة يخطب في حفل أقيم لوداع السنة الدراسية بحضور المندوب الفرنسي وهو يحث الناس على التشبث باللغة العربية والمحافظة على علومها حتى لا تضيع أمام الإقبال على اللغة الأجنبية والأجانب يحدقون النظر إليه، ويشخصون الداء فيه بينما الخطباء الآخرون أثنوا على اللغة الفرنسية، ومروا مرور الكرام باللغة الوطنية وعلق الناس على ذلك بعد انتهاء الحفل كل بما يشتهي.

وأما دروسه فكان ينتفع بها الخاص والعام - وكنت ترى الناس عندما يسمعون بقراءته يهرعون إليها من بعيد ويأخذون مقاعدهم في المسجد قبل الدرس بزمان استعدادا لسماع الحديث الشريف، وما يصدع به رحمه الله من النصائح واللطائف التي تملأ المجالس، وتقرع المسامع وترفع المنابر - وكان كثير من العامة الذين يلازمون دروسه يحفظون أحاديث ويروونها في الأسواق ويعرضونها في المجالس، ويعارضون بها ما قيل من يخالف ذلك.

وكان رحمه الله كثير الاستحضار لمسائل الشيخ خليل بن اسحاق المالكي رحمه الله ويستدل لها بالأحاديث الصحيحة، وقد ينتقد بعضها كمسألة سجود الشكر والزلزلة ومسألة تحريك السبابة في التشهد وغير ذلك من المسائل القليلة.

وأما فصاحته وطلاقته رحمه الله فكانت تفرض على المجلس الغاص بجماهير الناس من أهل العلم وذوي الهيئة والمناصب وغيرهم - وقارا وسكينةً - وهدوءاً وطمأنينة، وتضفي عليه روعة وجلالاً، وزينة وجمالا وكان رحمه الله كثيرا ما يخلط درسه بحكايات غريبة وإفادات علمية ونوادر أدبية يروح بها على النفوس، وتلطف جو الصفوف، ويخلق بذلك انتباهة جديدة كما كان رحمه الله شفاء يشتفى به من الاعتقادات الباطلة والأعمال الفاسدة.

وعادته رحمه الله في أداء الدرس أنه بعد الثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على النبي ﷺ واله وأصحابه وأتباعه يقرأ الحديث سندا ومتنا، وعند الإنتهاء من قراءته يشرع في شرح رواة الحديث وبيان حالهم وفضلهم واحدا واحدا إلى الصحابي الذي يروي الحديث عن النبي ﷺ ثم يأخذ في البيان إجمالا وتفصيلا ويتعرض أثناء ذلك إلى ما يناسب المقام من الوقائع والأحداث ثم يستفيد من الحديث أحكاما فقهية وشرعية ويستدرك معاني علمية وأدبية وبعد الفراغ من إملاء الدرس يتسارع الناس إلى مصافحته ومعانقته ومساءلته عما حاك في نفوسهم وتردد في صدورهم ورزق رحمه السعد والقبول والهيبة والمحبة في القلوب فكان الناس يتسابقون إلى استدعائه لمنازلهم، ويتشرفون بنزوله عند رغباتهم.

ومن كلماته رحمه الله أبى العلم إلا أن يكون بالحاضرة وأبت الصحة إلا تكون بالبادية ولذلك كان رحمه الله يحب البادية وعليه مسحتها، ويعمل عمل البادية

كالفلاحة وتربية المواشي ويذكر حديث أبي سعيد الخدري أنه قال لعبد الله ابن عبد الرحمن الأنصاري إني أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة، قال أبو سعيد سمعته من رسول الله ﷺ وأن النبي ﷺ تربى وشب في بادية بني سعد - وكان يقول قول النبي ﷺ أو علم يبثه في صدور الرجال - يشمل التعليم والتأليف والتعليم أفضل لقوله تعالى في حق النبي ﷺ - ويعلمهم الكتاب والحكمة، ولقوله ﷺ وإنما بعثت معلما - ومن ثم كان رحمه الله قليل التأليف - وبالجملة فقد كان الشيخ رحمه الله مدرسة خاصة لها منهج خاص ولاسيما قراءة التفسير والحديث وكانت دروسه نافعة للكبير والصغير لما حباه الله به من ظرف الشمائل ولطف الأخلاق وفصاحة اللسان، وسعة الصدر، وحسن الإلقاء علاوة على ما كان يقوم به رحمه الله من وظائف عامة، وما كان يتمتع به من رعاية الملوك العلويين قدس الله أرواحهم في دار السلام فهو شيخ المشيخة ونادي الأندية توفي رحمه الله يوم الجمعة في الثاني من جمادى الأولى عام 1356هـ نسأل الله الرحمان الرحيم أن يتغمده برحمته ويتقبله بفضله إنه غفور رحيم.

الرحالي الفاروق

وللعالم الفقيه عبد الكبير الزمراني المراكشي، كلمة عن شيخه أبي شعيب الدكالي في حفلة التأبين التي أقيمت له

بالرباط بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1356هـ موافق 26 غشت 1937م

شعيب الرحالة :

لأول نظرة نلقيها على حياة الفقيد نعلم يقيناً أن أكبر مقوماته التي كونت حياته ذلك التكوين الشامخ هو تلك الحافظة الوهبية، فقد كانت له في تنقلاته في الأقطار، وتقلباته بين صفحات الأسفار، وبين الاجتماع بالرجال يد تكتب كل ما يصل إليه عن طريقي السمع والبصر.

لذلك كان لرحلته الشرقية الفضل الكبير في توجيه عبقريته إلى تلك الغاية الشامخة التي كان يطل على سواه من عليائها، فقد كان لها الأثر الكبير البارز المحسوس في نواحيه الثقافية العلمية والتفكيرية والأخلاقية، ولولا تلك الرحلة المباركة لكان شعيب فقيهاً نحوياً فقط شأن علمائنا في سائر الأطوار التاريخية، ومن ثم صح أن نقول هو أول من أدخل للمغرب فني التفسير والحديث بصفة خاصة. ويكفي دليلا على هذه الدعوى أن نجول جولة في التاريخ المغربي، فلاشك أننا لا نقف في المغاربة على من كتب أو حدث بصفة دراسية يعد معها مفسراً ومحدثاً ولعل ذلك يرجع إلى تك الدسائس الخرافية التي كانت تحارب التفسير والحديث في خفاء تحت ستار التعظيم والتبجيل.

أما من الناحية التفكيرية، فقد رجع شعيب مزوداً بعقيدة سلفية، ومؤيدة بالمعقول والمنقول وكان عمله برهانا وكان يقيم البراهين ليحق ما هو حق ويبطل ما هو باطل، وكان مما أوتيه من مواهب كالجيش وحده شن الغارة على كثير من البدع والخرافات فهزمها، وغزا كثيراً من الأرواح والنفوس فقومها، وكان يداً من

نور تقلع الخيالات وتغرس الحقائق وتمحو الأساطير وتثبت الحق المبين، وتحصد الشك والوهم، وتبذر الجزم واليقين، وكانت له بجانب هذه المزايا صرامة حادة في الحق، كانت له بمنزلة المنفذ لما يصدر من أحكام الشرع وقد وقف مواقف كثيرة دلت على ما له من صرامة وإقدام ولن ننسى قضية (لالة خضراء) وهي صخرة ذات شكل هندسي افتتن به النساء بمراكش، وكنّ يقربن لها القرابين ويقدمن لها النذور ويقمن لها موسما سنويا إلى أن سمع بخبرها الشيخ رحمه الله، فلم يتردد في تغيير هذه البدعة والقيام بنفسه على إزالتها، ومن الغريب أنه كلما دعا عاملا لكسرها امتنع من ذلك لما علق بذهنه من الأوهام حولها، إذاك رأى نفسه مضطرا لكسرها بيده، وفعلا أخذ الفأس وكسرها، ثم وزع أشلاءها خارج البلد.

أما الناحية الأخلاقية فقد كانت أعماله واعية لقلبه فكما أنه لا يتصل بعالم إلا اقتبس منه ما له من علم صحيح، فكذلك لا يتصل بفاضل إلا ويقتبس ما له من خلق شريف، وبذلك كان شعيب كمجموعة مختارة من صحيح العلم وشريف الأخلاق.

وشعيب في رحلته كالمثل ضربته أرض المغرب لأرض المشرق، ففيه المعنى السامي سمو الشمس يندمج تحتها كل نيّر، ولا يطمع أن يكون له مثل ما لها، وفيه الحكمة البالغة التي تشع في الأرواح شعشعة الروح في الأشباح، وفيه المنطق السائغ الذي يلذ للأذواق فتردده ويحلو للألسنة فتعيده وبذلك كان شعيب للمغرب فخراً خالداً.

بالأمس رحل شعيب رحلته ثم عاد، أما اليوم فقد رحل شخصه رحلة الأبد، وسيقيم معناه في الذكريات إقامة الأبد، وفني منه الإنسان المتجسم وسيبقى خالداً في الكون الإنساني الروحي منه.

يعيش الجاهل فلا يسجل التاريخ أنه عاش، ويموت فلا يعرف أنه مات. كأنه لم يكن حياً وإنما انتقل من موت إلى موت. أما شعيب فقد حيي فلما مات فقدنا فيه الحياة وعرفنا بموته الموت، ويحيا الجاهل لنفسه ويموت لها، أما شعيب فقد كان حياً لأمته فلما مات مات لها، وشعيب عظيم عاش ثم مات، ولولا حياة العظماء لما عرفنا الحياة. ولولا موتهم لما عرفنا الممات.

يقولون إن العزاء عن الرجل بقاء مثله.

ليس العزاء عن الحكيم بفقده إلا حكيم يقوم بعد في الأثر

مراكش :

عبد الكبير الزمراني المراكشي

نظم الدُّرر واللآلي
في ترجمة أبي شعيب الدكالي

للأستاذ الدكتور محمد عز الدين المعيار الإدريسي
أستاذ بكلية اللغة العربية بمراكش
ورئيس المجلس العلمي بها

مقدمة :

على الرغم من مرور أكثر من خمسة عقود من الزمن على وفاة شيخ الحديث، وحافظ المغرب الكبير، العلامة أبي شعيب الدكالي، فإن ترجمته لاتزال موزعة بين عدة مصادر ومراجع، جزى الله أصحابها، عما بذلوه فيها من حفاظ على أخبار هذا الشيخ الجليل، وعلى نتف من آثاره.

لهذه الاعتبارات الآنفة الذكر، تأتي هذه المساهمة المتواضعة، لتبني ترجمة متكاملة، لأبي شعيب الدكالي، في تسلسل وانسجام بين مراحل حياته، مبرزة دوره الطلائعي في تنشيط الحركة العلمية بالمغرب، أوائل القرن الميلادي الجاري، وما كان لدعوة السلفية من آثار محمودة على الحركة الوطنية، التي كان جل روادها الأوائل من تلامذة أبي شعيب الدكالي.

وبعد، فإن هذه الدراسة تتألف من قسمين أو محورين هما :

المحور الأول : شخصية أبي شعيب الدكالي وحياته :

تظَافرت عدة عوامل من أجل تكوين شخصية هذا الرجل الظاهرة - في وقته - من خصائص ذاتية أصيلة فيه، إلى عوامل خارجية طرأت عليه بحكم الظروف المختلفة المحيطة به.

وبين هذه العوامل وتلك الخصائص، عاش أبو شعيب الدكالي في وعي تام، وانسجام ووئام بين الأنا والعالم.

فهو ابن طبقة كانت تشكل الغالبية العظمى من سكان المغرب، ينحدر من أصول، استوطنت قرية أولاد عمرو، بدوار الصديقات قرب مدينة الغربية بدكالة[1].

بيتهم بيت علم وفضل وصلاح، ينتحلون الطريقة الدرقاوية، ويقومون بها[2]، جل صغارهم، فضلا عن كبارهم، يحفظون الحكم العطائية، لا يدعون نسبا، وربما ضربوا أطفالهم على ادعائه[3]، وكأن شعارهم في قول ابن عطاء الله الإسكندري : «ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه»[4].

في هذا الوسط أبصر النور أبو شعيب بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الدكالي الصديقي عام (1295هـ / 1878م)، وما إن بلغ سن التعلم، حتى استدعى له والده معلما بخصوصه، وكان يوصيه ويقول له : «إنه دعوة أبي ومصداق رؤياي»[5].

وهي كلمة تخفي وراءها تفاصيل، كان لها أكبر الأثر في نفس أبي شعيب، ومن ثم نجده يصدر بها ترجمته، التي نشرها العلامة الراحل عبد الله الجراري، ضمن كتابه عن أبي شعيب الدكالي[6].

ولم يكد المترجم، يحفظ القرآن الكريم إلا خمسة أجزاء منه، حتى تجرع مرارة اليتم، وعانى من فداحته، لكنه سرعان ما مسح دمعته، وتجلد متفائلا بأول آية من الحزب الذي وصل إليه، وهي قوله تعالى[7] : ﴿يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المومنين﴾[8].

---

(1) المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي، تأليف عبد الله الجراري، (مطبعة النجاح الجديدة)، الدار البيضاء، (1396هـ / 1976م).

(2) معجم الشيوخ المسمى : «رياض الجنة» أو «المدهش المطرب»، تأليف عبد الحفيظ الفاسي، 142/2 (مطبعة فاس : 1350هـ / 1931م).

(3) المحدث الحافظ : 17.

(4) الحكم العطائية : 91.

(5) المحدث الحافظ : 17.

(6) نفسه، 16 - 18.

(7) قبيلة زعير قديما وحديثا، تأليف محمد بن عمر ابن سودة التاوبي، 221/2، (مطبعة دار النشر المغربية : 1986م).

(8) سورة آل عمران، الآية 171.

وبعد أن حفظ القرآن بتمامه، شرع في حفظ القراءات السبع على أستاذه السيد محمد بن المعاشي، ويصادفه في هذه المرحلة من دراسته حادث فظيع، يعكس حقيقة ما كان يسود الكتاتيب القرآنية في ذلك العهد من قسوة وعنف، يتجاوب مع شعار آباء الأطفال وأوليائهم : (اقتل وأنا أدفن)، أو (إذبح وأنا أسلخ)، وذلك أنه بينما كان أبو شعيب ذات يوم، يقرأ سورة طه،ووصل في قوله تعالى : ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾[9]، قرأها «وإنا اخترتك» بالكسر، فما كان من أستاذه الذي كان يستمع إليه، إلا أن هوى عليه بلوحته، وشق جبهته عند حاجبه الأيمن، فانفجر الدم من الصبي بغزارة، مما كانت نتيجته أن أغمي عليه.

ولما عولج وأفاق من غيبوبته، وجد عمه وكافله السيد محمد بن عبد العزيز الدكالي يقول لمن حوله : «إن مات في سبيل العلم، فلا بأس أن يكون موته موتة شريفة»، ثم التفت إلى الصبي الجريح قائلا : «لو قرأت العربية الفصحى : النحو وتوابعه، لما وقع لك هذا الخطأ الفاحش»[10].

ويمر هذا الحادث على بشاعته، دون أن يثني أبا شعيب عن هدفه الذي رسمه لحياته، فأقبل على المتون العلمية المتعارفة في ذلك العهد، يلتهمها التهاما، مسجلا في قوة الحفظ وسرعته أرقاما قياسية.

يحفظ الآجرومية في يوم واحد، وألفية ابن مالك في عشرة أيام، ومختصر خليل في أربعة أشهر، ثم يحفظ لكل بيت من الألفية عشرة شواهد عليه من شعر العرب، المحتج به عند أربابه، يعرف قائله ومناسبته[11].

وهذه الحافظة الخارقة أهلته عام (1308هـ / 1891م) للفوز في المباراة التي دعا إليها السلطان المولى الحسن الأول بمدينة مراكش، في حفظ مختصر خليل، وزاد على ذلك حفظ القراءات السبع، والتمكن من قواعد اللغة العربية وآدابها، مع الذكاء الحاد، والعارضة القوية، في أدب وحسن أخلاق، مما أثار إعجاب السلطان، فأمر له - على غير العادة المتبعة في مثل هذه الأحوال - بصلتين وكسوتين قائلا : «يضاعف لأبي شعيب لصغر سنه، وكبر فنه»[12].

(9) سورة طه، الآية 13.

(10) قبيلة زعير : 222/2.

(11) نفسه والجزء والصفحة.

(12) المحدث الحافظ : 18 - قبيلة زعير : 222/2.

وهي التفاتة ملكية كريمة، رفعت من معنويات أبي شعيب، وأكدت له أنه لم يخطئ الاختيار، حين اشتغل بالعلم وأخلص له.

ثم بعد مدة من هذا التكريم، رحل أبو شعيب إلى مدينة فاس، بغية الاغتراف من حياض جامعة القرويين العتيدة، لكن ظروفه لم تساعده على المكوث بها طويلا[13]، فتوجه إلى الريف المغربي، وبقي هناك مدة سنتين، يزاول دروس القراءات والحديث والفقه[14]، إلى أن عقد العزم على التوجه إلى المشرق، عقب حادث - يبدو بسيطا في حجمه - وقع له، فتشاءم منه، وهو أنه بينما كان يطالع دروسه في عصامية فريدة، إذا بالشمعة التي يستضيء بنورها تسقط على نسخته من صحيح الإمام البخاري فتحرقها[15]، فكانت بالنسبة له علامة أخرى، ومن نوع آخر، على أنه لا مناص من متابعة السير، نحو الهدف المنشود، وبالتالي الخروج من عزلته هذه إلى آفاق أفضل وأرحب.

وهكذا رحل أبو شعيب إلى القاهرة بمصر، عبر البحر سنة (1314هـ/1886م)، فمكث فيها طالبا بالأزهر الشريف مدة ست سنوات[16]، كانت من أخصب سنين حياته الدراسية، أخذ خلالها عن عدد من جلة علماء الأزهر[17]، يأتي في مقدمتهم عمدته وسنده، سليم البشري، شيخ الأزهر، ونقيب المالكية، وإمام الحديث في وقته (ت : 1335هـ / 1917م)، والذي قال شاعر النيل حافظ إبراهيم في رثائه، مبرزا مكانته وإمامته في علم الحديث خاصة :

أيدري المسلمون بمن أصيبوا	وقد واروا سليما في التراب
هوى ركن الحديث فأي ركن	لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عز البخاري	ودع لله تعزية الكتاب
فما في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب[18]

(13) قبيلة زعير : 223/2.

(14) المحدث الحافظ : 18.

(15) قبيلة زعير : 223/2.

(16) الأعلام، لخير الدين الزركلي، 167/3، وانظر (أعلام المغرب العربي) لعبد الوهاب بن منصور، 198.

(17) انظر المحدث الحافظ : 18.

(18) مجلة الأزهر (المصرية)، الجزء 10، السنة 51، ص 2286.

ومما حدث لأبي شعيب في بداية دراسته بالأزهر، أن أساتذته كادوا يسقطونه في امتحان من الامتحانات، بسبب خطه المغربي، الذي تعسرت قراءته على أهل المشرق، لولا تدخل شيخه سليم البشري، الذي استدعاه وقال له : «اقرأ علينا ما كتبته» فقرأه، فكانت إجاباته صحيحة، فنجح ونجا من الرسوب[19].

وبينما كان أبو شعيب يواصل مقامه بأرض الكنانة، مستأنسا بما يلقى من دروس بالأزهر، متجاوبا مع الحركة الإصلاحية، التي كان يقودها الإمام محمد عبده، إذا بأمير مكة الشريف عون الرفيق يبعث إلى مشيخة الأزهر، طالبا منهم، أن يوجهوا إليه عالما متضلعا ليكون بجانبه، فلم يكن ذلك العالم سوى أبي شعيب الدكالي، الذي قصد أم القرى، فنزل بدار هناك منحت له بالقشاشية، ثم قام من غده يمارس وظائفه التي أسندت إليه، من دروس علمية، وخطابة في الحرم المكي، إلى الإفتاء على المذاهب الأربعة، فاشتهر أمره وذاع صيته[20].

وفي هذه الأثناء أكمل نصف دينه بالاقتران بالسيدة جميلة كريمة السيد محمد بو وزير المالية في حكومة عون الرفيق، وهناك في مكة المكرمة أنجب عددا من أولاده، وفي طليعتهم العلامة الراحل الشيخ عبد الرحمن الدكالي[21].

وخلال هذه المجاورة للبيت العتيق، أجازه عدد من علماء المسلمين الوافدين على بيت الله الحرام، من اليمن والشام والعراق والهند[22]، فتم له بذلك ما لم يجتمع لغيره، وغدا بحق وجدارة أوحد عصره، وأعجوبة زمانه.

وفي الوقت الذي بدأ فيه المشرق يستفيد من عالم سلفي شاب، كأبي شعيب الدكالي، كان بلده المغرب أحوج ما يكون إلى مثله، بل إن بعض وزراء السلطان المولى عبد العزيز بعثوا فعلا إلى الأستاذ رشيد رضا يطلبون منه أن يختار لهم رجلا مصلحا جامعا في العلوم الشرعية، ومعرفة السياسة والإدارة، للاستعانة به، على إقناع السلطان بإصلاح البلاد، وفق ما يدعو إليه المنار المرة تلو الأخرى.

---

(19) قبيلة زعير : 223/2.

(20) قبيلة زعير : 224/2 – المحدث الحافظ : 9.

(21) قبيلة زعير : 224/2.

(22) المحدث الحافظ : 18.

ولما أطلع رشيد رضا أستاذه الإمام محمد عبده على ذلك، تاقت نفسه للذهاب إلى المغرب شخصيا، لكنه أيقن أن الأروبيين عامة، والإنجليز خاصة، يحسبون لذهابه وإقامته هناك كل حساب، ويحولون دونه بما استطاعوا من الأسباب.

ثم لم يلبث رشيد رضا أن اختار بعد ذلك لهذه المهمة من يقوم بها، لكن الظروف حالت دون إرساله[23].

وعلى غفلة من ذلك كله، كانت أواصر المودة تتوثق بين الأمير العالم السلفي المولى عبد الحفيظ خليفة أخيه بمراكش، وبين أبي شعيب الدكالي، الذي كان لايزال مقيما بمكة المكرمة، لكن صلته ببلاده لم تنقطع؛ فهو يزورها من حين لآخر[24].

وعندما اعتلى المولى عبد الحفيظ عرش المغرب، ألح على أبي شعيب، الذي زاره مهنئا ومبايعا بفاس، في العودة النهائية إلى بلاده قائلا له : «لابد أن يستفيد منك وطنك، والمغرب في حاجة إلى مثلك»[25].

فلبى أبو شعيب نداء ملكه ووطنه، وعاد من المشرق بصفة نهائية، بعد أن صفى علاقاته في الحجاز، وأتى بأهله، وكان قد ملك بتلك الربوع الطاهرة أموالا كثيرة، من دور وعمارات، فتصدق بأكثرها، ولم يبق إلا هريا بالمدينة المنورة، لعله لايزال على ملك ورثته إلى الآن[26].

هكذا عاد أبو شعيب إلى وطنه المغرب عام (1328هـ/ 1910م)، فأسند إليه منصب القضاء بمدينة مراكش[27]، في وقت كانت الاضطرابات على أشدها بالمغرب.

وقد شهد المترجم له دخول أحمد الهبة ابن الشيخ ماء العينين إلى مراكش، بل وقعت بينه من جهة، وبين خليفة الهبة أخيه مربيه ربه، وقاضيه ابن عبد العزيز من جهة ثانية محاورة طويلة، أفحمهما فيها، مما جعل الهبة يخرج من مخبئه

---

(23) تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تأليف : رشيد رضا، 870/1.

(24) انظر (المحدث الحافظ) في مواضع شتى.

(25) قبيلة زعير : 224/2.

(26) نفسه والجزء والصفحة.

(27) المحدث الحافظ : 10.

الذي كان يتابع منه المحاورة، وهو يقول عن أبي شعيب : إنه فكراش، أي : شجاع، إلى قصة طويلة سجلها بحذافرها مؤرخ مراكش الراحل القاضي العباس بن إبراهيم المراكشي في الإعلام[28].

وبعد توقيع عقد الحماية الفرنسية، وتنازل السلطان مولاي عبد الحفيظ عن العرش لصنوه مولاي يوسف، تم تعيين أبي شعيب وزيرا للعدلية والمعارف، ثم أضيف إليه الاستيناف فيما بعد[29]، وظل في منصبه هذا مثالا للاستقامة والنزاهة إلى أن قدم استعفاءه منه عام 1342هـ متعللا بالمرض، وإن كان السبب الحقيقي هو ما كان يجده من عراقيل ومعارضة في ممارسة عمله من طرف بعض خصومه السياسيين، بالإضافة إلى ما كان يقوم به المستعمر الغاشم من أدوار دنيئة لعزله عن منصبه، انتقاما من حريته المطبوعة، وهو الذي كان يكره المستعمرين، ويلقنهم الدرس تلو الآخر في مناسبات شتى، وبصرامة وحدة، مما لا يتسع المجال لإيراده[30].

ثم تفرغ للتدريس، والدعوة إلى الإصلاح، إلى أن لقي ربه تعالى عام (1563هـ/ 1937م)، ودفن بضريح الولي الصالح مولاي المكي بحي الجزاء بالرباط.

المحور الثاني : دروس أبي شعيب الدكالي ودعوته :

كانت الثقافة السائدة إذ ذاك في العالم العربي عامة، وفي المغرب خاصة، منغلقة على مجموعة من المتون والمختصرات والحواشي، وقلما تهتم بكتب الأقدمين أو ترجع إليها، ولم يكن من حسنة للدراسة في ذلك العهد سوى اهتمامها بحفظ القرآن الكريم، وبعض الأمهات التي يفتتح بها الطالب الناشئ حياته العلمية، لكنه كان غالبا ما ينتهي عندها، فيظل طوال حياته يدور حولها، وقد يقضي أحدهم عشرين عاما من المواظبة على الدرس والتحصيل، ثم تكون الحصيلة آخر المطاف : النحو والفقه فقط[31]، كما ورد على لسان (نصير القديم)

(28) الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تأليف القاضي العباس بن إبراهيم المراكشي : 479/2، (المطبعة الملكية، الرباط، 1974).

(29) المحدث الحافظ : 10.

(30) انظر (المحدث الحافظ) : 121 / قبيلة زعير : 232/2.

(31) شاعر الحمراء في الغربال، تأليف : أحمد الشرقاوي إقبال، 196، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء.

في القصيدة التي نظمها شاعر الحمراء، عقب الإصلاحات التي عرفتها القرويين، وابن يوسف سنة 1939م.

وكاد القرآن الكريم لا يجد من يفسره للناس، فيكشف عما يحمله من وعي ونور.

أما السنة النبوية، فقد ضعف تدريسها، حتى غدت عبارة عن نصوص مقدسة، تتلى للتبرك، بعيدا عن فهم ما تحمله تحتها من بيان وإشراق.

وعلى الرغم من كثرة المشتغلين في ذلك العهد بالفقه وأصوله، فإنه لم يكن منهم من يستطيع أن يرجع فرعا إلى أصله، أو يبحث عن دليله ! بل كانوا يقولون دون خجل أو استحياء : «نحن مقلدون لا يلزمنا النظر في الكتاب والسنة»[32]، أو «نحن خليليون، إن دخل خليل الجنة دخلناها معه، وإن دخل النار دخلناها معه»[33].

في مثل هذه الظروف، ظهر أبو شعيب الدكالي، فلم تعقه وظائفه السامية التي تقلدها، أو فلاحته الواسعة[34]، التي اكتسبها، عن أداء رسالته العلمية، ودعوته الإصلاحية، بل كان لا يجد نشاطه إلا في ذلك.

ومن ثم لم تخل جهة من جهات المغرب لم يلق فيها دروسه، وينشر دعوته، خاصة في العواصم التاريخية الكبرى : كالرباط، ومراكش، وفاس، بل ألقى دروسه أيضا في عدد من جهات الوطن العربي، وفي أهم مراكز الإشعاع الديني والفكري فيه، كالحرم المكي بالديار المقدسة، والأزهر الشريف بأرض الكنانة، وجامعة الزيتونة بتونس الخضراء[35]، وكان التوفيق حليفه في كل درس يلقيه، أو معركة يخوضها ضد من سخرهم الاستعمار من خرافيين ودجالين لتشويه الدين الإسلامي، ولتبرير بقائهم بالمغرب.

لقد كانت هذه الدروس بمثابة ثورة عارمة على المناهج العتيقة السائدة في التعليم العربي الإسلامي في ذلك العهد، إذ قام أبو شعيب يدعو إلى الاتصال المباشر

(32) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، تأليف د. محمد البهي، 174، (دار الفكر، بيروت، ط 6، 1973).

(33) دعوة الحق، ع 4، س 11، ص 35.

(34) انظر قبيلة زعير : 2/228 - 235.

(35) المحدث الحافظ : 10.

بكتب الأقدمين، وإلى نبذ مؤلفات عهود الركود والتخلف، وإلى إعمال العقل في فهم النصوص ومناقشتها، معطيا أنصع الأمثلة وأروعها بما كان يقرره مع طلبته من كتب في شتى مجالات المعرفة، وبما كان يقدمه من فهم ثاقب لقضاياها، مما لم تكن الدراسة تعرفه في ذلك التاريخ.

وطالما التقت في الدرس الواحد من دروسه كل المعارف والعلوم الإسلامية، في تعايش وتعاون، من أجل إبراز معانيه، وتقريب أبعاده ومراميه، من قراءات، وناسخ ومنسوخ، وغريب وإعراب، وأسانيد وتراجم ومصطلح، وفقه وتصوف[36]، وبلاغة ونحو وصرف وشعر، إلى غير ذلك[37].

ومما كان يسد الباب أمام خصوم أبي شعيب وحساده تفوقه وسموقه في الفضاء الذي كانوا يحلقون في مجاله، إذ كان يختم دروسه، خاصة الحديثية منها، باستنباط الأحكام الفقهية منها، ثم يعادل بينها وبين مختصر خليل، ويحكي الخلاف العالي، وكان في كثير من الأحيان يقوم بدور مناظرة مفروضة بين المالكية وغيرهم، يحتج فيها لكل فريق، وتنتهي غالبا بانتصار المالكية[38].

ومن ثم، يبدو أنه لو تيسر لرشيد رضا أن يرسل إلى المغرب عالما يدعو إلى السلفية لفشل الفشل الذريع، ولا أفحمه فقهاء المغرب، إن لم يجهلوه، فلم يكن لها إذن سوى أبي شعيب الدكالي، الذي تجمعت فيه كل المؤهلات الكفيلة بالنجاح في هذه المامورية الصعبة.

وهكذا أصبح أبو شعيب بعلمه الغزير، وحفظه الخارق، وذكائه الحاد، وشخصيته الجذابة، من جمال الصورة، وحسن السمت، إلى روعة الإلقاء في لهجة بدوية، ذات نبرة مشرقية أخاذة، العالم السلفي الذي تشد إليه الرحال.

وتصل أصداء هذه الدروس إلى كثير من الناس، فيرتابون في أمرها، بين مهاجم لا يتورع عن إيذاء الشيخ لذاته، لا لعلمه وفضله[39]، وبين منصف يريد التأكد من حقيقة ما يسمع.

---

(36) انظر الإعلام للمراكشي، 2/479.

(37) انظر (المحدث الحافظ) في مواضع شتى.

(38) دعوة الحق، ع 2، س 12، ص 39.

(39) المحدث الحافظ : 33/107.

ومن هؤلاء، قرين أبي شعيب وبلديه، العلامة الكبير الشيخ محمد الرافعي، الذي حضر دروسه، فرأى عن كثب تبحره وشموخه، فلم يتمالك أن صارحه بشعوره الصادق قائلا : «الآن آمنت، وزال كل ما كان يخامرني من شكوك في علمكم، واطلاعكم الواسع، حفظكم الله وأبقاكم»[40].

ومنهم العلامة الكبير الشيخ أحمد بن الخياط الزكاري، الذي سمع دروس أبي شعيب، وحضرها بمجلس السلطان المولى عبد الحفيظ، فلم يتمالك هو الآخر أن قال : «ليتني كنت جدعا»، ثم طلب من الشيخ أن يجيزه فأجازه[41].

ولهذه المكانة العلمية الرفيعة، ظل أبو شعيب يحظى بالرئاسة العلمية في الدروس الحديثية السلطانية، طوال أيام المولى عبد الحفيظ، وصنوه المولى يوسف، ثم أوائل عهد جلالة المغفور له محمد الخامس[42]، وبهذه المكانة العلمية أيضا ظل أبو شعيب النجم الثاقب، الذي يشد انتباه طلبة العلم، ويروي ظمأهم، يردون عليه خماصا، ويصدرون عنه بطانا.

وقد كان لمدينة مراكش شرف السبق في هذا الباب، إذ أن أول درس ألقاه الشيخ أبو شعيب، إثر أول مرة رجع فيها من المشرق عام 1321هـ، كان في مسجد الشرفاء بالمواسين، افتتح فيه موطأ الإمام مالك، حضره جمهور غفير من الناس من سائر الطبقات، ومختلف الأعمار والأقدار[43].

ثم توالت زياراته لمراكش، ودروسه بها، وفي كل مرة كانت تلقى نفس الإقبال، وتترك نفس الصدى.

فهذا العلامة محمد المختار السوسي، كان في بداية دراسته بابن يوسف بمراكش، غارقا في أدبه وتصوفه، لا يكاد يلتفت إلى غيرهما، حتى إذا طلع السعد بطلوع أبي شعيب الدكالي، تحولت حياته من حال إلى حال، وفي ذلك يقول :

«وبينما أنا أسبح فيما أنا فيه، إذ جاء الشيخ أبو شعيب الدكالي عام 1342هـ إلى مراكش مع السلطان مولاي يوسف، فتجددت آراء في مجالسه، واستحدثت

---

(40) نفسه : 14.

(41) قبيلة زعير : 219/2.

(42) المحدث الحافظ : 10.

(43) نفسه : 131.

أفكار، وانتسفت معتقدات، فدبت تلك الحياة المذكورة في أجلى مظاهرها، فصار كل شيء مر يستحلى في تطلب المعارف، فقلت : إما المعارف وإما القبر»[44].

وظلت هذه المدينة متجاوبة مع أبي شعيب في دروسه ودعوته، يحتفي به أهلها كل ما حل بها، ويرددون أفكاره ويتغنون بها.

ويقول الشاعر المبدع مولاي أحمد النور في قصيدة حَيَّا بها الشيخ أبا شعيب في الحفل الذي أقامه له طلبة ابن يوسف بمراكش يوم 26 ذي الحجة الموافق لعام 1934م :

أخضعت طوع جهودك الأياما ... وبرزت تحمي العلم والإسلاما
تنحي على جيش الأضاليل التي ... كادت يلازم شرها الأقواما
وتكر في الشبهات كرة باسل ... فتبدد الشبهات والأوهاما
استحوذت حينا على أجيالنا ... واستحكمت في قطرنا استحكاما[45]

إلى أن يقول :

تدري صنيعتك المنابر مصلحا ... ومفسرا ومحدثا وهماما
كم نرتجي هذي الزيارة لو تطو ... ل ولا تحاكي الطيف زار لماما
تصبو لها الأرواح إلا أنها ... مثل الربيع تجيء عاما عاما[46]

ويقول الشاعر عبد القادر حسن العاصمي في قصيدة حَيَّا بها هو الآخر الشيخ أبا شعيب الدكالي، في الاحتفال الذي أقيم له، لما زار مراكش في عيد الفطر سنة 1354هـ :

سدت يا علم في جميع البلاد ... في أوربا وفي شعوب الضاد[47]

ثم يقول :

ما أقمنا احتفالنا هذا إلا ... لمثال من مظهر منك بادي

---

(44) الإلغيات : 2/113 - 114.

(45) من شعر أحمد النور المراكشي، جمع وتعليق : أحمد متفكر، 64، (المطبعة الوطنية)، مراكش، 1990م.

(46) نفسه : 65.

(47) أحلام الفجر، تأليف : عبد القادر حسن، (الطبعة الأولى)، مطبعة التقدم الإسلامية بالحمراء، مراكش، 1355هـ / 1934م.

يسحر الناس بالفصاحة والفطـ ـنة والمجد والعلا والسداد
ويرى العالمون فيه مثالا صادقا من مفاخر الأجداد[48]

إلى أن يقول :

فتراهم قد أحدقوا به طرا كاجتماع الأنام يوم المعاد
كلهم محدق ومصغ لما يلـ ـقيه من حكمة ومن إرشاد
حسبهم ذاك شاغلا وإذا ما خرجوا فالجلال ملء الفؤاد[49]

ويبدو أن شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم، الذي كان أجازه الشيخ أبو شعيب[50]، قد بلور كثيرا من الأفكار السلفية في شعره.

ففي قصيدته : «الله في البؤسا» يكاد يستوحي معانيه، بل وألفاظه، من المعين الذي اغترف منه أبو شعيب خطبته التي ألقاها بالرباط عام 1913م، في الحث على مساعدة الفقراء والمساكين، ومنها قوله :

«فهل من مفضال واسع النوال، يصدق منه المقال الفعال، يجود بما سمحت به همته، فيزيل عن الفقراء الضراء.....»[51].

ويقول شاعر الحمراء بعد ذلك بسنوات (عام 1934م) :

كيف المآل إذ تكون الحال بالجوع تقضي نسوة ورجال
هذا الضعيف أمامكم مسترحما يرجو النوال فهل لديك نوال[52]

أما قصيدته : «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت» التي قالها سنة 1932م، فمن صميم الدعوة الإصلاحية، التي نادى بها أبو شعيب الدكالي، وهذه أمثلة منها:

وما لي أرى هذي العوائد أصبحت وأضرارها فينا تزيد وتعظم
فهل من دواء للعوائد إنها إذا تركت في الجسم لا شك تعدم
أشدخ رؤوس كلما حان موسم ونهش أفاع نهشهن محرم

---

(48) نفسه : 88.

(49) نفسه : 89.

(50) انظر نص إجازته في : (شاعر الحمراء في الغربال : 14).

(51) المحدث الحافظ : 120.

(52) شاعر الحمراء في الغربال.

أمـن شـرف الإنسـان يـدخـل بـيـتـه عـوائـر في تـنـهـاقـهـا تـتـنـغـم[53]

وندع مراكش، وما كان لها من تجاوب مع دروس أبي شعيب ودعوته، ونرحل إلى فاس، لنلقي بعض الأضواء عما كان لدروسه ودعوته من صدى هناك، فنجد أن أول دروسه بفاس كان عام 1323هـ، عندما افتتح صحيح الإمام البخاري بجامع القرويين، فضاقت رحابه بالحاضرين، الذين رأوا من علمه الأعاجيب[54].

وتكرر اللقاء عام 1325هـ بعد اعتلاء السلطان مولاي عبد الحفيظ عرش المغرب[55].

ثم توالت زيارات الشيخ إلى فاس، وتخرجت على يديه أفواج من العلماء، يأتي في مقدمتهم، سنده في حياته، وحامل اللواء من بعده، شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، موقظ الهمم، كما كان يسميه محمد المختار السوسي[56].

ونعود من فاس إلى الرباط، حيث حط أبو شعيب الدكالي الرحال، منذ أن عين وزيرا إلى أن لقي ربه، فنجد العاصمة في أعراس علمية دائمة، وحركة سلفية نشيطة، قد استهوت عالما فحلا كمحمد المدني ابن الحسني، فثنى ركبتيه - على علمه وفضله - ليواظب على حضور دروس أبي شعيب في الحديث خاصة، طوال مدة تزيد على العشرين عاما[57].

ومثل حاله، كان حال عدد من نوابغ الطلاب، كالعلامة المفكر محمد السائح، والعلامة الشاعر محمد بن اليمني الناصري، والعلامة المؤرخ عبد الله الجراري، والعلامة الحافظ شيخنا الرحالي الفاروق، الذي لازمه بالرباط ما يقرب من ثلاثة أعوام، بعد أن أخذ عنه في كل من مراكش وفاس، رحمهم الله جميعا، وكأستاذنا العلامة الشيخ محمد المكي الناصري، أمد الله في عمره، الذي قال مخاطبا الشيخ أبا شعيب الدكالي ليلة ختمه لسنن ابن ماجة بالزاوية الناصرية :

---

(53) نفسه.

(54) انظر كلمة محمد السراج في (الكتاب الذهبي لجامعة القرويين) : 148 - 157.

(55) نفسه.

(56) الألغيات : 2/226.

(57) من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، تأليف عبد الله الجراري، 2/202.

أسست للإصلاح أسا ثابتا وفتحت منه كل باب موصد
أظهرت للناس الحقيقة جهرة لم تخش في دعواك قول مفند[58]

مشيرا إلى كتابه الذي أسماه «**إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة**»، دافع فيه عن السنة بقوة، وهاجم دون هوادة ما كان شائعا وقتئذ من بدع وخرافات، مما أثار ضجة هائلة في ذلك العهد، مما لا نريد الخوض فيه، لأن الحملة ضد الزوايا والطرقيين سرعان ما توقفت، استجابة لنصيحة الأمير شكيب أرسلان، الذي كان نصح زعماء الحركة الوطنية إذ ذاك، بإيقاف هذه الحملات، والاهتمام بمقاومة العدو الحقيقي (الاستعمار)، وكان من أبرز هؤلاء الزعماء الرواد علال الفاسي، وعبد الله كنون، وأحمد بلافريج، رحمهم الله تعالى، ومحمد المكي الناصري، أمد الله في عمره.

وبعد؛ فمن هؤلاء الطلبة جميعا، وغيرهم - ممن أخذوا عن أبي شعيب في جهات كثيرة من المغرب - تكونت الطليعة الأولى من السلفيين، الذين قادوا الحركة الوطنية، التي برزت في صورتها السياسية ابتداء من صدور الظهير البربري في 30 ماي 1930م.

---

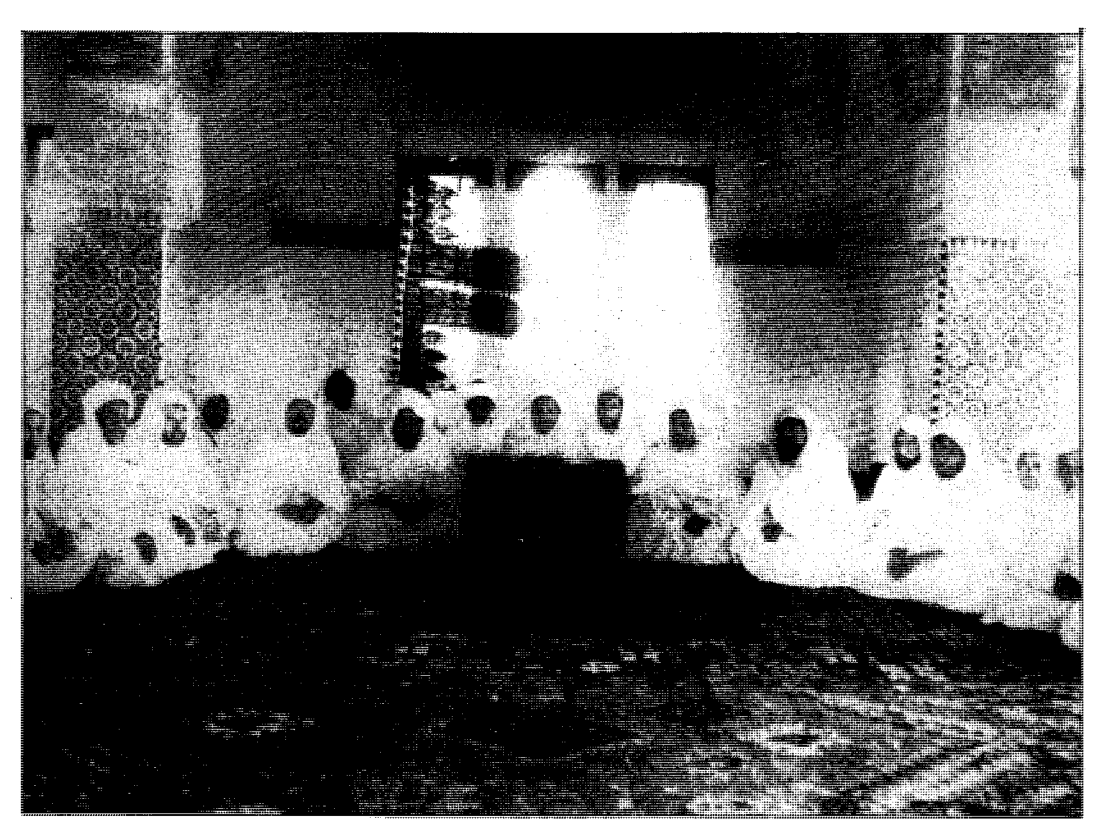
(58) المحدث الحافظ : 90.

صور للشيخ
في مناسبات متعددة





صورة للشيخ أبي شعيب الدكالي حين كان بأرض الحجاز، ويظهر في الوسط لابساً الجلباب المغربي. أخذت هذه الصورة من كتاب مرآة الحرمين للواء ابراهيم رفعت باشا.



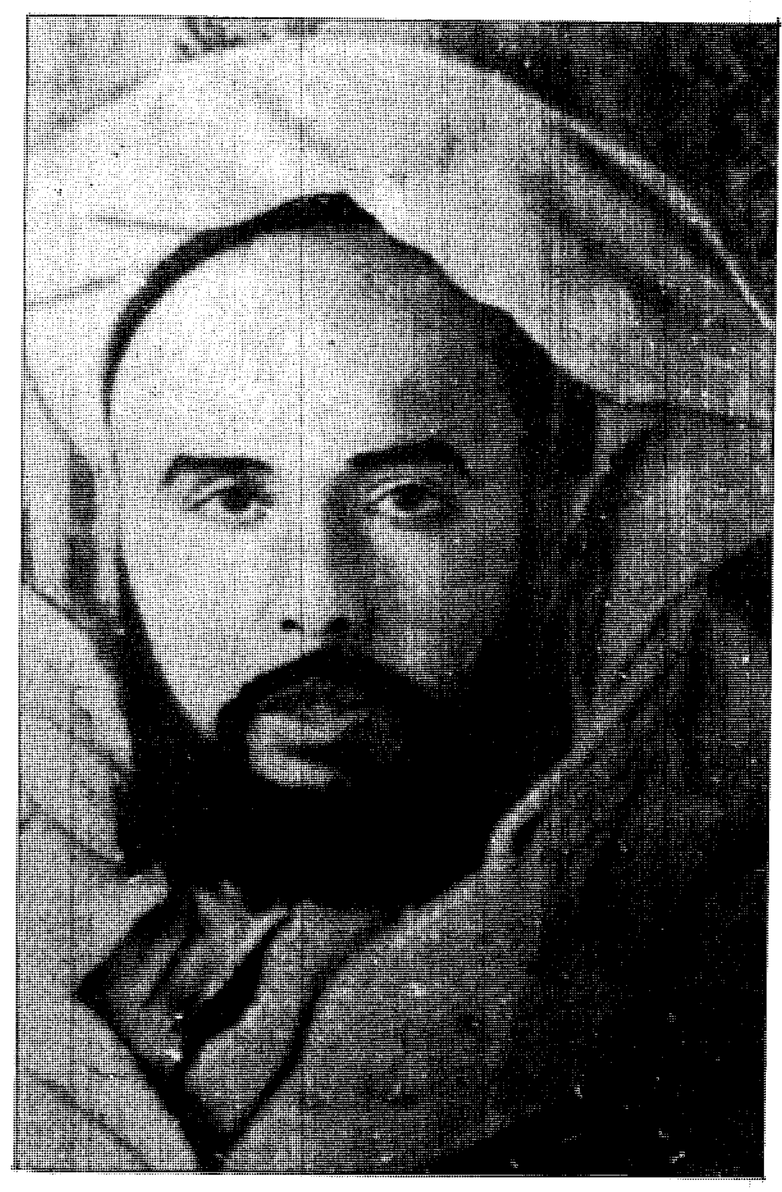
صورة لمجلس الوزراء السلطاني في عهد المولى يوسف بقصره بالرباط سنة 1921. ويتصدر الصورة الصدر الأعظم المقري وعن يمينه شيخ الاسلام أبو شعيب الدكالي وزير العدل والمعارف آنذاك. عن كتاب أرشيف المغرب الصادر بفرنسا سنة 1995.



صورة لشيخ الاسلام أبي شعيب الدكالي لما كان وزيراً للعدل



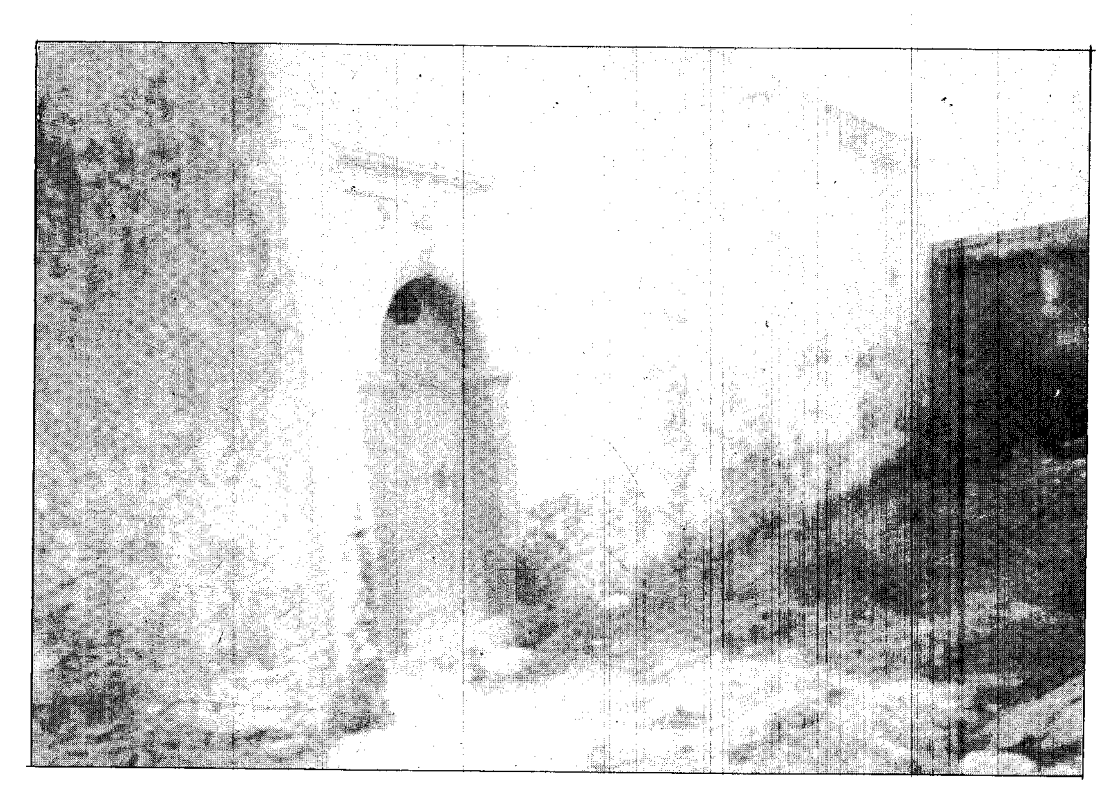
صورة أخرى للشيخ أيام وزارته للعدل ورئاسته للمجلس الاستينافي الشرعي الأعلى.



صورة للشيخ أيام توليته القضاء بمراكش.



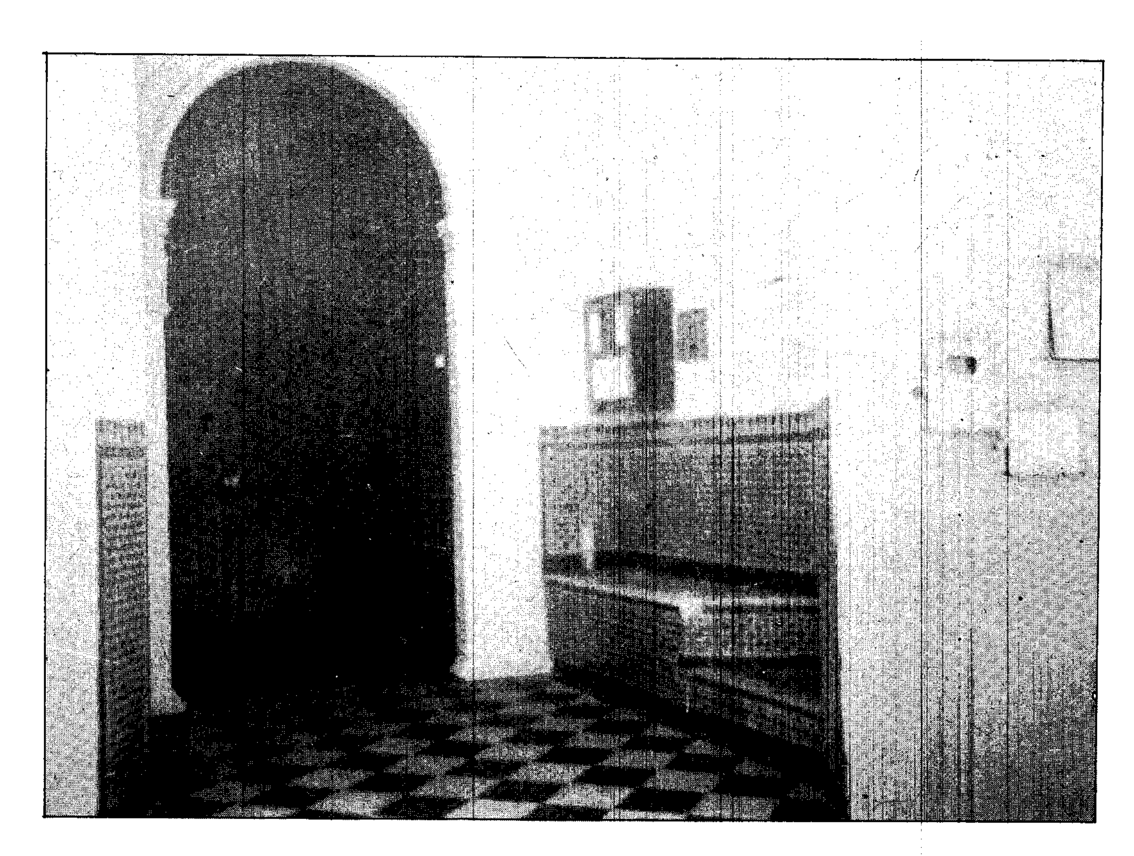
صورة للمسجد العتيق بدوار الصديقات بلد الشيخ.



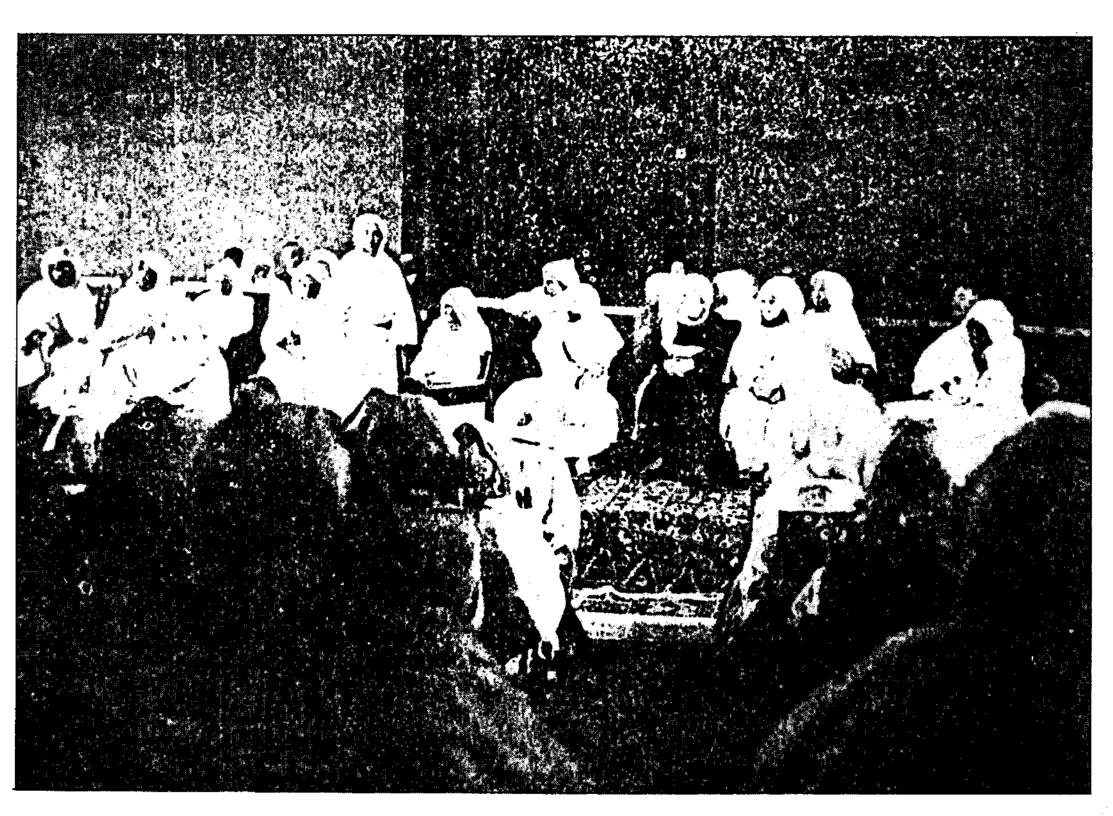
صورة لمنزل الشيخ بدوار الصديقات بأرض دكالة.



صورة لواجهة منزل الشيخ بدوار الصديقات بأرض دكالة.



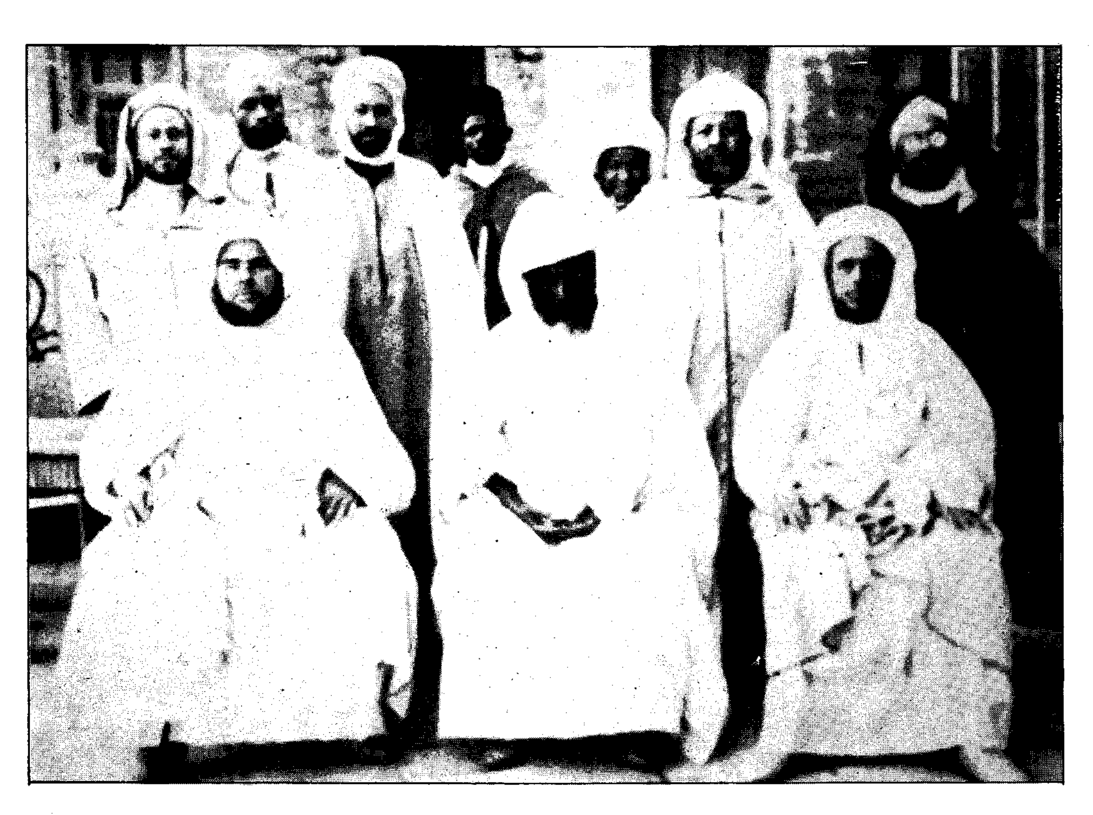
صورة لمنزل الشيخ بمدينة الرباط (مدخل المنزل) بديور الجامع



صورة للشيخ مع كبار العلماء منهم عبد الحي الكتاني، ومحمد بن الحسن الحجوي وغيرهم بنادي المسامرات ويظهر الشيخ في أقصى اليمين من الصورة.



صورة للشيخ مع كبار تلامذته في حفل أقيم بمراكش على شرفه ويظهر الشيخ في الوسط وعن يمينه سيدي محمد بن عثمان المسفيوي، والأستاذ محمد المختار السوسي، وعبد القادر المسفيوي.



صورة للشيخ مع بعض كبار العلماء ويتوسط الصورة وهو جالس وعن يمينه الشيخ عبد الحي الكتاني، وعن يساره سيدي محمد بن المفضل غريط والطيب العقبي، ويظهر في الخلف وهم وقوف الشيخ سيدي محمد بن العربي العلوي، والعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان.



صورة للشيخ أبي شعيب الدكالي بعد رجوعه مباشرة من أرض الحجاز وأمامه ابنه البار سيدي عبد الرحمن الدكالي لما كان صغيراً وبجانبه شيخه في القرآن سيدي محمد المعاشي.

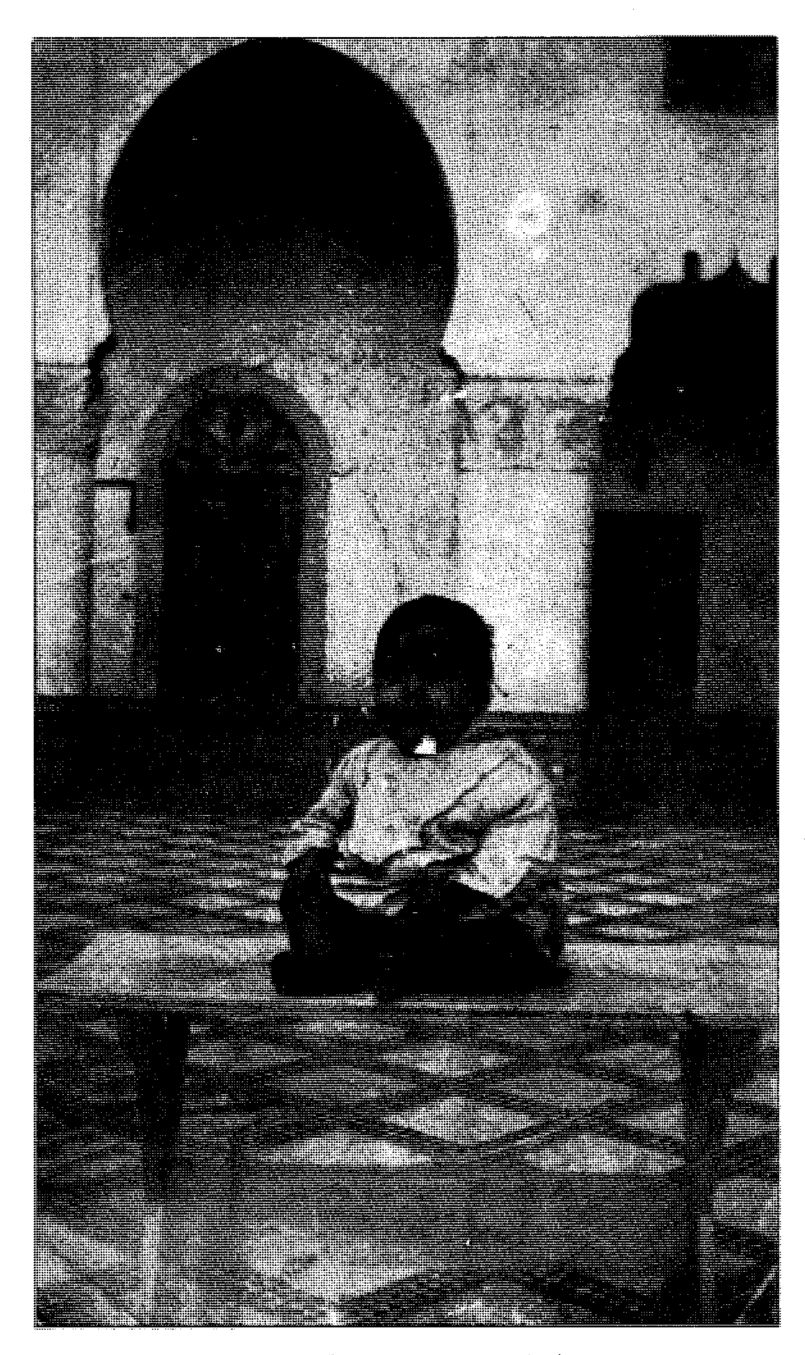


زيارة العلامة أبي شعيب الدكالي لمدينة تطوان
ذو الحجة 1347هـ ـ ماي 1929م

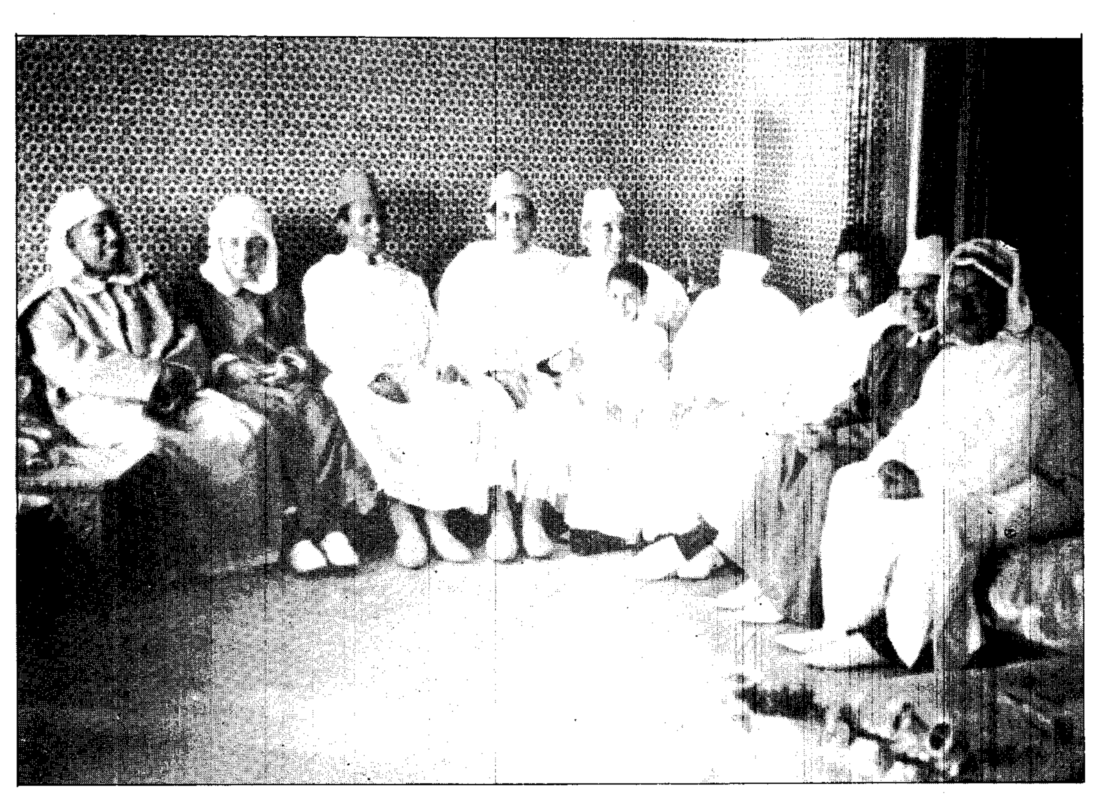
تطوان 2 ذو الحجة 1347هـ

من اليمين :
ـ محمد المؤذن
ـ مَحمد بنونة
ـ عبد الواحد بريشة
ـ محمد السلاوي
ـ بوشعيب الدكالي
ـ الحسن أفيلال
ـ محمد بن التهامي أفيلال
ـ محمد بن عزوز
ـ أحمد الرهوني
ـ (نجل الشيخ أبي شعب الدكالي)
ـ محمد المرير

الكتابة التي على وجه الصورة لسيدي المكي بن عبد الوهاب، ونصها :
«الاحتفال التطواني بالسادات أحمد القادري وأبو شعيب الدكالي وإدريس المراكشي من علماء فاس. هذا الاحتفال كان بفرسة السلاوي بالعلماء الزائرين لتطوان وأهلها وأكرموهم علماءها مع التلا وزة عموما بلا فرق بين أحدهم ولا تفاضل على السواء. وذاك يوم الأحد 3 ذي الحجة عام 1347».



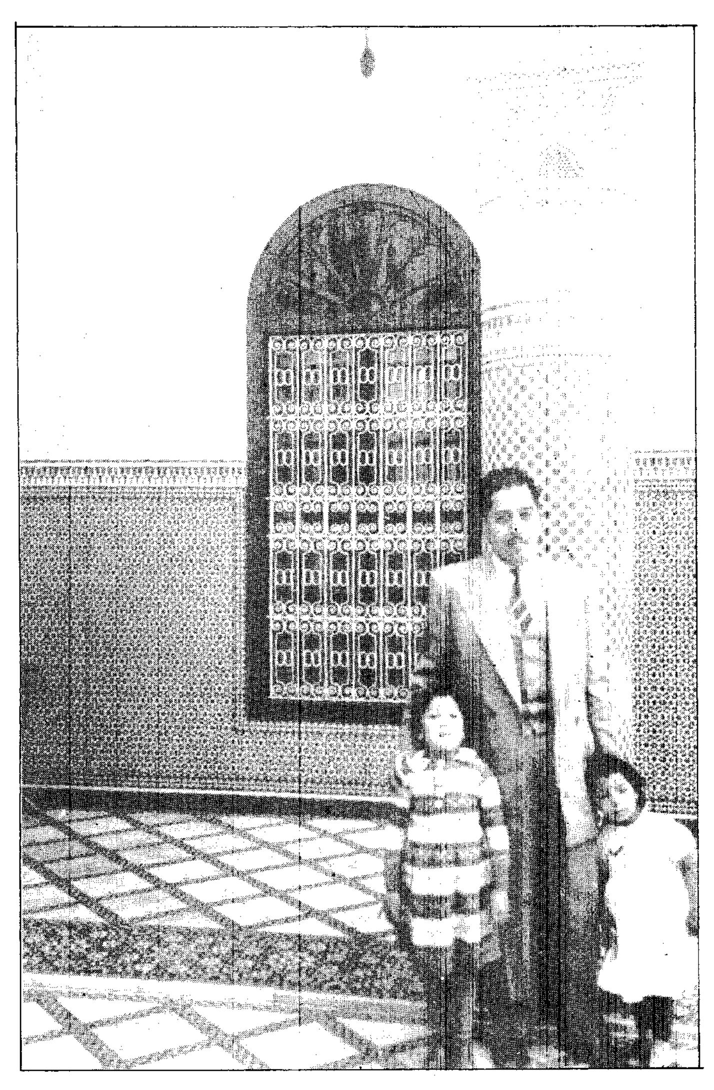
منزل الشيخ بحي سيدي فاتح بالرباط



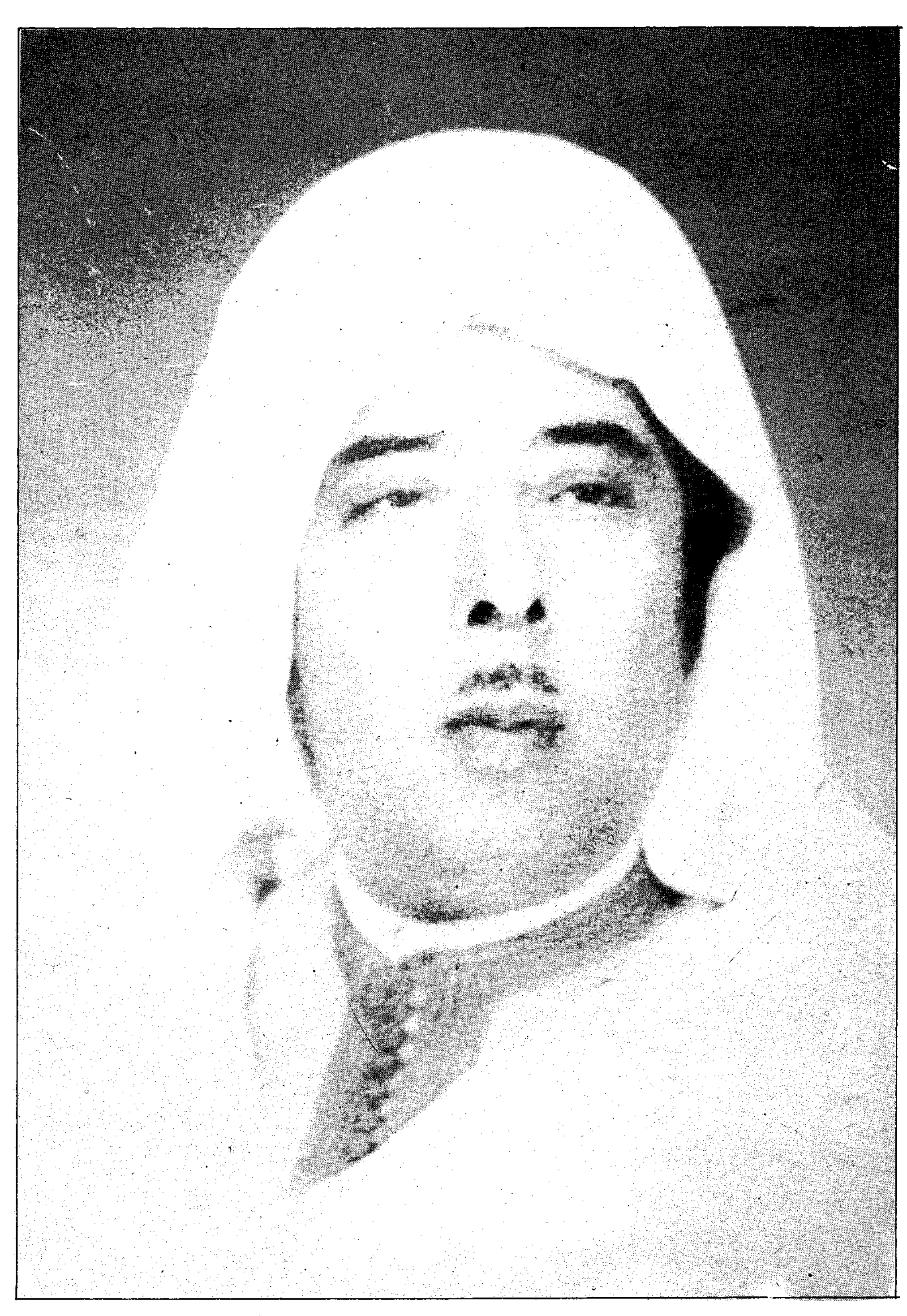
صورة جماعية لأبناء الشيخ وأصهاره ويظهر فيها من اليسار إلى اليمين ابنه سيدي حماد، والقاضي السيد بن عبود، وابن الشيخ سيدي أحمد الدكالي، والسيد الطيب الصديقي ابن عم الشيخ. وفي الوسط يظهر سيدي عبد الرحمن الدكالي ابن الشيخ وبجانبه أصهاره وزوج أخته سيدي أحمد الصديقي، وابن الشيخ سيدي عبد الله الدكالي.



صورة جماعية يظهر منها حفيد الشيخ سيدي محمد الصديقي وبجانبه ابن الشيخ سيدي عبد الله الدكالي، وفي الوسط صهر الشيخ مولاي أحمد الصديقي وبجانبه أخوه شيبة الحمد سيدي عزوز الصديقي وابن الشيخ سيدي أحمد الصديقي.



صورة لمنزل الشيخ بديور الجامع بالرباط، ويظهر فيه ابنه الأستاذ العلامة سيدي أحمد الدكالي الصديقي المدير المساعد بدار الحديث الحسنية والقاضي بالمجلس الأعلى سابقاً. وعن يمينه ابنته السيدة جميلة في صغرها.

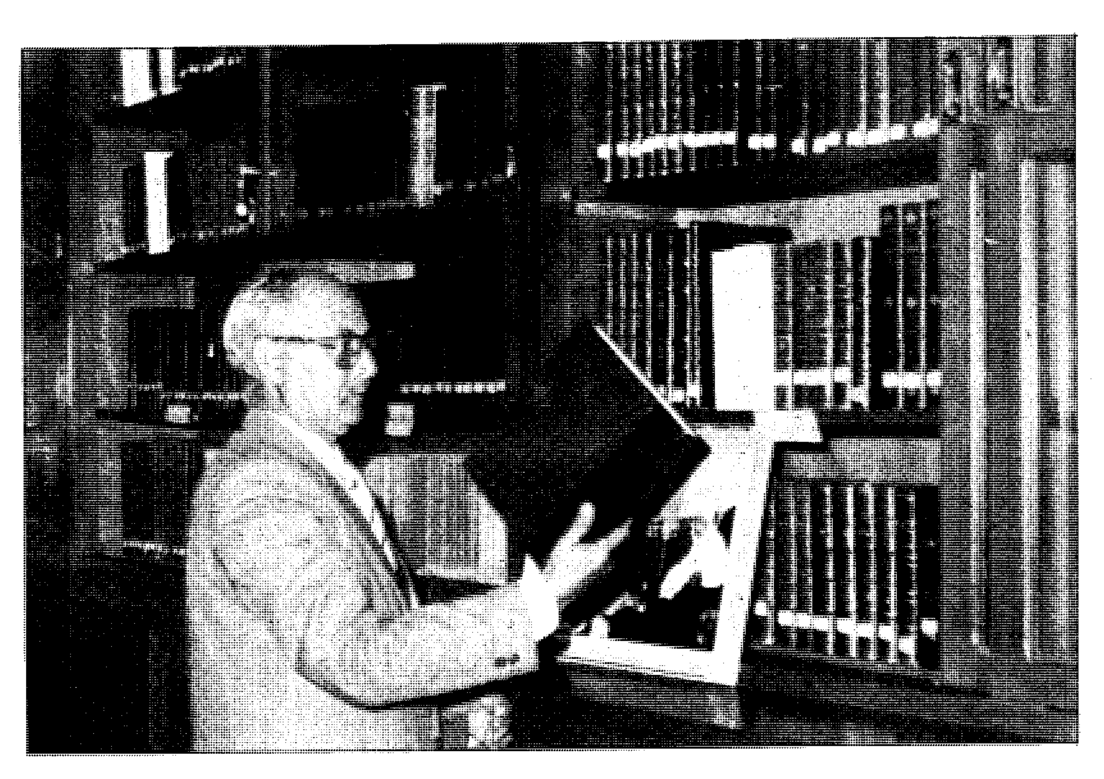


صورة لابن الشيخ البار سيدي عبد الرحمان الدكالي في أيام شبابه.

صورة لمنزل الشيخ ويظهر فيها ابنه سيدي عبد الرحمن الدكالي وبجانبه حسن الباقوري وزير الأوقاف المصري سابقاً.



صورة بمنزل الشيخ ويظهر فيها ابنه سيدي عبد الرحمن الدكالي وبجانبه الدكتورة عائشة بنت الشاطئ.



صورة للخزانة المحمدية التي حبسها ابن الشيخ سيدي عبد الرحمن الدكالي على طلبة العلم بدكالة بالمجلس العلمي بالجديدة ويظهر في الصورة الأستاذ الحاج بوشعيب دحمان المدعو ابن الشيخ العربي المحافظ لهذه الخزانة آنذاك.

ÉCOLE SUPÉRIEURE DE LANGUE ARABE ET DE DIALECTES BERBÈRES DE RABAT
III

RECUEIL
DE
JURISPRUDENCE CHÉRIFIENNE

TRIBUNAL DU MINISTRE CHÉRIFIEN DE LA JUSTICE
ET
CONSEIL SUPÉRIEUR D'OULÉMA
(Medjlès Al-Isti'nâf)

PAR

LOUIS MILLIOT
Avocat à la Cour d'Appel de Paris
Chargé de Cours à la Faculté de Droit d'Alger
Chargé de Cours à l'École Coloniale
Ancien Chargé de Cours à l'École Supérieure de Rabat.

Tome II

PARIS
ÉDITIONS ERNEST LEROUX
28, RUE BONAPARTE, 28
1920

صورة لأحكام الشيخ القضائية المترجمة للغة الفرنسية من طرف الأستاذ لويس مليو



صورة للشيخ محمد عبده أحد شيوخ الشيخ الذي يمثل المدرسة العقلية آنذاك.



صورة للشيخ محمد بخيت المطيعي أحد شيوخ الشيخ في العلوم العقلية أيضا.



صورة للشيخ سليم البشري أحد شيوخ الشيخ في علم الرواية والأثر



صورة للشريف عون الرفيق أحد أمراء الحجاز في ذلك العهد وهو الذي قرب الشيخ إليه واعترف بمكانته وعلمه.

مصادر الكتاب

اقتصرنا على ذكر الأهم من هذه المصادر، وإلا فيوجد في متن الكتاب وحواشيه كتب وافرة ومراجع متعددة، متعلقة بترجمة الشيخ، وسنورد هذه المصادر حسب حروف المعجم.

«أ»

1 - أتحاف أعلام الناس لعبد الرحمان بن زيدان، خمسة أجزاء، ط 1 ، عام 1348-1930. المطبعة الوطنية بالرباط.

2 - الاستقصاء للشيخ أحمد الناصري، طبعة دار الكتاب، الدارالبيضاء.

3 - الأعلام، لخير الدين الزركلي، 8 أجزاء، طبع بيروت.

4 - الأعلام بمن حل مراكش وآغمات من الأعلام، لعباس بن ابراهيم المراكشي، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، عام 1974.

5 - أعلام الفكر المعاصر للمؤرخ عبد الله الجراري، جزئين، طبع الأمنية، الرباط.

6 - أنس الفقير وعز الحقير، لابن قنفد، طبع الرباط.

7 - آسفي وما إليه، لمحمد الكانوني العبدي، طبع بمصر.

8 - الأزهر في ألف عام، للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، عالم الكتب، بيروت، ط 2، 1407-1987.

9 - أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، لأحمد تيمور باشا، ط 1 ، عام 1387-1967، القاهرة.

10 - الأزهر الشريف في عيده الألفي، لوحة مشيخة الأزهر الشريف، مطابع الهيئة المصرية العامة لكتاب، عام 1402-1982.

11 - الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، ط 2، دار الغرب الإسلامي.

12 - الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات، ج 1، لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية بالرباط، دون تاريخ.

13 - إعداد الفتاح بأسانيد ومرويات الشيخ عبد الفتاح، تخريج محمد بن عبد الله آل رشيد، مكتبة الإمام الشافعي، ط 1، 1419-1999، السعودية.

14 - إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، لمحمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي، ط 1، 1412-1992، مطبعة النجاح الجديدة.

15 - الأزهار الطيبة النشر فيما يتعلق ببعض العلوم من المبادئ العشر، للشيخ محمد الطالب بن الحاج، طبعة حجرية.

16 - أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، للأستاذ عبد الله كنون، ط 4، عام 1485-1984، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء.

17 - الأحباس الإسلامية للشيخ محمد المكي الناصري، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

18 - الألغيات للأستاذ محمد المختار السوسي، 3 أجزاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء.

19 - الأحكام الصادرة عن مجلس الاستيناف الشرعي الأعلى، المجلد الأول، طبعة عام 1420-1999، مطبعة فضالة.

20 - إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ، لمحمد بن الفاطمي السلمي، دار الطباعة الحديثة، الدارالبيضاء، عام 1398-1978.

«ت»

21 - التعاشيب، للأستاذ عبد الله كنون، مطبعة المهدية، تطوان.

22 - الترجمة الخطية للشيخ أبي شعيب الدكالي، بخط يده.

23 - ترجمة الشيخ الخطية لتلميذه الأستاذ جعفر بن أحمد الناصري المؤرخة بتاريخ 3 صفر 1388هـ، فاتح ماي 1963م، مخطوط خاص، (وقد طُبِعَتْ مؤخرا).

24 - التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب للحسن بن الطيب بوعشرين، تصحيح محمد المنوني، ط 1، عام 1415 موافق 1994، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

25 - التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي، تحقيق د. أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة.

26 - ترجمة الأستاذ عبد الرحمان الدكالي لوالده الشيخ أبي شعيب الدكالي، مخطوط خاص.

27 - التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين للأستاذ عبد الله الجراري، الرباط.

28 - تاريخ محمد عبده، للشيخ محمد رشيد رضا، في جزئين، طبع مصر.

29 - تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، لأبي سليمان محمود سعيد ممدوح، دار الشباب للطباعة، القاهرة، دون تاريخ.

30 - الترجمة الخاصة للفقيه مولاي أحمد العدلوني، مرقونة على الآلة الكاتبة.

31 - ترجمة الفاضل بن عاشور، للشيخ أبي شعيب الدكالي، (وصف لزيارة الشيخ لتونس)، مخطوط خاص.

32 - الترجمة الخاصة للشيخ شعيب، لمحمد بن عبد الرزاق المراكشي، مخطوط خاص.

33 - ترجمة الحاج أحمد بن شقرون لشيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي، مرقونة على الآلة الكاتبة.

34 - ترجمة محمد بن عبد القادر العرائشي المكناسي، للشيخ أبي شعيب الدكالي، مرقونة على الآلة الكاتبة.

35 - ترجمة خاصة بالشيخ أبي شعيب الدكالي للأستاذ عبد الله كنون، مخطوط خاص.

«ج»

36 - جلاء الظلام الدامس في تاريخ المغرب إلى عهد محمد الخامس، لإسماعيل بن محمد العلوي، مطبعة فضالة، عام 1957.

37 - جواهر الكمال في تراجم الرجال، لمحمد الكانوني، تحقيق علال ركوك ومن معه، جمعية البحث والتوثيق بآسفي، ط 1، عام 2004.

38 - جامع القرويين، ثلاثة أجزاء، للدكتور عبد الهادي التازي، دار الكتاب اللبناني، ط 1 ، عام 1972، بيروت.

«ح»

39 - الحركات الاستقلالية في المغرب العربي للأستاذ علال الفاسي، دار الطباعة المغربية، تطوان، دون تاريخ.

40 - حديث المغرب في المشرق، للأستاذ علال الفاسي، ط 1، عام 1956، القاهرة.

«د»

41 - الدرر الفاخرة، لعبد الرحمان بن زيدان، المطبعة الملكية بالرباط.

42 - دروس التاريخ المغربي للمؤرخ عبد الله الجراري، 5 أجزاء، طبع بالرباط.

43 - دروس تاريخ المغرب للمجاهد الهاشمي الفيلالي، مطبعة الأطلس، الدارالبيضاء، عام 1377-1958 .

44 - الدروس الحسنية الملقاة في شهر رمضان 1386، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

45 - الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور ابراهيم الوافي، ط 1، 1420-1999، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء.

46 - ديوان شعر داوود الرسموكي، جمع وتحقيق الدكتور الراضي اليزيد، منشورات جمعية إيليغ.

«ذ»

47 - ذكريات من ربيع الحياة، للأستاذ محمد الجازولي، مطبعة الأمنية، الرباط، دون تاريخ.

48 - ذكريات ومذكرات، للحاج أحمد معنينو، ج 8 و 9.

«س»

49 - السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت المراكشي، طبعة حجرية.

50 - سيرة وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، للأستاذ عمر عبد الجبار، الكتاب العربي السعودي، ط 3، 1403-1982، جدة، المملكة العربية السعودية.

51 - السلفية استشراف مستقبلي، للأستاذ عبد الهادي بوطالب، منشورات الإيسيسكو.

«ش»

52 - الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح للعلامة عبد الله الجراري، ضمن سلسلة : شخصيات مغربية، مطبعة النجاح، الدارالبيضاء.

53 - شيوخ الأزهر، وزارة الأعلام، جمهورية مصر، دون تاريخ.

54 - شذرات تاريخية للمؤرخ عبد الله الجراري، طبع بمطبعة النجاح الجديدة.

55 - الشيخ أبو شعيب كما عرفته، لمحمد إبراهيم الكتاني، مرقون على الآلة الكاتبة.

56 - شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء، للدكتور محمد رياض، من منشورات المجلس العلمي لجهة مراكش تانسيفت الحوز، ط 1، عام 1424-2003.

57 - الشيخ أبو شعيب الدكالي، أكاديمية علمية، للأستاذ عبد الحكيم بركاش، ط 1، عام 1989، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

«ع»

58 - علماء الكويت وأعلامها، إعداد عدنان بن سالم الرومي، ط 1، 1420-1999، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت.

59 - علماء نجد خلال ثمانية قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن صالح آل البسام، ط 2، عام 1419، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية.

60 - العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج 2، مولاي عبد الرحمان بن زيدان، المطبعة الملكية، الرباط، عام 1382-1962.

61 - على رأس الأربعين، للأستاذ المؤرخ محمد داوود، تعليق حسناء داوود، تطوان، 1421-2001، بمطابع الشويخ.

«ف»

62 - الفكر السامي، للشيخ محمد بن الحسن الحجوي، طبعة المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

63 - الفتح المبين في طبقات الأصوليين، لعبد الله مصطفى المراعي، ط 2، 1394-1974.

«ق»

64 - قبيلة زعير قديما وحديثا، للأستاذ القاضي محمد بن سودة التاودي، في جزئين.

65 - قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، للشيخ أحمد السكيرج، مخطوط.

«ك»

66 - كتاب المغرب، الصديق العربي، دار الغرب الإسلامي، ط 3، 1404-1984.

67 - كشف الخفا والإلباس عما يدور من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، طبع بيروت.

68 - كلمة الأستاذ التهامي الوزاني حول رحلة الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى تطوان، مرقونة على الآلة الكاتبة.

69 - كلمة الأستاذ الحسن الزهراوي، ضمن كتاب : شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي في رحاب مدينة مراكش الفيحاء.

«م»

70 - موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي.

71 - معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية عام 1350-1931، الرباط.

72 - المغرب عبر التاريخ للدكتور ابراهيم حركات، 3 أجزاء، دار الرشاد الحديثة، الدارالبيضاء.

73 - مدخل إلى تاريخ المغرب، للشيخ عبد الله كنون، تطوان 1378 موافق 1958.

74 - مظاهر يقظة المغرب، للأستاذ محمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، ط 2، عام 1415هـ 1985م.

75 - المعسول، للأستاذ محمد المختار السوسي، مطبعة النجاح بالدارالبيضاء.

76 - معجم المطبوعات المغربية، لإدريس بن الماحي الإدريسي القيطوني.

77 - مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة، ميشوبلير.

78 - مفاخر البربر، لمؤلف مجهول، دراسة وتحقيق محمد يعلى، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بإسبانيا 1996.

79 - معلمة المغرب - مطابع سلا.

80 - مدينة أزمور وضواحيها، ترجمة وتعليق محمد الشياظمي.

81 - مشيخة الإلغيين، للأستاذ محمد المختار السوسي، مخطوط.

82 - المحدث الحافظ أبي شعيب الدكالي، للأستاذ عبد الله الجراري، ضمن سلسلة : شخصيات مغربية، مطبعة النجاح، الدارالبيضاء.

83 - مختارات أحمد تيمور، ط 1، 1376-1956، القاهرة.

84 - مرآة الحرمين، ج 2، لإبراهيم رفعت باشا، دار الكتب المصرية، عام 1344-1925.

85 - الملتقطات، للشيخ يوسف القناعي، مطبعة حكومة الكويت، دون تاريخ.

86 - من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، الشيخ محمد أمين الشنقيطي، لعبد اللطيف الدليشي الخالدي، ط 1 ، عام 1401-1981، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالعراق.

87 - مقال للأستاذ العالم محمد إبراهيم الكتاني تحت عنوان : "الشيخ أبو شعيب الدكالي كما عرفته"، مرقون.

88 - من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر، للإمام عبد الرحمان بن محمد الباقر الكتاني.

89 - متعة المقرئين، للأستاذ عبد الله الجراري، مطبعة النجاح الجديدة، ط 1، 1401-1981.

90 - مدارس سوس العتيقة للعلامة محمد المختار السوسي.

91 - المدارس العلمية السلطانية على عهد الدولة العلوية الشريفة، ج 2، للأستاذة آسية البلغيتي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، عام 1416-1996.

92 - مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من عام 1930-1940 للأستاذ المجاهد أبي بكر القادري، ج 1، مطبعة النجاح الجديدة.

93 - مع المعاصرين، للدكتور عباس الجراري، ج 1، الرباط، ط 1، عام 1416-1995، منشورات النادي الجراري، الرباط.

«ن»

94 - نيل المراد في معرفة رجال الإسناد، للشيخ محمد الحجوجي، مخطوط خزانة علال الفاسي.



فهرس الكتاب

صدر للمؤلف الكتب التالية :

1) التعسف في استعمال الحق على ضوء المذهب المالكي، والقانون المغربي (رسالة جامعية) طبعت عام 1992.

2) أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي (رسالة جامعية) 1996.

3) الشريعة الإسلامية كمال في الدين وتمام للنعمة، طبع عام 1420 / 2000.

4) دليل الثقافة، طبع عام 1991 وهو تحت الطبع بتنقيح.

5) أحكام المواريث بين النظر الفقهي والتطبيق العملي، طبع عام 1418هـ 1998م.

6) أصول الأخلاق الإسلامية من خلال الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، طبع عام 1424هـ / 2003م.

7) شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي وجهوده في العلم والاصلاح والوطنية (وهو هذا).





الإيداع القانوني رقم : 2005/1886